التهذيب في التفسير

تصنيف

الإمام الحاكم أبي سعد المحسن بن محمد بن كرامة البيهقي الجشمي

توفي سنة ٤٩٤ هجرية

رحمه الله تعالى

تحقيق

عبد الرحمن بن سليمان السالمي

دار الكتاب المصري
القاهرة

دار الكتاب اللبناني
بيروت

أختكم عفاف

التهذيب في التفسير

تصنيف

الإمام الحاكم أبي سعد المحسن بن محمد بن كرامة البيهقي الجشمي

توفي سنة ٤٩٤ هجرية

رحمه الله تعالى

تحقيق

عبد الرحمن بن سليمان السالمي

الجزء الأول

سورة الفاتحة - سورة البقرة

دار الكتاب المصري
القاهرة

دار الكتاب اللبناني
بيروت

I.S.B.N. 978 - 614 - 453 - 091 - 7

دار الكتاب المصري
القاهرة
٣٣ شارع قصر النيل ـ تلفون: ٢٣٩٢٢١٦٨/ ١ ٢٣٩٣٤٣ ٢٣٩٢٤٦١٤ / ٢٣٩٢٤٦١٤
ص. ب.: ١٥٦ ـ عتبة ـ الرمز البريدي: ١١٥١١ القاهرة ـ ج.م.ع
فاكس: ٢٣٩٢٤٦٥٧ (٢١٢ ..)
ATT.: AHMAD AREF EL ZEIN
Website: www.daralkitabalmasri.com
E-mail:info@daralkitabalmasri.com
Facebook: Dar Al Kitab Al Masri دار الكتاب المصري

دار الكتاب اللبناني
بيروت
شارع مدام كوري ـ مقابل فندق البريستول ـ بيروت
تلفون: ٧٣٥٧٣٢/ ٠١ ـ ص.ب.: ٨٣٣٠/ ١١
بيروت ـ لبنان ـ فاكس: ٣٥١٤٣٣ (١ ٩٦١ ..)
ATT.: MAY EL ZEIN
E-mail:may-el-zein@hotmail.com

الطَّبْعَةُ الأُولى

٢٠١٨/٢٠١٩م ـ ١٤٣٩/١٤٤٠هـ

First Edition

2018 / 2019A.D. - 1439 / 1440H.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام

على رسول الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

إهداء

إلى الشيخ

عبد الله بن محمد بن عبد الله السالمي

شكر وتقدير

إن ما يجب علينا ونحن نستكمل إنجاز هذا التحقيق بتوفيق الله تعالى أن نستذكر الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان على ما أنجزه في حفظ تراث الإسلام فهو أشبه بكلمةٍ طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، والذي أنجزه بما وفقهُ الله تعالى هو الذي أعطى اليمن هويتها العلمية والفكرية على امتداد تسعة قرون، وما كان لنا نحن أن نستفيد من تراث المعتزلة ونوادر علوم الإسلام في العصور المبكرة لولا مشروعه الضخم في نقله من جبال طبرستان إلى اليمن، بل حتى جلّ المخطوطات المعتزلية في مكتبات العالم هي في الأصل جُلبت من اليمن، فالإمام أحمد بن سليمان رحمه الله تعالى يجب أن يحتفى به في كل محفل فكري وعلمي، ولا نستطيع أن نوفيه حقه بكل حال. أجزل الله تعالى له الثواب في الدنيا والآخرة ، أمين.

والشكر الجزيل الموفور على المعروف الذي أسداه والذي لا يمكن إيفاءه بكل حال إلى السيد الجليل والعلامة الكبير عبد الله بن حمود العزي والذي شمل المشروع بالمساعدة بكل ما أمكن، والشكر موصول لمؤسسة المصطفى وإخوانه السادة الإجلاء علي والحسين ويحيى وهم يحق فيهم الوصف:

مَن تَلْقَ منهم تَقُل لاقيت سيدهم   مثل النجوم التي يسري بها الساري

وأقدم شكري الجزيل للشيخ العلامة الدكتور محمد كمال إمام وللسيد العلامة آية الله

البروفسور حسين مدرسي الطباطبائي، والشيخ العلامة الدكتور رضوان السيد، والعلّامة الدكتور خالد عمر الدسوقي على تقديم نصحهم وتوجيهاتهم منذ بدء المشروع وحتى استكماله، فجزاهم اللّٰه تعالى خيراً.

وأثني شكري لمؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية صنعاء على ما بذلته من جهد ومساعدة، فهي أنموذج حي للمجتمع المدني الثقافي في عالمنا العربي. لقد أنجز القائمون على هذه المؤسسة طوال السنوات أكبر المشاريع في تصوير المخطوطات وحفظها ونشرها وتحقيقها وطباعتها رغم ضيق ذات اليد، ومعاناة التهم التي توجه إليها، والصعوبات السياسية والأمنية في اليمن، فالشكر للسيد الجليل عبد اللّٰه حميد الدين والسيد عبدالسلام الوجيه والأساتذة عبد اللّٰه بن هاشم السياني ومحمد أحمد إسحاق ومحمد الكحلاني وخالد بن عمر الذيلعي ولكل الأخوة والأخوات العاملين في هذه المؤسسة لمساعدتهم في تصوير المخطوطات المبتغاة.

والشكر الجزيل لجامعة كولومبيا نيويورك لتقديمها منحة بحثية لإنجاز هذا المشروع، و أخص بالشكر البرفيسور برينكلي مِسيك مدير معهد دراسات الشرق الأوسط، والأستاذة استريد بنديك.

أما بشأن المخطوطات في الخارج فأود أن أشكر البروفسور مايكل ينسن (جامعة أخن) وزوجته الأستاذة ميشيلا لينر على عملهما المُجزي في الحصول على النسخ المحفوظة في مكتبات الفاتيكان و الامبروسيانا ميلانو ودبلن وميونخ، وأشكر البروفسور الصديق فان جوست فيتكام على توفيره لنسخ جامعة لأيدن مجاناً، وكذلك للموظفين في المكتبة السليمانية بإسطنبول للحصول بشكل سريع على نسخة المكتبة، وكذلك للدكتور فيصل الحفيان للحصول على نسخ مكتبة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية القاهرة، وإن كانت مصورة من مكتبة الجامع الكبير بصنعاء. لمركز الملك فيصل بالرياض للحصول على نسخة مخطوطة عنيزة، والأستاذ الفاضل حمود بن عبد اللّٰه الراشدي لنسخة وزارة التراث والثقافة، مسقط.

وكذلك الشكر الجزيل للأستاذ سليمان بابزيز والأستاذ عبد اللّٰه بن سعيد بن علي الحجري والأستاذ محمد بن سعيد بن علي الحجري والأستاذ عماد العلايلي والأخ

حمزة بن سليمان السالمي. والشكر موصول للإخوة الأفاضل محمد السناني وحامد السلامي ومعتصم البوسعيدي.

والشكر الجزيل للشيخ المهندس أحمد عارف الزين الرئيس التنفيذي لدار الكتاب اللبناني ـ دار الكتاب المصري على تبني طباعة ونشر هذا المشروع، فله جزيل الشكر ولطاقمه كل الود، ولعائلة الزين الذين وضعوا بصمتهم التي لا تمحى في الثقافة العربية لما يقارب القرن في إنجازهم نشر الثقافة والفكر والطباعة في العالم العربي.

فهرس التهذيب في التفسير

المجلد الأول

المجلد الثاني

المجلد الثالث

المجلد الرابع

المجلد الخامس

المجلد السادس

المجلد السابع

المجلد الثامن

المجلد التاسع

المقدمة

(أ)

بزغت المدرسة الاعتزالية مبكرا في بداية القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي بالبصرة، وكان مؤسساها ـ وهما واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد ـ ينتميان بدايةً إلى حلقة تلامذة الحسن البصري (ت. ١٠٠/ ٧٢٨)، ثم اعتزلاه، فسُمُّوا على إثر ذلك باسم المعتزلة، وبعضهم يذهب إلى أن قتادة بن دعامة السدوسي (ت. ١١٨/ ٧٣٦) شيخ القدرية بعد الحسن هو من سماهم بهذا الاسم، لتمثل انفصالا بين القدرية الكلاسيكية و بين التيار الجديد المتمثل في المعتزلة. أما المعتزلة أنفسهم فقد آثروا أن يدعوا باسم «أهل التوحيد والعدل». وكانت المسألة التي اعتزلوا فيها تعاليم الحسن البصري تدور على حكم مرتكب الكبيرة والذي كان عُدَّ مؤمناً من لدن المرجئة وكافراً في حُسبان الخوارج. وإذ عدَّه الحسن البصري في منزلة المنافق، فإن المعتزلة وضعوه في منزلة بين المنزلتين: بين منزلة المؤمنين ومنزلة الكافرين.

والحالُ أن عِلْم الكلام الاعتزالي إنما هو خطاب عقلاني صرف يتناول مسائل أصول الدين، بما في ذلك وجود الله وصفاته ومسألة الخير والشر، وقد دعت فرقة المعتزلة إلى ضرورة معرفتها بالعقل بدل الوحي، كما أنها ذهبت إلى أنَّ نصوص الوحي ينبغي أن تعتبَر وأن تؤول بالعقل. وقد تطور المذهب الاعتزالي بعد ذلك فصار إلى القول بخمسة أصول:

١. **التوحيد:** ويتضمن تنزيه الله و إبعاد التشبيه والتجسيم عنه، ونفي أن تكون صفاته تعالى زائدةً على ذاته.

العدل: ذلك أن الله عادل وهو لم يخلق الشر ولم يرده، وهو قادر على كل شيء. وذلك على الرغم من أن قدرته مطلقة، وإنما منح الله البشر المقدرة على الفعل، وما كلَّفهم بما من شأنه أن يتجاوز طاقتهم.

٢. **الوعد والوعيد:** ذلك أن الله سوف يجازي المطيعين في الآخرة، وسوف يعاقب العاصين، إلا إن هم تابوا قبل مماتهم.

٣. **المنزلة بين المنزلتين:** وهي المنزلة الوسطى بين الإيمان والكفر لمرتكب الكبيرة غير التائب عنها.

٤. **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.**

وفيما يخص الإمامة (الخلافة)، فقد ذهب أهل الاعتزال إلى أن من شأن الخلفاء أن يفقدوا شرعيتهم إن هم ارتكبوا أفعال الظلم أو القهر. وقد أكد المعتزلة على مشروعية الخلفاء الأربعة الراشدين، لكنهم طعنوا في مشروعية معاوية ومعظم الخلفاء الذين أعقبوه.

وتحت إمرة أوائل خلفاء بني العباس، كان بإمكان المدرسة الاعتزالية أن تنشر تعاليمها بحرية نسبية، وأن تذيعها في أغلب أمصار العالم الإسلامي. وقد تطوّر علم الكلام المعتزلي عبر الجدالات التي خاضها أهل الاعتزال مع مدارس أهل السنة والشيعة والخوارج، وعبر دحض المدارس غير الإسلامية، لاسيما منها المدارس الثنوية ومدارس أهل التثليث من أتباع الفرق المسيحية الثلاث في زمنهم.

وفي أواخر القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي كان على قمة هرم المدرسة الاعتزالية في بغداد متكلمان نافذان، وهما أبو الهذيل العلّاف وتلميذه إبراهيم النظّام، يتنافسان على زعامة تلك المدرسة، وقد أثرت وجهتا نظرهما المتباينة تـأثيراً بالغاً على تطورات المدرسة الاعتزالية، والتي دوَّن الجاحظ بعض فصولها. ويرى (دانيال جيماريه) أن أبا الهذيل هو من أصَّل الأصول الخمسة ومسمى المعتزلة؛ لكونها لم تُذكر في مصدرٍ علمي موثوق بصورة دقيقة قبله، ولاقت وجهة نظره صدىً واسعاً في الدوائر العلمية قديماً، وقد ظهر ذلك في كتاب الانتصار للخيّاط المعتزلي أواخر القرن الثالث، وتكرر ذلك في مؤلّفات القاضي

عبدالجبار. ومن المصادفات أن تلاقت فكرته مع نظريات نشوء الإسلام المبكر لدى مدرسة المراجعين من المستشرقين الجدد على أساس أنّ المدارس الفكرية الإسلامية كلها نشأت في نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث الهجري. وخالفهم في الرأي ويلفرد مادلونج بالذهاب إلى أنّ دعاة المعتزلة انتشروا في الآفاق منذ بداية القرن الثاني، كما أن أطروحاتهم صارت معروفةً بين الفرق الكلامية منذ ذلك الحين. والأصول الخمسة للمعتزلة لا تزال تثير الاهتمام ليس بين الفرق الإسلامية فحسب بل حتى مع المسيحية و اليهودية. فبالأصول الخمسة أُحكمت المعتزلة، ولم تستطع فرقة كلامية أن تحكم منظومتها العقدية وإطارها الفكري مثلما فعلت المعتزلة. وقد دلَّل المستشرق الإيطالي نللينو على أن التفكير العقلاني الإسلامي الممنهج في أدلته واستنباطاته نشأ مع المعتزلة لكونها من الفرق الكلامية المبكرة التي أثارت تلك القضايا. غير أن تلميذه وزميله مورينو أضاف مسألةً مهمة تتعلق بضرورة مراجعة كل قضية على حده بصورة تفكيكية وليست مجملة في إطار نظري عام. وقد اتخذ من الإباضية أنموذجاً في ذلك في رؤيته لتطورات القضايا عندهم على أنها زمانية منذ أن تم استقراؤها بين المفكرين، وإن اختلفت في طرق استنباط أدلتها والتدليل على حجيتها. ثم أكمل ذلك «مونتجمري وات» في مقالة نشرها متسائلاً: «هل كان واصل بن عطاء خارجيا؟»، لكون الأصول الخمسة نوقشت مبكّراً بحسب مقالات الفرق من قبل المحكِّمة: التنزيه للذات الإلهية عن التجسيم والتشبيه، والقدرة الإنسانية، والمعصية، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. بيد أن النقاش لا يزال يأخذ بين الباحثين اتجاهات متعددة، إنما لا يختلف في أن المعتزلة ثبتت أصولهم العقدية وأُحكمت في وقت مبكّرٍ نسبياً، حينها كانت جلّ الفرق الإسلامية الكلامية تتشظى خلال القرن الثاني كالمحكِّمة والشيعة والمرجئة، بيد أن المعتزلة حاولوا إحكام الأمر إلى مستند يجمعون عليه، فأثبتوا هذه الأصول الخمسة لتكون مرجعاً يُعرفون ويُميزون به عن غيرهم.

بدأ الحظر الذي فرضه الخليفة المأمون ضد معارضي القول بخلق القرآن في مطالع القرن ٣ هـ/ ٩م، والذي عُدَّ من وحي المعتزلة أنفسهم، ثم اعترض أحمد بن حنبل؛ لأنّ عقيدة أهل الحديث تقول بقدم كلام الله. وفي واقع الأمر تلك بداية تبلور تلك العقيدة الحنبلية، وليس كما اعتقد البعض خطأً أنها من تأصيل المعتزلة؛ فلا يوجد دليل أنها نوقشت من قبل، وما نسب إلى الجهم بن صفوان أو نحوه إنما جاء ذكره لاحقاً، ولم يثبت في رسائل

الكلام المصنفة في القرن الثاني أو بداية القرن الثالث الهجريين ما يفيد تناولها بصورةٍ جادةٍ إلا ما عثر عليه الآن من إشارات في رسائل المتكلم الإباضي عبد الله بن يزيد الفزاري، كذلك المعتزلة لم يثبتوها في نقاشهم ضمن الأصول الخمسة، والحق أن المأمون، وعلى خلاف ما يذهب إليه المعتزلة أساساً في القول بالعدل وبحرية الإرادة، قد أكد على مبدأ الجبر الإلهي، مسترشداً فيما ذهب إليه بعلماء كلام من غير أهل الاعتزال، ويتناقض مع أصول المعتزلة في القول بالوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم إن جُلّ قضاته من غير المعتزلة، فمنذ والده هارون الرشيد ومن ثم أخوه الأمين وحتى المأمون يبدو أن تيار أهل الحديث كان يوحي بالانقسام لكنهم كانوا يدعمون التيار أو التوجه الذي كان أكثر توافقاً مع تطور الدولة العباسية، وجلّهم من تلامذة مدرسة أبي حنيفة النعمان؛ كأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم ومحمد بن الحسن الشيباني، وكذلك من بعد عبد الله بن المبارك و الحارث المحاسبي و تتقارب آراؤهم الكلامية مع مذهب الإرجاء وكان أصحاب السلطة آنذاك قد قربوا بعض شيوخ الاعتزال؛ لعلمهم وفطنتهم في الحجج والجدال مَع غير المسلمين خاصة؛ بيد أن المأمون برؤيته السياسية استخدمهم للصدام ضد منافسيه خاصة الشيعة، لكونهم أبلغ في الحجج والآراء من غيرهم. في حين أن المعتزلة أنفسهم أكدوا على أن القرآن كلام الله المخلوق، وهم شأنهم في ذلك شأن علماء كلام آخرين قالوا بهذا القول بمعنى أنه ليس ميزة معتزلية خالصة دون غيرهم. وقد آثر الخليفة المتوكل العودة إلى عقيدة أهل الحديث، ومن ثم بدأت الدولة تتدخل في التوجهات الدينية للناس؛ فأمسى المعتزلة بالتدريج عرضةً لاضطهاد السلطات. والحق يقال أن مبحث خلق القرآن لم يكن ذا شأن لدى المعتزلة، وهذا بيِّنٌ في مصنفاتهم فقد كان جلّ اهتمامهم هو التنزيه المطلق والعدل أي حرية الإرادة، ولذا ضُمنّت قضية الكلام ضمن مباحث الصفات الفعلية الإلهية لا من الصفات الذاتية، وبالإضافة إلى ذلك كان جلّ اهتمامهم في القرآن الكريم هو إثبات «الإعجاز القرآني» والنقاشات والردود التي أثيرت حوله، بل يمكن القول بأنهم واجهة هذا العلم بلا مراء.

أما بشأن «فتنة خلق القرآن» فلا ينبغي المبالغة في شأنها؛ فلم تُسفك دماء، ولم تنهب أموال أو تهتك أعراض إلا أنها أفزعت السلطة العباسية آنذاك لتتخذ موقفاً معيناً لم يكن في حسبانها، وقد امتحنت السلطة أحمد بن حنبل لكونه أثار الرأي العام وتحمس لها بوصفها

من أسس العقيدة عند أهل الحديث، ومن حينها عُدّت قضية قدم القرآن من ضمن قضايا أصول الدين عند أهل الحديث وبالأخص الحنابلة، ، بينما قلما تطرق لها المعتزلة إلا في معرض تفسير الآيات، أو لبيان أوجه القضية من جانب الإعجاز القرآني، وكاد الأمر يضعف عند أهل السنة في جدال هذه القضية (بين اللفظ والمعنى) لولا أن القضية اتخذت مساراً آخر، حيث بدأ أبو الحسن الأشعري اهتمامه بقضية المعاني في القرآن وتطويرها كمنهج مهم في قضية القرآن وتابعه من بعد القاضي الباقلاني في إعجاز القرآن ومن ثم اكتملت تلك الرؤية مع عبدالقاهر الجرجاني.

وفي أواخر القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي تمت صياغة أساسيات المدرسة الاعتزالية صياغة أكثر تماسكا، كما تم نشر تعاليمها على نطاق واسع تجاوز حدود علم الكلام بمعناه الحصري، لاسيما عبر تطوير إطار مفاهيمي معقد، وإنشاء نظريات في علم الطبيعة وفي علم أصول الفقه. وقد نشأت نتيجة ذلك مدرستان فرعيتان اعتزاليتان وهما: مدرسة البصرة ومدرسة بغداد. جرى إحياء مدرسة البصرة الاعتزالية بالأساس على يد أبي علي الجبائي وابنه أبي هاشم الجبائي الذي عدّل بعض تعاليم أبيه تعديلاً نقدياً، وكذلك مقولات المعتزلة الذين سبقوه. وفي واقع الأمر كانت آراؤه لها التأثير الأكبر على كل الفرق الإسلامية سواء بالاتفاق أو الاختلاف معه، ونظرية الأحوال التي أوجدها أحدثت نقاشا استمر لقرون بين الفلاسفة والمتكلمين . أما المدرسة الاعتزالية البغدادية، فقد كان على رأسها أبو القاسم البلخي الكعبي. وفي تقليده الإسلام السني الفقهي أمسى علم الكلام الاعتزالي مقروناً على الأكثر بالمدرسة الفقهية الحنفية وثمة وحالات استثنائية ارتبطت بالمدرسة الشافعية. أما بين الشيعة فقد تم تُبني الكلام الاعتزالي تبنياً واسعاً من طرف الزيدية، وإلى حدٍ ما الإمامية. وفي الوقت نفسه برزت مدرستان كلاميتان سنيتان متنافستان هما الأشعرية والماتريدية، ورفعتا شعار العقيدة السنية التقليدية رداً على الكلام العقلاني الاعتزالي. المدرسة الأشعرية أسسها أبو الحسن الأشعري، وكان تلميذاً لأبي علي الجبائي ثم خرج عليه. أما المدرسة الماتريدية، فقد أسسها أبو منصور الماتريدي ببلاد ما وراء النهر، والذي انتقد آراء أبي القاسم البلخي على أساس التقليد الحنفي المشرقي. وفي القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ازدهرت التعاليم الاعتزالية تحت الحكم البويهي بالعراق وغرب إيران؛ ذلك لأن الوزير البويهي الصاحب بن عباد على وجه التخصيص كان له دور

كبير في نشر علم الكلام الاعتزالي والتشيع المعتدل رسمياً، وكان في بلاط الدولة البويهية تميُّزٌ في نشر الألقاب الدينية والدنيوية؛ نحو معز الدولة وركن الدولة أو ما يخص العلماء والقضاة نحو عماد الدين وركن الدين، ولم تكن ألقاب العلماء معروفةً بين علماء الاعتزال؛ وذلك ابتعاداً عن السلطة والطهورية التي كانت سمةً لهم. فلذلك عرفت جلّ شخصياتهم في كتب الطبقات المبكرة منسوبةً لإحدى المهن. وقد نصب عماد الدين البويهي عبد الجبار بن أحمد بن خليل الأسد أبادي، رأس مدرسة الاعتزال البصرية المسماة البهشمية، قاضيا للقضاة بالري. وكانت للقاضي عبد الجبار سيرة حافلة في تطوير أصول المذهب والكتابة عنه؛ مما كان من شأنه أن جذب إلى الرّي العديد من الطلبة من مختلف أصقاع العالم الإسلامي آنذاك. أما المدرسة الاعتزالية البغدادية المضادة فقد وقفت في وجه ذلك كلّه. في الوقت نفسه نما نقد عنيف لبعض أصول البهشمية بين تلامذة عبد الجبار، فقد كان أبو الحسين محمد بن علي البصري طبيباً متمرّساً بالعلوم الحكمية، وإذ حافظ على أصول العقيدة الاعتزالية الخمسة، فإنه انتقد بعض المقولات في إطارها المفاهيمي وبعض الحجج ومنهجية استدلالاتها التي أعملتها المدرسة البهشمية. وكان أن اتهم من لدن معظم تلامذة عبدالجبار بأنه مزج القول الكلامي بالفكر الفلسفي وبثه فيه، كما أنه استفاد من فلسفة ابن سينا والذي كان معاصراً له. وعلى الرغم من ذلك فقد أمسى أبو الحسين البصري رائداً آخر في المدرسة الاعتزالية التي عُرفت أحياناً بـ«الحسينية». هذا وقد انتشر علم الكلام الاعتزالي آنذاك حتى خارج دوائر الإسلام، لاسيما بين اليهود الربانيين منهم والقرائين على حدٍ سواء. وكان أن حُفظت شذرات من أعمال المؤلفين المعتزلة في ذلك الزمان في مخازن البِيَع (الجنيزا) ودور العبادة اليهودية بالقاهرة. وفي عام ٤١٨ هـ / ١٠٢٧ م، بعيد سنوات من وفاة عبد الجبار، نُهبت الري من طرف محمود الغزنوي الذي أحرق مكتبات المعتزلة ومنع نشر تعاليمهم باسم المحافظة السنية والحق يقال أن معاناة المعتزلة في عقيدتهم كانت أشد من قبل مخالفيهم ، وتوالت عمليات إحراق الكتب في ذلك الزمان فأحرق صلاح الدين الأيوبي مكتبة دار الحكمة الفاطمية بالقاهرة في سنة ٥٦٧/ ١١٧١ ، وتكرر حرق الكتب في المغرب العربي والأندلس في فترات زمنية متقاربة. والحال أنه لم تقم بعد هذه الضربة القاصمة بسقوط الرّي للمدرسة الاعتزالية قائمة، لاسيما وأن مختلف الحكومات المتعاقبة حاولت طمسها. وتوالت الأحداث بعد ذلك بقرن من الزمن بوفاة الإمام يحيى بن أحمد بن

الحسين (٥١٦/ ١١٢٢)، والإمام الزيدي في بلاد الجبل وطبرستان وانتهت بذلك الإمامة الزيدية المتقاربة فكرياً مع المعتزلة. وفي خوارزم بآسيا الوسطى وحدها كانت لا تزال تعاليم المذهب الكلامي الاعتزالي تدرس، وقد حظيت بمكانة مرموقة بين أتباع المدرسة الفقهية الحنفية لقرون من الزمان. وقد تم إحياء وتقوية مدرسة أبي الحسين البصري قرناً بعد ذلك في خوارزم من لدن ركن الدين محمود ابن الملاحمي (ت. ٥٣٦/ ١١٤١) الذي كان ينتمي أصلاً إلى البهشمية؛ لكنه تبنى تعاليم أبي الحسين، ونظم هذه التعاليم ورتبها ترتيباً نسقياً في كتبه. وعمد على وجه الخصوص إلى معارضة علم الكلام الفلسفي وميتافيزيقا ابن سينا ومدرسته، وكتب تفنيداً قوياً لهذه النظريات؛ فأمسى عمله هذا ذا تأثير بين الشيعة الزيدية، وبالأخص مع الإمام يحيى بن حمزة في اليمن والإمامية في إيران من بعد؛ إلا أنه بقي مجهولا في أوساط الإسلام السني عدا الفخر الرازي (ت. ٦٠٦/ ١٢٠٩) الذي اقتبس منه بعض آرائه. وبوجه عام بوفاة جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت. ٥٣٨/ ١١٤٣) الذي عُدّ آخر أعمدة المدرسة الاعتزالية في أواسط آسيا، وفي اليمن الإمام أحمد بن يحيى المعروف بابن المرتضى (ت. ٨٤٠/ ١٤٧٣) انتهى تجديد وإبداع هذا الفكر المميز في العقل الإسلامي حينها. فقد قُصمت الزيدية بتيار أهل الحديث في قلب المذهب بدءًا من ابن الوزير، ومحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، والقاضي محمد بن علي الشوكاني، وأما التيار الزيدي المحافظ فقد بقي منطوياً لم يُحدث نهوضاً فكرياً يذكر.

حدث نزوع نحو المعتزلة في العصر الحاضر مثَّله تياران مختلفان ليسا من المعتزلة: الأول الشيخ محمد عبده الذي بثَّ آراءه في أعماله وفتاويه خصوصاً «رسالة التوحيد» و«تفسير المنار» في مراجعة ثلاث قضايا: الحرية والاختيار للعبد، والتنزيه للذات العلية، والتحسين والتقبيح العقليين. وأكمل من بعده تلميذه مصطفى عبدالرازق، وحاولوا مواءمة كثير من قضايا المعتزلة والأشعرية من بعد قرون خلت، وكذلك حاولوا الدعوة لمفهوم جديد للفلسفة الإسلامية؛ لكن هذا التيار قُصم أيضاً بعد منتصف القرن العشرين بالإحيائية السلفية، والحداثيات العصرانية فلم يتقبل من كلا الطرفين.

أما التيار الآخر فقد تبناه طه حسين وبتأثير من أستاذه المستشرق نللينو، وأكمل من بعده تلامذته إبراهيم مدكور وعبدالرحمن بدوي وكانت هذه المدرسة أكثر فاعلية من الأولى؛

ذلك أنها عملت على إخراج التراث المعتزلي والبحث عن كنوزه. وقد أصابوا بعض النجاح، فصار المعتزلة تارةً يمثلون الفكر العقلاني ومرةً يمثلون الليبراليين المسلمين، وبذلك فقد بقيت هذه المقاربات غامضة إذ لم يجرؤ أحد منهم على مناقشة الأصول المعتزلية المتبقية وهي : الوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والخلود في النار لأهل الكبائر المصرّين؛ بل يمكن يسموا بتيار «القدرية الجديدة أو المحدثة» دون المعتزلة.

فكلا التيارين نجحا في مقاربة الإسلام السني نحو المعتزلة والذي لم يكن متقاربا معها مطلقا سواء في العقيدة أو في الفكر، وهي مهمة ويمكن عدها المرة الثانية بعد مقاربة الفخر الرازي في الاستفادة وتقريب كتب المعتزلة نحو مدرسة الأشاعرة، فقصمت هذه المقاربة ببروز التيار الحنبلي من جديد على يد ابن تيمية وابن القيم وإن استمرت وتواصلت مدرسة الأشاعرة والماتريدية إلا أن المقاربة اختفت كلياً، والمقاربة الثانية شاء اللّٰه تعالى أن توقفت في كلتا المدرستين بسبب الإحيائية الدينية منذ منتصف السبعينات، والتي أصبحت لها الجاذبية بين الكثير من المتدينين، وهذا إضافةً إلى ظهور النزوع ضد الكلام والتفلسف كلّه خلال الأربعة العقود الأخيرة، بل زاد الأمر سوءاً كذلك بحيث شُنت حملاتٌ ضاريةٌ أيضاً على كلام الأشاعرة والماتريدية.

أما الإمامية الإثناء عشرية فقد عملت على إخراج تراث المعتزلة فترةً من الزمن للاستفادة من وجهات نظرهم العقدية؛ لكنها تجابهت معهم في أن المعتزلة يهدمون الركن الأساسي وهي العصمة والإمامة النصية لأهل البيت، وإضافة إلى هذا أنّ الموروث الباطني لدى شيعةٍ آخرين مثل الإسماعيلية لا يتقبل علم الكلام المعتزلي أو يتصادم معه في كثير من المسائل الكلامية.

أما الإباضية وعلاقتهم بالمعتزلة فتتمايز بين مرحلتين: ١ـ مرحلة البصرة وهي الانتظام والتلاقح بين كليهما، ولذا قلما يوجد في مصنف لأحد الطرفين قبل القرن ٤/ ١٠ مصادمة أو طعن بين الجانبين وهي فترة امتدت حتى وفاة أبي هاشم الجبائي، وهذا يتضح في كتابات الجاحظ. ٢ـ المرحلة الثانية حدث التصادم وجرت الردود بينهما في شمال أفريقية بل والحروب أحيانا، وكذلك المرحلة الانتقالية لكبار علماء الاعتزال في بلاد فارس وبأواسط

آسيا وهي الفترة التي ظهرت مع اضمحلال الفكر الإباضي في أواسط آسيا آنذاك؛ إذ حدث تأثر غير مباشر للمعتزلة بمقالات أهل الحديث، ولكن بصورة إجمالية تتشابه الأصول بين الطرفين لحد ينفر أحياناً كلُّ طرفٍ من الآخر ولا يقر بأي حال من الأحوال له، فهم أخذوا واستفادوا وبالأخص الإباضية من تلك الاستدلالات في مجابهة الخصوم، ثم إن الإباضية حدث لديهم تحول كبير منذ منتصف القرن ٢/ ٨ في قضية القدر مخالف للمعتزلة ، بل الإباضية المشارقة مصادمةً للمعتزلة خالفوا الرأي بشأن قضية خلق القرآن، ومن جهة أخرى حدث نزوع لدى بعض علماء البهشمية، وكذلك للمدرسة البغدادية المعتزلية من الإقرار بأفضلية أهل البيت في الإمامة، وقد أحدث ذلك فجوة منذ مطلع ٤/ ١٠، فما اختفت القواسم المشتركة لكن بقي لكل طرف مساره وطريقه.

وهذا الأمر في خلاصته يذكرني بقول الأسفراييني إن أهل الحديث يسخرون من المعتزلة بمقولة: «المعتزلة مخانيث الخوارج»، ثم جاء ابن تيمية فذهب إلى أنّ «الأشاعرة هم مخانيث المعتزلة». وسواء أكانت هذه الأحكام دقيقة أم لا، فإنها في الوقت الذي تدل فيه على التنوع فإنها تُشعر بالترابط والانتماء إلى العالم الأيديولوجي والثقافي والتطور السياقي نفسه لعلم الكلام الإسلامي منذ نشأته الأولى.

(ب)

مَثّل النصف الثاني للقرن ٣هـ/ ٩م، ولمدة ما يقارب القرن ما يشبه الثقب الأسود للفكر الإسلامي، فقد تلاشت مذاهب كلامية وفقهية، وبعضها تطورت آراؤه أو تماهت في فرق أخرى، بينما تمايزت فِرقٌ أخرى بآراء ومقالات فقهية أو كلامية؛ بيد أنها لم تختفِ وظلت قائمة. فانتهت فرق القدرية والمرجئة والجهمية وكثير من فرق الشيعة والمجسمة والمشبهة والمحكّمة والخوارج. وكذلك الحال مع المدارس الفقهية، فلم يبق من المدارس السنية الفقهية إلا الأربع المعروفة حالياً رغم تباين آرائها، ويستثنى من ذلك المحاولة الوحيدة لقاضي قرطبة ابن حزم في إنهاض الفقه الظاهري، فأبقت على الآراء ولا يزالِ يرجع إلى مصنفاته، وكذلك الحال عند الشيعة التي انتظمت في المدارس الجعفرية والزيدية والإسماعيلية، والمحكّمة عند الإباضية. ولعل هذه المدارس الفقهية بصورتها العامة تمثل التيار العام للإسلام في تنوعه وقواسمه المشتركة. فمع منتصف القرن ٣/ ٩ كانت

مدرسة أهل الحديث الكلامية قد انشقت إلى تيارين، مثّل الأول المحاسبي والقلانسي وعبد الله بن كلاّب وهؤلاء أثمرت جهودهم وأينعت مع مؤسسي الأشعرية والماتريدية أبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي. أما الفرع الآخر والأكثر محافظة خصوصاً بشأن التمسك بظواهر النصوص ؛ فإنّ آراء أحمد بن حنبل وابن كرّام وابن قتيبة من علمائهم اكتملت مقولاتها مع ابن تيمية وابن قيم الجوزية. وكذلك التشعبات التي حدثت مع الاثني عشرية بعد غيبة الإمام محمد بن الحسن العسكري (٢٦٠هـ/ ٨٧٤م) وقد أعاد تنظيمها من بعد النوبختي والكليني والشيخ المفيد والشريف المرتضى، فمثلت آراؤهم جلّ تيار المدرسة الإثني عشرية. وأما الزيدية فبرزت مع الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين (ت . ٢٩٨/ ٩١١) ولذا يطلق عليها بعضهم اسم الهادوية. وكذلك الحال مع الإباضية فقد انضوت الآراء المبكرة في عُمان بوفاة آخر الرحيليين بشير بن محمد بن محبوب (ت. ٢٨٥/ ٨٩٣) وتجددت بمدرسة أبي المؤثر الصلت بن خميس ومحمد بن جعفر والتي نهض بها من بعد هما أبو محمد عبد الله بن بركة وأبو سعيد الكدمي (ق. ٤/ ١٠) ، وفي شمال أفريقيا مدرسة أبي اليقظان محمد بن أفلح.

ونحن إذا ما تطرقنا إلى المدرسة البهشمية التي يمثل الحاكم الجشمي حلقةً مهمةً من حلقات علمائها وأئمتها منذ مطلع القرن ٥ هـ/ ١١م نجدها قد مثلت رؤية جديدة انتظمت فيها جلّ فعاليات المعتزلة، بل تكادُ جُلُّ الأدبيات الاعتزالية التي بين أيدينا تكون من ميراث مدرسة البهشمية. وهذا وإن كان معاصره أبو القاسم الكعبي البلخي في المدرسة البغدادية الاعتزالية يشكل الفرع المنافس له، إلاّ أنّ هذا التيار استطاع جَذْب كبار علماء الاعتزال الذين جاؤوا من بعد حتى آخرهم الزمخشري، وإن ظهرت اتجاهات منافسة نحو انتقادات أبي الحسين البصري تلميذ القاضي عبدالجبار إلا أنها تعدّ من النقاشات بداخل المدرسة ولا تبتغي الانفصال.

ولعل مرد ذلك لأمرين: الأول التوازن في الآراء بين العقل والنص في المدرسة الاعتزالية بالرغم من احتفاظها بالإطار العام لعلم الكلام الاعتزالي وأصولها الخمسة؛ ذلك أن أبا هاشم وأئمة المعتزلة الذين جاؤوا من بعد شكلوا منعطفاً لجهة خفوت المضادات والآراء الثورية في الفكر الاعتزالي المبكر فسادت نمطية متوالية ومتوازية في نقاشاتها حتى بين

الفرق الإسلامية الأخرى، والثاني مردّه إلى نظرية الأحوال والتي شكلت تقارباً مع الفلاسفة ومع المدارس الكلامية الأخرى، فإذا ما تفحصنا الآراء الكلامية الكبرى فإن جلّها قد تم قبل مطلع القرن ٤هـ/ ١٠م ولعل الآراء المتباينة بين أبي هاشم ووالده وشيخه أبي علي الجبائي تكاد تكون نهاية المطاف في الرؤى الكبرى لعلم الكلام المعتزلي، وبجانبهم الآخر آراء أبي القاسم البلخي الذي نظم جلّ آراء المدرسة البغدادية، فشّكلت مقولاتهم وما حفظ منها آراء فرعي المدرستين؛ بيد أن البهشمية تفوقت ومثلت التيار العام للاعتزال.

وبذا فقد استتبّ مع منتصف القرن ٤ هـ/ ١٠م ما هو أشبه بالتيار العام الإسلامي أو ما يمكن وصفه بالأرثوذكسية الإسلامية رغم استمرار واختلاف آرائها عقدياً وفقهياً؛ لكنها مثلت من حينها ولا تزال تمثل إطاراً عاماً للإسلام يستند الى مبدأ أركان الإيمان وأركان الإسلام. بحيث صارت مقولة الشهادتين والاعتراف المتبادل مميزةً للمسلمين عن غيرهم، إضافةً للعبادة. وما سبق من تلك المرحلة (ق. ٤/ ١٠) فلا يعد إلا آراء فردية متباينة يشكك في نسبتها وموثوقيتها إذا لم يجد المصدر الدقيق، وجمعت تلك الآراء شتات كتابات المقالات والفرق، إلا أن البحث لا يزال يحتاج إلى تدقيق وتمحيص.

(ت)

لفهم فقه الحاكم الجشمي صاحب «التهذيب في التفسير» الذي ننشره لا بدّ من إعطاء ملمح عن المدرسة الفقهية الحنفية؛ لكونها الأقدم بين المذاهب السنية الفقهية الأربعة التي بقيت حتى الآن، كما أنّ الجشمي كان من أتباعها في الفقه. يواجه الباحثون الكثير من التعقيد في تصنيف عقائد كثير من علمائها في الفترة الإسلامية المبكرة، وإن كان الإمام أبو حنيفة (١٥٠/ ٧٦٧) لديه آراء ومواقف في بعض المسائل العقدية، والتي نسبت إليه لاحقاً من خلال رسائله وما دوَّنه عنه تلامذته، وعدّت ركيزةً مهمة في عقيدة الإرجاء. غير أن الحنفية ليس لها أنموذجٌ عقدي ثابت ينسب إليها مقارنةً بحال المذاهب السنية الأخرى كالشافعية والمالكية بمذهبهما العقدي الأشعري أو الحنابلة في عقيدة أهل الحديث. لقد مثلت المدرسة الحنفية الفقهية أنموذجاً للتنوع في الإسلام العقدي بكل أطيافه حتى القرن ٥هـ/ ١١م، ولم تستطع مدرسة فقهية أخرى أن تضم في جنباتها كل تلك التنوعات، فكانت تُعرف بوجهها المبكر ممثَّلاً بالإرجاء ومِن ثمَّ النجارية، وكذلك هنالك الأشاعرة الأحناف

والمعتزلة الأحناف والزيدية تتقارب آراؤهم الفقهية مع الأحناف. وكذلك حتى الإباضية فإنه رغم استقلال مدرستهم الفقهية تتوافق آراؤهم الفقهية في كثير من الأحيان مع الفقه الحنفي، بل إنّ البعض ينسب إلى القاضي النعمان قاضي الدولة الفاطمية أنه نظّم الفقه الإسماعيلي للدولة بالجمع بين آراء الفقه الحنفي والزيدي خصوصاً لصياغة الأقضية وفقه المعاملات، بل حتى هنالك سلفيو الأحناف كالطحاوي. إن هذا التنوع العقدي لأصحاب هذه المدرسة الفقهية الخلّاقة انتهى ببروز السلاجقة وقبائل الترك في أواسط آسيا وبتثبيت العقيدة الماتريدية منذ القرن ٥هـ/ ١١م، والتي غطت منذ ذلك الحين الوجه العقدي للحنفية بصورة تدريجية، وألغت ذلك التنوع المميز الذي قلما وجد بين المدارس الفقهية الإسلامية. وفي اعتقادي أنَّ ذلك يعبر عن تلك الميزة للمدرسة الحنفية حينها، وأنّ فقهها تأثر بعمل الدولة، وجاءت المرونة من سعيها للانتشار الشعبي. وينبغي ملاحظة ثلاثة أمور:

١. أن الأحناف يجعلون الجهاد في يد ولي الأمر وهو السلطان، وليس لأحد أن يعلن هذا الأمر والجهاد الفردي غير ممكن عكس الشافعية الذين يجيزون للأفراد المتطوعة ممارسة الجهاد وحتى المالكية غيرت آراءها بهذا الشأن عندما صارت مذهب دول مغرب العالم الإسلامي.

٢. الفقهاء الأحناف أفتوا بضمّ المجوس والهندوس والبوذيين والأديان الأخرى في آسيا إلى أهل الكتاب لتشملهم هذه المنظومة الحقوقية مما وسع من دائرة التنوع والاختلاف والتسامح في داخل الدولة الإسلامية.

٣. الأحناف استوعبوا الثقافة الفارسية وجعلوا اللغة الفارسية مرادفةً للغة العربية في الثقافة الإسلامية، فالأحناف أجاز بعضهم قراء الفاتحة باللغة الفارسية لمن دخل في الإسلام حتى يجيد قراءتها، وظهرت بدءًا من القرن ٤هـ/ ١٠م مؤلفات لكبار العلماء والفلاسفة باللغتين العربية والفارسية كابن سينا والغزالي، وحتى الجشمي ألف تفسيراً للقرآن وبعض كتبه بالفارسية، كما أن السامانيين زعماء أهل السنة هنالك هم الذين عملوا على إبراز الشاهنامة للفردوسي التي تعدّ المصدر الأهم للغة الفارسية الحديثة. وهذا الاستيعاب الحنفي هو الذي وسع في نشر فقه أهل السنة في أواسط آسيا ضد الحركات الثائرة هنالك والمضادة للدولتين الأموية والعباسية.

فالمعتزلة معظمهم أحناف في الفقه وقد أسهموا في تطوير مسائله؛ إلا أنهم في أصول الفقه هم الذين ابتدعوا طريقة المتكلمين والتي نُسبت فيما بعد إلى المدرسة الشافعية والتزم بها الأشاعرةُ مضادةً لطريقة الفقهاء التي تُنسب إلى المدرسة الحنفية الفقهية كما احتفى بها الماتريدية. والرواية الشائعة أن أبا عبد اللّٰه الحسين بن علي البصري أمر تلميذه القاضي عبدالجبار بن أحمد الهمذاني (٤١٥هـ/ ١٠٢٤م) بأن يلتزم فقه الشافعية لكون أبي عبد اللّٰه هو شيخ الأحناف بمقولة أن الفقه «كل مجتهد فيه مصيب عكس علم الكلام»؛ لكن الأسس المنهجية لطريقة المتكلمين ظهرت مع المعتزلة مبكرا منذ كتابات النظّام في كتابه «النُكَت» وقد لحظ ذلك (يوسف فان أس) في مؤلَّف ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح نهج البلاغة، الذي احتفظ ببعض المقولات الواردة للنّظام في نقد الخبر الواحد والمتواتر وكذلك الإجماع وتصوره، وأكمل تلك المباحث الأصولية والتي نشطت في أواخر القرن ٣هـ/ ٩م في تميز بحثها مع أبي علي الجبائي، ومن ثم ابنه أبو هاشم، وكذلك أبو القاسم البلخي من مدرسة بغداد الذين أقبلوا على التصنيف في أصول الفقه. بيد أننا لم نعثر لهم إلا على مسائل منثورة. فأحدثوا بآرائهم ومباحثهم النقلة الأهم في أصول الفقه سواء في المنهج أو الأسلوب، وذلك بإدخال المنطق كأساس لمباحث القياس للتمييز في العلم الحادث بين اليقين والظن والشك، وهي مباحث تغذّت بمقالات أبي الهذيل العلاف وتفرقته بين المعارف المكتسبة والأخرى الضرورية، وكذلك مباحث الدلالة الوضعية من منطوق ومفهوم، ومباحث الألفاظ ونسبتها إلى المعاني، ونظرية الحدّ، ومباحث الخبر والإنشاء ومباحث القياس والأوامر والنواهي، فصاغ تلك المنظومة، وأبرز تلك المباحث والمسائل القاضي عبدالجبار في مصنفه «العمدة» واختصره في كتاب المعتمد، ومن ثم شرح العمدة أبو الحسين البصري (ت.٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)، لمؤلف شيخه في كتاب «المعتمد» ودون مراء إذا ما تصفحنا كتب أصول الفقه نجد أن كتاب «العمدة» هو الأهم منذ «الرسالة» للشافعي، ومن ثم تبنَّت الأشاعرة هذا المنهج فأتمةً الجويني (٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م) في «البرهان» ومن ثم تلميذه أبو حامد الغزالي (٥٠٥هـ/ ١١١١م)، في «المستصفى» إلى أن اكتمل هذا التأسيس مع فخر الدين الرازي في «المحصول». أما المعتزلة فاستمر هذا المنهج الإبداعي في أصول الفقه إلى زمن الإمام أحمد بن يحيى ابن المرتضى الزيدي في كتابه «المنهاج». لذا كان ابن خلدون محقاً في إرجاع أصول هذا الفن ومداره: «العمدة والمعتمد

والبرهان والمستصفى». وبهذه المناظرة تمت المعادلة وحدث تماسك متكامل لنظرية الفقه الإسلامي لكل من اتبع أي المنهجين. ولذا قال أبو حامد الغزالي عن المنطق: من لم يتعلمه لا ثقة بعلمه، وإن أنكر من جاء من بعد تعلم المنطق والاشتغال به، وبالأخص شرف الدين يحيى النووي وتقي الدين بن الصلاح وابن تيمية. كل ذلك لم يؤثر على هذا المنهج الذي ابتدعه واختطه المعتزلة، وجعلوا للآخرين النقاش سواء بالموافقة أو الرفض. والذي أردته من هذه المقدمة أن نعطي توضيحاً مهماً لدور الفقه وأصوله عند الحاكم الجشمي والفترة التي عاش فيها، ببيان تأثير المتكلمين في أصول الفقه وليس العكس.

يواجه الباحثون المزج في ترجمة الحاكم الجشمي استناداً إلى المذكور في كتب التراجم أنه كان حنفياً ثم صار زيدياً، وهذه ليست مشكلة، بل هو حنفي الفقه منذ النشأة وظلَّ حاله كذلك لم يتغير، فبحسب قراءة (تفسير التهذيب) بقي ملتزماً بفقه الأحناف ويقارنُ بينَه وبين الفقه الشافعي وفقه الإمام الهادي عليه السلام كما أنه دائما ما يجلّ من رأي الإمام الهادي عليه السلام في الأحكام الفقهية، أما بشأنِ كونه زيدياً فذلك ليس له شأن حنفي؛ لكون المعتزلة والزيدية يتوافقون في معظم الآراء الكلامية، إلا في مسألة الإمامة، والتي أُدخلت بعد ذلك ضمن قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه القضية وإن كان المعتزلة لهم رأي يتقارب مع المحكّمة حتى بداية القرن ٤هـ/ ١٠م فقد أوجد معتزلة بغداد مخرجاً من القول بإمامة المفضول مع وجود الأفضل، وأحدثوا بذلك تقارباً مع إمامة آل البيت، خصوصاً أن منهج الدعاة المعتزلة فقد بريقه، ولم تستطع أية دولة قامت أن تتبنى أفكارهم أو تمثلهم، بيد أن تنظيرهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الأرقى بين المدارس الإسلامية وذلك حتى وفاة قاضي القضاة، بمعنى إلى حين دمار الرّي والتي تُعرف أحياناً بمرحلة ما قبل أبي حامد الغزالي من دون شك، فأبو حامد الغزالي هو المنظّر الأكثر تأثيراً ولا يزال حتى عصرنا الحاضر بشأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفكر الإسلامي.

ولذا كل المصنفات التي بين أيدينا للحاكم الجشمي هي حنفية الفقه ومعتزلية الاعتقاد، مع ميول لآل البيت، ولعلَّ تحوله إلى الاعتقاد الزيدي كان في آخر حياته؛ ذلك أنَّ المصنفات التي بين أيدينا لا تشير إلى تحوله، وهذا يُستقرأ من أقواله في الإمامة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحينها كان قد قلّ إنتاجه التأليفي.

(ث)

يعمل «جولدزيهر» على إبراز خاصيتين للمعتزلة في علوم القرآن، هما أنهم مؤسسو التفسير بالرأي مقابل التفسير بالمأثور؛ فهم الذين أحدثوا نقلةً في منهجية تأويل النص القرآني، وهو المنهج الذي لا يزال يطبق حتى الآن في فهم النص القرآن وتجديد معانيه. أما السِمةُ الأخرى فهي دراسة مباحث الإعجاز القرآني والتي تلحقُ بها سمةٌ أخرى وهي نظرية النَّظم أي (تركيب النص القرآني)، فهي مقولة ارتبطت بقضية الإعجاز القرآني منذ بداياته إلا أنها نضجت وتطوَّرت من خلالِ مناظرات علماء الاعتزال، حتى صيغت في كتبٍ كنظريات متكاملة عن مفهوم (النظم القرآني). ويذكر أبو هلال العسكري بأن واصل بن عطاء أول من قسَّم الخبر إلى عام وخاص، وناسخ ومنسوخ، وأنّ النسخ لا يكون في الأخبار. فقضيةُ الإعجاز هي السمة المميزة التي ناقشها الجشمي في تفسيره وإن لم تُحسب له كنظريةٍ شبيهة مقارنةً بمعاصره عبد القاهر الجرجاني (٤٧٠هـ/ ١٠٧٨م)، الذي أنشأ نظريته في «أسرار البلاغة» و«دلائل الإعجاز» على أساس أنّ البلاغة مرتبطة باللفظ في حين كان همّ الجشمي مختلفاً، وهو إبراز الترابط في سياق تراكيب السورة نفسها من حيث الجمل والمفاهيم، وبهذا يُشكّل سابقة أولية في دراسة النظم لسورِ القرآن في صورةٍ إجمالية، فنشأ بذلك علم مختص لبيان أوجه البلاغة القرآنية في بيان الوحدة الموضوعية للسور القرآنية وتماسك أجزائها أو ما عرف بعلم المناسبة. ما من شك في كونِ قضية « خلق القرآن» وضعت كتحدٍ بين المتكلمين لبيان إعجاز القرآن البلاغي، ثم إن النقد الذي وُجّه إلى القرآن في عدم فهم تراكيبه انبرى له المتكلمون ليكونوا في الصدارة؛ ذلك أنَّ جلّ اللغويين حينها كانوا من المتكلمين أو المتقاربين مع أفكارهم فصار تركيب اللفظ والسياق القرآني أوليةً كبرى للمتكلمين منذ نهاية القرن ٢هـ/ ٨م ، فبحسب النصوص التي كُشف عنها حالياً نجد محاورةً للمتكلم الإباضي عبد الله بن يزيد الفزاري حول مفهوم تركيبة النص القرآني، وفي هذا الحوار يكشف أهمَّ القضايا الجدلية المثارة آنذاك، ولعل هذا أقدم نصٍ يمكن أن يستند إليه بصورة دقيقة، بل يشير لتلك النقاشات المبكرة بين المتكلمين لتفصح لنا بصورة جليّة عن المقولة التي نشأت عنها. وما يزال الجاحظُ بمؤلفاته يعدُّ المرجع الأهم في المداولات التي أدلى بها المعتزلة في جدالاتهم المبكرة حول الإعجاز. ولذا ينسب تطور مفهوم الإعجاز

في سياقه التاريخي بأنه تأسس على لفظ «التحدي» والذي نشأ مع المعتزلة في جدالاتهم فاستخدمه المتكلمون واصطلحوا عليه لتصوير موقف مشركي العرب بدءًا بآراء أبي الهذيل العلاّف، ومن ثم نظرية الإعجاز بالقول «بالصرفة» وهي لأبي إسحاق إبراهيم النظّام وإن لم تصل إلينا أعمالهم إلا أن تلميذهما الجاحظ (ت. ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م) حفظ لنا بعض آرائهما في كتابيه «حجج النبوة» و«الاحتجاج لنظم القرآن وغريب تأليفه»، ومن ثم فإنّ هذا المصطلح (النظْم) تولّدت عنه مقولة الإعجاز أو «إعجاز القرآن». ومن بعد ذلك أبو عبد الله محمد بن يزيد الواسطي المعتزلي (ت. ٣٠٦هـ/ ٩١٨م) وهو أول من صنَّف في المصطلح بمسماه «إعجاز القرآن»، ثم أكمل اللغوي والمفسر المعتزلي الرمّاني (ت.٣٨٦هـ/ ٩٩٦م) رسالته في إعجاز القران، فالقرآن عند المعتزلة نتاج فعل خلق إلهي حدث في لحظة زمنية معينة، وهذا الفعل أُنتج بلغةٍ عربية، وهي محدثة مخلوقة موجهة إلى الإنسان وهذه الأطروحة قادت بالتفكير المعتزلي إلى إثارة الانتباه إلى الخصائص في متنه العام. ثم حدثت المقاربة الأخرى مع نهاية القرن ٣هـ/ ٩م في محاولة تحديد جنس القرآن، فهو ليس بنثر ولا بشعر وإنما هو نظم. ثم التحول الحقيقي لمفهوم الإعجاز حدث مع أبي هاشم الجبائي في أبحاثه والتي أوردها القاضي عبدالجبار في المغني، وذلك في بحثه عن الجمع بين اللفظ والمعنى، وهي لنسف فكرة أو نظرية أبي الحسن الأشعري أن معاني الكلام هي التي تستحق الاهتمام. وآل الأمر إلى النظرة نحو الجنس الأدبي الذي يدرج فيه النص لبلوغ درجة الفصاحة في التمييز بين النثر والشعر، وما هي الميزة التي تعطي لكل جنس أدبي قيمة بلاغية على حده. وكذلك تركيبة الجمل وكيفية ضم المفردات والألفاظ بعضها إلى بعض. وهذه الرؤية في تشابك المفردات أبرزها القاضي عبدالجبار والتي ينسبها لأبي هاشم الجبائي، وهي تتم من خلال ثلاث عمليات: الانتقاء المعجمي ومن ثم إعرابها ومن ثم موقعها بالنسبة للكلمات الأخرى. وهذا أوجد تماسكاً في بناء النص بين اللفظ والمعنى، بيد أن الأمر اختلف بدءًا من القرن ٤هـ/ ١٠م في بيان الإعجاز القرآني في قضيتين: الأولى إثبات النبوة ونسخ الشرائع، حين واجهت الأديان السماوية الإسلام والمسيحية واليهودية الطعن من قبل مجادلي الملاحدة في كيفية البرهنة على صدق النبوءات، والثانية الدلالة على صدق الكتب المنزلة أنها إلهية؛ ذلك أن كلَّ الأديان احتاجت إلى الأدلة العقلية بصورة مشتركة لإثبات الشرائع الإلهية في خصامهم، ومن جهة أخرى التدليل على حجية الوحي والكتب المنزلة للرسل. وهذا يتضح

في مؤلَّفات قاضي القضاة عبدالجبار بن أحمد (ت. ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م) في مؤلفاته «تنزيه القرآن عن المطاعن» و«إثبات النبوات» وفي كتابه «المغني» في جزئه السادس عشر، ومن ثم كتابه «متشابه القرآن»، وأنجز معاصره الذي مثَّل المدرسة الاعتزالية البغدادية حينها ركن الدين أبو طاهر الطريثيثي المعتزلي مؤلفاً في متشابه القرآن، وضعه على منهجية القضايا الكلامية في عصره فكان تفسيراً موضوعياً مبكراً في تأليفه، فضمّن الحاكم الجشمي تلك القضايا من خلال مفهوم النّظم الذي بقي سمة بارزة في الإسهام المعتزلي في علوم القرآن.

وتتقارب مع معاصره المتكلم الأشعري واللغوي عبدالقاهر الجرجاني في نظريته البلاغية (٤٧١هـ/ ١٠٧٨م) والذي استفاد من نقاشات الواسطي من جهة وقاضي القضاة عبدالجبار من جهة أخرى؛ وذلك أنه استطاع تجاوز إشكالية الصدام بين اللفظ والمعنى وإن كانت ميوله نحو المعنى أكثر، إنه أوجد ترابطاً بينهما من خلال تركيب وظيفي يسمح بالتفكير فعلياً في ترابط الألفاظ بالمعاني في بنية النص. وواصل من بعد ذلك جار اللّه محمود الزمخشري في تطوير مفهوم «المعاني» في بنية النص القرآني، وهو أول من أطلق مفهوم علم المعاني في علوم البلاغة، لذا حدث التداخل في هذه الجدَلية. فكل الأدبيات في الإعجاز القرآني تدل على أن الإبداعات المتميزة في نهاية الأمر بقيت ساكنة أو متوقفة ولم تستطع تجاوزها؛ ذلك أنّ القرآن لا تنتهي عجائبه، وكأن نظرية النظام لا تزال تلوح لنا باستمرار، فهذا الفيلسوف والمفكّر المبدع لا يزال يشدُّنا في كل لحظة، وفي هذا السياق كان كثير من اللاهوتيين والفلاسفة في العصر الحاضر مندهشين من نظرية النّظام في قضية الطفرة في خَلْق الكون والتي تقول بأن «انتقال الجسم بين نقطتين لا يستلزم أن يمر عبرها أو يمر ليقطع ما بينهما من مراحل»، مقارنةً بمقولة الانفجار العظيم الذي ظهر الكون نتيجةً له.

(ج)

حدث نقاش بين المتكلمين والفلاسفة منذ وقت مبكر في نهاية القرن ٢هـ/ ٨م لازالت تداعياتها مستمرة حتى الآن في الفكر الإسلامي في تفصيل الأمر بين الشريعة والفلسفة وما بين النص والعقل. فقد أسهمت الترجمة المبكرة للتراث الفلسفي اليوناني- الهيليني - الفارسي في حدوث صدام مبكر شغل المتكلمين في ردهم على الفلاسفة، ولذا خصص أبو حيان التوحيدي أحد لياليه في كتاب «الإمتاع والمؤانسة» لنقاش قضية العقل والشرع والتي

كانت إحدى قضايا الشاغلة في الوسط الثقافي آنذاك في القرن ٤هـ/ ١٠م، بيد أن الأمر كثير ما ينسب إلى المعتزلة لكونهم هم أصحاب العقل دون النص لتأثرهم بفكر اليونان، وذلك من مقولة التحسين والتقبيح العقليين، وهذا الأمر مرده لأمرين عند المعتزلة:

١. أن العقل هو أساس التكليف الشرعي، فلا يمكن أن يتعارض مع منطق الشرع ومراد الشارع في التكليف ومن فقد عقله فقد التكليف الشرعي.

٢. أن العقل مقدم لبحث مقدمات النص وليس لإنكاره، خصوصا مع بداية نقاشات الوضع في الحديث النبوي وإشكالية التدليس.

وبشكل مخالف أحدث منهج الاعتزال بحججه العقلانية نقاشاً حاداً مع الفلاسفة والمقولات الفلسفية نحو مقولة قدم العالم والبعث الأخروي للأجساد، وهذا ما أعطى بعداً جديداً لعلم الكلام الإسلامي، فبدل التلقي تحول الأمر إلى النقد واستفادت كل المدارس الإسلامية من حججهم واستدلالاتهم؛ بل أثروا في نقاشاتهم كذلك على علماء الإلهيات لدى اليهود والمسيحين على السواء، بل كان إبداعهم في صياغة مصطلحات ومفاهيم مستجدة ما كانت متداولة في العلوم الإسلامية واللغة العربية، ومرد ذلك إلى الصرامة التي التزموا بها في اشتقاق المصطلحات وإبراز مفاهيمها وتدولها في مؤلفاتهم ونقاشاتهم، فعرف عن أبي الهذيل العلاّف بدءاً من القرن ٣هـ/ ٩م أن حوّر من مفهوم الجوهر الفرد في نقاشاته بوجوده إلى الاستفادة منه في قضية الرد على الملاحدة ومنكري البعث بمفهوم الذرة، وأن الجسم ذرات يتكون منها الجسم، ومن ثم جعله دليلاً على بعث الأجساد في الآخرة، وكذلك تلميذه أبو إسحاق إبراهيم النّظام صنف كتاباً في «الرّد على أصحاب الهيولى» ويقصد بذلك الفلاسفة القائلين بقدم المادة. وكذلك عرف للنظام كتابه الموسوم: «الرد على الدهريين» القائلين بقدم العالم، وقد أورد ابن النديم كذلك كتاباً لضرار بن عمرو: «الرد على أرسطوطاليس في الجواهر والأعراض». وضرار عادة ما ينسب للجهمية؛ بيد أن النقاش أمتد مع نهاية القرن ٣هـ/ ٩م بين أبي القاسم البلخي (ت. ٣١٩/ ٩٣١) والفيلسوف الرازي فأضحى الجدال بين علماء الإسلام من متكلمين وفلاسفة، حيث كتب البلخي: «التقصد على الرازي في العلم الإلهي»، ورد عليه الرازي في كتابيين «نقض الرازي لكلام البلخي على الرازي»، ورد عليه البلخي بعد ذلك «نقض كتاب الرازي في أنه لا يجوز أن

يفعل اللّٰه تعالى بعد أن كان غير فاعل». أدخلت الجدلية لعلم الكلام مع الفلسفة بحيث طورت المفاهيم واستحدث المصطلحات وبذا توسعت مدارك اللغة العربية وبلاغتها.

ومع بدء القرن ٤ هـ/ ١٠ م كان تمايز الفرق الكلامية الإسلامية قد اتضحت معالمه ومناهجه، وكان لمصنفات أبي هاشم الجبائي الأثر الأهم في علم الكلام للردود والاقتباسات التي جاءت من بعد بالرغم من فقدان كل مؤلفاته عدا ما ذكر في بطون الكتب، وأشهر مصنفات أبي هاشم هما: «النقض على أرسطوطاليس في الكون والفساد» وكتاب «الطبائع والنقض على القائلين بها».

إلا أن ظهور الفارابي وأبي علي الحسين بن عبد اللّٰه بن الحسن بن علي بن سينا (ت. ٤٢٧هـ/ ١٠٣٧م) من بعده أحدث هزة كبرى في الفكر الإسلامي للتقريب بين علوم الإلهية والفلسفة، فامتدت فلسفتهما من حينها وحتى القرن ١٩م وبالأخص ابن سينا بمؤلفاته المميزة: الإشارات والتنبيهات وكتاب الشفاء والنجاة في المنطق والإلهيات بمراجعته الفلسفة الإغريقية وإعادة تفسيرها وتقريبها للفكر الإسلامي، وآراؤه كان لها الأثر على علماء الكلام والإلهيات سواء أكانوا مسلمين أم مسيحيين أم يهود وفلسفته أشبه بالبرادايم خلال العصور الإسلامية الوسيطة، كل من تلبست به ما استطاع أن ينفك عنها.

وتوالت ردود كثيرة على فلسفته أشهرها رد أبي حامد الغزالي على فلسفته في كتاب «تهافت الفلاسفة»، ومن ثم رد الفيلسوف ابن رشد على الغزالي في «تهافت التهافت» إلا أن تفرد المعتزلة الأخير كان بمصنف «تحفة المتكلمين في الرد على الفلاسفة» لركن الدين محمود ابن الملاحمي (٥٣٦/ ١١٤١)، والذي أتهم فيه الغزالي نفسه بأنه تأثر بابن سينا؛ ذلك أن رده على ابن سينا كان في مقتبل عمره، أما تأثره بالفكر الإغريقي فيتضح في «إحياء علوم الدين» و«المضنون به على غير أهله». وذلك ما أعطى الفكر الاعتزالي منهجاً نقدياً متميزاً في غربلة الفلسفة الإغريقية وضبطها. وتوالت الكتابات الكلامية من بعد نحو كتاب «مصارعة الفلاسفة» للشهرستاني (ت. ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م). وكتاب «الذخيرة» لعلاء الدين الطوسي (ت. ٨٧٧هـ/ ١٤٧٣م). إلا أن الاتجاه الذي اختطه الفخر الرازي أيقظ الفكر من جديد، وأعطى امتداداً لفلسفة أبن سينا جاذبيتها وتولى من بعده علماء الأشاعرة الذين جادوا بشروحات كالتفتازاني والأيجي، وتوازى كذلك مع الفكر الشيعي الإمامي

في مؤلفات وتعليقات صدر الدين الشيرازي (ت. ١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠م) والإسماعيلي عند الطوسي.

(ح)

موَّل الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان (حكم ٥٣٢_٥٦٦/ ١١٣٨_١١٧١) ومعاصره الإمام المنصور عبد الله بن حمزة (٥٣٨_٦١٤/ ١١٨٧_١٢١٧) جلب مخطوطات المعتزلة من طبرستان إلى اليمن، وتكفل بالمهمة الشيخ زيد بن الحسن بن علي البيهقي، وأبو الحسن البروقني، والذي كان بين تلامذة الحاكم أو من تلامذة ابنه الفضل ومن بعدهما القاضي العلامة شيخ الإسلام جعفر بن أحمد بن عبد السلام بن أبي يحيى التميمي البهلولي. حينها كانت الإمامة الزيدية في منطقة الجبل وطبرستان بغرب إيران الحالية تشهد الانهيار والأفول الكلي بوفاة الإمام يحيى بن أحمد بن الحسين (٥١٦هـ/ ١١٢٢م)، بينما كانت اليمن حينها في انتعاش اقتصادي كبير، وذلك نتيجة التحولات في الخطوط البحرية للتجارة الدولية. فبعد أن كانت التجارة البحرية في المحيط الهندي القادمة من الهند وشرق آسيا تمر من المواني العمانية ثم في الخليج نحو سيراف وتنتهي في البصرة ومن بعد تحملها القوافل لتصل بها إلى مواني الشام ومن ثم تأخذ تفاعلها مع التجارة العالمية في البحر المتوسط؛ بدأت في المقابل التجارة البحرية الدولية في التحول بعد قيام الدولة الفاطمية في مصر، وتطور التوازنات السياسية بين شرق وغرب الدولة الإسلامية، فاتجهت السفن نحو سواحل حضرموت واليمن لتشق طريقها في البحر الأحمر ومن ثم إلى السويس لتصل بها القوافل نحو البحر المتوسط، وساعد هذا النمو الاقتصادي في ازدياد عدد المسلمين وانتشارهم في شبه القارة الهندية وجنوب شرق آسيا وكذلك في شرق أفريقيا، فأصبح العبور التجاري في السواحل الشرقية والجنوب وشرق الجزيرة بما يسمى طريق الحج المقابل لطريق الحرير.وهكذا استفادت اليمن وحضرموت بين القرون ٦هـ_١١هـ/ ١٢_١٧ م من هذا الانتعاش الاقتصادي والتجاري الرابط لسواحل المتوسط والبر الأفريقي للحبشة، وخصوصاً من بعد الغزو المغولي لبغداد حيث تناهت مركزية العراق لتصب كلها في مصر وفي المقابل كانت التجارة الدولية القادمة من الشرق تتنافس عليها الموانئ العمانية المنافسة هي قلهات وهرمز ومرباط في تجارتها مع فارس تتجه بها القوافل نحو أواسط

آسيا. ولقد توسعت التجارة الإقليمية لليمن في فترة الرسوليين (٦٢٦ـ٨٥٨/ ١٢٢٨ـ ١٤٥٤) ودولة بني رسول (سنية شافعية)، وحدثت مهادنةٌ بينها وبين الإمامة الزيدية، ولذا وجدت هذه المخطوطات وانتشرت مع التجار اليمنيين في تجاراتهم في المحيط الهندي وعليه تميزت المدن اليمنية بوصفها حواضر علمية في صنعاء وصعدة وتعز وزبيد، وإب وعدن والمخا وعليها زادت الصراعات السياسية والدينية وزادت من حدّة المنافسة والخصومات لكنها أنتجت مناظرات كلامية وفقهية علمية جادة ومتميزة. ومما يدل على ذلك توزع مخطوطات «تفسير التهذيب» على طول الطرق البحرية من جنوب شرق آسيا حتى شبه الجزيرة العربية فنجدها في إندونيسيا وجنوب وشمال الهند وفي مدن شمال اليمن ، وقد اقتُنيتْ تلك المخطوطات من قبل الرحالة والباحثين الأوروبيين والأمريكيين، فجلّ المخطوطات الزيدية والمعتزلية جاءت من اليمن، فدراستها بعمق تعطي صورة أدق عن رحلة العلم وتوزع المخطوطات الإسلامية في العصر الوسيط. وفي أثناء عملي على تحقيق النص أخبرني الزميل الدكتور غريغور شوارب (سويسرا) بأن هنالك نسخاً أخرى من التفسير وأنا أذكرها بحسب ما أفادني، ولم أستطع الحصول عليها والنسخ الموجودة في الهند والمحفوظة بالمكتبات هي:

١. بمدينة كالكوتا: منسوخة لعفيف الدين محمد بن سباع بن أحمد ، نسخت في ٧ جمادي الثانية ٦٧٤/ ٢٨ نوفمبر ١٢٧٠م.
٢. مدينة بتنة بالهند يوجد بها عدة نسخ منها:
   (أ) نسخة تحتوي على مجلد من التفسير نسخت في القرن ١١هـ/ ١٧ م.
   (ب) نسخة المجلد الثالث نسخت تقريباً في القرن ١١هـ/ ١٧م.
   (ج) نسخة للمجلد الخامس نسخت في القرن ١١هـ/ ١٧م.
   (د) نسخة للمجلد السادس نسخت سنة ٦٢٥هـ/ ١٢٣٠م
   (هـ) نسخة نسخت تقريبا في القرن ١١هـ/ ١٧م.
٣. نسخة محفوظة بمدينة جاكرتا إندونيسيا لا نعرف بوضوح متى نُسخت.

لقد بذلت جهداً في الحصول عليها، إلا أنني لم أستطع إيقاف المشروع وبالأخص بعد إلحاح كثير من الإخوة والأصدقاء في نشره، فعسى الله أن يوفقني في الحصول عليها

ومقارنتها بما هو مطبوع فيما بعد، وكذلك احتفظت هذه المخطوطات بتواقيع مهمة لمن آلت فيما بعد ولمن نسخت.

(خ)

كونت مدن الريّ وأصفهان ونيسابور وسمرقند منذ الفتح الإسلامي واجهات كبرى في شرق العالم الإسلامي وملتقى لأطياف المذاهب الكلامية والفقهية والتيارات الأدبية والفلسفية في الثقافة الإسلامية. وبين جنبات هذه المدن تشكلت اتجاهات التفسير حتى الآن بجميع أطيافها. من خلال هذا الزخم الثقافي والتراكم العلمي تجددت مناهج كشفت لنا عن الخلفية الثقافية التي سار عليها الإنتاج المعرفي عند الحاكم الجشمي، والتي عملت على مزج هذه المعارف ما بين المفسرين. وهذا ما أدركه البرفيسور (يوسف فان أس) في موسوعته عن (اللاهوت والمجتمع الإسلامي ما بين القرنين ٢-٣ الهجريين) فرصد التنوع والتراكم العلمي بين المثقفين واتجاهاتهم العقدية حينها، وهي أهم إصدار استشراقي لرصد التراكم العلمي عند المسلمين في القرون المبكرة بعد كتاب كارل بروكلمان «تاريخ الأدب العربي». فإذا ما استقصينا بصورة منفردة تعداد التفاسير التي ألفت ما بين هذه المدن من منظور إقليمي يبرز هذا التراكم العلمي إلى جانب نسقه المعرفي الذي مثَّل حينها مدرسة الاعتزال، فنحاول أن نشير إلى كل الاتجاهات حتى فترة الحاكم الجشمي .

فبدءًا من الضحّاك بن مزاحم الهلالي (المتوفى في بلخ (ت. ١٠٤هـ/ ٧٢٣م) وتفسيره المأثور بالإسناد عن ابن عباس أو تلامذة ابن عباس، ومن بعده مقاتل بن حيّان كذلك من مدينة بلخ (ت.١٣٥/ ٧٥٣م) وإن كان بعضهم يضعه مع القصاصين؛ بيد أن آراءهُ استندت إليها المجسمة والمشبّهة، وكان لها تأثير فيما بعد في علم الكلام. فمقاتل بن سليمان البلخي والذي ولد في بلخ ثم هاجر في رحلته العلمية متنقلا بين المدن إلى أن انتهى مطافه واستقراره بالبصرة ولا يزال تفسيره (الخمسمائة آية) من أهم أدبيات التفسير، والتي اعتمد عليها الكثير من المفسرين بعده لتفسير آيات الأحكام، ثم كتابه «وجوه القرآن أو الوجوه والنظائر» والذي يُعدُّ كتابا تأسيسيا إذا ما ثبتت نسبته لمقاتل. وأهم أعماله «تفسير القرآن»، وهو من التفاسير المبكرة التي وصلت إلينا متكاملة، وإن كان الطبري اتهمه في الإسناد من جهة والبعض أحال على إكثاره من مرويات الإسرائيليات. بيد أنه اعتمد عليه المفسرون

المتأخرون (كالفخر الرازي ـ ت.٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) والتبريزي (ت.٥٢٩هـ/ ١١٣٥م)، والقرطبي (ت.٦٧٠هـ/ ١٢٧٢م)، فأحدث نقلة كبرى في التفسير مع جمع الأحاديث النبوية، وقد كانت نيسابور هي مركز هذا الجمع، فظهرت كتب السنن وكتب الطبقات، وهذا أدى إلى جمع التفسير بالمأثور وإدخال ومزج آراء الحديث والمرويات المتأخرة بالتفسير بدءًا من عبد بن حميد بن نصر من مدينة كش في أوزبكستان الحالية، وقد كانت أقواله في التفسير مشهورة لكنها لم تصلنا كمجموع متكامل، وقد وثق بعض آرائه السيوطي (٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، ومن بعد وثق المرويات للتفسير شيخ المفسرين أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري (٣١٠هـ/ ٩٢٣م) والمولود في بلدة قرب بحر قزوين شمال مدينة الرّي، وهو الذي أثّر في من بعده من أهل الاتجاهات التفسيرية بالاقتباس أو المعارضة وذلك بإدخاله كماً هائلاً من الروايات الحدِيثية والأقوال المأثورة في التفسير، وعدداً من الأسانيد المنسوبة المقيدة فيه، لذا كانت فيه ميزة بين التفاسير آنذاك، وكذلك معاصره أبو بكر القفّال الشاشي (٣٦٥هـ/ ٩٧٦م) المولود بالشاش حالياً مدينة طشقند والذي التقى بالطبري، وقد كان في بداية أمره معتزلياً حنفياً، ثم تحول شافعياً أشعرياً، بيد أن « تفسيره الكبير» لا يزال مفقوداً. وكذلك أبو الليث السمرقندي صاحب تفسير «بحر العلوم»، وأبو الحسن الهيصم بن علي النيسابوري (٤٦٧هـ/ ١٠٧٥م)، وأبو بكر النيسابوري عتيق بن محمد السور أبادي (٤٩٤هـ/ ١٠١٦م). ومن مفسري الكّرامية ابن حبيب النيسابوري (٤٠٦هـ/ ١٠١٦م)، ولعله أقدم التفاسير باللغة الفارسية؛ لكنه فقد إلا أن رواياته دونّها أبو إسحاق الثعلبي النيسابوري (٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م) والذي ألف (الكشف والبيان عن تفسيرات القرآن). وأبو عبدالرحمن النيسابوري (ت. ٤٣٠/ ١٠٣٨م) له (الكفاية في التفسير)، وأبو الحسن الواحدي النيسابوري (٤٦٨هـ/ ١٠٧٦م) وله من التفاسير المعروفة: (البسيط والوسيط والوجيز) وكذلك (كتاب أسباب النزول). ومن مفسري الشيعة أبو النضر محمد بن مسعود العباسي السلمي السمرقندي (أواخر ق٣/ ٩) مصنف (كتاب التفسير) المطبوع باسم (تفسير العياشى) ، ومن بعده شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسى (ت ٤٦٠ هـ) مصنف (التبيان فى تفسير القرآن) ، ثم أمين الدين أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) مصنف (مجمع البيان)، وأبو الفتوح جمال الدين حسين بن على الرازي النيسابوري (ت.ق ٥٥٩هـ) مؤلف (روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن) وهكذا

برزت تفاسير الشيعة قبل الدولة البويهية وبعد ظهورها من حيث الآراء الكلامية واتجاهات المفسرين وأقوالهم. وقد برز بعضهم ممن يشار إليهم بالغلاة في آرائهم. لكنّ الطبرسي تأثر كثيراً بتفسير الحاكم الجشمي وهو الذي استفدنا منه في تصحيح نص التهذيب في التفسير.

وكذلك في المدرسة الماتريدية لأبي منصور محمد بن محمود السمرقندي الماتريدي (ت. ٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م) وله التفسير الشهير «تأويلات القرآن»، وكذلك عند الأشاعرة كفخر الدين أبي عبد الله محمد الرازي (ت.٦٠٥هـ/ ١٢٠٩م) وكتابه «مفاتيح الغيب»، وكذلك وجدت نصوص في التفسير لبعض الفلاسفة نحو تفسير ابن سينا لبعض السور. أما تفاسير المعتزلة فبدأت بأبي القاسم البلخي الكعبي شيخ المدرسة البغدادية (ت.٣١٩هـ/ ٩٣١م) والذي عُرف عنه أنه المساعد الأول لمحمد بن زيد الداعي، رئيس الزيدية في طبرستان آنذاك وتتلمذ في البصرة على يد المعتزلي الخياط (ت. ق.٣٠٠هـ/ ٩١٣م) واللغوي الأديب المبرد (ت.٢٨٥هـ/ ٨٩٨م) وللأسف فإن تفسيره ضاع إلا منثورات بقيت في تفسير الشريف الرضي «حقائق التأويل في متشابه التنزيل»، ومعاصره وصديقه أبي زيد أحمد بن سهل البلخي (ت.٣٢٢هـ/ ٩٣٤م) الفيلسوف، وقد عرف له كتابان وهما: «نظم القرآن» و«غريب القرآن» وكلاهما فُقد، وجار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت.٥٣٨هـ/ ١١٤٤م) مصنف تفسير «الكشاف» الذي أثَّر وأثرى التفاسير من بعده في جودة التصنيف ومنهج التأويل.وآخرهم أبو يوسف عبدالسلام بن محمد القزويني (ت. ٤٨٨/ ١٠٩٥) يعدّ التفسير الأضخم حسب ما يذكر بيد أنه ما يزال مفقوداً. ويمكن الإشارة في هذا السياق إلى تفسيرين آخرين لمؤلفين معتزليين من القرن الرابع ، أحدهما جامع التأويل لمحكم التنزيل لأبي مسلم محمد بن بحر الأصفهاني (ت. ٣٢٢/ ٩٣٤) والذي يكثر الفخر الرازي من النقل عنه في تفسيره، والذي جمعت شتاته كنصوص ضائعة في مجلد مطبوع ويقول عنه ياقوت في معجم الأدباء : جامع التأويل لمحكم التنزيل على مذهب المعتزلة أربعة عشر مجلداً. وأما الآخر فهو المصابيح في تفسير القرآن للوزير حسين بن علي المغربي المعتزلي (ت. ٤١٨/ ١٠٢٧).

يذكرني هذا الأمر بأطروحة ريتشارد بوليت في أبحاثه وبمنهجه الجاد في دراسة التاريخ التراكمي للعالم الإسلامي من خلال مصنفات قواميس التراجم بأن تراجم العلماء قبل فترة

السلاجقة أي حتى بداية القرن ٦/ ١٢ كانت إيران وأجزاء من أوزبكستان وأفغانستان حالياً تختص بنسبة ٤٠٪ منها، ومع العراق تصبح النسبة ٧٠٪ من علماء الإسلام، ومرد ذلك الأمر إلى الجانب الاقتصادي وازدهاره في إيران بعد الفتح الإسلامي وهجرة القبائل العربية من الجنوب والجنوب الشرقي للجزيرة العربية إلى أواسط إيران ثم جهدهم في شق القنوات المائية التي عملت على ازدياد الناتج الزراعي وخصوصاً القطن، وبقي الأمر حتى الحروب الصليبية ومن ثم الغزو المغولي، فتحرك هذا الجانب تدريجياً نحو أقاليم البحر المتوسط، ومن ثم حدث التحول العلمي في تلك المناطق بين بلاد الشام ومصر والساحل الشمال الأفريقي.

(د)

الإمام الحاكم أبو سعد/ أبو سعيد المحسِّن بن محمد بن كُرّامة الجُشمي/ الجِشمي البيهقي، نسبة إلى بلدة جِشُم في خراسان كونه فارسياً، بيد أنه ينسب كذلك وينتهي نسبه إلى الإمام محمد بن علي بن أبي طالب (محمد بن الحنفية) وهذا ما لم يثبته العلامة السيد إبراهيم بن القاسم في طبقات الزيدية، وكذلك لم يشر الحاكم إلى نسبه الشريف كعادة كثيرٍ من أهل البيت ولو تلميحاً. بيد أنه لا يُخفي ميوله المبكرة لهم وبالأخص الإمام علي والحسنين رضوان الله عليهم، ولد بقرية جشم التى تلفظ بالفارسية (جِشُم) وهي حوزة بمدينة بيهق في إقليم خراسان حالياً في إيران لسنة (رمضان ٤١٣/ ١٠٢٢م) وتوفي مقتولاً بمكة المكرمة (رجب ٤٩٤هـ/ ١١٠١م)، وتتقارب سنة ولادته مع وفاة قاضي القضاة عماد الدين عبدالجبار (٤١٥هـ/ ١٠٢٤م)، ونهاية حكم بني بويه في الري على يد الغزنويين (٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م) وبأصفهان وهمدان على يد الكاكويين (٤١٩/ ١٠٢٨)، لكن المشهد تغير راديكالياً مع بروز السلاجقة (٤٣٠-٥٩٠/ ١٠٤٠-١١٩٤) والذين أقروا المذهب الحنفي فقهاً والعقيدة الماتريدية والأشعرية، وتولى الوزارة عندهم نظام الملك أبو علي الحسن بن علي الطوسي الأشعري الشافعي، وقد أنتج ذلك مرحلةً مستجدةً في التمازج للفكر السني وتعميمه، وهو بحق أحد أميز الوزراء في العصر الإسلام الوسيط، فاستسلمت أغلب بلاد فارس للسلاجقة وانسحب الغزنويون إلى المشرق، فبرزت في حينها مرحلة اضمحلال للفكر الشيعي بعد أن كان (آدم متز) قد أطلق على القرن السابق بأنه قرن الشيعة

(القرن الرابع/ العاشر). وتطورت هذه الأحداث بنهاية الدولة الفاطمية الإسماعيلية سنة (٥٦٧ / ١١٧١)، كذلك كانت الزيدية تنحسر من أواسط أسيا وكذلك من جنوب العراق لصالح الشيعة الإثني عشرية الإمامية.

ومن خلال تتبع سيرة حياته تبرز لي ثلاث فترات زمنية، وهي تتوافق مع ما دونه عنه وكتبه العلامة إبراهيم بن القاسم في كتابه « طبقات الزيدية الكبرى»، وللأسف فإن أحمد بن يحيى بن المرتضى لم يشر إلى ترجمة الحاكم في كتابه (طبقات المعتزلة):

الفترة الأولى: تتلمذ بداية نشأته على علماء الاعتزال والزيدية في حوزات مدينة بيهق، وكان أهم شخصية علمية روى بالإجازة عنها دون واسطة هو الإمام الناطق بالحق أبو طالب يحيى بن الحسين بن هارون الحسني (٣٤٠ـ ٤٢٤ / ٩٥١ـ١٠٣٣) وإذا ما صح ذلك كان عمر الحاكم ما يقارب العاشرة، وكان مقر الناطق بالحق في طبرستان بآمل حيث توفي هناك. وكان معاصراً للناطق بالحق قوام الدين أحمد بن الحسين بن أبي هاشم الحسيني مانكديم أي وجه القمر (ت ٤٢٥/ ١٠٤٢م)، وهو ممن تتلمذ على القاضي عبدالجبار (ت.٤١٥/ ١٠٢٥) وحمل العلم عنه. ارتحل الجشمي بعدها إلى نيسابور وتفقه على شيوخ المذهب الحنفي في مُقتبل عمره ومنهم المتكلم المعتزلي أبو حامد أحمد بن محمد بن إسحاق النجار النيسابوري (ت. ٤٣٣هـ/ ١٠٤٢م)، ومن الصدف كما يشير صاحب «طبقات الزيدية» أن أحمد بن محمد بن إسحاق والحاكم الجشمي كلاهما تتلمذ على يد أبي طالب يحيى بن الحسين الحسني وأبي حامد أحمد بن سهل الأنصاري. كما أن أبا حامد تتلمذ على القاضي أبي نصر بن سهل وأبي محمد الخوارزمي وأبي الحسن الأهوازي، ومن ثم خرج إلى الريّ وتتلمذ على القاضي عبد الجبار بن أحمد.

وفي نيسابور التقى الحاكم بشيوخها منهم شيخ الأحناف قاضي القضاة أبو محمد عبد الله بن الحسين الناصحي النيسابوري (ت. ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م) وذلك في سنة ٤٣٤هـ/ ١٠٤٢ م، وبالشيخ علي بن عبد الله النيسابوري (ت. ٤٥٧هـ/ ١٠٦٥م) واللذين كانا قضاة نيسابور، وحينها كانت آنذاك تحت حكم الغزنويين حتى سنة ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧ م، ثم انتزعها السلاجقة منهم. وممن سمع من شيوخ نيسابور أبو الحسين أحمد بن علي بن أحمد قاضي الحرمين، وأبو يعلى الحسين بن محمد الزبيري، وأبو علي الحسين بن علي الوحشي، وأبو

الفضل الأمير عبد الله بن محمد الميكالي، وأبو عبدالرحمن محمد بن عبدالعزيز النبلي، وأبو الحسن عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر الفارسي . ومن ثم يبدو أنه أقام في نيسابور، ذلك لأن ابن شيخه أبا بكر محمد بن عبد الله بن الحسين الناصحي تولى منصب قاضي قضاة نيسابور للسلاجقة زمن ألب أرسلان (ح. ٤٥٥ـ٤٦٥هـ/ ١٠٦٣ ـ ١٠٧٣م).

والمستغرب أن الحاكم أكمل تاريخ طبقات المعتزلة للقاضي عبدالجبار في فصلين من كتابه (شرح عيون المسائل)، ومنهم أعلام المعتزلة في نيسابور: أبو رشيد النيسابوري، وأبو محمد عبد الله بن سعيد اللبّاد، وأبو محمد بن متويه، كما أنه لم يذهب إلى بغداد للتعلم على يد أبي الحسين محمد بن علي البصري (ت. ٤٣٦هـ/ ١٠٤٥م) بالرغم من أنه شيخ المعتزلة حينها، وقد انتقده الحاكم بأنه اتبع آراء الفلاسفة. فلم يعثر ولم يشر هو كذلك إلى تتلمذه عليهم أو لقائهم، ولم يترجم لهم ترجمات وافيه. فكأنه لازم أبا حامد النجار وتتلمذ عليه فقط في علم الكلام، أما بقية مشايخه فجلّهم فقهاء أحناف. وكان معاصراً له في نيسابور من شيوخ الأشاعرة أبو القاسم الأسفراييني (ت. ٤٥٢هـ/ ١٠٦٠م) وعبدالملك بن عبد الله الجويني (ت. ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م) ، وكذلك بداية العهد بأبي حامد الغزالي (ت. ٥٠٥هـ/ ١١١١م)

الفترة الثانية: منذ سنة ٤٤٠ هـ وما بعد خرج الحاكم من مرحلة التلمذة وبدأ في تكوين مدرسته مع تلاميذه وتفرغ للتأليف، وظل في إقليم خراسان متنقلا بين مدنها، وهو لم يتبوأ منصباً حكومياً لدى السلاجقة، لكنه أنشأ مدرسة كبرى التف حولها تلامذته ودرسوا مؤلفاته التي ألفها باللغتين العربية والفارسية، وهذا نسقٌ اتبعه عديدون منذ منتصف القرن ٤هـ/ ١٠م. فكثرت مؤلفاته وتنوعت في التفسير وعلوم الكلام والتاريخ والأدب، ما يجعله منارة في التأليف التعليمي في القرن ٥/ ١١ وفي براعة التأليف والسبك ، كما يظهر في طبقات الزيدية ومقدمات الكتب له.

الفترة الثالثة: أعتقد أنه غادر نيسابور بعد ظهور دعوة الحشاشين للحسن بن الصبّاح في (قلعة ألموت) بتاريخ ٧ رجب ٤٨٣ هـ / ٤ سبتمبر ١٠٩٠ والتي أحدثت فوضى واضطراباً تصادم مع السلاجقة، وتوجه في آخر عمره إلى بيت الله الحرام. ولا أظن أن سبب قتله كتاب « رسالة أبي مرة» في نقد الجبرية كما أشار بعضهم؛ بل في ظني لعل الحاكم شاء أن

يقيم مدرسته العلمية ثانيةً في مكة فجذبت الطلبة والمتعلمين إليه، وهو ما أثار حسد وغيرة بعضهم. لأن الرسالة كتبت وهو في ريعان شبابه واشتهرت، وكانت ذات أسلوب متميز في السرد ولأول مرة يظهر في علم الكلام، وهذا التميز هو الذي قرَّب مؤلفات الاعتزال إلى العامة، ذلك أن صياغة المادة المكتوبة بطريقة كانت روائية تقرب للذهن وللأفهام عكس ما درج عليه تأليفهم في السابق بالجدال الكلامي، وبالتعقيد الأسلوبي.

مؤلفاته:

١. التهذيب في التفسير.
٢. تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبيين وهو كتاب اختص بتفسير الآيات التي نزلت في أمير المؤمنين علي وأهل البيت، مرتبةً بحسب ترتيبها في السور كما ذكرنا، وهو موجود مخطوط، منه نسخ في المكتبة الغربية والأوقاف وبعض المكتبات الخاصة في اليمن. وطبع بتحقيق الأستاذ إبراهيم يحيى الدرسي، وهناك طبعة أخرى إيرانية وطبعة بيروتية.
٣. التأثير والمؤثر.
٤. شرح عيون المسائل: وهو من أهم كتبه في علم الكلام، شرح فيه كتابه (عيون المسائل) وجعله في سبعة أقسام.
٥. تنزيه الأنبياء والأئمة: وموضوعه يظهر من عنوانه، وهنالك نسخة وحيدة فيما أعلم خطت سنة١٠٣٣هـ ضمن مجموع بمكتبة آل الهاشمي بصعدة.
٦. تحكيم العقول في تصحيح الأصول، حققه وأخرجه الأستاذ عبدالسلام الوجيه.
٧. رسالة إبليس إلى إخوانه المناحيس: ويسمى أيضاً (رسالة أبي مرة إلى إخوانه المجبرة). حققه آية الله السيد حسين مدرسي الطباطبائي.
٨. جلاء الأبصار في فنون الأخبار: وهو في فن رواية الحديث عن المعتزلة، قسمه إلى ستة وعشرين باباً في الإيمان وفضل الذكر والدعاء والثناء والفزع إلى الله، وفضل العلم، والقرآن وفضله وما يتصل به، وفي فضل أمير المؤمنين وسائر أهل البيت، وفي التوبة، والصلاة، والصيام، والزهد، والحج، والسفر، والجهاد، والخطب، والمواعظ، ومواضيع أخرى.ويحققه السيد العلامة عبد الله بن حمود العزي.

٩. السفينة الجامعة لأنواع العلوم في عشرة مجلدات (لم يحقق بعد).ويحققه السيد العلامة عبد الله بن حمود العزي

١٠. النصيحة العامة أو (الرسالة التامة في النصيحة العامة).

(ذ)

تميز التهذيب في التفسير للإمام أبي سعد المحسِّن بن كرّامة الجشمي بمنهجية مغايرة عما درج عليه معاصروه، وذلك بتقسيم علوم القرآن بدءًا بذكر فضائل كل سورة ثم بالقراءات، ومن ثم اللغة، ثم الإعراب، والنظم، والمعاني، وأسباب النزول، والأدلة والأحكام، والأخبار والقصص. فبعد أن كانت التفاسير تخلط بين هذه العلوم في تفسير كل آية وتصيغها في صورة مسائل وتحلل من خلالها، فالجشمي حاول التمييز بينها.وعلى هذا التقسيم لا تزال هذه الأقسام أسساً في علوم القرآن متبعةً حتى الآن. فتميز التفسير عن تفسير كل من سبقه بأمرين وهما: المنهج في تفسير الآية ومن ثم الأسلوب الكتابي الذي جعل الدقة والوضوح أمراً جوهرياً قلَّما يُكرَّر فيه ذكر التأويل أو السرد. ولعل أسلوبه الكتابي الواضح وملكته في تفكيك القضايا الكلامية أو الفقهية إذا ما قارنا بكتابه «تحكيم العقول» أو «رسالة أبي مرة» تبرز ملكته في الأسلوب التعليمي ووضوح الفكرة في تبسيط المعاني الصعبة للقارئ عكس مؤلفات القاضي عبدالجبار الذي يعتمد أسلوباً نخبوياً حيث ظل طوال عمره في محيطه العلمي الخاص بين طلبته أو بحكم وظيفته.

فأدخل الحاكم الجشمي سابقةً لدى المعتزلة في تفاسيرهم، وهي تضمين مرويات الحديث في فضائل السور القرآنية، ولعل هذا تأثير نيسابور كونها مركز جمع الحديث النبوي، وهذه المرويات جلّها من المعجم الكبير للطبراني (ت. ٢٦٠هـ/ ٩١٨ م) فكتب الاعتزال التي لدينا غالباً ما تتجنب مرويات أهل الحديث إلا ما صحّ منها، فهم من اشدّ المنكرين لقضية الخبر منذ نقاشات أبي الهذيل العلّاف والنظّام والجاحظ، وما الذي يجب أن يروى، وزاد بعد ذلك في الشروط أبو علي الجبائي، ومعروف شرط التواتر لديهم بأربعين نفساً. وهذا المنهج أثر فيما بعد على بعض المفسرين، فالزمخشري والرازي يذكران فضائل السور بعد الانتهاء من تفسير كل سورة.

بيد أن أهمية تفسيره والكلُّ يُقرُّ بذلك تتمثل في أنه احتوى على جلّ تفاسيرِ المعتزلة

المتقدمة فالبعضُ استطاع أن يجمع تلك الآراء ويجعل منها مصنفات، لإعادة استكشاف المصادر المبكرة في تفاسير المعتزلة من ضمن التفسير المعتزلي الموثق. ونحن إذا ما تتبعنا مصادره الأخرى في تفسيره يجب علينا تمييز كل قسم على حدة، وسنوضح ثلاثة أقسام توضح هذه المعالم، وهي اللغة والإعراب والنظم والمعاني والأحكام:

اللغة:

اعتمد كتاب العين للخليل بن أحمد، والجمهرة لابن دريد، والصحاح للجوهري. وكان للجانب اللغوي أهمية بالغة في تفسير الجشمي؛ فقد ذهب إلى أن مدار علوم القرآن على ثمانية علوم ، منها علمان يختصان بالجانب اللغوي ، وهما: اللغة ، والإعراب؛ حيث عبّر عن ذلك بقوله: «والقرآن كله بلغة العرب، هكذا قال اللّٰه تعالى: [بلسان عربي مبين] [الشعراء:١٩٥] وما روي عن بعض السلف أنها رومية، أو فارسية، كـ(القسطاس، والسجل) ونحوهما، فمحمول على موافقة اللغتين، أو على أن العرب أخذته فعربته، وكذا ليس فيه لفظ مستنكر، أو خطأ أو تناقض، واختص بنوع من اللغة والفصاحة، بان بها عن غيره، فصار معجزاً في «الإعراب، فليس فيه لحن، ولا خطأ، خلاف ما يهذي به الملحدة».

واللغة تحل ثانياً في تناوله للآيات بعد عرض وتناول القراءات إن وجدت، وإلا حلت أولا، وفي هذا الجانب يتصدى الجشمي لبعض الكلمات التي يرى أنها تحتاج لوقفة وتأمل وتوضيح وتفسير، فيأخذ القارئ إلى أعماق الكلمة ، ويطوف به في أصلها واشتقاقها، وضبطها، ووزنها، ولغاتها، ومعانيها، ونظائرها، ومقابلها، مستشهدا لقوله بالشعر والنثر، موجزاً أحياناً ومطنباً أحياناً ، ويفيض عطاء، حتى لربما توهم القارئ أنه أمام كتاب لغة لا تفسير، وفي كثير من الأحيان يتكئ في كلامه على أعلام اللغة وفحول العربية ، فينقل لك عن الخليل ، وسيبويه ، والمبرد، والأخفش، والكسائي، والفراء، والنضر بن شميل، وأبي عمرو، وغيرهم.

فمن أمثلة تناوله أصل اللفظ ما ذكره عن أصل لفظ (اللّٰه) ، فقد قال: «فأما (اللّٰه)، فقيل: أصله (إله) حذفت الهمزة، وجعلت الألف واللام عوضاً لازماً، وصار الاسم بذلك كالعلم، هذا مذهب سيبويه، **وقيل**: أصله: لاه، ألحقت بها الألف واللام فصار: اللّٰه.

ويقال: مم اشتق؟

قلنا: قيل: إنه اسم موضوع، غير مشتق، وليس يجب في كل لفظ أن يكون مشتقاً؛ إذ لو وجب ذلك لتسلسل، هذا مذهب الخليل، وأبي علي. وقيل: إنه مشتق، ثم اختلفوا في اشتقاقه، فقيل: من التأله وهو التعبد، وقرأ ابن عباس، و (إلاهتك)[1]؛ أي عبادتك، قال رؤية بن الحجاج:

سَبَّحْنَ واسْتَرْجَعْنَ من تألُّهي

أي: من تعبدٍ وتنسك، هذا قول جماعة منهم: النضر بن شميل، وقيل: هو مشتق من قولهم، ألهت إلى فلان أي فزعت إليه، وقيل: هو مشتق من الوله، وهو التحير، يقال: أله يأله، إذا تحير، عن أبي عمرو، وقيل: هو مشتق من قولهم: ألهت إليه، أي سكنت إليه، عن المبرد، وقيل: اشتق من لاه أي احتجب».

ومن ذلك أيضا قوله: «والصيب قيل: وزنه فَيْعِل، بكسر العين، عند البصريين، ولا يوجد مثاله إلا في المعتل كسيد [وهين، وليّن] ، وأصله صَيْوِب، قلبت، الواو ياء، وأدغمت».

ومن أمثلة توضيحه لمعاني الألفاظ قوله: «النقض والهدم والكسر نظائر، وهو إفساد ما أبرمت، ونقيضه الإبرام، وهو الإحكام للبناء، ومنه نقض المذهب والدليل، كأنه ليس له أصل يرده إليه، ويهدمه ما يضاده، والعهد: الأمر، والعهد: الوصية، والعهد: الموثق، والجمع: عهود، وأصله العقد، والميثاق والعهد، والعقد نظائر، وأصله الوثاقة، وهي إحكام الشيء، والميثاق: ما وقع التوثيق به، كالميقات: ما وقع التوقيت به».

وقوله: «والقطع: نقيض الوصل، ونظيره الفصل، يقال: قطعه فانقطع، وقطَع بالتخفيف في القليل، وقطَّع بالتشديد في الكثير والمبالغة، والقطع: الفصل بين الشيئين، والوصل: الجمع بينهما، ونظيره: الجمع والضم».

ومن أمثلة ضبطه للألفاظ قوله: «العدل: الفدية، وقيل: المثل، وقيل: هذا عدله؛ أي: مثله، والعدل بفتح العين وكسرها لغتان، والعِدل بكسر العين: الحمل».

وقوله: «والخطف: الأخذ في استلاب، خطَف بفتح الطاء في الماضي يخطِف بكسرها في المستقبل، وبكسر الطاء في الماضي، وبفتحها في المستقبل لغتان، والثاني أفصح».

---

(1) من قوله تعالى: ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾.

وقوله: « والوقود بالفتح الحطب، وبالضم الإيقاد، ونظيره الوَضوء والوُضوء».

ومن مواطن اهتمامه بوزن الكلمة قوله: «والشيطان من شطت الدار، أي بعدت، ووزنه فَيْعال، والرجم: الرمي بالحجارة، ومنه المرجوم، والرجيم بمعنى المرجوم، فَعِيل بمعنى مفعول، كقولهم: كف خضيب، أي مخضوب».

وقوله: «ووزن اصطفينا: افْتَعَلْنا، من الصفة، وإنما قلبت التاء طاء؛ لأنهما أشبه بالصاد بالاستعلاء والإطباق، وهو من مخرج التاء، فأتي بحرف وسط بين حرفين».

ومن مواطن ذكره للغات الكلمة قوله : « والذرية والنسل والولد نظائر، وفيه ثلاث لغات: ضم الذال، وهي قراءة العامة، وفتحها، وهي قراءة أبي جعفر، وكسرها روي ذلك عن زيد بن ثابت أنه قرأ به».

ومنه: « ويقال: صبغ الثوب يصبغ بفتح الباء وضمها وكسرها ثلاث لغات صَبغاً وصِبغاً بفتح الصاد وكسرها لغتان».

الإعراب:

ويحلّ الإعراب رابعاً في منهجه في تفسير الآيات، وفيه أكثر المؤلف من إعراب الألفاظ والتراكيب مركّزا على ما التبس على القارئ منها، ومتتبعا آراء أئمة النحو وأعلامه ، وهو لا يتناول التراكيب تناولا سطحيا ؛ بل يتناولها تناول المتمكن الحاذق؛ بل وينقل الخلاف في المسألة أحياناً بين النحاة ، خاصة الخلاف البصري والكوفي، وكثيرا ما يترك القارئ يختار بنفسه الراجح ؛ لكنه يفصل أحيانا بين أقطاب النحو مرجحا رأي أحدهما على رأي الآخر. وأحيانا يتبع منهج التعليل بطريقة: (وإن قيل: لمَ كان كذا؟ قلنا : كذا) مما يشي بعلو كعب صاحبنا في علم النحو كشأنه في جملة من العلوم اللغوية وغيرها.

فمن إعرابه للتراكيب:

قوله: «يقال: ما موضع ﴿ولن تفعلوا﴾ من الإعراب؟ وكيف يتصل بما قبله؟

قلنا: أما اتصاله بما قبله من الكلام، فكما يتصل الاعتراض بين المبتدأ والخبر، وبين الشرط والجزاء، وبين اسم إن وخبرها، فالأول كقولك: زيد ـ فافهم ما أقول لك ـ رجل صدق، والثاني: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾، والثالث: كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً۝ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ [الكهف:٣٠، ٣١] فقوله:

﴿إِنَّا لا نُضِيعُ﴾ اعتراض، والخبر (أولئك)، فأما موضعه من الإعراب، فقيل: لا موضع لها من الإعراب؛ إذ لم يعمل فيها عامل؛ إذ العوامل في الأصل للأسماء المفردة، دون الجمل».

وقوله: «(كلما) أصله: (كل)، وهي حرف جملة ضمت إليها (ما) الجزاء فصار أداة للتكرار، وهي منصوبة بالظرف، ومعناها: متى، و(اللّٰه) نصب بـ(إن)، وخبره في قوله: ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾».

ومن إيراده للخلاف بشكل عام:

تعليقه على قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾: بقوله: «ويقال: ما موضع (أن) في قوله: ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾؟

قلنا: فيه خلاف، قال بعضهم: نصب ببشر أن لهم، وقال الخليل والكسائي: خفض بالباء، كأنه قال: يبشرهم بأن لهم جنات».

ومن إيراده للخلاف البصري/ الكوفي:

قوله: «فأما (هم) في قوله: ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ فيحتمل وجهين: أحدهما: أنه حرف، وقد بينا أنه عماد عند الكوفيين، وفصل عند البصريين. وإنما يؤتى بها للتوكيد ولا موضع له من الإعراب، وإنما يؤذن أن الخبر معرفة أو ما قارب المعرفة، وقيل: إنما يؤتى به ليؤذن أن الذي بعده خبر، ليس بصفة، وقيل: إنه اسم وخبره: (المفلحون)».

وقوله : «ويقال: كم وجهاً في نصب (بعوضة)، ورفعها؟

قلنا: يجوز النصب من ثلاثة أوجه:

الأول: المفعول الثاني من (يضرب) عند البصريين.

الثاني: أن يكون معرفة بتعريف (ما) كما قال حسان:

وَكَفى بِنا فَضلاً عَلى مَن غَيرِنا ... حُبُّ النَبِيِّ مُحَمَّدٍ إِيّانا

واختار هذا الوجه ثعلب والزجاج، وعلى هذا يجعل (ما) اسماً تاماً، وينصب بعوضة بنصبها.

الثالث: أجازه الكوفيون، وهو النصب على إسقاط الخافض، كأنه قيل: ما من بعوضة فما فوقها».

ومنه قوله: «(أو) قيل: معناه الواو، وهو واو العطف، تقديره: (مثله كمثل الذي استوقد نارا وكَصَيِّبٍ)، قال توبة:

وقد زعمت ليلى بأني فاجر   لنفسي تقاها أو عليها فجورها

يعني وعليها.

وقال جرير:

نال الخلافة أو كانت له قدراً   كما أتى ربه موسى على قدر

أي: وكانت عن الفراء والكوفيين.

والبصريون ينكرون ذلك، ويقولون: (أو) على أربعة أوجه: الشك، كقولهم: أتاك رجل أو امرأة، والثاني: تخيير، كقولهم: كل السمك أو اشرب اللبن، الثالث: الإباحة، كقولهم: جالس الحسن أو ابن سيرين. والرابع: لأحد الشيئين على الإيهام، كقوله: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات:١٤٧] ويقولون: رأيت زيداً أو عمراً، يريد أن يوهم على السامع أيهما لقي، وأصله الدلالة على أحد الشيئين، كأنه قيل: إن شبهتهم بالمستوقد فهو شبههم، وإن شبهتهم بالصيب فهو شبههم، وإن شبهتهم بهما فهو مثلهم، ولو كان (أو) بمعنى الواو لكان لا يشبه إلا بهما، والاثنان يخرجان على الإيهام الذي ذكرناه».

ومن تدخله للفصل بين المختلفين ، وترجيح أحد الرأيين: قوله: «اختلفوا في موضع الكاف في (إياك) قال الأخفش: لا موضع لها، وهي كلمة واحدة... وقال الخليل: موضع الكاف خفض، وروي عن العرب: (إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيا الشواب) قال ابن السراج: هذا شاذ في القياس، والقول ما قال الأخفش».

ومن مواطن استخدامه أسلوب التعليل قوله:

«ويقال: لِمَ جَزَمَ (لم) الفعلَ؟

قلنا: لأنها نقلته إلى الماضي، فأخرجته من الإعراب، الذي تكون للاسم لما باعدته عنه، فأما (أن) فتنصب الفعل؛ لأنها أشبهت (إن) الشديدة في عوامل الاسم من حيث كانت مع ما بعدها بمنزلة المصدر، فأما (لن) وأخواتها فمشبهة بـ(أن)؛ لأنها تنقل الفعل إلى الاستقبال على الحد الذي يكون عليه الاسم، وليس كـ(إن) التي للجزاء؛ لأن الجزاء لا يكون إلا

بالفعل، فجزم لما دخله معنى لا يكون من الاسم، كما جزم حرف النهي لما كان لا يصح إلا بالفعل».

النظم:

جاء علم النظم عند الجشمي في الترتيب الرابع بين علوم القرآن الثمانية الأكثر أهمية، حيث قال: «وعلوم القرآن كثيرة، مدارها على ثمانية: أولها: القراءة ووجوهها....ورابعها: النظم، فإن القرآن على ما هو عليه من السور والآيات اتصل بعضها ببعض، كذلك أنزل، وفي كل ذلك غرض وفائدة». وهو يسميه علم النظم ؛ ولكنه لا يقصد بالنظم ما قصده الإمام عبد القاهر في نظرية النظم؛ وإنما يعني به (علم المناسبات)، وهو علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن وسوره، «وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال، وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها؛ فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو« (السيوطي أسرار ترتيب القرآن ص٥). وهو علم شريف المنزلة جليل القدر، نبه إلى أهميته عدد من العلماء من أبرزهم الفخر الرازي حيث قال: «أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط» (مفاتيح الغيب). وقال السيوطي عنه :«علم المناسبة علم شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته».

والظاهر أن الحاكم كان ملما بهذا العلم معتنيا به في تفسيره ، فقد كثرت مواضعه في كتابه ، ولا غرو؛ فقد جعله العلم الرابع في ترتيب العلوم القرآن عنده.ولذلك ما إن بدأ في تفسير سورة الفاتحة حتى عرج عليه مبينا علاقة افتتاح السورة بالحمد بباقي السورة ؛ حيث قال: «قيل: كل ما في هذه السورة مرتبط بالحمد، والتسمية الاستفتاح له، كأنه لما أراد أن يبتدئ بالحمد ابتدأ بالتسمية، ثم حمد اللّٰه؛ لأنه رب العالمين، تجب طاعته في الحمد، وهو الرحمن الرحيم، فيجب له الحمد، وملك يوم الدين ليجازي على الحمد، وإياك نعبد بهذا الحمد، وبك نستعين على القيام بالحمد، ونسألك أن تثبتنا على طريق الحمد، فإنه صراط الذين أنعمت عليهم بأن أدوا ما يجب لك من الحمد، غير المغضوب عليهم لتركهم الحمد، ولا الضالين لإعراضهم عن الحمد. وقيل: نظمه أن الحمد لله لأنه رب الخلق خلقهم، والرحمن يرزقهم، والرحيم غافرهم يوم القيامة؛ لأنه مالك ذلك اليوم، ومن كان بهذه الصفة

تجب عبادته، فإياك نعبد، ومنه نطلب المعونة، وإياك نستعين في جميع أمورنا، ومن أهم أمورنا أن تعيننا على الثبات على طريق الحق الذي هو طريق الأنبياء، لا طريق الكفار».

وما مضى غير قليل في سورة البقرة حتى طفق يربط بين آياتها ويوضح العلائق بين فقرها، حيث قال: «ابتدأ اللّٰه تعالى بذكر الكتاب، وبين من آمن به، ثم عقب بذكر من كفر به، ثم ثلث ببيان من نافق فيه، وهذا من أحسن الترتيب».

ولم يكد يبدأ الربع الثاني من سورة البقرة حتى وضح العلائق بين قوله تعالى: ﴿إن اللّٰه لا يستحيي أن يضرب مثلا ما﴾ فقال:

«يقال: كيف تتصل هذه الآية بما قبلها في ذكر المثل؟

قلنا: على ما روينا عن ابن عباس (رضي اللّٰه عنه) وابن مسعود تتصل بما قبلها في ذكر المثل، وعلى ما روينا عن الحسن في سبب نزولها، كأنه لما ذكر القرآن وتحداهم به، وأنه كلام اللّٰه تعالى، وذكر فيه فصاحته، واحتج عليهم به، وكان ذكر هذه الأمثال فيه شبهة لهم في ذلك، فذكر جوابها منبهاً أنه لا عيب فيه؛ لأنه طريق البيان والاحتجاج، فيستوي الصغير والكبير».

وطريقته في عرض ذلك متنوعة؛ فتارة يبدأ مباشرة في إيضاح المناسبة، كما في المثال الأول، وتارة يفترض سؤالا ويجيب عنه كما في المثال الثاني، وكما في قوله:

«يقال: كيف يتصل ذكر العهد بما قبله؟

قلنا: فيه قولان:

أحدهما: أن يكون على قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ الآية، فلما ذكر الميثاق ذكر النقض.

الثاني: على أنهم كفروا بنقض العهد، كما كفروا بالآيات».

وفي كثير من الأحيان يذكر في الأمر أكثر من وجه، كما في الكلام السابق، وكما ورد في تعليقه على قوله تعالى: «تلك أمة قد خلت»، حيث قال:

«لما حاج اللّٰه تعالى اليهود في هؤلاء الأنبياء عقبه بهذه الآية لوجوه:

منها: وعظاً لهم وزجراً حتى لا يتكلوا على فضل الآباء، فكل واحد يؤخذ بعمله.

ومنها: أنه بيّن أنه متى لم يستنكر أن يكون فرضكم غير فرضهم، لاختلاف المصالح لم يستنكر أن تختلف المصالح، فينقلكم محمد ﷺ من ملة إلى ملة.

ومنها: أنه لما ذكر حسن طريقتهم بين أن الحجاج لا يتم بذلك، بل كل إنسان مسؤول عن عمله، فلا عذر في ترك الحق، بأن يوهم أنه يتمسك بطريقة من تقدم؛ لأنهم أصابوا وأخطأوا، ولا ينفع هؤلاء ولا يضرهم، لئلا يتوهم أحد أن طريقة الدين التقليد».

وعادته ألا يذكر صاحب الرأي ؛ وإنما يستخدم صيغة (قيل)، كما في جل الأمثلة الفارطة، ومن ذلك تعليقه على قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾ بقوله:

«قيل: اتصاله بما قبله أنه عد النعم والحجج، فبدأ بذكر خلق الإنسان وحياته! ثم بخلق جميع ما في الأرض، ثم بخلق السماوات، ثم بخلق آدم وإسباغ نعمه على بنيه، فكأنه قال: اذكر لهم كيف تكفرون بالله، وقد فعل وأنعم بكذا وكذا. وقيل: احتج عليهم بالتوحيد فجمع الأدلة في الأرض والسماوات. ثم عقبه بالأدلة في ابتداء الخلق وذكر آدم عليه السلام.

وقيل: لما [ذكر كفرهم] وعصيانهم أتى بقصة آدم وظن إبليس فيهم ما ظن محذراً من تصديق ظنه وأتباعه مع ظهور عداوته».

المعاني: أهم مصدرين من المصادر المبكرة اعتمد عليهما هما معاني القرآن للفراء ومعاني القران للزجاج ومن ثم ضمن تفاسير المعتزلة المبكرة نحو أبي بكر الأصم، أبي علي الجبائي، وعلي بن عيسى الرماني، وأبي القاسم البلخي، وأبي مسلم محمد بن بحر الأصفهاني. كما أنه اقتبس من المؤلفات الاعتزالية الأخرى آراء العلماء البصرية والبغدادية التي يرجع إليها في قضايا الدلالة والأحكام وإن كان يختص علماء البهشمية. وأما آراء العلماء الآخرين ففي ظني كان جُلُّ اعتماده على الطبري وإن كان لا يشير إليه إلا إذا كانت لديه مصادر بين يدية غير موجودة لدينا في التفسير بالرواية، أما آراؤه في التفسير بالمأثور فلا أعتقد أن الحاكم اعتمد فيها على مصادر أولية كتفسير ابن عباس أو قتادة أو نحوهما، ذلك أن هذه المصادر الأولية لم تكن موجودة، وإنما دونت هذه الروايات في مرويات ومدونات في تفسير بعض الآيات، ومن ثم ضُمَّت تلك التفاسير مع بدء كتب تأويل القرآن خلال القرن ٣هـ/ ٩م.

الأحكام فإذا ما كانت القضية عقدية فهو يميز رأيه بين الاعتزال وغيره من المذاهب فهو ملتزم بمدرسة البصرة البهشمية، ويميّز بين آراء المعتزلة وأهمها في التمييز بين رأسي المدرستين البصرية الجبائي والبغدادية البلخي، ولكنه متحفظ ومتشدد في الرد على قول النظام والجاحظ بأن المعارف ضرورية لكونها مكتسبة في وجهة نظره، وكذلك ضد المدرسة الأخشيدية من المعتزلة، وأما إذا كانت القضية فقهية فهو يميزها بذكر المذهب، وبالأخص بين الأحناف والشافعية، ومن ثم الزيدية، بالإشارة إلى قول الإمام الهادي عليه السلام وأحيانا يشير إلى المالكية، وقلما يتطرق إلى ذكر الأسماء إلا إذا كانت اجتهادات فردية.

(ر)

وفي الختام أود أن أبدي سؤالا هل الحاكم الجشمي هو من قنن علوم القرآن وهي الثمانية الأقسام المذكورة آنفا، ونحن نعلم أن علوم القران موجودة قبل الجشمي كالطبري ونحوه لكن أقصد أن هذه الأقسام لا تزال تمثل المستقر عليه بين علماء التفسير بمفهوم «علوم القرآن»، وثانيا أود أن أشير إلى ما أثاره د. عدنان زرزور عن تأثر الزمخشري بالحاكم في تفسيره بل زايد في الأمر إلى التكثير من اقتباسات الزمخشري من الحاكم، وهذا الرأي أثر على من جاء بعده واستندوا إليه. وكما يذكر الأستاذ زرزور بأن الشيخ محمد أبا زهرة رفض تلك المقولة لكونها إنقاصاً في حق الزمخشري من جهة كما أن الشيخ ابو زهرة عرف عنه بحسب ما ذكر لي تلامذته ومحبيه أنه كان يكره التعميم والآراء المطلقة لمجرد استيضاحات يندهش بها القارئ ما لم تأخذ وقتا في التمعن، وأنا أجد نفسي تابعاً لقول الشيخ أبي زهرة وذلك من أوجه عدة:

١. لا ينكر أحد أثر السابق على اللاحق، فالحاكم تأثر بمن قبله وأثر فيمن جاء بعده بيد أن المنهجين مختلفان كلياً، فالحاكم وإن أعتمد في تفسيره على مباحث علوم القرآن، فإن منطلقه الكلامي هو التأسيس الذي بنى عليه تفسيره، بينما الزمخشري تأسيسه بلاغي وأعطى أولوية لفهم البلاغة القرآنية، فهو يتطرق للقضايا الكلامية لماماً، بل إن الزمخشري نفسه لم يعثر له على مصنف في علم الكلام مستقل إلا رسالة موجزة. وبالمقارنة بين الزمخشري والحاكم لا يوجد تأثر بينهما في نظرية النّظم ولا في المنهج ولا في الاهتمام ببعض المباحث، إنما التداخل الأسلوبي أحياناً كان القاسم المشترك بينهما وهو كيفية الاستناد إلى الأدلة الكلامية وجلّها مستقاة ممن سبق في المدرسة البهشمية، بل المصدر المهم لكل تفاسير الاعتزالية هو تفسير أبي علي الجبائي.

٢. المنهج المختط الذي اتبعه كلا الشخصين مختلف. فالحاكم تفسيره على النمط الموسوعي، بينما اختط الزمخشري منهج الاختصار في إبداء وجهة نظره الخاصة دون التطرق إلى الأقوال الأخرى، إلا بحسب مقتضى الحال، وهذا المنهج هو الذي أثر في من بعده من المفسرين كابن كثير والبيضاوي وأبي السعود وغيره كلٌّ بحسب تأسيسه وعقيدته وفكره بينما أثر الحاكم في المنهج على الطبرسي والطوسي.

٣. عادة في تاريخ العلوم ليس المبتكر للفكرة هو من يحكم على كنهها وصيرورتها بل من يسهم في تحولها إلى عمل مؤسس وممنهج يعمل ويبني عليه من يأتي بعده، ولذا كلاهما له تجربةٌ خاصة في التصنيف، فالزمخشري له أدلته الكلامية واستند إليها من مصنفات القاضي عبد الجبار الهمداني، ومن الجانب الآخر استفاد من المدرسة الأشعرية ومن الأطروحة البلاغية لدى عبدالقاهر الجرجاني في عمليه «أسرار البلاغة» و«دلائل الإعجاز»، ومن المهم الإشارة إلى أن الجرجاني ما ذكر مصطلح «علم المعاني» مطلقاً في مؤلفاته إلا إذا نسب له من نافلة القول «علم البيان» إنما كان زيادة من صنيع المحققين للكتاب، إنما ظهر لأول مرة في تفسير الكشاف للزمخشري مصطلح علم المعاني مقترناً بعلم البيان. ومن ثم فصله السكاكي في كتابه مفتاح العلوم التي أصبح جزؤها المخصص للبلاغة قاعدة لكل التطورات اللاحقة.

٤. هنالك تمايز في علم الكلام بين الحاكم الجشمي والزمخشري الحاكم الجشمي ظل متمسكاً في علم الكلام بالنضج التقليدي بالرغم أن كلاهما من المدرسة البهشمية الاعتزالية إلا أن للمدرسة البهشمية على خطى قاضي القضاة عبد الجبار الهمداني بينما تأثر الزمخشري بأستاذه ابن الملاحمي بمدرسة أبي الحسين البصري والتي انشقت عن التيار العام للمدرسة البهشمية. ولذا لا نجد ذكراً للحاكم الجشمي في تفسير الكشاف للزمخشري.

(ز)

ملاحظات:

ـ : نقص في النسخة

+: زيادة في النسخة

[ ]: سقط وإتمام النص من المحقق.

أـ استعنت بالنص القرآني برواية حفص عن عاصم لكونه مطبوعاً وجلّ المصاحف المطبوعة بقراءة حفص عن عاصم، بيد أن جل المخطوطات القديمة للنص تستخدم رواية قالون عن نافع لكونها القراءة الأكثر شيوعاً عند الزيدية وأهل اليمن مطلقا وعند المعتزلة غالباً.

ب ـ في تخريج النص الشعري أشرت إلى المعاجم أولا ومن ثم الدواوين للشعراء، لكون المعاجم في ظني أكثر ضبطا للبيت وعليها المستند.

ج ـ استعنت بكتب التفسير لضبط النص في السقط أو التحريف من مجمع البيان للطبرسي والتبيان للطوسي، وفي الروايات استندت إلى الطبري وفي الأحكام تتناثر الآراء بين التفسير الكبير للفخر الرازي والكشاف للزمخشري .

د ـ تفيد المخطوطات في دراستها تطور الخط والإملاء العربي ولكن ليس هذا شأننا، وعندما تم تصحيح بعض الكلمات تم تغيرها مباشرة نحو:

١ ـ هاهنا: ههنا.

٢ ـ عن ماذا: عماذا.

٣ ـ أن لا: ألا

٤ ـ يـــ : ئـــ

وآخر دعوانا «أن الحمد لله رب العالمين»

عبدالرحمن بن سليمان بن محمد السالمي

ولاية بدية - سلطنة عمان

جدول يبين رموز النسخ

اسم النسخة	الرمز
اسطنبول	ط
ألمانيا	م
التراث العمانية	ع
الجامع الكبير	ج
دبلن	ب
الديلمي	د
السيدة بنت المحسن	ت
الضوء	ض
العنثري	ث
العنيزة	ز
الغالبي	غ
الفاتيكان	ف
الكحلاني	ك
لايدن	ل
المؤيد	ي
ميلانو	ن
الهاشمي	ش
الوزير	و

جدول يبين عدد السور الموجودة في كل النسخ
في تفسير التهذيب للحاكم الجشمي المتوفى سنة (493هـ)

مسلسل	اسم السورة	النسخ المتوفرة	أسماء النسخ	رموز النسخ
١	الفاتحة	٤	لايدن + الوزير + العنيزة + الفاتيكان	د، و، ز، ف
٢	البقرة	٥	لايدن + الوزير + الجامع الكبير، العنيزة + الفاتيكان	د، و، ج، ز، ف
٣	آل عمران	٧	الديلمي + اسطنبول + الكحلاني + الجامع الكبير + المؤيدي + العنتري + ميلانو	د، ط، ك، ج، ي، ث، ن
٤	النساء	٨	الديلمي + الهاشمي + اسطنبول + الكحلاني + الغالبي + المؤيدي + العنتري + ميلانو	د، ش، ط، ك، و، ي، ث، ن
٥	المائدة	٥	الديلمي + الهاشمي + الكحلاني + الوزير + الغالبي	د، ش، ك، و، غ، ن
٦	الأنعام	٥	الديلمي + الهاشمي + الكحلاني + الوزير + الغالبي + ميلانو	د، ش، ك، ض، و، غ، ن
٧	الأعراف	٦	الديلمي + الكحلاني + الضوء + الوزير + الفاتيكان + ميلانو	د، ك، ض، و، ف، ن
٨	الانفال	٤	الديلمي + الضوء + الفاتيكان + ميلانو	د، ض، ف، ن
٩	التوبة	٤	الديلمي + الضوء + الفاتيكان + ميلانو	د، ض، ف، ن
١٠	يونس	٦	الديلمي + الهاشمي + الضوء + التراث + الفاتيكان + ميلانو	د، ش، ض، ع، ف، ن
١١	هود	٦	الديلمي + الهاشمي + الضوء + التراث + الفاتيكان + ميلانو	د، ش، ض، ع، ف، ن

١٢	يوسف	٥	الديلمي + الهاشمي + الضوء + التراث + الفاتيكان	د، ش، ض،ع، ف
١٣	الرعد	٥	الديلمي + الهاشمي + الضوء + التراث + الفاتيكان	د، ش، ض،ع، ف
١٤	إبراهيم	٦	الديلمي + الهاشمي + الضوء + الوزير + التراث + الفاتيكان	د، ش، ض، و،ع، ف
١٥	الحجر	٤	الديلمي + الضوء + الوزير + الفاتيكان	د، ش، و، ف
١٦	النحل	٤	الديلمي + الضوء + الوزير + الفاتيكان	د، ض، و، ف
١٧	الإسراء	٧	الديلمي + لايدن + الضوء + الوزير + ميونخ + العنيزة + الفاتيكان	د، ل، ض، و، م، ز، ف
١٨	الكهف	٦	الديلمي + لايدن + الضوء + الوزير + ميونخ + العنيزة	د، ل، ض، و، م، ز
١٩	مريم	٧	الضوء + الوزير + الهاشمي + مجد الدين + لايدن + ميونخ + العنيزة	ش، ل، ي، ض، و، م، ز
٢٠	طه	٧	الضوء + الوزير + الهاشمي + مجد الدين + لايدن + ميونخ + العنيزة	ش، ل، ي، ض، و، م، ز
٢١	الأنبياء	٨	الديلمي + الضوء + الوزير + الهاشمي + مجد الدين + لايدن + ميونخ + العنيزة	د، ش، ل، ي، ض، و، م، ز
٢٢	الحج	٨	الديلمي + الضوء + الوزير + الهاشمي + مجد الدين + لايدن + ميونخ + العنيزة	د، ش، ل، ي، ض، و، م، ز
٢٣	المؤمنون	٨	الديلمي + الضوء + الوزير + الهاشمي + مجد الدين + لايدن + ميونخ + العنيزة	د، ش، ل، ي، ض، و، م، ز

٢٤	النور	٨	الديلمي + الضوء + الوزير + الهاشمي + مجد الدين + لايدن + ميونخ + العنيزة	د، ش، ل، ي، ض، و، م، ز
٢٥	الفرقان	٩	الديلمي + الضوء + الوزير + الهاشمي + مجد الدين + لايدن + ميونخ + ميلانو + العنيزة	د، ش، ل، ي، ض، و، م، ن، ز
٢٦	الشعراء	٣	الديلمي + الهاشمي + ميلانو	د، ش، ن
٢٧	النمل	٣	الديلمي + الهاشمي + ميلانو	د، ش، ن
٢٨	القصص	٣	الديلمي + الهاشمي + ميلانو	د، ش، ن
٢٩	العنكبوت	٣	الديلمي + الهاشمي + ميلانو	د، ش، ن
٣٠	الروم	٣	الديلمي + الهاشمي + ميلانو	د، ش، ن
٣١	لقمان	٣	الديلمي + الهاشمي + ميلانو	د، ش، ن
٣٢	السجدة	٣	الديلمي + الهاشمي + ميلانو	د، ش، ن
٣٣	الأحزاب	٣	الديلمي + الهاشمي + ميلانو	د، ش، ن
٣٤	سبأ	٣	الديلمي + الهاشمي + ميلانو	د، ش، ن
٣٥	فاطر	٣	الديلمي + الهاشمي + ميلانو	د، ش، ن
٣٦	يس	٣	الديلمي + الهاشمي + ميلانو	د، ش، ن
٣٧	الصافات	٣	الديلمي + الهاشمي + ميلانو	د، ش، ن
٣٨	ص	٤	الديلمي + ميلانو + السيدة بنت المحسن + دبلن	د، ن، ت، ب
٣٩	الزمر	٤	الديلمي + ميلانو + السيدة بنت المحسن+ دبلن	د، ن، ت، ب
٤٠	غافر	٤	الديلمي + ميلانو + السيدة بنت المحسن+ دبلن	د، ن، ت، ب

٤١	فصلت	٥	السيدة بنت المحسن + الديلمي + ميلانو + الفاتيكان+ دبلن	ت، د، ن، ف، ب
٤٢	الشورى	٥	السيدة بنت المحسن + الديلمي + ميلانو + الفاتيكان+ دبلن	ت، د، ن، ف، ب
٤٣	الزخرف	٦	السيدة بنت المحسن + الديلمي + العنشري + ميلانو + الفاتيكان+ دبلن	ت، د، ث، ن، ف، ب
٤٤	الدخان	٦	السيدة بنت المحسن + الديلمي + العنشري + ميلانو + الفاتيكان+ دبلن	ت، د، ث، ن، ف، ب
٤٥	الجاثية	٧	السيدة بنت المحسن + الديلمي + العنشري + الوزير + ميلانو + الفاتيكان+ دبلن	ت، د، ث، و، ن، ف، ب
٤٦	الأحقاف	٦	السيدة بنت المحسن + الديلمي + العنشري + ميلانو + الفاتيكان+ دبلن	ت، د، ث، ن، ف، ب
٤٧	محمد	٦	السيدة بنت المحسن + الديلمي + العنشري + ميلانو + الفاتيكان+ دبلن	ت، د، ث، ن، ف، ب
٤٨	الفتح	٦	بنت المحسن + الديلمي + الوزير + العنشري + الفاتيكان+ دبلن	ت، د، ث، ن، ف، ب
٤٩	الحجرات	٤	الديلمي + الفاتيكان + العنشري + الوزير	د، ث، ف، و
٥٠	ق	٣	الديلمي + الفاتيكان + العنشري	د، ث، ف
٥١	الذاريات	٤	الديلمي + الفاتيكان + العنشري + الوزير	د، ث، ف، و
٥٢	الطور	٤	الديلمي + الفاتيكان + العنشري + الوزير	د، ث، ف، و
٥٣	النجم	٤	الديلمي + الفاتيكان + العنشري + الوزير	د، ث، ف، و

٥٤	القمر	٤	الديلمي + الفاتيكان + العشري + الوزير	د، ث، ف، و
٥٥	الرحمن	٤	الديلمي + الفاتيكان + العشري + الوزير	د، ث، ف، و
٥٦	الواقعة	٤	الديلمي + الفاتيكان + العشري + الوزير	د، ث، ف، و
٥٧	الحديد	٤	الديلمي + الفاتيكان + العشري + الوزير	د، ث، ف، و
٥٨	المجادلة	٤	الديلمي + الفاتيكان + العشري + الوزير	د، ث، ف، و
٥٩	الحشر	٥	الديلمي + الفاتيكان + العشري + الوزير + الجامع الكبير	د، ث، ف، و، ج
٦٠	الممتحنة	٤	الديلمي + العشري + الفاتيكان + الجامع الكبير	د، ث، ف، ج
٦١	الصف	٤	الديلمي + العشري + الفاتيكان + الجامع الكبير	د، ث، ف، ج
٦٢	الجمعة	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
٦٣	المنافقون	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
٦٤	التغابن	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
٦٥	الطلاق	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
٦٦	التحريم	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
٦٧	الملك	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
٦٨	القلم	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
٦٩	الحاقة	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
٧٠	المعارج	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج

٧١	نوح	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
٧٢	الجن	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
٧٣	المزمل	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
٧٤	المدثر	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
٧٥	القيامة	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
٧٦	الإنسان	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
٧٧	المرسلات	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
٧٨	النبأ	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
٧٩	النازعات	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
٨٠	عبس	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
٨١	التكوير	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
٨٢	الانفطار	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
٨٣	المطففين	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
٨٤	الانشقاق	١	الجامع الكبير	ج
٨٥	البروج	١	الجامع الكبير	ج
٨٦	الطارق	١	الجامع الكبير	ج
٨٧	الأعلى	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
٨٨	الغ، جاشية	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
٨٩	الفجر	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
٩٠	البلد	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
٩١	الشمس	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
٩٢	الليل	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج

٩٣	الضحى	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
٩٤	الشرح	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
٩٥	التين	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
٩٦	العلق	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
٩٧	القدر	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
٩٨	البينة	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
٩٩	الزلزلة	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
١٠٠	العاديات	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
١٠١	القارعة	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
١٠٢	التكاثر	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
١٠٣	العصر	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
١٠٤	الهمزة	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
١٠٥	الفيل	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
١٠٦	قريش	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
١٠٧	الماعون	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
١٠٨	الكوثر	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
١٠٩	الكافرون	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
١١٠	النصر	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
١١١	المسد	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
١١٢	الإخلاص	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
١١٣	الفلق	٢	الغالبي + الجامع الكبير	غ، ج
١١٤	الناس	١	الجامع الكبير	ج

جدول يبين السور الموجودة في كل النسخ

السورة	مكتبة الديلمي	مكتبة الهاشمي	مكتبة اسطنبول	مكتبة لايدن	مكتبة الكحلاني	مكتبة الجامع الكبير	مكتبة مجد الدين	مكتبة العشري	مكتبة السيدة بنت المحسن	مكتبة الضوء	مكتبة الوزير	مكتبة الغالي	مكتبة مونخ	مكتبة الفاتيكان	مكتبة ميلانو	مكتبة الدراسات العمانية	مكتبة العيزة	مكتبة دبلن
الفاتحة				X							X			X			X	
البقرة				X		X					X			X			X	
آل عمران	X		X		X	X	X	X							X			
النساء	X	X	X		X		X	X				X			X			
المائدة	X	X			X						X	X						
الأنعام	X	X			X						X	X			X			
الأعراف	X				X					X	X			X	X			
الأنفال	X									X				X	X			
التوبة	X									X				X	X			
يونس	X	X								X				X	X	X		
هود	X	X								X				X	X	X		
يوسف	X	X								X				X		X		
الرعد	X	X								X				X		X		
إبراهيم	X	X								X	X			X		X		
الحجر	X									X	X			X				
النحل	X									X	X			X				
الإسراء	X			X						X	X		X	X			X	
الكهف	X			X						X	X		X				X	
مريم		X		X			X			X	X		X				X	
طه		X		X			X				X		X				X	
الأنبياء	X	X		X			X				X		X				X	
الحج	X	X		X			X				X		X				X	
المؤمنون	X	X		X			X				X		X				X	
النور	X	X		X			X				X		X				X	
الفرقان	X	X		X			X				X		X		X		X	

الشعراء	X	X													X			
النمل	X	X													X			
القصص	X	X													X			
العنكبوت	X	X													X			
الروم	X	X													X			
لقمان	X	X													X			
السجدة	X	X													X			
الأحزاب	X	X													X			
سبأ	X	X													X			
فاطر	X	X													X			
يس	X	X													X			
الصافات	X	X													X			
ص	X								X						X			X
الزمر	X								X						X			X
غافر	X								X					X	X			X
فصلت	X								X					X	X			X
الشورى	X								X					X	X			X
الزخرف	X							X	X					X	X			X
الدخان	X							X	X					X	X			X
الجاثية	X							X	X		X			X	X			X
الأحقاف	X							X	X					X	X			X
محمد	X							X	X					X	X			X
الفتح	X							X	X		X			X	X			X
الحجرات	X							X			X			X				
ق	X							X						X				
الذاريات	X							X						X				
الطور	X							X						X				
النجم	X							X						X				
القمر	X							X						X				
الرحمن	X							X			X			X				

الواقعة	X							X			X			X				
الحديد	X							X						X				
المجادلة	X							X						X				
الحشر	X					X		X			X			X				
الممتحنة	X					X		X						X				
الصف	X					X		X						X				
الجمعة						X						X						
المنافقون						X						X						
التغابن						X						X						
الطلاق						X						X						
التحريم						X						X						
الملك						X						X						
القلم						X						X						
الحاقة						X						X						
المعارج						X						X						
نوح						X						X						
الجن						X						X						
المزمل						X						X						
المدثر						X						X						
القيامة						X						X						
الإنسان						X						X						
المرسلات						X						X						
النبأ						X						X						
النازعات						X						X						
عبس						X						❋						
التكوير						X						X						
الانفطار						X						X						
المطففين						X						X						
الانشقاق						X						❋						
البروج						X						❋						

الطارق						X						*						
الأعلى						X						X						
الغاشية						X						X						
الفجر						X						X						
البلد						X						X						
الشمس						X						X						
الليل						X						X						
الضحى						X						X						
الشرح						X						X						
التين						X						X						
العلق						X						X						
القدر						X						X						
البينة						X						X						
الزلزلة						X						X						
العادية						X						X						
القارعة						X						X						
التكاثر						X						X						
العصر						X						X						
الهمزة						X						X						
الفيل						X						X						
قريش						X						X						
الماعون						X						X						
الكوثر						X						X						
الكافرون						X						X						
النصر						X						X						
المسد						X						X						
الإخلاص						X						X						
الفلق						X						X						
الناس						X						–						

المخطوطات

اسم المكتبة	محمد مطهر الكحلاني، اليمن.
رقمه في المكتبة	٧٦. نمرة عامة: ٣٧، نمرة خاصة: ٣٧.
رمز المخطوط	(ك)
سور المخطوطة	سورة النساء من الآية ١٠٣ إلى الآية ١٣ من سورة الأعراف.
نوع الخط ولونه	نسخي ممتاز
عدد الأسطر	٢٤
رقم أول صفحة	٥٠٧
رقم آخر صفحة	٧٧٠
المسطرة	١٢ـ١٦
مقاس المخطوط	١٩×١٣
أول المخطوط	«بسم الله الرحمن الرحيم رب سهل بكرمك قوله تعالى: ﴿فإذا قضيتم الصلاة...﴾ [الآية ١٠٣ من سورة النساء]».
آخر المخطوط	تم المجلد الثالث من التفسير، ويتلوه المجلد الرابع قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ۝ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ...﴾... [سورة الأعراف الآية ١٤].
اسم الناسخ	أبو القاسم عبد الحكيم البعداني
تاريخ النسخ	يوم الثلاثاء من شهر ذي الحجة، آخر سنة ثلاث وسبعين وستمائة (١٢/ ٦٧٣هـ)
ملاحظات	جاء في غلاف هذا المخطوط ما لفظه: «قد تعين هذا المجلد للولد المبارك محمد بن المطهر الكحلاني بالقسمة الصحيحة بتاريخه شهر جماد الأولى سنة ١٣٧٧هـ الحسين بن علي الدولة...». نسخ برسم الفقيه الأجل العالم الورع الكامل أبي عبد الله محمد بن سبا بن أحمد بن يحيى بن أحمد... أجزل الله ثوابه وجعل الجنة مآبه. آمين آمين وصلى الله على رسوله محمد وآله وسلم».

من سورة النساء (الآية ١٠٣)
إلى سورة الأعراف (الآية ١٣٠)

المجلد الثالث من تسعة أجزاء

من التهذيب في التفسير

للإمام أبي سعد المحسن

بن كرامة الجشمي البيهقي

رحمه الله ورضوانه

وصلى الله على سيدنا محمد والمرسلين

من سورة النساء الآية (١٠٣)

فإذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلوة إن الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا

ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما

اسم المكتبة	الجامع الكبير، اليمن
رقمه في المكتبة	
رمز المخطوط	(ج)
سور المحظوظة	من الآية ١٧٤ من سورة البقرة إلى الآية ٩٩ من سورة آل عمران.
نوع الخط ولونه	نسخي جيد
عدد الأسطر	٢٧
مقاس المخطوط	
أول المخطوط	﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى...﴾ الآية [١٧٤ من سورة البقرة].
آخر المخطوط	أنا عليم بفعلك غير غافل عنك. تم الجزء الثاني من التهذيب في التفسير بحمد الله ومنه. وكان الفراغ من نسخه ضحى يوم الأحد السادس من شهر ذي الحجة سنة أربع عشرة وسبعمائة [٧١٤هـ]. غفر الله لكاتبه ولوالديه، وصلى الله على رسوله سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.
اسم الناسخ	لا يوجد.
تاريخ النسخ	ضحى يوم الأحد السادس من شهر ذي الحجة سنة أربع عشرة وسبعمائة [٦/ ١٢/ ٧١٤هـ].
ملاحظات	





اسم المكتبة	الديلمي، اليمن
رقمه في المكتبة	
سور المخطوطة	من الآية ٣٤ من سورة يونس إلى الآية ٣٩ من سورة الإسراء
نوع الخط ولونه	نسخي جيد جدًا
عدد الأسطر	٢٤_٢٦
مقاس المخطوط	٢٤X١٧ سم
أول المخطوط	بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم. قوله تعالى: ﴿قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم...﴾ [سورة يونس الآية ٣٤]».
آخر المخطوط	...حتى يكسبه العبد فقالوا: لا فقلت: هل يكسبه العبد حتى يخلقه الله تعالى؟ فقالوا: لا. قلنا: فهذا هو الشرك تعالى الله عن قولهم علواً كبيرا. الحمد لله الذي بنعمته وإعانته تتم الأعمال والصالحات، وصلواته وسلامه على خاتم النبوات وآله الطيبين الطاهرين السادات».
اسم الناسخ	لا يوجد
تاريخ النسخ	ضحوة ليلة الأحد سابع وعشرين في شهر رمضان الكريم، من شهور أربع وخمسين وألف [٢٧/ ٩/ ١٠٥٤هـ]
ملاحظات	فرغ من رقم هذا المجلد الخامس من التهذيب في التفسير مما جمعه شيخ الإسلام أبي سعيد المحسن بن محمد بن كرامة الحاكم رضي الله عنه. مالكه أفقر عباد الله إليه وأحوجهم إليه علي بن محمد بن صلاح الجيوري المسوري غفر الله له ولوالديه آمين آمين، ضحوة ليلة الأحد سابع وعشرين في شهر رمضان الكريم من شهور أربع وخمسين وألف. وجاء أيضاً: الحمد لله وحده صار هذا المجلد ملك القاضي..العلامة شرف الإسلام الحسن بن محمد المأخذي...بالشراء وسلم بتاريخ شهر رمضان...صالح بن قاسم بن محسن المأخذي. وجاء في غلاف النسخة: الحمد لله في نوبة العبد الفقير إلى الله سبحانه محمد بن إسحاق لطف الله به.

اسم المكتبة	الديلمي، اليمن.
رقمه في المكتبة	
رمز المخطوط	(د)
سور المخطوطة	سورة آل عمران
نوع الخط ولونه	نسخي جيد.
عدد الأسطر	٢٠
مقاس المخطوط	٢٤ X ١٧ سم
أول المخطوط	بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم...السورة التي يذكر فيها آل عمران...» [بداية سورة آل عمران].
آخر المخطوط	تم المجلد الثاني من التفسير بحمد الله ومنه، والصلاة على محمد وآله. وكان الفراغ من نساخته يوم السبت في نصف المحرم الذي هو أول شهور سنة ست وثمانمائة».
اسم الناسخ	حسن أحمد بن يحيى بن حسن بن أحمد بن عثمان
تاريخ النسخ	السبت في نصف المحرم الذي هو أول شهور سنة ست وثمانمائة. [١٥/ ١/ ٨٠٦هـ]
ملاحظات	جاء في غلاف هذه المخطوطة ما لفظه: «بدأت في مطالعته وتصحيحه والله المستعان وهو نعم الوكيل شهر ٢٥ ربيع الآخر سنة١٣٩٣هـ، أحمد بن لطف الديلمي عفا الله عنهما. الحمد لله من فضل الله تعالى على عبده الفقير إلى عفوه وكرمه محمد بن إسحاق بن أمير المؤمنين. الحمد لله وحده في نوبة العبد الفقير إلى ربه بعفوه...زيد بن علي بن حسن الديلمي غفر الله له آمين، شراءه بواسطة الأخ الحاج العلامة أحمد بن علي الحجري.. الأشرعي السوداني هذا الجزء وإليه سبعة أجزاء وثمة نقص من مواضع يسر الله ذلك. وجاء أيضا: تم بحمد الله سبحانه مطالعة هذا السفر المبارك مع إصلاح وإيضاح، وصلى الله وسلم على محمد وأله الطاهرين، بتاريخه ٢ جماد الآخرة ١٣٩٣هـ، الموافق ليلة٢٣ يونيو ليلة السبت المباركة الساعة الرابعة غروبي، عشر ونصف زوالي». وجاء أيضاً ما لفظه: «الحمد لله وحده، قد انتهى مطالعة هذا السفر بحمد الله تعالى مع تصحيح بإثبات عن تظنين وكشط وإصلاح عن تأمل في ظرف عشرة أيام خلت من شهر جمادى الآخر من سنة١٣٢٦هـ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله، أعان الله على التمام، كتبه الحقير إلى ربه زيد بن علي بن حسن الديلمي حامداً شاكراً مصلياً مسلماً.

اسم المكتبة	الديلمي، اليمن.
رقمه في المكتبة	
سور المخطوطة	من الآية ١٢١ من سورة النساء إلى آخر سورة الحج.
عدد الأوراق	١٨٢ صفحة
نوع الخط ولونه	نسخي متوسط
عدد الأسطر	٣٢
مقاس المخطوط	٢٢×٣٢.
أول المخطوط	﴿أولئك مأوهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا...﴾.
آخر المخطوط	...جمع بين الركوع والسجود فكان أمراً بالصلاة. كان تمام نسخ هذا المختصر من التفسير صبح يوم السبت لعله ثاني شهر رمضان سنة١١٧٨هـ».
اسم الناسخ	لا يوجد.
تاريخ النسخ	صبح يوم السبت لعله ثاني شهر رمضان سنة١١٧٨هـ
ملاحظات	جاء في هامش الصفحة الأولى ما لفظه: «الحمد لله من هاهنا هو الذي قد يسر الله وجوده من النقص في نسختنا من تهذيب الحاكم رحمه الله، وثمة يسير من قبل هذا البحث يسره الله تعالى لتكميله من حد الموجود من النسخة وهو إلى آخر قوله تعالى: ﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة...﴾ الآية... إلخ، والنقص بينها في... هو إلى أوائل سورة يونس ﷺ. ووجود نقص وبياض.

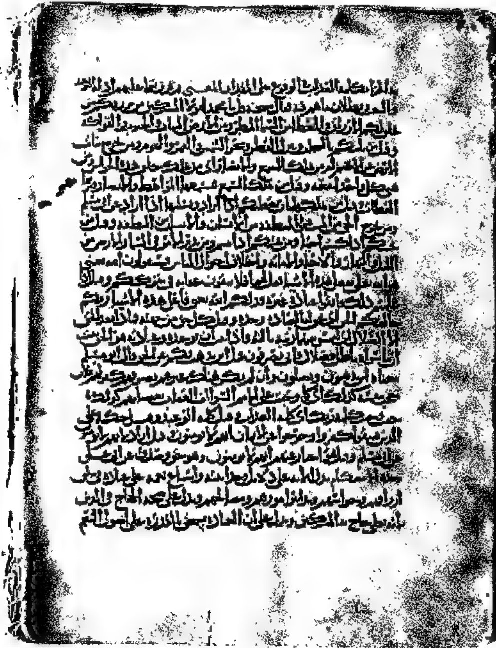
اسم المكتبة	الديلمي، اليمن.
رقمه في المكتبة	
سور المخطوطة	من سورة المؤمن إلى سورة الصف.
عدد الأوراق	٥٣٨ صفحة
نوع الخط ولونه	نسخي جيد.
عدد الأسطر	٢٤
مقاس المخطوط	١٤×٢٤ سم
أول المخطوط	﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه...﴾ [سورة غافر من الآية ٢٨]».
آخر المخطوط	ومنها أنه يجمع للمؤمنين بين النصرة والفتح والثواب الدائم، فيحصل لهم المسرة في الدارين، وفي ذلك حث على الطاعات. تم الكتاب والحمد لله وصلى الله على محمد وآله وسلم. فرغ من نساخته في شهر محرم...».
اسم الناسخ	لا يوجد
تاريخ النسخ	فرغ من نساخته في شهر محرم...
ملاحظات	هذا المجلد من ٢٨من سورة غافر إلى آخر سورة الصف. جاء في الصفحة التي قبل الغلاف ما لفظه: «الحمد لله وحده، ثم صار في نوبة العبد الفقير إلى الله الغني الراجي عفو ربه ورضوانه الحسن بن أحمد بن الحسين بن عبد الله... عفا الله عنهم جمعياً وسامحهم والمسلمين أجمعين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله،شهر محرم الحرام ١١٣٨هـ. وجاء أيضاً: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله في نوبة العبد الفقيرإلى الله الغني محمد بن إسحاق بن المهدي عفا الله عنه.

اسم المكتبة	الديلمي، اليمن.
رقمه في المكتبة	
سور المخطوطة	من الآية ١٧ من سورة الأعراف إلى الآية ١٦٤ من سورة الأنعام [هكذا معكوس]
عدد الأوراق	٣٤١ صفحة
نوع الخط ولونه	نسخي لا بأس به.
عدد الأسطر	٢٢_٢٤.
مقاس المخطوط	١٧X٢٥ سم
أول المخطوط	﴿قال اخرج منها مذءوماً مدحوراً...﴾ [الأعراف من الآية ١٧].
آخر المخطوط	...افتتح السور...على نعمه تعظيماً وختم بالمغفرة...» (ثم بعدها بياض)
اسم الناسخ	محمد بن علي بن حسن الديلمي
تاريخ النسخ	ثمانية أيام من شهر رجب الفرد ١٣٢٦ للهجرة
ملاحظات	هذه المخطوطة كثيرة السقط والبياض. جاء في الصفحة التي قبل الأولى ما لفظه: «الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله. هذا المجلد المبارك من التهذيب للحاكم في التفسير، وقع تحصيله في صعدة، وهو من مواضع بحسب ما وجد من الأجزاء مع تبيض ما قد ذهب منها لحفظ الموجود، والله يسر التصليح والتمام إن شاء الله من كتب سيدي الوالد القاضي العلامة عمدة المسلمين وعمادهم يحيى بن صالح السحولي أمتع الله بحياته، وبارك في أوقاته، بتاريخ شهر ربيع...سنة ١١٩٧هـ. جاء في هامش الصفحة الأخيرة ما لفظه: «بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين، تم ولله الحمد مطالعة هذا المجلد من تفسير الحاكم رحمه الله تعالى في ظرف ثمانية أيام من شهر رجب الفرد، أحد شهور سنة ست وعشرين وثلاثمائة وألف (١٣٢٦) هـجرية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم وعلى آله آمين، مع تصحيح وتظنين حسب الحال، كتبه الحقير زيد بن علي بن حسن الديلمي غفر الله تعالى لهم آمين.

وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع
بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم
فيما آتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه

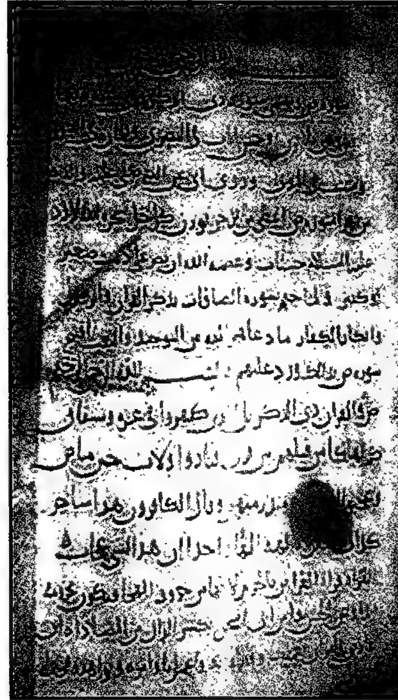
منها مذؤوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم
منكم أجمعين ويا آدم اسكن أنت
وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا
هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما وري

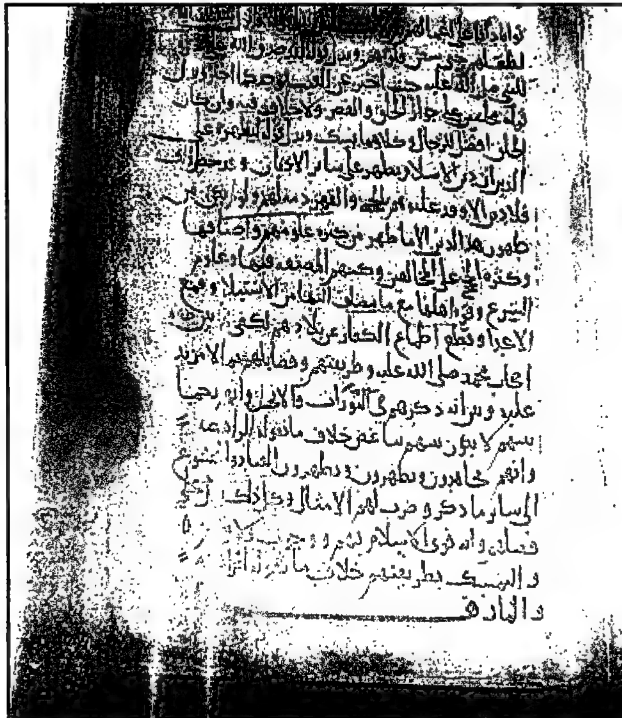
اسم المكتبة	الديلمي، اليمن.
رقمه في المكتبة	
سور المخطوطة	من الآية ٢٦ من سورة الأعراف إلى الآية ٣٣ من سورة يونس.
نوع الخط ولونه	نسخي جيد.
عدد الأسطر	٢٣
مقاس المخطوط	٢٠×٢٥
أول المخطوط	الجنة عن أبي صالح منها من السماء إلى الأرض بعضكم لبعض...[سورة الأعراف: ٢٦]».
آخر المخطوط	وتدل على أن العبادة تستحق بالقدرة على أصول النعم...».
اسم الناسخ	لا يوجد
تاريخ النسخ	لا يوجد





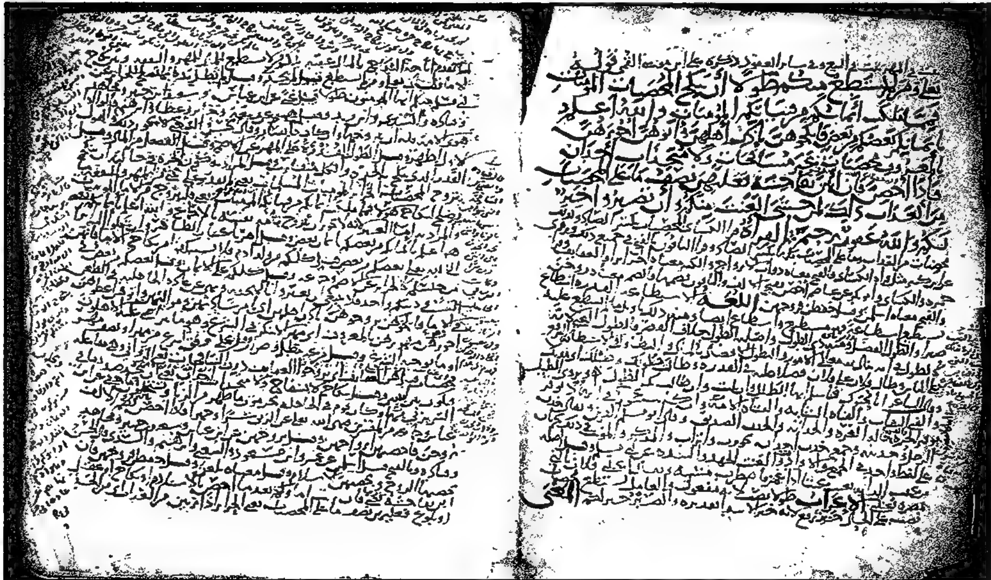
اسم المكتبة	السيدة بنت المحسن
رقمه في المكتبة	
سور المخطوطة	من سورة ص إلى سورة الفتح
نوع الخط ولونه	نسخي جيد.
عدد الأسطر	١٩
أول المخطوط	بسم اللّٰه الرحمن عونك اللّٰهم يا حي يا قيوم، سورة ص وتسمى سورة ذي الذكر وهي مكية...»
آخر المخطوط	والتمسك بطريقتهم خلاف ما تقوله المرجئة والمارقة»
اسم الناسخ	لا يوجد
تاريخ النسخ	لا يوجد
ملاحظات	جاء في الصفحة التي بعد الغلاف ما لفظه: «الحمد لله تميز هذا الكتاب لسيدتي الشريفة الطاهرة السيدة بنت المحسن بن أمير المؤمنين بتاريخ شهر جمادى الأولى سنة ١١٧١هـ. وجاء أيضاً: ثم صار إلى ملك المالك بالشراء الصحيح النافذ الصريح من البائع له، وكان ذلك بواسطة سعيد بن شرف الدين بن يحيى المؤيد... وقبض الثمن باطلاعه واستوفى في ملك...بن سعيد العمراني بتاريخه رمضان سنة ١٣١٣هـ كتبه محمد بن هادي... وجاء أيضاً: لحضرة الأستاذ الشيخ الفاضل الصديق محمد نصيف حفظه اللّٰه.





اسم المكتبة	آل الغالبي
رقمه في المكتبة	لا يوجد
سور المخطوطة	من الآية ٦ من سورة الجمعة إلى سورة الفلق...
نوع الخط ولونه	نسخي جيد.
عدد الأسطر	٢٤
مقاس المخطوط	٢٩X١٨ سم
أول المخطوط	من يشاء واللّه ذو الفضل العظيم مثل الذين حملوا التوارة كمثل الحمار يحمل أسفار...»
آخر المخطوط	فإن فعلت ذهب ملكي وخرجت على الروم...».
اسم الناسخ	لا يوجد
تاريخ النسخ	لا يوجد
ملاحظات	يوجد فيها نقص من السور كما أشرنا إليها سابقاً.

اسم المكتبة	مكتبة آل الغالبي، اليمن.
رقمه في المكتبة	لا يوجد
سور المخطوطة	من الآية ٢٥ من سورة النساء إلى الآية ١٠٤ من سورة الأنعام
نوع الخط ولونه	نسخي لا بأس به.
عدد الأسطر	٢٨
أول المخطوط	قوله تعالى: ﴿ومن لم يستطع منكم طولاً...﴾ [سورة النساء الآية ٢٥]...»
آخر المخطوط	...﴿قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه...﴾ [سورة الأنعام ١٠٤].
اسم الناسخ	لا يوجد.
تاريخ النسخ	لا يوجد.
ملاحظات	جاء في آخر الصفحة الأخيرة ما لفظه: «الساقط إلى آخر السورة بقية الثمن الثاني من ثمانية أجزاء من هذا التفسير النافع.



[illegible] ... ذلك ... [illegible] أن يحمل على الأ[illegible]
[illegible] ... لكان ... عامة [illegible]
[illegible] ... وهو مدرك [illegible]
[illegible] ... ما تقوله الملحدة [illegible] **قوله تعالى**

قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون

القراءة قرأ ابن كثير وأبو عمرو دارست بالألف ونصب التاء على معنى دارست أهل الكتاب [illegible] وقرأ أبو جعفر ونافع وعاصم [illegible] وحمزة والكسائي درست بغير ألف وفتح التاء على معنى تلوت وقرأت [illegible] وقرأ ابن عامر ويعقوب درست [illegible] وفتح السين وضم التاء على معنى [illegible] وروي [illegible] درست بضم الدال وكسر الراء [illegible] وسكون [illegible] [illegible]

اللغة التبصرة [illegible] والدلالة [illegible] [illegible] بصائر [illegible] [illegible] درس الكتاب [illegible] [illegible]

الإعراب موضع الكاف [illegible] [illegible] وكذلك نصرف [illegible] لأن المعنى نصرف الآيات في غير هذه السورة [illegible] مثل [illegible] في هذه السورة فهي في موضع نصب المصدر [illegible]

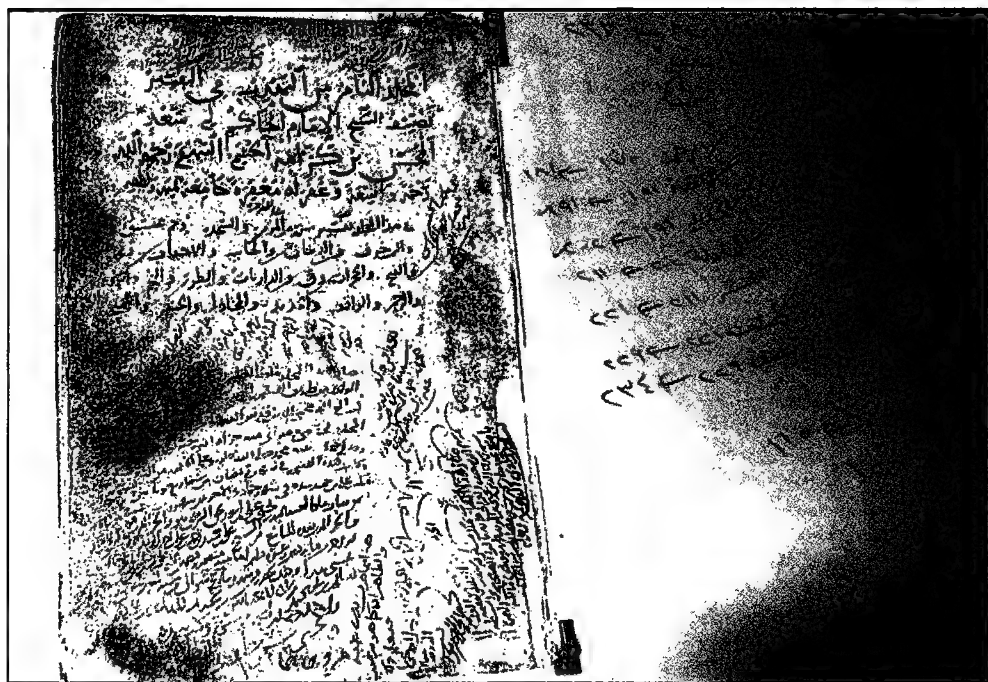
[illegible] ... الجزء [illegible]

اسم المكتبة	مكتبة آل الغالبي، اليمن.
رقمه في المكتبة	لا يوجد
رمز المخطوط	(غ)
سور المخطوطة	من الآية ٦ من سورة الجمعة إلى سورة الفلق.
نوع الخط ولونه	نسخي متوسط.
عدد الأسطر	٢٧
أول المخطوط	«﴿يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم...﴾ الآية رقم ٦ من سورة الجمعة...
آخر المخطوط	بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى: ﴿قل أعوذ برب الفلق...﴾.
اسم الناسخ	لا يوجد.
تاريخ النسخ	لا يوجد.
ملاحظات	...يوجد في هذه المخطوطة سور يوجد فيها نقص؛ منها سورة: الجمعة، المنافقون، النازعات، التكوير، المطففين، النصر، الأعلى. وسور ساقطة منها: سورة عبس، الانشقاق، البروج، الطارق، الناس.

[illegible] ذلك فضل
من يشاء والله ذو الفضل العظيم مثل الذين حملوا التوراة
[illegible]
كانوا في ضلال من الكفر وذهاب عن الحق ظاهر وآخرين قيل ويعلم آخرين منهم [illegible]
كل من بعد الصحابة عن مجاهد وابن زيد وقيل هم العجم عن ابن عمر وسعيد بن جبير [illegible]
التابعون عن مقاتل وعكرمة وقيل جميع من يدخل في الإسلام إلى يوم القيامة عن ابن زيد
أن النبي صلى الله عليه وآله قرأ هذه الآية فقيل من هؤلاء فوضع يده على سلمان وقال لو كان
الإيمان في الثريا لناله رجال من هؤلاء لما يلحقوا بهم أي لم يلحقوا العرب وقيل
لم يلحقوا في الحال وسيلحقون فيما بعد وهو العزيز القادر على البعثة الحكيم في [illegible]
موضعها مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها يعني اليهود قيل كلفوا العمل بالتوراة
ولم يعملوا بها وخالفوا فمثلهم في الإقرار بها وترك العمل بما فيها كمثل الحمار يحمل أسفارا
قيل كتبا عن ابن عباس سموا على حمل على ظهره أو حمر إذا لم يعمل بها ولا ينتفع بها وقيل
كان في التوراة البشارة بمحمد صلى الله عليه وآله فجحدوا فإن حظهم منها حظ الحمار وقيل
كما لا ينتفع الحمار بحمل الكتب بل يتعب كذلك هؤلاء لما لم ينتفعوا استحقوا الذم والحجة
عليهم بئس مثل القوم أي بئس القوم قوم هذا مثلهم أي شبههم ثم وصف القوم فقال
الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين قيل لا يثيبهم ولا يهديهم إلى جنته
وقيل لا يحكم بهدايتهم وقيل لا يفعل بهم الألطاف ما يفعله بالمؤمنين الذين عندها يهتدون
وإنما خص الحمار لأن المثل ضرب [illegible] في قلة الفهم [illegible] بيان الآيات أنه عليه السلام كان
أميا لا يكتب وبذلك الفرق في إعجازه ويدل على أنهم قبل البعثة كانوا في ضلال ولو كان [illegible]
الضلال فيهم لما صح ذمهم ولما اختلف حال البعثة وقبله ويدل أن فعل العبد من
المكلف ويدل أن التكليف العقلي ينفرد عن الشرعي ويدل قوله وآخرين أنه مبعوث إلى
الكافة ولذلك ختم به النبوة ومتى قيل كيف يصح ذلك بعد موته قلنا علماء الأمة يقومون
مقامه ويبلغون عنه ويدل قوله ويزكيهم أنه يريد تزكية الخلق خلاف قول المجبرة ويدل
أنهم لما لم يعملوا بالتوراة ولم ينتفعوا بها صاروا بحمله كالحمار [illegible] ولا يعمل بالقرآن
يصير حاله كحالهم قوله تعالى
قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم
أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن
كنتم صادقين ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم

اسم المكتبة	مكتبة الفاتيكان
رقمه في المكتبة	BAV.ar.1023
سور المخطوطة	من سورة غافر إلى سورة الصف
عدد الأوراق	٢٣٤
نوع الخط ولونه	نسخي جيد.
عدد الأسطر	٢٥
أول المخطوط	بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر ولا تعسر سورة حم المؤمن قال القاضي هي مكية...»
آخر المحطوظ	...فيحصل لهم المسرة في الدارين وفي ذلك حث على الطاعات، تم الكتاب وصلى الله على رسوله سيدنا محمد النبي وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً وحسبنا الله ونعم الوكيل».
اسم الناسخ	محمد بن أحمد بن الوليد.
تاريخ النسخ	فرغ من نساخته نهار الثلاثاء في الأواخر من شهر الله رجب سنة خمس وستين وخمسمائة [الثلاثاء أواخر رجب ٥٦٥هـ]
ملاحظات	جاء في غلاف هذه النسخة ما لفظه: «صار هذا المجلد... الوليد من طريق القسمة الصحيحة بيد الوالد محيي الدين قدس الله روحه.





... بهم وقلة تو ... من التزهد عن ابن عباس وقيل لانهم انصار
عيسى ... وقيل الحواريون خاصة الانبيا لانهم خلصوا من كل عيب عن الربيع
من انصاري الى الله قيل مع الله عن الحسن كانه قال الى نصرة الله كقوله
الذود الى الذود ابل اى مع الذود ... قيل معناه من ينضم نصرته الى نصرة الله
وقيل من انصاري الى الله ... من يبلغني اليه والى مرضاته ... الى طلب
رضا الله وقيل الى بمعنى اللام من انصاري لوجه الله واعزاز دينه
وقيل ارادوا ان يكونوا ابدا واحدة تتناصرون ۞ قال الحواريون نحن انصار الله
فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا اى قوينا واعنا الذين
امنوا على عدوهم وهم الكفار فاصبحوا ظاهرين وقيل الدليل كانت
عليهم اى غالبين ... فعلا الدنيا محمدا ومن تبعه فاصبحوا ظاهرين وقيل بالدنيا
... على من كفر بعيسى عن مجاهد ... نزول الايات على انبيا
... الامور الاعمال ومنها عظم على الجهاد ومنها ان القران
... خلاف قول المرجئة ومنها ان الاعمال والجهاد فعل العبد
... ومنها انه يجمع للمومنين النصر والفتح والثواب الدائم
... الدارين ... على الطاعات تم الكتاب
... وصلى الله على سيدنا محمد النبي وعلى اله وسلم تسليما كثيرا وحسبنا الله ونعم الوكيل

... صاحبه محمد احمد ...
... سنة خمس وستين وخمسمائة ... الحمد لله تعالى
وصلواته على نبيه محمد وعلى اله ... الى الله تعالى ...
... واغفر ... والمسلمين ...

اسم المكتبة	مكتبة الفاتيكان
رقمه في المكتبة	Vat.ar.1026
رمز المخطوط	(ك)
الرقم التصويري	Vat.ar.1026
سور المخطوطة	من الآية ١٤ من سورة الأعراف إلى الآية ٣٤ من سورة يونس
عدد الأوراق	٢٨٤
نوع الخط ولونه	نسخي واضح أسود
عدد الأسطر	٢١
أول المخطوط	بسم الله الرحمن الرحيم... اللَّهم صل على محمد وعلى آل محمد ﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤-١٥].
آخر المخطوط	... على الكفار إلا بدليل [بياض] تم الجزء الرابع من التفسير، يتلوه في المجلد الخامس قوله: ﴿قل هل من شركائكم...﴾
اسم الناسخ	لا يوجد
تاريخ النسخ	في شهر ذي القعدة من شهور سنة خمس وعشرين وستمائة [١١/ ٦٢٥هـ]
ملاحظات	هو الجزء الرابع من كتاب التهذيب - وعلى الصفحة الأولى تمليكات

الجزء الرابع من كتاب
التهذيب في تفسير القرآن

تأليف الشيخ الإمام شيخ الإسلام أبي سعيد المحسن
ابن كرامة الجشمي رحمة الله عليه ورضوانه

بسم الله الرحمن الرحيم بالواحد العدل أثق وعليه أتوكل
قوله تعالى: «قال أنظرني إلى يوم يبعثون قال إنك من
المنظرين قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم
ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن
شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين» اللغة: الإنظار
الإمهال إلى مدة، ونظيرها النظر في الأمر تأمل أمره وصرفه، والإنظار والإمهال
والتأخير نظائر، والنظرة التأخير، ومنه ﴿فنظرة إلى ميسرة﴾، والبعث أصله
الإطلاق في الأمر، والانبعاث الانطلاق، والبعث الحشر، والغواية أصلها
الهلاك، يقال: غوى: هلك، وغوى يغوى غيًّا إذا انهمك في الباطل،
وغوى الفصيل يغوى غوى إذا أفسد جوفه من شرب اللبن فمات، وغوى
خاب، قال الشاعر: فمن يلق خيرًا يحمد الناس أمره ... ومن يغو لا يعدم على الغي لائما
والصراط الطريق، الإعراب: يقال: لم عمل «أنّ» وهي حرف؟ قلنا: لشبهها بالفعل
الماضي من جهة أنها على ثلاثة أحرف مفتوحة الآخر، فهي بمنزلة كان إلا
أنه خولف بعملها لأنها حرف، فنصب الاسم ورفع الخبر خلاف
كان. ويقال: لم نصب «صراطك»؟ قلنا: على تقدير حذف، أي على صراطك
كما يقال: ضرب زيد الظهر والبطن، أي على الظهر والبطن. ويقال: لم
دخلت «من» في الخلف والقدام و«عن» في اليمين والشمال؟ قلنا: لأن في الخلف
والقدام معنى طلب النهاية، وفي اليمين والشمال الانحراف عن الجهة. ويقال:
ما معنى «ما» في قوله: «فبما»؟ قلنا: فيه خلاف: قيل: هو استفهام تقديره
فبأي شيء أغويتني، وقيل: لأجل أنك أغويتني لأقعدن، وقيل: «ما»
المصدر في موضع القسم، أي بإغوائك إياي لأقعدن، كقوله: ﴿بما

يدل الا من علي دلايل وحدانيته واسباغ النعمة على عباده
في حلول ارزاقهم وحوايجهم ودفع مضراتهم ومصالحهم ويدل على
صحة الحجاج في الالهية على احتجاج المشركين ويدل على ان العبادة
تستحق بالقدرة على اصول النعم وبطلان ذلك احتج عليهم
بذلك ويدل ايضا على انهم كانوا يقرون بالخالق وكانوا مشركين
وفيه ايضا ابين احجاج المتوسطات ويدل قوله فانى يصرفون على
بطلان الجبر وان الله تعالى لو صرفهم عن الجواز لو كان كما زعموا لما
كان لهذا الكلام وجه ويدل قوله كذلك حقت على وعيد
الفساق فيبطل قول المرجيه ويدل على ان الشيء كالنا في
... فيصح قولنا في ... لمن الايه وان كان في
ذكر من تقدم من المشركين فالظاهر شامل والحكم للاعتبار
بعموم اللفظ والاولين لاحدا يقولان انها مقصورة على الكفار
الا بدليل تم الجزء الرابع من التفسير ويتلوه
في المجلد الخامس قوله فهل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده
وفرغ من نساخته في ... ذي القعدة من شهور سنة خمس
وعشرين وستمائة والله ختم بالخير والسعادة والمغفرة
انه هو الغفور الرحيم والحمد لله وحده
وصلواته على سيدنا محمد النبي واله وسلم تسليما

قال الشاعر
والذي يعطى الرغائب ...

284

اسم المكتبة	مكتبة الفاتيكان
رقمه في المكتبة	**Vat.ar.1064**
رمز المخطوط	(ك)
سور المخطوطة	من بداية التفسير إلى الآية ١٥٠ من سورة البقرة
نوع المخطوط	مصوّرة رقميا
عدد الأوراق	١٩٠
نوع الخط ولونه	نسخي متداخل أسود
عدد الأسطر	٢١ـ٢٧
أول المخطوط	... الحمد لله الذي هدانا للإسلام...
آخر المخطوط	... التوجه إلا من طريق الاجتهاد
اسم الناسخ	لا يوجد
تاريخ النسخ	لا يوجد ويحتمل نسخه ما بين القرنين ٦ ـ ٧هـ/ ١٢ ـ ١٣م.

[illegible] ابو حيان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا للإسلام وهدانا الى اتباع [illegible]
محمد عليه السلام وانعم علينا ظاهرة وباطنة نعامه وانزل القرآن وعلمه
من الغريب والزيادة والنقصان وشرح به صدور الاديان ثم الصلاة على
سيد المرسلين وخاتم النبيين وامام المتقين محمد وآله اجمعين اما بعد
فان اولى ما يشتغل به المرء طلب العلوم الدينية التي بها فوزه ونجاته
عند ربه الذي اليه محياه ومماته ومن اجل العلوم معرفة كتاب الله تعالى
وفهم معانيه واحكامه فانه الحبل المتين وهو حبل الله المتين ومن اجتهد
[illegible] في ما ذكره سواء [illegible] للاولين [illegible] وبان [illegible] للآخرين
حسن الترتيب وجودة التهذيب وزيادة الفوائد ولم يقتصر على ما ترك الاول
للآخر [illegible] كم ترك الاول للآخر [illegible] كتابي هذا جامع
في علم القرآن من غير تطويل ممل ولا اختصار مخل ارجو ان يكون [illegible] للمبتدي وتذكرة
للمنتهي ومن الله استمد التوفيق وعليه اتوكل وهو حسبي ونعم المعين

علوم القرآن علوم القرآن كثيرة من اشهرها [illegible]
القراءة ووجوهها وعللها [illegible] القراءة [illegible] المتواتر دون الشاذ
والنادر [illegible] القرآن [illegible]
[illegible] كلها منزلة [illegible]
[illegible] بلغة العرب [illegible] الله تعالى بلسان عربي مبين [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

اللغة

[illegible]

الاحكام

[illegible]

المجمع على ان التعوذ بعد التكبير الا ما روي عن الهادي [illegible]
وبين التعوذ على ان الشرور والمعاصي [illegible]
[illegible] الاستعاذة من الشيطان [illegible]

فاتحة الكتاب

النزول قيل انها مكية عن ابن عباس وقتادة وقيل مدنية عن مجاهد
وقيل انزلت مرة بمكة ومرة بالمدينة تشريفا ولذلك سميت مثاني
ولها اسماء فاتحة الكتاب لانها اول ما يفتتح من الكتاب [illegible]
[illegible] وقيل ان الحمد فاتحة كل كتاب [illegible] فاتحة القرآن [illegible]
لان الام الاصل ومنه ام القرى لان الارض دحيت من تحتها
ومنه ام الكتاب يعني اصله فاصل القرآن [illegible]
اودعها مجموع ما في السورة وقيل لانها [illegible]
العبودية وهذه هو المقصود بالقرآن وقيل لانها [illegible]

[illegible]

اسم المكتبة	مكتبة الفاتيكان
رقمه في المكتبة	Vat.ar.1013
سور المخطوطة	من سورة النساء إلى الآية ١٣ من سورة الأعراف
عدد الأوراق	٢١٣
نوع الخط ولونه	نسخي جيد أسود
عدد الأسطر	٣٢
مقاس المخطوط	٢٦X١٩ سم
أول المخطوط	... من الكتاب السادس والعشرين في الرجاء والخوف. وقيل كانرجل شريب...
آخر المخطوط	... ويدل على ترك السجود فعله لذلك استحق العقوبة فيبطل قول المجبر في المخلوق. تم الجزء الثالث بحمد الله... ويتلوه الجزء الرابع قوله تعالى: ﴿ قال أنظرني إلى يوم يبعثون ﴾.
اسم الناسخ	بخط مالكه العبد الفقير إلى الله تعالى أحمد بن حسين بن محمد بن عولص...
تاريخ النسخ	وفرغ من نساخته يوم الأحد في شهر ربيع الآخر من شهور سبعمائة سنة [٤/ ٧٠٠هـ]
ملاحظات	الجزء الثالث من التهذيب ـ مخروم البداية ـ بدأ بكتاب الرجاء والخوف ـ انتهى الكتاب في السطر الثالث من آخر النسخة. ـ به تمليكات في البداية والنهاية

البحر الناس من المهذب
في تفسير القرآن
العظيم

تأليف الشيخ الإمام الحاكم أبي سعد
المحسن بن محمد بن كرامة الجشمي البيهقي رحمه الله وأدام
نوائده ونفع بفوائد علومه

الخوف قلنا الاخرب وقالت عائشة قلت يا رسول
الله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة
هو الرجل الذي يسرق ويزني قال لا بل هو
الرجل الذي يصوم ويصلي ويتصدق
ويخاف أن لا يقبل منه وقال صلى الله عليه
وآله ما من مؤمن تخرج من عينيه دمعة
وإن كانت مثل رأس الذباب من خشية
الله ثم تصيب شيئا من حر وجهه
إلا حرمه الله على النار وقال صلى الله
عليه وآله إذا اقشعر قلب المؤمن
من خشية الله تحاتت عنه خطاياه
كما تحات من الشجر أوراقها وقال
صلى الله عليه وآله لا يلج النار أحد
بكى من خشية الله حتى يعود اللبن
في الضرع وقالت عائشة رضي الله عنها

التهذيب مختصر الإحياء من الكتاب السادس والعشرون في الرجا والخوف
وقيل كان رجل شريف جمع قوما من ندمائه ودفع إلى غلام له أربعة دراهم
وأمره أن يشتري شيئا من الفواكه للمجلس فمر الغلام بباب مجلس
منصور بن عمار وهو يسأل لفقير شيئا ويقول من دفع إليه أربعة دراهم
دعوت له بأربع دعوات قال فدفع الغلام إليه فقال منصور ما الذي
تريد أن أدعو لك فقال لي سيد أريد أن أتخلص منه فدعا له منصور وقال
الأخرى فقال أن يخلف الله علي دراهمي فدعا ثم قال الأخرى قال أن يتوب
الله على سيدي فدعا ثم قال الأخرى فقال أن يغفر الله لي ولسيدي ولك
وللقوم فدعا منصور فرجع الغلام فقال له سيده أبطأت فقص عليه
القصة فقال بم دعا قال سألت لنفسي العتق فقال اذهب فأنت حر
والثاني فقال أن يخلف الله علي الدراهم فقال لك عشرة آلاف درهم
والثالث قال أن يتوب الله عليك فقال تبت إلى الله والرابع
قال أن يغفر الله لي ولك وللمذكر وللقوم فقال هذا الواحد
ليس إلي فلما بات تلك الليلة رأى في المنام كأن قائلا يقول له أنت فعلت
ما كان إليك أفترى أني لا أفعل ما إلي فقد غفرت لك وللغلام والمنصور
بن عمار وللحاضرين أن
حقيقة الخوف اعلم أن أخوف الناس لربه أعرفهم
بنفسه وبربه ولذلك قال صلى الله أنا أخوفكم لله ولذلك قال تعالى
إنما يخشى الله من عباده العلماء قال أبو القاسم الحكيم من خاف شيئا هرب منه
ومن خاف من الله هرب إليه وإنما يكون خائفا عند توقع الشهوات
وتكدر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل
عند من يشتهيه إذا عرف أن فيه سما مكروها
فتحترق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح ويحصل في القلب من الذبول
والخشوع والذلة والاستكانة ويفارقه الكبر والحسد والحقد
بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرغ
لغيره ثم نقول الخوف محمود وربما يظن أن كلما هو محمود كان أقوى
وأكثر كان أحمد وهو غلط بل الخوف سوط الله تعالى يسوق به عباده
إلى المواظبة على العلم والعمل لينالوا بها رتبة القرب من الله تعالى
والأصلح للبهيمة أن لا تخلو عن سوط وكذلك الصبي ولكن لا يدل
ذلك على أن المبالغة في الضرب محمودة فكذلك الخوف له قصور
وله إفراط وله اعتدال والمحمود هو الاعتدال الوسط فأما
القاصر منه فهو الذي يجري مجرى رقة النساء يخطر بالبال عند سماع
آية من القرآن فيورث البكاء وتفيض الدموع وكذلك عند

ثالث انه كفر به ويدل على ان الجنة منزهة عن كون اعدا الله فيها ويدل على ان الطرد والابعاد
من الذل والعقوبة ويدل على ان ترك السجود فعله ابليس لذلك استحق العقوبة فبطل قول المجبرة
في المخلوق ثم الجزء الثالث بحمد الله تعالى ولطفه وتوفيقه ويتلوه في الجزء الرابع قوله تعالى قال
انظرني الى يوم يبعثون

في شهر ربيع الاخر
وفرغ من نساخته يوم الاحد في شهر ... سبعمائة سنة
بخط مالكه العبد الفقير الى الله تعالى احمد بن حسن بن محمد بن علي ...
عفا الله عنه ولوالديه ولجميع المسلمين وصلى الله على محمد وآله وسلم

من كتب العبد ... يحيى بن
الحسين ... المغفور ... عفى
... بن محمد ... عنه

ثم صار من فضل الله
في ملك عبد الله الفقير الى الله
... بن محمد ... يحيى
الحسنى ... الداودي ...

اسم المكتبة	مكتبة الفاتيكان
رقمه في المكتبة	Vat.ar.1025
سور المخطوطة	من الآية ١٥٨ من سورة الأعراف إلى الآية ١٢٧ من سورة التوبة
عدد الأوراق	٢٥٦ صفحة
نوع الخط ولونه	نسخي جيد أسود
عدد الأسطر	٢٠
مقاس المخطوط	٢٤X١٧ سم
أول المحطوط	قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ [الأعراف: ١٥٨]
آخر المخطوط	... ويدل قوله لا يفقهون أن المعارف مكتسبة فيبطل قول أصحاب المعارف. تم الجزء السادس من كتاب التهذيب بمعونة اللّه وتوفيقه...
اسم الناسخ	لا يوجد
تاريخ النسخ	ضحوة النهار يوم الأحد لثمان وعشرين ليلة خلت من شهر جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وستمائة [٢٨/ ٥/ ٦١١هـ]
ملاحظات	المجلد السادس من كتاب التهذيب - به تمليكات في البداية

المجلد السادس من كتاب التهذيب
في تفسير القرآن الكريم
تصنيف الشيخ ... الإمام الحاكم أبي سعد المحسن بن كرامة
الجشمي البيهقي ... رحمه الله عليه ورضوانه

فيه بعض سورة الأعراف وسورة الأنفال
وسورة براءة

نسخ لخزانة الشيخ ...
مرتضى الخلافة ... الدولة العلوية
ومولى العصابة ... أمير المؤمنين
عمدة المجاهدين ... الملقب
نفع الله ... والمسلمين آمين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وبه نستعين

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

اللغة: الكلمات جمع كلمة، والكلمة والكلام واحد، ويقال للقصيدة كلمة، والكلام هو الحروف المنظومة والأصوات المقطعة، ومنهم من قال: حروف معقودة، فاشترط الفائدة، والصحيح الأول. والاهتداء سلوك الطريق المؤدي إلى البغية، والهدى غير الاهتداء، إلا أن الهدى بيان الطريق، والاهتداء سلوك الطريق.

الإعراب: جميعًا نصب على الحال، والعامل في الحال معنى في رسول.

النظم: فصل: كيف تتصل الآية بما قبلها، وكيف نظم الكلام؟ قلنا: فيه وجهان: قيل: لما تقدم في الآية الأولى بيان ما وصى الله على لسان موسى عليه السلام من الإيمان بمحمد والبشارة به ولزوم الحجة على أهل الكتاب، وهذه الآية خطاب للنبي صلى الله عليه بدعاء الناس جميعًا إلى ما عرفوا قبل الإتيان مما تقدم من نبوته وإشاعته في الكتاب من غير مسلم، وقيل: الآية خطاب لمن كان في عصره عليه السلام، عن الأصم. وفي القول الأول هو منقطع عما تقدم من وجه متصل من وجه، وفي القول الثاني متصل بما قبله.

المعنى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ خطاب لجميع المكلفين

ومنه ولها عرش عظيم وقيل اراد بالعرش الملك والسلطان
اي هو رب الملك العظيم في السموات والارض عن ابي مسلم
الاحكام تدل الاية الاولى على انه تعالى يلطف للعبد في الايمان
وابتلى الناس بالآفات الامراض والمصائب والقحط وكونه منه
نعم اصابه الله تعالى فنبههم الله تعالى بها لعلهم يرجعون عن كفرهم
وتدل على ان صرف قلوب الكفار عقوبة لهم على كفرهم ولا يكون
حمله على صرف قلوبهم عن الايمان لانه امر تعالى بالايمان فلا يصرف عنه
ولانه لا يكون عقوبة وجزاء ولانه علقه بكفرهم واحبابهم له
في الاسداء وغيرهم ذلك من حكمته تعالى ايضا وقوله ذلك بانهم قوم
لا يفقهون دلالة على كون ذلك عقوبة ولانه اضاف الصرف
اولا اليهم فكيف يصح انه مضاف الى الله تعالى وتدل على ان الحساب
في ذلك كله من جهتهم لا من جهته تعالى خلاف ما تقوله المجبرة وتدل
على النعمة تعالى على العالم ببعثه رسولا صفته الرافة والرحمة وتدل
على ان كون الرسول منهم اصلح لهم وتدل على وجوب الانقطاع
الى الله تعالى والتوكل عليه وتدل قوله لا يفقهون ان المعارف
مكتسبة فيبطل قول اصحاب المعارف ه ه

تم الجزء السادس من كتاب التهذيب بمعونة الله تعالى وتوفيقه
ضحوة النهار يوم الاحد لاثنين وعشرين ليلة خلت من شهر ...
لسنة احدى عشرة وستمائة والحمد لله اولا واخرا
وصلى الله على سيدنا محمد واله وسلم

اسم المكتبة	مكتبة الفاتيكان
رقمه في المكتبة	Vat.ar.1045
سور المخطوطة	من الآية ٣٤ من سورة يونس ﷺ إلى الآية ٣٩ من سورة الإسراء
عدد الأوراق	٢٩٨ صفحة
نوع الخط ولونه	نسخي جيد أسود
عدد الأسطر	٢٢
مقاس المخطوط	٢٤X١٧ سم
أول المخطوط	بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده وبه نستعين. قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ... ﴾ [سورة يونس الآية ٣٤]».
آخر المخطوط	... وقيل الدلالة الموجبة للعلم بالمأمور والمنهي وغير ذلك من الأخبار والواجبات والمحسنات.
اسم الناسخ	لا يوجد
تاريخ النسخ	لا يوجد ويحتمل نسخها في القرن ٧هـ/ ١٣م.
ملاحظات	الجزء الخامس من تفسير الإمام الحاكم - به تمليكات في البداية - انتهى المجلد في السطر الرابع من الصفحة الأخيرة دون ذكر التمام والنسخ.

الجزء الخامس من تفسير
الإمام الحاكم رحمه الله
تعالى ورضانا
آمين

الحمد لله
[illegible] الفقير المعترف
بالتقصير محمد [illegible]
بن محمد بن عبدالله
[illegible]
[illegible] شوال
١٢٩٠

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده وبه نستعين
قوله تعالى قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده
قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فانى تؤفكون ۝ قل هل من شركائكم
من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق احق
ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون ۝
وما يتبع اكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني من الحق شيئا ان الله
عليم بما يفعلون ۝ القراءة في قوله امن لا يهدي ست قراءات
الاول قرا ابن كثير وابن عامر وورش عن نافع ويعقوب عن رويس
يهدي بفتح الهاء وتشديد الدال وهو اختيار ابي عبيد وابي حاتم
لان اصله يهتدي ادغمت التاء في الدال ونقلت فتحة التاء المدغمة
الى الهاء ۝ الثاني قرا ابو جعفر ونافع ساكنة الهاء مشددة ادغمت
التاء في الدال وتركت الهاء على حالها فجمع في قراءته بين ساكنين كما
جعلوا في تخصمون قال علي بن عيسى وهو غلط عن نافع ۝ الثالث
قرا ابو عمرو بالاشارة الى فتحة الهاء من غير اشباع فهو بين الفتح و
الجزم مختلسة على اصل مذهبه اختيارا للتخفيف وذكر علي بن
عيسى انه الصحيح من قراءة نافع ۝ الرابع قرا عاصم ورويس عن يعقوب
بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال فرارا من التقاء الساكنين والجزم
يرجع الى الكسر ۝ الخامس قرا حماد ويحيى بن ادم عن ابي بكر عن عاصم
بكسر الياء والهاء اتبع الكسرة الكسرة وقيل هي لغة من يقرا نستعين
ونعبد ۝ السادس قرا حمزة والكسائي وخلف بن هشام يهدي ساكنة

الهاء

اي كل ما علمناه من السيئات فهو مكروه لله تعالى ذلك الذي
ذكرناه وبيناه مما اوحى اليك ربك من الحكمة من العلم قيل
القران وقيل الكلام الاله الموجبه للعلم بالمامور والمنهي وغير
ذلك من الاخبار والواجبات والحسنات

298

اسم المكتبة	مكتبة آل الهاشمي، اليمن
رقمه في المكتبة	
سور المخطوطة	من الآية ٦٢ من سورة الإسراء إلى آخر سورة الفرقان.
نوع الخط ولونه	نسخي جيد
عدد الأسطر	٢٤
أول المخطوط	«بسم اللّٰه الرحمن الرحيم وبه ثقتي قوله تعالى: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا...﴾...»
آخر المخطوط	...قوله ﴿ما يعبأ﴾ أن العرض بخلقهم دعاهم...لينفعهم اذ لا يجوز عليه المنافع [آخر سورة الفرقان]».
اسم الناسخ	أبو القاسم عبد اللّٰه بن عبد الحكيم البعداني
تاريخ النسخ	الأربعاء دواخل ثلاثة أيام من شهر جماد آخر ٦٧٥هـ. [الأربعاء دواخل ثلاثة أيام جمادى الآخر ٦٧٥هـ]
ملاحظات	جاء في هامش غلاف المخطوط ما لفظه: «الحمد لله رب العالمين ثم صار إلى العبد الفقير إلى عفو ربه محمد بن أمير المؤمنين القاسم بن محمد رضي اللّٰه عنه وعن آبائه واختم له بالحسنى بمحمد وآله صلى اللّٰه عليه وآله وسلم، بتاريخ محرم سنة ١٠٨٠هـ. وجاء أيضاً في آخر المخطوط ما لفظه: «انتقل هذا المجلد من مالكه بالوجه الشرعي إلى ملكي ولي محمد بن أمير المؤمنين عفي اللّٰه عنه. وجاء أيضاً ما لفظه: «من كتب الفقير إلى كرم اللّٰه يحيى بن الحسين بن أمير المؤمنين المنصور ب اللّٰه القاسم بن محمد بن علي...وفقه اللّٰه.

اسم المكتبة	مكتبة آل الهاشمي، اليمن
رقمه في المكتبة	لا يوجد
سور المخطوطة	من الآية ١٢٢ من سورة النساء إلى الآية ١٥٣ من سورة الأنعام
عدد الأوراق	٢٤٠ صفحة
نوع الخط ولونه	نسخي جيد.
عدد الأسطر	٢٢ـ٢٦
أول المخطوط	أن الملائكة بنات الله عن الضحاك +وَإِنْ يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا». (من معنى الآية ١١٧ من سورة النساء].
آخر المخطوط	وقيل: لتتقوا التفرق به كناية عن القرآن، أوالإسلام كأنه قال: وصاكم بالإسلام، ويحتمل وصاكم بما تقدم. (من معنى الآية ١٥٣ من سورة الأنعام.
اسم الناسخ	لا يوجد.
تاريخ النسخ	لا يوجد.

اسم المكتبة	مكتبة آل الهاشمي، اليمن
رقمه في المكتبة	
سور المخطوطة	من بداية سورة مريم إلى الآية ١٧٥ من سورة الصافات
عدد الأوراق	٢٤٢ صفحة
نوع الخط ولونه	نسخي لا بأس به.
عدد الأسطر	٢٨ـ٣٠.
أول المخطوط	بسم اللّٰه الرحمن الرحيم وصلى اللّٰه على محمد، اللّٰهم يسر وأعن يا كريم تفسير سورة مريم...
آخر المخطوط	وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، تم والحمد لله وحده وصلواته على محمد وآله.
اسم الناسخ	لا يوجد.
تاريخ النسخ	يوم الاثنين في رجب سنة ٧٣٧. غفر اللّٰه لمالكه ولكاتبه ولوالديهم ولجميع المسلمين.
ملاحظات	يوجد فيها سقط في آخر الصافات





اسم المكتبة	مكتبة الهاشمي، اليمن.
رقمه في المكتبة	لا يوجد
سور المخطوطة	من الآية ٥ من سورة يونس ﵇ إلى ٥١ من سورة إبراهيم ﵇.
عدد الأوراق	٢٩٤ صفحة
نوع الخط ولونه	نسخي جيد.
عدد الأسطر	١٨ـ١٩
أول المخطوط	يعنون محمداًصلى الله عليه وآله وسلم، وقرأ أبو جعفر، ونافع،وأبو عمرو، وابن عامر، ويعقوب +لسحر» بغير ألف، وبكسرالسين يعنون القرآن، والقراء كلهم يقرأون... (من قراءة الآية الثانية من سورة يونس].
آخر المخطوط	قال أبو القاسم: أهل البصرة يكسرون اللامات كلها حتى لام الأمر، وأهل الكوفة يكسرون لام كي، كقوله: ﴿وليتذكروا﴾ ولامات (من الإعراب سورة إبراهيم الآية ٤٨ـ٥٢].
اسم الناسخ	لا يوجد.
تاريخ النسخ	لا يوجد.
ملاحظات	يوجد فيها سقط في تفسير سورة في مقطع الآية ٤٩ـ٥١.

اسم المكتبة	الضوء، اليمن.
رقمه في المكتبة	لا يوجد
رمز المخطوط	(ض)
سور المخطوطة	الآية ٥٧ من سورة يونس إلى الآية ٤٧من سورة إبراهيم
نوع الخط	نسخي جيد.
عدد الأسطر	١٩
مقياس المخطوط	٢٤X١٧ سم
أول المخطوط	«﴿قد جاءتكم موعظة من ربكم﴾... [الآية ٥٧ من سورة يونس]...»
آخر المخطوط	«...وصاحب له في تابوت عمل له بابان، أحدهما من أعلى، والآخر من أسفل وربطت...».
اسم الناسخ	لا يوجد.
تاريخ النسخ	لا يوجد.
ملاحظات	جاء في الصفحة التي قبل البداية ما لفظه: «هذا جزء من التفسير للقرآن المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، من تسعة أجزاء، للشيخ الإمام الحاكم أبو سعيد المحسن بن كرامة الجشمي البيهقي المقتول بمكة في شهر رجب سنة... وكان مبلغ عمره... وكان... في شهر رمضان الكريم سنة... وله رحمه مؤلفات عديدة، منها: كتاب الإمامة على مذهب الزيدية، و... ولهذا التفسير طريق ذكرت وهي ما لفظه: «يقول العبد الفقير إلى عفو المالك القدير محمد بن علي بن عمران بن علي، قال: سمعت هذا الكتاب على سيدي ووالدي بدر الدين، ومعتمد السلف، محمد بن علي المعروف بالأعقم، نحو سماعه لجميع الكتاب على حي شيخه الفقيه الزاهد شهاب الدين أحمد بن المفضل، بحق سماعه لجميع الكتاب على حي شيخه الفقيه...المعروف بابن يعيش الصنعاني، بحق سماعه على حي الإمام المنصور ب الله عبد الله بن حمزة ﵇، بحق سماعه إلى من سنده إلى المصنف المذكور، قال: ومن نظر فيما أودع فيه من التأويلات الصحيحة، والحجج من سائر الفرق الكفرية كالمرجئة، والدهرية، والفلاسفة، حتى قال: ولا غنى عن تحصيل هذه النسخة، وسماعها كذلك في النصف الأخير من شهر جماد الآخر سنة ٧٨٣هـ بمعبر، وكتب محمد بن علي الأعقم. انتهى

اسم المكتبة	الضوء، اليمن.
رقمه في المكتبة	
رمز المخطوط	(ض)
سور المخطوطة	من الآية ٢٠٠ من سورة الأعراف إلى الآية ١٢٥ من سورة التوبة.
نوع الخط ولونه	نسخي جيد.
عدد الأسطر	٢٢ـ٢٣
رقم أول صفحة	٦٣٣
رقم آخر صفحة	٨٧٦
أول المخطوط	إلا أنه لا يبين فيه الإعراب لأنه مثنى مع نون التوكيد على الفتح إذا كانت مشددة لا بد من تحريك ما قبلها...»
آخر المخطوط	...مستقبل أيامهم، ويظفرهم على أعدائهم، وقوله: ﴿وَاعْلَمُوا﴾ يحتمل أن يكون أمراً بأن يعلموا ذلك [نهاية معنى مقطع الآية ١٢٢ـ١٢٥ من سورة التوبة]».
اسم الناسخ	لا يوجد.
تاريخ النسخ	لا يوجد.
ملاحظات	جاء في الصفحة التي قبل بداية هذا المخطوط ما لفظه: «قد صار هذا الكتاب بالقسمة الصحيحة المحررة المرضية إلى ملك عبد الله بن أحمد الضوء وأختيه ومحمد بن أحسن الضوء بتاريخ شهر صفر سنة ١٣١٣هـ».

اسم المكتبة	الضوء، اليمن.
رقمه في المكتبة	
رمز المخطوط	(ض)
سور المخطوطة	من الآية ٣٠ من سورة إبراهيم إلى الآية ٦١ من سورة مريم -عليها السلام-
نوع الخط ولونه	نسخي ممتاز.
عدد الأسطر	٢٠
قياس المخطوط	٢٥ X ١٧،٥ سم
أول المخطوط	وجمعه أنداد، وقيل: الند الضد، عن أبي القاسم، وقيل: المثل، عن الزجاج، والصحيح ما بيناه أولاً. من معنى الآية ٣٠ من سورة إبراهيم...
آخر المخطوط	...ويدل قوله: ﴿أشد على الرحمن عتيا﴾ على أنه يعاقب كل أحد على قدر ذنبه. [من معنى الآية ٦١ من سورة مريم]. تم الجزء الثامن من كتاب التفسير والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً، وباطناً وظاهراً، ويتلوه في الجزء التاسع: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾.. إن شاء الله تعالى.
اسم الناسخ	لا يوجد.
تاريخ النسخ	[جمادى الأولى ٦٨٥هـ]
ملاحظات	جاء في الصفحة التي قبل بداية هذا المخطوط ما لفظه: «قد صار هذا الكتاب بالقسمة الصحيحة المحررة المرضية إلى ملك عبد الله بن أحمد الضوء وأختيه ومحمد بن أحسن الضوء بتاريخ شهر صفر سنة ١٣١٣هـ.

اسم المكتبة	آل العنتري، اليمن.
رقمه في المكتبة	لا يوجد
رمز المخطوط	(ث)
سور المخطوطة	من الآية ١٧ من سورة الزخرف إلى الآية ١٠ من سورة الصف.
نوع الخط ولونه	نسخي جيد.
عدد الأسطر	٢٠ـ٢٢.
مقاس المخطوط	٢٥ X ١٧ سم
أول المخطوط	«بفتح الياء وسكون النون وتخفيف الشين... وقرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر ويعقوب عباد الرحمن...»
آخر المخطوط	... ﴿ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة...﴾ [الآية ١٢ من سورة الصف].
اسم الناسخ	لا يوجد.
تاريخ النسخ	لا يوجد.
ملاحظات	هذه مخطوطة أطرافها متقطعة وممزقة، ويوجد بها صفحة مصوّرة والأخرى نصها مبتور. وجاء في رأس آخر صفحة المخطوطة: هذه الحبرة للسيد جمال الدين الحسن بن أحمد بن يحيى بن علي بن إبراهيم، عفا اللّٰه عنه بحق القرآن العظيم.

بضم الياء وسكون النون وتخفيف الشين أي ينشأ ويظهر وقرأ أبو جعفر [illegible] وابن عامر وحفص عن عاصم [illegible]
وهو اختيار أبي حاتم قال لأن هذا أمدح لهن [illegible] وقرأ أبو عمرو وعاصم [illegible]
والكسائي عباد الرحمن بالباء والألف جمع عبد وقيل جمع عابد كقائم وقيام وصائم وصيام ونائم ونيام [illegible]
إناثا وهي قراءة ابن عباس واختيار أبي عبيد لأنه تكذيب لهم في قولهم بنات الله [illegible] قال سعيد بن جبير [illegible] ابن عباس
[illegible] عند الرحمن [illegible] بل عباد مكرمون وقرأ أبو جعفر ونافع أشهدوا
بفتح الألف الشين من شهدت يعني أحضروا [illegible] اللغة [illegible] على ما لم يسم فاعله [illegible]
[illegible] والأصل [illegible] الواحد [illegible] الله [illegible] الناشئ [illegible] ينشأ في الحلية تربى
[illegible] من ينشأ إذا ارتفع [illegible] الخصام [illegible] جمعا [illegible] الحلية من الحلي [illegible] الواحدة [illegible] الحلية
[illegible] ونظيره عدل [illegible] والأمر [illegible]
[illegible] الاستهزاء [illegible] فقال
زهير [illegible] قوله أم اتخذ مما يخلق بنات [illegible] قيل أو من ينشأ
[illegible] على ما قالوا [illegible] تجعلونه [illegible] الكبير [illegible] قوله مما يخلق وقوله بما ضرب
[illegible] فقال سبحانه أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين وكيف جعلتم [illegible] البنات
وللبنين [illegible] الولد [illegible] البنات على ما زعموه [illegible]
[illegible] الولد [illegible] البنات مع [illegible] ذلك لأنفسهم وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا يعني البنات
[illegible] ظل وجهه مسودا وهو كظيم [illegible] قال سبحانه أو من ينشأ في الحلية وهو
[illegible] في الخصام غير مبين [illegible] في مصحف
ابن مسعود [illegible] في الكلام [illegible] أبو مسلم [illegible]
[illegible] وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا
[illegible] الملائكة [illegible] أشهدوا خلقهم [illegible] ستكتب شهادتهم
[illegible] مسلم [illegible]

اسم المكتبة	مكتبة آل العنثري، اليمن.
رقمه في المكتبة	
رمز المخطوط	(ث)
سور المخطوطة	من الآية ١٧ من سورة الزخرف إلى الآية ١٠ من سورة الصف.
نوع الخط ولونه	نسخي لا بأس به بدون نقط.
عدد الأسطر	٢٩
رقم أول صفحة	٨٢٤
رقم آخر صفحة	٩٩٠
أول المخطوط	ألحق بهم الوعيد قوله تعالى: ﴿إن اللّٰه لا يخفى عليه شيء...﴾ [الآية الخامسة من سورة آل عمران]...».
آخر المخطوط	... تم الكتاب بعون العزيز الوهاب، والحمد لله وصلى اللّٰه على محمد وآله وسلم».
اسم الناسخ	لا يوجد.
تاريخ النسخ	شعبان ٧٩٧هـ

اسم المكتبة	مكتبة آل العنثري، اليمن.
رقمه في المكتبة	
رمز المخطوط	(ث)
سور المخطوطة	من الآية ٥ سورة آل عمران إلى نهاية الآية ١٠٢ من سورة النساء
نوع الخط ولونه	نسخي أحمر وأسود
عدد الأسطر	١٩ـ٢٩
أول المخطوط	هذا الجواب بالحديبية وصلى بهم صلوات كثيرة
آخر المخطوط	كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله
اسم الناسخ	لا يوجد
تاريخ النسخ	لا يوجد

هذا الخوف فالحمد لله وصلى بهم صلوة كثيرة في أيام فاحتملنا التعليم
على نحو ما جاءت به الروايات وإذا كان الخوف في الحضر صلى بكل طائفة
وفي المغرب يصلي بالأولى ركعتين وبالثانية ركعة ولو نأى سواد دولته
عن [illegible] صلاة الخوف ثم بأنه ليس بالعدد [illegible] صلوا بهم ويدل الآية
على جواز ترك المأموم متابعة الإمام عند الخوف وإذا جاز للخوف
[illegible] جاز أيضاً للضرورة إذا سبقه الحدث ومن استدبر القبلة
فلم يلحقه السهو ويدل على وجوب القعود على الإمام من الناس
ويدل على القعود في سائر الأشياء أيضاً ويدل على أن الجماعة فرض
وأنه لا يجوز ترك الفرض لكان السنة ويدل على أن تأخير الصلوة عن
الوقت لا يجوز لو جاز لجاز عند الخوف ويدل على وجوب الحذر من العدو
ويدل على أن أفعال العباد يفعلهم إذ لو كان خلقه لما صح قوله فيميلون
ولكان لا يصح أخذ الحذر من فعلو [illegible] الحذر من الله تعالى وإذا
كان كذلك [illegible] يعلمهم ليصح الحذر منه ولذلك [illegible]
وادعهم : تم الكتاب بعون العزيز الوهاب والحمد لله وصلى الله على محمد وآله
وأنا الراجي من [illegible] هذا الجزء المبارك في شهر شعبان الكريم
[illegible] سبع وسبعين وثمانمائة [illegible]
المؤمنين [illegible] واحصى كل شيء عدد [illegible]

[illegible]

اسم المكتبة	بيت الوزير، اليمن
رقمه في المكتبة	لا يوجد
سور المخطوطة	من الآية ٣٧ سورة الإسراء إلى الآية ٦٦ من سورة الفرقان
عدد الأوراق	٢٤٢ صفحة
نوع الخط ولونه	نسخي جيد.
عدد الأسطر	٢٥
أول المخطوط	﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن...﴾ [الآية ٣٧ من سورة الإسراء].
آخر المخطوط	تم الجزء الخامس من تفسير الحاكم، ويتلوه في الجزء السادس: ﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن...﴾. من سورة بني إسرائيل والحمد لله، وافق الفراغ من ذلك يوم السبت لخمس خلوان من شهر شوال سنة سبع وسبعين وستمائة، والحمد لله وحده، وصلواته على رسوله سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه.بخط العبد الفقير إلى الله تعالى حسن بن عبد الله بن حسن بن حدقة.
اسم الناسخ	حسن بن عبد الله بن حسن بن حدقة
تاريخ النسخ	يوم السبت لخمس خلون من شهر شوال سنة سبع وسبعين وستمائة. [السبت ٥ شوال ٦٧٧هـ]

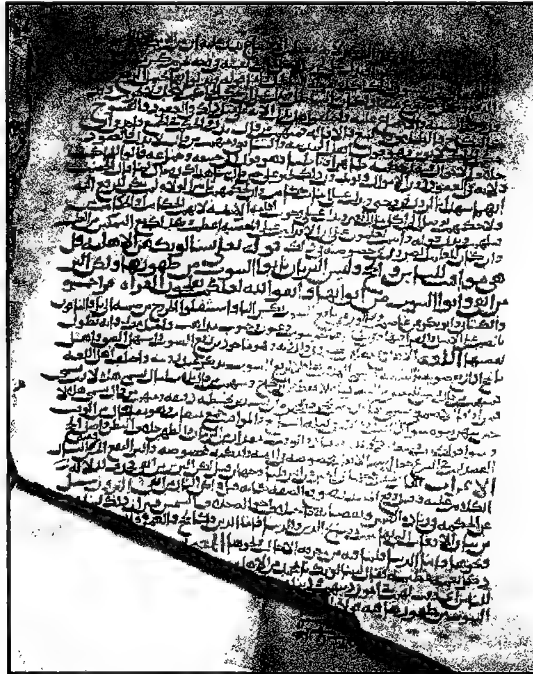


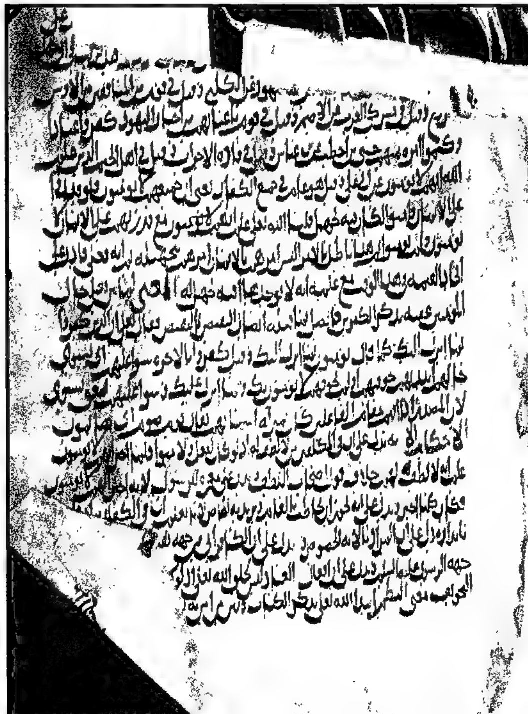
الجزء الخامس من تفسير الحاكم



ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا بالعهد
ان العهد كان مسئولا واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس
المستقيم ذلك خير واحسن تاويلا ولا تقف ما ليس لك به علم ان
السمع والبصر والفواد كل اولئك كان عنه مسئولا

اسم المكتبة	بيت الوزير، اليمن.
رقمه في المكتبة	لا يوجد
سور المخطوطة	متفرقات من سورة البقرة
نوع المخطوط	مصوّر تصوير رقمي
عدد الأوراق	١٦٢ صفحة
نوع الخط ولونه	جيد.
عدد الأسطر	١٨ـ٣٢.
أول المخطوط	...حلوان الكاهن؛ لأن جميعها يدخل في أنها أكل بالباطل، وتدل على...» [أحكام الآية ١٨٨ من تفسير البقرة].
آخر المخطوط	...الآية تدل على أن في المكلفين من لا لطف له؛ إذ لو كان لفعل ولآمنوا، فلما أخبر أنهم لا يؤمنون، علم أنه لا لطف لهم، خلاف قول أصحاب...» [من أحكام الآية ٦ من سورة البقرة].
اسم الناسخ	لا يوجد
تاريخ النسخ	لا يوجد
ملاحظات	يظهر عليها أنها ممزقة والآيات متفرقات من سورة البقرة ويوجد فيها الخلط.





اسم المكتبة	بيت الوزير، اليمن
رقمه في المكتبة	لا يوجد
سور المخطوطة	متفرقات من سورة الأنعام والأعراف والمائدة والحجرات والفتح، والحشر والجاثية، والرحمن والواقعة وغيرها
نوع المخطوط	مصوّر تصوير رقمي
عدد الأوراق	٣١٤ صفحة
نوع الخط ولونه	نسخي جيد.
عدد الأسطر	٢٥
أول المخطوط	...فعلهم ليس بخلق لله لذلك ذمهم عليه، وعاقبهم على افترائه، (آخر تفسير المقطع السابق لهذه الآية ١٢٤ من سورة الأنعام».
آخر المخطوط	...تم المجلد الثالث، ويتلوه في المجلد الرابع قوله تعالى: ﴿أنظرني إلى يوم يبعثون...﴾ [الآية ١٤ من سورة الأعراف].
اسم الناسخ	لا يوجد
تاريخ النسخ	العشر الآخر من شهر صفر من شهور سنة ٦٧٧هـ.
ملاحظات	هذا المجلد على صفحات متفرقة في تفسير بعض الآيات

اسم المكتبة	السيد العلامة مجد الدين المؤيدي، اليمن
رقمه في المكتبة	لا يوجد
سور المخطوطة	من بداية سورة آل عمران إلى الآية ١٠٢ من سورة النساء
عدد الأوراق	٢٦٤ صفحة
نوع الخط ولونه	نسخي جيد جدًا
عدد الأسطر	٢٠
أول المخطوط	بسم اللّه الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم ونفس، السورة التي يذكر فيها آل عمران مائتا آية... (بداية سورة آل عمران].
آخر المخطوط	تم الكتاب بعون اللّه وتوفيقه والصلاة على رسوله سيدنا محمد النبي وعلى آله الطاهرين الطيبين وسلم عليهم أجمعين.
اسم الناسخ	محمد بن... أحمد بن أبي العشيرة بن أبي...
تاريخ النسخ	لا يوجد

المجلد الثاني من التقريب في التفسير تصنيف الشيخ الامام العالم ابي الحسن ... البيهقي ...

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم . تفسير السورة التي يذكر فيها العمران مائتا اية . وهي مدنية بالاجماع . وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه واله انه قال (من قرأ سورة آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس) وعن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه واله انه قال (من قرأ سورة آل عمران اعطي بكل اية منها امانا على جسر جهنم) وختم السورة بالاصلين التوحيد وكيفية الايمان فافتتح هذه السورة بالتوحيد والايمان ايضا .

(بسم الله الرحمن الرحيم) . قوله تعالى (الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان ان الذين كفروا بايات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام ٥)

القراءة

قرأ ابو بكر وعاصم (الم) مقطوعا بسكون الميم ونصب الالف وقرا الباقون موصولا بفتح الميم . وعن ابي جعفر المدني الف لام ميم مفصولا وكذلك جميع الحروف المفتتح بها السورة . فامن نصب الميم ففيه قولان . الاول انه التقاء الساكنان واستثقل الكسر بعد الياء الساكنة فصرف الى الفتحة لانه اخف نحو كيف واين عند البصريين . وقال الفراء والزجاج لان حروف الهجاء اصلها على الوقف فلما تلقاها الف الوصل وادرجت الالف ثقلت حركتها وهي الفتحة التي على الميم وانكر هذا الوجه ابو العباس المبرد . فامامن قطع فله وجهان احدهما نية الوقف ثم قطع الهمزة للابتداء . والثاني . ان يكون اجراه على لغة من يقطع الف الوصل . ومن فصل وقطع فللتفخيم والتعظيم . ومتى قيل . اليس متى التقى الساكنان يحرك الى الكسر كقولهم . اضرب الرجل . قلنا ذلك في الفعل خاصة . فاما في الحروف فقد تحرك بالفتح والكسر والضم . فالفتح . كقولهم : من الرجل .

اسم المكتبة	مكتبة السيد العلامة مجد الدين المؤيدي، اليمن
رقمه في المكتبة	لا يوجد
سور المخطوطة	من الآية ٧١ من سورة مريم إلى نهاية سورة الفرقان
عدد الأوراق	٢٤٠ صفحة
نوع الخط ولونه	نسخي جيد.
عدد الأسطر	٢٢
أول المخطوط	بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده وبه أستعين قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً...﴾الآية ٧١ من سورة مريم... (بداية المجلد التاسع من التهذيب].
آخر المخطوط	تم المجلد التاسع من التفسير، ويتلوه في المجلد العاشر أول سورة الشعراء، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله.
اسم الناسخ	موسى بن عبد الله بن موسى
تاريخ النسخ	في اليوم العاشر من شهر رجب من شهور سنة خمس وثمانين وستمائة سنة (٦٨٥هـ) بمدينة صعدة، [١٠ رجب٦٨٥هـ]
ملاحظات	جاء في غلاف هذا المخطوط ما لفظه: «أمر بنساخته العبد الفقير إلى الله الراجي لثوابه يحيى بن حسن بن محمد الذويد غفر الله له ولوالديه ولكافة المؤمنين والمؤمنات، وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً. وجاء أيضاً ما لفظه: «الحمد لله وحده، صار هذا المجلد العظيم إلى يد المفتقر إلى الله سبحانه مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي غفر الله له وللمؤمنين، وهو كما رسم فيه وقف لله تعالى، فمن وصل إليه فلا يجوز له أن يحتكره ويمنعه أهله وليرجعه ليكون الانتفاع به، والعمل بما يقتضيه الشرع الشريف، والله ولي التوفيق، حرر بتاريخه ١٣ شعبان ١٤٠٩هـ.

المجلد التاسع من التهذيب في التفسير

تأليف الشيخ الإمام العامل العالم

الفاضل الحاكم أبي سعد المحسن

بن كرامة الجشمي البيهقي رحمه

الله ورضي عنه

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وأعن

قوله تعالى: وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا * ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا * وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا * وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا * قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا *

القراءة: قرأ الكسائي ويعقوب ننجي خفيفة من الإنجاء ... وقرأ ابن كثير مقاما بضم الميم أي إقامة، والباقون بفتح الميم ... وقرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر وأبو بكر عن عاصم ورياً بغير همز

مشددة الياء، وأبو عمرو وورش عن نافع مهموزة خفيفة الياء، وقرأها بعضهم وزيا، وروي عن ابن عباس، وقيل: المنظر، وقيل: معنى المهموز المنظر البهي الحسن، وبغير الهمز الامتلاء، ريان النعمة مأخوذ من الماء إذا ارتوى شربه ... رئيا بالهمز قبل الياء، وربما قلبت الهمزة على قول من رأى ... ريا بترك الهمز، عن الزجاج. وروي في الشواذ: وزيا بالزاي معجمة، أي حسن زيهم.

اللغة: الورود قيل: الوصول إلى المكان، وقيل: الدنو من ... وأصله ورود الماء، ثم استعمل في كل ما قدم إليه، وهو خلاف الصدور. واختلفوا في الورود فقيل: هو الوصول إليه من غير دخول فيه، واستدلوا عليه بقوله تعالى: ولما ورد ماء مدين، وقال تعالى: فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه، فبين أن الوارد ليس هو الداخل، ويقول العرب: إن ترد الماء بماء أكيس. وقال:

فلما وردن الماء زرقا جمامه ... وضعن عصي الحاضر المتخيم

وروي نحوه عن ابن مسعود والحسن. وقيل: الورود الدخول، واستدلوا بقوله تعالى: فأوردهم النار، وقال: أنتم لها واردون، لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها. ويقال: وردت بلد كذا، أي: دخلته. وروي عن ابن عباس ... والوجه فيه أنه مستعمل في الوجهين حقيقة أو حقيقة في أحدهما مجاز في الآخر ... والحتم: القطع بالأمر، وقيل: إحكام الأمر، والحتم: القضاء. والندي: المجلس الذي قد اجتمع فيه أهله، ومثله النادي، ومنه دار الندوة، وهو دار قصي بمكة، وكانوا يجتمعون فيها للتشاور ... ويقال: ندوت القوم أندوهم ندوا إذا جمعتهم في مجلس، وهو في ندي قومه وناديهم لأنه مجلس

[illegible] عن ابن عباس وقيل
أنا هدينا [illegible] عن مجاهد
من [illegible] وقيل
[illegible] بالمتقين وإنا [illegible]
[illegible] من تقدم ذكرهم [illegible]
[illegible] أي طاعته [illegible] ومعصيته [illegible]
الدرجة العالية في الجنة [illegible] الملك
[illegible] أي يشتغلون بالسلام [illegible]
[illegible]
[illegible] وقيل [illegible]
[illegible] عن مجاهد [illegible] وقيل [illegible] عن أبي عبيدة
[illegible] وقيل ما يصنع الله بعذابكم
[illegible] ولا منفعة لولا دعاؤكم
[illegible] وقيل [illegible] في الشدة والنعمة وقيل لولا
[illegible] وقيل لولا دعاؤه إياكم إلى طاعته
عن مجاهد وابن عباس وقيل [illegible] لولا [illegible] عن ابن الأنباري
[illegible] لما خلقكم لأنه خلقكم
لطاعته وهذا أحسن ما قيل فيه وروي نحوه عن ابن عباس
ومجاهد ونظيره وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون وقيل ما
[illegible] لولا [illegible] قيل الخطاب لأهل
مكة وقيل عام [illegible] فسوف يكون لزاما [illegible]

لزاما [illegible] عن ابن عباس [illegible] عن مجاهد وقيل
[illegible] فلا [illegible]
في الآخرة [illegible]
[illegible] العلم وقيل [illegible]
[illegible] عن ابن مسعود وأبي بن كعب [illegible] وقيل [illegible]
[illegible] الأحكام [illegible] الآيات [illegible]
[illegible]
[illegible] لولا [illegible]
فيه [illegible]
[illegible] العمل [illegible]
يعني أنا ما خلقتهم لنفعهم إذ لا يجوز عليه المنافع والمضار

تم المجلد التاسع من التفسير يتلوه في المجلد العاشر أول سورة
الشعراء والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله
على يد الفقير إلى الله الراجي لعفو الله وثوابه [illegible]
[illegible] غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين والمسلمات الأحياء
والأموات [illegible] شهر رجب [illegible] سنة [illegible]
[illegible] والحمد لله وحده وصلى الله على
[illegible] وعلى آله [illegible]

اسم المكتبة	عنيزة الوطنية بالجامع الكبير
رقمه في المكتبة	رول ٢٧، رقم ٩٩ - مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
رمز المخطوط	(ز)
الرقم التصويري	ف ٢٠٨٨
سور المخطوطة	من بداية الفاتحة إلى الآية ٢١١ من سورة البقرة
عدد الأوراق	٢٠٥
نوع الخط ولونه	نسخي جيد
عدد الأسطر	٢٤
مقاس المخطوط	٢٥ × ١٨,٥سم
أول المخطوط	يبدأ من منتصف الصفحة: «الكفار وجمع بين الأوصاف لما فيه من الفائدة كما يقول أنه تعالى قادر حي سميع. وقيل: ﴿غير المغضوب عليهم﴾...
آخر المخطوط	«... وتدل على أنه تعالى يأتيهم بما وعد... وعد عن الأصم فيبطل قول من يجوز الخلف في الوعيد قوله تعالى: ﴿سل بني إسرائيل...﴾.
اسم الناسخ	بلا
تاريخ النسخ	يحتمل النسخ في القرن ٨/ ١٤.
ملاحظات	كتب بخط حديث على الصفحة الأولى: «التهذيب في تفسير القرآن الكريم لأبي سعيد المحسن بن كرامة المعروف بالحاكم الجشمي الجزء الأول والثاني ينقص شيئا يسيرا من أوله ويبتدئ الموجود منه أثناء تفسير سورة فاتحة الكتاب...

تفسير الجشمي

[illegible] رقم ٢٧ [illegible] رقم ٩٩

مكتبة [illegible] الوطنية بالجامع الكبير

التهذيب في تفسير القرآن الكريم

لأبي سعد المحسن بن كرامة، المعروف بالحاكم الجشمي

الجزء الأول والثالث

ينقص منها يسيراً من أوله، ويبدأ الموجود منه أثناء تفسير سورة فاتحة الكتاب بقوله: فأما من قال أراد [illegible] [illegible] [illegible] وآخره [illegible] الموجود منه [illegible] ورق [illegible] هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام [illegible]

[illegible] وكتب على أول الجزء الثاني [illegible]

ورقة [illegible] ٢٨ [illegible] ١٨,٥ × ٢٥ [illegible]

[illegible]

أ ع

واعله

لأنه اسم ما لم يسم فاعله، وأما من قال: إن المراد غير المغضوب عليهم جعله نصبًا على الحال

لأنه بمنزلة الفعل المتقدم كقولك ضرب أخواك وضرب أخوتك.

• يبين تعالى أن الطريق الذي ذكره وطريق الأنبياء والصالحين فقال صراط أي طريق

الذين أنعمت عليهم بالطاعة حتى ثبتوا على الحق، وقيل هم من ذكره في قوله أولئك

الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين الآية، وقيل من أنعمت عليهم من ذرية آدم

وقيل طريق بني إسرائيل فإنه قال يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي، وقيل أنعم الله عليهم

بالرضى عنهم، وقيل بسلوك طاعتهم، وقيل هم أصحاب الكهف التي ذاهلهم عن شهر

غير المغضوب عليهم قيل اليهود ولا الضالين النصارى عن ذلك من نوعًا

وخص اليهود بالغضب لقوله فباؤوا بغضب على غضب، ووصف النصارى بالضلال

قال قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل، وقيل الله جمع

الكفار وجمع بين الأوصاف لأنه من الغاية كما قال الله تعالى فادخلوا حتى نصير

وقيل غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة الآية تدل

على وجوب اتباع سبيل الأنبياء والمؤمنين وأن طريقهم حجة وأنه ربع صفات الطريق

المستقيم وطريق من أنعم الله عليهم من النبيين وطريق غير المغضوب عليهم وطريق

أهل الضلال، وكل وصف زيادة فائدة ليس في الآخر، وتدل على عدل غير طريق

المؤمنين غضب الله عليه من هذا الوجه تدل على أن إجماعهم حجة واختلفوا في الفاتحة

فقيل شرط في كمال الصلاة ليس بشرط في جوازها عند أبي حنيفة لقوله تعالى فاقرءوا ما

تيسر من القرآن، وقيل لا تجوز الصلاة إلا بها وهو قول الشافعي واختلفوا في وجه آخر فقيل

لا بد المؤتم وهو قول الأكثر، وقيل يقرأ وهو قول الشافعي

في هذه السورة مرتبطة بالحمد والتسمية استفتاح له كأنه لما أراد أن يبتدئ بالحمد

خ من النظائر

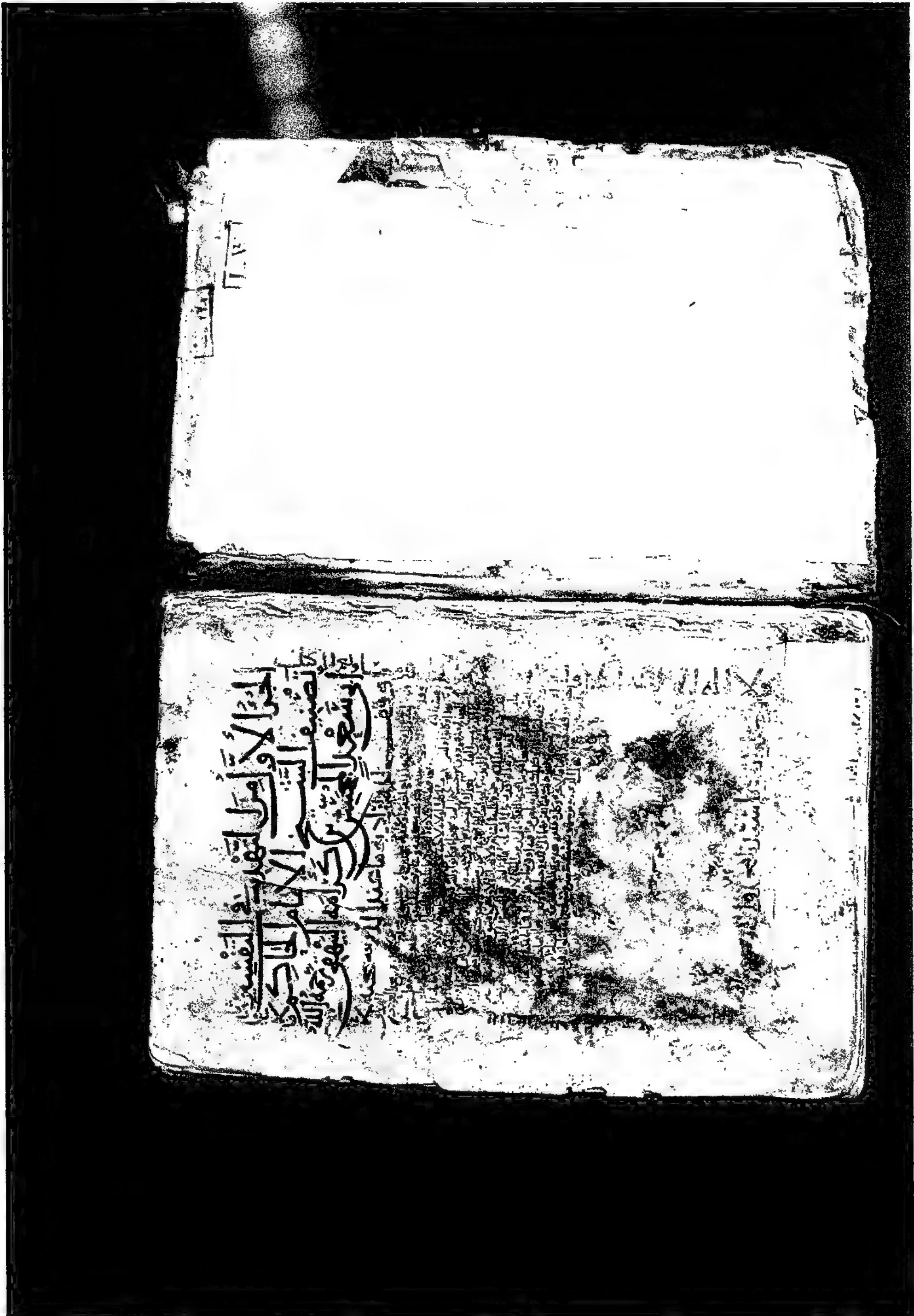
في العود والرد نظائر للإعراب الملئكة رفع عطف على اسم الله تعالى وتقديره
ما يأتيهم الله والملئكة وبالجر عطفا على الغمام على ما تقدم وتحتمل مع الغمام في
الغمام المعنى ثم عقب ما تقدم من الوعيد بوعيد آخر وقال تعالى هل ينظرون أي ما
ينظرون إلا أن يأتيهم الله فيه أقوال الأول يأتيهم جلائل آياته فجعل مجيء الآيات
مجيئا له على التفخيم لشأن الآيات كما يقال جاء الملك إذا جاء جيش عظيم من جهته والثاني
إلا أن يأتيهم أمر الله كقوله في موضع آخر إلا أن يأتيهم الملئكة أو يأتي أمر ربك فهما
في المعنى واحد لأن أمره جلائل آياته ويقال ضرب الأمير فلانا وقتله وأعطاه وإنما
أمر بذلك ولم يتوله بنفسه فأضيف إليه لأمره به الثالث قيل في معنى الإتيان وحذف
الصفات يدل بعضها بعضا وذلك ظاهر وتقديره هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بظلل
من الغمام والملئكة والمراد العذاب الذي يأتيهم في الغمام مع الملئكة وظلل قيل
من الغمام عن الحسن وقيل قطع من السحاب عن الضحاك ومتى قيل لم يأتيهم في ظلل
من الغمام مع العذاب قلنا جلائل الآيات يأتي في ... ليكون أهول وقيل يأتيهم بأهوال
فيشبه ذلك بظلل كقوله وإذا غشيهم موج كالظلل وقضي الأمر قيل وجب العذاب
وقيل فرغ من الحساب وأمور القيامة وقيل جزى كل نفس على سنته وإلى الله ترجع الأمور
يعني كانت الأمور كلها له ملك عباده أشياء ثم جمعها في الحشر فكأنه رجع
الجميع وقيل يرجع إليه بأن يكون هو الحاكم والمدبر لا حكم لأحد كما يقول العرب رددت
هذا الأمر إليك لتدبره وإن لم يكن له ابتداء منه وقيل ترجع الأمر إلى مراده ولا يكون
كثير ولاة مضيعة الأمور يعني أمور الدنيا والآخرة فيحاسب عباده على أعمالهم ويجازيهم
عليها الأحكام استدلت المشبهة بالآية على جواز المجيء على الله وهذا لا يجوز لأنه
من صفات الأجسام وقد قال تعالى ليس كمثله شيء ولو كان جسما لكان مثلا
للأجسام ولكان لا يخلو من دلالة الحدث من الحركات والسكنات تعالى عن ذلك
وقد بينا ما قيل في معناه ومتى قيل كيف يوصف الأمر بالإتيان وهو عرض قلنا
أن المراد أهل الأمر أو يحتمل الأمر ولا يقال إنه توسع ومجاز من وجهين لأن التوسع
في الألفاظ أولى من إضافة التشبيه إلى الله تعالى وقد علمنا بأدلة العقل والسمع
أنه لا يجوز حمله على ظاهره حقيقة والتوسع أكثر في الكلام من الحقائق ومتى
قيل متى يكون هذا في الدنيا أو في الآخرة قلنا الأقرب أن المراد به الآخرة
ولذلك قال وقضي الأمر وهذا لا يليق إلا بالآخرة ويدل على أنه تعالى يأتيهم بأمر
ويعبر عن الأمر فيبطل قول من يجوز الخلف في الوعيد قوله تعالى سل بني

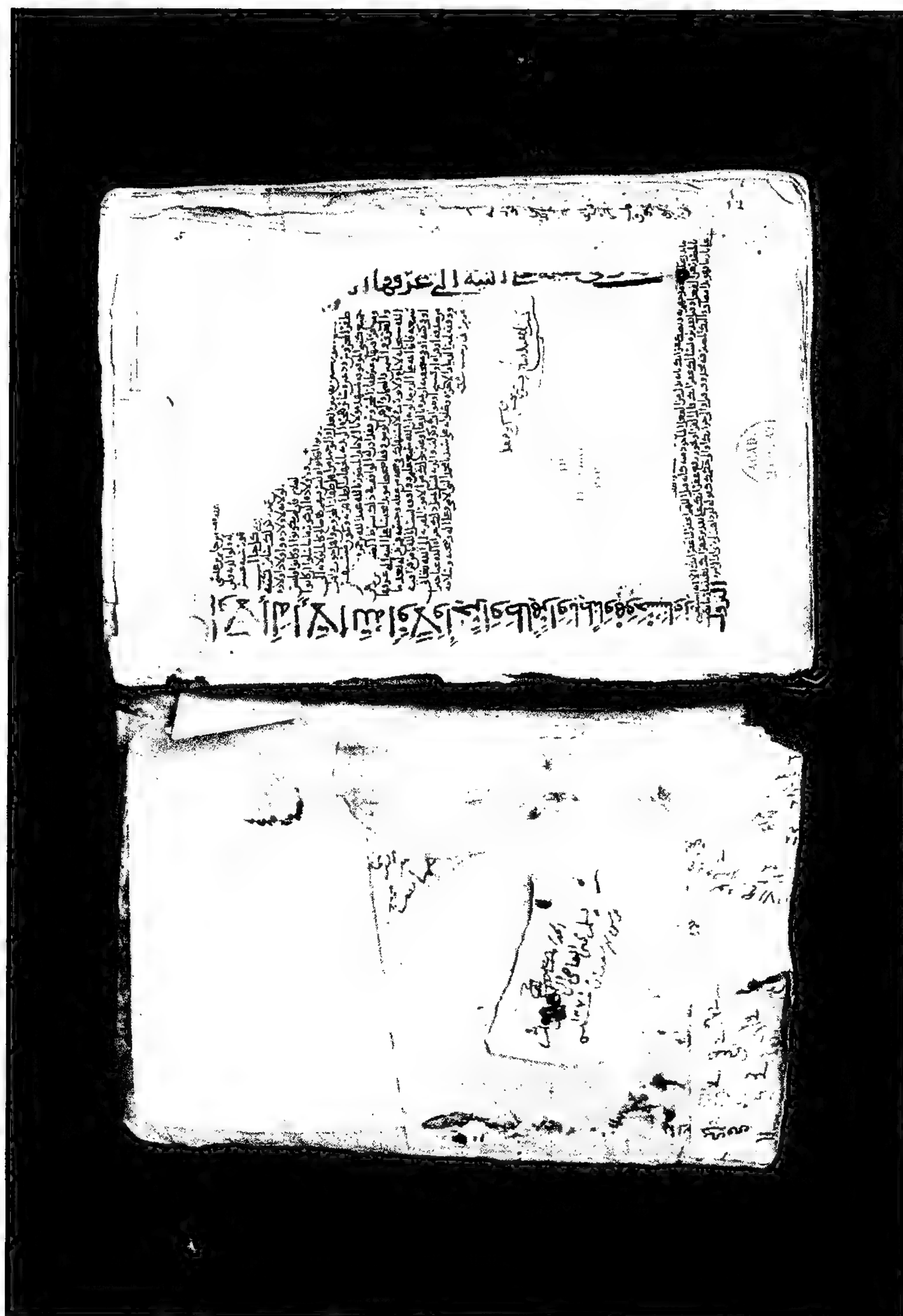
اسم المكتبة	دائرة مخطوطات وزارة التراث والثقافة بسلطنة عمان
رقمه في المكتبة	العام: ١٠١ ـ الخاص: ٩ ب تفسير
المخطوط	المجلد الخامس من التهذيب في تفسير القرآن
رمز المخطوط	(ع)
سور المخطوطة	كتب في بدايتها: «فيه من بعض سورة يونس إلى بعض سورة الحجر»
عدد الأوراق	٢١٦ صفحة
نوع الخط ولونه	نسخي متوسط دون إعجام في الغالب، لون أسود بني وأحمر
عدد الأسطر	٢٠
مقاس المخطوط	٢٤X ١٧،٥ سم
أول المخطوط	بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وبه نستعين وعليه نتوكل. قوله تعالى: ﴿قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده...﴾ [يونس: ٣٤ـ]»
آخر المحطوط	إلى نهاية إبراهيم «... وقيل في قيود وأغلال عن...بن زيد. وقيل: في سلاسل عن الضحاك».
اسم الناسخ	بلا
تاريخ النسخ	بلا
ملاحظات	كتب على الصفحة الأولى: «هذا الجزء المبارك من تفسير القرآن للإمام الحاكم رضي الله تعالى عنه لقد دخل هذا الجزء من تفسير القرآن المجيد في ملك الفقير لله تعالى حسن بن السيد هاشم بن السيد محمد العيدروس بتاريخ يوم الخميس ٢٤ ذي الحجة سنة ١٣٤٧ قطعة من تفسير... هذا الكتاب للفقير المعترف بالتقصير راشد بيده». المجلد مخروم النهاية. نسخ لخزانة مولانا الإمام المنصور ب الله أمير المؤمنين عبد الله بن حمزة بن سليمان بن رسول الله صلى الله وعلى آله. وبه بعض الملاحظات والتوقيفات.

بسم الله الرحمن الرحيم

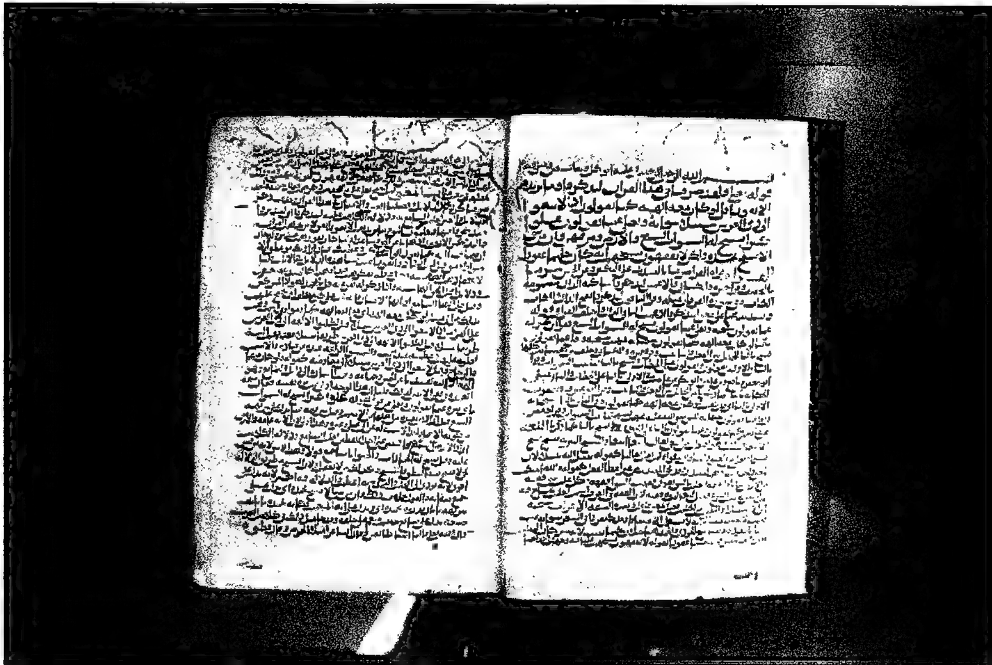
قوله تعالى قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغني من الحق شيئا إن الله عليم بما يفعلون

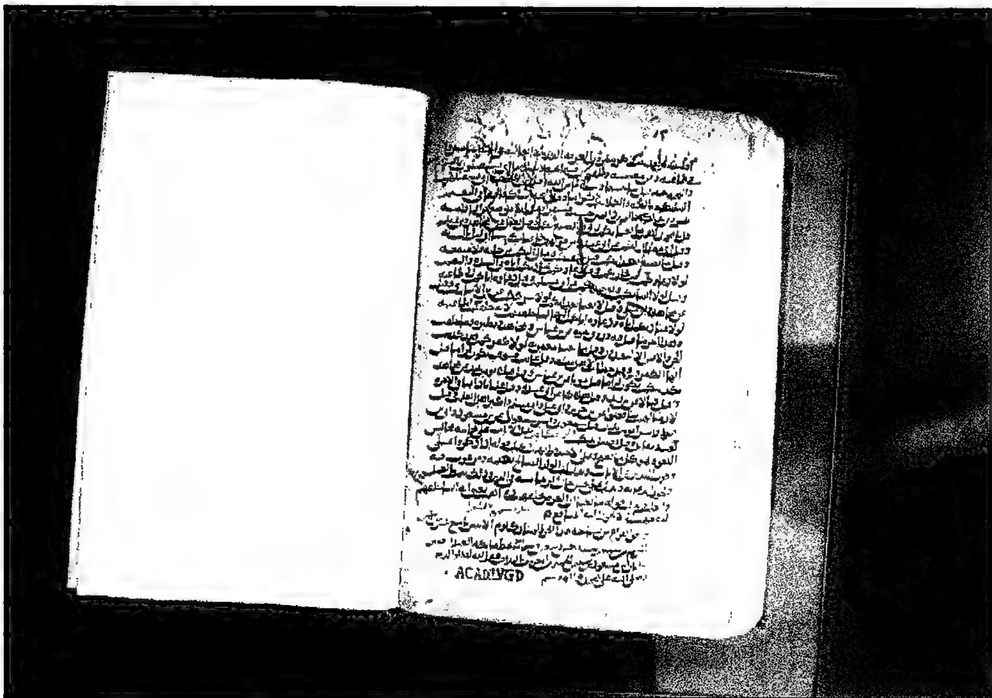
اسم المكتبة	جامعة لايدن [أ]
رقمه في المكتبة	٥٧٠٢٥٨٣
رمز المخطوط	(ل)
سور المخطوطة	من بداية الفاتحة إلى نهاية البقرة
عدد الأوراق	١٠٧
نوع الخط ولونه	نسخي صغير
عدد الأسطر	٣٣
مقاس المخطوط	٢٥ × ١٧ سم.
أول المخطوط	بسم اللّٰه الرحمن الرحيم وبه نستعين وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلامه، الحمد لله الذي هدانا للإسلام، ودعانا إلى دار السلام...».
آخر المخطوط	ووفقه لخير الدنيا والآخرة، وصلواته على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلامه».
اسم الناسخ	كتبه الفقيه صالح حسن بن يحيى بن محسن وفقه اللّٰه...
تاريخ النسخ	رجب سنة: ٦٥٠هـ.
ملاحظات	ـ جاء على ورقة في نهاية المخطوط ما لفظه: «الحمد لله... يسلم يحيى القاضي إلى... شهر شعبان سنة ١٣٧٠هـ». ـ بها تآكل من الجوانب وخرمات وتقويمات.



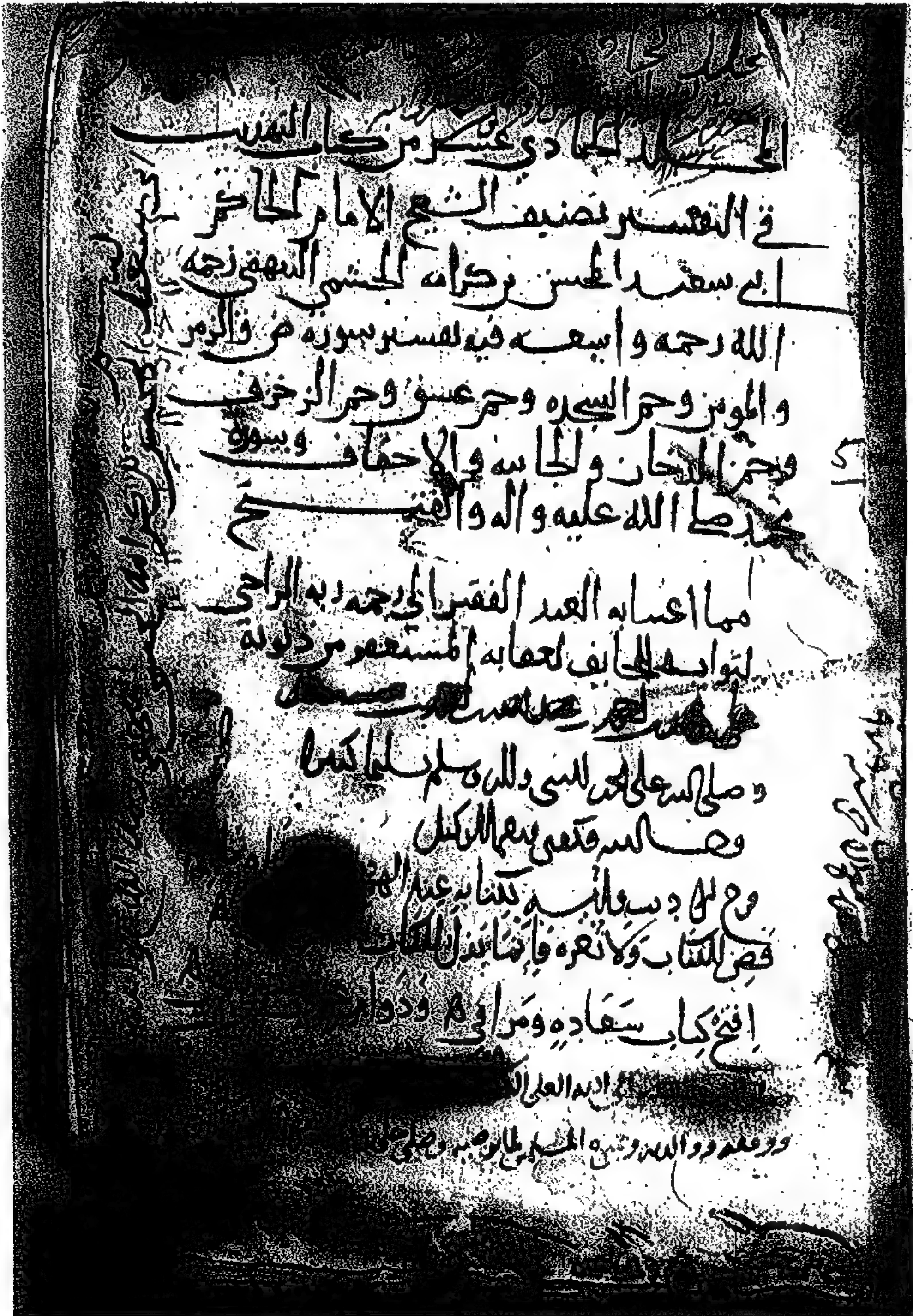


اسم المكتبة	جامعة لايدن [ب]
رقمه في المكتبة	٥٧٠٤٨٨
رمز المخطوط	(ل)
الرقم التصويري	بلا
سور المخطوطة	من الآية ٤١ من سورة الإسراء إلى نهاية سورة الفرقان
عدد الأوراق	٢٢٩
نوع الخط ولونه	أسود بني وأحمر
عدد الأسطر	٢٧_٢٩
مقاس المخطوط	٢٤X١٦ سم
أول المخطوط	بسم اللّٰه الرحمن الرحيم وعليه أتوكل وبه أستعين وصلى اللّٰه... ولقد صرفنا للناس...»
آخر المخطوط	...أولا يجوز إليه المنافع، وافق الفراغ من نساخة هذا الجزء المبارك يوم... غفر اللّٰه له ولوالديه وصلى اللّٰه على محمد وآله وسلم».
اسم الناسخ	سليمان بن مسعود بن سليمان الحميري المعروف بالعلاف
تاريخ النسخ	يوم الاثنين تاسع عشر من شهر المحرم من شهور سنة خمس وتسعين وستمائة [١٩/ ١/ ٦٩٥هـ].
ملاحظات	كتب في بداية المخطوط: «المجلد السادس من تسعة من التهذيب في تفسير القرآن الكريم تصنيف...» ورد على الغلاف: «ملك العبد الفقير إلى اللّٰه... يحيى الحميري نفعه اللّٰه بما فيه ورزقه حفظ معانيه ووفقه لما يرضيه وغفر له ولوالديه ولجميع المسلمين وصلى اللّٰه على محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً». وجاء أيضا ما لفظه: «انتقل إلى ملك مولنا أمير المؤمنين المهدي لدين اللّٰه علي بن محمد بن علي بن منصور بن الحسين...». بها خرومات وتآكل.





اسم المكتبة	مكتبة دبلن - إيرلندا
رقمه في المكتبة	CBL, 5152,235
سور المخطوطة	من سورة ص إلى سورة الفتح
نوع الخط ولونه	نسخي جيد.
عدد الأسطر	١٦-١٩
مقاس المخطوط	٢٤X١٧ سم
أول المخطوط	بسم الله الرحمن عونك اللّٰهم يا حي يا قيوم سورة ص وتسمّى سورة ذي الذكر وهي مكية...»
آخر المخطوط	تم الجزء الحادي عشر من كتاب التهذيب بمن الله وعونه وصلى الله...»
اسم الناسخ	علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد العبدي.
تاريخ النسخ	الجمعة ٢٧ من شهر ربيع الآخر من شهور سنة إحدى وعشرين وستمائة [٢٧/ ٤/ ٦٢١هـ]
ملاحظات	جاء في الصفحة الأولى بعد ذكر الجزء وما فيه ببعض الأبيات..


المجلد الحادي عشر من كتاب التهذيب
في التفسير تصنيف الشيخ الإمام الحاكم
أبي سعد المحسن بن كرامة الجشمي البيهقي رحمه
الله رحمة واسعة فيه تفسير سورة ص والزمر
والمؤمن وحم السجدة وحم عسق وحم الزخرف
وحم الدخان والجاثية والأحقاف وسورة
محمد صلى الله عليه وآله والفتح

مما اكتسابه العبد الفقير إلى رحمة ربه الراجي
لثوابه الخائف لعقابه المستغفر من ذنوبه

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ص وتسمى سورة ذي الذكر وهي ستة وثما
[illegible] وخمس وثمانون في البصري وثمان في الحجازي
وست في المدني وروي أبي عن النبي صلى الله عليه وآله
من قرأ سورة ص أعطي من الأجر بوزن كل جبل سخره الله لداود
عليه السلام حسنات وعصمه الله أن يصر على ذنب صغير
أو كبير ولما ختم سورة الصافات بذكر القرآن والرسول
وإنكار الكفار ما دعاهم إليه من التوحيد والرسالة افتتح
سورة ص بذلك وزاد عليهم ﴿بسم الله الرحمن الرحيم
ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق
كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص
وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر
كذاب أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب﴾
القراءة قراءة القراء ص بالجزم لأنها من حروف الهجاء [illegible]
[illegible] الحسن [illegible] ابن أبي إسحاق بكسر الدال من المصاداة أي
عارض القرآن بعملك وقابله به فاعمل بأوامره ونواهيه [illegible]

تم الجزء الحادي عشر من كتاب التهذيب
بحمد الله وعونه وصلى الله على رسوله سيدنا محمد النبي
وآله وسلم تسليما آمين
اتفق الفراغ من نساخة هذا المجلد الحادي عشر من
كتاب التهذيب يوم الجمعة السابع والعشرين
من شهر ربيع الآخر الذي هو من شهور سنة احدى
وعشرين وستمائة وذلك بخط الفقير الى رحمة ربه
الراجي لعفو خالقه علي بن محمد بن احمد بن عبد الله
بن احمد بن سمعان غفر الله له ولمالكه ولكاتبه وللقارئ فيه ولمن
قال آمين يا رب العالمين وصلى الله على محمد وآله
وحسبنا الله وكفى ونعم الوكيل ونعم المولى ونعم النصير
برسم الفقيه الفاضل الكامل العالم
الطريد الواصل
وحفظه ومعانيه محمد بن عبد الله
صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين

اسم المكتبة	جامعة أمبروزيانا ـ ميلانو
رقمه في المكتبة	ar.F.184
رمز المخطوط	(ن)
الرقم التصويري	F ١٨٤
سور المخطوطة	من الآية بداية سورة آل عمران إلى الآية ١٠١ من سورة النساء
عدد الأوراق	٢٤٠ صفحة
نوع الخط ولونه	نسخي جيد أسود
عدد الأسطر	٢٣
أول المخطوط	بسم اللّٰه الرحمن الرحيم وبه في كل حال أستعين. السورة التي تذكر فيها آل عمران مائتا آية...
آخر المخطوط	تم المجلد الثاني من التهذيب بحمد اللّٰه
اسم الناسخ	لا يوجد
تاريخ النسخ	في النصف الآخر من شهر رمضان المعظم من سنة اثنتين وسبعمائة [٩/ ٧٠٢هـ]
ملاحظات	الجزء الثاني من كتاب التهذيب ـ وعلى الصفحة الأولى تمليكات وإشارة إلى النقل

[illegible]
العظيم تصنيف الشيخ الحاكم
المحسن بن كرامة الجشمي
[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم وبه في كل حال أستعين

[illegible] التي تذكر فيها آل عمران مائتا آية وهي مدنية بالإجماع عن
ابن عباس [illegible] النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال من قرأ سورة آل عمران يوم الجمعة
صلى [illegible] وملائكته حتى [illegible] الشمس وعن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه
[illegible] أنه قال من قرأ سورة آل عمران أعطي بكل آية منها أمانا على
[illegible] السورة بالتوحيد وكيفية الإيمان وافتتح هذه السورة
[illegible] الإيمان أيضا وقوله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا إله إلا
[illegible] نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه
[illegible] والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان
[illegible] كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز
[illegible] القراءة
[illegible] أبو بكر عن عاصم الم الله مقطوعا بسكون
[illegible] الله وقرأ الباقون موصولا بفتح الميم وعن أبي
[illegible] ألف لام مقصورا لا [illegible] جميع الحروف المقطعة
[illegible] من نصب الميم ففيه قولان الأول أنه التقى الساكنان
واستثقل الكسر [illegible] الساكنة فصرف إلى الفتح لأنه أخف حرف
[illegible] البصريين [illegible] الفراء والزجاج لأن حروف الهجاء
[illegible] الوقف فلما ألقاها الفاء الوصل وأدرجت الألف نقلت
حركتها [illegible] الرهد [illegible] الوجه أبو العباس المبرد فأما
من قطع فله وجهان أحدهما نية الوقف ثم قطع همزة الابتداء والثاني
[illegible] أجراه على لغة من [illegible] الوصل ومن فصل وقطع [illegible]
[illegible] الساكنان [illegible] الكسرة [illegible]
[illegible] في الأفعال خاصة فأما في الحروف [illegible]

والكسر والضم

تم المجلد الثاني من التهذيب بحمد الله وعونه ولطفه و[illegible]
[illegible] الفراغ [illegible] الآخر [illegible] المعظم
من [illegible] على [illegible] الكاتب [illegible]
والفاني [illegible]
[illegible] العظيم . وصلى الله على [illegible] سيدنا محمد [illegible]

اسم المكتبة	مكتبة أمبروزيانا ميلانو
رقمه في المكتبة	**C210**
رمز المخطوط	(ن)
سور المخطوطة	من الآية ١٧٥ من سورة آل عمران إلى الآية ١٠١ من سورة النساء
عدد الأوراق	١٧٤ صفحة
نوع الخط ولونه	نسخي جيد أسود
عدد الأسطر	١٦ـ١٧
أول المخطوط	بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين. قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ... ﴾
آخر المخطوط	...وقيل المراد بالخوف الذي هو أصل الأمن أن يفتنكم الذين كفروا قيل عن الصلاة فيمنعوكم عنها وقيل.
اسم الناسخ	لا يوجد
تاريخ النسخ	يحتمل نسخها سنة ٦٢٢/ ١٢٢٥.
ملاحظات	الجزء الرابع من التهذيب ـ النسخة مخرومة في نهايتها.

[illegible]

[illegible] من كتاب التفسير [illegible]

للإمام الحافظ [illegible]

[illegible] الحنبلي رحمه الله تعالى

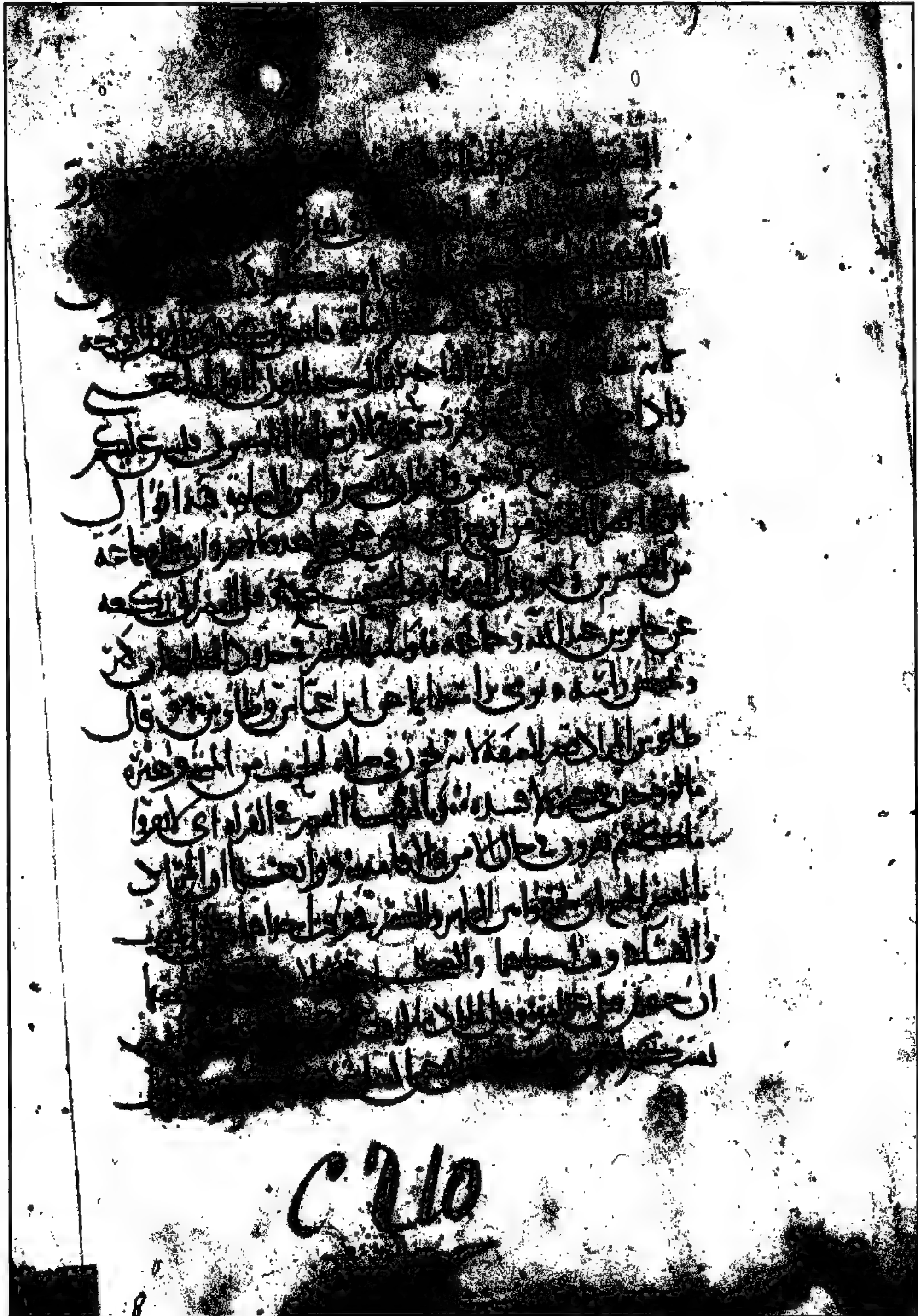
[illegible] الأجل الأعز الأمجد

محمد [illegible]

[illegible] أعز الله [illegible] وعفا [illegible]

[illegible] بما آتاهم الله من فضله [illegible]
[illegible]
[illegible] هو شر لهم
سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث
السماوات والارض والله بما تعملون خبير القراءة

قرا حمزه وحده تحسبن بالتا على خطاب النبي والباقون باليا على المجاز
ان المخاطب النبي وهذا اظهر في [illegible] الا [illegible] على [illegible]
وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بما يعملون باليا على المغايبة كانه
عن الذين يبخلون باليا والباقون بالتا على الخطاب اللغة الطوق
معروف وكل ما استدار بشي فهو طوقه وطوقتك الشي
والعمل الذي [illegible] مشتغله وفي الشرع معنا
انه يطيق فعله والقدر لا يستحق الا ترك واجب الفدا ما
من الواجب [illegible] الاعطا بمعنى اللغة [illegible]
بعد اليا وسكون الها [illegible] الاعراب هو في قوله هو خيرا
لهم فصل بين الاسم والخبر ويسميه بعض النحويين العماد وقوله على
التكرار تقديره البخل الذين يبخلون البخل ذلك خيرا لهم
هذا على قراءة اليا وعلى التا لا تحسبن البخل هو خيرا لهم والاسم مضمر



اسم المكتبة	مكتبة أمبروزيانا ميلانو
رقمه في المكتبة	Arabic.H74
رمز المخطوط	(ن)
سور المخطوطة	من الآية ٥٠ من سورة الفرقان إلى الآية ٤٢ من سورة الزمر
عدد الأوراق	٢٤٢ صفحة
نوع الخط ولونه	نسخي أسود
عدد الأسطر	٢٩
أول المخطوط	... الرحمن الأرحمن [كذا] اليمامة يعنون مسيلمة...
آخر المخطوط	... قيل إن المراد التوقي الإمساك ويكسبن حين موتها يعني وقت موتها
اسم الناسخ	لا يوجد
تاريخ النسخ	لا يوجد ويحتمل في بدايات ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م.
ملاحظات	النسخة مخرومة من الطرفين ـ قديمة جدا ـ من غير إعجام في الغالب

[illegible]

لله بالسمعة في الدنيا [illegible] في الآخرة [illegible] إلا من شاء أن يتخذ [illegible] الله
[illegible] إلا من شاء أن يتخذ
إلى ربه سبيلا [illegible] إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا
[illegible] أنه جعل أجره عليه أي
[illegible] إلى ربه سبيلا [illegible] الطاعة [illegible] الأجر
[illegible] على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده [illegible] على الحي
[illegible] وكفى به بذنوب الله عليه
عباده خبيرا أي عليما [illegible] الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام
[illegible] ثم استوى على العرش الرحمن أي [illegible]
[illegible] السماوات [illegible] على العرش [illegible]
[illegible] الرحمن [illegible] الرحمن [illegible] أي عليما [illegible]
[illegible] يا أيها الإنسان [illegible]
الخبير هو الله [illegible]
[illegible] لا يتوكل إلا عليه [illegible] الإسلام
[illegible] الذي
[illegible] لا يتوكل عليه هو الحي الذي [illegible]
[illegible] وإذا قيل لهم أي للكفار اسجدوا
[illegible] الرحمن قالوا
للرحمن [illegible] وما الرحمن [illegible] الله [illegible]
[illegible] الرحمة [illegible]
[illegible] أنسجد لما تأمرنا [illegible]
[illegible] أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا [illegible] اسجدوا للرحمن [illegible]
[illegible] بالله [illegible]
[illegible] النفور [illegible] الرحمن [illegible]
[illegible] الرحمن [illegible] أنسجد [illegible]
[illegible] وقوله [illegible]
[illegible]
[illegible] وجوب التوكل [illegible]
[illegible] الكفار [illegible]
[illegible]
في الخلق. قوله تعالى: تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها
سراجا وقمرا منيرا وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد
أن يذكر أو أراد شكورا وعباد الرحمن [illegible] على الأرض

الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون أم اتخذوا
من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون
قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون
وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة
وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون .. القراءة قرأ حمزة
والكسائي والأعمش قضي عليها الموت بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء على ما لم يسم فاعله
الموت رفع والباقون بفتح القاف والضاد وسكون الياء الموت بالنصب واختاره
أبو عبيد وأبو حاتم لقوله الله يتوفى الأنفس فهو يقضي عليها الموت اللغة التوفي
قبض الشيء على التمام يقال توفيت ما لي من فلان واستوفيته ومنه [illegible]
الفراق [illegible] والموت عند الحياة [illegible] عرضان
لا يقدر عليهما غير الله وقيل الحياة [illegible] وذهاب العلوم الضرورية [illegible]
الحيوة والروح [illegible] الموت [illegible] [illegible]
[illegible] النظم [illegible] قوله الله يتوفى الأنفس [illegible]
[illegible] عليهم [illegible] من [illegible]
[illegible] اليوم [illegible] في [illegible]
الله [illegible]
[illegible] السموات والأرض [illegible] الموت والحياة [illegible]
متصل بقوله أم اتخذوا [illegible] الله [illegible]
[illegible] الملك [illegible] متصل بما قبله [illegible]
[illegible] بقوله عليه يتوكل [illegible]
الله [illegible] على الذين اتخذوا [illegible]
[illegible] أنه القديم هو الله الواحد المعنى الله يتوفى الأنفس
[illegible] عليه [illegible] الأرسال [illegible]
[illegible] عن [illegible]
[illegible] الأمساك والكشف [illegible]

اسم المكتبة	مكتبة أمبروزيانا ميلانو
رقمه في المكتبة	Arabic.D520
رمز المخطوط	(ن)
سور المخطوطة	من الآية ١٠٦ من سورة الأنعام إلى آخر سورة هود
عدد الأوراق	٣٠٨ صفحات
نوع الخط ولونه	نسخي أسود
عدد الأسطر	٢٧
أول المخطوط	بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وبه نستعين قوله تعالى: ﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ...﴾ [الأنعام: ١٠٦]
آخر المخطوط	... ويدل على ترغيب وترهيب قوله تعالى: وما ربك بغافل عما يعملون. تم الجزء الثالث من كتاب التهذيب
اسم الناسخ	لا يوجد
تاريخ النسخ	الثالث عشر من شهر ذي الحجة سنة [سواد] اثنين وعشرين وستمائة [١٣/ ١٢/ ٦٢٢هـ]
ملاحظات	الجزء الثالث من كتاب التهذيب ـ وعلى الصفحة الأولى تمليكات وإشارة إلى أنها نقلت من نسخة الشيخ الأجل محي الدين محمد بن أحمد بن الوليد... وفي آخر صفحة ذكر صفة صلاة ودعاء الاستخارة



اسم المكتبة	مكتبة أمبروزيانا ميلانو
رقمه في المكتبة	**Arabic. A73**
سور المخطوطة	سورة البقرة: ٥٩ - ٢١٧
عدد الأوراق	١٩٢ صفحة
نوع الخط ولونه	نسخي رديء أسود
عدد الأسطر	٢٣
أول المخطوط	من سورة البقرة الآية (٥٩)
آخر المحطوط	سورة البقرة (٢١٧)
اسم الناسخ	لا يوجد
تاريخ النسخ	لا يوجد
ملاحظات	نسخة رديئة جدا مخرومة البداية والنهاية



من ابليه شيئاً اي ترك ومنه العفو لانه ترك العقوبة ومعنى عفا الله عنك
اي رفع العقاب عنك والذنوب على انه اضرب كصغر ويجوز العفو
عنه عقلاً الا ان السمع منع منه والكبائر يجوز العفو عنها عقلاً واختلفوا
في جوازه سمعاً وعند البغداديين لا يجوز العفو عقلاً والصغائر هو معفو عنها باجتناب
الكبائر واتفقوا ان الجميع واجب في انه يجب العفو عند التوبة واسقاط العقاب
النعمة فصنو الكفر واصله من [illegible] لا عراب [illegible] من بعد
ذلك على التوحيد والمعنى على الجمع قلنا لان الخطاب ابتداء [illegible] وهو منهم
فجرى على الاصل ومن على [illegible] مشاكلة اللفظ اذ كان لفظ [illegible] على الواحد
وان كان معناه على الجمع وقيل يخاطب الواحد في اللفظ ويعنى به
الجمع كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء [illegible] من بعد التوبة من الذنب
وعفوه عنهم وقال تعالى عفونا عنكم يعني بقبول التوبة من عبادة
العجل بعد ان عبدوها من بعد ذلك من بعد اتخاذكم العجل الهاً
لعلكم تشكرون فيه معنى لعل معنى لام كي اي لكي تشكروا الله
على عفوه عنكم وسائر نعمه عليكم وقيل معناه التعرض كانه قيل
عرضناكم للشكر وقيل معناه لتشكروا عفونا عنكم كما اثنى للعبادة
خلقهم [illegible] الآية تدل على انه تعالى اراد منهم الشكر لان معنى
لعلكم اي لكي تشكروا فمعناه اريد منكم ان تشكروا وتدل على ان العفو
عن الذنب بعد التوبة نعمة من الله تعالى على عباده ليشكروا وتدل على ان التوبة
من كل ذنب يمحو اي لا ذنب اعظم من عبادة العجل ويقال ما الشكر والحمد
قلنا فيه خلاف قيل هو طاعة الله في السر والعلانية عن ابن عباس وقيل
الاعتراف بالنعمة والتحدث بها عن الحسن وقيل هو تعظيم المنعم بالقلب
واللسان وقيل هو اجتناب معاصيه والمحافظة على [illegible]
وعاله [illegible] رب السموات [illegible]

اسم المكتبة	مكتبة أمبروزيانا ميلانو
رقمه في المكتبة	B ٤٤
سور المخطوطة	من الآية ١٤ من سورة الأعراف إلى الآية ٣٤ من سورة يونس
عدد الأوراق	٢١٥ صفحة
نوع الخط ولونه	نسخي أسود
عدد الأسطر	٣٥
مقاس المخطوط	٣٠X٢١ سم
أول المخطوط	بسم اللَّه الرحمن الرحيم... اللَّهم صل على محمد وعلى آل محمد ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (١٥)﴾ [الأعراف: ١٤، ١٥]
آخر المخطوط	... على الكفار إلا بدليل... ويتلوه في المجلد الخامس قوله ﴿قل هل من شركائكم...﴾
اسم الناسخ	لا يوجد، بعناية المالك عماد الدين يحيى بن الحسين بن أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم بن محمد
تاريخ النسخ	الجمعة ٢٩ ذو القعدة ١٠٥٨هـ
ملاحظات	هو الجزء الرابع من كتاب التهذيب ـ وعلى الصفحة الأولى تمليكات وإشارة إلى أنها نقلت من نسخة السيد إبراهيم بن محمد بن الوزير ... وأنهاه المؤلف في شهر رمضان ٤١٣هـ وتوفي سنة ٤٩٤هـ وبه معلومات على حياة المؤلف.

الجزء الرابع من كتاب التهذيب في التفسير

للشيخ الإمام العلامة

... سعد

المحسن بن كرامة

الجشمي البيهقي

رحمه الله

تعالى

[illegible]

ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

والحمد لله وحده

وصلواته على رسوله

سيدنا محمد وعلى آله وسلم

وكرم وشرف وعظم

[illegible]

اسم المكتبة	جامعة ميونيخ، ألمانيا
رقمه في المكتبة	BSB, arab.1209
رمز المحطوط	(م)
سور المخطوطة	من الآية ٦٢ من سورة الإسراء إلى آخر سورة الفرقان
عدد الأوراق	٢٤٢ صفحة
نوع الخط ولونه	نسخي أسود
عدد الأسطر	٢٤
مقاس المخطوط	٢٤X١٨ سم
أول المخطوط	«بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي. قوله تعالى: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا...﴾...»
آخر المحطوط	...قوله ﴿ما يعبأ﴾ أن العرض بخلقهم دعاهم... أي لم أبال به. وقيل: ما يصنع بعذابكم قيل خلقتكم».
اسم الناسخ	لا يوجد
تاريخ النسخ	لا يوجد
ملاحظات	الجزء السادس من التهذيب - النسخة مخرومة النهاية - قديمة - بها تمليكات في أول صفحة

السفر السادس من التهذيب في
تفسير القرآن العظيم
للإمام العلامة
المجتهد أحد علماء الزيدية
الأعلام المحسن
بن كرامة الجشمي
البيهقي المعروف
بالحاكم عليه
السلام

الحمد لله رب العالمين
صار إلى العبد الفقير إلى الله عفوه
محمد بن أمير المؤمنين المتوكل على الله إسماعيل
بن أمير المؤمنين القاسم [illegible]
[illegible]

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

قوله تعالى: وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا
إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طيناً قال أرأيتك هذا الذي كرمت
علي لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا قال اذهب
فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً واستفزز من استطعت
منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد
وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً إن عبادي ليس لك عليهم سلطان
وكفى بربك وكيلا (٦٥) القراءة: قرأ حفص عن عاصم ورجلك بكسر الجيم
والباقون بسكون الجيم وهما لغتان وهو جمع راجل كراكب وركب
وتاجر وتجر لئن أخرتني بإثبات الياء في الوصل دون الوقف أبو جعفر
ونافع وأبو عمرو وبالإثبات للأصل والحذف للتخفيف ودلالة الكسرة عليه
اللغة: الاحتناك الاقتطاع من الأصل لأحتنكن لأقتطعن يقال احتنك
فلان ما عند فلان من مال أو علم إذا استقصاه فأخذه كله واحتنك الجراد الزرع
إذا أكله كله قال الشاعر: أشكو إليك سنة قد أجحفت جهداً إلى جهد بنا
وأضعفت واحتنكت أموالنا وجلفت وقيل هو من قول العرب حنك الدابة
يحنكها إذا جعل في حنكها الأسفل حبلاً يقودها به قال أبو مسلم الاحتناك
افتعال من الحنك كأنه يملكهم ويملك تصرفهم كما يملك الفارس فرسه بلجامه
أي إذا أعدل عن محجته يقال احتنك دابته إذا شد حنكها بحبل والموفور
المكمل يقال وفرته أوفره وفراً فهو موفور ووفرته توفيراً قال زهير
ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
والاستفزاز الإزعاج والاستنهاض على خفة وإسراع عن أبي مسلم
وقيل استفزه استزله وأصله القطع يقال تفزز الثوب إذا انخرق وفززته
تفزيزاً فكأن معنى استفزه استزله بقطعه عن الصواب والاستفزاز
التخويف ورجل فز خفيف واستفزه استخفه والغرور تزيين الخطأ

الشهادة الشهادة بالحق ومنه الشهادة والزور الكذب واصله الميل ومنه الزور والازور وقيل الشرك
علاوصف فهو مموه بالباطل الشهود على شهادة الزور والزور ...
والمزيد الباقي ... الذين لا يشهدون الزور ...
الحسن ... والمنبهه ... والجمع ... واللغو ...
الذين لم ... تشبعا ... ولعلها ...
صيانا ومن جمعه ...
وحاصله هذا النوع ... قال ... والذين لا يشهدون الزور قيل الشرك ...
وقيل شهادة الزور عن علي بن ابي طالب وقيل ... الشرك ... وقيل هو ... مجاهد
مجاهد وقيل ... والامالي من الجمع ... واذا مروا باللغو مروا كراما ...
الكلام ... عن مجاهد ... وقيل هي ... الشرك ...
متذكرين ... وقيل اذا مروا ... باللغو ... معرضين ...
وقيل ... ولا ... قيل ...
والشيخ ... الذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا ...
سمعوا ... ومفهوم ... كالناظر ... يسمعون ...
لم يعموا ... وقيل ... والغيرة ...
والمراد ... والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين ... ممن ...
قال ... البصر ... واذا ... البصر ... البصر ...
اماما اي ... واجعلنا للمتقين اماما ...
عن مجاهد وقيل ... اماما اي للمتقين الامامة لنا ... مسلم ... اي اجعلنا ...
اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ...
في طاعته وعن معصيته ويلقون فيها تحية وسلاما اي يستقبلون بالسلام والتحية ... حسنت مستقرا ومقاما
الله ... الملائكة ... والسلام ...
... قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم ...
وقيل اي ... وقيل ما يصنع بعذابكم ...

تقديم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه نستعين، وصلى الله على محمد وآله(١).

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، ودعانا إلى دار السلام، ومَنَّ علينا بنبينا محمد ﷺ، وأنعم علينا بضروب الإنعام، وأنزل القرآن، وصانه عن التحريف والزيادة والنقصان، ونسخ به سائر الأديان، ثم الصلاة على سيد المرسلين، وخاتم النبيين، وإمام المتقين، محمد وعلى آله أجمعين.

أما بعد: فإن أولى ما يشتغل به المرء طَلَبُ العلوم الدينية التي فيها فوزه ونجاته، ثم عبادة ربه الذي إليه محياه ومماته، ومن أجلِّ العلوم معرفة كتاب الله تعالى، وتفهم معانيه وأحكامه، فإن عليه مدار الدين، وهو حبل الله المتين، وقد اجتهد العلماء في ذلك، وبينوا وصنفوا، وللأولين فضل السبق، وتأسيس الأمر، وللآخرين حسن الترتيب، وجودة التهذيب، وزيادة الفوائد، ولئن(٢) قال بعضهم: ما ترك الأول للآخر، فقد قال آخرون(٣): كم ترك الأول للآخر.

وقد جمعت في كتابي هذا جَمًّا(٤) وجوامع في علم القرآن من غير تطويل مُمِلٍّ، أو إيجاز مخل، أرجو أن يكون تبصرة للمبتدئ، وتذكرة للمنتهي، ومن الله أستمد التوفيق، وعليه أتوكل، وهو حسبي ونعم المعين.

---

(١) وصلى الله على محمد وآله: وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلامه، و.
(٢) ولئن: ولأن، د، ز.
(٣) آخرون: آخر، د، ز، ق.
(٤) جمًّا: ز، و.

علوم القرآن

وعلوم القرآن كثيرة، مدارها على ثمانية:

أولها: القراءة ووجوهها وعللها.

إنما تجوز القراءة بالمستفيض المتواتر دون الشاذ والنادر، وكما لا يجوز إثبات القرآن إلا بنقل مستفيض، كذلك القراءات، وما تواتر نقله فلا[1] يجوز رد شيء منها؛ لأنها[2] كلها منزلة ثابتة.

وثانيها: اللغة، والقرآن كله بلغة العرب، هكذا قال الله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥] وما روي عن بعض السلف [من قولهم في بعض الألفاظ]: إنها رومية، أو فارسية كـ (القسطاس)، و(السجل) ونحوهما ـ فمحمول على موافقة اللغتين، أو على أن العرب أخذته فعربته. وكذا ليس فيه لفظ مستنكر، أو خطأ أو تناقض. واختص بنوع من اللغة[3] والفصاحة بان بها عن غيره فصار معجزًا.

وثالثها: الإعراب، فليس فيه لحن ولا خطأ، خلاف ما يهذي به المُلحِدَةُ.

ورابعها: النظم، فإن القرآن على ما هو عليه من السور والآيات اتصل بعضها ببعض، كذلك أُنزِلَ، وفي كل ذلك غرض وفائدة.

---

(١) يجيز بعضهم زيادة الفاء في خبر المبتدأ على اعتبار أن ما شرطية فتقع الفاء في جوابها لأنه مبدوء بنفي. مغني اللبيب ١٣٢، دار الفكر، بيروت، الطبعة السادسة ١٩٨٥، ت: د/ مازن المبارك.

(٢) لأنها: لأن؛ ل.

(٣) اللغة: النظم، ز.

وخامسها: المعنى، وليس فيه شيء لا يعرف معناه؛ إذ المقصود من الكلام إفهام المعنى، وكل كلمة لا تخلو إما أن يكون لها معنى واحد فلا بد أن تحمل عليه، وإن احتمل[1] معاني ـ والكل جائز ـ حمل على الكل على وجه يصح من جمع أو تخيير، فإن دل دليل على أن بعضه مراد وبعضه ليس بمراد عمل بمقتضى الدليل، فإن كان له معنى في اللغة ومعنى في الشرع حمل على المعنى الشرعي؛ لأنه ناقل، ثم فيه حقيقة ومجاز، فالحقيقة أولى إلا أن يدل الدليل على أن حمله على المجاز أولى، فيُحْمَل عليه.

وسادسها: النزول، فإن منه ما نزل بسبب، ثم قد يقتصر على سببه، وقد يتعدى إلى غيره، والواجب اعتبار اللفظ دون السبب.

وسابعها: الأدلة، والأحكام، فإنه كلام صادق، وهو حجة، ثم منه ما ورد مؤكدًا، كأدلة التوحيد، ومنه ما ورد مبينًا، كأدلة الشرائع، ومنه ما يعرف المراد بظاهره، كالمحكم والمبين، ومنه ما يرجع في معرفة المراد به إلى غيره كالمجمل والمتشابه، ومنه ناسخ يجب العمل به، ومنسوخ لا يجب؛ ولذلك يجب معرفة تاريخ النزول، وما نزل منها بمكة، وما نزل منها بالمدينة، ومنه العموم والخصوص، ويدخل فيه الأمثال، والحكم، والمواعظ، والزواجر، والأوامر، والنواهي، والوعد، والوعيد.

وثامنها: الأخبار والقصص.

(١) أي احتمل اللفظ.

أسامي القرآن

وللقرآن أسام[1] فمنها: القرآن، ومعناه الجمع، يقال: قرأت قراءة، وقرآنًا، ومنه قيل للحوض: مِقْرَاةٌ؛ لاجتماع الماء فيه[2].

ومنها: الفرقان، قيل: معناه أنه النجاة والمخرج، ومنه: ﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩] وقيل: هو الفرق بين الحق والباطل عند ابن العباس.

ومنها: الذكر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ [الحجر: ٩] قيل: إنه ذكر من الله تعالى لعباده بالفرائض والأحكام، وقيل: إنه شرف لمن تمسك به، ومنه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤].

ومنها: الكتاب؛ لأنه مكتوب، فسمي المكتوب كتابا، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، ومكان الإنجيل السبع المثاني، ومكان الزبور المئين، وفضلت بالمفصل»[3] فالطوال: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والتوبة، وقيل: آخر سورة يوسف[4]، والمثاني: ما زاد على مائة آية، لأنه تثنى فيها الأحكام، وقيل: الفاتحة، والمئون: ما كان مائة أو زاد قليلاً أو نقص قليلاً، والمفصل: السور القصار، لكثرة الفصول بين السور.

---

(١) ينظر البرهان في علوم القرآن للزركشي، دار المعرفة، بيروت، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ١/ ٢٧٣.

(٢) فيه: فيها، ز، ف، و.

(٣) مسند أحمد (٤/ ١٠٧) برقم (١٧٠٢٣)، مسند الطيالسي (١/ ١٣٦) برقم (١٠١٢)، المعجم الكبير (٢٢/ ٧٥) برقم (١٧٦)، شعب الإيمان (٢/ ٤٦٥، ٤٨٧) برقم (٢٤١٥، ٢٤٨٤)، مجمع الزوائد (٧/ ١٣٢، ٣٢٨) برقم (١١١٠٩، ١١٦٢٥)، كنز العمال (١/ ٩٠٠) برقم (٢٥٨٢).

(٤) يوسف: يس، د، ف.

وفي القرآن آيات وسور، فَالسُّوَرُ جمع سورة كغُرفَةٍ وغُرف، وهو بغير همز: المنزل المرتفع، ومنه سور المدينة، ومنهم من يهمزه، ويريد به القطعة من القرآن، وسؤر كل شيء: بقيته بعد الأخذ منه.

فأما الآية فقيل: معناها العلامة، سميت[1] بذلك لدلالتها على أول الكلام وآخره، وقيل: الآية: الجماعة من الحروف، يقال: خرج القوم بآيتهم، أي: بجماعتهم، «وقال سيبويه: موضع العين من الآية واوٌ؛ لأن ما كان موضع العين منه[2] واوا، [و] اللامُ ياء أكثر مما كان موضع العين واللام منه ياء، مثل: (شويتُ) أكثر من (حييتُ)»[3] وقيل: وزنه فعلة، وقيل: فاعلة.

التفسير: أما التفسير، فالتفسير: كشف المغطى، قال أبو العباس[4]: التفسير والتأويل والمعنى: واحدٌ، وقال غيره: التفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل، والتأويل: رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر، والتفسير: البيان، وقيل: التأويل[5]: انتهاء الشيء ومصيره، وما يؤول إليه أمره، ومنه: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٣]، وقيل: التفسير تأويل؛ لأن مقصود الكلام يؤول إليه. والمعنى مأخوذ من قولهم: عَنَيْتُ فلانا، أي قصدته، فكأن قَصْدَهُ بالكلام كذا، وقيل: إنه[6] من الإظهار، كأنه أظهر مراده باللفظ، وقيل: هو من قولهم: عُنِيتُ بهذا الأمر، أي تكلفته.

---

(١) سميت: سمي؛ ز، و.

(٢) منه: من؛ د، ز، ف.

(٣) لسان العرب (أيا) ولم أجد نص سيبويه في كتابه.

(٤) انظر اللسان (فسر) وتاج العروس (فسر)، والمقصود بأبي العباس أحمد بن يحي المعروف بثعلب إمام الكوفيين المتوفي سنة ٢٩١هـ.

(٥) وقيل التأويل: والتأويل، د، ز، و.

(٦) إنه: هو، د، ف.

التعوذ

أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم.

۞ القراءة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ابن كثير، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم[1] إن الله هو السميع العليم[2] نافع وابن عامر والكسائي، نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم حمزة[3]، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم[4] أبو حاتم، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم عاصم وأبو عمرو، وروي مرفوعًا.

۞ اللغة

التعوذ من العياذ، وهو الملجأ.

والشيطان: من شَطَّتِ الدار، أي بعدت، ووزنه فَيْعَالٌ.

والرجم: الرمي بالحجارة، ومنه المرجوم، والرجيم بمعنى المرجوم، فَعِيلٌ بمعنى مفعول، كقولهم: كَفٌّ خضيبٌ، أي مخضوب.

۞ المعنى

لما أمر الله تعالى بقراءة القرآن ـ ولا يخلو الإنسان من وسوسة الشيطان ـ أمر

---

(١) ابن كثير، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ـ ، ف، و.

(٢) انظر الإتقان ١/ ٢٨١.

(٣) انظر الإتقان ١/ ٢٨١.

(٤) انظر الإتقان ١/ ٢٨١.

بالاستعاذة منه، فقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ٩٨] ومعنى (أعوذ) أي: ألجأ إلى الله ـ تعالى ـ من شر الشيطان الرجيم، قيل: المبعد من رحمة الله تعالى، وقيل: المبعد من كل خير. وقيل: المرمي بالشهب، وقيل: رُجِمَ باللعنة، إن الله هو السميع لجميع المسموعات، العليم لجميع المعلومات.

۞ الأحكام

التعوذ عند القراءة سنة بالإجماع، ثم اختلفوا، فقيل: قبل القراءة؛ لأنه يراد للقراءة عن أكثر الفقهاء، وقيل: بعد القراءة عن أصحاب الظاهر، واختلفوا في قراءته في الصلاة، فقيل: يقرأ في الركعة الأولى، وقيل: في كل ركعة، واختلفوا، فالأكثر على أنه لا يجهر به، وعن بعضهم الجهر، وأجمع العلماء[١] على أن التعوذ بعد التكبير إلا ما روي عن الهادي (عليه السلام) أنه قبل التكبير، ويدل التعوذ على أن السِّحْر والمعاصي ليست[٢] بخلق لله؛ إذ لو كان كذلك لم يكن للاستعاذة من الشيطان معنى.

(١) العلماء: الفقهاء، د، ز.
(٢) ليست: ليس، ز، و.

سُورَةُ الفَاتِحَةِ

النزول

قيل: إنها مكية، عن ابن عباس وقتادة(١).

وقيل: مدنية، عن مجاهد(٢).

وقيل: إنها نزلت مرتين: مرة بمكة، ومرة بالمدينة تشريفًا(٣)، ولذلك سميت مثاني.

ولها أسماء(٤): فاتحة الكتاب؛ لأنها أول ما يفتتح من الكتاب، وأول كل شيء فاتحته، وقيل: إن الحمد فاتحة كل كتاب، كما هي فاتحة القرآن، وأم الكتاب؛ لأن الأم الأصل، ومنه أم القرى؛ لأن الأرض دحيت من تحت مكة، ومنه: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩] يعني أصله، فأصل القرآن الفاتحة، لأنه ـ تعالى ـ أودعها مجموع ما في السور، وقيل: لأن فيها(٥) آيات الربوبية والعبودية، وهذا هو المقصود بالقرآن، وقيل: لأنها مقدمة على القرآن، ويتلوها السور. والسبع المثاني، قيل: لأنها

(١) البرهان في علوم القرآن ١/ ١٩٤، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة ـ بيروت ط سنة ١٢٩١هـ.

(٢) البرهان في علوم القرآن ١/ ١٩٤.

(٣) الإتقان ١/ ٤١.

(٤) انظر: البرهان ١/ ٢٩٦.

(٥) فيها: فيه، د، ف.

سبع آيات، وتثنى قراءتها في كل صلاة، وقيل: لأن فيها الثناء على الله تعالى، وقيل: لأنها نزلت مرتين.

وعن أُبَيّ بن كعب، قال: قرأت على رسول الله ﷺ فاتحة الكتاب، فقال: «والذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان[1] مثلها، هي أم القرآن، وهي السبع المثاني، وهي مقسومة بين الله وبين عبده، ولعبده ما سأل»[2].

قوله تعالى:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

اللغة

اسم: قيل: مشتق من السمو، وهو الارتفاع، وقيل: من السمة، والأول أصح؛ لأنهم جمعوه [على] أسماء، و[قالوا] في تصغيره سُمَيٌّ، ولأنه لا يعرف فيما حذفت فاؤه شيء دخله ألف الوصل، إنما[3] تدخله هاء التأنيث، كالزنة والعدة.

ويقال: ما أصل الاسم؟

قلنا: العلو، ومنه السماء، وقيل: السمة[4]، وقيل: سما، أي علا وظهر حتى صار علمًا للدلالة على ما تحته من المعنى.

ويقال: ما وزنه؟

---

(١) الفرقان: القرآن، د، ز، ف.

(٢) صحيح ابن حبان٣/ ٥٣ رقم (٧٧٥)، سنن الترمذي ٥/ ٢٩٧ رقم (٣١٢٥)، سنن النسائي الكبرى١/ ٣١٨ رقم (٩٨٦).

(٣) إنما: أينما، ز، ف.

(٤) وقيل السمة: ـ ، و.

قلنا: يجوز فُعْل، وفِعْل بضم الفاء وكسرها، ولا يجوز فَعْل بفتح الفاء؛ لأن جمع فَعْلٍ أَفْعُلٌ في القياس لا أفعال.

فأما الله، فقيل: أصله إله، حذفت الهمزة، وجعلت الألف واللام عوضا لازما، وصار الاسم بذلك كالعلم، هذا مذهب سيبويه، وقيل: أصله لاه، ألحقت بها الألف واللام فصار الله[1].

ويقال: مم اشتق؟

قلنا: قيل: إنه اسم موضوع غير مشتق، وليس يجب في كل لفظ أن يكون مشتقًا؛ إذ لو وجب ذلك لتسلسل، هذا مذهب الخليل[2] وأبي علي. وقيل: إنه مشتق، ثم اختلفوا في اشتقاقه، فقيل: من التأله وهو التعبد، وقرأ ابن عباس[3]: وَإِلَهتَكَ[4]، أي عبادتك، قال الشاعر:

سَبَّحْنَ وَاسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأَلُّهِ

أي من تعبد وتنسك، هذا قول جماعة منهم: النضر بن شميل، وقيل: هو مشتق من قولهم: أَلِهْتُ إلى فلان، أي فزعت إليه، وقيل: هو مشتق من الْوَلَهِ، وهو التحير، يقال: أَلِهَ يَأْلَهُ، إذا تحير عن أبي عمرو، وقيل: هو مشتق من قولهم: أَلِهْتُ إليه، أي سكنت إليه عن المبرد، وقيل: اشتق من لاَهَ، أي احتجب.

والرحمن الرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة، وأصل الرحمة: النعمة، وهما للمبالغة، إلا أن فَعْلَان أشد مبالغة من فَعِيلٍ؛ لأنه أشد عدولاً، والرحمة هي الإنعام على المحتاج.

۞ الإعراب

الجالب للباء في (بسم) فعل محذوف؛ لأن حروف الجر لا بد أن تتصل بفعل إما مذكور أو محذوف، ثم اختلفوا فقيل: ابدؤوا، وقيل: أبدأ، فعلى الأول محل[5]

(١) انظر اللباب في علل البناء والإعراب ٢/ ٣٦٥.
(٢) تفسير الطبري ١/ ١٢٤.
(٣) انظر لسان العرب (أله).
(٤) في قوله تعالى: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ الأعراف ١٢٧.
(٥) محل: محله، ز، ف.

الاسم نصب؛ لأنه مفعول، وعلى الثاني يحتمل وجهين: النصب، ويحتمل الرفع على تقدير ابتدائي باسم الله تعالى، فيكون خبرُ ابتدائي محذوفا.

ومتى قيل: لم حذف (أبدأ)؟

قلنا: لأن القارئ مبتدئ؛ فدلالة الحال والمشاهدة أغنت عن ذكره.

ومتى قيل: لم أسقطت الألف في بسم الله؟ ولم تسقط من ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١]؟

قلنا: تخفيفا، ولكثرة الاستعمال.

ومتى قيل: لم كسرت الباء؟

قلنا: قيل: ردًّا إلى الأصل عن المبرد، وقيل: فرقًا بين ما يَجُرُّ وهو حرف، وما يجر مما يجوز أن يكون اسما ككاف التشبيه.

ومتى قيل: بسم الله: أمر أو خبر؟

قلنا: إن قدرت المحذوف (ابدؤوا) فهو أمر، وإن قدرته (أبدأ) كان خبرًا.

ومتى قيل: لم قال: بسم الله، ولم يقل[(١)] بالله؟

قلنا: فرقا بين الاستعانة والقسم، وقيل: للفرق بين الاستعانة به وغيره، فأما من قال: الاسم هو المسمى فقد أخطأ، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠] فأثبت أسامي، وأضافها إلى نفسه.

۞ النزول

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لم ينزل بسم الله الرحمن الرحيم على أحد قبلي إلا على سليمان»[(٢)] وقيل: روي أنه في ابتداء ما أوحى الله إليه يكتب باسمك اللهم حتى نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠]، فكتبها، عن ميمون بن مهران[(٣)].

---

(١) يقل: يقم، د، و.

(٢) الحديث ورد بلفظ مقارب في: المعجم الأوسط (١/ ١٩٦) برقم (٦٢٥)، مجمع الزوائد (٢/ ٢٨٢) برقم (٢٦٣٨) (٩/ ١٩٩) برقم (١١٢٤٨).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ٧/ ٢٦١ حديث رقم (٣٥٨٩٠)، وكنز العمال حديث رقم (٢٩٥٥٧)، مصنف عبد الرزاق ٢/ ٩١ حديث رقم (٢٦١٥).

المعنى

أمر الله تعالى بذكر التسمية في أوائل الأمور وجميع الأوقات، فقال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ قيل: معناه: الذي تحق له العبادة، وعلى هذا لا يسمى به غيره، ويسمى الله به لم يزل، وإنما تحق له العبادة لقدرته على أصول النعم وفروعها، عن أبي علي وجماعة. وقيل: معناه: أنه مَفْزَعُ للخلق، وهو يجيرهم، عن الضحاك. وقيل: معناه: أنه تتحير[1] العقول في كنه عظمته، كما يقال للمكتوب: كتاب، عن أبي عمرو بن العلاء. وقيل: معناه: أن الخلق يسكنون إلى ذكره، عن المبرد. وقيل: معناه: أنه يَرَى ولا يُرى. فأما من قال: معناه: المعبود فقد أخطأ؛ لأن غيره عُبِدَ، وليس بإله. ومن قال: إنه المستحق للعبادة يلزمه ألا يكون إلها في الأزل، وهذا خطأ، و﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ قيل: معناهما واحد، وهو ذو الرحمة، كَنَدْمَان ونديم، وقيل: بينهما فرق، ولذلك يسمى غيره رحيما، ولا يسمى رحمانًا، ثم اختلفوا فقيل: الرحمن: الرازق لجميع خلقه، والرحيم: الغافر لجميع المؤمنين[2]، وقيل: الرحمن: فاعل أصول النعم التي لا يقدر عليها غيره كالصورة والحواس والحياة والشهوة والأرزاق. والرحيم: ذو الرحمة، وقيل: الرحمن بالخلق، والرحيم بالرزق.

ومتيقيل: لماذا جمع بينهما؟

قلنا: للمبالغة بصفته بالرحمة؛ ليُعْلَمَ أن النعم كلها منه، وقيل: لأن العرب كثير في لغتهم [لفظ] (الله)، ولم يعرفوا «**الرحمن**»، فجمع بينهما ليعلم أن الله والرحمن والرحيم كلها صفات وأسماء له تعالى، وقيل: لأن في التوراة ذِكْرُ الرحمن أكثرُ، وفي الإنجيل ذِكْرُ الرحيم أكثر، وفي القرآن ذكر الله أكثر، فجمع ليعلم أن الكل يعود إلى الله تعالى.

ومتى قيل: لم قدم ذكر الرحمن؟

(١) تتحير: يتحير، د، ف.
(٢) لجميع المؤمنين: للمؤمنين، د، ف.

قلنا: لأنه لما كان أشد مبالغة، ولا يوصف به غيره صار كالعلم، وإنما يبدأ بالأعرف، ثم يتبعه الآخر.

ومتى قيل: لم جمع بين هذه الأسماء في التسمية؟

قلنا: لأن الغرض الاستعانة، ولكل واحد منها تأثير في ذلك، كأنه يقول: أستعين بمن هوقادر على جميع النعم، فاعل لذلك، وأنه واسع الرحمة، سابغ النعمة.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن ذكر اسم الله في ابتداء الأمر مسنون؛ لأن في ذلك استعانة به، واعترافا بالإلهية، وإقرارًا بالنعمة، ووردت السنة بأن: «كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه بذكر الله فهو أبتر»[1].

واختلفوا في آية التسمية على خمسة أقوال:

أولها: أنها ليست من الفاتحة ولا من أوائل السور، وهو مذهب قراء المدينة والبصرة، وفقهاء الكوفة، ومذهب أبي حنيفة وأصحابه ومالك.

والثاني: أنها من الفاتحة، وليست من سائر السور، وهو قول سعيد بن المسيب، وقراء مكة والكوفة.

الثالث: أنها من الفاتحة ومن سائر السور، وهو قول سفيان الثوري وابن المبارك والشافعي.

الرابع: أنها ليست من القرآن إلا في (النمل)، وكتبت في رأس السور للتمييز.

الخامس: أنها آية منزلة بين كل سورتين من القرآن، وليست من السور، وهو قول أبي بكر الرازي، وأبي بكر أحمد بن علي.

ودليل كونه من القرآن إثباته في المصحف.

(١) ورد الحديث بلفظ: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله أقطع» في: صحيح ابن حبان (١/ ١٧٣، ١٧٤) برقم (١، ٢)، سنن الدار قطني (١/ ٢٢٩) برقم (١، ٢).

واختلفوا في قراءته في الصلاة فقيل: لا يقرأ، والأكثر على أنه يقرأ، ثم اختلفوا فقيل: يقرأ مرة في الركعة الأولى، عن أبي حنيفة، وقيل: في كل ركعة، عن أبي يوسف، وقيل: عند كل سورة، عن محمد.

واختلفوا فقيل: لا يجهر، عن أبي حنيفة. وقيل: يجهر، عن الشافعي، وعن أنس (صليت خلف رسول الله ﷺ وخلف أبي بكر وعمر فلم أسمع أحدًا منهم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم)[1].

قوله تعالى:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾

القراءة

القراءة الظاهرة برفع الدال (لله) بكسر اللام، وعن الحسن أنه قرأ بكسر الدال، وعن إبراهيم بن أبي عبلة بضم الدال واللام، أتبع الضمة الضمة، وعن الفراء جواز كسر الدال على الإتباع، وجواز ضم اللام على الإتباع، وأكثر النحويين ينكرون ذلك؛ لأن فيه إبطال الإعراب، ولأن الإتباع في الكلمة الواحدة ضعيف قليل، فكان في الكلمتين خطأ لا يجوز؛ لأن المنفصل لا يلزم لزوم المتصل، فإذا ضعف في المتصل امتنع في المنفصل، ولأن حركة الإعراب لا تلزم، ولا يكون لأجلها إتباعٌ، وقد بينا أنه لا تجوز القراءة إلا بما استفاض نقله. وأجمع القراء على كسر الباء في (رَبِّ)، وروي عن زيد بن علي نصب الباء، ويحمل على أنه بَيَّنَ جوازه، لا أنه قراءة.

اللغة

الحمد والمدح والشكر نظائر، وبين الحمد والشكر فرق؛ لأن نقيض الحمد الذم، ونقيض الشكر الكفر، ولأن الشكر لا يكون إلا على نعمة، والحمد يكون من غير نعمة، وقيل: معنى الحمد والشكر: الاعتراف بنعم المنعم مع اعتقاد بعظمته،

(١) سنن النسائي ٢/ ١٣ رقم (٩٠٧)، وصحيح ابن خزيمة ١/ ٢٥٠ حديث رقم (٤٩٦)، صحيح ابن حبان ٥/ ١٠٣ حديث رقم (١٧٩٩).

والشكر يكون بالقلب وهو الأصل، ويكون باللسان، وقد يجب عند تهمة الجحود، وأصل الحمد: الوصف بالجميل، والحمد مصدر لا يُثَنَّى ولا يجمع، تقول: أعجبني حمدكم زيدًا.

والرب: السيد، والرب: المالك، والرب: المربي المصلح، وأصله من التربية، وهو التنشئة، يقال: رُبِّيتُ، وربيته.

والعالمين: واحدها عالم، وقيل: اشتقاقه من العلم؛ لأنه اسم يقع على ما يعلم، وقيل: من العلامة؛ لأنها تدل على صانعه، وقيل: العالم: النوع مما يعقل، وهم الملائكة، والجن، والإنس، عن ابن عباس وأبي علي، وقيل: أهل كل زمان عالم، وقيل: هو اسم لما حواه الفلك، و«**عالم**» لا واحد له من لفظه، كالقوم والرهط والنفر.

ومتى قيل: لم ذكر الحمد دون الشكر؟

قلنا: لأن الحمد يكون على نعمة وغير نعمة، فنحن نحمده على نعمته علينا، ونحمده على أفعاله الحسنة، وصفاته العلا.

۞ الإعراب

«**الْحَمْدُ لِلَّهِ**» خبر ومعناه الأمر، كأنه قال: احمدوا الله، وقيل في تقديره: قولوا: الحمد لله، فعلى هذا موضعه النصب(1)، وقيل: أقول: الحمد لله، فعلى هذا يحتمل الرفع بتقدير ابتدائي الحمد، ويجوز في العربية نصب الدال، بتقدير: اجعل الحمد لله، واجعل لله الحمد، وقد بينا أن الفراء أجاز الكسر، وما قيل فيه.

وكسر «رب»، لأنه جُعِل صفةً لله تعالى، ولو نُصِبَ أو رفع جاز على المدح.

۞ المعنى

ثم أمر تعالى بحمده، فقال: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ**» يعني الوصف الجميل، والشكر على النعم كلها لله تعالى، والألف واللام للجنس، يعني كل الحمد لله؛ لأن النعم كلها منه: ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الفَاتِحَة: ٢] قيل: سيد الخلق ومالكهم، وقيل: منشئهم ومربيهم. «**الرَّحْمَنِ**»: المنعم بنعم الدنيا والدين. «**الرَّحِيمِ**»: واسع الرحمة، كأنه

---

(١) النصب: نصب، د، ز.

قيل[1]: الأوصاف الجميلة والثناء الحسن كلها للذي يحق له العبادة؛ لكونه قادرًا على أصول النعم، وفاعلاً لها، ولكونه منشئًا للخلق، ومالكًا لهم، رحيمًا بهم.

ومتى قيل: لم أعاد ذكر الرحمن الرحيم؟

قلنا: قيل: لأن الأول ليس من السورة، وقيل: الأول للاستعانة، والثاني ليجعل الحمد كله له، وقيل: للمبالغة، وقيل: في الأول ذَكَرَ العبودية، ووصله بذكر النعم التي يستحق بها العبادة، وههنا ذكر الحمد، فذكر ما به يستحق الحمد من النعم، وليس فيه تكرار، عن علي بن عيسى.

۞ الأحكام

الآية تدل على وجوب الحمد لله، والشكر على نعمه، وفيه تعليم منه لعباده كيف يحمدونه.

ومتى قيل: كيف يؤدي شكر نعمه، وهو بأدائه يتجدد عليه نِعَمٌ[2] لا تحصى من إعطائه القدرة، والآلة، والحياة، والعقل، والهداية؟

قلنا: إذا أتى بما في وسعه فقد أدى حق الشكر، ولأن شكره يتناول النعم الماضية والآتية، ولأنه يعلم النعم على الجملة فيلزمه الشكر كذلك.

فإن قيل: فما الشكر؟

قلنا: يكون بالقول، وبغير القول، ولذلك قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ [سبأ: ١٣] فبالقول إظهار النعمة، وبالقول يعظم المنعم، وبالفعل طاعة المنعم.

ومتى قيل: فهل غير الله يشكر؟

قلنا: نعم؛ لأنه منعم، و [منه] قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ﴾ [لقمان: ١٤] إلا أن شيئًا من ذلك لا يكون إلا بنعمته تعالى من حيث إنه الخالق والمالك، وهو الذي

(١) قيل: قال، ز، و.

(٢) نعم: نعمة، د، ز، و.

صيرها بحيث ينتفع بها، ويرغبه في الإنعام، ولأن غيره لا يستحقه على الوجه الذي يستحقه هو، وهو العبادة.

قوله تعالى:
﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾

القراءة

قرأ أبو بكر وعاصم والكسائي ويعقوب «مَالِكِ» بالألف، وهي قراءة الخلفاء الأربعة، وجماعة من الصحابة والتابعين، والباقون بغير ألف، وكلاهما مرويان عن النبيّ ﷺ، قراءتان مشهورتان، ثم اختلفوا فقيل: مَلِك أَمْدَحُ؛ لأنه لا يكون إلا مع التعظيم والاحتواء على الجمع الكثير، وقد يملك الشيء(١) الصغير، ولأن [مَلِك] لجمع المُلْكِ وَالمِلْك. وقيل: مَالِكُ أَمْدَحُ؛ لأنه يتناول المُلْكَ، ولقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ﴾ [آل عمران: ٢٦] ولأنه يجمع الاسم والفعل؛ لأنه لا يكون مالكا لشيء إلا وهو يملكه، وقد يكون ملكًا لشيء لا يملكه، ولأنه فيه زيادة الألف.

فأما ما روي في (ملك) من القراءة الشاذة نحو «مَلْكِ» بجزم اللام، و«مالكُ» بنصب الكاف على النداء ورفعها، وإن كان جائزا في العربية فلا تجوز القراءة به، لما بيناه.

اللغة

ملك من المُلك، ومالك من الملك، وأصله من الاشتقاق من الشد والربط، ومنه قول الشاعر:

مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهرتُ فَتْقَهَا

وقيل: من القدرة، والتصريف مطرد على الأصلين، فالَملِك: القادر على ماله أن يصرفه، والمالك: القادر الواسع المقدرة(٢) الذي له السياسة والتدبير.

(١) الشيء، ـ، ف.
(٢) المقدرة: المقدور، ز، ف.

واليوم: اسم لوقت طلوع الشمس إلى غروبها، ويستعمل بمعنى الوقت، يقال: أيام بني العباس، وسمي يوم القيامة؛ لأنه بمقدار يمتد فيه الضياء إلى أن يستقر أهل كل دار فيها.

والدين: الجزاء، والدين: العادة، والدين: ما يدان به، والدين: الحساب، والدين: الانقياد، وقيل: أصله الجزاء من قولهم: كما تدين تدان، وقيل: العادة، كقول الشاعر:

أَهَـــذَا دِيـــنُـــهُ أَبَـــدًا وَدِيـــنِـــي؟[1]

۞ الإعراب

﴿مَٰلِكِ﴾ مكسور الكاف؛ لأنه نعت لله، ويجوز في العربية نصب الكاف على النداء، ورفعها على الابتداء.

وكسر(يوم)؛ لأنه مضاف إليه.

۞ المعنى

لما بين تعالى أنه رب العالمين، وملك الدنيا بَيَّنَ ملكه في الآخرة فقال تعالى﴿مَٰلِكِ﴾ يعني القادر «يَوْمِ الدِّينِ» قيل: أراد باليوم الوقت، وقيل: أراد مقدار الضياء إلى أن يفرغ من القضاء، ويستقر أهل كل دار فيها، ويوم الدين: قيل: يوم الحساب، عن ابن عباس والسدي. وقيل: يوم الجزاء، عن الضحاك، وقتادة. وقيل: يوم الجزاء عن الدين، عن أبي علي. وقيل: يوم القهر، من قولهم: دينته أي قهرته، وقيل: يوم لا ينفع إلا الدين، عن محمد بن كعب.

ومتى قيل: لم خص ذلك اليوم بالذكر؟

قلنا: تعظيمًا له وتفخيمًا لشأنه، كما قال: ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، وقيل: لأنه هناك أملاك الملوك زائلة[2]، والملوك خاضعة، والدعاوي باطلة، فلا حكم إلا له، وقيل: ذكره ترغيبا في الاستعداد لذلك اليوم.

(١) دَرَأْتُ: بَسَطْتُ؛ والوَضِينُ للهودج كالحزام للسرج. وصدر البيت: تَقُولُ إذا دَرَأْتُ لَهَا وضِينِي.

(٢) زائلة: زائل، د، ف.

۞ الأحكام

الآية تدل على إثبات المعاد، وعلى ترغيب وترهيب؛ لأن المكلف إذا تصور ذلك لحقه الرجاء والخوف.

وقيل: دلالة ملك ومالك واحدة؛ لأن اليوم معدوم، فمعناه القدرة عليه، وقيل: فرقا بين الدلالتين، فملك يدل على أن ذلك اليوم ملكه، ومالك يدل على أنه تحت قدرته.

قوله تعالى:
﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾

۞ القراءة

قراءة العامة (إياك) بكسر الألف، (ونستعين) بفتح النون الأولى، وعن بعضهم فتح الألف، وكسر النون (نِستعين) وهي لغة صحيحة، إلا أن القراءة به لا تجوز لما قدمناه.

۞ اللغة

(إياك) أصله إِوْيَاك، قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء، فصار إياك، وأصله من آوى يُؤْوِي إيواء، كأن فيه معنى الانقطاع والقصد، وإياك يستعمل مقدمًا على الفعل، ولا يستعمل مؤخرًا، إلا أن يفصل بينه وبين الفعل فاصل[1]، فتقول: ما عبدت إلا إياك، قال أبو حاتم: إياك ضمير منفصل، والضمير ثلاثة: متصل، كقولك: أكرمته، وأكرمك، ومنفصل، كقولك: إياك. ومستكن، كقولك: قام، وقعد.

وأصل العبادة في اللغة: التذلل، ومنه طريق مُعَبَّدٌ، أي مذلل، ومن زعم أن العبادة الطاعة فقد أخطأ؛ لأن النصارى عبدوا المسيح، وهم غير مطيعين له، وكل طاعة لله على جهة الخضوع والتذلل فهي عبادة.

والاستعانة: سؤال الإعانة، والمعونة: هي الزيادة على القوم بما يسهل الوصول إلى البغية، أعانه إعانة فهو معين، واستعان به فهو مستعين.

---

(١) فاصل: ـ، د، و.

۞ الإعراب

اختلفوا في موضع الكاف في (إياك) قال الأخفش: لا موضع لها[(١)]، وهي كلمة واحدة؛ لأن المضمر لا يضاف إليه، لأن المضاف لا بد أن يكون نكرة[(٢)]، و«**إياك**» في غاية التعريف، وقال الخليل: موضع الكاف خفض، وروي[(٣)]عن العرب: (إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيا الشوابِّ) قال ابن السراج: هذا شاذ في القياس، والقول ما قال الأخفش.

ومتى قيل: لم كررت إياك؟

قلنا: لأنها قامت مقام الكاف في نعبدك ونستعينك، وذكر إياك؛ لأنه أفصح وأفخم، ولو قيل: نعبدك لم يكن فيه إفصاح بالمعنى؛ لما فيه من التأكيد، كأنه قال: نعبدك، ولا نعبد غيرك.

ومتى قيل: لم قال: ﴿مَـٰلِكِ﴾ على لفظ الغائب، و(نعبد) على لفظ المخاطِب؟

قلنا: فيه إضمار، أي قولوا: إياك، وقيل: الإضمار عند قوله: (الْحَمْدُ لِلَّهِ) (وَإِيَّاكَ). وقيل: من شأن العرب، أن تصرف من الغائب إلى الحاضر للتصرف كقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ [يونس: ٢٢] قال لبيد:

باتت تشكي إلي النفس مجهشة وقد حملتك سبعا بعد سبعينا

۞ المعنى

لما بين تعالى أنه مالك الدنيا والآخرة أمر بأن يُعْبَدَ دون غيره، ويستعان به دون غيره، فقال: «**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**» أي نخضع لك، ونوجه العبادة إليك، «**وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**» أي نطلب المعونة منك على عبادتك.

ومتى قيل: ما الذي يجب على العبد أن يفعل حتى يصير فعله عبادة؟

---

(١) لا موضع لها: موضع لا لها، د، ز.

(٢) لأن المضاف لا بد أن يكون نكرة: لأن المضمر لا بد أن يكون معرفة، ز، ف.

(٣) وروي: وحكي، د، ز، و.

قلنا: ينبغي أن يكون الفعل مما يُتَقَرَّبُ به إليه، ثم يقصدبه التقرب، فحينئذ يكون هو متقربا، وفعله عبادة[1]، ثم المؤمن يقصد بالتقرب طلب المنزلة والثواب عنده، والفاسق يقصد طلب النجاة أو التخفيف، وجميع ذلك لا يصح إلا بعد معرفة المعبود، وهذا في الشرعيات التي هي ألطاف لا تكون عبادة إلا بالقصد، فأما العقليات، فقد يقع به قربة، وتستحق الثواب من غير قصد القربة كالنظر في معرفة الله تعالى، ومعرفة صفاته؛ لأن كل ذلك يصح قبل معرفة القديم سبحانه، وإنما استحق القديم العبادة لقدرته على أصول النعم، وفعله ذلك دون غيره.

ومتى قيل: «**إياك**» خطاب مشاهد، وهو غير مشاهد؟

قلنا: هو في حكم المشاهد؛ لكونه عالما قادرا عليه، رائيا له، سامعا لما يقوله.

ومتى قيل: لم قيل: «**إِيَّاكَ**»، ولم يقتصر على كاف الخطاب؟

قلنا: لأنه لو قدم اشتبه بكاف التشبيه، فكأن أريد تقديم اسمه فقال: «**إِيَّاكَ**»، وقيل: لأن فيه إثباتا ونفيا، إثبات العبادة له، ونفيها عن غيره.

ومتى قيل: لم قدم العبادة على المعونة، وطلبُ المعونة على الماضي يستحيل؟

قلنا: قيل: الواو للجمع، وقيل: سألوا المعونة على عبادة يستأنفونها، وقيل: هو خبر، أي: نطلب منك المعونة، وقيل: معناه: منك نطلب المعونة على حوائج الدنيا والآخرة.

۞ الأحكام

الآية تدل على وجوب العبادة له؛ لأن تقديره: قولوا، فلو لم تجب لم يصح ذلك.

وتدل على وجوب الإخلاص؛ لذلك قال: «**إِيَّاكَ**».

وتدل على وجوب الاستعانة والانقطاع إليه.

ومتى قيل: فما المعونة من الله تعالى؟

قلنا: هو على ضربين: تمكين كالقدرة والآلة، وذلك قد فُعِلَ بجميع المكلفين،

---

(١) قلنا ينبغي... وفعله عبادة: ـ، ز، ف.

والثاني: ما يقربه إلى فِعْلِ ما كُلِّفَ، أو إلى اختياره، كالألطاف، ويختص ذلك بِمَنْ المعلوم أن له لطفًا، ثم اللطف قد يتقدم الفعل وقد يقارنه.

ومتى قيل: إذا كان عندكم المعونة منه واجبة فما معنى السؤال؟

قيل: من عَلِمَ حُسْنَ فِعْلٍ أَحَبَّ أن يعان عليه، ولأن الطلب قد يكون عبادة وإن كان واجبًا، كاستغفار الملائكة للمؤمنين، ولأنه قد يكون لطفًا عند سؤال العبد، ولا يكون لطفًا لولا سؤاله ولهذا تعبّد به[1].

قوله تعالى:
﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾

القراءة

قرأ حمزة «الصِّرَاطَ» بإشمام الصاد الزاي كل القرآن، وروي عنه ذلك، وعن الكسائي بإشمام السين كل القرآن، وقرأ يعقوب برواية رويس بالسين كل القرآن، وقرأ الآخرون بالصاد الصافية كل القرآن، فمن قرأ بالسين فإنه لزم أصل الكلمة، وروي عن ابن كثير، وقيل: إنه غلط عليه. ومن قرأ بإشمام السين [لزم] ما يدل على الأصل، ومن قرأ بإشمام الزاي فللتآخي[2] بين الصاد والزاي بالجهر؛ لأن الزاي مجهورة، وكذلك الصاد، فأما الضاد فمهموسة، ومن قرأ بالصاد فللتآخي بينها وبين الطاء؛ لأن الطاء مطبقة مستعلية[3]، وكذلك الصاد، والاختيار الصاد لوجوه:

منها: أن اجتماع الحرفين المتشاكلين أحسن في المسموع من اجتماع المتنافرين، ولأنهما لغة قريش، ولأنها في المصحف بالصاد، ولأن أكثر الأئمة عليه.

اللغة

أصل الهداية في اللغة الدلالة، يقال: هديته إلى الطريق، أي دللته، ونقيض الهداية الضلال، ونظيره الإبانة، وحقيقته الدلالة على الحق.

(١) ولهذا تعبد به: ـ، و.
(٢) فللتآخي: فلتؤاخ، د، ز.
(٣) مستعلية: مستغلبة، د، ز، ف.

والصراط: الطريق، وأصله من قولك: سرطت الطعام أسرطته مثل زَرَدْتُهُ.

والاستقامة والاستواء نظيران، ونقيضه الاعوجاج، يقال: استقام هذا، واعوج ذاك.

۞ الإعراب

الكناية في قوله: ﴿ٱهۡدِنَا﴾ محله نصب؛ لأنه مفعول، والصراط: المفعول الثاني، والمستقيم: نعت للصراط.

۞ المعنى

لما أمر الله تعالى بعبادته بَيَّنَ ما فيه العبادة، فقال: «**اهْدِنَا الصِّرَاطَ**» قيل: ثَبِّتْنا على الطريق المستقيم والهداية، عن أبي علي وأُبيّ بن كعب، وهذا كما يقال لمن يأكل: كل، أي دم على الأكل، وقيل: أرشدنا إلى طريق الجنة في الآخرة، وقيل: الطف لنا في المستقبل والمستأنف كما لطفت في الماضي؛ لأن العبد وإن كان على طريق الحق فمحتاج إلى ألطاف ربه، ليزيل عنه الشكوك، ووسوسة الشيطان، وشُبَهَ المبطلين، وقيل: معناه دلنا إلى الطريق التي تؤدينا إلى الفوز والنجاة، والأحسن هو الأول؛ ليشاكل ما قبله من طلب المعونة.

ومعنى «**الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**»، قيل: الطريق المستقيم، وهو دين الإسلام وطريقة الحق، عن ابن الحنفية ومقاتل، وقيل: كتاب الله، وقيل: طريق الرسول وصاحبيه أبي بكر وعمر، عن ابن العالية، وقيل: طريق الجنة، عن سعيد بن جبير وأبي مسلم.

ومتى قيل: إذا وجبت الهداية فما معنى السؤال؟

فجوابنا ما تقدم؛ لأن السؤال قد يكون عبادة، ولأنه قد يكون مصلحة عند السؤال، مفسدة عند عدمه، ونقلب عليه فنقول: إذا كان عندك[1] إنما علم كونه فلا بد أن يفعله، فما معنى السؤال؟ فأي جواب أتى به فهو جوابنا.

(١) إذ كان عندك: عند أن ما، د، ز، ف، ك.

۞ الأحكام

الآية تدل على وجوب طلب الهداية، وتعليم من الله كيف ندعوه.

وتدل على وجوب الدعاء به حالاً بعد حال؛ كيلا تميل بنا[1] الأهواء.

وتدل على أن أفعال العباد ليست بخلق لله؛ إذ لو كانت خلقًا لله لم يكن لطلب المعونة والهداية معنى، ولكان بمنزلة من سأله المعونة على ألوانه وهيئاته، وما يشبه ذلك.

قوله تعالى:

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾

۞ القراءة

قرأ حمزة: (عليهُم) و(إليهُم) و(لديهُم) بضم الهاء في هذه الأحرف الثلاثة كل القرآن، وعن يعقوب ضم كل هاء قبلها ياء ساكنة، كـ(عليهُم)، و(إليهُم)، و(فيهُم)، ونحوها، وروي عنه وإن سقطت الياء قبلها لعلة نحو: «وقِهُم»، والباقون بكسر الهاء وسكون الميم، إلا أن يتلقاها ألف وصل، نحو قوله: ﴿عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ [البقرة: ٦١] فحينئذ اختلفوا فقرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وعاصم بكسر الهاء وضم الميم، وقرأ أبو عمرو بكسر الهاء والميم، ويعقوب بكسرها إذا كسر الهاء قبلها، وبضمها إذا ضم الهاء قبلها، فأما حمزة والكسائي فيضمانهما جميعًا. فأما ميم الجمع فيضمها أبو جعفر وحفص وابن كثير كل القرآن نحو: (عليهم) و(إليهم) و(يريهم)، ونحوها، ونافع يخير بين السكون والضم، واختلفت الرواية عن الكسائي، والباقون بسكون الميم. فأما من ضم الهاء، فلأنه يردها إلى الأصل، لأنك تقول: أعطيتموهُ، فتردها إلى الأصل، ولأنه متى لم يكن قبلها ياء أو كسرة لم يجز إلا الضم، دل على أن الضم هو الأصل. ومن كسرها فلأجل الياء الساكنة. ومن كسر الهاء وجزم الميم، فإنه استثقل الضم مع مجاورة الياء الساكنة، والياء أخت الكسرة، والخروج من الضمة

---

(١) بنا: به، و.

إلى الكسرة يَثْقُلُ. ومن كسر الهاء وضم الميم فكسر لأجل الياء، وضم الميم على الأصل. ومن ألحق الواو فللإشباع.

۞ اللغة

الإنعام والإحسان والإفضال نظائر، وبين الإنعام والإحسان فرق؛ لأنه يكون محسنا إلى نفسه، ولا يكون منعما إليه، وأصل النعمة هو اللين، والنعيم: الخفض والدعة، وهو لين العيش ورفاهيته، والنعمة: النفع الحسن الذي يقصد به المنعِم الإحسان إلى المنعَم عليه، والله منعم على المؤمن والكافر؛ ولذلك قال: ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ﴾ [النحل: ٨٣] وأول نعمه على العبد خلقه إياه حيًّا لينفعه.

و(غير) يكون على ثلاثة أوجه: بمعنى سوى، وبمعنى الجحد، وبمعنى الاستثناء، وقيل: حقيقته ما صح أن يثنى مع المضاف إليه(١)، كقولك: الرجل غير زيد فهما اثنان، فأما حَدُّ الغَيْرَيْنِ، فقيل: ما يصح وجود أحدهما مع عدم الآخر، عن أبي القاسم، وقيل: كل مذكورين لا يدخل أحدهما تحت الآخر.

والغضب والسخط واحد، ونقيضهما الرضا، والغضب من الله تعالى قيل: إرادة العقوبة، وقيل: ذمه إياهم على فعلهم. والضلال: الهلاك، ونظيره الضياع، ونقيضه الهدى، وقيل للكافر ضال؛ لأنه هالك بكفره، ومنه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ﴾ [القمر: ٤٧].

۞ الإعراب

(صراط): نصب لأنه بدل من الأولى.

و(غير) يجوز خفضها من وجهين: أحدهما: أن يكون صفة لـ (الذين)، والثاني: أن يكون بدلاً من (الذين)، ويجوز نصبها من وجهين: أحدهما: الحال، إن شئت من الهاء والميم في «أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ»، وإن شئت من «ٱلَّذِينَ»، والثاني: الاستثناء، أجازه الأخفش والزجاج، وأباه الفراء وثعلب(٢)؛ من أجل أنه لا يعطف على (غير) إذا كان

(١) إليه، ـ، ف، و.

(٢) وثعلب: وتَغْلَّبَ؛ د، ز، ف.

استثناء، لا تقول: جاءني القوم إلا زيدا ولا عمرا، ومن أجازه على الاستثناء جعل (لا) صلة، كقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢] أي ما منعك أن تسجد.

و(عليهم): في موضع رفع؛ لأنه اسم ما لم يُسَمَّ فاعله، فأما من قال: أراد غير المغضوبين فحذف توسعا فغير صحيح؛ لأنه بمنزلة الفعل المتقدم كقولك: ضُرِبَ أخواك، وضرب إخوتُك.

۞ المعنى

ثم بين تعالى أن الطريق الذي ذكره طريق الأنبياء والصالحين، فقال: «صِرَاطَ» أي طريق «الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيهِمْ» بألطافك حتى ثبتوا على الحق، وقيل: هم من ذكر في قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾ [النساء: ٦٩] الآية. وقيل: من أنعمت عليهم من ذرية آدم، وقيل: طريق بني إسرائيل، فإنه قال: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ﴾ [البقرة: ٤٠] وقيل: أنعم الله عليهم بالرضا عنهم، وقيل: بقبول طاعتهم، وقيل: هم أصحاب النبي ﷺ وأهل بيته، عن سهل بن حوشب.

«غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ» قيل: اليهود «وَلاَ الضَّالِّينَ» النصارى، روي ذلك مرفوعا، وخص اليهود بالغضب، لقوله: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ [البقرة: ٩٠] ووصف النصارى بالضلال، فقال: ﴿قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧] وقيل: أراد جميع الكفار، وجمع بين الأوصاف لما فيه من الفائدة، كما تقول: إنه تعالى قادر حي سميع بصير، وقيل: غير المغضوب عليهم بالبدعة، ولا الضالين عن السنة.

۞ الأحكام

الآية تدل على وجوب اتباع سبيل الأنبياء والمؤمنين، وأن طريقهم تجمع أربعة أوصاف: أنه الطريق المستقيم، وطريق من أنعم الله عليه من النبيين، وطريق غير المغضوب عليهم، وطريق غير أهل الضلالة. وفي كل وصف زيادة فائدة ليس في الآخر.

وتدل على أن من عدل عن طريق المؤمنين غضب الله عليه، فمن هذا الوجه تدل على أن إجماعهم حجة.

واختلفوا في الفاتحة فقيل: شرط في كمال الصلاة، وليس بشرط في جوازها، عند أبي حنيفة، لقوله تعالى: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ [المزمل: ٢٠] وقيل: لا تجوز الصلاة إلا بها، وهو قول الشافعي، واختلفوا في وجه آخر، فقيل: لا يقرأ المؤتم، وهو قول الأكثر، وقيل: يقرأ، وهو قول الشافعي.

۞ النظم

قيل: كل ما في هذه السورة مرتبط بالحمد، والتسمية: الاستفتاح له[(١)]، كأنه لما أراد أن يبتدئ بالحمد ابتدأ بالتسمية، ثم حمد الله؛ لأنه رب العالمين، تجب طاعته في الحمد، وهو الرحمن الرحيم، فيجب له الحمد، وملك يوم الدين ليجازي على الحمد، وإياك نعبد بهذا الحمد، وبك نستعين على القيام بالحمد، ونسألك أن تثبتنا على طريق الحمد، فإنه صراط الذين أنعمت عليهم بأن أدوا ما يجب لك من الحمد، غير المغضوب عليهم لتركهم الحمد، ولا الضالين لإعراضهم عن الحمد.

وقيل: نَظْمُه إن الحمد لله؛ لأنه رب الخلق خلقهم، والرحمن يرزقهم، والرحيم غافر لهم يوم القيامة؛ لأنه مالك ذلك اليوم، ومن كان بهذه الصفة تجب عبادته، فإياك نعبد، ومنك[(٢)] نطلب المعونة، وإياك نستعين في جميع أمورنا، ومن أهم أمورنا أن تعيننا على الثبات على طريق الحق الذي هو طريق الأنبياء، لا طريق الكفار.

(١) والتسمية الاستفتاح له: فالتسمية استفتاح له، د، ز، ف.
(٢) ومنك: منه، ز، و.

سُورَةُ البَقَرَةِ

وهي مدنية بإجماع، [وآياتها] مائتان وست وثمانون آية في الكوفي، وهو عدد أمير المؤمنين، وسبع في البصري، وخمس في المدني، وأربع في الشامي.

وعن سهل بن سعد عن النبي ﷺ: «لكل شيء سنام، وسنام القرآن سورة البقرة، من قرأها في بيته نهارا لم يدخل بيته شيطان ثلاثة أيام، ومن قرأها ليلاً، لم يدخل بيته[1] شيطان ثلاث ليال»[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿الٓمٓ ①﴾

الإعراب

قال الأخفش: هذه الحروف ساكنة؛ لأن حروف الهجاء لا تعرب، وقال أبو النجم:

أقبلت من عند زياد كالحرف

---

(١) لم يدخل بيته: لم يدخله، ز، ف.

(٢) صحيح ابن حبان (٣/ ٥٩) برقم (٧٨٠)، شعب الإيمان (٢/ ٤٥٣) برقم (٢٣٧٨)، المعجم الكبير (٦/ ١٦٣) برقم (٥٨٦٤)، مجمع الزوائد (٧/ ٢١) برقم (١٠٨١٧)، كنز العمال (١/ ٨٨٧) برقم (٢٥٤٩)، فيض القدير (٢/ ٥١١) برقم (٢٤٢٠).

تخط رجلاي بخط مختلف

يكتبان في الطريق لام ألف

فإذا دخل عليها حرف العطف حُرِّك. أنشد أبو عبيدة:

إِذا اجْـتَـمَـعُـوا عَـلَـى أَلِـفٍ وَوَاوٍ   وَيَـاءٍ هَـاجَ[1] بَـيْـنَـهُـمُ قِـتَـالُ

وهذه الحروف تذكر على اللفظ، وتؤنث على توهم الكلمة.

وإذا قيل[2]: ما محل «**الم**» من الإعراب؟

قلنا: قيل: رفع بالابتداء، و«**ذَلِكَ**» ابتداء آخر، و«**الْكِتَابُ**» خبره، وجملة الكلام خبر الابتداء الأول، ويحتمل أن يكون محله رفعا؛ لأنه خبر ابتداء محذوف، تقديره هذه ألف لام ميم، هذا على مذهب الحسن؛ أنه اسم للسورة، وعلى مذهب ابن عباس أنه اختصار قام مقام جملة فلا موضع له من الإعراب.

۞ المعنى

لما بَيَّنَ تعالى في الفاتحة الصراط المستقيم، بَيَّنَ أن ذلك هو الكتاب المنزل عليك، فقال تعالى: ﴿الٓمٓ﴾ قيل: اسم للسورة، عن الحسن وزيد بن أسلم وأبي علي، وقيل: اسم للقرآن، عن قتادة، وهذا جائز؛ لأن أسماء الأعلام منقولة للتفرقة بين المسميات، فمتى لم يرد بها معنى الأصل، فهي على جهة النقل، وقد جاء في أسمائهم حارثة بن أويس بن لام، ولا خلاف بين النحويين أن لك أن تسمي بحروف الجمل، وكل كلمة لم تكن على معنى الأصل فهي منقولة، كقولك: زيدا، إذا لم ترد به الزيادة كان منقولاً إلى العلم، ولا يقال: لو أريد بها التسمية لم يُسَمِّ بها سورا كثيرة؛ لأن هذا موجود في أسماء الألقاب، فيسمَّى خلقٌ زيدا، ثم يتميز بشيء آخر يتصل به، كذلك هذا يتميز بما ينضم إليه فيقال: «**الم ذَلِكَ**»، و(لم الله)، قال الحسن: سمعت السلف يقولون: إنها أسماء السور ومفاتيحها. وقيل: إنه إشارة إلى

(١) هاج: هج، د، و.

(٢) وإذا قيل: ويقال، د، و.

حروف المعجم، وتنبيه بأنه تعالى أنزل كتابه من هذه الحروف، وأنتم تتكلمون بها، فإذا عجزتم عن الإتيان بمثله دل على أنه كلام الله تعالى وأنه معجز، ويجوز أن يذكر حرف ويراد جميع الحروف، قال الشاعر:

لَـمَّـا رَأَيْـتُ أَنَّـهَـا فِـي حُـطِّـي[1] أَخَـذْتُ مِـنْـهَـا بِـقُـرُونٍ شُـمْـطِ[2]

وأراد أَبْجَدَ، فعرفه ببعض كلماته عن المبرد وأبي مسلم وجماعة. وقيل: إنه تعالى علم أن طائفة من هذه الأمة تقول بقدم القرآن، فأشار تعالى بهذه الحروف إلى أن كلامه من هذه الحروف دالٌّ بذلك أنه مسموع محدث غير قديم، عن أبي بكر الزبيري، وقيل: إنه علامة يعلم بها انقضاء سورة وافتتاح سورة بعدها، عن ثعلب، وقيل: هو قسم أقسم الله بهذه الحروف المعجمة لشرفها، ولأنها مباني الكتب المنزلة، والألسن المختلفة، وأسمائه الحسنى، وأصول كلام الأمم، بها يتعارفون، عن الأخفش. وقيل: لما تواطأ الكفار ألا يسمعوا القرآن، ويلغوا فيه، أحدث الله تعالى هذه الحروف التي لم يكن [لهم] بها عهد ليسمعوا، ثم يأتي الكلام بعدها، فيكون حجة عليهم، عن أبي علي وقطرب وأبي روق. وقيل: إنه اختصار كلام يفهمه المخاطب، كقول الشاعر:

قُـلْـتُ لَـهَـا قِـفِـي فَـقَـالَـتْ قَـافِ

أي: وقفت، عن ابن العباس والزجاج وجماعة، ثم اختلفوا فقيل: الألف من الله، واللام من لطيف، والميم من ملك، وقيل: الألف من الله، واللام من جبريل، والميم من محمد، عن ابن عباس، وروي عنه: معناه: أَنَا اللهُ أَعْلَمُ، وقيل: الألف آلاؤه، واللام لطفه، والميم ملكه، عن محمد بن كعب، وقيل: إنها حروف مقطعة، لو وصلت صارت[3] أسماء من أسماء الله تعالى، كقوله[4]: (الر)، و(حم)، و(ن)،

(١) حُطي: حطي، ز، ف.

(٢) اللسان [ف ن ك]، وتاج العروس [ف ن ك].

(٣) صارت: كانت، د، ز.

(٤) كقوله: كقولك، د، ف.

فهو الرحمن، عن سعيد بن جبير[١]، وهذا إنما يتأتى في بعض الحروف دون جميعها. وقيل: هو شيء يسرّ لا يعلم المراد به، وهذا لا يصح؛ لأن الغرض من الخطاب الإفهام، ولأن الصحابة والتابعين والعلماء بعدهم تكلموا في معنى هذه الحروف، فقوله يخالف إجماعهم.

قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾

القراءة

قرأ ابن كثير «فِيهِ» بياء، وكذلك لديه وعليه، ونحوهما[٢] مما فيه هاء الكناية، ووافقه حفص في قوله: ﴿فِيهِۦ مُهَانًا﴾[الفرقان: ٦٩] والباقون لا يُشْبِعُون، وبغير ياء، فإذا تحرك ما قبل الهاء فأجمعوا على إشباعه، وتُجوّز العربية فيه أربعة أوجه، فِيهُو، وفيهي، وفيهُ، وفيهِ، والأصل فيهو، هذا كقولهم: له مال، وفيهي فلان، الهاء لم يعتد بها لخفائها، فصارت[٣] بمنزلة ياء معه واو، فلا بد أن ينقلب الواو ياء قياسا مطردا، كقوله: سيد وميت. و(فِيهُ) بالحذف، ودلالة الضم على الأصل، و(فِيهِ) بالكسر وحذف الياء، والاختيار قراءة العامة؛ لأنه أخف من غير إخلاء.

فأما «هُدًى لِلْمُتَّقِينَ» بإدغام[٤] الغنة في اللام، فأبو جعفر وابن كثير يدغمانهما[٥] باللام[٦] والراء من غير إظهار الغنة، وحمزة والكسائي عند اللام والراء والياء، والباقون يدغمون ويظهرون الغنة.

---

(١) تفسير الطبري ١٠/ ١٥.

(٢) ونحوهما: ونحوها، و.

(٣) فصارت: فصار، ف، و.

(٤) بإدغام: إدغام، د، ف.

(٥) يدغمانهما: يدمغهما، ز، ف، و.

(٦) باللام: عند اللام، د، ز.

۞ اللغة

ذاك، وذلك، وهذا: نظائر، إلا أن (هذا) لِمَا قرب، وذاك لما بَعُدَ، و(ذا): اسم، واللام عماد، والكاف خطاب.

والكتاب: أصله الجمع، ومنه الكتيبة؛ لانضمام بعضهم إلى بعض، وحقيقة الكتاب: ضم بعض الحروف الدالة على معنى إلى بعض، والكتاب مصدر، والمراد به المكتوب، كالحساب، يقال: هذا الدرهم ضَرْبُ الأمير، أي مضروبه.

والريب: الشك، وقيل: الريب تهمة مع الشك.

والهداية: الدلالة في الأصل.

والمتقي: أصله من التقوى، وهو من الوقاية، وأصله وَقْوَى قلبت الواو ـ تاء ـ كالتكلان أصله من وكلان، من وكلت، والاتقاء: الحجز بين الشيئين يقال: اتقاه بالترس، ومنه الوقاية؛ لأنه يمنع رؤية الشعر، يقال: وَقَاهُ اللهُ يَقِيهِ وِقَايَةً.

۞ الإعراب

«هُدًى» يجوز أن يكون نصبا من وجهين، ورفعا من أربعة أوجه:

أما النصب: فيجوز أن يكون حالاً من (ذلك)، والعامل فيه معنى الإشارة، كأنه يقول: ذلك الكتاب هاديا[1].

والثاني: أن يكون حالا من الهاء في (فيه)، والعامل فيه هو العامل في الظرف، وهو معنى ريب، كأنك قلت: لا ريب فيه هاديا.

وأما الرفع: فالأول: أن يكون خبرا، وابتداؤه (فيه)، كقولك: فيه خَيْرٌ. والثاني: على حذف (هو)، كأنك قلت لما تم الكلام: هو هدى. والثالث: أن يكون خبرا لذلك الكتاب. والرابع: أن يكون (هدى) و(لا ريب فيه) جميعا خبرا لـ (ذلك)، كقولك: هذا حلوٌ حامضٌ.

۞ المعنى

لما أشار بالحروف إلى الكتاب المؤلف منها عقبه بذكر الكتاب، فقال تعالى:

---

(١) هاديا: هدى، د، ز.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ قيل: أراد به القرآن، وذلك معناه، هذا عن الأخفش، وأنشد:

أَقُولُ لَهُ والرُّمْحُ يَأْطِرُ مَتْنَهُ ... تَأَمَّلْ خُفَافًا إِنَّنِي أَنَا ذَلِكَا[1]

أي هذا، وقيل: معناه ذلك الكتاب الذي وعدتك في الكتب السالفة، وعن المبرد: الكتاب الموعود به، وهو الوجه[2]؛ لأن أصل [ذلك] إشارة إلى غائب، ولا يعدل عنه مع صحة معناه، ويصلح في البيت ذلك تقديره: أنا ذلك الذي سمعته به[3]، وقيل: إنه تعالى وَعَدَهُ كتابا لا يمحوه الماء، ولا يَخْلَقُ على كثرة الرد، فلما أنزل القرآن، قال: «ذَلِكَ الْكِتَابُ» الذي وعدتك، عن الفراء وأبي علي، وقيل: إنه تعالى كان أنزل عليه قبل سورة البقرة سورا كثيرة، وكفرت بها المشركون، فقال: «ذَلِكَ الْكِتَابُ» يعني ما تقدم من القرآن عن الأصم، وهؤلاء كلهم اتفقوا أن المراد بالكتاب القرآن، وعليه أكثر المفسرين، وروي عن بعضهم أنه أراد بالكتاب التوراة والإنجيل، وليس بصحيح؛ لأن إجماع المفسرين على خلافه.

ثم وصف الكتاب فقال: «لاَ رَيْبَ فِيهِ» أي[4] لا شك فيه أنه مِنْ عند الله، وأنه حقٌّ، ومعجزٌ لا يقدر أحد على مثله، وقيل: لا ريب فيه أنه هدى، وقيل: معناه لا يرتابوا كقوله: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ﴾ [البقرة: ١٩٧].

ومتى قيل: كيف يصح قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[السَّجدَة: ٢] مع كثرة ريب العقلاء فيه؟

قلنا: معناه: لا ترتابوا، وقيل: معناه: لا سبب فيه يوجب الريب، وقيل: لا ريب أنه هدى في نفسه، وإن كان الجاهل يرتاب به، فَنَفَى الرَّيْبَ لا الارتياب.

«هُدًى» قيل: دلالة وبيانًا «لِلْمُتَّقِينَ» قيل: خصهم بالذكر وإن كان هدى لغيرهم، كما قال: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٥]؛ لأنهم انتفعوا به، واهتدوا بهداه، وقيل: لأن غيرهم أعرض عن الاهتداء به، فخرج الكلام مخرج من لا يعتد بهم، وقيل: لأنه أراد به مدح المتقين لاهتدائهم به، فلذلك ذكرهم، وقيل: إنه أثبت أنه هدى لهم ولم

(١) ذلكا: ذلك، و؛ وقائل البيت: خُفاف بن نُدبة.

(٢) وهو الوجه: وهو أوجه، د، ز.

(٣) أنا ذلك الذي سمعته به: أنا ذاك الذي سمعت به، ذ، ي.

(٤) أي: قيل، ز، و.

ينف غيرهم، وبَيَّنَ في آية أخرى أنه هدى للناس، والمتقين: يعني المؤمنين، وقيل: مَنْ اجتنب الكبائر، وقيل: من يتقي ما يوجب العقاب، وعن النبي ﷺ: «جماع التقوى في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠] الآية».

ومتى قيل: فالهدى[1] على كم وجهًا؟

قلنا: على ثلاثة أوجه: بمعنى الدلالة، وهو عام للمكلفين، لذلك قال: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٥] وبمعنى اللطف كقوله: ﴿وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣] وهو خاص لمن له لطف، وبمعنى الثواب والجنة كقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٤ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ[2]﴾ [محمد: ٤، ٥] وهذا خاص للمؤمنين.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن الهدى هو الدلالة؛ لذلك وصف الكتاب به خلاف قول المجبرة: إن الهدى هو الإيمان.

وتدل على وجوب النظر في القرآن من حيث جعله هدى وطريقا للحق، فيبطل قول من يرى التقليد.

وتدل على بطلان مذهب أصحاب المعارف؛ إذ لو كانت المعرفة ضرورة لم يكن لنصب الأدلة [داع]، وجعل القرآن هدى معنى.

وتدل على أنه كان مكتوبا، وعلى تأويل الأصم الكلام ظاهر، فأما على غيره فقيل: كان مكتوبا في اللوح المحفوظ، والفائدة فيه مصلحة الملائكة.

قوله تعالى:
﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣﴾

۞ القراءة

قرأ أبو جعفر وعاصم في رواية الأعشى عن أبي بكر بترك كل همزة ساكنة مثل:

---

(١) فالهدى: الهدى، د، ز.
(٢) ويصلح بالهم: ـ، و.

«يؤمن» و«يؤمنون» و«يأكلون» و«يأمرون» و«يأخذون» و«الضأن» و«الذئب» و«بئر» و«بئس» و«لؤلؤ» ونحوها، ويتركان كثيرا في الهمزة المتحركة أيضا، مثل قوله: «فليؤد»، و«لا يؤاخذكم»، و«يؤيد بنصره» ونحوها، ولأبي جعفر فيه مذهب يطول ذكره. فأما أبو عمرو فيترك كل همزة إلا أن يكون سكونها علامة للجزم، نحو: «نبئهم»، و«نبئنا»، و«اقرأ[1]»، و«إن نَشَأْ»، ونحوها، فإنه لا يترك الهمزة فيها، وروي عنه الهمزة أيضًا في الساكنة. وأما نافع فيترك كل همزة ساكنة ومتحركة إذا كانت فاء من الفعل كقوله: «يؤمنون» و«لا يؤاخذكم». واختلفت قراءة الكسائي وحمزة، ولكل واحد منهم في ذلك مذهب يطول ذكره، فالهمز على الأصل، والإسقاط للتخفيف.

اللغة

اللائي واللاتي نظائر، واللائي واللاتي للمؤنث، قال تعالى: ﴿وَٱلَّـٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ﴾ [الطلاق: ٤] وواحد الذين: الذي، وهو من الأسماء التي تتم بصلاتها، كـ (مَنْ) و(ما).

ومتى قيل: فما الذي دعاهم إلى أن جعلوا الاسم منقوصا، ثم يتم بصلة؟

قلنا: الحاجة إلى أن توصف المعرفة بمعنى بالجملة. وتثنية الذي: اللذان، واللذانِّ، بالتشديد عوضا من ذهاب الياء.

ويقال: لم بُنِيَ[2] في الواحد، وأعربت في التثنية؟

قلنا: لأن التثنية تخرجه من شبه الحرف؛ إذ الحرف لا يثنى. فأما الجمع فإنما يبنى، لأن الجمع ليس على حد التثنية؛ ألا ترى إلى أن إعرابه كإعراب الواحد، وقيل: الذي والذين للجمع، وواحده «اللَّذِ. واللذان، والذي»، والذين جمع الجمع.

والإيمان والإسلام من النظائر، ونقيضهما الكفر والفسق، وأصله التصديق، يقال: آمن أي صدق، ومنه: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧] أي بمصدق. وقد صار في الشرع: اسم لأداء الواجبات.

---

(١) اقرأ: اقرأوا، د، ز.

(٢) بني: ثنى، ز، ف، و.

والغيب: نقيض الشهادة، وهو مصدر وُضِعَ موضع الاسم، يقال للغائب: غيب. ومنه: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ [الأنعام: ٧٣] ما غاب عن الحاسة، أي خفي، ويقال: غاب عني إذا خفي عن الأبصار، وذكر أبو علي أن الغيب على ضربين: منه ما لا دليل عليه، فلا يعلمه إلا الله، ومنه ما عليه دليل، فنعلمه، إلا أن عالِم الغيب لا يطلق إلا على[1] الله تعالى[2]؛ لأنه يوهم العلم بالجميع، وذكر أبو هاشم أن الغيب ما لا طريق إلى معرفته ضرورة واستدلالا، وربما يمر في كلامه ما قدمنا.

وإقامة الصلاة: مأخوذ من تقويم الشيء وتحقيقه، وقيل: سمي أداؤها إقامة؛ لما فيها من القيام، وأصل الإقامة القيام، وهو الانتصاب، والصلاة في اللغة: الدعاء، وقيل: أصله اللزوم، وقيل: أصله رفع الصلا في الركوع والسجود، وهو عظم في العجز[3]، وفي الشرع: اسم لأفعال مخصوصة.

والرزق: نقيض الحرمان، وقيل: هو العطاء الجاري، وقيل: أصله الحظ والنصيب. ومنه: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ [الواقعة: ٨٢].

والإنفاق: أصله الإخراج، يقال: أنفق ماله إذا أخرجه عن ملكه.

۞ الإعراب

الذين[4]: يحتمل أن يكون محله نصبا وجرا ورفعا، أما الجر فعلى أنه صفة للمتقين، وأما النصب فعلى المدح، تقديره: أعني الذين يؤمنون، وأما الرفع فعلى معنى هم الذين، فيكون خبر ابتداء محذوف.

۞ المعنى

لما وصف القرآن بأنه هدى للمتقين بَيَّنَ صفة المتقين، فقال تعالى: «الَّذِينَ يُؤْمِنونَ بِالغَيْبِ» قيل: يصدقون بالقيامة والجنة والنار عن الحسن، وعليه أكثر المفسرين، وقيل: يؤمنون في حال الغيبة، كما يؤمنون إذا كانوا بحضرة النبي ﷺ، فيوافق ظاهرهم باطنهم، خلاف المنافقين، عن أبي مسلم.

---

(١) على: ـ، و.

(٢) تعالى: -، ف.

(٣) اللسان (صلا).

(٤) الذين: الذي، ز، و.

ومتى قيل: لم جعل وقت القيامة غيبا؟

قلنا: لطفا للمكلفين.

وقيل: «**يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**» أي بالله وملائكته ورسله، وقيل: بالقرآن وما فيه من علم الغيب، وقيل: بالوحي، وإنما مُدِحُوا بذلك؛ لأن علم الضرورة فعل الله تعالى، وإنما يتفاضل الناس بالاستدلاليات. «**وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ**» أي يتمونها بركوعها وسجودها وأركانها، وقيل: يؤدونها بقيامها، وقيل: يديمونها «**وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**» قيل: مما أعطيناهم ينفقون في الجهاد، وقيل: من الزكاة، وقيل: أراد النفقة على نفسه وعياله.

ومتى قيل: هؤلاء ومَنْ ذُكِرَ بَعْدُ: قَوْمٌ واحد أم قومان؟

قلنا: قيل: قوم واحد وصفوا بجميع ذلك، كقول الشاعر:

إِلَى المَلِكِ القَرْمِ وابْنِ الهُمَامِ   وَلَيْثِ الكَتِيبَةِ فِي المُزْدَحَمْ

وقيل: هم قومان، فالذين ذكروا في الآية الأولى من آمن من مشركي العرب، والذين ذكروا في الآية الأخرى من آمن من أهل الكتاب.

۞ الأحكام

الآية تدل على بطلان قول أصحاب المعارف من وجوه:

أحدها: أن جميع الأشياء لو كانت معلومة ضرورة لم تكن غيبًا[(١)]، ولأنه لو كان الكافر يعلم كما يعلم المؤمن لما خص المتقين، ولأنه لا يصح المدح بالضرورات.

وتدل على أن الإيمان بالغيب من شرط استحقاق الثواب.

وتدل على وجوب الصلاة، وأنها[(٢)] شرط في استحقاق الفلاح، خلاف قول المرجئة.

وتدل على أن الاسم نقل من اللغة إلى الشرع؛ لأن الصلاة يفهم منها أفعال مخصوصة.

ويدل قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[السَّجدَة: ١٦] على أن الرزق هو الحلال؛ لأنه مدحه بالإنفاق[(٣)].

---

(١) لو كانت معلومة ضرورة لم تكن غيبًا: لو كان معلوما ضرورة لم يكن غيبًا؛ د، ز، ف.

(٢) وأنها: وأنه؛ د، ز، ف، و.

(٣) بالإنفاق: بإنفاقه، ز، ف، و.

وتدل على وجوب الإنفاق؛ لذلك جعله شرطا في الفلاح، ولهذا قلنا: لا بد من حمله على إنفاق واجب. وحد الرزق: ما له أن ينتفع به، وليس لأحد منعه.

قوله تعالى:
﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾

القراءة

قرأ أبوجعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب لا يمدون حرفا بحرف، وهو أن يكون[1] المد في كلمة، والهمزة في أخرى، نحو: «**ما أنزل إليك**» وأشباهها، وأما عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر ونافع برواية ورش فإنهم يمدون ذلك، وورش أطولهم مدا، ثم حمزة، ثم عاصم برواية الأعشى، والباقون يمدون مدا وسطا من غير إفراط، فالمد للتحقيق، وحذفه للتخفيف. فأما السكتة بين المد والهمزة فعن حمزة، ووافقه عاصم والكسائي على اختلاف عنهما، والباقون بغير سكتة.

اللغة

ما: ههنا بمعنى الذي.

والإنزال: إفعالٌ من النزول، وهو المصير إلى جهة السفل، وضده الصعود، أنزله إنزالاً. وقبل: نقيض[2] بعد، وهما في الزمان كخلف وأمام في المكان، وقبل[3] لما مضى، وبعد لما يأتي.

والآخِر: نقيض الأول، يقال: أخره تأخيرا، وحقيقة الأول: الموجود قبلُ، والآخر: الموجود بعد، وهما من[4] صفته تعالى: الأول قبل كل شيء، والآخر بعد كل شيء، وسميت الآخرة بذلك، قيل: لتأخرها عن الدنيا، والدنيا لدنوها، وقيل: لدناءتها.

(١) يكون المد: تكون المدة؛ د، ز، ف، و.
(٢) وقبل نقيض: وقيل نقيض قبل، د، ز.
(٣) وقبل: قيل، و.
(٤) من: في، ز، ف.

واليقين: العلم، غير أن اليقين ما وقع من الثقة بالشيء بعد أن لم يكن[١]، وقيل: هو العلم المستدرك.

الإعراب

«وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ» يحتمل الخفض من وجهين:

أحدهما: جمع الأوصاف لموصوف واحد[٢].

والثاني: أن يكون على موصوفين، عطف أحدهما على الآخر.

ويحتمل الرفع على الاستئناف.

و(ما) يكون حرفا، وقد يكون اسما كالتي للاستفهام.

و(هم) في قوله: ﴿وَبِٱلۡأَخِرَةِ هُمۡ﴾ عماد عند الكوفيين، وفصل عند البصريين.

ويقال: لم قال: إليك، ولم يقل إلاكَ كما يقال: إلى زيد؟

قلنا: للفرق بين ما يضاف إلى الكناية[٣] من المتمكنة وغير المتمكنة، فلذلك قالوا: إليه وعليه، وقالوا: أرجاه وهداه، فسووا في المتمكن بين الظاهر والمكني، وفرقوا في الحروف.

المعنى

ثم بين تعالى تمام صفة المتقين، فقال: «وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ» يعني: القرآن والإسلام «وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ» من الكتب على الأنبياء، وقيل: ويصدقون بما أنزل إليك من بقاء الآخرة وفناء الدنيا، والبعث والحساب «وَبِالآخِرَةِ» قيل: بالكرة الأخيرة، وقيل: بالدار الآخرة؛ لأن الآخرة صفة فلا بد من موصوف «هُمْ يُوقِنُونَ» يعني يستيقنون أن الدار الآخرة كائنة لا محالة.

---

(١) يقصد أن اليقين بالشيء بعد الشك فيه، بخلاف العلم، فهو: اعتقاد الشيء من أول الأمر.

(٢) هو (المتقين) في (هدى للمتقين).

(٣) يقصد الضمائر.

۞ الأحكام

تدل الآية على وجوب الإيمان بما أنزل عليه، وعلى الأنبياء قبله؛ لأن الطريقة في الكل واحدة، وهي المعجزة[1].

وتدل على وجوب الإيمان بالبعث والحساب.

وتدل على أن العلمَ واليقينَ فِعْلُهُم؛ لذلك مدحهم به، فيبطل قول أصحاب المعارف.

قوله تعالى:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥﴾

۞ اللغة

في «أولئك» ثلاث لغات: أولئك لغة قريش، وأولاك، وأولالك.

ومعنى (على) كمعنى فوق، و(على) قد يكون اسما وحرفا، تقول: عليه دين، فهذه حرف، وقال الشاعر:

غَدَتْ مِنْ عَلَيْهِ تَنْفُضُ الطَّلَّ بَعْدَمَا رَأَتْ حَاجِبَ الشَّمْسِ اسْتَوَى فَتَرَفَّعَا

فهذا اسم لدخول «مِنْ» عليها، كأنه قال: غدت من فوقه. و(على هدى) ومهتدون واحد، كقولهم: على صلاح ومصلحون، وعلى تقوى ومتقون.

وأصل الفلاح: القطع، ومنه:

إِنَّ الحَدِيدَ بِالحَدِيدِ يُفْلَحُ[2]

أي: يقطع، ومنه الفلَّاح: الأكَّار؛ لأنه يشق الأرض، وقيل: أصله الظفر بالبغية، وهذا أصح؛ لأنه أغلب على الباب وأظهر فيه، وقيل: أصله البقاء، وكل مؤمن مفلح؛ لأنه ظافر ببغيته.

۞ الإعراب

أولاء: اسم مبني على الكسر، ولا واحد له من لفظه، والكاف للخطاب.

---

(١) وهي المعجزة: وهو المعجز، ز، و.

(٢) وصدر البيت: وَرُبَّ شِرِّيرٍ لِقَوْمٍ يُصْلِحُ.

وفي رفع (أولئك) أربعة أوجه:
الأول: أن يكون خبرًا لموصوفين بالصفات الثلاث المتقدمة.
والثاني: أن يكون خبرًا للفريقين من مؤمني العرب، ومؤمني أهل الكتاب.
والثالث: أن يكون خبرًا لقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾
والرابع: الاستئناف، فيكون الرافع له: ﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾.

فأما (هم) في قوله ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ فيحتمل وجهين: أحدهما: أنه حرف، وقد بينا أنه عماد عند الكوفيين، وفَصْلٌ عند البصريين، وإنما يؤتى بها للتوكيد ولا موضع له من الإعراب، وإنما يُؤْذِنُ أن الخبر معرفة، أوما قارب المعرفة، وقيل: إنما يؤتى به ليؤذن أن الذي بعده خبر ليس بصفة، وقيل: إنه اسم وخبره (المفلحون).

والأحسن أن يكون «**أولئك**» على الاستئناف؛ ليكون المعطوف مشاكلاً له.

۞ المعنى

ولما وصف المتقين بهذه الصفات بين ما لهم عنده فقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ قيل: إشارة إلى الموصوفين بجميع ما تقدم من الصفات، وهم جملة المؤمنين، وقيل: إلى صنفين أحدهما: من آمن من العرب. والثاني: مَنْ آمن مِنْ أهل الكتاب. «**عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ**» قيل: من دِينِ ربهم، وقيل: على دلالة وبيان من ربهم، وإنما قال: «**مِنْ رَبِّهِمْ**» لأن كل خير وهدى فمن الله تعالى، إما لأنه فِعْلُهُ، أو لأنه عرض له، «**وَأُوْلَئِكَ**» كرر تفخيما وتعظيما، «**هُمُ الْمُفْلِحُونَ**» قيل: الظافرون بالبغية، وقيل: الباقون في الجنة؛ لأن الفلاح البقاء.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن الفلاح لا يحصل إلا بهذه الخصال، التي علقها به؛ لأن المعلق به شرط لا يحصل عند عدم الشرط، فيبطل قول المرجئة.

قال مجاهد: أربع آيات من أول السورة نزلت في المؤمنين، واثنتان بعدها نزلت في الكافرين، وثلاث عشرة[1] آية في المنافقين، وقيل: ذلك يدل على عظم حالهم

(١) عشرة: عشر، ز، ف.

في الكفر، واستحقاق العقاب، وقيل: كثرة اختصاص حالهم لا يوجب عظم دينهم، وإنما عظم؛ لأنهم ضموا إلى الكفر وجوها من المعاصي، كالاستهزاء، والخداع، وطلب الغوائل وغيره، عن القاضي ـ رحمه الله ـ.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾

القراءة

في «أأنذرتهم» ثلاث قراءات: فقرأ عاصم وحمزة والكسائي ـ إذا حقق ـ بهمزتين، وهي لغة تميم، وقرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو بالهمز والمد وتليين الهمزة الثانية، وكذلك كانت قراءة الكسائي إذا خفف، وهي لغة الحجاز غير أن مد أبي عمرو أطول من مد ابن كثير، واختلف في المد عن نافع. وقراءة ابن عامر في رواية ابن[1] هشام بألف بين همزتين، والاختيار قراءة نافع وأبي عمرو؛ لأنه أخف في اللفظ، وأدل على المعنى، ثم قول ابن كثير؛ لأنه أخف، ويجوز في العربية، وفيه ستة أوجه، لكل واحد وجه:

الأول: بهمزتين فهو الأصل؛ لأن الأولى ألف الاستفهام، والثانية ألف أَفْعَلَ، فمن قرأها فقد قصد الأصل.

وأما الثانية: بهمزتين بينهما ألف، ووجهه[2] التحقيق إلا أنه فصل بينهما بألف استثقالا للجمع بينهما.

وأما الثالث: تحقيق[3] الأولى، وتليين الثانية، فهو قياس إذا كان قد جعل التليين استثقالا للهمزة، فأغنى ذلك عن الفصل، وتليين الثانية أقيس عند الخليل.

(١) ابن: ـ د، ف.

(٢) ووجهه: ووجه، ز، ف.

(٣) تحقيق: تحقق، و.

وأما الرابع: فيدخل بينهما ألف، وتُلَيَّنُ(١) الثانية، وهي قراءة أبي عمرو، ووجهه التخفيف من وجهين، ولأنك إذا لينت الثانية صار اللفظ كأنه لا استفهام فيها، ففي المد توكيد الدلالة على الاستفهام، كما في تحقيق الهمزة، وهذا الوجه هو المختار، ويليه تليين الثانية؛ لأنه أتى بالمعنى واستعمل التخفيف، وتحقيق الهمزتين صعب على اللسان، وليس بلغة الحجاز.

فأما الخامس فهو على تليين الأولى، وتحقيق الثانية، وإلقاء حركة الهمزة على الميم من «عليهم» فيفتحها، وتسقط الهمزة كقوله: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١] وهو مروي عن نافع، ومن شأن العرب إذا لَيَّنُوا الهمزة المتحركة، وقبلها ساكن أن يلقوا حركتها على الساكن وَيَحْذِفُوهَا،(٢) فيقولون: مَنَ أبوك؟ وكم إبلك؟ ومَنُ أمك؟(٣)

فأما السادس: بهمزة واحدة، وهي قراءة الزهري، فهو على اطراح ألف الاستفهام، وليس بالجيد، وإن كان قد جاء في الشعر في قوله:

بسبع رمين الجمر أم بثمان(٤)

يعني أبسبع.

۞ اللغة

أصل الكفر الستر والتغطية، قال الشاعر:

حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ يَدًا فِي كَافِرٍ ... وَأَجَنَّ عَوْرَاتِ الصُّخُورِ ظَلَامُهَا(٥)

---

(١) وتلين: وتليين، ف، و.

(٢) ويحذفوها: يحذفونها، ز.

(٣) فينطقونها هكذا: مَنَ بُوكَ؟ وَكَم بِلُكَ؟ وَمَنُ مُّكَ؟

(٤) البيت قائله عمر بن أبي ربيعة وتمامه:

لعمرك ما أدري وإن كنت داريًا ... بسبع رمين الجمر أم بثمان

انظر سيبويه ١/ ٤٨٥، ابن عقيل ٢/ ٢٨٦.

(٥) البيت للبيد بن ربيعة العامري في معلقته.

ومنه قيل للحَرَّاثِ: كَفَّارٌ؛ لأنه يغطي الحب، ومنه: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح:٢٩] ويقال: كفر النعمة أي سترها، ثم نقل في الشرع فصار اسما لمن يستحق عذابا عظيما، كقولنا: مؤمن، نُقِلَ من التصديق، فصار اسما شرعيا، ولذلك لا يطلق على كل مصدق.

والاستواء والاعتدال نظائر، فيقال: استوى استواء، إذا اعتدل، وسَوَّاه تسوية إذا عدله، وسوّى الشيء وسّطه لاعتداله إلى النواحي.

والإنذار: التخويف(١)، وهو الإعلام بموضع المخافة ليتقى، وهو إحسان من المنذر، وكلما كان الخوف أشد كانت النعمة بالإنذار أعظم؛ ولذلك كان رسول الله ﷺ أعظم الناس منة على أمته.

۞ الإعراب

إن: حرف توكيد، ويكون جوابا للقسم، وعملها نصب الاسم ورفع الخبر؛ لأنها كفِعْلٍ قُدِّمَ مفعوله، وتدخل على الاسم والخبر، بمنزلة كان، وبنيت على الفتح كبناء الماضي على الفتح، واسم (إن) الذين، وأما خبرها ففيه وجهان:

أحدهما: الجملة من قولك: «سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ».

والثاني: أن يكون خبرها (لا يؤمنون)، ويكون «سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ» اعتراضا.

و(سواء) مبتدأ، وخبره ما بعده، كأنه قيل: سواء عليهم الإنذارُ وتَرْكُهُ.

والألف في أنذرتهم ألف التسوية، وأصلها الاستفهام.

و(أم) حرف عطف على الاستفهام.

و(لم) حرف جزم لا يليه(٢) إلا الفعل؛ لأن الجزم يختص بالأفعال.

۞ النزول

قيل: نزلت في أبي جهل وخمسة من أهل بيته، عن الضحاك، وقيل: في اليهود،

(١) التخويف: التخفيف، ف، و.

(٢) يليه: يلي، د، ز.

عن الكلبي، وقيل: في قوم من المنافقين من الأوس والخزرج، وقيل: في مشركي العرب عن الأصم، وقيل: في قوم بأعيانهم من أحبار اليهود كفروا عنادا، وكتموا أمره منهم حُيي بن أخطب، عن ابن عباس، وقيل: في قادة الأحزاب، وقيل: في أهل الختم الذين عَلِمَ الله أنهم لا يؤمنون عن أبي علي، وقيل: هو عام في جميع الكفار، يعني أن جميعهم لا يؤمنون، وإن بذل لهم النصيحة، وإن كان بعضهم يؤمن تسلية له.

ومتى قيل: علم أنهم لا يؤمنون، فلو قدروا على الإيمان وآمنوا لكان فيه تجهيلٌ؟

قلنا: الله تعالى علم أنهم مع قدرتهم على الإيمان لا يؤمنون، ولم يؤمنوا، ثم هذا باطل بالأمر؛ أليس أمرهم بالإيمان، فأمرهم بتجهيله، ثم إنه تعالى قادر على إيجاد القيامة في هذا الوقت، مع علمه أنه لا يوجدها فيه تجهيل له؟

۞ المعنى

لما بين حال المؤمنين عقبه بذكر الكافرين، فاتصل بما قبله اتصال النقيض بالنقيض، فقال تعالى: «**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا**» قيل: بجميع ما آمن به المؤمنون، وقيل: بخصلة[1] من خصال الكفر، أي كفر كان، وقيل: كفروا بما أنزل اليك، كما قال: «**يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ**» وقيل: كفروا بالآخرة «**سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ**» أي يستوي حالهم «**أَأَنْذَرْتَهُمْ**» خوفتهم أو لم تخوفهم لا يؤمنون بك، وبما أنزل إليك. و(سواء عليهم) بمعنى يستوي؛ لأن المصدر إذا أقيم[2] مقام الفاعلين كان بمنزلة أسمائهم، يقال: قوم صوم، أي صائمون.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن في المكلفين من [لا] لطف له؛ إذ لو كان الفعل لآمنوا، فلما أخبر أنهم لا يؤمنون، علم أنه لا لطف لهم، خلاف قول أصحاب اللطف.

(١) الباء هنا للسببية أي: بسبب خصلة من خصال الكفر.

(٢) المصدر إذا أقيم: المصادر إذا أقيمت، ز، ف.

وتدل على معجزة للرسول؛ لأنه أخبر أنهم لا يؤمنون، فكان كما أخبر.

وتدل على أنه يجوز أن يخاطب بالعام ويريد به الخاص؛ لأنا نعلم أن في الكفار من آمن وانتفع بإنذاره، فدل بأن المراد بالآية الخصوص.

وتدل على أن الكافر أتي من جهة نفسه، لا من تقصير من جهة الرسول ﷺ.

وتدل على أن أفعال العباد ليست بخلق الله تعالى[١]؛ إذ لو كانت[٢] خلقا له لم يكن للتخويف معنى.

۞ النظم

ابتدأ الله تعالى بذكر الكتاب، وبَيَّنَ مَنْ آمن به، ثم عقب بذكر من كفر به، ثم ثَلَّثَ ببيان من نافق فيه، وهذا من أحسن الترتيب.

قوله تعالى:

﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧﴾

۞ القراءة

القراءة الظاهرة «غِشَاوة» بكسر الغين، وإثبات الألف[٣]، ورفع الهاء، والرفع على الاستئناف، وروى المفضل عن عاصم: «غشَاوة» بالفتح، كأنه أضمر فيه فعلاً، أو جعل على أبصارهم غشاوة أو عطف بها على الختم، تقديره: وختم على أبصارهم غشاوة، وعن الحسن «غُشَاوة» بضم الغين، وعن الجحدري بفتح الغين، وعن بعضهم «غَشْوَة»[٤] بغير ألف، وعن ابن أبي عبلة (وعلى أسماعهم)[٥] على الجمع، وقراءة

---

(١) تعالى: ـ، د.

(٢) كانت: كان؛ د، ز، ف، و.

(٣) بكسر الغين وإثبات الألف: بكسر الغين والألف، ز، و.

(٤) حجة القراءات ٦٦١

(٥) روح المعاني ١/ ١٣٥

العامة على الوُحْدَان، وجميع ذلك لغات، ولكن لا تجوز أن تكون القراءة إلا بما ظهر نقله واستفاض. فأما (أبصارهم) فَيُمِيلُ[1] أبو عمرو والكسائي والباقون بالتفخيم، وللقراء في ذلك مذهب يطول شرحه.

اللغة

الختم والطبع من النظائر، [يقال]: ختم الكتاب، والختم: الطبع بالخاتم، وقوله: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞ﴾ [المطففين: ٢٦] أي آخره، وختم الكتاب؛ لأنه يكون بعد الفراغ منه، ومنه خاتم النبيين[2].

والقلب: الفؤاد، وأصله من التقلب.

والسمع: الأذن، والسمع: مصدر سمع سمعا، فالسامع: المدرك للصوت.

والبصر والعين من النظائر، وفي البصر اشتراك، يقال: أبصر بعينه، وأبصر بقلبه، والمبصر: المدرك للمبصرات، والسامع والمبصر لا يكون إلا بعد وجود المسموعات والمبصرات، والسميع والبصير من كان على صفة يدرك المدركات إذا وجدت؛ ولذلك نصف الله تعالى بأنه سميع بصير لم يزل، ولا نصفه بأنه سامع مبصر لم يزل.

والغشاوة والغطاء والساتر نظائر، يقال: غشيته إذا سترته، ومنه: ﴿يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ﴾ والغاشية: هي الغطاء الشامل، ومنه سميت القيامة غاشية، وفي غشاوة ست لغات: بالألف وتعاقب الحركات الثلاث على العين، وبغير ألف مع تعاقبها، والأجود بالألف وكسر العين.

والعذاب استمرار الألم، وأصله من الاستمرار، عذبه يعذبه تعذيبا.

والعظيم: الكبير، يقال: هو عظيم الجثة، وعظيم الشأن، ومنه سمي تعالى عظيما، لا من الأول.

---

(١) فيميل: فيمل، د، ز.

(٢) النبيين: النبئين، د، ز، و.

۞ الإعراب

رفع «غشاوة» على الاستئناف، ويجوز نصبه على إضمار فعل، أي: وجعل، أو العطف على (خَتَمَ) كما بينا.

وجمع القلوب، ووحد السمع، قيل: لأنه مصدر فلا يثنى ولا يجمع، يقول: يعجبني حمدكم، وقيل: معناه وعلى موضع سمعهم، كقولك: أصحابك عَدْلٌ، أي ذوو عدل، وقيل: لما أضاف السمع إليهم، دل على معنى الأسماع، وقيل: أراد سمع كل واحد منهم، كما تقول: جاءني برأس كبشين، قال الشاعر:

لاَ تُنْكِرُوا القَتْلَ وَقَدْ سُبِينَا فِي حَلْقِكُمْ عَظْمٌ؛ وَقَدْ شُجِينَا

«وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» والوقف على (سمعهم) وَقْفٌ كافٍ، والوقف التام عند قوله: ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، والوقوف ثلاثة: تام، وكاف، وناقص، فالأول ما أفاد المعنى ولم يتصل به زيادة، والكافي ما أفاد وزاد، والناقص ما لم يفد ولم يزد المعنى على الصحة.

۞ المعنى

ثم حكى تعالى صفة مَنْ تقدم ذكرهم فقال تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ واختلفوا في الختم، قيل: نكتة سوداء يجعلها الله في قلب الكافر علامة للملائكة أنه لا يفلح، عن أبي علي وجماعة.

وقيل: إنه ذم لهم بأنها كالمختوم عليها، كقوله: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ قال الشاعر:

أَصَمُّ عَمَّا سَاءَه سَمِيعُ

وقال:

لقد أَسْمَعْتَ لو ناديتَ حَيًّا ولكنْ لا حياةَ لِمَنْ تُنَادِي

ومعناه أن الكفر تمكن في قلوبهم فصارت كالمختوم عليها، وصارت أسماعهم لا يصل إليها السمع، ثم أكد ذلك بقوله: «وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ» أي صاروا بمنزلة من لا يسمع ولا يفهم[1]، ولا يبصر في معنى قول الأصم وأبي مسلم وأبي بكر أحمد

(١) من لا يسمع ولا يفهم: من لا يفهم ولا يسمع، ز، ف.

بن علي، وقيل: ختم أي حكم الله عليهم، وشهد عليها بأنها لا تقبل الحق، وهو من قولهم: ختمت عليك بأنك لا تفلح، أي شهدت عليك وحكمت، وقيل: المراد به الاستفهام، فحذف ألف الاستفهام، وتقديره: أختم، قال الشاعر:

بِسَبْعٍ رَمَيْنَ الجَمْرَ أَمْ بِثَمَانِ

ومتى قيل: لِمَ أضاف الختم إلى نفسه؟

قلنا: على التأويل الأول؛ لأنه جعل ذلك في قلوبهم، وعلى الثاني لأنه كان عند دعائه كقولهم: ما زدتك بموعظتي إلا شرًا، وذلك تَوَسُّعٌ، وعلى الثالث خَتَمَ بمعنى حَكَمَ أنهم بهذه الصفة، وعلى الرابع هو بمعنى الإنكار أي ما ختم.

ومتى قيل: لِمَ خص هذه الأعضاء بالذكر؟

قلنا: لأنها طريق العلم، فالقلب محل العلم، وطريقه إما السماع أو الرؤية.

ومتى قيل: بغير قلتم: إن الختم يمنع من الإيمان؟

قلنا: لوجوه:

منها: أنه لو مَنَعَ منه، وقد أمرَ به لكان تكليفا لما لا يطاق.

ومنها: أنه أخبر أن بعضهم يؤمن، فقال: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٤٦] فلو منع لمنع الجميع.

ومنها: أن السمع والبصر لا تعلق لهما بالإيمان.

ومنها: أنهم كانوا يسمعون ويبصرون.

ومنها: أن الختم لا يكون منعا إذا قُدِرَ على رفعه كختم الكتاب.

ومنها: أن الختم في اللغة بمعنى المنع غير مسموع ولا موجود.

ومنها: أن المنع من الإيمان قبيح، ولا يقال: إنه عقوبة لهم؛ لأنه عطف عليه بقوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ دلّ أنه غير المعطوف عليه، ولأنه يكون في كفره أتي من قبل ربه، ولأنه لا يكون له طريق إلى التخلص مع بقاء التكليف، ولو جاز أن يمنع من الإيمان، ثم يعاقب عليه، لجاز أن يكلف الأعمى النظر، والْمُقْعَدَ القيام، ويعاقب

على تركه، وجاز أن يبعث رسولاً يدعو إلى الكفر، ويظهر المعجز على يدي كذاب، ولأنه تنزه عن الظلم، فلو أنه أمر بالإيمان ومنع منه، ثم يعاقب عليه لما كان ظلم أعظمَ من هذا، تعالى الله عن ذلك. «**وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**» قيل: عذاب النار، وقيل: في الدنيا القتل والأسر وفي الآخرة عذاب النار.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن من لا يسمع الحق ولا يعيه فهو بمنزلة من لا سمع له ولا بصر ولا قلب.

وتدل على أنهم استحقوا العقاب لما سلف من كفرهم، وقد ذكر من لا شبهة في جهله أن قوله: ﴿خَتَمَ﴾ علة لقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وهذا دعوى؛ لأن الآية وردت ذما لهم، ولو أتوا من قبله لما استحقوا الذم، ولأن عندهم أن الكفر خلقه، والإيمان خلقه، والختم هو الكفر، فكأنه قال على تأويلهم الفاسد: إن الذين خلقت فيهم الكفر لا ينفعهم الإنذار ولا يؤمنون؛ لأني لم أخلق فيهم الإيمان، وعلى هذا كانت الآية حجة لهم، وعذرا لا عليهم.

قوله تعالى:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾﴾

۞ اللغة

الناس والإنس والبشر[(١)] نظائر، واختلفوا مما[(٢)] أُخِذَ الناس؟ فقيل: من الحركة، يقال: نَاسَ يَنُوسَ نَوْسًا: إذا تحرك فسمي بذلك لحركته، ولذلك قال في تصغيره: نُوَيْس، ووزنه فَعَل؛، وقيل: أصله من الأنس، وهو أُناس على فُعال بضم الفاء، فحذفت الهمزة، فصار ناسًا، وتصغيره أنيس، سمي به لأنه يستأنس به، وقيل: لأن

(١) الناس والإنس والبشر: الناس والبشر والإنس، ز، و.

(٢) مما: ممن، د، ز، و.

آدم لما خُلِقَ آنَسَهُ بزوجته، فسمي إنسانًا، وقيل: هو من الظهور، فسمي إنسانا وناسا لظهوره، وإدراك[1] البصر إياه، فقال: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾ [طه: ١٠] وقيل: أخذ من النسيان، قال ابن عباس: لأنه نسي عهد الله، وقال الشاعر:

وسُـمِّـيَـت إنسـانًـا لأنـك نـاسـي

والناس: الجماعة من الحيوان المتميزة بالصور الإنسانية، واحدها إنسان، وأصل إنسان إنسيان، وكذلك يقال في تصغيره: أنيسيان، فيرد إلى الأصل، ثم حذفت الياء، ونقلت حركته إلى السين فصار إنسانًا.

والقول والنطق والكلام نظائر، قال قولاً، والكلام مقول.

والآخرة: القيامة، سمي آخرا لتأخره عن الدنيا، وقيل: لأنه آخر يوم ليس بعده ليلة.

❁ الإعراب

يقال: لِمَ جاز (مِنَ الناس) بالفتح؟ ولم يجز مثل ذلك في (عن)؟

قلنا: لأن (مِنْ) كره الكسر فيها لالتقاء الساكنين استثقالاً لتوالي الكسرتين، فأما (عن) فأجريت على الأصل.

والباء في[2] قوله: ﴿وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ﴾ مؤكدة للنفي.

ومتى قيل: لِمَ وَحَّدَ «يقول[3]»، وجمع «وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ»؟

قلنا: لأن لفظها على التوحيد، ويحتمل لإيهامها أن تقع على الجمع، قال الفرزدق:

تَـعَـالَ فَـإِنْ عَـاهَـدْتَـنِـي لاَ تَـخُـونُـنِـي   نَـكُـنْ مِـثْـلَ مَـنْ يَـا ذِئْـبُ يَـصْـطَـحِـبَـانِ

---

(١) وإدراك: وإدراكه، د، ف.

(٢) والباء في: الباقي، د، ز، ف.

(٣) يقول: بقول، د، ف.

وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ﴾ [البقرة: ١١٢] ثم قال: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢] فأجراه مرة على اللفظ، ومرة على المعنى.

النزول

قيل: نزلت الآية في المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول، وجدّ بن قيس، ومعتب بن قشير، وأصحابهم، قالوا: تعالوا إلى خُلَّةٍ نسلم من محمد وأصحابه، ونتمسك بديننا، فأجمعوا على إظهار كلمة الإسلام(١) والإيمان بألسنتهم، واعتقدوا خلافها، وأكثرهم في اليهود.

المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى حال المنافقين، فقال: «**وَمِنَ النَّاسِ**» جماعة صفتهم أن يقولوا: «**آمَنَّا**» صدقنا بالله وما أنزل على رسوله ﷺ من ذكر البعث، «**وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ**» بمصدِّقين، أي ليسوا كما يصفون أنفسهم.

الأحكام

تدل الآية على فساد قول من قال: الإيمان باللسان؛ لأنهم مع إقرارهم كذبهم(٢) الله تعالى، فقال: «**وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ**».

وتدل على أنه لا ينبغي الاغترار بظاهر أحوال الناس.

وتدل على بطلان قول أصحاب المعارف؛ لأنهم لو أقروا عن معرفةٍ كان إيمانا.

وتدل على أن ذلك القول فعلهم.

قوله تعالى:

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾

---

(١) الإسلام: ـ، ف.

(٢) كذبهم: أكذبهم، ز، ف.

۞ القراءة

أجمع القراء على «يُخَادعون» في الأولى، فأما الثاني فقرأ «يخادعون» بالألف وضم الياء نافع وابن كثير وأبو عمرو[١]، والباقون «يَخْدَعون» بفتح الياء وحذف الألف، وقيل: الأول أولى؛ لأنه قراءة أهل الحرمين، ولأنه أبلغ في الرد عليهم؛ إذ لم يَعْتَدَّ بخداعهم المؤمنون، ولأنه أشكل بما يستعمله البلغاء في مثله، يقولون: يهزأ من فلان، وما يهزأ إلا من نفسه، وقيل: الثاني أولى؛ لأنه أشهر وأفصح، وكلتاهما[٢] مشهورتان.

۞ اللغة

الخديعة والغرور والتمويه نظائر، وخلاف الخديعة النصيحة، فأصله الإخفاء، ومنه الخِدْعُ؛ لأنه يخفى فيه الأشياء، وحقيقته الإيهام بخلاف الحق بالتمويه والتزوير، ويقال: الحرب خَدْعَة بفتح الخاء لغة النبيّ ﷺ[٣]، والضم لغةٌ، والأول أفصح، والخداع: الفساد، والخادع: الفاسد من الطعام، قال الشاعر:

أَبْيَضَ اللَّوْنِ لَذِيذًا طَعْمُهُ ... طَيِّبَ الرِّيقِ إِذَا الرِّيقُ خَدَعْ

أي فسد.

ونفس الشيء وذاته سواء، والنفس تستعمل بمعنى الروح، وبمعنى الذات، وبمعنى التأكيد، يقال: خرجت نفسه، وجاءني زيد نفسه، ويقال: السواد نفسه، وأصله من النفاسة، وهو الشيء النفيس، وحد النفس ما يصح أن يعلم ويخبر عنه.

والشعور بالشيء والإحساس به والفطنة له نظائر، وأصله الدقة، وشعرته، وشعرت به: إذا علمت ابتداء من وجه يدق، ومنه الشاعر؛ لأنه يفطن لما يدق في المعنى والوزن، والشعار: العلامة فيه، ومنه المشاعر.

---

(١) حجة القراءات ٨٧

(٢) وكلتاهما: كلاهما، و.

(٣) انظر شرح النووي لصحيح مسلم ٧/ ١٦٩

۞ النزول

قيل: نزلت الآية في المنافقين، وذكر الأصم عن بعضهم أن علماء اليهود أتوا النبي ﷺ وقال بعضهم لبعض يخص به[1]: إنا لنعرف نعته، وإنه رسول الله[2]، فلما رجعوا إلى أصحابهم، قالوا: إنا نستهزئ به، فأنزل الله تعالى «**يخادعون الله**».

۞ المعنى

ثم ذكر تعالى صفة المنافقين فقال: «**يُخَادِعُونَ اللَّهَ**» قيل: يخادعون أولياءه، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٥٧] أي أولياءه، عن الحسن، وقيل: يخادعون رسول الله ﷺ[3] عن أبي علي، فأضاف خداعه إلى نفسه تعظيمًا له وتشريفًا، وقيل: يعملون عمل المخادع[4]، وإن كان الله لا يخادع، كما يقال للمرائي: ما أجهله، يخادع الله، وهو أعلم به من نفسه، قال الشاعر:

سَـأَلَـتْـنِـي عَـنْ أُنَـاسٍ هَـلَـكُـوا شَـرِبَ الـدَّهْـرُ عَـلَـيْـهِـمْ وَأَكَـلْ

يعني كأنه شرب، وقد تذكر المفاعلة، ويراد به الفعل من واحد، يقال: قاتله، وعافاه الله، وعاقبت اللص، قال الله تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١] كذلك يخادعهم[5] إنما هو من واحد، وقيل: معناه يخادعون الله على ظنهم، وذلك أنهم لما[6] ظنوا أن خداعهم يفيد عند الله كما يفيد عند المؤمنين، كقوله: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ﴾ [طه: ٩٧] يعني: على زعمك وظنك.

ومتى قيل: ماكان الغرض في خداعهم؟

---

(١) يخص به: +، ز، و.
(٢) رسول الله: لرسول، د، و.
(٣) صلى الله عليه وآله وسلم: ـ، د، ف.
(٤) يعملون عمل المخادع: يعلمون علم المخادع، ز، ف، و.
(٥) يخادعهم: يخادعون، د، ز، ف.
(٦) لما: ـ، ز، ف.

قلنا: ليسلموا من الفئتين، وقيل: رجاء أن يعلموا أسرار المؤمنين فيبلغوا ذلك أعداءهم، ويطلبوا[١] الغوائل[٢]، وقيل[٣]: رجاء أن يكرمهم الرسول والمؤمنون كما أكرموا غيرهم، عن أبي علي، وقيل: معناه يفسدون بنفاقهم ما أظهروا من الإيمان، فأفسد الله عليهم حالهم بأن صيرهم إلى النار «**وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ**» لأن عقابه ينزل بهم، وقيل: يعملون في دين الله تعالى ما هو خداع فيما بينهم «**وَمَا يَشْعُرُونَ**» يعني لا يعلمون أن وباله عليهم، وقيل: لا يعلمون أن ذلك لا ينفعهم عند الله تعالى، كما ينفع[٤] في الدنيا.

۞ الأحكام

الآية تدل على بطلان قول أصحاب المعارف أنه لا كافر إلا معاند؛ لأنه تعالى وصفهم بأنهم لا يعلمون.

وتدل على أن ما فعلوا من الخداع فِعْلُهُم، وليس بخلق لله؛ لذلك ذمهم به وأضافه إليهم.

وتدل على قبح الخداع في الدين.

قوله تعالى:

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ١٠﴾

۞ القراءة

قرأ[٥] «**يَكْذِبُونَ**» بالتخفيف، وفتح الياء، وسكون الكاف، من الكذب، عاصم وحمزة والكسائي، والباقون «**يُكذِّبون**» بضم الياء والتشديد من التكذيب، واختار بعضهم الأول؛ لأنه جرى ذكر الكذب دون التكذيب، فكان الوعيد[٦] على الكذب،

---

(١) ويطلبوا: ويطلبون؛ د، ز، ف، و.
(٢) الغوائل: المهالك. اللسان (غول).
(٣) وقيل: وقد، د، ف.
(٤) ينفع: نفع، د، ز.
(٥) قرأ: ـ ، و.
(٦) الوعيد: الوعد، د، ز، و.

وهذا غلط عظيم وتجاسر؛ لأن التشديد قراءة مشهورة، وهو قراءة أهل الحرمين، وعليه أكثر الأمة، وما علل به ضعيف؛ لأن كل مكذب بالحق كاذب، فقد جاء الوعيد على الكذب، والتكذيب.

۞ اللغة

المرض: العلة في البدن، ونقيضه الصحة، ونظيره السقم، وقيل: أصله الضعف، سمي به لأنه يُضْعِف البدن، ومرّض في القول: ضعّف، والمرض: الشك[١]، قيل: سمي به لأنه يصد عن إدراك الحق، كالمرض في البصر يصد عن الإدراك للمبصر، وقيل: لما كان الشك والتحير كالسبب للألم في القلب، والمرض هو الوجع سمي به كما يسمى السبب باسم مسببه، كما يقال لأسباب الموت: الموت، وقيل: لأن المرض يؤدي إلى الهلاك، والشك يؤدي إلى الهلاك بالعذاب.

والزيادة خلاف النقصان، ويقال: زاده زيادة، والزيادة الإلحاق بالمقدار ما ليس منه.

والألم: الوجع، والألم والمؤلم كالوجيع والموجع، قيل: فعيل بمعنى مفعل، كبديع بمعنى مبدع، وسميع بمعنى مسمع، غير أن في الأليم مبالغة ليست في المؤلم، والألم كل ألم إذا[٢] صغر أو كبر.

والكذب نقيض الصدق، وهو الخبر عن الشيء بخلاف ما هو به.

۞ الإعراب

(ما) في قوله «**بما كانوا**» قيل: ما المصدرية[٣]، كأنه قيل: بكونهم مكذبين، وقيل: إنها بمعنى الذي، كأنه قال: بالذي كانوا يكذبون، والأول أحسن في التقدير، فأما (كان) فقيل: زائدة، فالمعنى بتكذيبهم، كقولهم: ما أحسن ما كان زيد، وهذا لا يصح؛ لأن الكلام إذا صح على ظاهره فلا معنى لحمله على الزيادة، وههنا الكلام على ظاهره صحيح.

---

(١) اللسان (مرض).

(٢) كل ألم إذا: كل أذى، ز، ف.

(٣) المصدرية: المصدر، د، ز، و.

المعنى

ثم وصف الله تعالى المنافقين بصفة أخرى، فقال: «فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» قيل: شَكٌّ، عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وجماعة، «فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا» قيل: بما أنزل الله من الفرائض والحدود، وقيل: بما أنزل من الآيات والحجج، فشكوا عندها، فأضاف ذلك إليه، وإن كان الشك منهم؛ لأنه وجد عند نزول الآيات، وما زاده من الحجج، ونظيره قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٥] والآيات لم تزدهم رجسًا، ولكن ازدادوا عندها، كقوله: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا﴾ [نوح: ٦]، وكقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦] وقيل: في قلوبهم غم بتمكين النبيّ ﷺ ونزوله بالمدينة، وما فتح الله عليه، وظهور المسلمين، وكثرة الفتوح، فزادهم غمًّا بما زاده من القوة والتمكين، وبما أخذ من النصر والتأييد، عن أبي علي، وأنكر الوجه الأول، وذكر أنه تعالى[1] لا يجوز أن يزيدهم شكًّا في الدين، وقد بينا أن له وجهًا صحيحًا، فلا معنى لإنكاره، مع أنه مَرْوِيّ عن جماعة من السلف، وقيل: «فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» أي شك ونفاق «فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا» يعني عاقبهم على ذلك وزادهم عقوبة على عقوبة غيرهم بسببه فسمي جزاء المرض مرضًا كقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] قال الشاعر:

أَلاَ لاَ يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا ... فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجاهلينا[2]

أي: نكافئهم على الجهل؛ إذ الجهل لا يُتَمَدَّحُ به، ومثله: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤] ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠]، ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩] ونظائره كثيرة، وقيل: «فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» أي حزن بنزول القرآن بفضائحهم «فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا» بأن زاد في إظهار مخازيهم، ويخبر عن ضمائرهم، فيزدادون غمًّا ومرضًا، وسمي الغم مرضًا لأنه يُضَيِّقُ الصدرَ كما يضيقه المرض، فقيل: فزاده الله مرضًا على جهة الدعاء عليهم، كقولهم: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ [التوبة: ١٢٧] كأنه دعاء عليهم بأن يخليهم وما اختاروه، ولا

(١) أنه تعالى: تعالى أنه، د، ز.

(٢) البيت قائله عمرو بن كلثوم في معلقته.

يعطيهم من زيادة الهدى والألطاف ما يعطي المؤمنين فيكون خذلانًا لهم، فحقيقة اللفظ ـ وإن خرج مخرج الدعاء ـ إخبار عن خذلان الله تعالى[1] إياهم، عن أبي مسلم، «**وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**» موجع، وهو عذاب النار «**بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**». قيل: بكذبهم، في قولهم: آمنا، وقيل: بكذبهم، بأن[2] باطننا كظاهرنا، هذا على قراءة من قرأ بالتخفيف، فأما بالتشديد ﴿بِمَا كَانُواْ يَكَذِّبُونَ﴾ يعني بتكذيب الله ورسوله فيما جاء به من الدين، وما أودعهم[3] به من البعث والعذاب.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن الشك في الدين كفر وضلال.

وتدل على قبح الكذب، وأنه كبيرة يستحق عليه العذاب، وكذلك التكذيب والكذب هو خبر بخلاف مخبره، ولا يشترط فيه العلم عندنا، وعند الجاحظ يشترط.

قوله تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾

۞ القراءة

قرأ الكسائي: «**قيل**» بضم القاف، وكذلك «**غيض**»، و«**حيل**»، و«**سيء**»، و«**جيء**»، و«**سيق**» بضم أوائلها، وروي عن يعقوب مثل ذلك، ووافقه نافع في «**سيء**» و«**سيئت**»، وابن عامر فيهما، وفي «**حيل**»، و«**سيق**»، والباقون يكسرون كلها، وفيه ثلاث لغات: بالكسر وإشمام الضم، وقول بالواو. فأما «**قيل**» بالكسر فعلى نقل حركة العين إلى الفاء، لأن أصله قُوِلَ، وهذا قياس مطرد في كل ما اعتلت عينه،

---

(١) تعالى: ـ ، د.

(٢) وقيل بكذبهم بأن: في قولهم أن، ف، و.

(٣) توعدهم: أودعهم، د، ز ، و.

ثم نقلت الواو ياء إتباعًا لما قبلها لسكونها، فأما الإشمام فلأجل الدلالة على الأصل مع التخفيف، والاختيار بالكسر؛ لأنه أخف على اللسان، وأحسن في القياس؛ لكثرة نظائرها، ولأن أكثر الأئمة عليه، ولأن الاستعمال فيه أكثر.

اللغة

(إذا) حرف توقيت لمعنى حينئذ ومتى، تؤذن بوقوع الفعل المنتظر.

و(قيل): فعل ماض مجهول، وأصله من قَالَ يَقُول قَوْلاً، وقيل في المجهول.

والفساد: نقيض الصلاح، فسد فسادًا، وأفسده إفسادًا، وكل فساد في الدين معصية وقبيح.

والأرض: معروف، وفيه اشتراك، يقال لقوائم البعير: أرض[1]، وللرِّعْدَ: أرض[2].

والصلاح والاستقامة نظيران، صلح صلاحًا، وأصلحه غيره، والأصلح نقيض الأفسد، والصلاح: التغيير إلى استقامة الحال، وكل صلاح في الدين حسن وعبادة.

الإعراب

(ألا): تنبيه يدخل على كل كلام مكتف بنفسه، تقول: ألا إنه زيد منطلق، قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ﴾ [الصافات: ١٥١] وأصله (لا)، دخل عليه ألف الاستفهام، والألف إذا دخل على الجحد أخرجه إلى معنى التقرير والتحقيق، كقوله: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٤٠] ثم كثر (ألا) في الكلام حتى صار تنبيهًا ليتحقق السامع ما بعده، فمعنى الأصل فيه موجود.

فأما (هم) في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ فإن كانت فصلا فلا موضع لها من الإعراب، ويحتمل أن تجعل في «أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ» فصلا واسمًا، فإن جعلناه اسمًا كانت رفعًا بالابتداء، والجملة خبر (إنَّ)، وفي الفصل يكون المفسدون خبر إنّ، وضم الميم في «هُمُ» لالتقاء الساكنين بالرد إلى الأصل، وأجاز الفراء الكسر.

(١) اللسان (أرض).
(٢) اللسان (أرض).

۞ النزول

قيل: نزلت الآية في المنافقين، والآية متصلة بقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا﴾ عن أكثر أهل التفسير، وقيل: نزلت في اليهود، وقيل: إن أهل الصِّفَةِ لم يأتوا بعد، عن سلمان، والأول أصح؛ لأن عليه أكثر أهل العلم، ونظم الكلام يقتضي ذلك.

۞ المعنى

ثم ذكر تعالى خصلة أخرى من خصال المنافقين، فقال: «**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ**» قيل: للمنافقين، وقيل: لليهود «**لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ**» قيل: بِمُمَالأَةِ[1] الكفار؛ فإن فيه توهين الإسلام، وجرأة الكفار، عن أبي علي. وقيل: بالكفر والعمل بالمعصية وصد الناس عن الإيمان، عن ابن عباس. وقيل: بتبديل الملة، وتغيير السنة، وتحريف الكتاب، عن الضحاك. وقيل: لا تفسدوا باستدراج العامة إلى الباطل، وصدهم عن قبول الحق، ودعائهم إلى الكفر، عن الأصم. وقيل: بالتضريب[2] بين ضعفة المسلمين، وقيل: بنصرة الكافرين. «**قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ**» على جهة الإظهار، والانطواء على خلافه، وقيل: يعني أن الذي تسمونه فسادًا هو عندنا صلاح، وقائل هذا هو عبد الله بن أبي، كان يتعصب لليهود، فإذا غويت قال: أخشى الدوائر، فكان يوهم أن فعله صلاح[3]، لما يخاف من العاقبة، «**أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ**» أي العاصون، سميت المعصية فسادًا لأنها توجب الهلاك، وقيل: لأنه يوجب إمساك المطر والنبات والرحمة، وفيه فساد الأرض، وقيل: هم المفسدون وإن أُوهِمُوا أنهم مصلحون.

ومتى قيل: لم قال: «**هُمُ الْمُفْسِدُونَ**» وقد يفسد غيرهم؟

قلنا: لأنه عظم فسادهم، فلا يعتد بفساد غيرهم مع إفسادهم «**وَلَكِنْ لاَ يَشْعُرُونَ**» لا يعلمون أنهم المفسدون، ولو علموا لَرُجِيَ صلاحهم، وقيل: لا يعلمون ما لهم فيه من العقاب، وقيل: هم جهال لا يعرفون حقًّا من باطل، عن الأصم، وقيل: لا

---

(١) بممالأة: مماثلة، ز، ف.

(٢) التَّضْرِيبُ بين القوم: الإغراء والتحريش اللسان (ضرب)

(٣) وقائل هذا هو عبد الله بن أبي. . . أن فعله صلاح: ـ ، د.

يعلمون أن ما هم عليه هو السفه؛ لأنهم لا يتدبرون، ولو تدبروا لعلموا، عن أبي مسلم، وقيل: هم منافقون بممالأة الكفار خوفًا من الدوائر، ولو غلبوا المسلمين ما أبقوا عليهم وهم لا يعلمون ذلك، عن أبي علي.

۞ الأحكام

الآية تدل على بطلان قول أصحاب المعارف بقوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾، وتدل على عظيم جرمهم بالفساد في الأرض والنفاق في الدين

قوله تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾

۞ القراءة

(السفهاء) اختلف القراء فيه، فحقق بعضهم الهمزتين، وهو مذهب الكوفيين، ولغة تميم، فأما أبو عمرو وأهل الحجاز فإنهم يهمزون الأولى، ويلينون الثانية طلبًا للخفة، واختار الفراء حذف الأولى وهمز الثانية، واحتج بأن ما يستأنف أولى بالهمز مما يوقف عليه.

۞ اللغة

السفه: نقيض الحكمة، وهو النَّزَقُ[١] والطيش[٢]، وأصله الخفة، ويقال لخفيف الحلم: سفيه، وجمعه سفهاء، قال الشاعر:

أَبَنِي حَنِيفَةَ أَحْكِمُوا سفهاءكم ... إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمُ أَنْ أَغْضَبَا

وكل معصية فهي سفه. وقيل: السفيه الكذاب، عن المؤرج[٣]. وقيل: السفيه

---

(١) اللسان: (نزق).

(٢) اللسان: (طيش).

(٣) المؤرج: المؤرخ، ف، و.

الظلوم العجول القائل بخلاف[1] الحق، عن قطرب. وقيل: السفيه الجاهل.

والعلم: مصدر علم يعلم علمًا، وَحَدُّهُ: اعتقاد يوجب سكون النفس إلى معتقده، وقيل: إثبات الشيء على ما هو به.

الإعراب

موضع (إذا) من الإعراب نصب، كأنك قلت: يوم الجمعة قالوا، و(إذا) اسم للوقت إلا أنه يشبه حرف الجزاء، وموضع الجملة المحكية بعد قيل[2] الرفع، على تقدير: قيل لهم خير، فالجملة اسم ما لم يسم فاعله، والجملة الثانية في موضع نصب، تقديره كأنه قيل: قالوا شرًّا.

ويقال: لِمَ كسر «إن»، وأين تكسر؟

قلنا: تكسر في ثلاثة مواضع: في الحكاية بعد القول على الاستئناف، وفي الابتداء، وفي دخول اللام على خبرها، في قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ [المنافقون: ١] وكسرت (إن) في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ﴾ لأنه يستأنف الكلام بعده، قال امرؤ القيس:

أَلاَ إِنَّ بَـعْـدَ الـعُـدْمِ لِـلْـمَـرْءِ قِـنْـوَةً   وَبَعْدَ المَشِيبِ طُولَ عُمْرٍ وَملْبَسَا

ويقال: ما الألف في قوله: أنؤمن؟

قلنا: ألف إنكار، أصلها الاستفهام، كقوله: ﴿أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ﴾ [يس: ٤٧].

ويقال: ما معنى (لكن)، وما أصله؟

قلنا: (لكنْ) كلمة جمع وحذف واشتراك، أما الجمع فلأنها مبنية من (لا) على النفي، وكاف الخطاب، و(إن) الإثبات، وأما الحذف فلأنه حذف عنها الهمزة، وتقلب كسرة (إن) إلى الكاف فصار لكن، وأما الاشتراك فلأنه اجتمع فيه النفي والإثبات؛ لأنها تنفي ما قبلها، وتثبت ما بعدها، وهي تخفف وتثقل، فإذا ثقلت نصب ما بعدها، كما تنصب (أن) المشددة، فإذا خففت رفعت[3] كما ترفع (أن)

---

(١) بخلاف: خلاف، د، و.

(٢) قيل: قبل، و.

(٣) فإذا خففت رفعت: وإن خفف رفع، د، ف.

المخففة، ولا تجيء هذه الكلمة إلا بعد نفي سابق، إما مضمر، وإما مظهر[1]، كقوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، وتجيء بغير واو في ابتداء الكلام، قال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ [النساء: ١٦٢] وإذا جاء في ابتداء الكلام كان بمعنى الواو، كأنه قيل: والراسخون في العلم منهم.

۞ النزول

قيل: نزلت الآية في اليهود، وقيل: في المنافقين، وهو أوجه لما يدل عليه نظم الكلام.

۞ المعنى

بَيَّنَ تعالى جواب المنافقين عند دعائهم إلى الإيمان، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا﴾ يعني الرسول والمؤمنين «**لَهُمْ**» يعني اليهود، وقيل: المنافقين «**آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ**» قيل: صدقوا بمحمد وما أنزل عليه كما صدق الناس، وهم أصحاب محمد ﷺ، وقيل: مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وغيره، وقيل: صدقوا مع مجانبة الكفار، وإظهار عداوتهم، كما فعله المؤمنون، عن أبي علي.

ومتى قيل: كيف قال: «**كَمَا آمَنَ النَّاسُ**»؟

قلنا: الألف واللام تدخل للجنس وللعهد، وهاهنا للعهد، وهم المؤمنون، وقيل: هو عموم أريد به الخصوص «**قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ**» الجهال في الحقيقة «**وَلَكِنْ لاَ يَعْلَمُونَ**» أنهم كذلك، وقيل: لا يعلمون ما عليهم فيه.

۞ الأحكام

الآية تدل على حسن الدعاء إلى الإسلام بذكره المسلمين وما هم عليه وما يرجون.

وتدل على عظم جهل القوم حيث تجاسروا على مثل هذا القول.

وتدل على بطلان قول أصحاب المعارف حيث وصفهم بالسفه، وهو الجهل، وبأنهم لا يعلمون.

---

(١) إما مضمر وإما مظهر: إما مظهراً أو مضمراً، ز، و.

قوله تعالى:

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾

القراءة

ظاهر القراءة «لقوا» وعن بعضهم «لاقوا» والمعنى واحد، غير أنه لا تجوز القراءة إلا بما ظهر نقله واستفاض عن النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ وأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ.

اللغة

اللقاء: نقيض الحجاب، قال الخليل: كل شيء استقبل شيئًا وصادفه فقد لقيه، وأصل اللقاء اجتماع مع الشيء على طريق المقابلة، يقال: لاقيت بين طرفي القضيب حتى تلاقيا واجتمعا.

والخلا: نقيض المَلَا، يقال: خلا خلاء، وأخلاه إخلاء، وخلاه تخلية، والخلاء: المكان الخالي، وفي العالم خلأ وملأ عندنا، خلاف أبي القاسم أنه ملأ.

والهُزْءُ والسخرية بمعنى، ونظيره الهزل، ونقيضه الجِدُّ.

والشيطان: كل عات متمرد من الجن والإنس والدواب، عن أبي عبيدة، وقال غيره: المتمرد من كل جنس، وأصله من «شطن» إذا بعد، كأنه بعد عن الخير، ووزنه فَيْعَال، وقيل: هو من الشَّيْطِ(١)، وهو الاحتراق، كأنه يسمى بما يؤول إليه حاله، ووزنه فعلان، يقال: شطن الرجل، وتشيطن، إذا صار كالشيطان.

الإعراب

«لقوا» أصله: لَقِيُوا فاستثقلت الضمة على الياء، فنقلت إلى القاف، وسكنت

---

(١) الشيط: النشط، د، ز، ف.

الياء، والواو ساكنة فحذفت لاجتماعها، و(إلى) قيل: بمعنى (مع)، كقوله تعالى: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الصف: ١٤] أي مع الله تعالى، وقيل: الذَّوْدُ إِلَى الذَّوْدِ إِبِلٌ، عن النضر بن شميل، وقيل: هو بمعنى الغاية، يعني إذا انصرفوا من لقاء المؤمنين إلى شياطينهم، ويقال: خلوت به يحتمل معنيين هزئت به وسخرت، وانفردت به، فأما خلوت إليه[1] فلا[2] يحتمل إلا أنك جعلته غايتك في حاجتك، فلهذا قال: ﴿خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾. والأصل في «إنا»: إننا، حذفت النون استثقالاً للتضعيف، والمحذوف هو النون الثانية؛ لأنها هي التي حذفت[3] في ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٣٢] وقد جاء على الأصل في قوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾ [طه: ٤٦].

۞ النزول

قال ابن عباس: نزلت الآية في عبد الله بن أبي الخزرجي من رهط سعد بن عبادة، كان إذا لقي سعدًا قال: نِعْمَ الدينُ دينُ محمدٍ، فإذا رجع إلى قومه قال: شدوا أيديكم في دين آبائكم، رواه جويبر عن الضحاك عنه، وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن عبد الله بن أبي وأصحابه قد خرجوا فاستقبلهم نفر من أصحاب النبي ﷺ، فقال: انظروا كيف أَرُدُّ هؤلاء السفهاء عنكم فذهب وأخذ بيد أبي بكر فقال: مرحبًا بالصديق وشيخ الإسلام، وسيد بني تميم، وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله، وذهب وأخذ بيد عمر، وقال: مرحبًا بالفاروق وسيد بني عدي، القوي في الدين، ثم أخذ بيد علي، وقال: مرحبًا بابن عم رسول الله وختنه، وسيد بني هاشم ما خَلاَ[4] رسول الله، فقال علي: يا عبد الله، اتق الله ولا تنافق، فإن المنافقين في النار، وإنهم شر خلق الله، فقال: مهلاً يا أبا الحسن ألي تقول هذا؟ والله إن إيماننا كإيمانكم، وتفرقوا، فقال لأصحابه: كيف رأيتموني[5] فعلت؟ فأثنوا

(١) إليه: به، ف.
(٢) فلا: لا، د، و.
(٣) حذفت: تحذف، د، ز.
(٤) خلا: خلى، د، ز، ف، و.
(٥) رأيتموني: رأيتم، ز، و.

عليه، وقالوا: لا نزال بخير ما عشت، ورجع المسلمون إلى رسول الله ﷺ وأخبروه بما جرى فأنزل الله تعالى هذه الآية.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى صفة النفاق فقال: «**وَإِذَا لَقُوا**» يعني المنافقين إذا رأوا المؤمنين والتقوا معهم «**قَالُوا آمَنَّا**» أي صدقنا بما نزل على محمد ﷺ استدفاعًا عن دمائهم وأموالهم «**وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ**» قيل: رؤسائهم من الكفار، عن ابن عباس، وقيل: شياطين الجن، عن الكلبي، والأول أوجه؛ لأن عليه أكثر أهل العلم، وهو أسبق إلى النفس، ولأنه ليس في الكهنة، وقيل: كبرائهم وكهنتهم، وقيل: هم خمسة نفر من اليهود: كعب بن الأشرف بالمدينة، وأبو بردة بن أبي أسلم، وعبد الدار في جهينة، وعوف بن عامر في بني أسد، وعبد الله بن السوداء بالشام، عن ابن عباس. «**قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ**» أي على دينكم، وقيل: أنصاركم.

ومتى قيل: ما غرضهم بهذا؟

قلنا: قيل: استمالتهم لرؤسائهم، عن أبي علي، وقيل: استهزاء بالمؤمنين في قوله: ﴿ءَامَنَّا﴾ «**إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ**» بمحمد وأصحابه في قولنا آمنا.

۞ الأحكام

الآية تدل على قبح النفاق في الدين، والتحذير من ذلك، وكذلك الرياء.

وتدل على قبح الاستهزاء بأهل الحق.

وتدل على عظيم الجرم في موافقة أهل الكفر.

قوله تعالى:

﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾

۞ القراءة

قراءة العامة: «**يَمُدُّهم**» بنصب الياء وضم الميم، وفي الشواذ بضم الياء وكسر الميم، وهو من الأضداد، واللغتان بمعنى واحد.

اللغة

الاستهزاء: استفعال من الهزء، والهزء والسخرية بمعنىً، وهو إظهار خلاف الإبطان على جهة العبث لمن يظهر له ذلك، وقيل: حقيقته الإيهام بما يجب في الظاهر، والأمر بخلافه في الباطن على جهة الاغترار، كمن يسمع شعرًا رديئًا[1] فيقول: سبحان الله موهمًا استحسانه، فإذا سئل قال: كنت مستهزئًا.

المد: أصله الزيادة في الشيء، يقال: مد الحبل يمده: مَطَلَهُ[2]، والمد: الجَذْبُ[3]؛ لأنه سبب الزيادة في الطول، والمادة: كل شيء يكون مدًّا لغيره، ومنه (مد الله في عمرك).

وطغى وعتى وبغى نظائر، طغا طغيانًا، والطغيان: مجاوزة الحد، والطاغية: الجبار العنيد، فكل طاغ ضالٌّ.

والعَمَهُ: التحير، عَمَهَ يَعْمَهُ فهو عَمِهٌ[4]، حائر، وقيل: هو المتحير المتردد في أمره، لا يجد مخرجًا يؤديه إلى بغيته.

المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى جواب قولهم: «إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ» فقال الله تعالى: «اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ» قيل: يجازيهم على استهزائهم، والعرب تسمي الجزاء على الشيء باسم الشيء، يقولون: الجزاء بالجزاء، ومنه: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠] ومنه قول الشاعر:

أَلاَ لاَ يَـجْـهَـلَـنْ أَحَـدٌ عَـلَـيْـنَـا ... فَـنَـجْـهـلَ فَـوْقَ جَـهْـلِ الـجَـاهِـلِـيـنَـا

وإنما جاز ذلك لأن حكم الجزاء أن يكون على المساواة، وقيل: إنه على طريق التشبيه، ثم اختلفوا في وجه التشبيه، فقيل: لما عابهم على الاستهزاء، وكان وبال استهزائهم يعود عليهم صار كأنه استهزأ بهم، وقيل: لما أظهر لهم في الدنيا من الأحكام التي ينتفعون بها خلاف ما لهم في الآخرة من العذاب كان كأنه استهزأ بهم،

(١) رديئا: رديا، ف، و.
(٢) مطلة: بطوله، أ؛ طوله، د، ف. وفي اللسان (مطل): «والمطل: المد، مَطَل الحَبْلَ وغيَره يَمْطُلُهُ مَطْلاً».
(٣) الجذب: الحدث، ز، ف، و.
(٤) في اللسان (عمه): «عَمَهَ يَعْمَهُ عَمَهاً وَعُمُوهاً وعُمُوهَةً وعَمَهَانًا: إذا حاد عن الحق».

عن الأصم. وقيل: لما قيل لهم في الآخرة: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩] و﴿قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا﴾ [الحديد: ١٣] صار كأنه استهزأ بهم، وقيل: يظهر المؤمنين على نفاقهم، عن الحسن، وقيل: يطلع المؤمنون عليهم وهم في النار فيضحكون منهم، عن ابن عباس، كقوله: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ﴾ [المطففين: ٣٤] وحقيقة الاستهزاء لا يطلق على[1] صفاته تعالى كالسخرية واللعب «**وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ**» أي يملي لهم، ويطول عمرهم، وإن كانوا متتابعين في الطغيان، وقيل: يمدهم في العمر لكي يرجعوا عن الطغيان، وهم يتحيرون في الطغيان، يعني في طغيانهم، وهو كفرهم وضلالهم «**يَعْمَهُونَ**» يتحيرون؛ لأنهم أعرضوا عن الحق فتحيروا وضلوا.

ومتى قيل: إذا كان معنى «**اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ**» يجازيهم فكيف يتصل بقوله: «**وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ**»؟

قلنا: لما كانوا في الإملاء[2] معتزين بالسلامة، لا يشعرون بما يؤول إليه حالهم كأنه استهزأ بهم، وقيل: كأنه قال: يعاقبهم إلا أنه من غير معاجلة.

الأحكام

الآية تدل على أنه يجازي كل أحد بفعله.

وتدل على عظم حال المتحير في الدين تحذيرًا من مثل حالهم، [وتحث على] التباعد عما يؤدي إليه.

قوله تعالى:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٦﴾

القراءة

قراءة العامة: «**اشتروا**» بضم الواو، و«**تجارتهم**» على الواحد، وفتح الراء، وعن

---

(١) على: في، د، ز.

(٢) أي: في الإمهال في الدنيا.

بعضهم: «**اشتروا**» بكسر الواو، على أصل حركة التقاء الساكنين، وروي عن بعضهم بفتحها؛ لأنه لما تحرك عدل إلى أخف الحركات، وعن بعضهم «**تجاراتهم**» على الجمع، ولا يجوز القراءة بشيء منه؛ لمخالفة القراءة المستفيضة، وقيل: فتح الواو ليس بالجيد؛ لأنه يلتبس بالتثنية.

اللغة

أصل الشراء: الاستبدال، يقال: اشترى إذا ابتاع، وشرى إذا باع، ويجوز اشتريت بمعنى بعت، على أنه افتعلت، من شريت، ومنه الشراة، أخذوا ذلك من قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ [لقمان: ٦] وحقيقة الشراء الاستبدال بالثمن، وهو عقد معاوضة، وله شرائط في الشرع.

والربح: الزيادة على رأس المال، ربح يربح، ومنه:

وَمَـنْ نَـجَـا بِـرَأْسِـهِ فَـقَـدْ رَبِـحْ[١]

والتجارة: التعرض للربح في البيع، ويقال: تَجْرُ جمع تاجر.

والضلال: أصله الهلاك، ثم يستعمل في معانٍ[٢] منها: الإضلال عن الدين؛ لأنه يؤدي إلى الهلاك، ومنها: الحكم بالضلال؛ لأنه حكم بهلاكه، ومنها: وجدانه ضالاً هالكًا، كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ﴾ [الجاثية: ٢٣]، ومنها: الضلال عن الثواب وطريق الجنة، وجميع ذلك تجوز إضافته إلى الله تعالى غير الإضلال عن الدين؛ لأنه قبيح، وقد أمر بالحق، فلا يُضِلُّ عنه، ولذلك قال تعالى: ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ [طه: ٨٥].

الإعراب

يقال: لم كان الوجه في واو الجمع عند التقاء الساكنين بالضم في قوله: ﴿ٱشۡتَرَوُاْ﴾ ولم يكن كذلك في: ﴿لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا﴾ [التوبة: ٤٢]؟

---

(١) قائل هذا البيت:

فـقـائـم ونـائـم ومـنـبـطـح فـمـن نـجـا بـرأسـه فـقـد ربـح

(٢) معان: معاني، ف، و.

قلنا: لما كانت الواو من علامة الجمع كان الضم أدل عليها، وأشكل بها؛ لأنها زيدت بمعنى الجمع، فزيد بما هو أدل على الجمع، وقيل: لما كانت تلزمها الضمة قبلها ـ ما لم يعترض عليه ـ ثم احتيج إلى تحريكها حركت بالضم ليدل الضم فيها على الضم قبلها، فأما ﴿لَوِ ٱسْتَطَعْنَا﴾ [التوبة: ٤٢] [فهو] على أصل الحركة في التقاء الساكنين.

ويقال: لِمَ دخلت الفاء في قوله: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾؟

قلنا: لأن في الكلام معنى الجزاء وجوابه، كأنه قال: إذا اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم، فحمل الكلام على المعنى.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى ما هم عليه من الضلالة والخسران، فقال: «**أُوْلَئِكَ**» يعني المنافقين، الذين تقدم ذكرهم «**الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى**» استبدلوا الكفر بالإيمان.

ومتى قيل: كيف قال ذلك وهم لم يكونوا على هدى قط؟

قلنا: للعلماء فيه وجوه:

أولها: أن المراد بـ «**اشْتَرَوْا**» اختاروا واستحبوا؛ لأن كُلَّ مُشْتَرٍ مُخْتَارٌ لِمَا اشتراه على ما بذله، وليس بالظاهر في كلام العرب اشتروا بمعنى اختاروا.

وثانيها: أنهم آمنوا ثم كفروا، فهو عموم أريد به الخصوص، عن مجاهد، وليس بالجيد؛ لأنه صرف الكلام عن ظاهره من غير حجة، ولأن سياق الصفة على خلاف ما قال.

وثالثها: تركوا الإيمان إلى الكفر، واستبدلوه به، عن ابن عباس وابن مسعود وأبي علي وجماعة، وهو الأولى.

ورابعها: أنهم ولدوا على الفطرة كما جاء في الخبر، فتركوا ذلك إلى الكفر، فكأنهم استبدلوا الكفر.

وخامسها: استبدلوا بالإيمان الذي كانوا عليه قبل البعثة؛ لأنهم كانوا يؤمنون بمحمد ﷺ ويبشرون به، فلما بعث كفروا به، فكأنهم استبدلوا الكفر بالإيمان، عن مقاتل والكلبي.

وسادسها: أنه لما كان [الكافر] مُتَمَكِّنًا منهما فاختار الكفر على الإيمان، فقد ترك الإيمان إليه، وصار كالمستبدل.

وسابعها: أنهم آمنوا ظاهرًا، ثم تركوا الإيمان باطنًا.

واختلفوا في [الضلالة بالهدى]، فقيل: الكفر بالإيمان، عن أكثر المفسرين، وقيل: اشتروا: اختاروا العذاب والهلاك على الهدى، يعني: طريق الجنة والثواب، كقوله: ﴿وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِۚ﴾ [البقرة: ١٧٥] الآية، عن أبي مسلم. «فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ» أي لم ينتفعوا بذلك.

ومتى قيل: لِمَ قال: «فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ»، ولَم يقل: ما ربحوا في تجارتهم، والرابح هو التاجر؟

قلنا: هو فصاحة في كلام العرب، يقال: لَيْلُكَ قَائِمٌ، ونهارك صائم، قال الشاعر:

حَارِثُ قَدْ فَرَّجْتَ عَنِّي غَمِّي فَنَامَ لَيْلِي وَتَجَلَّى هَمِّي[1]

وقال آخر:

وَأَعْوَرَ مِنْ نَبْهَانَ أَمَّا نَهَارُهُ فَأَعْمَى وَأَمَّا لَيْلُهُ فَبَصِيرُ[2]

فأضاف إلى الوقت، والمراد النبهاني.

ومتى قيل: هلا [قال]: ذهبت رؤوس أموالهم؟

قلنا: لأنه لما ذكر أنهم اشتروا الضلالة بالهدى تضمن ذلك خسران رأس المال، فإذا قال: ما ربحوا، دل على المعنيين.

«وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ» قيل: تأكيد لما تقدم، ومعناه: ما اهتدوا، وإنما اهتدى إليه المؤمنون، وقيل: ما أصابوا في فعلهم.

(١) البيت قائله رؤبة بن العجاج، أنظر الديوان ص١٤٢.
(٢) البيت قائله جرير بن الخطفي.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن العاقل إذا عرض له طريقان، ينبغي أن يختار طريق النجاة، ويجتنب طريق الهلاك، خلاف ما فعله هؤلاء.

وتدل على أن من ترك الهدى والحق واتبع الضلال فقد خسر.

وتدل على التحذير من مثل حال هؤلاء المنافقين.

قوله تعالى:

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾

۞ القراءة

ظاهر القراءة بالألف في «أَضَاءَتْ» وعن بعضهم «ضاءت» بغير ألف، وضاءت النار وأضاءت لغتان.

«حَوْلَه» بالنصب على الظرف.

۞ اللغة

[يقال]: المَثَل والمثيل، والشبه والشبيه، وهو المثال؛ لأنه لشبه الصورة، ويقال: هذا أَمْثَلُ، أي أشبه، والأمثال من أعظم البيان؛ ولذلك قال: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

والاستيقاد: طلب الوقود، ونظيره الاشتعال والإضرام، ونقيضه[1] الإطفاء، يقال: أوقد النار إيقادًا، والوقود: الحطب، وأما استوقد فقيل: معناه أوقد، كما يقال: استجاب وأجاب، وقيل: طلب الوقود، وقيل: استوقد: استدفأ بالنار للضياء.

والنار: جوهر مضيء حار محرق، وأصله من النور، يقال: نار وأنار واستنار

---

(١) ونقيضه: ونظيره، د، ز، و.

بمعنى أضاء، ومنه فَرَضَ عُمَرُ فَرِيضَةَ الجَدِّ فَأَنَارَها، أي أوضحها وأضاءها، ونظيره السعير والجحيم، وفيه منافع للاستيضاء، والاصطلاء، والإنضاج، والتحليل، والزجر بها.

والضياء: الإشراق، ونقيضه الظلام، ضاءت النار وأضاءت لغتان، وقيل: الضياء والظلام لونان على حالهما، والصحيح أنهما من جنس السواد والبياض، وقيل: تحرق باعتمادات فيها، عن جماعة، وقيل: بل هو فعل الله اخْتِرَاعًا للعادة، وما يظهر عند الإيقاد قيل فعل الله ابتداء، وقيل: كان كامنًا فظهر.

والذهاب مصدر ذهب يذهب إذا انطلق ذهابًا، وأذهبه إذهابًا، وذهب به فهو لازم يتعدى بالألف، والباء تقوم مقام الألف في أنه يعديه، ويُذْهِبُ الأبصار، وَيذْهَبُ بالأبصار بِمَعْنىً.

والترك للشيء والكف عنه هو والإمساك نظائر، والترك: نقيض الأخذ، وحد الترك: ضد الفعل في محل القدرة عليه، والترك لا يكون إلا فعلاً عند أبي علي، وقد لا يكون فعلاً عند أبي هاشم، ومعناه أنه لا يفعل، وبهذا المعنى يطلق عليه تعالى.

والظلام: ضد الضياء، وأصله الانتقاص، سمي به[1] لأن نوره لا يزال ينتقص حتى يذهب.

والإبصار والرؤية والمعاينة والمشاهدة نظائر، والإبصار: إدراك الشيء بحاسة العين، يقال: أبصر بعينه، وأبصر بقلبه مشبه به.

۞ الإعراب

يقال: أين جواب قوله: ﴿أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ﴾؟

قلنا: محذوف، وتقديره طفئت، وإنما جاز الحذف للإيجاز، ودلالة الكلام عليه؛ لأن قوله: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ﴾ يدل عليه، قال أبو ذؤيب:

---

(١) به: ـ، ف.

عَصَانِي إِلَيْهَا القَلْبُ إِنِّي لِأَمْرِهِ مُطِيعٌ فَمَا أَدْرِي أَرُشْدٌ طِلَابُهَا

يعني: أَرُشْدٌ أم غَيٌّ، فحذف للإيجاز.

و(ما) في قوله: ﴿مَا حَوْلَهُۥ﴾ صلة، وتقديره: فلما أضاء تحوله، و(حوله) نصب على الظرف.

۞ النزول

قيل: نزلت في المنافقين، عن ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي ومقاتل، وقيل: نزلت في اليهود، آمنوا بالنبي ﷺ قبل البعث، وهاجروا من الشام إلى أرض العرب توقعًا له، واستفتحوا به، فلما بعث كفروا به، وهم: قريظة والنضير وبنو قينقاع، عن سعيد بن جبير ومحمد بن كعب وعطاء.

۞ المعنى

لما تقدم ذكر المنافقين، وأنهم نافقوا ليسلموا من القتل ضرب الله تعالى لهم مثلا فقال: «مَثَلُهُمْ» قيل: شَبَهُهُمْ، أي شبه المنافقين لما أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر، وقيل: شبه اليهود في إيمانهم بمحمد قبل البعث، ثم كفرهم به بِمُسْتَوْقِدٍ نارًا، ثم طفئت ناره، عن سعيد بن جبير وعطاء، «**كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا**» يعني أوقدها وأشعلها «**أضاءت**» أنارت «**مَا حَوْلَهُ**»[1] طفئت النار، و«**ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَ يُبْصِرُونَ**».

ومتى قيل: كيف شبههم وهم جماعة بالذي استوقد، وهو واحد؟

قلنا: للعلماء فيه أقوال:

الأول: (الذي) في معنى الجمع، كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [الزمر: ٣٣] ثم قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، قال الشاعر:

وَإِنَّ الَّذِي حَانَتْ بِفَلْجٍ دِمَاؤُهُمْ هُمُ القَوْمُ كُلُّ القَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدِ[2]

---

(١) أنارت ما حوله: أنار ما حولهم، ز، ف.

(٢) البيت قائله الأشهب ابن زميله.
انظر المغني ١/ ١٦٤، كتاب سيبويه ١/ ٩٦؛ شرح المفصل ٣/ ١٥٥.

ثم اختلف هؤلاء على ثلاثة أوجه: فقيل: النون محذوفة، وأصله الذين، قال الشاعر:

أَبَـنِـي كُـلَـيْـبٍ إِنَّ عَـمَّـيَّ الـلَّـذَا ... قَـتَـلاَ الـمُـلُـوكَ وَفَـكَّـكَـا الأَغْـلاَلاَ[1]

فحذف النون من «اللذان»، وقيل: (الذي): اسم مبهم يصلح للواحد والجمع كـ(مَنْ)، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ [الأنعام: ٢٥] وقال: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٤٢] فأخرج مرة على اللفظ، ومرة على المعنى؛ لإبهامه، كذلك (الذي)، قالوا: ولاحاجة إلى الحذف.

وقيل: يقال للواحد: اللذ، وللاثنين اللذان، وفي الجمع الذين، والذي جمع الجمع، قال الشاعر:

قَـدْ كُـنْـتَ فِـي الأَمْـرِ الَّـذي قَـدْ كِـيـدَا ... كَـالـلَّـذْ تَـزَبَّـى زُبْـيَـةً فَـاصْـطِـيـدَا[2]

وفي التثنية: [أبني كليب] إِنَّ عَمَّيَّ اللَّذَا[3].

وفي الجمع:

وَإِنَّ الَّـذِي حَـانَـتْ بِـفَـلْـجٍ دِمَـاؤُهُـمْ[4]

الثاني: أن يكون (الذي) على التوحيد، فيصح ذلك في التقدير؛ وذلك لأن الشبه في الحقيقة هو استضاءة المنافقين بالإيمان كاستضاءة المستوقد بالنار، وإذا قدر على هذا الوجه يستوي فيه الواحد والجمع؛ لأن التقابل يقع لحال هؤلاء بحال أولئك؛ لهذا يقال: يحسن لو شبهت الجماعة بالجماعة، أو شبهت الجماعة بالواحد، كما يقال، ما هم إلا كالبهيمة.

وقيل: أراد تشبيه كل واحد من هؤلاء بواحد من أولئك، كما يقال: هؤلاء الأَسَدُ، يعني كل واحد منهم كالأسد، وهذا يقرب من الذي تقدمه.

(١) البيت قائله الأخطل أنظر، الديوان؛ المغنى ١/ ١٠؛ همع الهوامع ١/ ٤٩.
(٢) الزُّبْية: بئْرٌ تحفر للأسد. أنظر الصحاح (زبي)، تاج العروس (زبي).
(٣) البيت للأخطل وتمامه:

قـتـلا الـمـلـوك وفـكـكـا الأغـلالا

(٤) وعجز البيت: هم القومُ كل القوم يا أم خالد.

والثالث: أراد بالمستوقد الجنس؛ إذ ليس المراد تعريف واحد بعينه؛ لإيهام (الذي)، وعلى هذا يكون جواب «**مَا حَوْلَهُ**» محذوفًا، كأنه قال: طفئت، فالضمير في قوله: «**بنورهم**» يعود إلى المنافقين.

الرابع: أراد مثلهم كمثل أَتْباع الذي استوقد نارًا، فحذف المضاف، وأقام المضاف اليه مقامه، قال الشاعر:

وَكَيْفَ تُوَاصِلُ مَنْ أَصْبَحَتْ خِلَالَتُهُ كَأَبِي مَرْحَبِ

القائل هو النابغة بن جعدة، والخُلَّةُ والخلالة الصداقة التي ليس فيها خلل، وأبو مرحب كناية عن الظل، يريد أنها تزول كما يزول الظل لا تبقى له مودة.

أي كخلالة أبي مرحب، وقيل: افتتح الآية بالجمع ثم وحد المستوقد، ثم ختم بالجمع؛ لأن الرفقة جماعة، والمستوقد يكون واحدًا، ومنفعة النار تحصل لجماعتهم، وبالإطفاء تذهب منافعها لهم وضررها عليهم، فهذا وجه جائز.

متى قيل: ما وجه تشبيه حال(١) المنافقين بالمستوقد نارًا؟

قلنا: حال المنافقين كحال مسافر ضَلَّ(٢) الطريق، وحير(٣) في الظلمة فاستوقد نارًا، فلما أضاءت وأبصروا انطفأت نارهم فبقوا في ظلمات متراكمة؛ لأن أبلغ ما يكون من الظلمة إذا خُرِجَ من النور إليها، كذلك المنافقون(٤) في ظلم الكفر والشك، وخافوا القتل والسبي، فأظهروا كلمة الإيمان غير معتقدين طلبًا للسلامة، فلما ظنوا أنهم خدعوا رسول الله ﷺ والمؤمنين أطلع الله رسوله على نفاقهم، فأمر بتغليظ القول فيهم، وبهجرانهم، وترك الصلاة عليهم، وبين أنهم في الدرك الأسفل من النار، فخمد نورهم، وبطل سعيهم، وصاروا في ضلالتهم متحيرين. وقيل: لما أظهروا الإيمان شاركوا المؤمنين في الغنيمة والأحكام وأَمِنُوا فلما ماتوا وقعوا في العذاب، ولم ينتفعوا بإيمانهم، كما لم ينتفع هذا المستوقد وأتباعه بنارهم، عن ابن عباس وقتادة وجماعة.

---

(١) تشبيه حال: التشبيه بحال، ز، و.

(٢) ضل: ظل، د، ز، و.

(٣) وحير: يحير، ز، ف.

(٤) المنافقون: المنافقين، أ؛ المنافق، ز، ف، و.

وقيل: أضاءت النار إقبالهم إلى المسلمين، وذهاب نورهم [في] إقبالهم إلى المشركين، عن مجاهد.

وقيل: أراد أنه لا نور لهم، وأنّ ما أظهروه من الإيمان إذا لم يكن عن نية وعقيدة يبطل، فيصيرون بلا نور يوم القيامة، بمنزلة هذا المستوقد، عن أبي مسلم.

وقيل: أراد أن شكهم أكبر لمخالطتهم بالمسلمين، وعذابهم أشد لنفاقهم، كما أن ظلمة المستوقد نارًا وطفئت أشد، وحيرته أكثر.

وقيل: إيمان اليهود بمحمد قبل البعث، ثم كفرهم به بعده كمستوقد نارًا، فلما أضاءت ما حوله طفئت، عن سعيد بن جبير.

۞ الأحكام

الآية تتضمن بيان أحوال[1] المنافقين، واغترارهم بعاجل الانتفاع وما عليهم من العقاب في الآخرة، والتحذير من[2] مثل حالهم.

وتدل على أنه يضرب الأمثال للبيان والاعتبار.

وتدل على أن غير المخلص وإن أظهر قولاً فذا غير منتفع به، كمن طفئت ناره، فتكون حسرته أعظم.

قوله تعالى:

﴿صُمٌّ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨﴾

۞ القراءة

ظاهر القراءة «صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ» بالرفع على استئناف، كأنه قيل: هم صم، فيكون خبر ابتداء محذوف، وعن بعضهم «صما» بالنصب، وهذا جائز في العربية من وجهين:

أحدهما: تَرَكَهُمْ صمًّا، على الحال.

والثاني: على الذم، كما يقال: بعدًا وسُحْقًا، والرفع أجود؛ لأنه أبلغ في الذم، ولم يرد تحقيق الصفة، وإنما أراد التشبيه بالذم، ولا تجوز القراءة به لما قدمنا.

---

(١) أحوال: حال، د، و.

(٢) من: عن، د، ف، و.

۞ اللغة

الصَّمَمُ والوَقْرُ: الثقل في الأذن، والأصم: نقيض السميع، وأصل الصمم الصلابة، يقال: قناة صماء إذا كانت مكتنزة[١] الجوف، وسُمِّيَ الحجارة صَمّاء لأجل ذلك، وسمي الأصم به؛ لأنه انسدت خروق مسامعه.

والأبكم الذي وُلِدَ أخرس، والبَكَم: الاعتقال في اللسان، وهي آفة تمنع من الكلام.

والأعمى الذي ذهب بصره عَمِيَ عَمًى.

والرجوع عن الشيء: الانقلاب عنه، يقال: رجع عنه، ورجع إليه، وهو من الأضداد، والرِّجعة: مراجعة الرجل أهله بعد الطلاق.

۞ المعنى

ثم عاد إلى ذكر المنافقين، فقال تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ قيل: صم عن استماع الحق، بكم عن التكلم به، عمي عن الإبصار له، والمراد التشبيه، لا أن صفتهم كذلك؛ إذ لو كانوا كذلك لما ذُمُّوا به، قال الشاعر:

أَصَمُّ عَمَّا سَاءَهُ سَمِيعُ

وإنما أطلق الوصف للمبالغة في الذم، وقيل: أراد: هُمْ[٢] كصُمّ وكبُكْم، فحذف أداة التشبيه مبالغة، كقولهم: فلان أسد، قال الشاعر:

بَدَتْ قَمَرًا وَمَالَتْ خُوطَ بَانٍ ... وَفَاحَتْ عَنْبَرًا وَرَنَتْ غَزَالاَ[٣]

وقيل: في الآية تقديم وتأخير، كأنه قيل: «**فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**» «**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ**»، «**مثلهم كمثل الذي استوقد نارا**» . . «**أَوْ كَصَيِّبٍ**. . »؛ لأن (صُمٌّ) وصفهم في الدنيا، فيتصل بقوله: «**اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى**» وقيل: هذا لا وجه له؛ لأن الكلام يصح من دونه، فكأنه قيل: هم في ظلمات في الآخرة، وفي الدنيا «**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ**» قيل: إنه ذم لهم واستبطاء، عن ابن عباس، وقيل:

(١) مكتنزة: مكبرة، د، ز، ف.

(٢) هم: بهم، ز، ف.

(٣) البيت قائله المتنبي. أنظر الديوان.

لا يرجعون إلى الإسلام، عن ابن مسعود والأصم وأبي مسلم، فهو خَبَرٌ، وقيل: لا يرجعون إلى ما فيه صلاحهم، عن أبي علي، وقيل: لا يرجعون عن العمى والجهل.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن من لم يسمع الحق فهو بمنزلة الأصم؛ لعدم انتفاعه بسمعه، وكذلك العين واللسان، إذا لم يستعمله في الحق فوجوده وعدمه بمنزلة واحدة، فتدل على أنه تعالى إنما هيأ هذه الآيات لتستعمل في الحق.

وتدل على أن الواجب الاستماع إلى الحق ومعرفته واتباع الأدلة، وفيه تحذير من تركه مع سلامة الحواس وإزاحة العلة.

قوله تعالى:

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾

۞ القراءة

ظاهر القراءة «ظُلُمَاتٌ» برفع اللام على الاتباع لضمة الظاء، وعن الأعمش بسكون اللام على الأصل؛ لأنها ساكنة في الواحد، وعن بعضهم بفتح اللام، قال: لأنه لما حرك حرك إلى أخف الحركات، ولا تجوز القراءة بهما لما قدمنا.

والقراءة المستفيضة «حَذَرَ الْمَوْتِ»، وعن قتادة «حذار» بالألف.

«والكافرين» يميل أبو عمرو والكسائي في حال الخفض والنصب بكسرة الفاء والراء، والباقون بالتفخيم، ولهم في الإمالة مذاهب يطول تَقَصِّيهَا.

۞ اللغة

الصيب: السحاب، والصيب: المطر، من قولهم: صاب يصوب صوبًا إذا انحدر، قال الشاعر:

فَلَسْتَ لإِنْسِيٍّ وَلَكِنْ لَمَلأَكٍ تَنَزَّلَ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ

وقال أبو ذؤيب:

بِقَرَارِ قِيعَانٍ سَقَاهَا صَيِّبٌ وَاهٍ فَأَثْجَمَ بُرْهَةً لاَ يُقْلِعُ

وأصله صَيْوِبٌ أبدلت الواو ياء لمكان الكسرة، ثم أدغمت في الياء.

والسماء: معروفة، وسماء البيت سقفه، وسماوة الهلال تشخصه، ويقال: أصابهم سماء أي مطر، وقيل: إنه اسم جنس، وقيل: واحده سماوة، وأصله من سما يسمو، فقلبت الواو همزة، لأن الألف لايخلو من همزة؛ والمدة كالحركة.

والظلمات: جمع ظلمة، والرعد: الصوت الشديد، يسمع من السحاب، يقال: رعدت السماء.

والبرق: اللمع المنقدح من السحاب، والبارقة: السحاب ذات البرق، وكل شيء تلألأ فهو بارق، ومنه قيل للسيوف: بوارق.

والجعل والتكوين والتصوير نظائر، ويستعمل الجعل على أربعة أوجه:

أولها: يقال: جعلت الطين خزفا، أي: قلبته.

والثاني: جعلته امرأته، أي: ظنًا وتوهمًا.

والثالث: جعلت كلامي شعرًا، أي: من هذا الجنس.

الرابع: جعل: صنع.

والأصابع: جمع أصبع، ويؤنث؛ لأن ما في البدن من الأزواج يؤنَّث كالعين والأذن، والأفراد تُذَكَّرُ، كالأنف والفم والرأس، وواحدها أَصْبَعُ، وإِصْبَع، وأُصْبَع، وكل ما يمكن أن يطلق من الأبنية قد تكلموا به إلا ما ليس في الكلام مثله، كَأُصْبِع بضم الألف، وكسر الباء.

والأذن: الحاسة التي يسمع بها، ومنه الأذان[1] [بمعنى] الإعلام؛ لأنه يسمع بالأذن.

والصاعقة: الوقع الشديد من صوت الرعد، يسقط معه نار تحرق، وجمعه صواعق، والصاعقة: صيحة العذاب.

---

(١) الأذان: الإذن، و.

والحذر: طلب السلامة، يقال: حَذِرَ حَذَرًا.

والإحاطة بالشيء: الإحداق[1] به، ومنه الحائط، ومنه أحاط بالشيء إذا بلغ علمه أقصاه.

۞ الإعراب

(أو): قيل: معناه الواو، وهو واو العطف، تقديره: (مثله كمثل الذي استوقد نارا)، «وَكَصَيِّب»، قال توبة:

وَقَـدْ زَعَـمَـتْ لَـيْـلَـى بِـأَنِّـيَ فَـاجِـرٌ   لِـنِـفْـسِـي تُـقَـاهَـاَ أَوْ عَـلَـيْـهَـا فُـجُـورُهَـا

يعني: وعليها.

وقال جرير:

نَـال الـخِـلاَفَـةَ أَوْ كَـانَـتْ لَـهُ قَـدَرًا   كَـمَـا أَتَـى رَبَّـهُ مُـوسَـى عَـلَـى قَـدَرِ

أي: وكانت، عن الفراء والكوفيين. والبصريون ينكرون ذلك، ويقولون: «أو» على أربعة أوجه: الشك، كقولهم: أتاك رجل أو امرأة، والثاني: تخيير، كقولهم: كل السمك أو اشرب اللبن، الثالث: الإباحة، كقولهم: جالس الحسن أو ابن سيرين. والرابع: لأحد الشيئين على الإيهام، كقوله ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧] ويقولون: رأيت زيدًا أو عمرًا، يريد أن يوهم على السامع أيهما لقي، وأصله الدلالة على أحد الشيئين، كأنه قيل: إن شبهتهم بالمستوقد فهو شبههم، وإن شبهتهم بالصيب فهو شبههم، وإن شبهتهم بهما فهو مثلهم، ولو كان (أو) بمعنى الواو لكان لا يشبه إلا بهما، والاثنان يخرجان على الإيهام الذي ذكرناه.

والصيب قيل: وزنه فَيْعِل، بكسر العين عن البصريين، ولا يوجد مثاله إلا في المعتل كسَيِّد وهيِّن، ولَيِّن[2]، وأصله صَيْوِب، قلبت الواو ياء، وأدغمت، وقيل: وزنه فَعْيِل، وأصله صَيْيِب، فاستثقلت الكسرة على الياء فسكنت، وأدغمت إحداهما في الأخرى، وحُرِّكَتْ إلى الكسر عن الكوفيين.

---

(١) الإحداق: الإحراق، د، ز.

(٢) وهين ولين: ولين وهين، د، ز، ف.

ونصب «حَذَرَ الْمَوْت» لأنه مفعول له، كقولك: جئت مَخَافَةَ شرِّه. وقيل: نصب على المصدر، وقيل: على التفسير، عن الفراء. وقيل: بنزع حرف الصفة، يعني: من حذر الموت.

۞ المعنى

ثم عطف تعالى مثلاً آخر لهم على المثل الأول، فقال تعالى: «أَوْ كَصَيِّبٍ» قيل: كسحاب ذي مطر، وقيل: كمطر، عن الأخفش. «مِنَ السَّمَاءِ» أي منزل من السماء «فِيهِ» يعني: في الصيب «ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ» قيل: هو صوت ملك يزجر السحاب، وقيل: الرعد هو الملك، ثم سمي ذلك الصوت باسم ذلك الملك، عن علي[١] وابن عباس ومجاهد، وقيل: الرعد صوت ريح تَخْتَفِقُ تحت السحاب، عن أبي الجلد[٢]، وقيل: هو اصطكاك أجرام السحاب. «وَبَرْقٌ» قيل: الرعد ملك، والبرق ضربه[٣] بمخراق من حديد، عن علي[٤]، وقيل: بسوط من نور، عن ابن عباس، وقيل: عن تحريك أجنحة الملائكة الذين وكلوا بالسحاب، وقيل: هو ما ينقدح من اصطكاك الأجرام. «يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ» أي مخافة الموت، وقيل: هذا صفة المنافقين بالهلع، وضعف القلب، عن قتادة وابن جريج، وقيل: حذر الموت لأنهم آمنوا ظاهرًا من خوف المسلمين، ونافقوا مخافة الدائرة، فهم يحذرون الموت من كل وجه، عن الحسن. «واللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ» أي قادر عليهم، لا يستطيعون الخروج عن قدرته، عن أبي علي، وقيل: أحاط علمه بهم فيعلم سرائرهم، ويطلع رسوله والمؤمنين على سرائرهم، عن الأصم، وحقيقة الإحاطة لا تجوز على الله تعالى؛ لأنه من صفات الأجسام، فلا بد من حمله على العلم والقدرة، والمراد أنه لا يفوته أحد.

(١) عن علي: عن أبي علي، د، ف.
(٢) أبي الجلد: أبي الخلد، د، ف، و.
(٣) ضربه: صوته، ز.
(٤) عن علي: عن أبي علي، ف، و.

ومتى قيل: ما وجه تشبيه المنافقين[١] بالصيب على ما ذكر تعالى؟

قلنا: قيل: فيه وجوه:

أولها: أن المطر المنزل مشبه بالقرآن المنزل، وما فيه من الظلمات بما في القرآن من الابتلاء، وما فيه من الرعد بما في القرآن من الزجر، وما فيه من البرق بما في القرآن من البيان الذي ينتفع به المنافق بإظهار الإيمان، وما فيه من الصواعق بما في القرآن من الوعد والوعيد في الآجل، والدعاء إلى القتال في العاجل، عن ابن عباس.

وثانيها: أن الصيب الغيث، وفيه الحياة مشبهة بالإسلام؛ لأن به الحياة، وشبه ما فيه من الظلمات بما في إسلامهم من إبطان الكفر، وما فيه من الرعد بما في الإسلام من فرض الجهاد وخوف القتل، وما فيه من البرق[٢] بما في إظهار الإسلام من حقن الدماء وإجراء الأحكام، ومن الإرث والنكاح والدفن، وما فيه من الصواعق بما في الإسلام من الزواجر بالعقاب في العاجل والآجل، ومعنى هذا مروي عن الحسن، وتقديره: مَثَلُ إسلام المنافقين[٣] كمثل صيب هذا وصفه، وقيل: مَثَلُ تصديقهم بالقرآن كصيب هذا وصفه.

وثالثها: مثل هؤلاء المنافقين كمثل قوم أصابهم صيب، وحصلوا في ظلمات ورعد وبرق حتى جعلوا أصابعهم في آذانهم مخافة أن تنالهم[٤] الصاعقة، فتهلكهم[٥] فيجعلون أصابعهم في آذنهم كيلا يسمعوا منها شيئًا، كذلك هذا الجاهل ينفر عن سماع القرآن والحق، وإذا سمع شيئًا من ذلك يخاف أن يظهر عليه شيء فيقتل.

وقيل: الظلمات: الفتنة، والنور: الإيمان، أي كلما رأوا بلاءً[٦] وفتنة فارقوا الإسلام.

---

(١) تشبيه المنافقين: تشبيه قول المنافقين، د، و.

(٢) فيه من البرق: في البرق، د، ز، ف.

(٣) المنافقين: المنافق، د، ز، و.

(٤) ينالهم: يناله، ز، و.

(٥) فتهلكهم: فتهلكه، د، ف.

(٦) بلاءً: قائلاً؛ د، ز، ف.

ورابعها: أن فيه سبعة أوجه من التشبيه:

أولها: أن الرعد والبرق والظلمات والمطر يحير المسافر، كذلك نفاق هؤلاء نهايةٌ في الحيرة.

وثانيها: أن المطر، وإن كان ينفع فمع هذه المخاوف يتغير حاله، كذلك إيمانهم لما فارقوا الإخلاص تغير حاله في النفع.

وثالثها: أن المسافر يرجو خلاصًا بجعل أصبعه في أذنه كذلك المنافق يرجو بإظهار الإيمان نفعًا.

ورابعها: أنه يجعل أصبعه في أذنه حذر الموت كذلك المنافق إذا دعي إلى الجهاد يؤخر خوفًا من الموت والقتل.

وخامسها: بأنهم وإن جعلوا أصابعهم في آذانهم لا يتخلصون من الموت كذلك هذا المنافق بالحذر لا يتخلص من النار بما يأتي في الظاهر.

وسادسها: أن المطر لا ينفع مع هذه الصواعق كذلك ظاهر الإيمان لا ينفع مع إبطان الكفر.

وسابعها: أن المنافق يتصور القتل في كل وقت، لو ظهر عليه فهو يخافه، ويعتريه نهاية من الحسرة، كهذا المسافر الذي هذه حاله.

ووجه خامس حسن: أنهم في إعراضهم من القرآن وَتَصامُمِهِمْ من استماعه بمنزلة من يسمع الصاعقة فيخاف الهلاك بها، ونظيره: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٦] وهذا هو الإيجاز الحسن، والاختصار الدال، عن أبي مسلم.

ووجه سادس: أن حال هؤلاء المنافقين في تحيرهم وجهلهم وأنهم لا يهتدون إلى خير كحال هؤلاء الذين هم في ظلمة الصيب والليل إذا أصابهم البرق مشوا فيه، وإذا ذهب البرق تحيروا، إلا أنه أشد تحيرًا ممن لم يزل في ظلمة فيطلبون طريقًا يسيرون فيها عند ذهاب البرق وغلبة الظلمة والتحير، فحال هؤلاء المنافقين في تحيرهم كحال من بقي في الظلمة بعد البرق، عن أبي علي.

قوله تعالى:
﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾

القراءة

القراءة العامة، وما عليه الأئمة «يخطف» بالتخفيف، وعن ابن[1] أبي إسحاق بنصب الخاء والتشديد، أي يتخطف، فأدغم، وعن الحسن بكسر الخاء والطاء مع التشديد، قد أتبع الكسرة الكسرة، والصحيح هو الأول لقوله تعالى: ﴿فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾ [الحج: ٣١]، ولأن عليه الإجماع، ولأنه ظهر من النبي ﷺ وأصحابه، وكان حمزة يكسر (شاء) و(جاء) لانكسار فاء الفعل إذا أخبرت عن نفسك، قلت شئت، وجئت، والباقون بالفتح، وهو الأولى؛ لأن عليه أكثر الأئمة[2]، وهي لغة الحجاز.

اللغة

(كاد): قارب، يقولون: كاد يفعل، ويقارب أن يفعل، يأتون بـ(أن) مع (يقارب)، ولا يأتون به مع (يكاد) مبالغة في التقريب إذا كانت (أن) للاستقبال، ومعنى يكاد: يقرب أن يفعل، قال الشاعر:

يَكَادُ يُمْسِكُهُ عِرْفَانُ رَاحَتِهِ ... رُكْنُ الحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ

ومنه: ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ [النور: ٤٠].

والخطف: الأخذ في استلاب، خَطَفَ بفتح الطاء في الماضي يَخْطِفُ بكسرها في المستقبل، وبكسر الطاء في الماضي، وبفتحها في المستقبل لغتان، والثاني: أفصح، والخطف: الاختلاس السريع.

والمشي: السير.

وقام ووقف: نظيران.

(١) ابن: ـ، ز.
(٢) الأئمة: الأمة، ف، و.

والمشيئة والإرادة واحد، وهما عَرَضَانِ يتعاقبان على الحي، ومحلهما من العباد القلب، وإرادة القديم وكراهته لا في محل.

والشيء ما يصح أن يعلم ويخبر عنه، وجمعه أشياء، وهو أول الأسماء وأعمها وأبهمها.

وقدير وقادر بِمَعْنًى إلا أن في (قدير) مبالغة كعليم وعالم.

۞ الإعراب

(كلما) أصله (كل)، وهي ظرف زمان[1] ضمت إليها (ما) الجزاء فصار أداة للتكرار، وهي منصوبة بالظرف، ومعناها متى.

و(الله) نصب بـ (إن)، وخبره في قوله: «**عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**».

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تمامَ مثلِ المنافقين فقال تعالى: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ﴾ يعني تكاد الدلائل والآيات تخطف قلوب هؤلاء لما فيها من الإزعاج إلى النظر والدعاء إلى الحق كما يكاد البرق يخطف أبصار أولئك، وقيل: يكاد البرق يخطف أبصارهم لشدة ضوئه، فينتفعون به كما ينتفع هؤلاء بإظهار الإيمان «**كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا**» قيل: إذا دعوا إلى غنيمة وخير أسرعوا، وإذا وردت محنة أو شدة على المسلمين تحيروا لكفرهم، ووقفوا كما وقف أولئك في الظلمات متحيرين عن الأصم، وقيل: إذا انفتحت عليهم أمور الدنيا ساعدوا، وإذا امتحنوا بالمصائب توقفوا عن قتادة، وقيل: إذا آمنوا صار الإيمان لهم نورًا، وإذا ماتوا عادوا إلى الظلمة والعقاب، وقيل: هم اليهود لما نُصر المسلمون ببدر قالوا: هو الذي بشر به موسى فلما نكبوا بأحد وقفوا وشكوا «**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ**» يعني: أنهم على خطر من ذهاب سمعهم وأبصارهم، كذلك المنافقون[2] على أعظم الخطر، فيجب أن يبادروا إلى طاعته قبل أن يعاقبهم بنقمته، «**إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**» أي قادر على كل شيء من مقدور هو لا يفوته، وقيل: هو عام، وهو قادر على الأشياء

(١) زمان: حرف جملة، د، ف.

(٢) المنافقون: المنافق، د، ز، و.

على ثلاثة أوجه: على المعدومات، في مقدوره على أنه يوجده، وعلى الموجودات بأن يفنيه، وعلى مقدور غيره، بأن يقدر عليه ويمنع منه، عن أبي بكر أحمد بن علي، وقيل: هو خاص في مقدوراته، وأخرج على العموم للمبالغة بأنه قادر، عن أبي علي، ولا يجوز أن يكون قادرًا على مقدور غيره؛ لأن مقدورًا بين قادرين لا يجوز؛ لأنه يؤدي إلى أن يكون الشيء موجودًا معدومًا.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن المراد بقوله: «**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ**» التشبيه، وأراد تصاممهم؛ لأنه أثبت لهم هذه الأعضاء، بقوله: «**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ**».

وتدل على وعيد هؤلاء بأنهم لا يفوتونه، ولا ينبغي أن يغتروا بطول المهلة.

وتدل على أن المنافق على خطر عظيم، وأن التحرز عن مثلهم واجب.

قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾

۞ اللغة

(يا): نداء، تقول: يا رجل، و(أي): اسم مبهم، و(ها) تنبيه لازم لـ(أيٍّ) في النداء؛ لأن النداء موضع تنبيه، فلما كانت (ها) تلحق للتنبيه في غير النداء لزمت (يا) لأنه مبهم وقع موقعًا حقيقًا بالتنبيه؛ ألا ترى أنهم جعلوا له أدوات التنبيه «**كيا، وأيا، وهيا**».

والخلق والفعل والإحداث نظائر، وبينها فرق، فالخلق: الإيجاد على تقديرٍ، والإحداث: الإيجاد عن قرب عهد، ومنه سمي الحديث حديثًا، والفعل يقع على الجميع، والخلق أيضًا التقدير للشيء كما يريد، قال الشاعر:

فَـلأَنـتَ تَـفـري مـا خَـلَـقْـتَ وَبَـعْـ ضُ الـقَـوْمِ يَـخـلُـقُ ثُـمَّ لا يَـفْـرِي(١)

---

(١) البيت قائله زهير بن أبي سلمى. أنظر اللسان (خلق).

۞ الإعراب

الناس صفة لـ(أي) كما توصف المبهمة بالأجناس، وقال الأخفش: الأقيس أن يكون الناس صفة لـ(أي)، وأنكر ذلك أكثر النحويين، وأجاز المازني وجه النصب في صفة أي قياسًا على جوازه في صفة هذا، فقال: يجوز يا أيها الرجلَ أقبل، ولم يسمع ذلك من العرب، ولا وافقه على إجازته أحد[1].

ويقال: ما معنى (لعل) هنا وأصله الشك؟

قلنا: فيه ثلاثة أوجه[2]:

الأول قيل: بمعنى لام (كي)، أي لتتقوا، عن قطرب وأبي علي.

والثاني: عن شك المخاطبين، كأنه قيل: افعلوا على الرجاء والطمع، أي تتقوا، عن سيبويه وأبي مسلم.

والثالث: افعلوا ذلك متعرضين للتقوى، عن أبي بكر أحمد بن علي، وقد قال سيبويه وغيره: لعل وعسى حرفا شك، وهما من الله واجب.

۞ المعنى

ابتدأ الله تعالى بذكر الكتاب، وبين أن الناس فيه على ثلاث فرق: مؤمن به، وكافر، ومنافق، ووصف حال كل واحد[3]، وما أعد لهم، ثم عاد إلى ذكر الحجاج، وبيان الأدلة والدعاء إلى الإسلام، فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، وهو عام في كل مكلف، وعن ابن عباس والحسن أن ما في القرآن «**يَاأَيُّهَا النَّاسُ**» نزل بمكة، وما فيه من «**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوْا**» نزل بالمدينة، «**اعبدوا ربكم**» أي تذللوا له، وتقربوا إليه بفعل العبادة، «**الَّذِي خَلَقَكُمْ**» أي أوجدكم، ولم تكونوا[4] موجودين، «**وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ**» يعني خلق مَنْ قَبْلَكُمْ فَبَيَّنَ نِعَمَهُ عَلَيْهِمْ وعلى آبائهم؛ لأن نعمه عليهم لا تتم إلا بنعمه على آبائهم.

ومتى قيل: فما النعمة في الخلق؟

---

(١) اللسان (أيا).

(٢) فيه ثلاثة اوجه: فيه ثلاثة أقوال، ف، و.

(٣) حال كل واحد: حال واحد منهم، ز، ف.

(٤) تكونوا: يكونوت؛ د، ز، ف، و.

قلنا: خلقه إياي حيًّا لينفعني مع سلامة الحواس، والصورة الحسنة، والعقل المميز، والتكليف والهداية؛ لتتقوا بعبادته عذاب الله تعالى.

ومتى قيل: كيف احتج بالخلق، وهم لايقرون به؟

قلنا: لأن العقل يقتضيه، حيث لم يكونوا فَوُجِدُوا، فلا بد من فاعل؛ إذ الطبع باطل، والنجوم لا تُؤَثِّرُ، وقيل: هو خطاب لمشركي العرب، وكانوا مقرين بالخلق.

«لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» قيل: يتصل بالخلق أي خلقكم للتقوى والعبادة، كقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وقيل: يتصل بالعبادة، قيل: اعبدوا للتقوى.

ومتى قيل: لم ذكر الخلق عند الأمر بالعبادة؟

قلنا: لأنه بمنزلة العلة في وجوب العبادة لما فيه من النعم، ولأنه لولاه لما صحت العبادة.

«تَتَّقُونَ» قيل: تصيرون أتقياء مؤمنين، وقيل: تتقون معاصيه وعذابه، عن أبي علي، وقيل: اعبدوا للتقوى، كأن العبادة لطف في اجتناب القبائح.

۞ الأحكام

الآية تدل على وجوب العبادة لله تعالى.

وتدل على أن العلة والسبب فيها ما لله عليه من الخلق بهذه الصفة التي معها تصح العبادة.

وتدل على أنه لا خالق للأجسام سواه، من حيث نبه بقوله: «وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» ونبه على ما فينا من دلالة على الحدث والافتقار إلى فاعل.

وتدل على أنه أراد التقوى من الجميع؛ لأن تقديره: خلقكم لتتقوا، فيبطل قول المجبرة في الإرادة.

قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

القراءة

المجمع عليه في القراءة «أَندَادًا» على الجمع، وعن بعضهم «نِدًّا» على الواحد.

اللغة

الجعل والخلق والإحداث نظائر.

والفراش والمهاد والبساط نظائر، والفرش مصدر فرش يفرش فرشًا، وهو بسط الفراش.

والأرض بساط الأنام للبناء، قال الزجاج: كل ما على الأرض فاسمه بناء، يقال: بنى بناء، وكل شيء جعلته كالأساس لغيره، ثم وصلته به، فقد بنيته عليه.

والماء معروف، وأصله مَوَهٌ، ولذلك يجمع [على] أمواه، ويصغر [على] مُوَيْه، ويُحَدُّ(١) الماء بأنه جوهر سيال به قوام الحيوان، عن علي بن عيسى، وقيل: جوهر رطب يلزمه اعتماد سفلي، والتحديد في مثل هذا باطل؛ لأن الغرض بالتحديد التعريف، وكل شيء يحد به الماء فالماء أعرف وأشهر منه.

والإخراج نقيض الإدخال، خرج يخرج، وأخرجه غيره، وسمي الخراج [كذلك]؛ لأنه يخرج في كل سنة من مالهم بقدر معلوم، وأصله: الانتقال عن محيط، ثم يستعمل في غيره، فيقال: أخرج الدليل، أظهره، وخرج من الكفر إلى الإيمان.

والثمرة: حمل الشجرة، والثمرات الجمع، أثمرت الشجرة فهي مثمرة إذا حملت الثمرة.

---

(١) ويحدّ: نحد، د، ف.

والنِّدُّ: المِثْلُ، وقيل: الضد، عن أبي عبيدة، وقيل: حقيقة المثل المُنَاوِئ، كأن أصله من النَدِّ والنِدُّ والنَديدُ والنَدِيدةُ المثل.

الإعراب

(الذي): موضعه نصب؛ لأنه من صفة الرب، تقديره: اعبدوا ربكم الذي جعل لكم.

النزول

قيل: نزلت في الفريقين من الكفار والمنافقين، عن ابن عباس، وقيل: في اليهود، وقوله: ﴿تَعْلَمُونَ﴾[الزُمَر: ٣٩] يعني: تعلمون أن ذلك في التوراة والإنجيل، عن مجاهد، والأول أصح.

المعنى

لما ذكر اللّه تعالى الاحتجاج على الكفار بدأ بأنفسهم منبهًا على ما فيها من عجيب خلقه ولطيف صنعه، ثم عطف عليها بذكر السماء والأرض منبهًا على ما فيه من دليل الواحدانية وآثار الصنعة، والتنبيه على النعمة، فقال تعالى: «**الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِراشًا**» يعني: بساطًا ساكنًا دائم السكون ليمكنكم التصرف عليه، «**وَالسَّمَاءَ بِنَاءً**» يعني سقفًا مرفوعًا مبنيًا «**وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً**» قيل: من نحو السماء، يعني: من السحاب، وقيل: من السماء حقيقة، «**فَأَخْرَجَ بِهِ**» بالماء «**مِنَ الثَّمَرَات**».

والباء في (به) بمعنى السبب، وهو سبب من طريق العادة لا الوجوب؛ لأنه لو أنزل الماء، ولم يخرج النبات جاز، ولو أخرج النبات من غير ماء جاز، ولا تأثير للماء والأرض والبذر والشمس فيها، إلا أنه تعالى أجرى العادة بذلك مصلحة لعباده، «**فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا**» أي لا تصفوا الله بالمثل والشبيه والضد، وقيل: لا تجعلوا عبادتكم لغيره فتكونوا قد جعلتم لله أندادًا، وقيل: هم الكفار يطيعونهم في معصية الله،عن ابن مسعود، وقيل: أراد الأوثان، أي لاتتخذوها آلهة، «**وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**» قيل: تعلمون أنه المنعم عليكم دون الأوثان، فإنها لا تنفع ولا تضر، فكيف[1] تستحق

(١) فكيف: فقيل كيف، ز.

العبادة وأنتم تعلمون أنه الخالق دون الأوثان، عن ابن عباس، وقيل: يعلمون أن ذلك في التوراة خاطب به اليهود، عن مجاهد، وقيل: وأنتم تعلمون مصالح دنياكم، فكيف تذهبون عن مصالح دينكم.

ومتى قيل: لم كان الذنب مع العلم أعظم؟

قلنا: لوجوه: منها: أن نعم الله تعالى أعظم، ولأنه يقترن به التجزي والاستحقاق، ولأنه يقتدي به غيره فيصير كالشبَه.

۞ الأحكام

الآية تدل على أشياء: منها: أن حظ السماء والأرض في النعمة والدلالة على الوحدانية، وفي كونها سببًا للزوم العبادة بمنزلة خلق أنفسنا، لأن أحدًا لا يقدر عليها، كما لا يقدر على الإحياء، فلذلك ذكر خلقها عقيب الأمر بالعبادة.

وتدل الأرض وبسطها وخلقها وما فيها من الأثمار والأنهار والجبال على إثبات صانع[1]، واختلف شيوخنا فمنهم من قال: سكونها يدل عليه؛ لأنه مما لا يقدر عليه غيره فهو كالحياة، ومنهم من قال: يجوز أن يكون ذلك فعل ملك عظيم الخلقة، كبير القدرة؛ لأنه في جنسه مقدور لعبادة، وعلى هذا تدل على أن الله تعالى بَسَطَهَا، وفي الأول بغير واسطة، والأول عن أبي علي، والثاني عن أبي هاشم.

وتدل السماء ورفعها وسكونها، وما فيها من النجوم السائرة، والأفلاك الدائرة، وما يتصل بها من الليل والنهار على أن لها[2] صانعًا مدبرًا. وتدل الثمرات وإنزال الماء وما تختص[3] به الثمرات من اختلاف الطعوم والروائح والألوان والهيئات على صانع مخالف لنا.

ويدل قوله: «رِزْقًا لَكُم» على أنه خلق جميع ذلك لعباده.

وذكر أبو علي أن قوله: «فِرَاشًا» يدل على أن الأرض مسطحة[4] غير كروية[5]،

(١) الصانع: صانع؛ د، ز، ف، و.
(٢) لها: له؛ د، ز، ف، و.
(٣) تختص: يختص؛ د، ز، ف.
(٤) مسطحة: مستطحة، ز، ف، و.
(٥) كروية: كريه، د، ف، و.

وهو مذهب جماعة، وجوز أبو هاشم كونها كروية ومسطحة، وأبو القاسم قطع على أنها كروية، وتوقف فيها القاضي.

واستدل بعضهم بقوله: «فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ» على أنه تعالى يفعل لسبب، واختلفوا فقال أبو علي: لا يفعل الله لسبب؛ لأنه يؤذن بالحاجة، وقال أبو هاشم[1]: يجوز؛ لأن الحاجة ترجع إلى الفعل فهو كالمحل للأعراض، وذهب أبو هاشم إلى أنه بَنَى الأشياء على طبيعة تخرج منها الأشياء بطبائعها، وهذا عندنا باطل؛ إذ الطبع لا يعقل، والتأثير من غير صانع مُخْتَارٍ فاسدٌ.

قوله تعالى:

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾

اللغة

الريب: الشك مع تهمة.

العبد: المملوك من نوع ما يعقل، ونظيره الرق، ونقيضه الحرية، وأصله مأخوذ من التعبد، وهو التذلل، كأنه يذل لمولاه، وَعَبْدُ قِنّ تأكيد للعبودية، وجمعه أَعْبد وعُبْدان، وعَبِيد، والعبودية لا تقع إلا بالسمع؛ لأنه بمنزلة ذبح الحيوان، ويستحق عليه العوض، والعبودية ليست بعقوبة، ولذلك يسترق الصبي والمؤمن.

والسورة: يهمزها بعضهم، ولا يهمزها الآخرون، فالأول مأخوذ من سور البناء، وأصله البناء المرتفع، فكأنه جعل كل سورة منزلة، وعلى الثاني أريد قطعة من القرآن؛ لأنه من قولهم أَسْأَرْتُ منه سُؤْرًا، فأما الجمع ففي سورة من القرآن[2] سُوَرٌ بفتح الواو، ومن البناء سُوْرٌ بتسكين الواو، وأصل السورة المنزلة.

والمثل[3] والشبه والعِدْل نظائر، ونقيض المثل الخلاف، وحد المثل هو ما يسد مسده فيما يرجع إلى ذاته.

(١) أبو هاشم: أبو القاسم، ز، ف.
(٢) من القرآن: ـ، ف.
(٣) والمثل: ـ، ز، و.

والدعاء: النداء، دعا يدعو دعاء، والدعاء لله: سؤال الرحمة، والدعاء: الاستعانة والدعاء إلى المنازلة، وأصل الجميع الطلب.

والشهادة: البينة[1]، يقال: شهادة عدل، والشهادة نقيض الغيبة، وأصله من المشاهدة، وَحَدُّهُ الإخبار بالشيء عن مشاهدة، والشاهد: فاعل الشهادة.

والصدق: نقيض الكذب، وحده الإخبار عن الشيء على ما هو به.

۞ الإعراب

(من) في قوله: «مِنْ مِثْلِهِ» قيل للتبعيض؛ لأنه تحداهم ببعض ما هو مثله، وقيل: للجنس كقوله: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ [الحج: ٣٠]، وقيل: صلة وزيادة، كأنه قال: (فأتوا بسورة مثله)، ولا يصح؛ إذ لا يحكم بالزيادة مع صحة المعنى.

ويقال: إلى ماذا تعود الهاء في قوله: «مِنْ مِثْلِهِ»؟

قلنا: إلى ما في قوله: «مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا» يعني من مثل القرآن، عن الحسن وقتادة ومجاهد وعمرو بن عبيد وواصل، وقيل: يعود إلى النبي ﷺ كأنه قال: من بَشَرٍ أُمِّيٍّ مثله.

۞ النزول

قيل: لما سمع المشركون القرآن قالوا: ما يشبه هذا كلام الله، وإنا لفي شك منه، فأنزل الله هذه الآية.

۞ المعنى

ولما احتج تعالى للتوحيد عقبه بالاحتجاج في النبوة فقال تعالى: «وإِن كُنتُمْ» أيها المشركون «فِي رَيْبٍ» شك وتهمة «مِمَّا نَزَّلْنَا» من الفرقان «عَلَى عَبْدِنَا» يعني على محمد ﷺ، وقلتم: إنه كلام بشر «فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ» قيل: من مثل القرآن، وقيل: من مثل محمد.

---

(١) البينة: ـ، د، ز.

ومتى قيل: هل للقرآن مثل؟

قلنا: نعم في مقدوره تعالى، لا يقدر عليه غيره لكونه معجزًا، فهو كَفَلْقِ البحر، وقلب العصا حية، وإحياء الموتى.

ومتى قيل: لو لم يكن له مثل، أكان يصح التحدي به[1]؟

قلنا: قال القاضي: نعم؛ لأن وجه الإعجاز لا يتعلق بكون مثله مقدورًا، وقال علي بن عيسى: لا كالقديم.

ومتى قيل: بأي شيء وقع التحدي في قوله: «مِنْ مِثْلِهِ»؟

قلنا: من جزالة اللفظ، وحسن المعنى والفصاحة التي اختصت به، والإخبار عن الغيوب.

«وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ» معنى ادعوا: استعينوا واستنصروا بهم، **«شُهَدَاءَكُمْ»**، قيل: أعوانكم على ما أنتم عليه، عن ابن عباس. وقيل: آلهتكم، عن الفراء وأبي علي، وقيل: ناس يشهدون لكم، عن مجاهد وابن جريج، يعني: يشهدون لكم أنكم عارضتم القرآن. وقيل: من يشهد لكم ويوافقكم في مذهبكم. وقيل: كبراءكم وأماثلكم، عن أبي مسلم.

ومتى قيل: كيف تسمى آلهتهم شهداء وهي جماد؟

قلنا: عندهم أنهم يشهدون لهم فسماهم شهداء على زعمهم، وقيل: إنهم يحضرونهم ويشهدونهم، وهذا تحدٍّ وتعجيز، وليس بأمر، **«إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ»** أن محمدًا يقوله من تلقاء نفسه، فإنه يتكلم بلغتكم، فإذا لم تقدروا عليه فاعلموا أنه ليس من قِبَلِهِ، وقيل: **«إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ»** فيما تزعمون.

۞ الأحكام

الآية صريحة في الحِجَاج والنظر في الدين وصحته[2]، فيبطل قول من لا يرى الحجاج.

---

(١) به: من مثله، د، ز، ف.

(٢) وصحته: وصحتها؛ د، ز، ف، و.

وتدل على أن التحدي بالقرآن وببعضه، وأنها تدل على صحة نبوة نبينا ﷺ.

وتدل على أن هذه السورة كما هي منزلة لا كما زعم بعضهم أنه نظم أيام عثمان، فلذلك صح التحدي بسورة مرة، وبعشر سور مرة، وبكل القرآن مرة.

وتدل على أن القرآن كلام الله تعالى، وليس من كلام البشر.

قوله تعالى:

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾

القراءة

قراءة العامة: «وَقُودُهَا» بفتح الواو، وعن الحسن ومجاهد بضم الواو، وليس بصحيح؛ لأن الوقود بالضم المصدر، وهو الالتهاب، وبالفتح الاسم، وهو ما توقد به النار، كالطَّهُور، وعن عبيد بن عمير: وَقِيدُها، ولا يجوز القراءة بهما؛ لأن القراءة يتبع فيه النقل المستفيض.

اللغة

الفعل والإحداث والإيجاد نظائر، يقال: فعل فِعْلًا وفَعْلا، بكسر الفاء وفتحها، فالمفتوح المصدر، والمكسور الاسم، هكذا ذكره ابن الخليل، وحد الفعل ما حدث عن قادر، والفعل بنفسه يدل على كون فاعله قادرا، وبانتظار أو بانتظام الفعل على كونه عالمًا، وبواسطة تدل على كونه حيًّا موجودًا.

والوقود بالفتح الحطب، وبالضم الإيقاد، ونظيره: الوَضوء والوُضوء.

والحجارة واحدها حجر، وليس بقياس، فالقياس أحجار.

والإعداد: مصدر أعد له كذا، أي هيأ، ومنه: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم﴾ [الأنفال: ٦٠].

الإعراب

يقال: ما موضع «وَلَنْ تَفْعَلُوا» من الإعراب؟ وكيف يتصل بما قبله؟

قلنا: أما اتصاله بما قبله من الكلام، فكما يتصل الاعتراض بين المبتدأ والخبر،

وبين الشرط والجزاء، وبين اسم (إن) وخبرها، فالأول كقولك: زيد ـ فافهم ما أقول لك ـ رجل صدق، والثاني «وَلَنْ تَفْعَلُوا» والثالث: كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ [الكهف: ٣٠، ٣١] فقوله: (إنّا لا نُضِيعُ) اعتراض، والخبر: أولئك، فأما موضعه من الإعراب، فقيل: لا موضع لها من الإعراب؛ إذ لم يعمل فيها عامل؛ إذ العوامل في الأصل للأسماء المفردة، دون الجمل.

ويقال: لم جزم لام[1] الفعل؟

قلنا: لأنها نقلته إلى الماضي، فأخرجته من الإعراب الذي يكون[2] للاسم، لما باعدته عنه، فأما (أن) فتنصب الفعل؛ لأنها أشبهت (أنْ) المشددة[3] في عوامل الاسم من حيث كانت مع ما بعدها بمنزلة المصدر، فأما (لن) وأخواتها، فمشبهة بـ (أن)؛ لأنها تنقل الفعل إلى الاستقبال على الحد الذي يكون عليه الاسم، وليس كـ(إن) التي للجزاء؛ لأن الجزاء لا يكون إلا بالفعل، فجزم لما دخله معنى لا يكون من الاسم، كما جزم حرف النهي لما كان لا يصح إلا بالفعل.

المعنى

ولما تحداهم بالقرآن، ولم يأتوا بمثله، أخبر عن عجزهم، وحذرهم الكفر به، فقال تعالى: «فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا» أي لم تأتوا بمثل القرآن في الماضي، ولن تفعلوا في المستقبل؛ لأن (لم) تنفي الفعل في الماضي، و(لن) في المستقبل، وقيل: فيه تقديم وتأخير، وتقديره: فأتوا بسورة من مثله، «وَلَنْ تَفْعَلُوا»، فإن لم تقدروا أن تفعلوا «فَاتَّقُوا النَّارَ»، أي اتقوا الكفر، الذي هو سبب دخول النار.

ومتى قيل: لم قال: «فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا»، ولم يقل: فإن لم تقدروا وعجزتم؟

قلنا: أراد جميع ما يتعلق بالقرآن من الإيمان به، والعمل بما فيه، فالكل محجوج به، المؤمن بالعمل به، والكافر بالإتيان به؛ لأن التخويف عام.

---

(١) لام: لم، ف.
(٢) يكون: تكون، ز، ف.
(٣) المشددة: التشديدة، و.

ومتى قيل: كيف جاء «**فَاتَّقُوا**» مشروطًا بقوله: «**فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا**» واتقاؤه يجب على كل وجه؟

قلنا: هو في تصديق النبي ﷺ، وذلك لا يلزم إلا بعد العلم بالمعجز، فجاء مشروطًا لهذا، والمعنى فإن لم تعارضوا فقد قامت الحجة فوجب قبولها، وإلا استحق النار والعذاب «**الَّتِي وَقُودُهَا**» يعني حطبها «**النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**» قيل: هي حجارة[1] الكبريت، وهي أشد الحجارة حرًّا، عن ابن مسعود وابن جريج والفراء، وقيل: هي أجسادهم تبقى بقاء الحجارة بتبقية الله تعالى إياها، كقوله: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦] وقيل: النار لعظمها تحرق الحجارة، وهي مثلها[2]، عن أبي علي وأبي مسلم، وقيل: هي حجارة تحمى فتكون عذابًا على أهل النار، وقيل: أراد أصنامهم؛ لأن أكثرها منحوت من حجارة، كقوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] «**أُعِدَّتْ**» يعني النار هيئت للكافرين بالله ورسله.

ومتى قيل: كيف قال[3]: «**أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**» وهي معدة للفاسقين أيضًا؟

قلنا: فيه أنها معدة لهم، وليس فيه أنها لم تعد لغيرهم، وإثبات الشيء لا يدل على نفي ما عداه؛ ألا ترى أنه لا يمتنع أن يكون وقودها من الجن أيضًا لقوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣] وقيل: إنها نار خاصة للكافرين، وغيرها من النيران لغيرهم، ولهذا قال: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦]. وقيل: إنه قد يكتفى بذكر أعظم الشيئين إذا اجتمعا، كقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢] وقيل: لأنهم هم الأصل فيها، ولهم العذاب العظيم، فكأن غيرهم لم يعتد بهم.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن إثبات النبوة من حيث عجزوا عن مثل القرآن مع التحدي، وحرصهم على إبطال أمره، وتدل عليها أيضًا من حيث أخبرهم عن الغيب أنهم لا يأتون بمثله، وكان كما أخبر.

---

(١) حجارة: حجارات، د، و.

(٢) مثلها: مثل، ز، و.

(٣) قال: ـ، ف.

وتدل على أن تصديق الرسول مع التمكن من معرفة النبوة بالمعجز واجب، وفي تركه كفر.

وتدل على بطلان مذهب المجبرة من وجوه:

منها: أن صحة التحدي مبني على تعذره عليهم، وصحة الفعل منهم، فمن نفى كون العبد فاعِلاً لم يمكنه إثبات التحدي.

ومنها: أن تعذره عندهم لفقد القدرة الموجبة، ويستوي فيه المعجز وغيره، فلا معنى للتحدي بها.

ومنها: أن ما يضاف إليهم هو الخالق له في التحقيق، فكأنه تحدى به[1] نفسه.

ومنها: أنه أمرهم بالتقوى فدل [على] أنه فعلهم.

قوله تعالى:
﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾

القراءة

ظاهر القراءة: «وأتوا به» على ما لم يسم فاعله، وعن بعضهم «وأَتَوا به» بفتح الهمزة على معنى أن من خدمهم في الجنة أتوا به.

اللغة

البشارة: ما بشرت به، والبشير الذي يبشر القوم بخير، والبِشْر بكسر الباء: طلاقة الوجه والبَشَرَةُ بفتح الباء أعلى جلدة الوجه، والأصل فيه البَشَرَة، وهي ظاهر الجلد، فمنه البشارة لما يظهر في بشرته من السرور، ثم كثر استعماله، حتى استعمل في الشر توسعًا، فقال: «فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ»، واستعماله فيما يسر أظهر وأكثر، وهي أول خبر سار.

---

(١) به: ـ، ز، ف.

والعمل والفعل والحدث نظائر، والعمل: وجود الشيء بعد أن لم يكن.

والصلاح: الفعل المستقيم، ونقيضه الفساد.

والجنة: البستان فيه الشجر، سميت بذلك لأن الشجر يَجُنُّها، أي يسترها، وأصل الباب الستر، ومنه الجن لتسترها عن عيون الناس، والجنون لأنه يستر العقل، والجُنَّةُ: الدرع؛ لأنه يستر البدن. والجنين: الولد لتستره بالرحم.

مصدر جرى يجري جَرْيٌ وجَرَيانٌ، ونظيره الاطراد والانسياب.

والأنهار: جمع نهر، وأصله من السعة، وسمي نهرًا لسعته، قال الشاعر:

مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتْقَهَا   يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا

والإتيان: المجيء، أتى: إذا جاء، وآتى بالمد إيتاء: أعطى، وأتى به: جاء به، والتشابه: التماثل، وهو أن يشبه أحد الشيئين الآخر.

والزوج: المرأة، ويقال: زوجة أيضًا، والزوج الرجل، وجمع الزوج أزواج، وأصل الزوج الشكل.

والتطهير: التنظيف، ونقيضه التنجيس.

والخلود والدوام والتأبيد نظائر، والخلود والخلد: البقاء.

۞ الإعراب

الصالحات: نعت لاسم محذوف، تقديره: أفعال أو خصال صالحات.

ويقال: ما موضع (أن) في قوله: «**أن لهم جنات**»؟

قلنا: فيه خلاف، قال بعضهم: نصب بـ (بَشِّر) [أي: بشرهم] أن لهم، وقال الخليل والكسائي: خفض بالباء، كأنه قال: بشرهم[1] بأن لهم جنات فهو على هذا منصوب بنزع الخافض.

ويقال: لم كسرت تاء الصالحات، وفتحت سادتنا[2]؟

قلنا: لأنه في جنات والصالحات تاء الجمع، وفي سادتنا تاء الأصل، يقال: سيد وسادة، ومن قرأ «ساداتنا» فإنها تاء الجمع.

(١) بشرهم: يبشرهم، ز، ف.

(٢) في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾ الأحزاب ٦٧.

ويقال: ما معنى «مِنْ» في قوله: «مِنْ ثَمَرَةٍ»؟

قلنا: قيل: زائدة، وقيل: للتبعيض؛ لأنهم رزقوا بعض الثمرات، وإذا صح المعنى لا يحكم بالزيادة.

ويقال: لم رفع أزواج؟

قلنا: فيه خلاف، قيل: يجوز بالابتداء، ويجوز بـ«لهم» عن الزجاج، وقيل: بالابتداء، عن ابن السراج، وقيل: بالصفة، عن الكوفيين، وقيل: رفع على الغاية، قال تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤].

المعنى

لما تقدم ذِكْرُ ما أعد للكافرين، عقبه بذكر ما أعد للمؤمنين، فقال تعالى: «وبشر» يعني أخبرهم بما يبشرهم «الَّذِينَ آمَنُوا» صدقوا «وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» قيل: عملوا بالواجبات، وهي الأفعال الصالحة، وقيل: بالطاعات، وقيل: أخلصوا الأعمال، عن عثمان ـ رضي الله عنه ـ، وقيل: أدوا الصلاة، عن علي (عليه السلام)، وقيل: التوبة، والأول الوجه؛ لاشتمالها على الجميع، «أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ».

يقال: هو خاص أو عام؟

قلنا: فيه خلاف، قيل: خاص؛ لأنه مشروط في التقدير لمن لم يحبط عمله؛ إذ المرتد من أهل الوعيد، عن أبي علي، وقيل: عام؛ لأن ذلك تَمَدُّحٌ لا يطلق على من أحبط عمله، كما لا يطلق اسم مؤمن على كافر.

ومتى قيل: لم اشترط عمل الصالحات، ولم يشترط اجتناب الكبائر؟

قلنا: لأنه من الأعمال الصالحات، وقيل: لأن مع فعل الكبائر لا يعتد بعمل الصالحات.

و«تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ» يعني من تحت أبنيتها وأشجارها، وجاء في الحديث: «أنهار الجنة تجري في غير أخدود»[1] عن مسروق. «كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا» يعني: أعطوا من ثمارها «مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا» أي عطاء، وأطعموا منها طعامًا «قَالُوا» يعني[2] أهل الجنة «هذا

---

(١) انظر: مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٢٨)، وحلية الأولياء (٩/ ٢٧٨)، وعمدة القارئ (١٩/ ١٨٦، ٢١٩)، وفيض القدير (٢/ ٣٣٧) برقم (١٩٨٨).

(٢) قالوا يعني: يعني «قالوا»، د، ز.

﴿الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ اختلفوا فيه، فقيل: رزقنا من قبل[١] في الجنة، يعني يؤتى بصحفة فيأكل، فيؤتى بأخرى، فيقول: هذا الذي أوتينا به من قبل، فيقول الملك: كلوا[٢] فاللون واحد والطعم مختلف، وهم يعلمون أنه غيره، ولكن شبهوه به في لونه وريحه وطيبه، وقيل: **﴿هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾** في الجنة، أي كالذي رزقنا، علموا أنه غيره، ولكن شبهوه به[٣] في لونه وطعمه ورائحته وطيبه وجودته، عن الحسن وواصل. وقيل: هو الذي رزقنا من قبل في دار الدنيا، عن ابن عباس وابن مسعود. وقيل: هذا الذي وعدنا به في الدنيا. وقيل: إنهم أرادوا الاستمرار على الشكر، فقالوا: نعم الله كانت علينا متواترة متتابعة في الدارين. وقيل: لما كان ما يستحقونه من الثواب في الوقت الثاني مثل ما يستحقونه في الوقت الأول وأعطاهم الله تعالى ذلك شبهوه به، عن أبي علي. وقيل: أتوا به[٤] مثل ما ألفوا من قبل؛ لأن النفس تميل إلى المألوف **﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾** قيل: كلها متشابهة في الجودة خيار لا رُذَالَ فيه، عن الحسن وقتادة. وقيل: مشتبهًا في اللون، مختلفًا في الطعم، عن ابن عباس ومجاهد والربيع[٥] والسدي. وقيل: يشبه ثمر الدنيا، غير أن ثمر الجنة أطيب، عن عكرمة. وقيل: **﴿مُتَشَابِهًا﴾** يشبه بعضه بعضا في اللذة وجميع الصفات، عن أبي مسلم. وقيل: متشابهًا في الاسم، مختلفًا في الطعم. وقيل: متشابهًا من حيث الموافقة، فالخادم يوافق المسكن، والمسكن يوافق الفرش، وكذلك جميع ما يليق به. **﴿وَلَهُمْ﴾** لأهل الجنة **﴿فِيهَا أَزْوَاجٌ﴾** يعني نساء، قيل: الحور العين، وقيل: نساء الدنيا، عن الحسن، قيل: هي عجائزكم الرُّمْضُ العُمْشُ طهرن[٦] من أقذار الدنيا، **﴿مُطَهَّرَةٌ﴾** قيل: طهرت في الأبدان والأخلاق والأفعال، فلا يلدن، ولا يحضن، [وقيل]: **«مطهرة»** طهرن من الأقذار والآثام. **﴿وَهُمْ فِيهَا﴾** في الجنة **﴿خَالِدُونَ﴾** يعني دائمون باقون في الجنة، وإن الجنة باقية أبدًا.

---

(١) اختلفوا فيه فقيل رزقنا من قبل: ـ، و.
(٢) كلوا: كل، د.
(٣) به: ـ، ز، ف.
(٤) به: ـ، ز، ف.
(٥) والربيع: وربيع، و.
(٦) طهرن: ـ، و.

۞ الأحكام

يدل قوله: «**وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ**» على أن العمل مشروط[1] في استحقاق الجنة وثوابها، فيبطل قول المرجئة.

وتدل على أن للعبد فعلا؛ لذلك قال: «**آمَنُوا**» فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

ويدل قوله: «**خَالِدُونَ**» على أن الجنة وأهلها دائمون خلاف قول جهم.

وتدل على الترغيب في الأعمال الصالحة التي هي سبب الوصول إلى الجنة.

واختلفوا في الجنة أهي مخلوقة أم لا[2]؟ فالأكثر على أنها مخلوقة، وقيل: غير مخلوقة يخلقها يوم القيامة، لقوله: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ [الرعد: ٣٥] ولو كانت مخلوقة لفنيت لا محالة قبل يوم[3] القيامة، عن أبي هاشم.

وتدل على أن في الجنة الطعام والثمار والأزواج خلاف قول الباطنية.

قوله تعالى:
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾

۞ القراءة

قرأ ابن كثير في رواية شبل «**يستحي**» بياء واحدة، والباقون بياءين، وهوالاختيار؛ لأنه الأصل، ولأنه إذا اعتل لام الفعل فإنه لا ينبغي أن تعتل عينه، فيجتمع على الكلمة الواحدة اعتلالان؛ لأنه إخلال، ولأن أكثر القراء عليه، ولأنها لغة قريش وأهل الحجاز، وأما الياء الواحدة فللاختصار استثقالاً لاجتماع الياءين، وهي لغة تميم.

---

(١) مشروط: شرط، د، ز.
(٢) أم لا: أملا، ف.
(٣) يوم: ـ، و.

۞ اللغة

الاستحياء والحياء ممدود وغير ممدود، بِمَعْنًى[1]، ونقيض الحياء: القِحةُ، يقال: حييت من هذا الأمر، واستحييت منه، وحقيقة الحياء لا يجوز عليه تعالى؛ لأن ذلك خوف من مواقعة قبيح، وهو تعالى يفعل الحسن، ولا يفعل القبيح، وهو عالم بقبح القبيح، وعالم بغناه عنه، ولا يختاره.

والضرب: مصدر ضرب يضرب ضربًا، وضرب في الأرض: سافر، وضرب الله مثلاً: أرسلها، فهي سائرة عند المسلمين على ما ضربه لهم.

والمِثْلُ، والمَثَلُ، والشبه: نظائر.

والبعوضة: صغار البق.

والحق والصواب والصحيح واحد، فالحق نقيض الباطل، وأصله وضع الشيء في موضعه، يقال: وضعته في حقه أي في المكان الذي هو أولى به.

والإرادة والمشيئة واحد، أراد فهو مريد، والله تعالى مريد على الحقيقة.

والضلال الهلاك، ثم سمي به الضلال في الدين؛ لأنه يؤدي إلى الهلاك.

والكثير نقيض القليل، يقال: كثر كثرة، والكوثر قيل: نهر في الجنة؛ لأنه يتشعب منه أنهار كثيرة في الجنة، وقيل: سمي به لكثرة مائه.

والهداية: الدلالة، وقد بيناها[2].

والفاسق والفاجر واحد، والفسق قيل: أصله الترك، فقيل: إنه ترك أمر الله تعالى، وقيل: أصله الخروج، كأنه خرج من أمره، والفسق في الشرع: ذم يوصف به لارتكاب الكبائر، وله أحكام: لا تقبل شهادته، ويلعن، ويبرأ منه، والفسق معصية كبيرة، وكل كفر فسق، وليس كل فسق كفرا، والمعاصي ثلاثة: كفر، وفسق، وصغيرة، ولكل حُكْمٌ.

---

(١) بمعنى: يعني، ف، و.

(٢) بيناها: بينا، د، ف.

۞ الإعراب

يقال: كم وجهًا يجوز في قوله: «مَّا بَعُوضَةً»؟

قلنا: ثلاثة أوجه:

الأول: أنه صلة، وتقديره: مثلاً بعوضة [فَمَا] فوقها.

الثاني: أن يكون نكرة مفسرة بالبعوضة، كما يكون نكرة موصوفة، في قولك: مررت بما هو خير منك.

الثالث: أن يكون بمعنى (الذي)، كأنك قلت: الذي هو بعوضة، والاختيار أنه صلة عند البصريين، وأجازه الكسائي والفراء وثعلب.

ويقال: كم وجهًا في نصب (بعوضة) ورفعها؟

قلنا: يجوز النصب من ثلاثة أوجه:

الأول: المفعول الثاني من يضرب عند البصريين.

الثاني: أن يكون معرفة بتعريف (ما) كما قال حسان:

وَكَفَى بِنَا فَضْلاً عَلَى مَنْ غَيْرِنَا ... حُبُّ النَّبِي مُحَمَّدٍ إِيَّانَا

واختار هذا الوجه ثعلب والزجاج، وعلى هذا يجعل (ما) اسمًا تامًّا، وينصب (بعوضة) بنصبها.

الثالث: أجازه الكوفيون، وهو النصب على إسقاط الخافض، كأنه قيل: ما مِنْ بعوضة فما فوقها.

فأما رفع (بعوضة) فيجوز من وجهين:

أحدهما: أن يكون خبر لـ(هو) في صلة (ما)، كأنه قيل: الذي هو بعوضة.

والثاني: على الجواب، كأنه قيل: إن الله لايستحي أن يضرب مثلا، فقيل: ما هو؟ فقيل: بعوضة فما فوقها، كما يقال: مررت برجلٍ زيدٌ، أي هو زيد، و(ما) ههنا يجوز أن تكون كافة للفعل، فيستأنف الكلام بعدها، وهو على معنى المفعول.

ويقال: لم دخلت الفاء في قوله: «فَيَعْلَمُونَ»؟

قلنا: لأنها جعلت جوابًا لما فيها من معنى الجزاء، كأنك إذا قلت: أما زيد فهو قائم، فتقديره مهما يكن من شيء فهو قائم.

ويقال: كيف جواب «مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا»؟

قلنا: فيه وجهان، وذكرهما سيبويه والأخفش:

أحدهما: أن تجعل (ما) و(ذا) بمنزلة اسم واحد، فيكون جوابه نصبًا.

والثاني: أن يكون (ذا) بمعنى (الذي) فيكون الجواب رفعًا، وجاء القرآن بالتقديرين جميعًا في: ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ﴾ [النحل: ٣٠]، وفي موضع آخر: ﴿قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [النحل: ٢٤]؛ فالنصب كأنه قيل: أي شيء أنزل ربكم؟ وعلى الرفع: أيّ شيء الذي أنزل ربكم؟

ويقال: بم انتصب «مَثَلًا»؟

قلنا: قال ثعلب: بأنه قطع، وقيل: انتصب بأنه تفسير، وقيل: بأنه حال.

۞ النزول

قيل: لما ضرب الله تعالى المثلين للمنافقين، قالوا: الله أجل من أن يضرب هذه الأمثال، فنزلت هذه الآية، عن ابن عباس وابن مسعود.

وقيل: لما ضرب الله المثل بالذباب والعنكبوت تكلم قوم من المشركين، وعابوا ذكره، فأنزل الله هذه الآية، عن الحسن وقتادة.

۞ النظم

يقال: كيف تتصل هذه الآية بما قبلها في ذكر المثل؟

قلنا: على ما روينا عن ابن عباس رضي الله عنه[1] وابن مسعود: تتصل بما قبلها

(١) رضي الله عنه: ـ، و.

في ذكر المثل، وعلى ما روينا عن الحسن في سبب نزولها، كأنه لما ذكر القرآن وتحداهم به، وأنه كلام الله تعالى، وذكر فيه فصاحته، واحتج عليهم به، وكان ذكر هذه الأمثال فيه شبهة لهم في ذلك، فذكر جوابها منبهًا أنه لا عيب فيه؛ لأنه طريق البيان والاحتجاج، فيستوي الصغير والكبير.

۞ المعنى

«**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً**» قيل: لا يدع ولا يترك، عن أبي علي، وقيل: لا يخشى، وهو مجاز في الوجهين، وقيل: ليس في ضرب المثل بهذه الأشياء عيب يُسْتَحْيَى منه، فتقدير الكلام ليس محله في ضرب هذا المثل محل ما يستحيى منه، فوضع «**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي**» موضع ذلك، فيكون الاستحياء على حقيقة ما قد بيناه «**بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا**» يعني إذا كان المثل للبيان والحكمة، فالصغير والكبير فيه سواء، وقيل: البعوضة إذا جاعت سمنت، وإذا شبعت ماتت، كذلك هؤلاء المنافقون إذا امتلؤوا من الدنيا أخذهم الله، ثم تلا: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً﴾ [الأنعام:٤٤]، عن الربيع وعن أنس، «**فَمَا فَوْقَهَا**» قيل: فوقها في الكبر، عن قتادة وابن جريج، قالا: والبعوضة أضعف خلق الله تعالى، وقيل: فما فوقها في الصغر؛ لأن الغرض المطلوب ههنا الصغر «**فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا**» يعني: صدقوا بمحمد والقرآن، وقبلوا الإسلام «**فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ**» مدحهم بأنهم تدبروا حتى علموا أنه من ربهم، وأنه واقع في حقه «**وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا**» ذمهم على الإعراض عن طريق الاستدلال وإنكارهم ما هو الصواب، فقال: «**وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا**» يعني بالقرآن والإسلام «**فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً**» أي: ماذا أراد بهذا المثل؟ فحذف الألف واللام، «**يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا**» قيل: هي تتصل بما قبلها على طريق الحكاية عنهم، وقيل: بل كلامه تعالى ابتداء، وكلاهما محتمل، والمعنى: قيل: يهلك ويعذب بالكفر به كثيرًا، بأن يضلهم عن الثواب وطريق الجنة بسببه فيهلكوا، ويهدي إلى الثواب وطريق الجنة كثيرًا بالإيمان، عن أبي علي، وقيل: «**يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا**»، وإنما أضاف ذلك إليه؛ لأن الضلال والهداية كانا عند نزوله، كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ﴾ [التوبة: ١٢٥] والآيات لا تزيدهم رجسًا، ولكنهم

ازدادوا عندها، فأضيف إليه، وكقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦] يعني: ضلوا عنده، عن الأصم وأبي مسلم، والضلال في الأصل هو الهلاك، «وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ» قيل: لا يهلك به إلا من كفر وفسق، وقيل: لا يضل عنده إلا الفاسقون، والفاسق من خرج من طاعة الله إلى معصيته، ومن ولايته إلى عداوته.

۞ الأحكام

الآية تدل على إبطال قول أصحاب المعارف؛ لأنه تعالى مدح المؤمن بالعلم، وفرق بينه وبين الكافر، ولو كان الجميع سواء في المعرفة لما صح ذلك.

ويدل قوله: «وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ» على أن الفسق اسم شرعي؛ لأنه أخرجه مخرج الذم. وتدل على أنه تعالى يعاقب الفاسق لا محالة، بخلاف قول المرجئة.

وتدل على أن الضلال من الله يكون عقابًا.

وتدل على أن بيان الأدلة وحل الشبه يجوز بما دق وجل، بعد أن يحصل الغرض المطلوب.

وتدل على أنه لايُضِلُّ إلا الفاسق، خلاف قول المجبرة: إنه يضل المؤمن أيضًا.

قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾

۞ اللغة

النقض والهدم والكسر نظائر، وهو إفساد ما أَبْرَمْتَ، ونقيضه الإبرام، وهو الإحكام للبناء، ومنه نقض المذهب والدليل، كأنه ليس له أصل يرده إليه، ويهدمه ما يضاده.

والعهد: الأمر، والعهد: الوصية، والعهد: الموثق، والجمع: عهود، وأصله العقد.

والميثاق والعهد والعقد نظائر، وأصله الوَثَاقَةُ، وهي إِحكام الشيء، والميثاق: ما وقع التوثيق به، كالميقات ما وقع التوقيت به، وكل مكلف فقد أخذ الله عليه الميثاق بشيئين: بما ركب في عقله من الدلائل والآيات على الصانع المنعم، والثاني: بالأوامر والنواهي على ألسنة الرسل.

والقطع: نقيض الوصل، ونظيره الفصل، يقال: قطعه فانقطع، وقطع بالتخفيف في القليل، وقَطَّعَ بالتشديد في الكثير والمبالغة، والقطع الفصل بين الشيئين.

والوصل الجمع بينهما، ونظيره الجمع والضم.

والأمر هو قول القائل لمن دونه: افعل هذا بصيغة[1] الأمر، ثم يصير أمرًا بإرادة الآمر المأمور به، وصيغة الأمر تستعمل في غيره فيقع على الفرض، نحو: «**أَقِيمُوا الصَّلَاةَ**»، والنفل، كقوله: ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤] والإباحة: كقوله: (**فَكُلُوا**)، والتهديد: كقوله: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠] والتحدي كقوله: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣]، والتكوين: كقوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧] والأصل في الجميع الطلب، وحقيقة الأمر في القول، ومَجَازٌ في الفعل كقوله: ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود: ٩٧]؛ لأنه لا يتصرف ولا يطَّرِد كاطراده في القول، يقال في القول: أمر يأمر أمرًا، ونقيضه النهي، وقيل: الأمر على الوجوب عن أكثر العلماء، وقيل: على الندب، عن أبي علي وأبي هاشم، وقيل: على التوقف، وليس بشيء.

والخسران: نقيض الربح، خسر خسرانًا، ومنه: ﴿كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [النازعات: ١٢] أي غير مربحة، وحقيقة الخسران ذهاب رأس المال.

۞ الإعراب

يقال: ما موضع (الذين) من قوله: «**الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ**»؟

قلنا: نصب؛ لأنه صفة للفاسقين، ويصلح الرفع على الذم، ويكون خبره «**أولئك هم الخاسرون**».

ويقال: ما معنى (مِنْ) في قوله: «**مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ**»؟

قلنا: قيل: صلة وزيادة، وقيل: معناها ابتداء الغاية، كأنه قيل: ابتداء النقض للعهد.

ويقال: ما موضع (أن) في قوله: «**أَنْ يُوصَلَ**»؟

قلنا: تحتمل الخفض بدلاً من الهاء في قوله: (به)، أي أمر الله بأن توصل، ويحتمل النصب، أي أمر الله وصله.

---

(١) بصيغة: صيغة، ف، و.

۞ المعنى

ثم وصف تعالى الفاسقين الذين تقدم ذكرهم فقال تعالى: «الَّذِينَ» يعني هم الذين «يَنقُضُونَ» يهدمون، يعني لا يفون به «عَهْدَ اللَّهِ» قيل: ما ركب في عقولهم من أدلة التوحيد، وقيل: ما قدم إليهم على ألسن الرسل من صفة محمد ﷺ وما ذكر في التوراة والإنجيل ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عمران: ٨١] ويقال[١]: أوامره لهم ونواهيه، عن أبي مسلم، يقال: عهد الله: أي أمره، ونقض العهد هو ترك العمل به. فأما من قال: إنه العهد الذي أخذه الله تعالى على ذرية آدم حين أخرجهم من صلب آدم فليس بصحيح؛ لأن أحدًا لا يتذكره، ولا عليه دليل، فكيف يكون حجة؟

ويقال: من الموصوف بهذه الصفات[٢]؟

قلنا: قيل: أحبار اليهود، ومنهم المنافقون، وقيل: جميع الكفار.

«مِنۢ بَعْدِ مِيثَاقِهِۦ» أي من بعد توكيده عليهم، والهاء في قوله: (مِنۢ بَعْدِ مِيثَاقِهِۦ) قيل: تعود على اسم الله تعالى، يعني أنه وكده عليهم، وقيل: ترجع على الميثاق والعهد، وكلاهما حسن «وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِۦ أَن يُوصَلَ» قيل: أُمِرُوا بصلة النبي ﷺ والمؤمنين فقطعوهم، عن الحسن، وقيل: قطعوا رحم رسول الله بعداوته بغضًا وحسدًا، عن أبي مسلم، وقيل: أمروا بصلة الأرحام فقطعوها، عن قتادة، وقيل: أمروا بالإيمان بجميع الأنبياء والكتب ففرقوا، وقطعوا ذلك، وقيل: هو عام في جميع ذلك؛ إذ لا مانع من حمله على الجميع، «وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ» قيل: استدعاؤهم إلى الكفر هو الفساد، وقيل: عملهم به، وقيل: ما يحدث بسبب كفرهم من إخافة السُّبُل، وقطع الطرق وأنواع الظلم مما يمنع منه الإيمان، «أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» أي أهلكوا أنفسهم فهم[٣] بمنزلة من هلك رأس ماله، وقيل: فاتتهم الجنة واستوجبوا النار، فكانوا خاسرين.

---

(١) ويقال: وقيل، د، ز.

(٢) الصفات: الأوصاف، ز، ف.

(٣) فهم: فهو، د، ز، و.

۞ الأحكام

الآية تدل على وجوب الوفاء بالعهد وقبح نَقْضِهِ، فيدخل فيه أوامر الله تعالى، وتدخل فيه النذور والأيمان والمعاقدات.

وتدل[1] على وجوب صلة الرحم وصلة المؤمن وقبح قطعه.

وتدل على أن من عصى الله فقد استوجب النار، ومن دخلها فقد خسر خسرانًا مبينًا.

قوله تعالى:
﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾

۞ القراءة

قرأ يعقوب في الياء والتاء[2] بفتحها على أن الفعل لهم في جميع القرآن، وقرأ الباقون بضم الياء والتاء وفتح الجيم على ما لم يسم فاعله، إلا في أحرف اختلفوا فيها.

۞ اللغة

الموت ضد الحياة، وهما يتعاقبان على الجملة، ولا خلاف أن الحياة عَرَضٌ يحيا به الإنسان وسائر الحيوانات، ولا يقدر عليه إلا الله تعالى، فأما الموت فالأكثر على أنه عرض يضاد الحياة؛ ولذلك قال: ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك: ٢]. وقيل: ليس بمعنى، عن أبي هاشم.

والرجوع في الشيء: هو العود اليه.

۞ الإعراب

«كَيفَ» في الأصل سؤال عن الحال يوضح ذلك الجواب إذا قيل: كيف رأيت

---

(١) وتدل: فتدل؛ د، ز، ف، و.

(٢) يعني في (ترجعون) و(يرجعون).

زيدًا؟ فتجيب بأحواله: مسرورًا أو مهمومًا وما أشبهه، و(كيف) ينتظم جميع الأحوال، كما أن (كم) ينتظم جميع الأعداد، و(ما) ينتظم جميع الأجناس، و(أين) ينتظم جميع الأماكن، و(من) ينتظم جميع ما يعقل. (كان): شبيه فعل ماض، وعمله أن يرفع الاسم وينصب الخبر، [تقول]: كان زيد قائمًا، وتصريفه: كان يكون كونًا فهو كائن، و(كان) على أربعة أوجه: تامة، وناقصة، وزائدة، ومضمنة، فالتامة هي المكتفية باسمها دون خبرها، كقولك: كان القتال، يعني حَدَثَ ووقع، والناقصة: هي التي لا تتم دون خبرها كقولك: كان زيد أميرًا، والزائدة: ما يكون دخولها كخروجها إلا بمقدار ما توجبه من التوكيد، كقولك: ما كان أَحْسَنَ زيدًا!، ومنه: ﴿مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩] أي كيف نكلم من في المهد صبيًّا، والمضمنة: هي التي يُضَمَّنُ فيها ضَمِيرٌ يُفَسِّرُهُ ما بعده، وسمي ضمير المجهول؛ لأنه يضمن عن الذِّكر على شريطة التفسير. حكى سيبويه: كان أنت خير منه، كأنه قال: الأمر والقصة، ثم فسره فقال: أنت خير منه، و[هو إن] كان يتصرف تصرف الفعل فليس بفعل على الحقيقة وإنما يدل على الزمان، ويدخل على الابتداء والخبر، قلت: زيد مسرور، ثم تقول: كان زيد مسرورًا، كأنك تريد فيما مضى من الزمان، وتدخل زائدة للتأكيد، وتعمل كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٥].

ويقال: لِمَ جاز تقديم خبر (كان) دون (ليس)؟

قلنا: لأن (كان) تتصرف فجاز تقديم خبره، تقول: راكعًا كان زيد، و(ليس) لا يتصرف.

ويقال: ما الواو في قوله: (وَكُنْتُم)؟

قلنا: قيل: واو الحال، عن الفراء والزجاج، وقالا: لا بد من إضمار، كأنه قيل: وقد كنتم أمواتًا، كقوله: ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء: ٩٠] أي قد حصرت، وموضع الواو على هذا القياس نصب، كأنه قيل: كيف تكفرون بالله كائنين أمواتًا مرة وأحياءً مرة.

۞ المعنى

ثم عاد في الاحتجاج على الكفار في إنكارهم البعث، فقال: «كَيْفَ تَكْفُرُونَ»

قيل: هو توبيخ، وقيل: تعجيب[١]، تقديره: عجبًا منهم أُدخلوا محل من يتعجب منه أو عُجِّبُوا منهم[٢]، وقيل: فيه معنى التوبيخ والتعجيب بالله. «وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ» قيل: نطفًا فأحياكم في الدنيا، «ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ» يوم القيامة، عن قتادة والأصم والأخفش وأبي علي، وقيل: لم تكونوا شيئًا فخلقكم «ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ» يوم القيامة، عن ابن عباس وابن مسعود، وقيل: يحتمل قوله: (يُحْيِيكُمْ) الحياة في القبر، فتدل على عذاب القبر، عن أبي علي، وتقديره: كنتم نطفًا فأحياكم في الدنيا، «ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ» في القبر، «ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» في الحشر.

ومتى قيل: لِمَ ذكر حياتين، وهي ثلاث؟

قلنا: لم ينف الثالثة فهي مسكوت عنها، وقيل: «تُرْجَعُونَ» كناية عن الحياة الثالثة؛ ولذلك عطف بحرف (ثم)، وقيل: لم يذكر حياة القبر[٣] لقلتها بالإضافة إلى غيرها في الحياة، كما لم يذكر من أحياه في الدنيا في قوله: ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ [البقرة: ٢٤٣] كأنه لم يعتد بها لقلتها، وقيل: لأنه لم يعتد بها؛ لأنها في حكم الحياة الأولى، وقيل: لأنه ذكر هذا على سبيل الحجاج فذكر ما اقتضاه الحجاج دون التطويل من غير فائدة، وقيل: أراد[٤] بالموتة الأولى بعد الحياة، وأحياكم في القبر، ثم يميتكم، ثم يحييكم يوم القيامة، عن أبي علي.

ومتى قيل: كيف عد الموت من النعم، وهو يقطع النعم؟

قلنا: لأنه يقطع التكليف، فيصل المكلف إلى الثواب الدائم، فهو نعمة من هذا الوجه، وقيل: ذكر الموت لتمام الاحتجاج.

۞ الأحكام

يدل قوله: «كَيْفَ تَكْفُرُونَ» على أن الكفر فِعْلهُمُ لذلك ذمهم به ووبخهم عليه.

---

(١) في اللسان (عجب): «و عَجَّبَهُ بالشيء تَعْجِيبًا: نبهه على التعجب منه».
(٢) عجبوا منهم: أعجبوا بهم، د، ز، ف، و.
(٣) القبر: ـ، د، ف.
(٤) أراد: ـ، د، ز.

ويدل قوله: «ثُمَّ يُحْيِيكُمْ» على عذاب القبر من الوجه الذي بينا؛ لأنه لو حمل على الحياة في الجنة لم يستقم قوله: «ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ»؛ لأن تلك الحياة يقترن بها الرجوع.

ويدل قوله «ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» على إثبات المعاد.

وتدل الآية على أنه تعالى أنعم على الكفار؛ لذلك عد عليهم ما عَدَّ بخلاف قول المجبرة: إنه[1] لا نعمة له على الكفار، ولا يُحْمَلُ على نعم الدنيا؛ لأنه إذا كان خلقه للنار لم يعتد بنعم الدنيا؛ لأنه كالخبيص[2] المسموم، ولأن تلك النعمة تنحط بالإساءة العظيمة.

وتدل على أنه قادر على الإحياء الثاني من حيث قَدَرَ على الإحياء الأول.

وتدل على أن عِظَمَ النعمة يوجب عظم معصية المنعم، لذلك قال: «كَيْفَ تَكْفُرُونَ».

قوله تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾

اللغة

الجمع والضم نظائر، ونقيض الجمع الفرق، ويقال: جمعه جمعًا، وَفَرَقَهُ فرقًا، ومنه الجمعة؛ لاجتماع الناس في ذلك اليوم، وَجَمُعَ موضع بمكة سمي لاجتماع الناس فيه. والاجتماع والافتراق عرضان من جنس الألوان، يدلان على حَدَثِ الجسم.

والاستواء والاعتدال والاستقامة نظائر، ونقيضه الاعوجاج، والاستواء في اللغة ينصرف على أربعة أوجه: استوى: استقام، وهو الأصل، واستوى: قصد، واستوى:

---

(١) بخلاف قول المجبرة إنه: خلاف ما يقوله أهل الجبر لأنه، ف.

(٢) نوع من الحلواء. انظر اللسان (خبص).

استولى، واستوى: صعد وعلا، أما الأول: فيقال: استوى أمره، أي استقام، ويقال: دبر أمر العراق، ثم استوى الشام، أي قصد، كأنه مر على الاستقامة، وفي الاستيلاء يقال: استوت له الأمور كأنه استقام له واستوى على سريره، أي علا كأنه استقام عليه، والتسوية: التقويم، وحقيقتها جعل الشيء على الاستواء.

والسبع للمؤنث، والسبعة للمذكر، وقد جاء التأنيث والتذكيرعلى خلاف الأصل.

وعليم: فَعِيل من عَلِمَ، ومعناه عالم، غير أن في «**عليم**» مبالغة ليست في «**عالم**».

۞ الإعراب

يقال: لِمَ قال: «**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ**» على لفظ الواحد، ثم قال: «**فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ**» على لفظ الجمع؟

قلنا: فيه قولان:

أحدهما: أن معنى السماء معنى الجمع، وإن كان مخرجها مخرج الواحد؛ لأنها اسم للجنس كقولك: أهلك الناسَ الدينارُ والدرهمُ.

والثاني: قيل: هي جمع، واحدها سماوة وسماة[1]، وذكر قطرب ما لفظه لفظ الواحد ومعناه معنى الجمع، نحو قوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤] وقال: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ﴾ [الشعراء: ٧٧] وقال تعالى: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦].

۞ المعنى

ثم احتج تعالى حجة بالغة، وَعَدَّ عليهم نعمًا سابغة، فقال: «**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا**» الخطاب للمكلفين؛ لأنه تعالى خلقهم للعبادة وتعريضًا للثواب، وخلق سائر الحيوانات والجمادات لمنافعهم إما في الدين وإما في الدنيا، فجميع ما

(١) انظر اللسان (سما)، وقد نسب هذا الرأي لأبي إسحاق.

في الدنيا لهم، وهو نعمة من الله تعالى عليهم فمنه ما فيه منافع الدنيا والدين كالخلق والإحياء، والشهوة والقدرة والعقل ونحوها، ومنه ما ينتفع به في الدنيا كالأطعمة والأغذية والحيوانات، وإن كان إذا نظر فيه وَعَلِمَ أن له صانعًا تحصل له منافع الدين، ومنه ما فيه منفعة دينية كالنعمة والديانات، ومنه ما فيه منفعة من حيث الاعتبار كالسباع والحيات، فإذا كان جميع هذه النعم منه وجب أن نشكره بأقصى ما نقدر عليه. «**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ**» أي قصد وعمد عن أكثر أهل العلم، وعن ابن عباس صعد أمره، وقيل: ارتفع أمره على جهة علو وملك وسلطان، عن ابن زيد، والأول أوجه؛ لأن عليه أكثر أهل العلم، ولأن «**ثُمَّ**» تدل على أمر حادث «**فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ**» أي خلق سبع سموات «**وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**» قيل: لما بين قدرته بين كونه عالمًا؛ لأن بمجموعهما يتم خلق الأشياء، وقيل: لعلمه بكل شيء خلق العالم وما فيه لأغراض عظيمة، وقيل: خلق لكم منافع الأرض على علم بكم وبهم.

ومتى قيل: هل السماء غير الأفلاك أم هي الأفلاك؟

قلنا: الأفلاك سبع تحت السماء، وفوقها سبع سماوات مقر الملائكة، عن أبي علي وغيره من أهل العلم.

ومتى قيل: قد قال تعالى في موضع: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١]، ثم قال في موضع آخر: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠] بسطها فكيف يجمع بينهما؟

قلنا: إنه تعالى خلق الأرض كشبه كرة، ثم خلق سبع سماوات، ثم دحا الأرض، ومعنى دحاها أي بسطها، عن الحسن وعمرو بن عبيد.

۞ الأحكام

الآية تدل على أنه تعالى خلق الأرض لعباده فدل على أنه تعالى يفعل الفعل لغرض مقصود.

وتدل على أن له على الكفار نعمًا يجب شكره خلاف من يقول: لا نعمة عليهم.

وتدل على أن صانع السماء والأرض قادر عالم.

وتدل على أن الأصل في الأشياء أنها على الإباحة؛ لأنه ذكر أنه خلقها

لمنفعتهم، ثم صار حظًا لكل واحد، وما تفرد به يحتاج إلى سبب ودليل، وقد قال قوم: جميع ذلك على الحظر، وقال بعضهم: على التوقف، والآية تدل على صحة ما قلنا.

وتدل على أنه تعالى عالم بكل شيء، فيبطل قول هشام بن الحكم: إنه عالم بالكائنات بعلم محدث.

قال الأصم: وتدل على البعث؛ لأن من قدر على خلق سبع سماوات من دخان قادر على البعث بعد الموت.

قوله تعالى:
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

القراءة

قراءة العامة «خَليفَةً» بالفاء، وعن بعضهم: (خليقة) بالقاف يعني خلقًا، وهذا وإن كان له معنى صحيح فلا يجوز القراءة به[1]؛ [لأنه لا تجوز القراءة] إلا بالمستفيض الظاهر على ما بينا.

اللغة

الملك: أصله من الرسالة، يقال: أَلِكْنِي إليه، أي أَرْسِلْنِي، والمأْلَكَةُ[2] الرسالة، وكذلك الألُوك، وأصله الهمز؛ قال الشاعر:

فَلَسْتُ لإِنْسِيٍّ وَلَكِنْ لِمَلأَكٍ ... تَنَزَّلَ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ

ثم حذفت الهمزة طلبًا للخفة لكثرة استعماله، فصار «**ملك**»، وهو الرسول،

(١) به: ـ، ف.
(٢) والمألكة: المالكة، د، ز.

ووزنه مَفْعَل؛ لأن أصله مَلْأَك حذفت الهمزة، وألقيت حركتها على ما قبلها، ولا يجوز استعمالها على الأصل إلا في ضرورة الشعر، والملك إن كان أصله الرسالة فقد صار صفة غالبة على صنف من رسل الله غير البشر، كما أن السماء وإن كان أصلها[1] الارتفاع صار اسمًا غالبًا للسماوات المعروفة.

والجعل والخلق والفعل والإحداث نظائر، جعل فهو جاعل، إلا أن الجعل يتعلق بالشيء لا على سبيل الإيجاد، بخلاف الفعل، والإحداث: الإيجاد، يقال: جعلته متحركًا، فحقيقة الجعل تغيير الشيء عما كان عليه، وحقيقة الفعل والإحداث الإيجاد.

والخليفة والإمام واحد في الاستعمال، وبينهما فرق، والخليفة مأخوذ من أنه خلف غيره يقوم مقامه كما قيل: أبو بكر خليفة رسول الله، والإمام مأخوذ من التقدم سمي به لأنه متقدم على الجماعة، ويجب طاعته. والخلف بنصب اللام من الصالحين، وبسكون اللام من الطالحين؛ قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾ [الأعراف: ١٦٩]، والخليفة من اسْتُخْلِفَ مَكَانَ مَنْ قَبْلَهُ، ويقوم مقامه. والجن كانت عمار الأرض وسكانها فخلق الله تعالى آدم وذريته خليفة منهم يعمرونها ويسكنونها.

والسفك والسفح والصب نظائر، سفك الدم يَسْفِكُ سَفْكًا، وهو صب الدم، والدم أحد الأخلاط الأربعة في البدن التي بها قوام الأبدان فيما أجرى الله تعالى العادة به في تدبير الحيوان، يقال: دَمُ ودَمَانِ ودِمَاء، ووزنه فَعْلٌ مثل ضَرْب، وأصله دَمْيٌ، وإنما حرك لإقامة الوزن، وقيل: وزنه فَعَلٌ كأنه دَمَيٌ في الأصل.

والتسبيح التنزيه، وهو براءة الله من كل سوء، وسبحان الله تنزيه له عما لا يليق به من الشريك والصاحبة والأفعال القبيحة، ثم يراد بالتسبيح الصلاة، وأصله السبح وهو الجري في الشيء، فكأن المسبح يجري في تنزيه الله وتعظيمه، وهو السبوح المستحق للتنزيه والتعظيم.

والتقديس: التطهير، ونقيضه التنجيس، والقدس منه، والقدوس: المقدس أي المطهر، وتقديس الله تنزيهه عن القبائح وصفات النقص قال رؤبة:

---

(١) أصلها: أصله من، ز، و.

دَعَـوْتُ رَبَّ الـعِـزَّةِ الـقُـدُّوسَـا ... دُعَـاءَ مَـنْ لاَ يَـقْـرَعُ الـنَّـاقُـوسَـا

الإعراب

يقال: ما معنى: (إذ) في قوله: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ)؟

قلنا: فيه خلاف، قال أبو عبيدة: هي زائدة، ومعناها: وقال ربك، و(إذ) حرف[1] من حروف الزيادة، قال الشاعر:

فَـإذا وذَلِـكِ لا مَـهَـاهَ لِـذِكْـرِهِ ... فـالـدّهـرُ يُـعْـقِـبُ صَـالِـحـا بـفـسـاد[2]

يقال: ليس لعيشتنا مهة ومهاة، أي ليس له حسن أو نضارة.

وقال غيره: تأويلها الدلالة على الوقت الماضي، قالو: ولا تحمل على الزيادة ولها معنى صحيح، والبيت الذي استشهد به قيل معناه فإذا ما نحن فيه وذاك.

وقد استشهد أبو عبيدة ببيت آخر، وهو قول عبد مناة بن مربع، وقيل: ابن ربع:

حَـتَّـى إذَا أَسْـلَـكُـوهُـمْ فِـي قُـتَـائِـدَةٍ ... شَـلاًّ كَـمَـا تـطْـرُدُ الـجَّـمـالَـةُ الـشُّـرُدا[3]

فقيل ردًّا عليه: هذا الذي ذكره ليس بصحيح، لأن (إذا) حرف يأتي بمعنى الجزاء ويدل على مجهول من الوقت، ولا يجوز إبطال حرف كان دليلاً على معنى في الكلام إلا لضرورة، وليس المعنى على ما ظن، بل لو حمل «إذا» في البيتين على البطلان بطل معنى الكلام الذي أراد الشاعر؛ لأن الأسود أراد بقوله: (وإذا) الذي نحن فيه وما مضى من عيشنا، وأراد بقوله (ذلك) الإشارة إلى ما تقدم وصفه من عيشه الذي كان مهاة لذكره يعني: لا طعم له ولا فضل لإعقاب الدهر ذلك بفساد، قال الزجاج والرماني: أخطأ أبو عبيدة؛ لأن كلام الله لا يجوز أن يحمل على اللغو مع إمكان حمله على زيادةٍ فائدةٍ، قال: ومعنى (إذ) الوقت، وهي اسم كيف يكون لغوا، قال: والتقدير الوقت[4].

---

(١) حرف:ـ ، د.

(٢) البيت للأسود بن يعمر في التبيان ١/ ٨٢١ في المطبوعة (مهاة) والصحيح ما ذكرنا كما عن المفضليات.

(٣) البيت قائله عبد مناف بن ربع الهزلي انظر اللسان (إذا) خزانة الأدب ٧/ ٣٩.

(٤) أن يحمل. . . الوقت: ـ ، ز، ف.

ويقال: (إذ) لما مضى، و(إذا) لما يستقبل، فيوضع أحدهما موضع الآخر، وقال المبرد: إذا جاء (إذ) مع المستقبل كان معناه على الماضي كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ﴾ [الأنفال: ٣٠] و(إذا) متى جاء مع الماضي كان معناه المستقبل كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ﴾ [النازعات: ٣٤] و﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ [النصر: ١].

ويقال: ما العامل في (إذ)؟

قلنا: محذوف، تقديره: واذكر إذ قال، وقيل: لما ذكر خلق السماوات دل على ابتداء الخلق، فكأنه قال: وابتدأ خلقكم إذ قال، وقيل: وهو عليم بأحوالكم إذ قال، وفي الوجه الأول في الكلام دليل على المحذوف؛ لأن قوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢٨] تقديره: اذكر كيف تكفرون، قال الشاعر:

فَإِنَّ المَنِيَّةَ مَنْ يَخْشَهَا فَسَوْفَ تُصَادِفُهُ أَيْنَمَا

يعني أينما ذهب، فحذف لدلالة الكلام عليه.

ويقال: ما الألف في قوله: «**أَتَجْعَلُ فِيهَا**»؟

قلنا: ألف إيجاب عن أبي عبيدة والزجاج، كقول جرير:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا وَأَنْدَى العَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ

فهذا[1] إيجاب[2] وليس باستفهام، وقال غيرهما: هو ألف استفهام كأنهم قالوا: أتجعل فيها من يفسد وهذه حالنا في التسبيح أم الأمر بخلاف ذلك؟ فجاء الجواب على طريق التعريض بالمعنى من غير تصريح به في قوله: (أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) والصواب هو الثاني، وإنما غلط من زعم أنها ألف إيجاب؛ لأنه تعالى قال: «**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**» ولا يجوز أن يَشُكُّوا ويستفهموا، وهذا لا يصح؛ لأن الاستفهام لا يوجب الشك في أنه سيجعل، وإنما يوجب الشك في أن حالهم يكون مع الجعل وترك الجعل سواء في الاستقامة والصلاح، أيضًا فإن أصله الاستفهام فلا

---

(١) فهذا: وهذا، ف.

(٢) يقصد أن الهمزة للتقرير أي: للتقرير بما دخله النفي.

يعدل عنه مع صحة المعنى، واللام في قوله: «وَنُقَدِّسُ لَكَ» قيل[١]: صلة، تقديره: نقدسك، وقيل: لام الإضافة، أي نقدس لأجلك ورضاك.

۞ النظم

قيل: اتصاله بما قبله أنه عد النعم والحجج، فبدأ بذكر خلق الإنسان وحياته، ثم بخلق جميع ما في الأرض، ثم بخلق السماوات، ثم بخلق آدم وإسباغ نعمه على بَنِيهِ، فكأنه قال: اذكر لهم كيف تكفرون بالله، وقد فعل وأنعم بكذا وكذا، وقيل: احتج عليهم بالتوحيد فجمع الأدلة في الأرض والسماوات. ثم عقبه بالأدلة في ابتداء الخلق وذكر آدم (عليه السلام).

وقيل: لما ذكر كفرهم[٢] وعصيانهم أتى بقصة آدم وَظَنِّ إبليس فيهم ما ظن محذرًا من تصديق ظنه واتباعه مع ظهور عداوته.

۞ المعنى

«وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ» أي اذكر يا محمد[٣] إذ قال ربك «لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً» أي خالق في الأرض، قيل: أرض مكة، وليس بصحيح، والمراد الأرض المعروفة «خَلِيفَةً» قيل: آدم وذريته خلفوا من الجن الذين كانوا يسكنون الأرض، وقيل: أراد مما يخلف بعضهم بعضًا، فكلما هلكت أمة خلفتها أخرى، وقيل: إن آدم يكون خليفة الله في الأرض يحكم بالحق، عن ابن عباس وابن مسعود، إلا أنه تعالى كان أعلم ملائكته أنه يكون من ذريته من يفسد بعد، وقيل: لما خلق الله السماوات والأرض وخلق الملائكة أسكن الجن الأرض والملائكة السموات ففسدوا في الأرض واقتتلوا فبعث الله جندًا من الملائكة فطردوا الجن عن وجه الأرض وسكنوا[٤] الأرض إلى أن قال تعالى ذلك لهم: [إنه] أراد خلق آدم «قَالُوا» يعني الملائكة لله تعالى: «أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا» بالكفر والمعاصي «وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ» بغير حق.

---

(١) قيل:ـ، د.

(٢) ذكر كفرهم: ذكرهم، ز، ف.

(٣) يا محمد: +، د.

(٤) يعني هولاء الملائكة، ومنهم إبليس. انظر تفسير البغوي ١/ ٧٨.

ومتى قيل: من أين علموا ذلك، وعلى أي وجه وقع السؤال؟

قلنا: فيه أقوال:

الأول: أنه تعالى أعلمهم أن في ذرية آدم من يفسد ويسفك الدماء، فسألوا هذا السؤال، عن السدي، ولا يقال: فليس في القرآن ذلك؟ قلنا: إذا لم يعلموا الغيب فلا بد أن ذلك علموه بتعليم الله تعالى إياهم مع قطعهم على ذلك.

الثاني: أنه ليس بقطع، ولكن لما فسد الجن قبلهم، وأراد تعالى خلق آدم وذريته قالوا: هل سبيلهم سبيل الجن في الفساد أم لا؟ فهو قياس منهم واستنباط؛ إذ رأوا أن فيهم الشهوة والقدرة وتردد الدواعي كالجن، والأول أظهر.

الثالث: أن في الكلام حَذْفًا واختصارًا، وتقديره: أتجعل فيها من يفسد أم تجعل فيها من لا يفسد؟ كقوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا﴾ [الزمر: ٩] يعني كمن هو غير قانت، فهو سؤال استفهام.

الرابع: أنهم لم يعلموا أن فيهم أنبياء ومصلحين حتى أخبرهم الله تعالى بذلك بقوله: «أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ».

الخامس: أشكل عليهم خَلْقُ مَنْ يعلم أنه يكفر ممن جميع أفعاله حسنة، ولا يجوز عليه القبيح، فسألوا عن ذلك.

السادس: أشكل عليهم خلق المفسدين مع الإمهال.

السابع: أشكل عليهم أن خليفة الله هل يجوز أن يكون مفسدًا فاسقًا أم لا؟ فسألوا.

الثامن: أنه لم يشكل عليهم شيء ولكن سؤالهم على وجه للمبالغة في إعظامه تعالى، فسألوا ألا يخلق من يعصيه، فأجاب وأخبر بأنه أعلم بالمصالح، وقيل: هو سؤال تعجيب، يعني كيف يعصي العبد خالقه؟

ومتي قيل: هل سألوا ذلك بإذن أم بغير إذن؟

قلنا: بل بإذن لهم في السؤال لما علم من مصلحتهم في ذلك فأجابهم بأني أعلم ما تعلمون.

«وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ» قيل: ننزهك عن صفات الأجسام، ونقدسك عن قبائح الأفعال، وقيل: نسبح: المراد التسبيح المعروف، عن قتادة، وقيل: هو الصلاة، عن ابن عباس، وقيل: ننزهك بإضافة النعم إليك، ونحمدك على ذلك، وقيل: ننزهك ونحمدك على ذلك؛ لأن نفع التسبيح عائد إلينا، وهو بتوفيقك، وقيل: ننزهك عما لا يجوز عليك، «وَنُقَدِّسُ» يرجع إلى المكلف أي كما ننزهك نطهر أنفسنا عن المعاصي ابتغاء مرضاتك، دليله «نُقَدِّسُ لَكَ»، يعني لأجلك ومرضاتك، عن أبي مسلم، وعلى المعنى الآخر اللام صلة، والتقديس يرجع إلى الله تعالى، وتقديره: نقدسك.

ويقال: هل فيه دلالة على أنهم سألوا أن يجعلهم بدلاً منهم في الأرض؟

قلنا: قيل: نعم؛ لأن تكليف أهل الأرض أخف، وقيل: سألوا ذلك بأن كان لهم فيه صلاح، عن أبي علي، وقيل: لا؛ لأنه حُكْمٌ بإرادتهم، وذلك لا يصح من غير دليل، وقيل: فيه تقديم وتأخير تقديره: نسبح ونقدس لك بحمدك، أي نفعل ذلك بهدايتك فنحمدك عليه. «قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ» قيل: يعلم أن في ذريته أنبياء وعلماء وأولياء، وقيل: أعلم منهم من عظيم حالهم في عمارة الدين والدنيا، وأنهم يبلغون محلاً من الكفاية لا يبلغه غيرهم «مَا لاَ تَعْلَمُونَ» فنسوا اختيار بعضهم لأبدع المصالح؛ لأن المعصية لا تعلق لها بالأرض فسواء كانوا في السماء أو في الأرض إذ كان المعلوم منهم أنهم يعصون، ولو علم أنهم لا يعصون لأسكنهم موضعًا آخر لفعل. وقيل: أعلم من المصالح، وأي موضع أصلح لهم ولكم ما لا تعلمون، عن أبي علي. وقيل: «أَعْلَمُ» من إضمار إبليس المعصية «مَا لاَ تَعْلَمُونَ»، وليس بالوجه[1]؛ لأنه لم يجر له ذكر.

۞ الأحكام

يدل قوله: «وَنَحْنُ نُسَبِّحُ» على أن الله تعالى[2] منزه عن الظلم والفواحش،

---

(١) بالوجه: بالوجيه؛ د، و؛ أوجه؛ ف.

(٢) أن الله تعالى: أنه تعالى، د.

خلاف مذهب الجبر أنه لا ظلم ولا فاحشة ولا فساد إلا من خَلْقِهِ وإرادته، ومع هذا كيف يصح التنزيه.

وتدل على أن خَلْقَ مَنْ يعلم أنه يكفر يكون حكمة وصوابًا.

ويدل قوله: (**أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**) على أنه لا يفعل القبيح؛ لأنه لو حسن منه كل شيء على وجه واحد لم يكن لهذا الكلام معنى، وإنما يكون مفيدًا في الجواب متى حمل على أني أعلم بالتدبير والمصالح فأفعل ما هو الأصلح.

وتدل على إثبات المكلف فإنه تعالى خاطبهم، وَالمَلَكُ حيوان معروف متميز عن سائر الخلق بالصورة، وبأنهم لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون، ولهم أجنحة، ولا نراهم للطافة التي فيهم، إلا أن يقوي الله شعاعنا، فنراهم كما يراهم المعاين، أو يحصل فيهم كثافة كما في زمن الأنبياء، ثم اختلفوا فقال أصحابنا: هم مكلفون ومختارون، وقال جماعة: مجبورون، واختلفوا، فقال أصحابنا: هم معصومون لقول الله تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] وقيل: غير معصومين، واختلفوا أهم أفضل أم المؤمنون؟ فقيل: المؤمنون أفضل منهم، وهو قول جماعة، وقيل: هم أفضل من المؤمنين، والأنبياء أفضل منهم، وقيل: الأنبياء والأئمة أفضل منهم وهو قول جماعة من الإمامية، وقيل: نبينا أفضل منهم فقط، وقيل: لا يعلم ذلك، ويتوقف فيه.

وعندنا: الملائكة أفضل من جميع الأنبياء؛ ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠]، ولقوله تعالى: ﴿أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ [الأعراف: ٢٠] وقوله تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢].

قوله تعالى:

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمرو ويعقوب: «**هؤلاء**» بمدة واحدة لا يمدونها إلا

على قدر خروج الألف، ويمدون أولاء كأنهم يجعلونه كلمتين، والباقون يمدون مدتين سواء في كل القرآن، فالأول للتخفيف من غير إخلال، والثاني على الأصل والتمام، فأما الهمزتان[1] من كلمتين نحو: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ﴾ وأشباهها، فأبو جعفر ونافع برواية ورش وابن كثير برواية القواس[2] ويعقوب يهمزون الأولى ويخففون الثانية ويشيرون[3] بالكسر إليها وكذلك يفعلون في كل همزتين متفقتين [في] كلمتين مكسورتين كانتا أو مضمومتين أو مفتوحتين، فأما المكسورة ﴿عَلَى ٱلۡبِغَآءِ﴾ [النور: ٣٣] إن، و﴿هَٰٓؤُلَآءِ إِن﴾، و﴿مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا﴾، والمفتوح و﴿جَآءَ أَحَدَكُمُ﴾ [الأنعام: ٦١] و﴿شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ [عبس: ٢٢]، والمضمومة في الأحقاف ﴿أَوۡلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ ليس في القرآن غيره.

وأبو عمرو وابن كثير برواية البزي يهمزون همزة واحدة، ويتركون إحداهما أصلاً إذا كانا متفقتين كما ذكرنا، ونافع برواية إسماعيل، وابن كثير برواية ابن فليح بتليين الأولى وتحقيق الثانية، وإذا اختلفتا فاتفقوا على أن تهمز الأولى، وتلين الثانية نحو: ﴿ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ﴾ [البقرة: ١٣] ﴿وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ﴾ [المائدة: ١٤] وأمال ابن عامر وحمزة وعاصم والكسائي فيهمزون همزتين في جميع ذلك متفقتين كانتا أو مختلفتين، أما الحذف والتليين فللتخفيف، والهمز على الأصل.

۞ اللغة

الأدمة في الناس شربة بسواد، وفي الظباء والإبل بياض[4]، والأدمة نحو السمرة، وأدمة الأرض وجهها، وآدم أبو البشر، وفي اشتقاق اسم آدم قولان: قيل: مأخوذ من أديم الأرض، فإذا سميت به في هذا الوجه ثم نكَّرته صرفته، وقيل: أخذ من الأَدَمَةِ على معنى اللون والصفة، فإذا سميت به ثم نكرته في هذا الوجه لم تصرفه.

والأسماء: جمع اسم، ومنه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

---

(١) الهمزتان: الهمزتين، د، ز، ف.
(٢) القواس: القولين، د، ز، ف، و. أنظر المبسوط في القراءات ص ١٢٨.
(٣) ويشيرون: يشترون، د، و.
(٤) بياض: ماض، ف، و.

و(كل): حقيقته[1] : الإحاطة بالأبعاض يقال: أبعض القوم أتاك[2] أم كلهم، وقد يكون تأكيدًا نحو أجمعين، إلا أنه يبدأ في الذكر بـ (كل) كقوله: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: ٣٠].

والعرض من قولك: عرضت الشيء عليه، وعرضت الجنة، قال الزجاج: العرض أصله في اللغة الناحية من نواحي الشيء، فمن ذلك العرض خلاف الطول سمي به بعض نواحي الثوب، فصلاً بينه وبين الطول، ويقال: عرضت المتاع على البيع عرضًا، أي أظهرته حتى عرفت جهته، وكلما أمررته على بصرك قلت فيه عرضته؛ لأنك ترى نواحيه، ومنه: أعرضت عنه؛ أي: تنحيت، وعِرْض الرجل قيل: هو ما يمدح به أو يذم، وقيل: خليقته المحمودة، وقيل: حسبه، قال علي بن عيسى: والذي عندي أنه ناحية الرجل التي يصونها عن المكروه والشَّيْن، وقيل: أصل العرض الظهور، فالعرض خلاف الطول لأن به يظهر، وعرضته على البيع أي أظهرته، والعرض ما يعرض في الأجسام ويغير صفته.

والإنباء الإخبار والإعلام، والنبأ بالهمز الخبر، وأنبأه أخبره، وإن لفلان نبأ أي خبرا، وقيل: النبأ لا يستعمل إلا في شيء عظيم شأنه، والصدق نقيض الكذب.

۞ الإعراب

يقال: الضمير[3] في قوله: «عَرَضَهُمْ» إلى ماذا يرجع؟

قلنا: قيل إلى الأشخاص وهم الجن والإنس وغيرهما، فَغَلَّبَهُمْ[4] على غيرهم، وروي أنه خلق الأشخاص وعرضهم عليه، قال ابن عباس: عرض الخلق، وقيل: فيه إضمار أراد أصحاب الأسماء، وفيه مَا لاَ[5] يعقل، فجرى على التغليب، عن مجاهد.

(١) حقيقته: حقيقة، د، ز.
(٢) أتاك: أباك، د، ز.
(٣) الضمير: الكتابة، د، ز، و.
(٤) فغلبهم: فعليهم، ز، و.
(٥) لا: ـ، ف، و.

وقيل: عرض الأسماء، وهذا لا يصح؛ لأن عرض [نفس] الأسماء لايمكن، ولأنه لا يقال: عرضهم في السماء.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ الله تعالى فضل آدم بما علمه، وأبان ذلك لملائكته فقال تعالى ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ يعني معاني الأسماء؛ إذ الأسماء من غير معانٍ لا تفيد، عن قتادة وغيره.

ومتى قيل: هذه الأسماء على العموم أم لا؟

قلنا: قيل: نعم، علمه الصناعات والآلات وعمارة الأرض والأطعمة والأدوية واستخراج المعادن وغرس الأشجار وأسماء الثمار ومنافعها وجميع ما يتعلق بعمارة الدين والدنيا، عن ابن عباس ومجاهد وأكثر المفسرين. وقيل: علمه أسماء الملائكة، عن الربيع، وقيل: أسماء ذريته، عن ابن زيد، والأول: أوجه؛ لعموم الأسماء، وليس عليه أكثر أهل العلم.

ومتى قيل: هل تدخل فيه اللغات؟

قيل لهم: نعم، عن أبي علي، فإنه تعالى علمه جميع اللغات فأخذ منه ولده، فلما تفرقوا تكلم كل قوم بلسان ألفوه، وتطاول[1] الزمان على مَنْ خالف ذلك فَنَسُوهُ[2]، فاللغات كلها أخذت من آدم، والصناعات ومنافع الأشياء[3] ومضارها، وقيل: علَّمه سائر اللغات إلا اللغة التي خوطب بها فإنها بمواضَعَةٍ[4].

ومتى قيل: كيف علَّمه الأسماء؟

قلنا: فيه خلاف، فقيل: بأن اضطره إلى العلم بها، وقيل: علمه لغة الملائكة، ثم إن الله علمه بتلك اللغة سائر اللغات.

---

(١) وتطاول: وتطال، د، ز.

(٢) فنسوه: فنسبوه، ف، و.

(٣) الأشياء: الاشيء، ز، و.

(٤) قال في تاج العروس (وضع): «والمواضعة: الموافقة في الأمر على شيء تناظر فيه، ويقال: هلم أوضعك الرأي: أي أطلعك على رأي وتطلعني على رأيك».

ومتى قيل: كيف علَّمه أسماء الأشخاص؟

قلنا: بأن أحضر ذلك الشيء وعلَّمه اسمه بكل لغة، وأنه لأي شيء يصلح، وأي نفع، وأي ضرر، وكذلك فعل آدم حتى علَّم الملائكة.

ومتى قيل: كيف علمت الملائكة أنه كما قال؟

قلنا: كانت تعرف بعض ذلك؛ لأن تكليفها كان متقدمًا، وقيل: كانت تلك اللغات ومعرفة المصالح متفرقة في الملائكة، كل فريق يتكلم بلغة، ويعلم بعض تلك الحرف، فلما أخبرهم بجميعها علموا صدقه، وقيل: كانت تعلم جميع ذلك بأن أخبرهم الله تعالى قبل خلق آدم، وقيل: بالمعجزة، وعلموا صدقه في ذلك.

ومتى قيل: هل كان ذلك معجزًا لآدم (عليه السلام)؟

قلنا: نعم لأنه خارج عن العادة، فإنه تعالى كما خلقه أكمل عقله وبعثه نبيًّا، وجعل معجزته ذلك.

«ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ» قيل: عرضهم بعد أن خلقهم، وقيل: صورهم لقلوب الملائكة «فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَء» أي أخبروني بأسماء هذه المسميات، وما يصلح كل شيء له.

ومتى قيل: ما الذي كَتَمَت[1] حتى قيل لهم هذا؟

قلنا: للعلماء فيه أقوال:

أولها: أنه تعالى لما أخبرهم أنه جاعل في الأرض خليفة هجس في نفوسهم أنه لو كان الخليفة منهم بدلاً من آدم وذريته لم يكن الفساد وأن ذلك أصلح لهم، وإن كان الله تعالى لا يفعل إلا الأصلح، فقال تعالى: ﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ فيما[2] ظننتم من هذا المعنى؛ ليدلهم على أنهم إذا لم يعلموا بواطن ما شاهدوه كانوا عن باطن ما غاب عنهم أبعد.

(١) كتمت: ادعوت، ف، و.

(٢) فيما: فبما، ز، ف.

الثاني: أنه وقع في نفوسهم لم يخلق الله خلقًا إلا كانوا أفضل منه في سائر أبواب العلم، فقيل: إن كنتم صادقين في هذا الظن فأخبروا بهذه الأسماء، عن الحسن وقتادة.

الثالث: إن كنتم تعلمون لم أجعل في الأرض خليفة، يُبَيِّنُهَا أن كل واحد من الأمرين[١] من علم الغيب، فكما لا تعلمون ذلك كذلك هذا، عن ابن عباس.

الرابع: إن كنتم صادقين فيما تخبرون به من أسمائهم كقولك: أخبرني بما في يدي إن كنت صادقًا، عن أبي علي والأخفش.

ومتى قيل: أنبئوني أمر على الحقيقة أم لا؟

قلنا: قيل: أمر مشروط، وقيل: معناه التنبيه، كل عالم[٢] يقول للمتعلم أخبرني بهذا، وهو يعلم أنه جاهل به لتنبيهه عليه ولشوقه إلى البحث وطلب العلم به، وليس بأمر ولا تكليف، وإنما هو تَحَدٍّ[٣] وتعجيز، عن أبي علي. وقد قال بعضهم: «إِنْ كُنتُمْ» معناها إذ كنتم، وهذا لا يصح؛ لأنه لو كان كذلك لكانت (إِنْ) منصوبة الألف، إنما معناها: إن كنتم محقّين[٤] صادقين[٥] فأخبروا، قاله الكسائي وجماعة من النحويين.

۞ الأحكام

الآية تدل على تفضيل آدم وما خصه الله تعالى به من العلم، وتدل على كونه نبيًا؛ لأن ذلك يتضمن نقض عادة الملائكة، فإذا ثبت ذلك فلا بد أن يكون مبعوثًا إلى أمة فيجوز أن يكون مبعوثًا إلى ذريته، ويجوز أن يكون مبعوثًا إلى من توجه التحدي إليهم من الملائكة، وإن كانوا رسل الله؛ إذ لا يتنافى كون واحد مرسلاً إليه ورسولاً كما في الأنبياء.

---

(١) لعله يقصد بالأمرين ـ والله أعلم ـ أسماء المخلوقات وإفساد ذرية آدم.
(٢) عالم: العالم، أ، و.
(٣) تحدٍّ: تحدي، ز، د، و.
(٤) محقّين: محققين، د، ز، ف.
(٥) صادقين: صدقين، د، ف.

وتدل على أنه أشكل على الملائكة أمر حالها فيما عرض عليهم من الأسماء وجملة إشكالهم لا يخلو من وجوه:

إما أن يرجع الإشكال إلى التمكين والتخلية، فتقول: ما وجه الحكمة في خلق من يفسد وتمكينه من الفساد؟ فأجابهم الله تعالى بأن المصالح تتعلق بالتمكين والتخلية، فإذا أمكن المكلف فاختار الفساد رجع الذم إلى سوء اختيارهم لا إلى التمكين.

وثانيها: أن يكون إشكالهم في اختيار الإنس عليهم بإسكان الأرض مع فضلهم في العلم والعمل، فأجاب بأن المصالح تنقسم إلى علوم الدين وعلوم الدنيا، والإنس يجمعون بين العِلْمَيْن، وعلم آدم ذلك ليعلموا أن هاهنا مصالح لا يصلح لها إلا الإنس، وأنهم أصلح لتدبير الأرض، وأن الملائكة لا يصلحون لتدبير الأرض وعمارتها كما يصلحون للعبادة.

وثالثها: أن يكون قولهم على وجه العيب لمن يخلقه تعالى ممن يفسد لكيلا يسكنوا الأرض ويسكنوا[1] بدلهم فأجاب تعالى بأن الاعتبار بالمصالح في فعله تعالى دون ما يختار المفسد؛ لأنه يزجرهم عن القبيح بما ركب في عقولهم، وبما يبعث الله إليهم من الرسل، وينزل من الكتب.

ورابعها: أن يكونوا أرادوا بيان فضلهم في معرفتهم بالتوحيد بأن فيهم من يوحد الله تعالى ويسبحه[2]، ويزيدون عليهم في العلم بمصالح الدنيا، ومن يختار الكفر فإنما أتي من قبل نفسه.

وخامسها: أن يكون إشكالهم أنه هل يميزهم أم لا؟ فأجاب أنه يميزهم في الدنيا بالأسماء والأحكام، وفي الآخرة بالثواب والعقاب، ثم عرض الأسماء ليعلموا ذلك.

ومتى قيل: إذا جاز أن يقال: علّم فهل يجوز أن يقال: معلم؟

قلنا: لا، وإن كان المعنى صحيحًا؛ لأنه في العرف اسم لبعض الحرف.

---

(١) ويسكنوا: يسكنون، ز، و.

(٢) ويسبحه: ويسبحونه، ف، و.

قوله تعالى:

﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾

اللغة

الحكمة: نقيض السفه، والإحكام: الإتقان، يقال: أحكم عمله إذا بالغ فيه فأصاب حقيقته، وأمر محكم: لا خلل فيه، ورجل حكيم، وأصله المنع من الفساد، ويوصف الله تعالى بأنه حكيم لوجهين: بمعنى عليم، فيكون صفة لذاته، وبمعنى مُحْكِم لأفعاله فيكون في صفات الفعل.

الإعراب

«سُبْحَانَكَ»: نصب على المصدر، أي نسبح سبحانك، عن الخليل، وقيل: على النداء أي يا سبحانك.

والكاف في قوله: **«إِنَّكَ»** محله نصب؛ لأنه اسم (إنَّ) وخبره: **«أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ»**.

المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى جواب الملائكة فقال: **«قَالُوا»** أي الملائكة **«سُبْحَانَكَ»** قيل: تنزيهًا لك من أن يعلم الغيب سواك، عن ابن عباس، وقيل: أرادوا أن يخرجوا الجواب بمخرج التعظيم فقالوا: تنزيهًا لك عن كل ما يقبح فعله، وإن كنا لا نعلم وجه الحكمة في أفعالك، عن أبي علي. **«لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا»** يعني لا علم لنا بما سألنا عنه من هذه الأسماء؛ إذ لم يكن فيها علمهم، فجاء على الاختصار كأنه قال: لا علم لنا إلا ما علمتنا، وليس هذا مما علمتنا، ولو قيل: لا علم لنا بهذا لكان جوابًا صحيحًا غير أن في هذا الذي أجابوا تعظيمًا لله تعالى، واعترافًا بأن علمهم من جهته وشكرًا له، وقيامًا بحقه **«إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ»** قيل: أنت العليم من غير تعليم؛ لأنهم أثبتوا له ما نفوه عن أنفسهم بقوله: (لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا) أي نحن المعَلَّمون وأنت العليم

من غير تعليم ومعلم، وقيل: أرادوا[1] تعظيمه بأنه عليم «**الْحَكِيمُ**» قيل: الذي يحكم أفعاله، فلا يدخلها فساد ولا خلل.

۞ الأحكام

الآية تدل على اعتراف منهم بالعجز لأنفسهم وبالعظمة له تعالى، وتدل على أن العلوم كلها من جهته تعالى، وإنما كان كذلك؛ لأنه إما أن يكون ضروريًّا فهو فعله تعالى، أو استدلاليًّا فهو الذي يقيم الأدلة؛ لأنه لولا الضروريات لما استقام الاستدلال، ولولا كونه حكيمًا لما صح نصبُ الأدلة فلذلك قالوا: أنت العليم الحكيم؛ ولهذا قلنا: إن المجبرة لما أضافت القبائح إلى الله تعالى لا يمكنهم معرفة الأدلة.

وتدل على أن الملائكة سألت وجه الحكمة ليقتدى بهم في السؤال؛ إذ السكوت عن الشبهة معصية، والسؤال عنها طاعة، وحل الشبهة واجب.

قوله تعالى:

﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٣٣﴾

۞ القراءة

قراءة العامة: «**أَنبِئْهُم**» بضم الهاء، وروي عن ابن عباس بكسر الهاء، أتبع الهاء كسرة الباء، ولم يعتدّ[2] بالهمز لخفائها.

ذكر الفراء في كتابه (معاني القرآن): إنْ هَمَزْتَ قلت: أنبِئْهُم، ولم يجز كسرالهاء؛ لأنها همزة وليست بياء، فيصير مثل (عليهم)، وإن ألقيت الهمزة فأثبت الياء أولم تثبتها جاز رفع (هم) وكسرها على ماوصفت لك في عليهِم، وعليهُم. والذي

---

(١) أرادوا: أراد، د، ز، ف.

(٢) يعتد: يجعل، ف، و.

ذكره هو قوله في سورة الفاتحة[(١)] وهما لغتان لكل لغة مذهب في العربية، فأما من رفع الهاء فإنه يقول: أصلها رفع في نصبها وخفضها ورفعها، فأما الرفع فقولهم: (هُم قالوا)، ذاك في الابتداء؛ ألا ترى أنها مرفوعة لا يجوز فتحها ولا كسرها، والنصب في قولك: (ضربهُم) [فهي] مرفوعة، ولا يجوز فتحها ولا كسرها، فتركت في (عليهم) على جهتها الأولى. وأما من قال: عليهم فإنه استثقل الضمة في الهاء وقبلها ياء ساكنة فقال: (عليهِم) لكثرة دور المكني[(٢)] في الكلام، كذلك يفعلون بها إذا اتصلت بحرف مكسور مثل بهِم وبهُم يجوز فيه الوجهان مع الكسرة والياء الساكنة، ولا تبال أن تكون الياء مفتوحا ماقبلها أومكسورا، فإذا انفتح ماقبل الياء فصارت ألفا في اللفظ لم يجز في (هُمْ) إلا الرفع مثل قوله تبارك وتعالى: ﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [يونس: ٣٠] ولا يجوز (مولاهِم) الحق، وقوله: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] لا يجوز فبهداهِم اقتده[(٣)] .

حكى سيبويه عن العرب: مِنْهِمْ، ولم يجعل بالنون، وقيل: إن ذلك لا يجوز كما لا يجوز اضربِهِم.

۞ اللغة

الإبداء والإظهار والإعلان نظائر، يقال: قد أظهر، ونقيضه الكتمان، وبدا له من الأمر أي ظهر ما لم يكن ظاهرًا، ومنه اشتق البداء، وذلك لا يجوز على الله تعالى؛ لأنه عالم بالأشياء لنفسه.

والكتمان والإسرار[(٤)] نظائر، ونقيض الكتمان الإعلان، وحقيقة الكتمان إخفاء الشيء في النفس.

۞ الإعراب

الألف في قوله: «أَلَمْ أَقُلْ» ألف تنبيه، كقولك: أما ترى النوم ما أطيبه. لمن يعلم

---

(١) +: الذي ذكره هو قوله في سورة الفاتحة، ز، ف.

(٢) يقصد الضمير.

(٣) ذكر الفراء في كتابه. . . . فبهداهم اقتده: ـ ، د، ف.

(٤) الإسرار: الإصرار؛ ز، ف.

ذلك فهي ألف تنبيه أصلها الاستفهام، وقيل: إنه ألف توبيخ، وليس بوجه؛ لأنه تعالى لا يوبخ ملائكته، ولا أنبياءه، كما لا يذمهم ولا يعاقبهم.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى ما كان من آدم عند عجز الملائكة فقال تعالى: «**قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِم**» أي أخبرهم بأسماء هذه المسميات «**فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ**» يعني أخبرهم آدم «**بِأَسْمَائِهِمْ**» باسم كل شيء ومنافعه ومضاره، قال الله تعالى للملائكة[1]: «**أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ**» تقرير عليهم بـ «**إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**» يعني ما غاب عنهم، «**وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ**» أي ما تظهرون، «**وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ**» يعني سرهم وعلانيتهم، عن أبي علي، وهو الوجه. وقيل: أعلم ما تبدون من قولكم: «**أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا**»، ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [المائدة: ٩٩] بما يضمره إبليس من المعصية والمخالفة وليس بالوجيه؛ لأن الخطاب للملائكة، وليس إبليس منهم، ولأنه عام، ولا يُخَصُّ إلا بدليل، وقيل: الذي أخفوه أنه لما خلق آدم مرت به الملائكة قبل أن ينفخ به الروح، فقالوا: لن يخلق الله خلقًا إلا كنا أكرم منه وأفضل، والذي أظهروه قوله: (أَتَجْعَلُ فِيهَا)، عن الحسن، وهذا أيضًا تخصيص من غير دليل.

ومتى قيل: كيف يكون رسولاً إلى خلاف جنسه، وإلى من هو أفضل منه؟

قلنا: كما جاز إرسال محمد ﷺ إلى الجن جاز إرسال آدم إلى الملائكة، ثم آدم رسول إليهم، وهم رسل إلى غيرهم كإبراهيم كان رسولاً إلى لوط، ولوط إلى غيره رسولاً، فلذلك قال تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، ولأن ذلك يتبع المصلحة لا الجنس.

۞ الأحكام

الآية تدل على عظيم موقع العلم وموقع النعمة به، فإن الملائكة لما رأوا علم آدم تذللوا له وعظموه، وتدل على أن ذلك كان مصلحة للملائكة أيضًا لولا ذلك لما بين لهم.

---

(١) للملائكة: ـ، د، ز، ف.

ويدل قوله: «أَنبَأَهُمْ» أنه تعالى بين لهم على وجه أزال شبههم، فلما رأوا فضله واتضح لهم خضعوا له.

وتدل على أن له معجزة عظيمة، فإنه لما فتق لسانه علمه جميع اللغات ومصالح الدين والدنيا، وقيل: إنه تعالى افتتح الإعجاز بالكلام في آدم، وختم به بإنزال القرآن على محمد.

قوله تعالى:
﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر «لِلْمَلَائِكَةُ اسْجُدُوا» بضم التاء حيث كان، وكذلك ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُمْ﴾ [الأنبياء: ١١٢] بضم الباء على نقل ضمة الهمزة إلى ما قبله، ولأنه كره كسرة التاء مع ضمة الجيم، والباقون بكسر التاء لالتقاء الساكنين، وأجمع النحويون على ضعف قراءة أبي جعفر، وقال بعضهم: لا يصح؛ لأن لام الإضافة تخفض الاسم كقولك: لزيد مال، ولا يجوز الرفع بوجه عن الزجاج وغيره.

اللغة

السجود هو الخضوع والانحناء، وقيل: هو التذلل يقال: سجد يسجد سجودًا، ثم صار في الشرع اسمًا لوضع الجبهة على الأرض على وجه العبادة، وينقسم إلى سجدة الصلاة، وسجدة السهو، وسجدة التلاوة، وسجدة الشكر، وحقيقته: خفض الرأس على جهة الخضوع.

والإباء: ترك الطاعة، أبى يَأْبى إباءً: ترك الطاعة ومال إلى المعصية، وأبى وامتنع نظائر، وأصل الإباء الامتناع.

والاستكبار والتكبر والتعظم والتجبر نظائر، ونقيضه التواضع، والكبرياء اسم للتكبر والعظمة قال الشاعر:

مُـلْـكُـهُ مُـلْـكُ رَأْفَـةٍ لَـيْـسَ فِـيـهِ جَـبَـرُوتٌ يُـرَى وَلاَ كِـبْـرِيَـاءُ

وأصل الباب: الكِبَرُ وهو العظم، ثم يستعمل على وجهين: كبر الجثة، وهو الأصل، وكبر الشأن والله تعالى كبير بمعنى عظيم الشأن واسع المقدور والمعلوم.

وإبليس: قيل: اسم أعجمي معرب؛ ولذلك ترك صرفه، عن الزجاج وجماعة من النحاة، وقيل: هو من الإبلاس[1]، وأنشد العجاج:

يَـا صَـاحِ هَـلْ تَـعْـرِفُ رَسْـمًـا مُـكْـرَسَـا قَـاَلَ نَـعَـمْ أَعْـرِفُـهُ وَأَبْـلَـسَـا

قالوا: إنما لم يجز استثقالاً؛ إذ كان اسمًا لا نظير له في العربية، فشبه بأسماء العجم ولا يجزي، والأول الصحيح، وهو أنه اسم أعجمي عُرِّبَ وتُرِكَ صرفه، وقوله: لا نظير له ليس كذلك؛ لأنهم قالوا: إزميل اسم للشفرة[2]، والإعريض الطلع[3]، ونظائره تكثر.

۞ الإعراب

يقال: ما موضع (إذ) في قوله: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ)؟

قلنا: موضعها نصب لا عطف على (إذ) الأولى، كأنه قيل: واذكر إذ قال ربك، وقال أبو عبيدة: لا موضع لها لأنها زائدة.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى ما آتى آدم من الإكرام والتعظيم، فقال: «وَإِذْ قُلْنَا» أي اذكر يا محمد إذ قال ربك «لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ» قيل: أمرهم بالسجود له على وجه التحية

---

(١) «أَبْلَسَ الرجلُ: قُطع به... وأبلس من رحمة الله: يئس» لسان العرب (بلس).

(٢) اللسان (زمل).

(٣) لم أقف على هذه اللفظة بهذا المعنى ولعله يقصد شجر البلسان.

والإكرام لآدم، والعبادة لله تعالى وحده لا لآدم، عن قتادة وجماعة، وقيل: كان على معنى القبلة كما أمرنا بالسجود إلى الكعبة، وقيل: كان السجود في ذلك الوقت تحيتهم، وامتد ذلك إلى وقت سجود إخوة يوسف عليه السلام له، وقيل: السجود هو الإمالة يعني مالوا إلى آدمَ إكراما له، ومالوا إلى يوسف إكرامًا له، وقيل: كان تعظيمًا لآدم كما تعظم الملوك غير أن الشرع يمنع منه، والصحيح هو الأول؛ لأن لآدم فيه تعظيمًا يجري مجرى المدح، وإنما تقبح العبادة لغير الله تعالى، فأما فعلها لله مع اقتران تعظيم غيره فجائز كالصلاة التي نعبد بها الله تعالى، ونطيع الرسول بفعلها؛ إذ عرفانها من قبله، «فَسَجَدُوا» يعني الملائكة أطاعوا الله فيما أمرهم به وسجدوا لآدم «إلاَّ إبْلِيسَ» قيل: كان من الملائكة، وقيل: كان من الجن ولم يكن من الملائكة، وهو الوجه لقوله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠]، وهذا نص، وعن الحسن أنه أب للجن، كما أن آدم أب للإنس، وعن ابن مسعود: كانت الملائكة تقاتل الجن فَسَبَوْا إبليس وهو صغير، فكان مع الملائكة يعبد الله تعالى وتخلَّق بأخلاقهم، فلما أُمِرُوا بالسجود أُمِرَ هو معهم أيضًا فأبى، فلذلك قال تعالى: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾، واختلفوا في هذا الاستثناء، قيل: استثناء منقطع، كقوله تعالى: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ﴾ [النساء: ١٥٧]، وقال النابغة:

وَقَفْتُ فِيهَا أُصَيْلانًا أُسَائِلُهَا ... أَعْيَتْ جَوَابًا وَمَا بِالرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ[١]

إلا الأَوَارِيَّ لأْيًا مَا أُبَيِّنُهَا ... والنُّؤْيُ كَالْحَوْضِ بِالمَظْلُومَةِ الجَلَدِ

ومعناه لكن إبليس، وقيل: على القول الأولإنه استثناء حقيقي من الجنس.

---

(١) الأبيات من معلقة النابغة الذبياني وفي رواية: وقفت فيها أصلاً كي اسائلها. أنظر ديوان النابغة الذبياني، دار صادر بيروت.
الأصيلان تصغير أصْلان وهو جمع أصيل، ومعناه العشّى، وأعيت: عجزت، والرَّبْعُ: المنزل، والأوراي جمع آريّ وهو محبس الدابة، واللأي: البُطْءُ، والنُّؤْي: الحاجز يضرب صوب المنزل من تراب ليمنع ماء المطر عنه، والمظلومة: الأرض التي أحدث الناس فيها بئرا.
والمعنى: وقفت في هذه الدار دَهْراً أسألها، لكنها ما استطاعت الإجابة، وليس في المنزل أحدٌ إلا محابسُ الدواب ما تعرفتها إلا بعد وقت، وكذلك الحاجز المضروب حول البيت كالخوض.

ودليل أنه ليس من الملائكة وجوه:

أولها: ما قدمنا من قوله: ﴿كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠].

وثانيها: أنه قال في صفة الملائكة من غير تخصيص: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ﴾ [التحريم: ٦].

وثالثها: أن إبليس له نسل وذرية كالإنس بخلاف الملائكة، قال الله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الكهف: ٥٠].

ورابعها: أنه خُلِق من النار، وخلقوا من الريح، عن أبي علي، وقيل من النور، عن الحسن.

وخامسها: أن الله تعالى قال: ﴿جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ [فاطر: ١] فعممهم بهذا الوصف، وَرُسُلُ الله معصومون لا يعصون.

«أبى» امتنع عن السجود لآدم، وقيل: كره، وليس بالصحيح؛ لأنه ليس في اللغة، «وَاسْتَكْبَرَ» أي تعظم وتجبر، وأَنِفَ من السجود لآدم.

ومتى قيل: إذا لم يكن إبليس من الملائكة، فما الدليل على أنه أُمِرَ معهم بالسجود؟

قلنا: قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَ﴾ [الأعراف: ١٢]، ولأنه عاقبه على ترك السجود.

«وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ»، قال الحسن: هو أول كافر، ومعنى قولهم: كان من الكافرين كقولهم كان آدم من الإنس، وقال تعالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠]، ولم يكن جِنِّيٌّ قبله، وهوقول أبي علي، قال: معناه: صار من الكافرين، نحو قوله: ﴿وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣] وقيل: كان قبله قوم كفروا من الجن، وقيل: كان في علم الله تعالى من الكافرين، وقيل: لما مر إبليس بآدم قبل ذلك أضمر إن أُمِرَ باتباعه ألا يتبعه فصار كافرًا.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن الملائكة سجدوا لآدم كما أمروا به.

ومتى قيل: هل سجودهم له على أنه أفضل منهم؟

قلنا: لا، كما أَنَّا نعظم العلماء، وإن كان فينا من هو أفضل منهم، وهذا تفضيل خصال، لا تفضيل ثواب.

وتدل على أن إبليس أمر بالسجود ولم يسجد، وأنه كفر بذلك.

ومتى قيل: لِمَ حكم بكفره مع أنّ من لم يسجد الآن لا يكفر؟

قلنا: لأنه جمع إلى ترك السجود خصالاً من الكفر، وترك السجود ردًّا، ومن تركه الآن كذلك يكفر، ولم ير أمره بالسجود حكمة، واعتقد أنه تعالى أمره بالقبيح وامتنع من السجود تكبّرًا، ورد على الله أمره، واستخف بالنبي(١) .

وتدل الآية على بطلان مذهب الجبر من وجوه:

أحدها: قوله: ﴿أَبَىٰ﴾ [البَقَرَة: ٣٤] فتدل على قدرته على السجود الذي تركه، وإلا لم يصح وصفه بالإباء.

وتدل على أن السجود فعله، فيبطل قولهم في المخلوق والاستطاعة.

وثانيها: أن عندهم إنما لم يسجد لأنه لم يخلق فيه السجود ولا القدرة الموجبة له فسائر العلل المذكورة من باب العبث عندهم.

وتدل الآية على أن الأمر على الوجوب من حيث ذمه بترك الأمر على ما يقوله الفقهاء وأكثر المتكلمين، خلاف من يقول: إنه على الندب، وهو قول أبي علي وأبي هاشم.

وفي الآية تسلية للنبي إذ تكبر عليه مشركو العرب كما تكبر إبليس على آدم، عن الأصم.

قوله تعالى:

﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾

---

(١) يقصد آدم ـ عليه السلام ـ .

۞ اللغة

السكون ضد الحركة، ونظيره الاطمئنان والثبات، والسكن بسكون الكاف المنزل، وهو أيضًا العيال وأهل البيت، والسَّكَن بفتح الكاف الرحمة[1]، ومنه: ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]، وأسكن: استقر، وأصل الباب السكون سمي الأهل سكنًا لأنه يسكن إليهم[2]، والسكون والحركة من جنس الأكوان عند مشايخنا، وقيل: إنه غيرها، وليس بصحيح.

والرغد أصله لين العيش، يقال: عيش رغد، قال ابن دريد: الرغد السعة في العيش.

والمشيئة: الإرادة، شاء مشيئة.

والقرب: الدنو، ونقيضه البعد، ومنه القربان؛ لأنه يتقرب به إلى الله تعالى، وأصل القرب والبعد في الأجسام، ثم يستعمل في غيرها مجازًا، يقال: هذا المعنى يقرب من ذلك، وهما من جنس الأكوان أيضًا، وكل قرب كون، وليس كل كون قربًا.

والشجرة كل ما قام على ساق من النبات، وجمعها أشجار وشجر وشجرات، وهو اسم يعم النخل والتين والكرم وغير ذلك، والمشجر أرض تنبت الشجر، وتشاجر القوم اختلفوا، أُخِذَ من الشجر لاختلاف أعضائه.

والظلم والجور من النظائر، ونقيضه العدل، وأصله انتقاص الحق، وقيل: أصله وضع الشيء في غير موضعه، وقد صار في الشرع اسم ذم، يقال: فلان ظالم، قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨] وسبيله سبيل فاسق وكافر أنه منقول من اللغة إلى الشرع، وحد الظلم: إيصال الضرر إلى الغير من غير استحقاق أو نفع أو دفع ضرر أعظم منه، وفاعل الظلم ظالم، كما أن فاعل العدل عادل، وقيل: الظلم ضرب يستحق به الذم، ولا يطلق اسم ظالم على صاحب الصغيرة، ولكن يقال: ظالم لنفسه، واختلفوا فقال: أبو هاشم: لأنه فوت نفسه من الثواب بعدد ما قابل عقاب

---

(١) المحيط في اللغة (سكن).

(٢) إليهم: إليه، ف، و.

الصغيرة، وقال أبو بكر الإخشيد: لأنه أضر بنفسه بما فعل من القبيح من غير استحقاق ولا عوض، قال أبو علي: لأنه يجب عليه أن يتوب كلما تذكره، والأوجه الأول.

الإعراب

يقال: ما موضع «فَتَكُونَا» من الإعراب؟

قلنا: فيه قولان:

أحدهما: أن تكون الفاء جواب النهي، فيكون موضعه نصبًا.

والثاني[1]: أن تكون الفاء عطفًا على النهي، فيكون موضعه جزمًا، وكلاهما محتمل، والأول أظهر.

ويقال: بأي شيء انتصب الجواب بالفاء؟

قلنا[2]: بإضمار «أَنْ» كأنه قال: لا يكن منكما قرب بأن تكونا، وتقديره: لا يكن قرب فتكونَ من الظالمين.

ويقال: لم قال: «وَزَوْجُكَ» على لفظ التذكير، والمعنى مؤنث؟

قلنا: لأنه لما كانت الإضافة تلزم الاسم في أكثر الكلام كانت مبينة له، وكانت بطرح الهاء أفصح؛ إذ كانت أخف مع الاستغناء بدلالة الإضافة عن دلالة هاء التأنيث، وحكى الأصمعي أنه اختار ترك الهاء، وذكر أن أكثر كلام العرب عليه، وقال الكسائي: أكثر كلام العرب بالهاء، واختار المبرد قول الأصمعي، وهو الاختيار؛ لأن القرآن كله عليه.

ويقال: لم بُنِيَ (حيث) على الضم؟

قلنا: لأنه يشبه الغاية، فبني على الضم، نحو: مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ.

---

(١) والثاني: والآخر، د، و.

(٢) قلنا: ـ ، ف.

۞ المعنى

ثم ذكر تعالى ما أمر به آدم بعد سجود الملائكة، وإباء إبليس، فقال عز وجل: «وَقُلْنَا» هذا نون الكبرياء والعظمة لا نون الجمع، «يَا آدَمُ اسْكُنْ» قيل: استقر واجعلها مأوى لك، واختلفوا في هذا الأمر، فقيل: إنه أمر تعبد، وقيل: هو إباحة لأنه ليس فيه مشقة، ولا يتعلق به التكليف، وقوله: «وَكُلَا» إباحة، «وَلاَ تَقْرَبَا» ـ تَعَبُّدٌ بالإيقاف ـ أنت وزوجك، وقيل: لما أخرج إبليس من الجنة ولُعِنَ بقي آدم في الجنة وحشًا ليس معه من يسكن إليه، فنام واستيقظ، فإذا عند رأسه امرأة خلقها الله من ضلعه، فسألها من أنت؟ قالت: امرأة، قال: ولم خلقت؟ قالت: لتسكن إليَّ، فقالت الملائكة: ما اسمها يا آدم؟ قال: حواء، قالوا: ولم سميت حواء؟ قال: لأنها خلقت من شيء حي فعندها[1] قال الله تعالى: ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ وقيل: إنها خلقت قبل أن يسكن آدم الجنة، عن ابن إسحاق، وقال ابنُ عباس: ظاهره يقتضي أنه كان في السماء الجنة قيل: هي جنة الخلد، عن جماعة من المفسرين، وهو قول الحسن وواصل وعمرو وأبي علي، وقيل: جنة من جنان السماء غير جنة الخلد؛ لأن جنة الخلد أكلها دائم ولا تكليف فيها، عن أبي هاشم، وقيل: جنة من جنان الدنيا في الأرض، وقوله: (اهبطوا) لا يقتضي أن يكون في السماء كقوله: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا﴾ [البقرة: ٦١]، عن أبي مسلم، وليس بالوجه لظهور الأمر أنه كان في السماء، ولقوله: (اهبطوا)، وما ذكر مجاز فلا يقاس عليه غيره، واختلفوا: هل يجوز ابتداء الخلق في الجنة؟ فقيل: يجوز لأنه نعمة، والتكليف نعمة، فله أن يفعل أيهما شاء، عن أبي علي، وقيل: لا يجوز، عن أبي القاسم البلخي، «وَكُلاَ» خطاب لآدم وحواء «مِنْهَا» من الجنة «رَغَدًا» عيشًا واسعًا، «حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ» يعني لا تقرباها بالأكل؛ لأن المخالفة حصلت بالأكل قال تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا﴾ [طه: ١٢١]، واختلفوا في هذا النهي؛ فالأكثر على أنه نهي تحريم، وقال بعضهم: هو نهي تنزيه. هذه الشجرة قيل: السنبلة، عن ابن عباس، وقيل: الكرمة، عن ابن مسعود، ولعله أقرب لوقوع اسم الشجرة عليه عند الإطلاق، وقيل: التينة برواية ابن جريج عن بعض الصحابة،

---

(١) فعندها: فعندنا، د، و، ز.

«**فَتَكُونَا**» بأكلها «**مِنَ الظَّالِمِينَ**» لأنفسكما، وقد بينا معنى ظالم لنفسه، وقيل: بالخروج من الجنة، عن أبي مسلم.

الأحكام

الآية تدل على أن آدم (عليه السلام) تعبد ونهي عن أكل ثمرة شجرة، والأولى أنه نهي تحريم لاقتران الوعيد به.

واستدل بعضهم بالآية على أن الجنة مخلوقة، ويمكن حمله على جنة غيرها، وقد بينا الخلاف فيها.

قوله تعالى:
﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ۝٣٦﴾

القراءة

قرأ حمزة: «فَأَزَالَهُمَا» بالألف خفيفة، والباقون بغير ألف مشددة، والفرق بينهما أن أزلهما معناه استزلهما، وأزالهما نحاهما من قولك: زلت عن المكان وأزالني غيري، والاختيار قراءة العامة؛ لأنه أكثر في الفائدة، ولأن أكثر القراءة عليه.

اللغة

الزلة: الخطيئة، زل زلة فأزله الشيطان عن الحق إذا أزاله عنه، والزلل مثل الزلة، وأصل الباب الزوال، فالزلة لزوال الحق.

والشيطان: المتمرد من كل جنس، وقد بينا من قبل اشتقاقه.

والهبوط: التحريك من علو إلى أسفل، ونظيره النزول، يقال: هبط إذا انحدر في هبوطه، والهبوط اسم الموضع الذي يهبط فيه، والهبوط بالضم مصدر هبط، ونظيره الحُدُور(١).

---

(١) الحدور: الوقود، و، ف.

والعدو: نقيض الولي، والعداوة المصدر، وأصله من المجاوزة ومنه المعاداة؛ لأن كل واحد يبالغ في مكروه صاحبه حتى يتجاوز الحد، واشتق من ذلك: تَعَادَى القوم: تبالغوا في حرب أو غيره، كأن كل واحد يعدو في إثر صاحبه.

والقرار والثبات واحدٌ قَرَّ قَرَارًا، والاستقرار الكون أكثر من وقت على حال، والمستقر يحتمل معنى الاستقرار، ويحتمل معنى المكان الذي يستقر فيه.

والمتاع: ما يستمتع به الإنسان، وكل شيء تمتعت به فهو متاع، وأصله التمتع، وهو التلذذ.

والحين: وقت من الزمان، يقال: حان أن يكون كذا وكذا، ويجمع على الأحايين، والحين بالفتح الهلاك، وأصل الباب الوقت، والحين الوقت الطويل، والحين وقت الهلاك، ثم كثر فسمي الهلاك حينًا.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى حال آدم في الجنة وما أتى فقال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ قيل: حملهما على الزلة بأن وسوس إليهما، وقيل: أزالهما عن الجنة، وما كانا فيه من الرتبة العظيمة.

ومتى قيل: لماذا أضاف ذلك إلى الشيطان، وهما فِعْلَاهُمَا؟

قلنا: لأنه حصل عند وسوسته، فكان السبب هو، كما يقال: صرفني فلان عن هذا الأمر. والشيطان المراد به إبليس «**فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ**» من النعمة والدعة، وأضاف الإخراج إليه؛ لأنه كان بوسوسته.

ومتى قيل: هل كان إخراجهما عقوبة؟

قلنا: لا؛ لأن ذنبه وقع صغيرًا مكفرًا، ولأنه تعالى لا يعاقب أنبياءه كما لا يعاديهم ولا يلعنهم، ولأن الإخراج من الجنة والإهباط إلى الأرض كان بعد التوبة.

ويقال: كيف وصل إبليس إلى آدم وحواء حتى وسوس إليهما وكلمهما؟

قلنا: اختلفوا فيه، قيل: كلمهما من الأرض كلامًا عرفاه، وقيل: راسلهما، والقرآن يدل على المشافهة، وقيل: كان في السماء ويخرج آدم من الجنة، ويأتي سور

الجنة فيكلمه، وكان هذا بعد أن أُخْرِجَ من الجنة قبل أن يهبط[1] إلى الأرض، عن أبي علي، وقيل: يجوز أن يكون قرب من السماء وإن لم يدخلها، عن أبي بكر أحمد بن علي، وقيل: أدخلته الحية في فمها، وليس بشيء.

ويقال: كيف أكلا الشجرة؟

قلنا: اختلفوا فيه، فقيل: تعمد الأكل من عين[2] ما نهي عنه، ووقعت كبيرة، وهو قول الحشوية، ولا يجوز ذلك على الأنبياء؛ لأنهم معصومون، ولأن ما جوزوه يوجب عليهم البراءة واللعن، وهذا لا يجوز. وقيل: نسي النهي فتناول منها وهو ناسٍ، يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ﴾ [طه: ٨٨] وهذا ليس بصحيح؛ لأنه لو نسي لما كان ذنبًا، فكان لا يعاتب عليه، ولأنه كان من شريعته وأمر امرأته بالامتناع أيضًا فكيف ينساه؟، ولا يقال: نسي الوعيد؛ لأن النهي يتضمن الوعيد. وقيل: إنه سكر سقته حواء الخمر حتى سكر فقادته إليها فأكل، عن سعيد بن المسيب، فكان يحلف بالله ما أكل وهو يعقل، وهذا ليس بالوجيه؛ لأن السكران إن زال عقله زال التكليف فلا يوصف فعله بأنه معصية، وإن لم يزل عقله فالكلام بحاله. وقيل: أكله ناسيًا، والنسيان غير مرفوع عن الأنبياء، وهذا لا يصح لأن النسيان يزيل التكليف، فإن الناسي لا يمكنه أداء[3] ما كلف، وإن أراد بالنسيان التشاغل الذي يتمكن المكلف من إزالته، فلا فرق بيننا وبينهم فيه فلا معنى لهذا الفرق. وقيل: إنهما تأولا بأن الإشارة وقعت بالنهي إلى شجرة بعينها وكان المراد بها الجنس فترك الاستدلال وهذا نحو ما روي أن النبي ﷺ[4] ما شبع من هذه البرة السمراء[5]، ونحو إشارته إلى قطعة من ذهب وقطعة من حرير «**هذان حرام على ذكور أمتي حل لإناثها**»[6] وأراد الجنس؛ لأنه

(١) يهبط: أهبط، ذ، و.

(٢) عين: غير، د، ز، و، ف.

(٣) أداء: إذا؛ ز، و.

(٤) صلى الله عليه وآله وسلم: عليه السلام، ز، ف، و.

(٥) رواه الطبراني في المعجم الوسيط ٨/ ٢١٢، ونصه:
«ولقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا وما شبع من البرة الحمراء».

(٦) انظر: مسند البزار (١/ ٤٦٧) برقم (٣٣٣)، (٣/ ١٠٢) برقم (٨٨٦)، شرح معاني الآثار (٤/ ٢٥٠) برقم (٦٢١٤)، تلخيص الحبير (٢/ ١٧٦)، عون المعبود (١١/ ٢٠١).

لا يجوز على نبي من أنبياء الله تعالى أن يأتي بمعصية، وهو يعلم أنها معصية، وإنما يغفل عن الاستدلال، وهذا هو الأوجه، وهو قول أبي علي، وقيل: تأولا النهي على الندب، لا على الحتم، وقد يجيء صورة النهي والمراد به التنزيه دون التحريم، كقوله: لا تجلس على الطريق، ونسي الوعيد المقرون به، وهذا يبعد لأن ظاهر النهي يقتضي التحريم، وذلك يتضمن الوعيد، ولا فرق بين أن يقال: نسي الوعيد المقرون بالنهي، أو يقال: نسي النهي.

فإن قيل: كيف لم يعلم آدم مع فضله أنه نهي عن الجنس، وعلم ذلك إبليس حتى دعاه إلى أكل الجنس، وهذا كالقدح فيه، ولأنه إذا كان نهاه عن الجنس فلا بد من دليل يتمكن به من معرفته فكان يجب أن ينظر في الدليل، فإذا لم ينظر فقد ترك واجبًا، ولأنه لو نسي ذلك لوجب على الله أن يخطر ذلك بباله حتى لا يقدم عليه، وليستدل على تحريمه، ولأنه تعالى قال: ﴿أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: ٢٢] فعاتبه على أنه أكل ما نهي عنه، دل على أنه تناول عين[1] ما نهي عنه، ولأنه ـ وإن نسي الاستدلال ـ لما ذكره الشيطان ودعاه إلى الأكل تذكر فكان يستدل، فلما لم يستدل دل أنه ترك الاستدلال تعمدًا، ثم استوى في ذلك ترك الاستدلال، وفعل الأكل؛ لأن كل واحد منهما ترك الواجب فلأن ذلك كان شريعة له، وكان مأمورًا بتبليغه هو[2]، فكيف يصح أن ينساه، وهو لا يعلم كيفية التحريم والشيطان يعرفه؟!

قلنا: الله تعالى نهاهما عن جنس تلك الشجرة، وأشار إلى شجرة بعينها وقرن بالنهي دليلاً على أنه أراد الجنس، إلا أنه نسي الدليل فترك الاستدلال وتأول النهي على غير تلك الشجرة فأكل متأولاً، ولم يتعمد العصيان.

فأما الجواب عن الأول أنه يجوز أن يكون علم إبليس من جهة الملائكة قبل خلق آدم وقبل هذه الأحوال ولم يعلم آدم ذلك، ولأن آدم لم يكن عرف العادات بالخطاب، وهو كان يعرف[3] ذلك، ولأن مبالغته في العداوة تُقَوِّي دواعيه في النظر

(١) عين: غير، د، ز، ف.
(٢) هو: فهو، ف، و.
(٣) يعرف: عرف، د، ف، و.

فعرف، والشهوة صرفت آدم عن النظر، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف: ٢٢]، وإنما يكون غرورًا عند عدم العلم.

والجواب عن الثاني: أنه كان هناك دليل فنسي، والنص يدل على العين[1] لا على الجنس.

والجواب عن الثالث: أنه يجوز أن يكون أخطر بباله إلا أنه اشتغل عن الخاطر، أو كان خاطرًا خفيًّا، وكان يجري على عادته في تأويل الشجرة على عينها.

والجواب عن الرابع: أن قوله: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: ٢٢] يحتمل الجنس كالنهي الأول.

والجواب عن الخامس: أن الشيطان كان يذكره الأكل لا تركه وكيفية النهي، بل يميل به عن طريق الاستدلال بالنسية.

والجواب عن السادس: أنه لم ينس النهي المنصوص عليه، وإنما نسي المقرون به مما يدل على الجنس، وعلم إبليس بذلك قد بينا الوجه فيه، ولا يقال: إن تَرْكَ الاستدلال ونسيان الدليل بمنزلة الأكل وترك النهي في أن كل واحد منهما معصية، فقد فررتم من شيء فوقعتم في مثله؛ وذلك لأن اللفظ يتناول عين الشجرة بدليل قوله تعالى: «**لاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ**»، وكون الجنس مرادًا يعرف بدليل آخر، وذلك الدليل لا يجوز أن يكون من باب الاجتهاد، فلا بد أن يكون مما يوجب العلم، وكان آدم عليه السلام عالمًا بذلك الدليل وقت النهي، فلما تطاولت المدة غفل عنه ولم ينظر مع تمكنه من النظر. وروي أن آدم كان في الجنة دهرًا طويلاً.

«**وَقُلْنَا اهْبِطُوا**» أي انزلوا، واختلفوا فقيل: الخطاب لآدم وحواء وإبليس، عن الأصم والزجاج وأبي علي وجماعة من المفسرين، ويجوز ذلك وإن كان إبليس أخرج قبل ذلك كما يقال: أخرج جميع من في الحبس وإن تقدم بعضهم، وقيل: أراد آدم وحواء والحيّة، وليس بصحيح؛ لأنه لم يَجْرِ له ذكر، ولا هو مكلف ولا مخاطب[2]،

(١) العين: الغير، د، ز، ف.

(٢) يقصد الثعبان.

وقيل: آدم وحواء وذريته، وليس بصحيح لأنهم كانوا معدومين، ولأنه لم يَجْرِ لهم ذِكْرٌ. وقيل: آدم وحواء والوسوسة، عن الحسن، وهذا فاسد؛ لأنه ليس بمخاطب حتى يؤمر، ولم يَجْرِ له ذكر.

فإن قيل: أليس خلق الأرض، ولو لم يعص كيف كان يكون؟

قلنا: كان ينزله على إكرام وتعظيم، وهذا الإهباط كان امتحانًا وتكليفًا ولم يكن عقوبة، وقيل: كان لطفًا له كي يتحرز عن مخالفة أمر الله، وما روي من بكائه وتوبته حالاً بعد حال مع أن ذنبه وقع مغفورًا إنما كان على وجه الانقطاع إلى الله تعالى، أو كان ذلك استدراكًا لما فاته من الثواب، «**بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ**» يعني آدم وذريته وإبليس وذريته، ولم يكن من آدم إليه ما يوجب العداوة، ولكن حسده إبليس وخالفه، فنشأت بينهما عداوة، ثم عداوة آدم له إِيمَانٌ، وعداوة إبليس لآدم كُفْرٌ، «**وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ**» أي مقر بأن جعل الأرض قرارًا، «**وَمَتَاعٌ**» أي: استمتاع، «**إِلَى حِينٍ**» إلى وقت، وقيل: إلى وقت الموت، عن أبي علي، وقيل: إلى الوقت الذي جعل الله لكم من الأجل في الدنيا، عن الأصم، وقيل: إلى يوم القيامة، وقيل: مستقر في القبور إلى يوم البعث، وقيل: لما قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ﴾ جاز أن يظن ظان أنه غير منقطع قال: «**إِلَى حِينٍ**» أي إلى وقت انقطاعه، عن ابن السراج.

۞ الأحكام

الآية تدل على جواز وقوع الصغيرة من الأنبياء خلاف ما يقوله جماعة من الإمامية، وإنما يجوز الصغيرة فيما يخصه، فأما في أداء الشرع وما يُنَفِّرُ من الصغائر فلا يجوز البتة، والكبائر لا تجوز عليهم بوجه.

وتدل على أن الإهباط لم يكن عقوبة؛ لأنه كان بعد التوبة خلاف ما يقوله قوم من الحشوية، وهذا الإهباط من الجنة إلى السماء، عن أبي علي.

وتدل على بطلان مذهب الجبر في المخلوق، ولأنه لو كان هو خلق الأكل فيه والوسوسة في إبليس، وهو الذي أوقعهما في المعصية لم يكن لِعَتْبِ آدم ولعن إبليس وإضافة ذلك إليهما، ولا لقوله: «**فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ**» مَعْنًى.

وتدل على أن لوسوسة إبليس تأثيرًا في المعصية على ما يقوله أبو هاشم والأكثر، خلاف قول أبي علي.

قوله تعالى:
﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾

القراءة

قرأ ابنُ كثير «آدَمَ» بنصب الميم، «كَلِمَاتٌ» بالرفع، وقرأ الباقون برفع الميم وكسر التاء، وهو الاختيار. معنى التلقي ههنا القبول كأنه قيل: فقبل آدم، فكان الأحسن في إعرابه ما يدل عليه.

ووجه قراءة ابن كثير أنه يقال: تلقيت الرجل وتلقاني، أي استقبلته واستقبلني، وعلى هذا يصلح فيه رفع آدم ونصبه، ورفع التاء، وغلط بعضهم فأنكر نصب آدم، ورفع كلمات، وهذا لا يصح؛ لأنه قراءة ابن عباس ومجاهد وابن كثير وأهل مكة، وله وجه صحيح في العربية.

اللغة

التلقي والتلقن نظيران، يقال: تلقيت منه أي أخذت وقبلت، وأصله من الملاقاة وهي الملاصقة، ولكنه كثر حتى قيل: لاقى فلان فلانًا إذا قاربه وإن لم يلاصقه، وتلاقى الجيشان، وتلقيت الرجل استقبلته، وتلقاني: استقبلني.

والكلمة واحد الكلام، والكلمات الجمع، يقال: كلمه تكليمًا وكالمه مكالمة وكلامًا، وكليمك: الذي يكلمك، والكلام حروف منظومة، وأصوات مقطعة، ويقع[1] على المهمل والمستعمل عند مشايخنا، ومنهم من قال: لا يقع إلا على المقيد، عن أبي القاسم، والكَلْمُ: الجرح، وأصل الباب الأثر الدال، والكلام أثر يدل على المعنى، والمتكلم فاعل الكلام، لا محلة الكلام؛ ألا ترى أن الكلام محله

(١) ويقع: وتقع؛ د، ز، و.

اللسان وليس بمتكلم، وكذلك الصدى، والجملة هي المتَكَلِّم، لا محلة الكلام. وأجناس الكلام ستة: أمر، ونهي، وخبر، واستخبار، ونداء، وتَمَنٍّ، ويمكن أن يرد ذلك إلى وجه واحد، وهو الخبر، فإذا قال: افعل فكأنه قال: أريد أن تفعل، وإذا قال: لا تفعل، كأنه قال: أكره أن تفعل، وإذا قال: يا زيد كأنه قال: أريد أن يأتي زيد، وإذا قال: ليت زيدًا عندنا كأنه قال: نتمنى كونه عندنا.

والتوبة والندم والإنابة نظائر، ونقيضه الإصرار. تاب: إذا ندم، والله التواب: قابل التوبة، وحقيقته: الندم على ما سلف والعزم على ترك المعاودة.

۞ الإعراب

«آدَمُ» رفع لأنه الفاعل، والمفعول الكلمات، وإذا نصب فهو المفعول، والكلمات بالرفع هو الفاعل.

ونصب اسم الله[1]؛ لأنه اسم (إنّ)، والتَّوابُ الخبرُ.

۞ المعنى

لما تقدم ذكر ما سلف من آدم من الصغيرة عقَّبه بذكر توبته وما بادر إليه، لكي يقتدي به بنوه، فقال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ﴾ أي قبل وأخذ «مِنْ رَبِّهِ» يعني رب آدم ورب كل شيء «كَلِمَاتٍ» قيل: هي قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ الآية [الأعراف: ٢٣] عن الحسن وقتادة ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والأصم، وقيل: هو قوله: (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر)، والأول أولى؛ لدلالته على الندم. وقيل: إنه نظر إلى العرش فرأى مكتوبًا على ساقه: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله»، فقال: يا رب بحق محمد أن تغفر لي، فهي الكلمات. وقيل: أراد بالكلمات إنزال وجوب التوبة وبيانها والدعاء إليها، في معنى قول أبي علي. وقيل: إنه دعا ربه بذكر النعم التي خصه بها، فقال: يا رب ألم تخلقني؟ ألم تنفخ فيَّ مِنْ روحك؟ ألم تُسْكِنِّي جنتك؟ يا رب فلماذا أخرجتني؟ قال: بشؤم معصيتك، قال: يا رب إن تبت أرجع إلى الجنة؟

(١) يقصد الضمير في (إنه).

قال: بلى؛ فهي الكلمات، عن ابن عباس. وقيل: الكلمات ما وعد الله تعالى العاصي من العقاب، والتائبين من المغفرة، فلما بينه عليه تاب. وقيل: أتى بمحامد وحسن الثناء بما دل على شدة ندامته، والخضوع له تعالى. وقيل: كان ثلاثة أشياء: الحياء، والدعاء، والبكاء. وعن ابن عباس أنهما بكيا مائتي سنة، وعن بعضهم لما أهبطا لم يرفع رأسه ثلاثمائة سنة حياءً.

فإن قيل: كيف تجب التوبة عن الصغيرة، وهي مكفرة؟

قلنا: لا تجب عقلاً، ولكن تجب سمعًا؛ لأن فيه استدراك ما فاته من الثواب في مقابلة الصغيرة، عن أبي هاشم. وقيل: تجب عقلاً لكيلا يكون مصرًّا، والإصرار كبيرة، عن أبي علي، وقيل: إن فيه لطفًا فلذلك تجب.

فإن قيل: كيف يصح مغفرة المغفور؟

قلنا: الله تعالى يستره حالاً بعد حال، ويوجب له الثواب، وقبول التوبة بأحد شيئين: إسقاط عقوبة، أو إيجاب مثوبة؛ ولذلك قال إبراهيم (عليه السلام): ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢]. «فَتَابَ عَلَيۡهِۚ» فيه حذف أي: تاب آدم فتاب الله عليه، أي قَبِلَ توبته.

ومتى قيل: لم قال: «عَلَيۡهِ» ولم يقل: عليهما؟

قلنا: قيل: أراد عليهما فحذف للإيجاز والتغليب، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢]، وقيل: لأنه جرى ذكر آدم.

وقيل: تاب عليه ووفقه للتوبة وهداه إليها بأن لقنه الكلمات حتى قالها، فلما قالها قبل توبته؛ لأنه تواب، وهو في صفة الله كثير القبول للتوبة يقبل مرة بعد مرة، وفي صفة العباد كثير التوبة.

وقيل: يقبل التوبة وإن عظمت الذنوب، فيسقط العقاب، ثم هو رحيم لا يخليه مع إسقاط عقابه من رحمته ونعمه.

الأحكام

الآية تدل على وجوب التوبة من المعاصي.

وتدل على أن توبة آدم عرفت ووجبت بالكلمات.

وتدل على أنه تعالى يقبل التوبة، ويرحم العبد بعد ما تاب.

وتدل على وجوب المسارعة إلى التوبة كيلا يكون من المصرين.

وتدل على عظم محل آدم حيث بادر بالتوبة، واستدل بعضهم بالآية على أن التوبة تقع بالكلام، وليس بصحيح؛ لأن التوبة هي الندم المخصوص، فيجب حمل الكلمات على أن المراد به الدلالة على التوبة والدعاء إليها، وقد بينا أن التوبة من الصغير إنما تجب سمعًا.

واختلفوا في قبول التوبة، فقال مشايخنا: تجب لأنها[1] استفراغ الوسع في استدراك الفائت، ولأنه لو لم تجب لأدى إلى ألا يكون للمكلف طريق إلى التخلص من العقاب مع بقاء التكليف، وهذا لا يجوز، وقال أبو القاسم: تجب لأنه أصلح. ومن الناس من يقول: لا تجب، وليس بصحيح.

واختلفوا فيمن تاب ثم عاد هل يعود عقابه أم لا؟ فكذلك إذا تاب ثانيًا هل يعوده ثواب ما أبطله؟ فعندنا لا يعود شيء، وعند بعضهم يعود في الموضعين. وقال أبو القاسم: يعود الثواب، ولا يعود العقاب.

واختلفوا فيمن تاب من ذنب مع الإقامة على غيره، فقال أبو علي: يجوز، وقال أبو هاشم: لا يجوز؛ لأن التوبة يجب أن تكون لقبحه.

قوله تعالى:

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾

القراءة

قرأ يعقوب: «فلا خوفَ عليهم» نصب الفاء في جميع القرآن، وقرأ الباقون بالرفع والتنوين.

(١) لأنها: لأن، د، ز، و.

وأجمع القراء على إثبات الألف في «هداي» وتحريك الياء. وروي عن الأعرج: هُدَايْ بسكون الياء، وهو غلط إلا أن يكون نوى الوقف، وروي عن بعضهم: هُدَيَّ ـ على مثال عُليّ وهي لغة هذيل.

۞ اللغة

الإتيان والمجيء والإقبال نظائر، ونقيضه الذهاب، يقال: أتى إتيانا: جاء، وآتى بالمد إيتاء بمعنى أعطى إعطاء.

والهدى: الدلالة والبيان.

والاتباع: الاقتداء، واتبع فلان فلانًا فالتابع التالي، وجاء في الحديث[1]: القادة والأتباع؛ فالقادة: السادة، والأتباع الذي يتبعونهم.

والخوف: الفزع: ونقيضه الأمن خاف يخاف خوفًا.

والحزن: الغم، ونقيضه السرور، ويقال: حزن حزنًا، وحَزَنَهُ غيره، ويقال: حَزَنَنِي[2] يَحْزُنُنِي حزنًا، فأنا محزون، وأحزنني يُحْزِنُنِي إحزانًا فأنا مُحْزَن، وأصله غلظ الهم، ومنه يقال للأرض الغليظة: حَزْن.

والصاحب: القرين، وأصله الملازمة، ومنه أصحاب فلان إذا لازموه. ويقال: صاحب وصحب وأصحاب، وهو جمع الجمع.

والخلود الدوام، ومنه جنة الخلد، ومنه: ليس الدنيا بدار خلود.

والآية والدلالة والحجة والبرهان نظائر، وأصل الآية العلامة.

۞ الإعراب

يقال: لم دخلت (ما) في قوله: «فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى»؟

قلنا: دخلت[3] مع (إن) للجزاء ليصح دخول النون للتوكيد في الفعل؛ إذ لو

---

(١) يقصد الحديث الذي رواه الطبراني في المعجم الأوسط ٧/ ١٦٧:
«كيف أنتم بأقوام يدخل قائدهم الجنة ويدخل أتباعهم النار، قالوا: يا رسول الله، وَإِن عملوا بمثل أعمالهم؟ قال: وَإِن عملوا بمثل أعمالهم. قالوا: وأنى يكون ذلك يا رسول الله؟ قال: يدخل القادة الجنة بما سبق لهم، ويدخل الأتباع النار بما أحدثوا».

(٢) حزنني: أحزنني، د، ز، ف.

(٣) دخلت: ـ، ف، و.

أسقط لم يجز دخول النون. فأما الأمر والنهي فتدخل النون فيه من غير (ما)؛ لأن الأمر والنهي يشتد الحاجة فيهما إلى التأكيد، والنون تلحق للتأكيد؛ فلذلك كان من مواضعها، وفي القسم تدخل إذا كان فيه لام، قال الله تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾ [الأنبياء: ٥٧] وقال الشاعر:

اسْتَقْدِرِ اللهَ خَيْرًا وارْضَيَنَّ بِهِ ... فَبَيْنَمَا العُسْرُ إِذْ دَارَتْ مَيَاسِيرُ[١]

وقد تدخل في الاستفهام أيضًا، قال[٢] :

أَفَبَعْدَ كِنْدَةَ تَمْدَحَنَّ قَبِيلاً[٣]

وقوله: «فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ» شرط وجوابه الفاء، و(مَنْ) بَعْدَهُ من قوله: (فَمَنْ) شرط آخر، وجوابه الفاء من بعده «فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ».

ويقال: ما موضع (أولئك) من الإعراب؟

قلنا: فيه ثلاثة أوجه:

الأول: أنه بدل من الذين. أو عطف بيان، وأصحاب النار بيان عن أولئك، مجراة مجرى الوصف، والخبر «هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ».

والثاني: أن يكون ابتداء، وخبره موضع خبر الأول.

والثالث: أن يكون على خبرين بمنزلة خبر واحد كقولك: حلو حامض.

ويقال: لم دخلت الفاء في سورة الحج في قوله: ﴿فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [الحج: ٥٧] ولم تدخل ههنا؟

قلنا: لأن ما دخل فيه الفاء في خبر الذين وأخواته مشبه بالجزاء وما لم يكن فيه الفاء فعلى أصل الخبر.

---

(١) البيت ينسب لعثمان بن لبيد العذري أو عنبر بن لبيد، أنظر شرح شذور الذهب، ص١٤٤، وشرح شواهد الشذور، ص ٩٤.

(٢) قال: ـ، ف.

(٣) قبيلا: قليلا، د، ز؛ البيت قائله امرئ القيس وتمامه:

قالت فطيمة حل شعرك صدحه

أنظر ديوان امرئ القيس.

ويقال: لِمَ لم يقل: هدَيَّ على وزن عَلَيَّ وإليَّ ولدَيَّ؟

قلنا: للفرق بينهما لأن (لدَيَّ) و(علَيَّ) يلزمهما الإضافة، وليست بمتمكنة، ففصل بينهما وبين المتمكنة، والعذر فيه أن (إلى) حرف ناقص، فجاز أن يتصل به الياء، فيلزمه حتى يصير كجزء منه، ثم قلبوا الألف ياء وأدغموها في ياء الإضافة. فأما «هداي» فاسم متمكن؛ لأنه تلزمه الإضافة حتى يصير بمنزلة حرف منه، فلم يدغموا للفرق بين المتمكن وغيره، وقوله: (فإما) أصله «إنْ» ضم إليها «ما»، وإنما كرر في قوله: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣] ولم يكرر ههنا لأنه في الأول للعطف، وفي الثاني للجزاء.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى إهباطهم إلى الأرض، فقال تعالى: «**قُلْنَا أهْبِطُوا**» أي انزلوا، والخطاب لآدم وحواء وإبليس، وقيل: لآدم وحواء وذريتهما، واختلفوا في تكرار الهبوط فقيل: الأول من الجنة إلى السماء، والآخر من السماء إلى الأرض، عن أبي علي، وقيل: المعنى واحد، وكرر تأكيدًا، كقولهم: اذهب سالمًا، اذهب مصاحباً، وقيل: هو هبوط من درجة شريفة، وهبوط إبليس طَرْدُهُ ولَعْنُهُ، والجنة كانت في الأرض، عن أبي مسلم، والأول أوجه؛ لأنه حمل الكلام على حقيقته وعلى ما تظاهر به الأخبار «**مِنْهَا**» قيل: من الجنة، وقيل: من السماء «**جَمِيعًا**» تأكيد للكلام «**فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى**» قيل: بيان ودلالة، وقيل: أنبياء ورسل، «**فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ**» أي اقتدى برسلي وأدلتي، «**فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا**» أي كذبوا وجحدوا «**بِآيَاتِنَا**» أي دلالتنا وما أنزلنا على الأنبياء «**أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ**» يعني الملازمون للنار «**هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**» أي دائمون.

ويقال: إذا كان استحقاق العقاب يتعلق بالكفر أوبالتكذيب فلم عطف أحدهما على الآخر؟

قلنا: لأن الكفر قد يكون بالعمل وبالتكذيب بالآيات، ويكون بالجهل بالحجة، فلما كان الإيمان الذي يستحق به الثواب يدخل فيه العلم والعمل حتى يكون هُدًى ذكر

في مقابلته ما يتناول العلم والعمل، والوعيد يتعلق بكل واحد على الانفراد؛ لأن الآية خرجت مخرج التغليظ، ولو استحق عليهما لكان فيه تسهيل، ولأنه لا يضم إلى الكفر ما هو مباح دل على أن كل واحد منهما يستحق عليه العقاب.

۞ الأحكام

الآية تدل على أمور: منها أن الهدى قد ثبت ولا اهتداء، وأن الاهتداء يقع بالاتباع والقبول.

ومنها: بطلان القول بأن المعارف ضرورية.

ومنها: أن الجنة تنال باتباع الهدى، وذلك لا يكون إلا بالتمسك بها، وذلك يجمع العلم والعمل.

ومنها: أن المؤمن في الآخرة لا يلحقه الخوف والفزع؛ إذ المعلوم أنه لم يُرِدْ به في الدنيا، وقد اختلفوا فيه، فعند أبي علي وأبي هاشم لا يلحقهم خوف ولا حزن، وقال أبو بكر الأخشيد: قد يلحقهم خوف وتحير ثم يذهب، والأوجه هو الأول.

وتدل على دوام العقاب، ولا يقال: كيف يلزم على معصية منقطعة عقابٌ دائمٌ؛ لأن العقاب لا يتقدر بقدر وقت الفعل؛ ولذلك قد[1] يستحق المسيء الذم دائمًا حتى يحسن منا ذم فرعون مع بُعْدِ العهد، والذم يجري مجرى العقاب، كذلك العقاب.

قوله تعالى:

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠﴾

۞ القراءة

قراءة العامة «**إسرائيل**» ممدود مهموز ممتنع، وهو الأفصح والأحسن، وعن الحسن والزهري إسرايل[2] بغير همز، ولا مد، وعن الأعمش وعيسى بن عمر

(١) قد: فيه، ف.

(٢) إسرايل: اسرال، د، ز.

«**إسرابيل**» بمدة بعد الياء بغير همز، وعن ورش مهموز مختلس، وفيه لغات: حكى الأخفش: إِسْرَائِل[1] بكسر الهمزة من غير ياء، وحكى: إِسْرَاءَل بفتح الهمزة من غير ياء، قال: ويقول بعضهم: إسرائيل[2] فيميلون، وحكى قطرب: إسرال من غير همز ولا ياء، وإسرائين[3] بالنون، وإسرائيل، وهي قراءة العامة، وأجمعوا على حذف الياء من قوله: (فارهبون) اتباعًا للمصحف، ولأنه أخف، وفي الكلام ما يدل عليه، وأثبتها يعقوب على الأصل.

۞ اللغة

إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، وقيل: إن أصل الاسم مضاف كقولك: عبد الله؛ لأن (إسرا) عبد، و(إيل)[4] الله بالعبرانية، فكان معناه: عبد الله، وقيل: معناه: صفوة الله.

والابن والولد نظيران غير أن الابن تخصيص الذكور دون الإناث، والولد يجمعهما، وأصل الابن من البناء، وهو وضع الشيء على الشيء. والابن مبني على الأب، فكان الأب أصل الابن، والابن فرعًا له، ويقال: هو ابنه على سبيل التبني، وهو مجاز وتوسع مشبه بالابن الحقيقي.

والذِّكْر الحفظ للشيء، وضده النسيان، والذكر: جري الشيء على لسانك، والذكر: الشرف والصيت، والذكر: الكتاب الذي فيه تفصيل الدين، والذكر: الصلاة، وأصل الباب: التنبيه على الشيء.

والنعمة: هي[5] النفع الواصل إليه إذا قصد به الخير، أنعم عليه وأنعمت عليه.

والإيجاب والوفاء والإتمام نظائر، يقال: وَفَى يَفِي وفاء، ويقال: وَفَيْتُ بعهدي، وأوفيته لغة تهامة، وبه جاء القرآن.

---

(١) إسرائل: إسرال، و، ز.
(٢) إسرائيل: اسرابيل، ز، ف.
(٣) إسرائين: إسرايين، ز، ف.
(٤) إيل: ائيل، ز، ف، و.
(٥) هي: هو، د.

والعهد: الأمر، والعهد: الوصية.

والرهبة: الخوف والخشية، ومنه الراهب، ومنه رَهَبُوت خير من رَحَمُوت، يعني أن تُرْهَبَ خير من أن تُرْحَمَ، والرهبة قيل: جنس برأسه من أجناس الأعراض عندنا أنه يرجع إلى الاعتقادات، فمن اعتقد في شيء ضررًا دعاه إلى اجتنابه، فهو رهبة، ومن اعتقد فيه نفعًا دعاه إلى فعله، فهو رغبة.

۞ الإعراب

يقال: هل يجوز أن ينتصب «**إِيَّايَ**» بقوله: «**فَارْهَبُونِ**»؟

قلنا: لا، لكن بما دل عليه لأنه مشغول بالضمير، كما لا يجوز: زيدًا فَاضْرِبْهُ، فتنصب (زيدًا) بقولك: «**فاضربه**» إذْ كان مشغولاً بضميره، ولكن نصبه بإضمار فعل يفسره هذا المذكور، كأنه قال: إياي ارهبوا فارهبون، ولكنه مستغنٍ عنه بما يفسره، فلا يظهر، وإنْ صح أنه مقدر.

ويقال: لم اختير تحريك الياء من «**نِعْمَتِي**»؟

قلنا: لأنه لقيها ألف ولام فلا بد من إسقاطٍ أو تحريك، فكان التحريك أولى؛ لأنه أدل على الأصل، وأشكل بما يلزم اللام في الاستئناف من فتح ألف الوصل، والاختيار في «**يَا عِبَادِي**» ألا تثبت بالإضافة في النداء، وإذا لم تثبت لم يكن سبيل إلى التحريك.

۞ النزول

قيل: نزلت في اليهود والنصارى الذين كانوا في عصر النبي ﷺ، وقيل: هو عامٌّ، وقيل: في اليهود والنصارى.

۞ المعنى

لما عم تعالى الخلق بالحجج على توحيده، وذكرهم نعمته عليهم بآدم وغيره، خص بني إسرائيل بالحجج، ذكرهم بما أسدى إليهم وإلى آبائهم من النعم، فقال: «**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ**» يعني يا بني يعقوب، نسبهم إلى الأب الأعلى، كما قال: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾

[الأعراف: ٢٦] والمخاطب بهذا قيل: أحبار اليهود الذين كانوا حول المدينة، عن ابن عباس وأكثر أهل العلم، وقيل: جميع اليهود والنصارى، عن أبي علي، «**اذْكُرُوا نِعْمَتِي**» أراد به النعم التي خصهم بها، وأراد الجنس وإن ذكر بلفظ الواحد كقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤] وأراد النعم، وقيل: أراد بهذه النعم ما أنعم به على أسلافهم من الرسل والكتب وأنجاهم من الغرق ومن فرعون وغير ذلك، ومثل هذا جائز يقال: فعلنا بكم كذا ويريد الأسلاف، والعرب تقول: نحن الذين أعز الله بنا الإسلام، وقيل: أراد النعم الواصلة إليهم نحو تبقية آبائهم حتى تناسلوا، وخلقهم لينفعهم ويمكنهم بالآلات والقدرة والهداية من الاستدلال على توحيده وحياتهم وحواسهم السليمة وما يوصل إليهم حالاً بعد حال من الرزق، ويدفع عنهم من المكاره وما يسبغ عليهم من نعم الدين والدنيا «**وَأَوْفُوا بِعَهْدِي**» قيل: ما أمرتكم به من طاعتي ونهيتكم عن معصيتي في النبي ﷺ «**أُوفِ بِعَهْدِكُمْ**» أدخلكم الجنة، عن ابن عباس، وسمى ذلك عهدًا؛ لأنه تقدم به إليهم في الكتب السالفة، وقيل: هو ما عهد إليهم في سورة المائدة في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [المائدة: ١٢] الآية إلى آخرها، عن قتادة، وقيل: هو جميع الأوامر والنواهي، وقيل: هو ما عهد إليهم في التوراة والإنجيل في أمر رسول الله فكتموه.

ومتى قيل: لم خصهم بتذكير العهد وغيرُهُم بمنزلتهم في لزوم الوفاء بالعهد؟

قلنا: لأن الإيمان بنبينا كان من تكليفهم، وبيان صفته ونعته مذكور في كتبهم فكتم علماؤهم ذلك عن عوامهم، ويجوز العناد على نفر يسير لحب الرياسة أو لغرض من الأغراض «**أُوفِ بِعَهْدِكُمْ**» قيل: أغفر لكم وأدخلكم الجنة إن آمنتم بمحمد كما أمرتكم، وذلك عهدي معكم في كتابكم، وقيل: سمي الجزاء على الوفاء بالعهد وفاء، كقولهم: الجزاء بالجزاء.

ومتى قيل: العهد هو اللزوم فكيف يلزمه تعالى الثواب، وما سببه؟

قلنا: سبب الثواب التكليف؛ لأنه لولا الثواب لما حسن التكليف، فإذا كلفهم ضَمِنَ الثواب لهم، فحل مَحَلَّ العهد الذي يجب الوفاء به.

«وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ» يعني خافوا عذابي؛ لأن الخوف يكون من المضار، ولا مضرة أعظم من العقاب، وأمر بالتحذير منه لمجانبة معاصيه.

ومتى قيل: قد[1] يحصل هذا الخوف لجميع المكلفين، فكيف يحصل الخوف؟

قلنا: الخوف قد يحصل بتيقن الضرر[2]، وبتوهم الضرر، ثم قد يكون خوف العقاب، ويكون تحرزًا عن إحباط الثواب والإِضْرَارِ بذلك، كخوف الأنبياء.

۞ الأحكام

الآية تدل على وجوب شكر النعمة والتحدث بها عند لحوق التهمة.

وتدل[3] على وجوب الوفاء بعهد الله، وهي[4] أوامره ونواهيه.

وتدل على أن كثرة النعمة تقتضي الرهبة من كفرانها بالمعصية وإلحاق الوعيد بكتمانها.

فتدل[5] على أن أفعال العباد فعلهم؛ إذ لو خلق الله فيهم لما صح العهد والأمر والنهي والوعد والوعيد؛ إذ لو خلق فيهم الكفر[6] لأظهروا من غير هذه المعاني، وإن لم يخلق لما أظهروا مع هذه المعاني، بَيَّنَ أن مذهب الجبر يؤدي إلى بطلان الرسل والكتب والأمر والنهي.

قوله تعالى:

﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾

---

(١) قد: هل، د، ز، و.
(٢) الضرر: الصورة، أ.
(٣) وتدل: فتدل، د، ز، و.
(٤) وهي: وهو، د، ز، و، ف.
(٥) وتدل: فتدل، د، ز، و.
(٦) الكفر: ـ، ف.

۞ اللغة

الثمن: هو البدل في البيع، وإذا قيل في غير ذلك: ثمن، فهو مشبه به توسعًا، والثمن المطلق هو الدراهم والدنانير، ولذلك يلزمهما بالبدل، وإذا عينت هل يتعين؟ قال أبو حنيفة: لا يتعين في العقود؛ لأن تعيينه لا يفيد، ولأنه يثبت في الذمة مطلقًا، وقال الشافعي: يتعين، ولا خلاف أنه يتعين في المغصوب.

والقليل: نقيض الكثير.

والأول: هو الموجود قبل كل شيء، ونظيره السابق، ونقيضه الآخر، والله هو الأول الآخر، وإذا أطلق على غيره فالمراد به أنه سابق لغيره، ومتأخر عن غيره.

۞ الإعراب

نصب «مُصَدِّقًا» لأنه حال من الهاء المحذوفة كأنه قال: أنزلته مصدقًا، وقيل: انتصب بـ(آمنوا)، تقديره: آمنوا بالقرآن مصدقًا.

ويقال: لم وحد كافر، وقبله الجمع؟

قلنا: قال الفراء: لأنه في معنى[1] الفعل كأنه أول من كفر به[2]، ولو أريد الاسم لم يجز إلا بالجمع كقولك للجماعة: لا تكونوا أول رجال يفعلون، ولا يجوز: ولا تكونوا أول رجل، وقال المبرد: معناه أول قبيل كافر، وأول حزب كافر به، فيكون نعت الجمع.

۞ النزول

قيل: نزلت الآية في كعب بن الأشرف وأصحابه من أحبار اليهود ورؤسائهم، وكان لهم مال يأخذونه من عوامهم في كل سنة ورئاسة، يقتدي الناس بهم ويرجعون إليهم، فخافوا إن صدقوا بمحمد ﷺ أن يفوتهم ذلك فكتموا أمره وأظهروا عداوته فنزلت الآية.

---

(١) معنى: مذهب، د، ز، و.

(٢) به: ـ، ف، و.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى تفصيل ما أجمله في قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ﴾ فقال تعالى: «وَآمِنُوا» أي صدقوا «بِمَا أَنزَلْتُ» يعني القرآن؛ لأنه أنزله من السماء إلى الأرض «مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ» قيل: جاء موافقًا لما تقدم الإخبار به في كتبهم، فهو حجة عليهم، وقيل: يصدق التوراة والإنجيل، والأول الوجه؛ لأنه يكون حجة عليهم، وقيل: إنه خطاب لأحبار اليهود، وقيل: لأهل الكتاب، «وَلاَ تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ» أي أول كافر من أهل الكتاب، وقيل: كانت قريش كفرت قبلهم بمكة، عن أبي علي، وقيل: لا تكونوا أول جاحد أن صفته في كتابكم، وقيل: لا تكونوا السابقين إلى الكفر فيتبعكم الناس، فتكونوا أئمة الكفر، وقيل: لا تكونوا أول كافر بما معكم من كتابكم فيتبعكم الناس «بِهِ» قيل: بمحمد، عن ابن جريج وأبي علي، وقيل: بالقرآن، عن أبي العالية، وقيل: بما معكم من الكتاب، عن الأصم والزجاج.

ومتى قيل: لِمَ عظم الكفر الأول؟

قلنا: لأنه يُقْتَدَى به فيصير من أئمة الكفر فيعظم دوره، كما أن المقتدى به في الخير يعظم ثوابه.

«وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي» قيل: بحججي وما أنزلته من[1] الكتب، وقيل: أراد به صفة محمد ﷺ «ثَمَنًا قَلِيلاً» لا تأخذوا على تعليمه أجرًا، قال أبو العالية: في كتابهم: «يابن آدم علم مجانًا كما علمت مجانًا»، وقيل: لا تأخذوا على كتمانه أجرًا[2] وهو ما كانوا يأخذونه من الأموال والرُّشا[3] في الدنيا[4] ليكتموا صفة محمد ﷺ.

ويقال: لِمَ دخل الباء ههنا في الآيات، وفي سورة يوسف على الثمن فقال: ﴿بِثَمَنٍۭ بَخۡسٍ﴾ [يوسف: ٢٠]؟

(١) من: في، د.
(٢) قال أبو العالية... كتمانه أجرا: ـ، ز، و.
(٣) والرشا: ـ، ف.
(٤) في الدنيا: ـ، ف.

قلنا: قال الفراء: لأن العُروض أنت مخير فيها إن شئت أدخلت الباء على أي البدلين، وإن شئت تقول: اشتريت الثوب بكساء، واشتريت الكساء بثوب، فإذا جئت إلى الدراهم والدنانير وضعت الباء في الدراهم؛ لأن الدراهم ثمن أبدًا.

«ثَمَنًا» يعني عوضًا «قَلِيلاً» يعني أنه بالإضافة إلى نعيم الجنة قليل.

۞ الأحكام

الآية تدل على تحريم الرشا في الدين؛ لأنه لا يخلو إما أن يكون أمرًا يجب إظهاره فأخذ المال عليه لا يجوز، أو يحرم إظهاره فالأخذ لإظهاره حرام.

وتدل على أن مَنْ غَيَّرَ شيئًا من أمر الدين لأغراض دنيوية فهو داخل في الوعيد [وقد] خسر خسرانًا مبينًا، وهذا الخطاب كما يتوجه إلى علماء بني إسرائيل يتوجه إلى علماء السوء من هذه الأمة إذا اختاروا الدنيا على الدين، فتدخل فيه الشهادات والفتاوى والقضاء وإظهار البدع ونحو ذلك.

قوله تعالى:

﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾

۞ اللغة

اللَّبس: الخلط والتغطية، ونقيضه الإيضاح، لَبَسَّ لَبْسًا ولُبْسَةً وتلبيسًا.

والباطل نقيض الحق، ونظيره الفاسد، بطل الشيء إذا تلف، وأبطله جعله باطلاً، وأبطله: نسبه إلى البطلان، وأصله الخبر الكاذب[1]، ثم كثر حتى قيل لكل فاسد: باطل.

۞ الإعراب

ويقال: ما موضع «تَكْتُمُوا» من الإعراب؟

---

(١) الكاذب: الكذب، د، ز.

قلنا: يحتمل وجهين: الجزم على النهي، تقديره: لا تلبسوا، ولا تكتموا، والآخر النصب على الظرف كأنه قال: لا يجتمع اللبس والكتمان، وقال الشاعر:

لاَ تَـنْـهَ عَـنْ خُـلُـقٍ وَتَـأْتِـيَ مِـثْـلَـهُ عَـارٌ عَـلَـيْـكَ إِذَا فَـعَـلْـتَ عَـظِـيـمُ[1]

كأنه قال: لا يجتمع النهي والإتيان به.

وعند الخليل وسيبويه والأخفش ينصب مثل ذلك بإضمار (أن)، ويكون تقدير الكلام لا يكن منكم لبس الحق وكتمانه[2].

المعنى

ثم نهى تعالى عن كتمان الحق فقال: «**وَلاَ تَلْبِسُوا**» قيل: اللبس التعمية، وقيل: خلط الحق بالباطل، عن ابن عباس «**الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ**» قيل: لا تخرجوا الباطل في صورة الحق، والحق في صورة الباطل، وهذا عادة علماء السوء، ثم ذلك قد يكون بالكتمان، وقد يكون بالتحريف، فعظم تعالى ذلك من حيث كان إضلالاً، وقيل: لا تخلطوا الحق الذي أنزلت عليكم في صفة محمد بالباطل الذي تكتبونه بأيديكم لتلبسوا على العوام، وقيل: كان لبسهم الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعض، وهو صفة محمد ﷺ، وقيل: لا تحرفوا الكلام من مواضعه، وقيل: لا تخلطوا الصدق بالكذب، عن ابن عباس، وقيل: كتموا صفة محمد والإسلام، وأظهروا اليهودية، وهو الباطل، وقيل: الحق التوراة المنزلة، والباطل: ما كتبوه بأيديهم، عن ابن زيد «**وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ**» أي لا تكتموا الحق «**وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**» الحق، وقيل: ثبوته وصفته فعاندتم، وهذا في رؤساء اليهود، وقيل: في أهل الكتاب، وهم جماعة يجوز عليهم الكتمان والعناد، وقيل: وأنتم تعلمون ما أنزل وسينزل بمن كذب على الله، وقيل: وأنتم تعلمون ما نزل ببني إسرائيل من المسخ وغيره.

ومتى قيل: لِمَ صار ذنب الْعَالِمِ أعظم؟

---

(١) البيت ينسب لأبي الأسود الدؤلي. أنظر الديوان.

(٢) وعند الخليل وسيبويه. . . لبس الحق وكتمانه: ـ ، ف.

قلنا: الجاهل يستحق الوعيد من وجهين: أحدهما: الجحد، والثاني: الجهل، إلا أن ذنب العالم أقبح للعناد، ولعظم نعم الله عليه.

ومتى قيل: كيف حرفوا وعامتهم كان يعرف ذلك؟

قلنا: يحرفون ويفسرون بخلاف الحق، والعامة تحسن الظن بهم يتبعونهم كما هو عادة المبتدعة في هذه الأمة أيضًا.

۞ الأحكام

الآية تدل على عظم لبس الحق بالباطل بما فيه من الإضلال، وذلك يدل على أن كتمان الحق من المعاصي العظيمة، وقد يبلغ الكفر في بعض المواضع، وتدخل فيه الشهادات والفتاوى وكتمان المذاهب الصحيحة وإظهار البدع لغرض، وإنما يكون كتمانًا إذا مست الحاجة إلى إظهاره، فأما مع عدم ذلك فلا يعد كتمانًا، وقد يجب إظهار المذهب والدليل للتهمة والإرشاد، ونحوها.

ويدل قوله: «وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» على العناد متى حمل على كتمان ما يعلمون، واستدل به بعضهم على أن المعارف ضرورية، وعندنا يجوز ذلك في بعض المواضع، وفي نفر يسير فلا تعلق لهم بها، على أن الآية تدل على خلاف مذهبهم؛ لأنه لو كانت المعارف ضرورة لم يصح اللبس.

قوله تعالى:

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾

۞ اللغة

الزكاة: أصلها النماء والزيادة، يقال: زكا الزرع: نما، وسميت الزكاة؛ لأن المال ينمو بتزكيتها، وقيل: أصله الطهارة، فكأنه يطهر المال، ومنه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

الصلاة: أصلها الدعاء، نقل في الشرع إلى أركان مخصوصة، وأفعال معلومة، وكذلك الزكاة نقل في الشرع إلى إخراج جزء من النصاب عند اجتماع الشرائط.

والركوع: الانحناء فصار اسمًا لفعل مخصوص في الصلاة

۞ المعنى

لما أمر الله تعالى بالإيمان أَتْبَعَهُ بذكر أركانه وشرائطه، فقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قيل: أدوها بأركانها كما أُمِرْتُمْ، وقيل: أديموها، والصلاة مجملة في القرآن، وقد بينها الرسول ﷺ بيانًا عرف من دينه ضرورة، «وَآتُوا الزَّكَاةَ» أي أعطوا ما فرض الله عليكم في أموالكم، «وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ» أي صلوا مع المصلين محمدٍ وأصحابه من المسلمين، عن أبي علي، وقيل: خص الركوع بالذكر لأن الخطاب لليهود ولا ركوع في صلاتهم فكان الأحسن ذكر المختص دون المشترك، وقيل: لأن العرب كانت تأنف من الركوع، والمراد به الخضوع، فقال: اخضعوا لله تعالى[1] بعبادته مع الخاضعين، فيكون الخطاب عامًّا من غير تكرار فيه، وقيل: عبر بالركوع عن الصلاة وكرره تأكيدًا عن أبي مسلم، وقيل: الخطاب عام، ففي أول الآية أمر بالصلاة، وفي آخرها بالجماعة.

۞ الأحكام

الآية تدل على وجوب الصلاة، وتدل على وجوبها في الجماعة، وإذا حمل عليه لا يبطل حق العطف، ولا يكون فيها تكرار، فتدل على وجوب الزكاة.

ويقال: كيف وجوب الصلاة؟

قلنا: عرف وجوبها ضرورة، وهو من الأركان التي يكفر جاحدها، ويفسق تاركها.

ويقال: كم هي؟

قلنا: ثلاثة: فرض، وواجب، ونفل، فالفرض خمس صلوات في اليوم والليلة، والواجب الوتر، والنوافل قد تكون من توابع الفرض، وقد تكون ابتداء وعند سبب،

---

(١) تعالى: +، ز، و.

كصلاة العيد ونحوها. وأجناسها على وجوه: الفرض، والوتر، والجمعة، و[صلاة] العيدين، وصلاة السفر، وصلاة الكسوف، وصلاة الاستسقاء، وصلاة الجنائز، وصلاة الخوف، وصلاة المعذور، وصلاة النوافل، والصلاة المنذورة[1] .

ويقال: ما شرائط الصلاة وأركانها؟

قلنا: أربعة عشر لا تتم إلا بها، سبعة داخلها، وسبعة خارجها.

فالخارج:

طهارة البدن، وهو الوضوء، والغسل عند وجود الماء، والتيمم عند عدمه.

والثاني: طهارة الثوب والبدن من النجاسة.

والثالث: طهارة المكان.

والرابع: ستر العورة.

والخامس: الوقت.

والسادس: القبلة.

والسابع: النية.

وأما التي في الصلاة: فتكبيرة الافتتاح، والقيام، والقراءة، والركوع، والسجود والتشهد الأخير، والخروج من الصلاة، وفي ذلك خلاف بين العلماء، وموضع تفصيله كتب الفقه.

ويقال: ما الزكاة؟ وكيف تجب؟

قلنا: هو إخراج جزء من النصاب، ويتعلق وجوبه بنصاب كامل وحول كامل إذا كان لمالك مخصوص، ولا تجب في مال الكافر والمكاتب والصبي، وهو من الأركان، ووجوبه: قيل على الفور، وقيل: على التراخي، فأما الأموال التي تجب فيها وأجناس الزكاة فأربعة:

زكاة المواشي في الإبل والبقر والغنم بالاتفاق، وفي الفَرَس عند أبي حنيفة، وعند صاحبيه لا تجب.

(١) المنذورة: المنذور، د، ز.

الثاني: زكاة الذهب والفضة، والتجارة ربع العشر، واختلفوا فقيل: تضم الدراهم والدنانير عند العراقيين، وقال الشافعي: لا تضم.

والثالث: زكاة الغلة، وهو العشر أو نصف العشر، واختلفوا فقيل: في قليله وكثيره عن أبي حنيفة، وقيل: يعتبر فيه النصاب، وأجمعوا على أنه لا يعتبر الحول، ولا يجتمع[1] العشر والخراج عند أبي حنيفة وأصحابه، وعند الشافعي يجتمع.

الرابع: المعادن والركاز ففيه الخمس، فأما مصارف الزكاة فما ذكر الله تعالى في أنه الصدقة وسنبينه، وموضع تفصيلها كتب الفقه.

قوله تعالى:
﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾

اللغة

الأمر: هو قول القائل لمن دونه: افعل، إذا أراد الآمر المأمور به، فهو حقيقة في القول مجاز في الفعل؛ لأن التصرف في القول دون الفعل.

والبر: الإحسان، ورجل بَرّ وبَارّ، وفي المثل: لا يَعْرِف الهِرَّ مِن البِرِّ، قيل: من يَبَرُّهُ ممن يَهِرُّ عليه، وقيل: السِّنَّوْرَةُ من الفأرة، وقيل: البر النفع المقصود، وقيل: الطاعة لله، وقيل: البار لذوي قرابته، وأصله من اتساع الخير، ومنه الْبَرُّ خلاف البحر.

والنسيان والسهو والغفلة نظائر، ونقيضه الذكر، يقال: نسي نسيانًا، وحقيقته غروب الشيء عن النفس بعد حضوره، وهو عدم علم ضروري من فعل الله، ويقال: نسي بمعنى ترك، ومنه: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] أي تركوا ذكره فترك رحمتهم.

والتلاوة: القراءة، تلا يتلو: قرأ، وأصل التلاوة اتباع الحروف.

والعقل واللب والمعرفة نظائر، يقال: رجل عاقل، والعقل علوم ضرورية

---

(١) ولا يجتمع: ولا يحتمل، ف.

مجموعة إذا حصل في الإنسان صار مكلفًا، وآخر علوم العقل العلم بالواجبات العقلية والمحسنات والمقبحات، وسمي ذلك عقلاً، تشبيهًا بالعقال؛ لأنه يمنعه عن الإقدام على القبيح، وقيل: العقل قوة يمكن بها الاستدلال بالشاهد على الغائب، واختلفوا فقيل: العقل لا يختلف، وقيل: يختلف[1] وإن كان قضاياه لا تختلف.

۞ النزول

اتفقوا أن الآية نزلت في اليهود.

۞ المعنى

لما أمر الله تعالى اليهود بالإيمان بَيَّنَلهم ذم ما هم عليه فقال تعالى: «**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ**» خطاب لعلمائهم بأنهم يأمرون عوامهم «**بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ**»، يعني: تتركون أنفسكم ولا تعملون به، واختلفوا في البر الذي أمروا به، فقيل: التمسك بكتابهم، كانوا يأمرون به أتباعهم ويتركون ذلك؛ لأن جحدهم النبي ﷺ، وصِفَتُهُ فيه تَرْكٌ للتمسك به، عن ابن عباس، وقيل: أمروا بطاعة الله وتركوا طاعته، عن قتادة والأصم، وقيل: أمروا ببذل الصدقة وضنوا[2] بها؛ لأنهم ـ كما وصفوا ـ قست قلوبهم وأكلوا الربا والسحت، وقيل: كانوا ينصحون العوام باتباع الأدلة ولا يتبعونها، بل اتبعوا الشهوات، وقيل: كان الرجل منهم يقول لقرابته من المسلمين في السر إذا سأله عن النبي ﷺ: اثبت على الدين الذي أنت عليه، ودعاك محمد إليه؛ فإنه حق، وقَوْلُهُ[3] صِدْقٌ، ولا يؤمن هو، فأنزل الله: «**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ**» يعني بالإيمان بمحمد، ولا تؤمنون[4] به، وقيل: كانوا يأمرون العرب بالإيمان إذا بُعِثَ، فلما بعث كفروا، عن أبي مسلم، «**وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ**» يعني تقرؤون التوارة، وفيه صفته ونعته، عن ابن عباس وجماعة.

ومتى قيل: الأمر بالبر طاعة فكيف نهوا عنه؟

---

(١) يختلف: لا يختلف، ف.

(٢) وضنوا: ظنوا، د، ز.

(٣) وقوله: ودينه، ف، و.

(٤) تؤمنون: يؤمنون، ف.

قلنا: المذموم ما ضموا إليه من ترك العمل؛ لأنه كالمتناقض أن يشفق على غيره ولا يشفق على نفسه، وقيل: لأنهم لم يأمروا بالبر لحسنه؛ إذ لو أمروا به لحسنه لبدؤوا بأنفسهم فذمهم؛ لأنهم لم يأتوا بالأمر على وجهه[1] «أَفَلَا تَعْقِلُونَ» يعني أفلا تفقهون أن ما تفعلونه قبيح في العقول، وقيل: أفلا تعلمون أن ذلك متناقض، وقيل: أفلا تعقلون أن ذلك لا يرضاه الله عنكم، بل يعاقبكم عليه، عن أبي علي. وقيل: معناه أن هذا ليس بفعل من يعقل، عن أبي مسلم، وقيل: أفلا تعقلون أنه يلزمكم فيما علمتم ما يلزمهم فيما علموه، عن الأصم، وقيل: أفلا تعقلون أنه الحق فتصدقونه وتتبعونه، يعني النبي ﷺ[2].

الأحكام

الآية تدل على وجوب البر والأمر به لا أنه منع من الأمر؛ لأن تقديره: إذا نصحت غيرك لينجو من العذاب، فأنت إلى نُصْحِ نفسك أقرب، فيجب أن تتمسك بالطاعة التي بها فوزك.

وتدل على توبيخ علماء السوء حيث نصحوا غيرهم، ولا يعملون لأنفسهم.

ويقال: إذا أخل بالطاعة هل يصح منه الأمر بها؟

قلنا: لا، بل يلزمه ذلك كما يلزمه في نفسه أن يطيع، فإخلاله بأحد الأمرين لا يمنع كونه مؤديًا للآخر، وروي عن الحسن ـ رحمه الله ـ: لو لم يأمر بشيء حتى يفعل لضاع الأمر.

ويدل[3] قوله: «وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ» أن الحجة على من يتلو الكتاب أعظم إذا خالفه، وعقوبته أشد، ويجب عليه أن يتمسك به.

قوله تعالى:

﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ٤٥﴾

---

(١) وجهه: وجه، ز، و.

(٢) صلى الله عليه وآله وسلم: عليه السلام، د.

(٣) ويدل: فيدل؛ ز، ف.

۞ اللغة

الاستعانة: طلب المعونة، يقال: استعان به فأعانه.

والصبر: حبس النفس عما ينازع إليه، ونقيضه الجزع، قال الشاعر:

فَإِنْ تَصْبِرَا فَالصَّبْرُ خَيْرُ مَغَبَّةٍ[1] وَإِنْ تَجْزَعَا فَالْأَمْرُ مَا تَرَيَانِ[2]

والصبور: الكثير الصبر.

والخشوع والخضوع والتذلل نظائر، ونقيضه الاستكبار، يقال: خشع خشوعًا، والخاشع المسكين، والخاشع الخاضع، والخاشع الراكع في بعض اللغات، عن ابن دريد.

۞ الإعراب

يقال: على أي شيء يعود الضمير في قوله: «وَإِنَّهَا»؟

قلنا: فيه خلاف، فبعضهم يقول: يعود الضمير على مذكور، وبعضهم يقول: على محذوف.

فأما من قال بالأول ففيه ثلاثة أقوال: على الصلاة، وقيل: على الاستعانة، يعني أن الاستعانة بهما لكبيرة، وقيل: جميع ما تقدم ذكره من قوله: «يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ» إلى ما ههنا، عن أبي علي.

ومن قال بالثاني فلهم فيه خمسة أقوال: قيل: على الإجابة للنبي ﷺ، عن الأصم، وليس بالوجه[3]؛ لأنه لم يَجْرِ له ذكر، ولا هو المعلوم الذي لا يتوجه الكلام إلا عليه، وقيل: أراد مؤاخذة النفس بهما لكبيرة، وقيل: أراد به[4] ما تقدم، وقيل: أراد الصلاة وضروب الصبر؛ لأن الصبر ينقسم، عن القاضي، وقيل: هذه الفعلة لكبيرة[5]، عن أبي مسلم.

---

(١) مغبة: بغية، ف.

(٢) المغبة: العاقبة. اللسان (غبب).

(٣) بالوجه: بالوجيه؛ د، ز، ف.

(٤) أراد به: بإذنه، ز، و.

(٥) الفعلة الكبيرة: الحطة الكبيرة، د.

ويقال: لم رد الضمير على واحد، وقد تقدم اثنان؟

قلنا: فيه أربعة أقوال:

أحدها أن المعنى على الصلاة دون غيرها على ظاهر الكلام، وخصها بالذكر[١] لتأكيد حالها وعموم فرضها، وتفخيم شأنها.

والثاني: أن المراد به[٢] الإتيان بهما، وإن كان اللفظ على الواحد كقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢] قال الشاعر:

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالمدينة رَحْلُهُ ... فَإِني وقَيَّارٌ بِهَا لَغَرِيبُ[٣]

الثالث: أراد كل خصلة منهما[٤] لكبيرة، عن الأخفش.

الرابع: يعود إلى الاستعانة، قيل: إنها تعود على الأظهر والأعم، ومن شأن العرب تفعل ذلك كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ [التوبة: ٣٤].

۞ النزول

قيل: إنه خطاب لليهود، وفيهم نزل، وقيل: رجع بهذا القول إلى المسلمين، عن أبي علي، والأول أظهر؛ لأن ما قبله وما بعده خطاب لأهل الكتاب.

۞ المعنى

ثم أمر تعالى بالاستعانة بطاعته تعالى على أداء ما كلف فقال تعالى: «**وَاسْتَعِينُوا**» يعني: اطلبوا المعونة.

ومتى قيل: الاستعانة على ماذا؟

---

(١) بالذكر: ـ، ف.

(٢) المراد به: ـ، د، و.

(٣) البيت لضابئ بن الحارث البرجمي. أنظر؛ اللسان «قير».

(٤) مِنهما: منها، ز.

قلنا: هو محذوف، والمراد على أداء الفرائض التي تقدم ذكرها من الصلاة والزكاة وغيرهما، وعن الانتهاء عما نهوا عنه، وقيل: هو خطاب لليهود الذين أخذوا الرشا من أتباعهم على تغيير الدين، فأمرهم بالاستعانة عن الضيق، ولا تفعلوا ذلك، وقيل: على مشقة التكليف، وقيل: على الوفاء بعهدي الذي عاهدتموني في كتابكم من طاعتي، وقيل: على تنجيز ما وعد به لمن اتبع الرسل، عن أبي مسلم «**بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ**» يعني: بفعلهما.

ومتى قيل: كيف وجه الاستعانة بهما؟

قلنا: أما الصلاة فلما فيها من تلاوة القرآن والتدبر في معانيه والاتعاظ بمواعظه، والإقدام على أوامره، والانتهاء عن نواهيه، وفيها الدعاء والخضوع لله، وفيها معونة على من تنازع النفس إليه من الاستكبار وحب الدنيا، وفيها لطف للمكلف في الامتناع عن الفحشاء والمنكر، فأما الصبر فقيل: أراد به الصوم[1]، وقيل: الكف عن المحارم، وقيل: الصبر على الطاعة وعن المعصية.

وجه آخر: أن الصبروالصلاة ألطاف في الدعاء إلى الطاعات واجتناب المعاصي.

ووجه آخر: أنه ليس من أفعال القلب أعظم من الصبر ولا في أفعال الجوارح أعظم من الصلاة، فأمر بالاستعانة بهما.

«**وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ**» أي ثقيلة عن الحسن وجماعة، والأصل فيه أن ما يكبر يثقل على الإنسان حمله كالأجسام «**إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ**» قيل: على[2] المصلين، عن ابن عباس، وقيل: المؤمنين، عن أبي علي، وقيل: الخائفين، عن الحسن والأصم، وقيل: المتواضعين، عن مقاتل، وقيل: المطيعين، عن أبي روق.

ويقال: كيف خص الخاشع بأنه لا يكبر عليه فإذا لم يكبر عليه، كيف يستحق الثواب؟

قلنا: فيه قولان:

---

(١) وحب الدنيا وفيها. . . أراد به الصوم: ـ، ز، و.

(٢) على: عن، د، ز.

أحدهما: أنه يكبر عليه ويشق كما يشق على غيره، ويزيده مشقة؛ لأنه يؤديها تامة من ابتدائها إلى انتهائها، ويحضرها النية في كل وقت وركن، ولا يلهي جوارحه فيتدبر آيات القرآن، ويتجدد عليه الخوف والحزن، ولكنه يسهل على نفسه؛ لِمَا علم من حسن عاقبته والثواب العظيم المعد له، وهذا كمن يشرب الدواء الكريه فإنه يسهل عليه شربه لما يرجو من العافية، والجاهل لا يصور لنفسه ذلك، فيشق عليه فعل الطاعة.

والثاني: أنه قد اعتاد تحمل المشقة، فصار بمنزلة من لا شِقَّ عليه، بخلاف من لا يعتاده.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن الصبر والصلاة لطفان في التكليف؛ لذلك أُمِرْنَا بالاستعانة بهما على غيرهما، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وتدل على أن تحمل المشقة يسهل متى تَصَوَّرْتَهَا عاقبة محمودة، وذلك صفة المؤمنين، وتدل على عظم موضع هاتين العبادتين لما خصهما بالذكر.

قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾

۞ اللغة

الظن والتحزير(١) من النظائر، والظن جنس برأسه سوى الاعتقاد عند أبي علي والقاضي، وهو من جنس الاعتقاد عند أبي هاشم، ويفارق الشك؛ لأن في الشك يستوي النقيضان عنده، والظن أن يقوى أحد الجانبين، ويستعمل الظن بمعنى اليقين، قال الشاعر: هو دريد بن الصمة:

---

(١) التحزير: التجويز، ف، و.

فَقُلْتُ لَهُمْ ظنوا بِأَلْفَيْ مُدَجَّجٍ سَرَاتُهُمْ في الفَارِسِيِّ المُسَرَّدِ[1]

وتستعمل بمعنى الشك، والقرآن جاء بهما، فأما بمعنى اليقين فقوله: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١٨] وبمعنى الشك: ﴿وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ﴾ [الفتح: ١٢]. والظن يكون اسمًا ويكون مصدرًا، فإذا قلت: ظننت ظنًّا فهذا مصدر، وإذا قلت: ظني به كذا جعلته اسمًا، والظن قد يحسن كما في المسائل الاجتهادية، وقد يقبح كما في أصول الدين.

وأصل الملاقاة: الملاصقة، ثم قد يستعمل في غيره، يقال: التقى[2] الفارسان.

والرجوع: العود إلى حال كان عليه هذا لصلة، ثم يستعمل في غيره توسعًا ومجازًا.

۞ الإعراب

يقال: لم حذفت النون من «مُلَاقُو رَبِّهِمْ»؟

قلنا: قال البصريون: حذفت تخفيفًا، والمعنى على إثباتها، ومثله: ﴿إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ﴾ [القمر: ٢٧]،وقال الكوفيون: إذا حذفت النون فللفظ الاسم، وإذا ثبت وظهر النصب فلمعنى الفعل،ولا يجوز كسر (إن) الأولى؛ لأن الظن واقع عليها، ويجوز في الثانية الكسر، والقراءة بالنصب فيهما.

۞ المعنى

لما تقدم ذكر المؤمنين أتبعه ببيان صفتهم فقال تعالى: «الَّذِينَ يَظُنُّونَ» يعني يوقنون، والظن بمعنى اليقين عند أكثر أهل العلم: الحسن ومجاهد وأبي العالية وابن جريج وغيرهم، ونظيره: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ﴾ [الحاقة: ٢٠] وقيل: إنه بمعنى الظن لا اليقين، والمعنى يظنون أنهم ملاقو ربهم بذنوبهم لشدة إشفاقهم من الإقامة على معصية الله تعالى، وفيه بُعْدٌ لكثرة الحذف، وقيل: إنه لا يفارق قلبه ظن الموت في

(١) ديوان الحماسة بشرح المرزوقي، ٢/ ٨١٣.

(٢) التقى: التقاء، د، و.

كل وقت فتقوى دواعيه إلى التوبة والطاعات، ويقل ركونه إلى الدنيا. «**مُلَاقُو رَبِّهِمْ**» قيل: ملاقو جزاء ربهم، فجعل ملاقاة الجزاء ملاقاة له على جهة التفخيم لبيان[1] الجزاء وإيجاز الكلام، يدل عليه قوله تعالى في صفة المنافقين: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ [التوبة: ٧٧] والمنافق لا يجوز أن يرى ربه، ويدل عليه قوله: ﴿إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٣٠] يعني جزاء ربهم، وقال ﷺ: «**من حلف على مال امرئ مسلم كاذبًا لقي الله وهو عليه غضبان**»[2] ، عن أبي علي. وقيل: معنى «**مُلَاقُو رَبِّهِمْ**» يعني راجعون إليه، والمراد به البعث والنشور، وليس اللقاء من الرؤية في شيء، يقال: لقيت فلانًا، يعني: زاره وكلمه وإن كان القائل أعمى، ويقال: لَقَّاكَ الله مَحَابَّكَ[3]، وهو لا يريد أشخاصا يراها، وإنما يريد لقاء ما يسره، عن أبي مسلم. «**وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**» بالإعادة في الآخرة، عن أبي العالية، وقيل: يرجعون أمواتًا كما كانوا أمواتًا، وإنما قال: «**إِلَيْهِ**» لأنهم يرجعون إلى حُكْمِهِ ومَقَامٍ لا مالك هناك سواه يملك نفعهم وضرهم كما كانوا في الابتداء.

❁ الأحكام

الآية تدل على أن المؤمن الخاشع يكثر تفكره في العاقبة، وفيما أعد الله لأهل الثواب وأهل العفاف فيكون ذلك لطفًا لهم في الطاعات واجتناب المعاصي.

وتدل على إثبات المعاد، وأن الخلق يرجعون إلى جزاء ما عملوا.

وتدل على أن العلم بالمعاد لطف.

قوله تعالى:

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾

---

(١) لبيان: لبشارتهم، ز، و.

(٢) رواه مسلم واللفظ له ١/ ١٢٢ حديث رقم ٢٢٢ والبخاري ٢/ ٨٣١ رقم ٢٢٢٩، والدار قطنى ٤/ ١٦٦ رقم ٢٤، والطبراني في الكبير ١٧/ ١٠٩ رقم ٢٦٧.

(٣) أي هيأ الله لك ما تحب.

۞ اللغة

الفضيلة: الدرجة والرفعة في الفضل، وضده النقص، والتفضيل: الترجيح في الفضل، ونقيضه التسوية.

۞ المعنى

ثم ذكرهم الله تعالى نعمه فقال تعالى: «**يَا بَنِي إِسْرائِيل**» يا بني يعقوب.

ويقال: لم كرر يا بني اسرائيل؟

قلنا: تأكيدًا للتنبيه على عظيم النعم عليهم، كما يقول أهل اللغة: اذهب اذهب، عَجِّلْ عجل. وقيل: الأول جاء على الجملة[1]، والثاني على جهة التفصيل، وقيل: في الأول ذَكَّرَهُمْ نعمه على أنفسهم، وههنا ذكرهم نعمه على آبائهم، «**اذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ**» يعني ما أعطيتكم من نعم الدين والدنيا، «**وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ**» قيل: بكثرة الرسل والكتب إليهم، وقيل: بكثرة الأنبياء منهم، وقيل: بالنعم العظام دينًا ودنيا كالمن والسلوى والنجاة من فرعون، وما آتاهم من الملك وعلم الدين، عن أبي علي.

ويقال: لم قال: «**فَضَّلْتُكُمْ**» وإنما فضل الآباء؟

قلنا: لأن فيما أعطى الآباء شرفًا للأبناء، وذلك مشهور في العادة وكلام العرب.

«**عَلَى الْعَالَمِينَ**» قيل: عَالَمِي زمانهم، عن الحسن وقتادة وأبي العالية ومجاهد، وقيل: التفضيل مخصوص كقولك: فضل زيد على عمرو في الشجاعة لا يدل على أنه أفضل منه على الإطلاق، والتخصيص في التفضيل لا في العالمين، يعني فضلتكم بما أنعمت عليكم على العالمين.

۞ الأحكام

الآية تدل على أنه تعالى فضل بني إسرائيل بنعم الدين والدنيا.

---

(١) أي الإجمال.

ويقال: هل تدل على أنهم أفضل من أمة محمد ﷺ؟

قلنا: لا، وقد بينا المعنى، فبعضهم يخصص العالمين، وبعضهم التفضيل[(١)] ، وأجمعت الأمة على أن هذه الأمة أفضل من سائر الأمم، ونطق به القرآن، فقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وتدل على أن شكر النعمة والتحدث بها مما يجب، وإنما يجب بالقلب عمومًا، وباللسان عند التهمة في الجحود.

قوله تعالى:

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

القراءة

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وإحدى الروايتين عن عاصم[(٢)]: «**ولا تقبل منها شفاعة**[(٣)]» بالتاء لتأنيث الشفاعة، وهو الأصل والاختيار. وقرأ الباقون بالياء، والوجه فيه أن الفعل المؤنث دخل بينهما فاصل مع تقدم الفعل، ولأن التأنيث في الشفاعة غير حقيقي؛ إذ كان ليس على أنثى من الحيوان بإزائها ذكر، ولأنه تقدم الفعل على المؤنث، فشبه ذهاب علامة التأنيث للتقديم ذهاب علامة التثنية والجمع في التقديم كقوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ﴾ [النساء: ١٦٥].

والقراء اتفقوا في «**لاَ تَجْزِي**» على فتح التاء وترك الهمزة بمعنى لا تغني، وهي لغة أهل الحجاز، وأصله من جزيت، وعن بعضهم بضم التاء وهمز الياء من أَجْزَأَ يُجْزِئُ إِجْزَاءً، وهي لغة تميم، ولا يجوز القراءة إلا بالمستفيض.

والقراء على «**تُقْبَلُ**» بضم التاء ورفع «**شفاعة**» على ما لم يسم فاعله، وعن قتادة:

---

(١) يعني يخصص التفضيل.

(٢) عاصم: الأصم، ف، و.

(٣) منها شفاعة: شفاعة منها، د، ز، و.

(ولا يقبل) بالياء وفتحها، شفاعة بنصب التاء على معنى لا يقبل الله شفاعة[1] .

۞ اللغة

الجزاء: المكافأة بالإحسان إحسانًا، وبالإساءة إساءة، وأصله مقابلة الشيء بالشيء، والفعل جزى يجزي، وهذا مما يجري القول فيه على فَعَلَ وأَفْعَلَ، فإذا كان فعلا فهو غير مهموز، وإذا كان أفعل فهو مهموز.

والقبول مصدر قبل قبولاً، وأصله من المقابلة، ونظيره الإجابة، ونقيضه الامتناع، وقبول العمل هو إيجاب الحق به، والمقابلة بالجزاء عليه.

والشفاعة والوسيلة والقربة نظائر، يقال: فلان يشفع فيه، وفلان يغري به، فهما كالنقيضين، يقال: شفع شفاعة، والشفع من العدد ما كان زوجًا، ومنه: ﴿وَٱلْوَتْرِ﴾ [الفجر: ٣]، وقيل: أصل الشفع[2] الزوج، ومنه الشفاعة، وقيل: أصله الضم، فعلى الأول كأن الشفيع زوج الطالب، وعلى الثاني كأنه مضموم إليه، والشفاعة ثابتة لرسول الله ﷺ يوم القيامة بإجماع الأمة.

والأخذ والقبض بمعنى، وضده الإعطاء.

والعدل: المرضي من الناس، والعدل: ضد الجور، يقال: رجل عَدْلٌ، ورجلان عَدْلٌ، ورجال عَدْلٌ، وامرأة عدل، يستوي فيه المذكر والمؤنث، والواحد والجمع، وأصل العدل: الاستقامة، وسمي العدل لاستقامته، وعديل الشيء: نظيره، والعدل الفدية، وسمي بذلك لأنه يعادل المفتدى ويماثله، قال تعالى: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ [المائدة: ٩٥].

والنصر: المعونة، وأنصار الرجل أعوانه، وبه سُمِّيَ الأنصار، ومنه: «**انصر أخاك ظالمًا أومظلومًا**»[3] .

---

(١) حجة القراءات ٩٥.

(٢) الشفع: ـ، د، و.

(٣) صحيح البخاري (٢/ ٨٦٣) برقم (٢٣١١، ٢٣١٢)، (٦/ ٢٥٥٠) برقم (٦٥٥٢)، مسند أحمد (٣/ ٩٩، ٢٠١) برقم (١١٩٦٧، ١٣١٠١)، سنن الدارمي (٢/ ٤٠١)، صحيح ابن حبان (١١/ ٥٧٠) برقم (٥١٦٧)، المعجم الأوسط (١/ ٢٠٢) برقم (٦٤٩)، المعجم الصغير (١/ ٣٤٦) برقم (٥٧٦)، سنن البيهقي الكبرى (٦/ ٩٤) برقم (١١٢٩٠)، (١٠/ ٨٩) برقم (١٩٩٦٤)، مجمع الزوائد (٧/ ٥٢١) برقم (١٢١٢١).

۞ الإعراب

يقال: ما موضع «لاَ تَجْزِي» من الإعراب؟

قلنا: نصب بإجماع؛ لأنه صفة لـ (يَوْم).

ويقال: ما العائد إلى يوم من الإضمار؟

قلنا: اختلفوا فيه، فقال الكسائي[١]: لا يجوز أن يكون إلا هاء محذوفة من يجزيه، وقال بعضهم: لا يجوز أن يكون المحذوف إلا فيه، وقال أكثر أهل العربية: يجوز الأمران، منهم: سيبويه والأخفش والزجاج، وفصل النحويون بين الظرف وغيره[٢] من الأسماء في الإضمار[٣] فقالوا: لما كان يجوز مع المظهر منها الأمران، جاز مع المضمر أيضًا الأمران، تقول: قمت اليوم، وقمت في اليوم. وكذلك يجوز: اليوم قمته، واليوم قمت فيه. ولما لم يجز: قمت زيدًا، وأنت تريد قمت إلى زيد لم يجز: زيد قمته، كما يجوز: زيد قمت إليه.

ويقال: علام يعود الهاء في قوله: (مِنْهَا) في الموضعين؟

قلنا: فيه قولان، قيل: على النفس من قوله: «عَنْ نَفْسٍ» وقيل: الهاء الأولى «وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا» يرجع إلى النفس الأولى، وفي قوله: «وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا» يعود إلى النفس الثانية، وتقديره: لا يغني أحد[٤] عن أحد، ولا يشفع له، عن أبي مسلم.

۞ النزول

قيل: نزلت في اليهود خاصة لما قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، وأولاد الأنبياء، وسيشفع لنا آباؤنا، فأنكر الله تعالى ذلك عليهم، وأَيَّسَهُمْ[٥] من ذلك، وأخرج الكلام على العموم، وليدل على إياس كل واحِدٍ[٦] منهم في الشفاعة [مستند] في إزالة عقابه، عن الأصم، وقيل: الآية عامة في الجميع.

(١) مغني اللبيب ٨٠٢.
(٢) غيره: غيرها، ز، و، د.
(٣) في الإضمار: والإضمار، ف.
(٤) أحد:ـ ، د، ف.
(٥) وأيسهم: أنبهم، د، ز، ف.
(٦) إياس كل واحدٍ: أناس كل واحد، د،ز، ف،و.

۞ المعنى

لما بَيَّنَ تعالى نعمه على بني إسرائيل حذرهم من الكفر، فأنذرهم بيوم القيامة، فقال تعالى: «**وَاتَّقُوا**» يعني: واحذروا، وأصله من الوقاية «**يَوْمًا**» يعني يوم القيامة، «**لاَ تَجْزِي نَفْسٌ**» أي لا تغني نفس «**عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا**»، عن السدي وجماعة كقوله: «**البقرة تجزي عن سبعة**» وقال النبي[1] لأبي بردة بن نيار: «**تجزي عنك ولا تجزي عن أحد بعدك**»[2] وقيل: لا يؤدي أحد عن أحد حقًّا وجب عليه لله أو لغيره، عن الأصم، وقيل: لا تقضي، وقيل: لا تقابل مكروهها بشيء يدرؤه عنها، وإنما نكر النفس ليبين أن كل نفس هذا حكمها، «**وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ**» في النجاة من العقوبة «**وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ**» قيل: فدية، روي مرفوعًا، وهو قول ابن عباس وجماعة، وقيل: بدل، وهو الفدية أيضًا، «**وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ**» أي لا يعانون حتى ينجوا من العذاب، وقيل: ليس لهم ناصر ينتصر لهم من الله تعالى إذا عاقبهم، عن الأصم.

۞ الأحكام

الآية تدل على عظم حال القيامة لما ذكر من تَأْييسٍ[3] للعصاة من الناصر، وأخذ الفدية، وقبول الشفاعة.

وتدل على وجوب اتقاء ذلك اليوم باتقاء المعاصي والكبائر، فتدل على أن صاحب الكبيرة لا يكون له شفيع، فيبطل مذهب مخالفينا في الشفاعة لأهل الكبائر، وإن وردت في بني إسرائيل، فالمعتبر عموم اللفظ لا خصوص السبب؛ لأن التعليل يشمل الجميع.

---

(١) النبي: ـ، د، ف.

(٢) مسند أبي يعلى (٢/ ١٩٢) برقم (٨٩٧).

(٣) تأييس: الناس، ز، و.

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾

القراءة

القراءة الظاهرة «**نجيناكم**» بنون الكبرياء، وروي عن إبراهيم «**نجيتكم**» بالتاء على الوحدان، والأول أوجه، لاجتماع القراء عليه، ولأن ما يأتي بعده بالنون نحو قوله: ﴿فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ﴾ ونحوه.

وأجمع القراء على «**يذبحون**» بالتشديد، وضم الياء، وعن بعضهم بالتخفيف، وفتح الياء والباء من الذبح، فالتشديد على التكثير.

اللغة

النجاة والسلامة والتخلص نظائر، ونقيض النجاة الهلاك، نجا ينجو، وأنجاه الله، وأصله من النجوة، وهو الارتفاع، فالنجاة: ارتفاع عن الهلاك والمكروه، ومنه: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [يونس: ٩٢] أي نلقيك على نجوة.

والآل والأهل بمعنًى، وآل الرجل: أهله وقرابته، وهو مأخوذ من الأَوْل، وهو الرجوع، وآلُ الرجل خاصتُّه، الذين يرجعون إليه في نسب أو صحبة، و(أَوْلَى): كلمة وعيد ما يؤول إليه حاله، كأنه قال: ستعلم[١] ما يؤول إليه حالك، واختلفوا في أصل آل: فقيل: أصله (أهل) بدليل أن تصغيره أُهَيْل، وقيل: بل هو أصل على حاله، وحكي عن الكسائي[٢] في تصغيره أويل[٣] ، وهذا يسقط ما اعتمدوا عليه، فآل الرجل معناه الذين يؤول إليه أمرهم، والأهل أعم من الآل[٤] يقال: أهل البلد، ولا يقال: آل البلد.

(١) ستعلم: سيعلم، د، ز، و.

(٢) وحكي عن الكسائي: وحكى الكسائي، د، ف.

(٣) اللسان (أول).

(٤) الآل: الأول، ز، و.

والسَّوْمُ والتجشم والتحمل نظائر ويقال: سَامَهُ المشقةَ، وسامه السوء والشر، وهو أن يجنبه مشقة أو شرًّا، وسُمُته سوء العذاب، قيل: أرسل عليه ذلك، والسوم فِعْلٌ يحمل النفس على ما يكره.

والسوء الاسم الجامع للآفات والداء، يقال: ساءه يسوؤه سوءًا، وأساء إساءة، وأسأت إليه في الصنع، والسيئة اسم كالخطيئة، والسيئ كذلك، والسُّوأى بوزن فُعْلَى اسم للفعلة السيئة، وأصله من ساءه يسوؤه كقولك: آذاه يؤذيه، وحقيقته الضراء الذي يسومه المضرور، ثم كثر حتى صرف على الضر القبيح.

والذبح: فري الأوداج، وأصله من الشق، يقال: فَأْرَةُ مِسْكٍ ذُبِحَتْ في سَكٍّ، يقال: ذبح ذبحًا، فالذبح بفتح الذال المصدر، وبكسر الذال المذبوح، والفرق بين الذبح، والقتل، أن القتل نقض البنية التي بها تصح الحياة، بأي ضرب كان، والذبح فري الأوداج، فالقتل أعم.

والنساء: جماعة، والرجال مقابله، ولا واحد له من لفظه، يقال: امرأة ونساء، ونسوة.

والبلاء: النعمة، والبلاء: المحنة، وقيل: أصلها واحد، وهو الابتلاء، بمعنى التجربة، فكأن العبد يبتلى عند النعمة بالشكر، وعند المحنة بالصبر، قال الله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥] يقال في النعمة: أبليته بالإحسان، وفي الاختبار بلوته بلاء[(١)] .

۞ الإعراب

يقال: ما العامل في (إذ) من قوله: (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ)؟

قلنا: قوله: «اذْكُرُوا» من قوله: (يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِي) كأنه قال: فاذكروا إذ أنجيناكم، فموضعه نصب، وهو عطف على النعمة الأولى.

ويقال: ما موضع «يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ» من الإعراب؟

---

(١) اللسان العرب (بلا).

قلنا: يحتمل وجهين:

أحدهما: الاستئناف فيكون موضعه رفعًا، كأنه قال: يسومونكم من قبل ذلك سوء العذاب.

والثاني: الحال فيكون موضعه نصبًا كأنه قيل: سامتكم سوء العذاب، والعامل فيه «**نَجَّيْنَاكُمْ**».

ويقال: ما المحذوف من (ابن)؟

قلنا: قال الأخفش: الواو؛ لأنها أثقل، فهي بالحذف أولى، وقال الزجاج: يجوز أن يكون المحذوف الياء، ويجوز الواو، وهما مستويان.

۞ المعنى

ثم فصل ذكر النعم التي أجملها من قبل فقال تعالى: «**وَإِذْ نَجَّيناكُم**» أي خلصناكم وأنقذناكم «**مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ**» يعني قومه وأتباعه، وأهل دينه، وقيل: عترته، وقيل: فرعون اسم لملوك العمالقة، كما يقال لملك الروم: قيصر، ولملك الفرس: كسرى، ولملك الترك: خاقان، فهو على هذا المعنى صفة، كأن معناه ملك العمالقة، واختلف في اسمه، فقيل: مصعب بن الريان، وقيل: الوليد بن مصعب عن محمد بن إسحاق «**يَسُومُونَكُمْ**» قيل: يذيقونكم، وقيل: يجشمونكم، وقيل: يعذبونكم، والكل يتقارب «**سُوءَ الْعَذَابِ**» أشده، وأسوأه، واختلفوا في ذلك، فقيل: هو أنه استعملهم في الأعمال الشاقة، وقيل: جعلهم أصنافًا، فصنف يحرثون، وصنف يخدمون، ومن لم يعمل ضرب عليهم الجزية، وهو ما بينه تعالى في قوله: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾.

ويقال: ما في استحياء النسوة من المحنة؟

قلنا: كي يستعبدن وينكحن على الاسترقاق، فهو أعظم من قتل الرجال، وقيل: كان استبقاؤهن للإذلال والمحنة.

ويقال: ما كان سبب قتل الأبناء؟

قلنا: قيل: إنه رأى رؤيا أن نارًا أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر، فأحرقت القبط، وتركت بني إسرائيل، فعبروا بأنه يخرج رجل من بني إسرائيل يكون هلاكه على يده، فأمر بألا يولد لهم غلام إلا ذبحوه، ولا جارية إلا تركوها، عن السدي، وقيل: كان بنو إسرائيل عرفوا ذلك بإخبار الأنبياء، فكانوا يريدون بقتل الأبناء توهين أمرهم، وتكذيب ما كانت بنو إسرائيل تحدث عن أنبيائهم، عن الأصم، واختلفوا فيمن قتلوه. فقيل: المراد أن القبط كانت تقتل رجال بني إسرائيل، وقيل: كانوا يقتلون الأطفال، وهو المجمع عليه، «وَيَسْتَحْيُونَ» يعني يستبقونهن أحياء، «نِسَاءَكُمْ».

ويقال[1] : لم قال: «نِسَاءَكُمْ»؟ وكانوا يستبقون الأطفال؟

قلنا: على التغليب، فإنهم كانوا يستبقون الصغار والكبار، يقال: اقتلوا الرجال، وإن كان فيهم صبيان، وقيل: لأن النساء اسم يقع على الصغار والكبار، كالأبناء، وقيل: سموا بذلك على التقدير أنهم يصيرون نساء، «وَفِي ذَٰلِكُمْ» قيل: في سومكم العذاب، وذبح الأبناء محنة عظيمة وابتلاء عظيم، «مِنْ رَبِّكُمْ» لما خلى بينكم وبينه، فيفعل بكم هذه الأفاعيل، وقيل: في نجاتكم من فرعون وقومه نعمة من الله عليكم عظيمة.

ومتى قيل: كيف خاطبهم بالنجاة، من فرعون، وإنما النجاة لأسلافهم؟

قلنا: قيل: لأن النعمة على السلف تعد نعمة على الخلف، فهذا ظاهر، وقيل: أراد نجينا مَنْ أنتم مِنْ نسلهم، يوضحه أنه لولا السلف لما وجد الخلف أصلاً، وقيل: هو على عادة العرب، يقولون: قتلناكم يوم ذي قار، ويريدون الأسلاف.

❁ الأحكام

الآية تدل على جواز التخلية بين الظالم والمظلوم، وأنه قد تكون المصلحة في ذلك، كما خلى بين بني إسرائيل وبين فرعون للابتلاء، وإن كانت العاقبة للمتقين.

---

(١) ويقال: وقيل، ز، و.

وتدل على أن[1] النجاة من الظلمة نعمة من الله يجب شكره.

وتدل على أن من كان على دين الرجل ويتبعه يسمى آله، فتدل على أن آل محمد أمته.

وتدل على وجوب شكر النعمة؛ إذ الغرض بذكر النعمة حثهم على الشكر بطاعة المنعم وتعظيمه.

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

اللغة

الفَرْق: تفريق ما بين الشيئين، ونقيضه الجمع، وسمي القرآن فرقانًا؛ لأنه يفرق بين الحق والباطل.

والبحر: معروف، وسمي بذلك لاستبحاره، وهو انبساطه، وتوسعه، ويقال: البر والبحر، وتبحر في العلم: اتسع.

والغرق: الرسوب في الماء، ثم يشبه غيره كالدَّيْنِ والبلوى، يقال: رجل غَرِقٌ وغريق.

والنظر: النظر بالعين، والنظر الانتظار، والنظر التفكر، ونظرته بمعنى انتظرته، وأنظرته أخرته، وأصله الإقبال نحو الشيء لوجه من الوجوه، والنظر بالعين: الإقبال نحو المبصر، والنظر بالقلب: الإقبال بالفكر نحو المتفكر فيه، والنظر بالرحمة هو الإقبال بالرحمة. وحد النظر تقليب الحَدَقَة نحو المرئي التماسًا لرؤيته، مع سلامة الحاسة. والنظر أول الواجبات، وهو النظر في طريق معرفة الله تعالى، وهو معنى في القلب، يولد العلم إذا وقع على شرائطه.

الإعراب

يقال: ما العامل في قوله: «وَإِذْ فَرَقْنَا»؟

(١) أن: ـ، (ل).

قلنا: ما عمل في (إذ) الأولى، وتقديره: وإذ فرقنا، فهو عطف على (إذ) المتقدم.

المعنى

ثم ذكر نعمة أخرى فقال تعالى «**وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ**» قيل: جعلناكم بين فرقتيه[1]، تمرون في طريق يبس، وقيل: فرقنا بين الماء وبينكم، إذ فصلنا وحجزنا حتى مررتم فيه، والأول أوجه، وقيل: أراد به فرقهم في اثني عشر طريقًا لاثني عشر سبطًا، وقيل: فرقنا بسببكم البحر لتمروا فيه.

ومتى قيل: ما فائدة جعل الطريق اثني عشر؟

قلنا: كيلا يختلط سبط بسبط، وكانوا اثني عشر سبطًا؛ ولذلك فرق بين مشربهم في التيه، وقيل: ليتعجل خروجهم، وقيل: كيلا يتزاحموا ولا يتقاتلوا عليه «**فَأَنْجَيْنَاكُمْ**» يعني من البحر والغرق «**وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ**» يعني أشياعه وأتباعه، وهو معهم، فحذف لدلالة الحال، كأنه قيل: أغرقنا آل فرعون معه، وقد بين ذلك في قوله: ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا﴾ [الإسراء: ١٠٣].

ويقال: كيف دخل فرعون مع كمال عقله البحر مع ما فيه من الخطر؟

قلنا: قيل: إن جبريل قرب منه على رَمَكَةٍ[2] ودِيق[3] وهو على فرس حصان، فلم يملك ضبطه حتى دخل البحر، وقيل: كان ثَمَّ قلة تفكر، وقيل: رأى كثيرًا من المعجزات ونجا منها، فظن البحر كذلك، والعناد والتعصب يعمي ويصم، وقيل: إنه تعالى قوى دواعيه لدخوله ليهلكه، «**وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ**» قيل: ترونه وتعاينونه، عن أكثر المفسرين، وقيل: ليس هو الرؤية، وإنما كقولك: ضربت وأهلك ينظرون فما أتوك، عن الفراء، وليس بالوجه؛ لأنهم عاينوا فلق البحر، والتطام الماء، وغرق آل فرعون، وإذا صح حمله على ظاهره فلا معنى للعدول عنه، وقيل: وأنتم تنظرون إلى التطام

(١) فرقتيه: فرقته، ف.

(٢) الرَّمَكَةُ: الأُنثى من البراذين (الدواب). مختار الصحاح (رمك).

(٣) زيادة في (و): [والوديق: التي تشتهي الفحل].

البحر عليهم، وقيل: تنظرون إلى نجاتكم وهلاك قوم فرعون ومصارعهم، عن الأصم، وفي هذا زيادة نعمة؛ لأن من رأى عدوه يهلك مع كونه معافى كان السرور أتم، ويجب الشكر على النعمتين.

۞ الأحكام

الآية تدل على آيات باهرة لموسى من فرق البحر، ونجاة قومه، وغرق آل فرعون.

ومتى قيل: كيف لم يُسَوِّ الله بين الخلق في هذه الآيات التي أعطيت بني إسرائيل؟

قلنا: كانت الآيات إنما تجيء على قدر الحاجة، وبحسب المصلحة، فبحسب اختلاف المصالح اختلفت الآيات.

وتدل على أن هلاك الظالم نعمة يجب عليها الشكر، ولا يجوز التأسف عليه، وتدل على أن تفريق البحر كان لطفًا لبني اسرائيل، ومعجزة لموسى، وداعيًا لفرعون وقومه إلى الإيمان.

وتدل على نبوة نبينا محمد ﷺ لما أخبرهم عن أسرار ما في كتبهم، مع كونه أميًا لم يقرأ كتابًا، فدل من هذا الوجه على نبوته.

۞ القصة

يقال: كيف كان نجاتهم وغرق فرعون؟

قلنا: قال ابن عباس: أوحى الله إلى موسى أن أسر بعبادي ليلاً، فسرى موسى ببني إسرائيل، وأتبعهم فرعون في ألف ألف حصان سوى الإناث، وكان موسى في ستمائة ألف، فمروا حتى هجموا على البحر، فالتفتوا فإذا هم بِرَهَجِ[1] دواب فرعون، فقالوا: يا موسى هذا البحر أمامنا، وهذا فرعون قرب منا، فقال موسى (عليه السلام): عسى ربكم أن يهلك عدوكم، وأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر، وأوحى الله إلى البحر أن اسمع لموسى وأطع، فضرب موسى البحر بعصاه فانفلق،

---

(١) الرَّهَجُ والرَّهْجُ: الغبار. اللسان (رهج).

فكان فيه اثنا عشر طريقًا، لكل سبط طريق، فلما أخذوا في الطريق، قال بعضهم لبعض: ما لنا لا نرى أصحابنا، فقالوا لموسى: أين أصحابنا؟ فقال: سيروا فإنهم على طريق مثل طريقكم، قالوا: لا نرضى حتى نراهم، فقال موسى: اللهم أعني على إخلافهم، فأوحى الله إليه، أن قل بعصاك هكذا وهكذا يمينًا وشمالاً، فصار فيها كُوىً[1] ينظر بعضهم إلى بعض، فساروا حتى خرجوا من البحر، وهجم فرعون على البحر، وهو على فرس أدهم حصان فهاب أن يَتَقَحَّمَ البحر، فتمثل له جبريل على فرس أنثى وَدِيقٍ، فلما رآها الحصان تقحم خلفها، وقيل لموسى: اترك البحر رهوًا على حاله، ودخل فرعون وقومه، فلما دخل آخر قوم فرعون أطبق البحر على فرعون وقومه، فأغرقوا.

قوله تعالى:

﴿وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ٥١﴾

۞ القراءة

قرأ أبو عمرو وأبو جعفر[2] ويعقوب «وَعَدْنَا» بغير ألف، وكذلك في الأعراف، وطه. والباقون بالألف، فمن اختار الألف فالدلالة على ما وعد الله تعالى، وقبول موسى، ومن اختار وعدنا ذهب إلى أنه أشد مطابقة للمعنى؛ إذ كان القبول ليس بوعد، وقد جاء القرآن بذلك، في قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [النور: ٥٥] والقراءة المجمع عليها «أربعين» بنصب الباء، وروي عن زيد بن علي ـ عليهما السلام ـ، بكسر الباء، وهي لغة، ويحتمل على أنه ذكر أنه لغة، لا أنه قراءة.

۞ اللغة

الوعد والعدة، والموعد نظائر، والوعد في الخير، والوعيد في الشر، يقال:

---

(١) أبو جعفر: أبو حفص، د، ز، ف، و.

(٢) الكُوَى: جمع كُوَّة، وهي النافذة والثقب. مختار الصحاح(كوى).

وعده وعدًا، وأوعده إيعادًا، والوعد والعِدَةُ يكونان مصدرين، واسمين، والوعد لا يُجْمَع، والوعد والوعيد من جنس الخبر، فالوعد خبر بأنه سيفعل به خيرًا، والوعيد خبر بأنه سيفعل به شرًّا.

«موسى» اسم عبراني، وقيل: أصله موشا: فموشا: شجرة بالقبطية، وسمي بذلك لوجود التابوت الذي كان فيه عند الماء والشجر وَجَدَتهُ جواري آسية امرأة فرعون، وكن خرجن ليغتسلن، فسمي بالمكان الذي وجد فيه، عن السدي، وهو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهِث[1] بن لاَوِي بن يعقوب عن محمد بن إسحاق.

والليل: اسم لوقت من غروب الشمس إلى طلوع الفجر، كما أن النهار اسم لوقت طلوع الشمس إلى غروبها، وقيل: أصله ليلاً فقصرت، وتصغيره لُيَيْلَة.

الإعراب

(قبلُ) و(بعدُ) بنيا على الضم، وأصله من البعد.

والهاء في قوله: (مِنْ بَعْدِهِ) قيل: يرجع إلى موسى، وقيل: مِنْ بَعْدِ وَعْدِ الله إياكم بالتوراة، وقيل: من بعد غرق فرعون وما رأوا من الآيات، والكل محتمل.

المعنى

ثم ذكرهم تعالى نعمًا أخرى معطوفًا على ما تقدم من النعم، فقال تعالى: «**وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**» وقيل: أربعين كلها داخلة في الميعاد، عن أبي العالية، ذو القعدة وعشر من ذي الحجة، وقيل: وعدناه تمام الأربعين ليلة، أو مضي أربعين ليلة، عن الأخفش.

ويقال: متى كان هذا الوعد؟

قلنا: لما هلك فرعون، وعاد بنو إسرائيل إلى مصر وعدهم الله إنزال التوراة والشرائع، فخلف موسى أهله، واستخلف عليهم هارون (عليه السلام)، فمكث بالطور أربعين ليلة، وأنزل عليه التوراة في الألواح.

(١) قاهث: قاهب، د، ز، ف.

ويقال: هل في الكلام حذف؟

قلنا: لا بد منه، إما انقضاء أربعين ليلة، أو تمام أربعين ليلة، على ما قاله الأخفش، أو إقامة أربعين ليلة، أو غيبته عن قومه، على ما قاله بعضهم، «**ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ**» قيل: اتخذتموه إلهًا وعبدتموه، وذلك أنهم عبدوا العجل بعد موسى لما قال لهم السامري: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ﴾ [طه: ٨٨] أي ترك إلهه، وذهب ناسيًا، وقيل: فنسي أي ترك ما يجب عليه من عبادة العجل.

ويقال: ما سبب عبادتهم العجل؟

قلنا: فيه قولان:

أحدهما: أن السامري كان من قوم يعبدون البقر، فكان حب عبادة البقر في نفسه، فكان منافقًا، فلما خرج موسى إلى الطور، قال هارون لقومه: قد حملتم أوزارًا من زينة القوم فتطهروا منها، وأوقدوا نارًا فقذفوا ما كان معهم فيها، ورأى السامري أثر فرس جبريل فأخذ ترابًا من أثر حافره، فجاء إلى هارون وقال: أقذف ما في يدي؟ قال: نعم، وهو لا يدري ما في يده، وكان الله تعالى أجرى العادة بأن يحيي ما ألقي عليه ذلك التراب، فألقى السامري، وقال: كن عجلاً جسدًا له خوار، فكان للبلاء والفتنة، فقال: هذا إلهكم وإله موسى، وقيل: هذا لا يجوز لأنه إغراء بالمعصية، ولأنه يشبه المعجز.

والقول الثاني: أنه صاغ عجلاً له خوار كما تفعل البوقات ونحوه، وكان فيه خروق إذا دخلها الريح يخرج منه صوت، ودعاهم إلى عبادته فأجابوه وعبدوه، عن أبي علي.

والعجل هو ولد البقرة، وقيل: سمي البقر عجلاً من التعجيل؛ لأنه كان في قصر من المدة كالعَجْلِ في الشيء، وقيل: لأنهم عجلوا فاتخذوه قبل أن يأتيهم موسى.

«**مِنْ بَعْدِهِ**» قد بيناه، «**وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ**» لأنفسكم بعبادة العجل، وإنما يوجه الذم عليهم بما فعله أسلافهم لاقتدائهم بهم ورضاهم بما كانوا عليه، وسلوك طريقتهم في مخالفة أمر الله تعالى.

ويقال: ما هذا الميقات؟

قلنا: هو الميقات في قوله: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾ [الأعراف:١٤٢] عن أبي علي، وحكي عن بعضهم أنه غيره، وهو غلط.

ويقال: من قال: إنه انقلب حيوانًا؟

قلنا: جماعة، منهم: الحسن وأبو بكر أحمد بن علي، قالوا: صار لحمًا ودمًا، وقيل: صار حيًّا، ولكن مِنْ ذَهَبٍ، والصحيح أنه صاغه بقرًا، ولم يكن حيًّا، على ما حكيناه عن أبي علي.

ويقال: لم قال: «أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» ولم يقل: أربعين يومًا؟

قلنا: لأنه إذا ذكر الليالي دخل فيه الأيام، وإذا ذكر أيام لم تدخل فيه الليالي، وقيل: لأن العرب تراعي في الحساب بالشهور والأهلة، وأول الشهور الليالي، وقيل: لأن الليالي مقدمة على الأيام.

۞ الأحكام

الآية تدل على نبوة نبينا محمد ﷺ، حيث أخبرهم عن سرائر أخبارهم.

وتدل على أن عبادة العجل كفر.

وتدل على أن للعبد فعلاً؛ إذ لو كان عبادتهم العجل من خلقه لم يكن لذمهم معنى.

وتدل على أن القوم كانوا مقلدين متشبهين، ولم يكونوا على بصيرة، وإلا لما عبدوا العجل.

قوله تعالى:

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾﴾

۞ اللغة

العفو: التجاوز، وضده العقوبة، وأصله الترك، ومنه قوله: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ [البقرة: ١٧٨] أي ترك، ومنه العفو؛ لأنه ترك العقوبة، ومعنى عفا الله عنك، أي

رفع الله العقاب عنك، والذنوب على ثلاثة أضرب: كفر، ويجوز العفو عنه عقلاً، إلا أن السمع مَنَعَ منه. والكبائر: ويجوز العفو عنه عقلاً، واختلفوا في جوازه سمعًا، وعن أبي القاسم لا يجوز العفو عقلاً. والصغائر: وهي مغفورة باجتناب الكبائر، واتفقوا أن الجميع واحد في أنه يجب العفو عند التوبة.

والشكر: إظهار النعمة، وضده الكفر، وأصله من الظهور.

۞ الإعراب

يقال: لم قيل: «مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ» على التوحيد، والمعنى على الجمع؟

قلنا: لأن الخطاب اتصل بذا، وهو مبهم، فمرة يأتي على الأصل، ومرة يأتي على مشاكلة اللفظ إذا كان لفظ المبهم على الواحد، وإن كان معناه على الجمع، وقيل: قد يخاطب الواحد في اللفظ، ويعنى به الجمع، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١].

۞ المعنى

ثم بين تعالى ما أتوا من الذنب، وعفوه عنهم، فقال تعالى: «ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم» يعني بقبول التوبة عن عبادة العجل، بعد أن عبدوها «مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ» قيل: من بعد اتخاذكم العجل عن أبي العالية «لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» قيل: معنى (لعل) معنى لام (كي)، أي لكي تشكروا(١) الله على عفوه عنكم، وسائر نعمه عليكم، وقيل: معناه التعريض كأنه قيل: عرضناكم للشكر، وقيل: معناه للشكر عفوت عنكم، كما أنه للعبادة خلقتم.

۞ الأحكام

الآية تدل على أنه تعالى أراد منهم الشكر؛ لأن معنى لعلكم أي لكي تشكروا، ومعناه أريد منكم أن تشكروا(٢).

(١) تشكروا: تشكرون، د، ز، و.
(٢) تشكروا: تشكرون، ف، ن، و.

وتدل على أن العفو عن الذنب بعد التوبة نعمة من الله تعالى على عباده ليشكروه.

وتدل على أن التوبة من كل ذنب تصح؛ إذ لا ذنب أعظم من عبادة العجل.

ويقال: ما شكر النعمة؟

قلنا: فيه خلاف، قيل: هو طاعة الله في السر والعلانية، عن ابن عباس. وقيل: إظهار النعمة والتحدث بها، عن الحسن. وقيل: هو تعظيم المنعم بالقلب واللسان، والمحافظة على الطاعات، ومخالفة الشهوات، ومراقبة رب السماوات.

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (٥٣)﴾

اللغة

الإيتاء: الإعطاء، آتينا: أعطينا.

والكتاب: بمعنى المكتوب، كالحساب بمعنى المحسوب.

والفرقان، أصله من الفرق، وهو التفريق بين الشيئين.

والاهتداء: الأخذ في طريق الاهتداء، والهدى: الدلالة والبيان.

الإعراب

ويقال: هل في (إذ) معنى الجزاء، كما في (إذا)؟

قلنا: لا؛ لأن (إذ) لما مضى، و(إذا) لما يستقبل، والجزاء لا يكون بالماضي؛ ولذلك قالوا: معنى إن قمت قمت، إن تقم أقم.

المعنى

ثم ذكر تعالى نعمة أخرى فقال: «وَإِذْ آتَيْنَا» يعني اذكروا إذ أعطينا «مُوسَى

الْكِتَابَ» يعني التوراة «**وَالْفُرْقَانَ**» اختلفوا فيه، قيل: المراد به الكتاب، وصفه بصفتين كقوله: بعدًا وسحقًا، قال:

وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيْنَا[1]

وتقول: هو الرجل الكريم، قال الشاعر:

إِلَى المَلِكِ القَرْمِ وَابْنِ الهُمَامِ وَلَيْثِ الكَتِيبَةِ فِي المُزْدَحَمْ

عن الفراء والزجاج، وقيل: وصفه بصفتين مختلفتين في المعنى، فالكتاب المكتوب، والفرقان يفرق به بين الحق والباطل، تقول: هو الرجل الكريم العادل، عن ابن عباس وأبي مسلم، قال الكسائي: كأنه وصف الكتاب بالفرقان، وتكون الواو صلة، وقيل: الكتاب: التوراة، والفرقان: الأدلة التي تفرق بين الحق والباطل سوى ما في التوراة، وقيل: الفرقان النصر على أعدائه، وقيل: انفراق البحر لبني إسرائيل، وقيل: ما أوتي موسى من المعجزات الباهرة، وقال قطرب: ويغلب الفرقان على القرآن، وتقديره: وإذ آتينا موسى التوراة، ومحمدًا الفرقان، وهذا بعيد؛ لأنه لم يجر له ذكر، ولأنه تعالى أخبر أنه آتى موسى الفرقان وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [الأنبياء: ٤٨] «**لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**» وقيل: لكي تهتدوا، وقيل: عرضناكم للاهتداء.

ويقال: «**لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**» خطاب لمن؟

قلنا: لبني إسرائيل، الذين كانوا أيام موسى، وتقديره: وقلنا لهم: لعلكم تهتدون، وقيل: هو خطاب لمن كان في عصر رسول الله ﷺ تقديره: لكي تهتدوا للإيمان لما دعوتكم إليه.

ويقال: كيف يقع به الاهتداء، وقد انقطع نقله؟

قلنا: فيه قولان: أحدهما: أنه خطاب لأسلافهم، والثاني: أن النبي ﷺ يخبرهم بذلك فيمكنهم أن يستدلوا ويعرفوا.

(١) البيت قائله عدي بن زيد العبادي في جذيمة الأبرش: وصدر البيت: وقددت الأديم لراهشيه؛ وفي رواية: وقدمن الأديم. أنظر الصحاح (مين)، اللسان (مين).

۞ الأحكام

الآية تدل على أنه تعالى أراد من الجميع الاهتداء، وقوله: «لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» لكي تهتدوا فيبطل قول المجبرة في المخلوق والإرادة.

وتدل على أنه تعالى أنزل الكتاب، والغرض هداية الخلق به.

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾

۞ القراءة

قرأ أبو عمرو: «بَارِئْكُمْ» باختلاس الكسرة طلبًا للخفة، وروي عنه بالجزم، وليس يصح، والباقون بكسر الياء والإشباع على الأصل، وعلى هذا الخلاف، يأمركم، وينصركم.

۞ اللغة

البَرْءُ[1] مهموز هو الخلق، يقال: بَرَأَ الله الخلق أي خلقهم، ، وهو البارئ أي الخالق.

والقتل: نقيض البنية التي معها يصح أن يحيا بضرب أو جراح ونحوه.

والخير نقيض الشر.

والرحيم فعيل من الرحمة، والرحمة من الله تعالى النعمة.

۞ الإعراب

ويقال: لم حذفت الياء من «يَا قَومِ» وأثبتت في ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٢٦]؟

---

(١) البرء: البرأ، ف.

قلنا: لأن ياء الإضافة تحذف في النداء؛ لأنه موضع حذف يحذف فيه التنوين، ويحذف الاسم للترخيم، فلما كانت ياء الإضافة قد تحذف في غير النداء لزم حذفها في النداء، وأما في قوله: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي﴾ [يس: ٢٦] ياء الإضافة لم يدركها ما يوجب حذفها كما في الإضافة في النداء، ويجوز فيه ثلاثة أوجه: يا قوم بحذف الياء، وهو إجماع القراء، ويا قومي: بإثبات الياء، ويا قوميَ بفتح الياء.

۞ المعنى

لما تقدم ما أتاه بنو إسرائيل من عبادة العجل بَيَّنَ توبتهم، فقال تعالى: «**وَإِذْ قَالَ**» يعني اذكر إذ قال «**مُوسَى لِقَوْمِهِ**» الذين عبدوا العجل عند رجوعه إليهم «**يَاقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ**» معبودًا «**فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ**» أي ارجعوا بالندم والاستغفار إلى خالقكم «**فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ**» قيل: ليقتل بعضكم بعضًا، تقول العرب: قتل آل فلان رأي بعضهم، ومنه قوله: ﴿وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، عن ابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير، وقيل: استسلموا للقتل، فجعل استسلامهم للقتل قتلاً منهم لأنفسهم على التوسع في اللغة، عن أبي علي.

ويقال: من المأمور بالقتل؟ ومن القاتل؟

قلنا: من لم يعبد العجل أمره بقتل من عبد العجل، وقيل: السبعون[1] الذين اختارهم موسى للميقات أمروا بقتل من سأل الرؤية من بني إسرائيل، عن ابن عباس وأبي علي، وقيل: السبعون[2] الذين لم يعبدوا العجل، وقيل: سبعون[3] ألفا، عن الأصم.

ويقال: كيف كان قتلهم لأنفسهم؟

قلنا: قتل بعضهم بعضًا بأن عمدوا إلى الخناجر، فجعل بعضهم يطعن بعضًا، عن ابن عباس وجماعة، وقيل: غشيتهم ظلمة فجعل بعضهم يقتل بعضًا ثم انجلت الظلمة عن سبعين ألف قتيل.

---

(١) السبعون: السبعين، د، ز، و.

(٢) السبعون: السبعين، د، ز، و.

(٣) سبعون: سبعين، د، ز، و.

ويقال: لم أمروا بالقتل؟

قلنا: فيه خلاف، قيل: لأن جماعة منهم ممن لم يعبدوا العجل لم يَنْهَ مخافة القتل، فأمروا بالقتل، عن ابن جريج، وقيل: كان القتل لطفًا للقاتل، وتوبة للمقتول، كما يكون في استسلام القاتل للقصاص.

ويقال: هؤلاء كانوا مرتدين، والمرتد إذا تاب لم يقتل.

قلنا: لم يكن القتل عقوبة للردة حتى تسقط بالإسلام، وإنما كان شرطًا في قبول توبتهم، كما أن السارق من شرط قبول توبته رد المال، ولهذا قيل: إنه كان شهادة لهم، وأيضًا فإن هذا مما يختلف بالشرائع فيجوز أن يكون في شريعة موسى أن يقتل المرتد بعد التوبة كما في شريعتنا إقامة الحدود بعد التوبة.

ويقال: فمن لم يقتل منهم، هل قبلت توبته؟

قلنا: نعم وخص القتل في حقه، وروي أن موسى وهارون وقفا يدعوان الله ويتضرعان وهم يقتلون بعضهم بعضًا حتى نزل الوحي برفع القتل، وقبلت توبة من بقي، وقد قُتِلَ منهم سبعون ألفًا، ومنهم من يقتل أباه وابنه وأخاه «**ذَلِكُمْ**» إشارة إلى التوبة والقتل؛ لأن قوله: ﴿**فَتُوبُوٓاْ**﴾ يدل على التوبة، يعني التوبة والقتل، وإن كان فيه مشقة عظيمة «**خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ**» خالقكم، وكرر ذكر «**بَارِئِكُمْ**» تعظيمًا لما أتوا به مع كونه خالقًا لهم، وقيل: الأول الدعاء إلى التوبة، والثاني: لوعدهم لما أعد لهم من الخير «**فَتَابَ عَلَيْكُمْ**»، وفيه محذوف تقديره: ففعلتم فتاب عليكم، يعني قبل توبتكم «**إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**» القابل للتوبة مرة بعد مرة، وقيل: قابل التوبة عن الذنوب العظام «**الرَّحِيمُ**» يرحمكم إذا تبتم، بأن يدخلكم الجنة.

۞ الأحكام

الآية تدل على تشديد التكليف على بني إسرائيل لما عبدوا العجل بأن أمروا بقتلهم، وقد استدل بعضهم بالآية على أنه يجوز أن يؤمر المكلف بقتل نفسه، وهو غلط؛ لأن قتل المكلف نفسه لا صفة له يجب لأجله، فمتى وجب إنما وجب لكونه

لطفًا، ولا لطف له بعد الموت، ولا يجوز أن يكلف المشاق للطف غيره، كما لا يكلف دفع الضرر عن غيره؛ لأن ذلك ليس بوجه وجوب، ولا يجوز كونه لطفًا فيما يقارنه لوجهين: أحدهما: أن بوقوعه تنتفي الحياة، ولا يصح أن يجامعها طاعة، ولأن من حق اللطف أن يتقدم الملطوف فيه، وقد بينا معنى الآية.

فإن قيل: على معنى هذا وجب أن يجوز أن يأمر بقطع يده أورجله لطفًا له؟

قلنا: يجوز.

وتدل الآية على أن للعبد فعلاً؛ لأنه أضاف عبادة العجل إليهم، وأمرهم بالتوبة وعاقبهم عليها، وكل ذلك لا يصح إلا بعد إثبات الفعل للعبد.

وتدل[1] على أن التوبة قد يشترط فيه سوى الندم ما لا تصح التوبة إلا به كما أمروا بالقتل.

وتدل على أن العبد يكون ظالمًا متى عصى الله وخالف أمره.

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾

۞ القراءة

قراءة العامة «جَهْرَةً» بسكون الهاء، وعن ابن عباس بفتحها، وهما لغتان.

وقراءة العامة «الصَّاعقة» بالألف، وعن عمر وعثمان وعليّ رضي الله عنهم[2]: «الصعقة» بغير ألف، وهما لغتان.

۞ اللغة

الإيمان: التصديق، ومنه: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧].

---

(١) وتدل: فتدل، ف.

(٢) رضي الله عنهم: عليهم السلام، ف.

والرؤية: الإدراك بالبصر، ثم يستعمل بمعنى العلم، ومنه رأى بقلبه، تشبيهًا، ومنه المرآة لأنه يُرَى بها.

والجهر والعلانية بمعنى يقال: جهر فلان بكلامه، وجهر بقراءته إذا أعلن، وضده السر، فأصله الظهور، وحد الجهر ظهور الشيء للمعاينة.

والصاعقة: أصلها نار تنزل من السماء تحرق ما تأتي عليه، ثم يستعمل في كل عذاب.

والنظر: تقليب الحدقة نحو المرئي التماسًا لرؤيته مع سلامة الحاسة، ثم يستعمل في الفكر توسعًا.

الإعراب

يقال: ما وزن يرى؟

قلنا: يفعل؛ لأن أصله يَرْأَى، قال الشاعر، وجاء به على الأصل:

أُرِي عَيْنَيَّ مَا لَم تَرْأَيَاهُ كِلَانا عَالِم بِالتُّرَّهَاتِ[1]

وجهرة: نصب على الحال.

المعنى

ثم ذكر تعالى خصلة من خصال أسلافهم فقال تعالى: «**وَإِذْ قُلْتُمْ**» أي اذكروا إذ قلتم، أي قال أسلافكم، وَمَنْ أنتم على طريقتهم: «**يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ**» يعني لا نصدقك فيما تصف الله به من الصفات حتى نراه جهرة: معاينة، وقيل: لا نصدقك في نبوتك، عن الأصم، «**حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً**» قيل: نراه[2] معاينة، وقيل: قلتم جهرة لن نؤمن لك حتى نرى الله، فعلى الأول الجهرة من صفة الرؤية، وعلى الثاني من صفة المقالة[3] «**فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ**» قيل: الموت، وقيل: العذاب، والصاعقة

(١) البيت ينسب لسراقة بن مرداس البارقي، شرح أبيات المغنى، ٥/ ١٣٩.

(٢) نراه: يراه، ز، ف.

(٣) المقالة: المقابلة، د، و.

تستعمل على ثلاثة أوجه: الموت كقوله تعالى: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الزمر: ٦٨] الثاني: العذاب، كقوله: ﴿أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣]، والثالث: نار تسقط من السماء، كقوله: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ﴾ [الرعد: ١٣].

«وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ» يعني تعاينونه وترونه.

ويقال: لِمَ قُرِعُوا بسؤال أسلافهم الرؤية؟

قلنا: لأنهم رضوا بفعلهم وسلكوا طريقتهم في مخالفة من لزمهم اتباعه، وقيل: فيه ذم لهم وتسلية للنبي ﷺ، في أنهم بمخالفتهم إياه كأسلافهم بمخالفتهم موسى (عليه السلام)، وسؤالهم هذه المحالات.

ويقال: هذا سؤال السفهاء، والذين حضروا الطور مع موسى عدول بني إسرائيل، فكيف جعل الخطاب خطابًا واحدًا؟

قلنا: هذا خطاب لليهود الذين كانوا في زمن نبينا ﷺ، وكان هذا القول وُجِدَ من بعض أسلافهم، ولم يفصل القديم سبحانه، وإنما أجمل ذلك وبين ما وجد في أسلافهم من الجرائم.

ويقال: لِمَ قالوا: جهرة، والرؤية لا تكون إلا جهرة؟

قلنا: قد تكون كرؤية القلب، والرؤية في النوم[1]، وقيل: علانية، عن ابن عباس، وقيل: عيانًا، عن قتادة.

ويقال: هل سؤال الرؤية وإجازتها كفر؟

قلنا: هذا السؤال كفر بالإجماع؛ لأنه ردّ على الرسول، فأما إجازة الرؤية على جهة التشبيه فكفر، وإجازتها من غير تشبيه قيل: ليس بكفر، عن أبي علي وأبي هاشم، وقيل: كفر، عن أبي القاسم.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن القوم كانوا شاكين في معرفة الله وصفاته، إذ طلبوا منه[2] مرة أن يجعل لهم إلهًا، ومرة أن يروه جهرة.

---

(١) النوم: اليوم، ز، ف.

(٢) منه: فيه، د، ز.

وتدل على أن موسى سأل الرؤية عن قومه لا عن نفسه، فلذلك أضاف إليهم، وأنزل العقوبة بهم.

وتدل على أن الرؤية لا تجوز عليه لذلك أنزل عليهم الصاعقة.

ومتى قيل: هم سألوا الرؤية مع الكيفية؟

فجوابنا أنه تعالى أنكر عليهم مجرد سؤال الرؤية، ولم يعتبر الزيادة التي أوردها[1].

ومتى قيل: فكيف كان سؤالهم حتى عظم هذا التعظيم، وقال تعالى في موضع آخر: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ [النساء: ١٥٣]؟

فجوابنا أن المدرك بحاسة البصر إنما يدرك لكونه على صفة في نفسه لأجلها يدرك كالجسم واللون، فجواز الرؤية يقتضي التشبيه، وقيل: لأنهم قرنوا الرؤية بالتشبيه، وهو قولهم: «جَهْرَةً».

ومتى قيل: فكيف كان جواب القوم الصاعقة؟

قلنا: لما عظم سؤالهم عاقبهم حتى يحسم مادة السؤال منهم ومن غيرهم.

وتدل الآية على أن الصاعقة نزلت، ولم يضطروا إلى المعرفة، وإلا كان لا يحسن إعادتهم وتكليفهم.

وتدل على أن قول الأمة للرسول بعد إقامة الحجة: لن نؤمن لك كفر؛ لأنه رد عليه.

قوله تعالى:

﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

اللغة

البعث: الإرسال، وأصله إثارة الشيء عن موضعه، يقال: بعثت البعير، إذا أرسلته وحللت عقاله، وبعث الله مَنْ في القبور إذا أحياهم وأرسلهم.

(١) أوردها: أورثها، د، ز، و.

۞ المعنى

ثم ذكر تعالى نعمة أخرى فقال: «ثُمَّ» يعني بعد أن أخذتهم الصاعقة وماتوا، وقيل: «بَعَثْنَاكُم» أي أحييناكم، عن الحسن وقتادة وجماعة، وقيل: بعثناكم أنبياء، عن السدي، والأول أوجه؛ لأن ظاهر الكلام يدل عليه، ولأنه ذكره عقيب الموت «لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» أي لكي تشكروا الله على نعمه، وقيل: إنه تعالى أحياهم بدعاء موسى، وذلك أنه تعالى لما أماتهم قعد موسى يبكي ويدعو، ويقول: يا رب ماذا أقول لبني إسرائيل وقد أهلكتهم؟، وهم خيار بني إسرائيل، فأحياهم الله رجلاً رجلاً ينظر بعضهم إلى بعض كيف يحييه، حتى أحياهم كلهم.

ويقال: كيف كلفهم بعد ما اضطروا إلى المعرفة بما عاينوا من أحكام الآخرة؟

قلنا: لم يضطروا، ولم يعاينوا، فكان موتهم بمنزلة النوم والإغماء.

ويقال: من الذين سألوا الرؤية؟

قلنا: قيل: هؤلاء صعدوا الجبل يعتذرون لبني إسرائيل في عبادة العجل فلما سمعوا كلام الله طلبوا رؤيته، فأخذتهم الصاعقة، ثم بعثوا، وقيل: سأل غيرهم.

۞ الأحكام

الآية تدل على فساد قول المجبرة في الإرادة في قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ والمعنى لكي تشكروا، ولو أراد كفرهم لقال: لتكفروا، عن أبي علي.

ويقال: هل تدل الآية على جواز الرجعة؟

قلنا: لا، وهذا كان معجزة لنبي، ولأنه ليس في إعادة بعض الأحياء دليل على إعادة الكل، وقد قام الدليل أن الناس لا يردون إلى دار الدنيا، وأجمعت الأمة عليه.

ويقال: هل قطع آجالهم بالإحراق؟

قلنا: لا، بل انتهى أجلهم؛ لأن الأجل هو الوقت المضروب للشيء وكان أجل إحراقهم ذلك الوقت، فلما أحياهم كان هذا أجلاً ثانيًا، كما لو أحياهم في الآخرة.

قوله تعالى:
﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾

اللغة

الظُّلة والسُّتْرَة بمعنى، يقال: ظلله تظليلاً، والظِّل بكسر الظاء معروف، ويقال: لسواد الليل: ظل، ومنه: ﴿كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥] ومكان ظليل دائم الظل، وأصله الستر.

والغمام: السحاب، والقطعة منها غمامة، وقيل: هو ما ابيض من السحاب، وأصله: الغطاء: ومنه أغم الرأس.

والمن: الإحسان، والمن القطع، ومنه: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فصلت: ٨] والمن: الذي كان يسقط على بني إسرائيل سمي مَنًّا؛ لأنه إحسان من الله إليهم.

والسلوى: طير أبيض مثل السُّمَّانى، وأصل السلو: ذهاب الغم، يقال: سلا يسلو سلوًا، وسمي السلوى بذلك كأنه يزيل الهم.

ويقال: ما واحد السلوى؟

قلنا: قال الأخفش: واحده سلوى[(١)]، كقولك: دفلى للواحد والجمع، وقال الخليل: سَلْوَاةٌ، وقيل: لا واحد له.

والظلم: ضرر ليس فيه نفع، ولا دفع ضرر أعظم منه، وليس بِمُسْتَحَقٍّ عن أبي علي. وقيل: هو الضرر القبيح، عن علي بن عيسى.

الإعراب

يقال: ما موضع «كلوا» من الإعراب؟

قلنا: نصب بمحذوف كأنه قيل: وقلنا لهم كلوا، وموضع السلوى نصب؛ لأنه عطف على المن.

(١) اللسان (سلا).

۞ النظم

يقال: كيف تتصل الآية بما قبلها؟

قلنا: لما تقدم ذكر النعم ذَكَّرَهُمْ في هذه الآية نِعَمَهُ عليهم بالغمام الذي وقاهم الحر، وما أنزل من المن والسلوى في التيه، وذلك من أعظم النعم، وقيل: ذكرهم أنهم مع عصيانهم لم يخلهم من نعمه، كما فعل بهم في التيه.

ويقال: كيف يتصل قوله: «وَمَا ظَلَمُونَا» بقوله: «كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ»؟

قلنا: على تقدير أنهم خالفوا ما أمروا وما ظلمونا، ولكن أنفسهم ظلموا، وقيل: تقديره: فكفروا بهذه النعم، وما ظلمونا بل ظلموا أنفسهم، وقيل: قلنا لهم كلوا ولا تدخروا، فعصوا وادخروا وما ظلمونا.

۞ المعنى

«وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ» أي جعلنا لكم الغمام ظلة وسترة، تقيكم حر الشمس في التيه، عن أبي علي وجماعة من المفسرين، وقيل: لما خرجوا من مصر إلى بيت المقدس، عن الأصم، وروي أنهم لما حصلوا في التيه شكوا إلى موسى حر الشمس، فأنزل الله عليهم غمامًا أبيضَ رقيقًا، ليس بغمام المطر، أبلق وأبيض وأبرد، فأظلهم، فقالوا: هذا الظل قد حصل، فأين الطعام؟ فأنزل الله عليهم المن والسلوى «وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ» قيل: شيء كالصمغ كان يقع على الأشجار، وطعمه كالشهد عن مجاهد، وقيل: هو الطرنجبين[1] عن الضحاك، وقيل: الخبز الرقاق، عن وهب، وقيل: عسل يقع على الأشجار من الليل، عن السدي، وقيل: شيء مثل الرُّبِّ[2] الغليظ، عن عكرمة، وقيل: هو ما منَّ الله عليهم به حالاً بعد حال، مما لا تعب فيه، ولا نصب، عن الزجاج، وقيل: هو الزنجبيل، وقيل: كان مثل[3] الثلج، عن قتادة.

---

(١) ويقال له: الترنجبين ـ بالتاء ـ وهو عسل الندى يسقط على ورق الأشجار في بلاد خراسان. اللسان (سلا).

(٢) الرُّبُّ ـ بالضم ـ هو ما يطبخ من التمر. تاج العروس (ربب).

(٣) مثل: من، د، ز.

«**وَالسَّلْوَى**» قيل: طائر يشبه السماني، عن ابن عباس وأكثر المفسرين، وقيل: طير حمر، عن مقاتل.

ومتى قيل: كيف أرسل الطير عليهم كل يوم؟

قلنا: قيل: كان يحشرها إليهم، وقيل: قوى دواعيهم بحضور تلك البقعة كما يقوي دواعي الصغير في شيء، وقيل: كانت سحابة تمطر عليهم بعضهم فوق بعض، عن أبي العالية ومقاتل، وقيل: كان يحشرها عليهم الجنوب «**كُلُوا**» يعني قلنا لهم: كلوا «**مِنْ طَيِّبَاتِ**» قيل: الشهي اللذيذ، وقيل: المباح الحلال، وقيل: المباح الذي يستلذ أكله، عن أبي علي «**مَا رَزَقْنَاكُمْ**» أي أعطيناكم، وجعلنا ذلك رزقًا لكم «**وَمَا ظَلَمُونَا**» أي ما لحقنا ضرر بعصيانهم «**وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**» استحقوا العذاب[1]، وحرموا الثواب.

۞ الأحكام

الآية تدل على فساد قول المجبرة حيث أضاف ظلمهم إليهم.

وتدل[2] على أن الانتفاع بالطيب الحلال أولى من التضييق على النفس.

وتدل على أن الغمامة والمن والسلوى كان معجزة لموسى (عليه السلام)، ونعمة على بني إسرائيل.

وتدل على أنه تعالى لا يخلي عباده من نعمه وإن خالفوا أمره، كما فعل بهم في التيه، وكما ينعم على الكافر، وكما يجب على الإمام نفقة المحبوس من بيت المال، وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) يتفقد قاتله عبد الرحمن بن ملجم ـ لعنه الله ـ.

۞ القصة

يقال: ما كان سبب التيه؟ وكم كانت المدة ومكان التيه؟

قلنا: أمروا بالمشي إلى بيت المقدس، وحرب العمالقة بقوله: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ﴾ [المائدة: ٢١] فخالفوا، وقالوا: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾ [المائدة: ٢٤]

---

(١) العذاب: العقاب، د، و.

(٢) وتدل: فتدل، ف، و.

فوقعوا في التيه، وكان التيه قيل: في خمسة فراسخ، أو ستة، وقيل: اثنا عشر، وبقوا فيها أربعين سنة، وفي التيه هلك موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ، وانقرض القوم، ثم خرج يوشع بن نون بالناس، ولما حصلوا في التيه شَكَوْا حر الشمس فظللهم الله بالغمام، وقيل: كان غمامًا أبيض، وقيل: هو السحاب الذي أتت الملائكة فيه يوم بدر، كان معهم في التيه، عن ابن عباس ومجاهد، ثم سألوا موسى الطعام، فأنزل الله تعالى عليهم المن والسلوى، وقيل: كان يسقط عليهم المن من وقت طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، فكانوا يأخذون منها ما يكفيهم ليوم إلا يوم الجمعة، فإنهم يأخذون ما يكفيهم ليوم الجمعة والسبت؛ لأنه لم يكن يسقط عليهم المن والسلوى يوم السبت.

ويقال: كيف أنزل عليهم المن؟

قلنا: قيل: خلقه على الشجر، وقيل: أمطر عليهم، وكانوا إذا احتاجوا إلى الماء أَخْرَج من حجر كان معهم اثنتي عشرة عينًا على ما قص الله تعالى.

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٨﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع «يُغْفَرْلَكُمْ» بالياء مضمومة على ما لم يسم فاعله، وقرأ ابن عامر «تُغْفَرْ» بالتاء مضمومة، رجع إلى الخطايا، وهو جمع، فتخير بين التذكير والتأنيث، وقرأ الباقون بالنون مفتوحة، وهو الاختيار؛ لأنه أشبه بما تقدم من قوله: «وظَلَّلْنَا» و«أنزلنا» و«قلنا»، ولأن أكثر القراء عليه.

ويقال: لم اتفق القراء على «خَطَايَاكُمْ» ههنا، واختلفوا في سورة الأعراف وسورة نوح، فقرأ بعضهم «خطيئاتكم» وآخرون «خطاياكم»؟

قلنا: لأن في الأعراف ونوح كُتبتا في المصحف بالياء من غير ألف، وفي سورة البقرة بألف.

اللغة

الدخول نقيض الخروج، ونظيره الاقتحام والولوج، غير أن الاقتحام دخول على صعوبة، يقال: دخل دخولاً، وَحَدُّهُ: الانتقال إلى محيط، ثم يستعمل في غيره توسعًا، فيقال: دخل في الأمر.

والقرية والبلد والمدينة نظائر، وأصله الجمع، ومنه يقال للحوض: المِقْرَاةُ؛ [لأنه] يجمع فيه الماء، وفيه لغتان: قَرْية، وَقِرْيَة بفتح القاف وكسرها، والكسرة[1] نابية، وجمعها قُرًى، ومنه قيل لمكة: أم القرى.

والرغد: العيش الواسع.

والحط: وضع الأثقال عن الدواب، والحط: انحدار من العلو، وكل شيء أنزلته عن ظهر أو غيره فقد حططته، وحِطَّةٌ: مصدر كالردة، والجدة.

والغفران: العفو، وأصله من الستر يقال: غفر الله له أي ستر على ذنبه، ومعنى قولهم: اللهم اغفر، يعني حط عنا ذنوبنا، والمغفرة ستر الخطيئة برفع العقوبة.

والخطيئة الزلة والمعصية، والجمع خطايا.

والزيادة أن يزيد على مقدار يقال: زاد يزيد زيادة، ومنه: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥] يعني مزيدهم على ما استحقوا من الثواب بأعمالهم.

والإحسان هو النفع الحسن، وأصله من الحسن، الذي هو ضد القبيح، ونظير الإحسان الإنعام والإفضال، ونقيضه الإساءة.

الإعراب

يقال: لِمَ ارتفع «حِطةٌ»، وهل يجوز فيه النصب؟

قلت: رفعه على تقدير: مَسْأَلَتُنَا حطة. عن الزجاج وغيره، وقيل: دخولنا الباب سجدًا حطة لذنوبنا، ويجوز النصب في العربية على تقدير حط عنا ذنوبنا حطة،

(١) والكسرة: الكسر، ز، و.

كقولهم: سمعًا وطاعة، أي أسمع سمعًا، وأطيع طاعة، كقوله: معاذ الله، أي نعوذ بالله معاذًا، وقيل: تقديره سلوا الله حطَّ ذنوبكم، عن أبي مسلم.

ويقال: ما وزن خطايا وتقديره؟

قلنا: وزنه فعائل، وتقديره خَطَائِئُ، فقلبت الهمزة الأخيرة على حركة ما قبلها فصار خطَائي، ثم فعل به ما فعل «بزاوية»، حتى قيل: زوايا، فصار خَطَاءَا، فاستثقلت الهمزة بين ألفين؛ لأنه بمنزلة ثلاث ألفات، فقلبت الهمزة ياء، فصار خطايا، وقال الخليل: وزنه «فَعَالَى» على قلب الهمزة.

۞ المعنى

ثم ذكرهم تعالى نعمًا منه عليهم، وكفرًا لما قابلوا بها نعم الله تعالى، فقال: «وَإِذْ قُلْنَا» يعني اذكروا إذ قلنا «ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ» وهي بيت المقدس، عن قتادة ومجاهد وأبي علي، وقيل: أريحا قرية من قرى بيت المقدس، وهي قرية الجبارين، عن ابن عباس، وقيل: الشام، عن ابن كيسان، وقيل: الرملة وفلسطين، عن الضحاك، وقيل: إيليا، عن مقاتل، والأول الوجه لقوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ﴾ [المائدة: ٢١].

«فَكُلُوا مِنهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا» أي إن شئتم توسيعًا عليكم، «وَادْخُلُوا الْبَابَ»، قيل: باب حطة، من بيت المقدس عن مجاهد، وقيل: باب القبة الذي كان يصلي إليه موسى وبنو إسرائيل، قال أبو علي: والآية على قول من زعم أنها باب القبة أدل منها على قول من يزعم أنه باب القرية؛ لأنهم لم يدخلوا القرية في حياة موسى، ودل آخر الآية أنهم كانوا يدخلون الباب على غير ما أمروا به في أيام موسى؛ لأنه قال: «فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا» دل أن مخالفتهم كانت في أثر الأمر، وقيل: بابًا من أبواب القرية، وكان لها سبعة أبواب «سُجَّدًا» قيل: ركعًا، وهو شدة الانحناء، عن ابن عباس، وقيل: خاضعين متواضعين، وقيل: ادخلوا الباب فإذا دخلتموه فاسجدوا لله شكرًا، عن وهب، «وَقُولُوا حِطَّةٌ» قيل: معناه حط عنا ذنوبنا، أمروا بالاستغفار، عن الحسن وقتادة، وقيل: أمروا أن يقولوا: لا إله إلا الله؛ لأنها تحط الذنوب، عن عكرمة،

وقيل: حطة: اسم الباب الذي أمروا بدخوله، أي قولوا، واعرفوا أن هذا الباب هو الباب الذي أمرتم بدخوله «**نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ**» يعني يصفح ويغفر عن ذنوبكم برفع العقوبة «**وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ**» قيل: زيادة على الثواب المستحق على الطاعة تفضلاً منه يقع، وقيل: زيادة على ما سلف من إحسانه إليهم.

۞ الأحكام

الآية تدل على عظم موضع التوبة والاستغفار، والحث عليها، والترغيب فيها، وبيان أن بها يصل إلى المغفرة.

وتدل على أنه تعالى يعطي من فضله المؤمنين زيادة على ما يستحقونه بأعمالهم؛ لأن تقدير الآية: ادخلوا باب المقدس خاضعين تائبين ليغفر لكم، ويزيد المحسنين من عنده فضلاً ونعمة.

قوله تعالى:

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾

۞ اللغة

التبديل تغيير الشيء إلى غير حاله، والبدل ما يكون خلفًا من الشيء، والأبدال واحدهم بدل، وهُمْ قَوْمٌ بهم يقيم الله الأرض.

والرِّجز بكسر الراء العذاب، والرُّجز بضم الراء عبادة الأوثان، ويقال: اسم الشرك كله رجز، وقال الكسائي: الرجس النتن، والرجز: العذاب، وقد يجيء الرجس بمعنى العذاب.

۞ الإعراب

نصب «غير» لأنه نعت للقول، وإن كان مضافًا إلى معرفة، فإنه يكون وصفًا للنكرة؛ لأنه لا يتعرف ما أضيف إليه، إذ لا يبنى إلا وله أغيار كثيرة.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى عصيانهم فيما أمروا به، قال: «فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا» يعني غيروا ما أمروا به فقالوا غير ذلك، واختلفوا في ذلك الغير، فقيل: قالوا: حنطة حمراء فيها شُعَيْرَةٌ، وقيل: قالوا: حنطة تجاهلاً واستهزاء، عن ابن عباس، وقيل: أمروا بالطاعة فبدلوها بالمعصية، وقيل: غيروا القول ولم يبين ما قالوا، عن الأصم، وقيل: دخلوا مقنعي[(١)] [رؤوسهم] على أستاههم، وقد أمروا بالسجود «فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا» يعني: عصوا ربهم بالتبديل، فصاروا ظالمين لأنفسهم بما وجب لهم من العذاب «رِجْزًا» قيل: عذابًا، عن ابن عباس والحسن وقتادة والأصم وأبي علي وأبي مسلم، وقيل: بعث الله عليهم الطاعون فهلكوا، وبقي الأبناء «بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ» قيل: (ما) بمعنى المصدر، أي بفسقهم، وقيل: بكونهم فاسقين، هو خروجهم من طاعة الله.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن جميعهم لم يغيروا، وإنما غير بعضهم، لذلك قال: «فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا».

وتدل على أن ذلك التبديل منهم كان كبيرة حتى استحقوا الوعيد.

وتدل على أن الفسق يقتضي استحقاق العقاب في شرعهم وشرعنا؛ لأن حكاية ذلك عنهم من غير بيان اختلاف الشريعتين تدل أنهما سواء.

قوله تعالى:

﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾

۞ القراءة

قراءة العامة «اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا» بسكون الشين على التخفيف، وقرأ أبو جعفر بكسر

(١) مقنعي: مقعين، د، و، ز.

الشين، وعن بعضهم بفتح الشين، والوجه الأول؛ لأنه أخف، ولأن عليه القراء.

۞ اللغة

الاستسقاء: طلب السقيا، كالاستخبار طلب الخبر.

والعصا: عُودُ صُلْبٌ، يقال: عصا وعصوان، وثلاث أَعْصٍ، وجمعه: عِصِيٌّ.

والفجر: الشق في الأصل، والانفجار: الانشقاق، ومنه الفاجر؛ لأنه يشق العصا بخروجه إلى الفسق.

والعين مشترك: عين الإنسان، وعَيْنُ الرُّكْبَةِ، وعين الماء مشبهة بعين الإنسان، والعين: الذهب، وعين الميزان، وعين الشمس.

والمشرب: موضع الشرب، وأصله من الشرب، وهو شربك الماء وغيره من المائع.

والعَيْثُ: الفساد، عاث يعيث عيثًا، إذا أسرع في الفساد، وعاث وعثى بمعنى.

۞ الإعراب

قوله: «فَانْفَجَرَتْ» عطف على محذوف، كأنه قيل: فضرب فانفجرت، فحذف لدلالة الكلام عليه.

و«كُلُوا» جزم لأنه أمر، وفيه محذوف، أي قلنا لهم: كلوا.

۞ المعنى

ثم عَدَّ تعالى نعمة أخرى عليهم فقال: «وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ» يعني طلب موسى الماء لقومه، روي أنهم عطشوا، فشكوا إلى موسى، فاستسقى لهم، واختلفوا متى كان؟ فقيل: في التيه، عن أبي علي وجماعة، وقيل: لم يكن في التيه، عن أبي مسلم «فَقُلْنَا اضْرِبْ» يعني أوحينا إليه أن اضرب «بِعَصَاكَ» قيل: هو عصاه المعروف، وكان من آسِ الجنة، دفعه إليه شعيب، وبه ضرب البحر وهو صار ثعبانًا عند إلقائه، الحجر: قيل: كان يقرع حجرًا يعينه من عرض الحجارة فينفجر منه الماء عيونًا لكل سبط عين، وقيل: كان حجرًا بعينه يدل عليه الألف واللام؛ لأنه للعهد لا للجنس،

كقوله: لقيت الرجل، وقيل: كان حجرًا خفيفًا إذا رحلوا حمل في مخلاة، وإذا نزل ضربه بعصاه فانفجر الماء منه، عن ابن عباس، وقيل: كان حجرًا فيه اثنتا عشرة حفرة يخرج من كل حفرة عينًا، عن أبي روف «**فَانفَجَرَتْ**» يعني ضرب فانفجرت، قيل: كان يضرب عليه العصا، وقيل: كان يضع عليه فانفجرت، أي انشقت.

ويقال: كيف قيل ههنا: «**انفجرت**»، وهو خروج الماء بكثرة، وفي الأعراف «**انبجست**» وهو خروجه قليلاً قليلاً؟

قلنا: كان ابتداؤه انبجاسًا، ثم انفجارًا، وقيل: كان ينفجر عند الحاجة، وينبجس عند الحاجة، وقيل: كان ينبجس عند الحمل، وينفجر عند الوضع.

ومتى قيل: من أين يجتمع ذلك الماء الكثير في ذلك الحجر الصغير؟

قلنا: كان الله يخلقه ابتداء، معجزة لموسى، ونعمة عليهم، ولا يجوز أن تكون الأجسام الكبيرة مستكنة في جسم صغير، ومن علم أنه تعالى قادر لذاته لا يتعجب من مثل هذا، وإنما يتعجب الملحدة الذين لم يعرفوا الله حق معرفته «**مِنْهُ**» يعني من الحجر «**اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا**» يعني انشق الحجر فخرج اثنتا عشرة عينًا من الماء، لكل سبط من أسباطهم عين، كيلا تقع مزاحمة «**قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ**» يعني علم كل سبط وفرقة موضع شربهم «**كُلُوا وَاشْرَبُوا**» يعني قلنا لهم، وهذا كلام مبتدأ «**مِن رِزْقِ اللَّهِ**» من عطائه، والرزق ماله أن ينتفع بهوليس لأحد منعه «**وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ**» يعني لا تفسدوا بأكل رزق غيركم قهرًا وغصبًا، وجمع بين العيث والفساد تأكيدًا، وقيل: لأن الفساد أعم من العيث؛ لأنه يتعلق بالمال وغيره.

۞ الأحكام

الآية تدل على معجزة عظيمة لموسى (عليه السلام) من حيث كان ضرب حجرًا فانفجرت منه عيونٌ، وإذا ضربه ثانيًا أمسك.

وتدل على نعمة عظيمة على بني إسرائيل.

وتدل على أن الرزق هو الحلال؛ لذلك أطلق الأمر بأكله.

وتدل على النهي عن الفساد.

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾

۞ القراءة

قرأ نافع: «**النبيئين**» و«**النبيئون**» بالهمز رده إلى الأصل، والباقون بغير همز، وهو الاختيار؛ لأنه أخف، وأكثر القراء عليه، وروي أن رجلاً قال: يا نبيء الله - بالهمز -، فقال: «لا تقل نبيء الله بالهمز، ولكن قل: نبي الله»، وقيل: إنه مأخوذ من النبوة، وهو الرفعة في المكان، يقال للمكان المرتفع: نبوة، وقيل: هو الطريق عن الكسائي، سمي به لاهتداء الخلق به، والأول من الإنباء الإخبار.

وقراءة العامة «**قثائها**» بكسر القاف وهي اللغة المشهورة، وعن يحيى بن وثاب بضم القاف، وهي لغة تميم.

وقراءة العامة «**مصرا**» بالتنوين، والمراد مصر من الأمصار، وعن الحسن بغير تنوين، أراد مصر بعينه، وقيل: إنه في مصحف ابن مسعود بغير ألف وتنوين.

وقراءة العامة «**يقتلون**» بالتخفيف، وعن السلمي بالتشديد من التثقيل.

۞ اللغة

الصبر: أصله الحبس، ونقيضه الجزع، وهو حبس النفس عن الشيء، صبر صبرًا، وحده: حبس النفس عما تنازع إليه، قال الشاعر:

فَإِنْ تَصْبِرَا فَالصَّبْرُ خَيْرُ مَعِيَّةٍ   وَإِنْ تَجْزَعَا فَالْأَمْرُ مَا تَرَيَانِ

والطعام: ما يتغذى به، والطعم بضم الطاء: الأكل، والطَّعْم: عرض يدرك بحاسة الذوق، والطعام جوهر يتغذى به.

والواحد: الفرد، والواحد: أول عدد الحساب، وَحَدُّهُ ما لا يتجزأ، والله واحد لتفرده بصفاته الحسنى.

والدعاء: قيل: أصله النداء عن ابن السراج، فكأن من يدعو ربه يناديه، وحقيقة الدعاء: قول القائل لمن فوقه: افعل، والفرق بينه وبين الأمر يظهر بالرتبة.

والإنبات: إخراج النبات، ومنه: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم﴾ [نوح: ١٧] وأصله من الظهور فكأنه ظهر إذا نبت.

والبقل: العشب، وما ينبته الربيع، يقال: بقلت الأرض، وأبقلت، لغتان فصيحتان، إذ النبت البقل، والبقل كل نبات ليس له ساق.

والفوم: الحنطة، وأزد شنوءة يسمون السنبل فومًا.

والعدس واحده عدسة، وهو حب معروف.

والمصر: أصله القطع، يقال: مصرت الشيء إذا قطعت بعضه من بعض، وسمي البلد مصرًا؛ لأنه منقطع بالعمارة عما سواه.

والذلة: الذل، رجل ذليل، ونقيضه العزة.

والمسكنة الفقر، والمسكين الفقير، ثم يستعمل في غيره، فيقال: مسكين ترحمًا.

والبَوْءُ: الرجوع، وباء: رجع، يقال: بَوَّأْتُهُ منزلاً، أي أنزلته، وأصله قيل: المنزلة، عن ابن عباس، وقيل: التهيئة[(١)]، عن الزجاج، ومعنى «**باؤا بغضب**» كأنه استوى عليهم غضب الله.

والاعتداء: تجاوز الحد.

---

(١) التهيئة: التسوية، ف، و.

۞ الإعراب

يقال: كيف قيل: «ادْعُ لَنَا رَبَّكَ» ولم يذكروا له مطلوبًا؟

قلنا: في الكلام حذف، وقيل: تقديره ادع لنا ربك، فَقُلْ: أخرج لنا مما تنبت الأرض، يُخْرِجْ ذلك، وقيل: فيه تقدير ثالث، هو أن يكون يخرج في موضع ليخرج جزمًا، فلما حذفت اللام حصل كالجواب، قال الزجاج: وهو وجه ضعيف؛ لأن ما جاء على تقدير ذلك مرفوع، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ﴾ [الصف: ١٠] ثم قال: ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [الصف: ١١].

ومصر لا ينصرف، والصرف يجوز فيها من وجهين:

أحدهما: أن يكون اسمًا للمكان، فيصرف على أنه مذكر، سمي به مذكر، فإذا جعل للبقعة لم يصرف، كما يفعل ذلك في أسماء الحي والقبيلة.

والثاني: أن كل اسم مؤنث كان وسطه ساكنًا على ثلاثة أحرف، فإنه يجوز صرفه كهند ودعد وَحُمْل.

۞ المعنى

لما عد الله تعالى نعمه عليهم بين ما قابلوا به تلك النعم من قلة الشكر، واختيار السوء فقال تعالى: «وَإِذْ قُلْتُمْ» يعني قال أسلافكم من بني إسرائيل، «يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ» يعني المن والسلوى.

ومتى قيل: كيف قال: «طَعَامٍ وَاحِدٍ» ولهم المن والسلوى؟

قلنا: لما كان غذاؤهم في كل يوم لا يتغير قيل: طعام واحد، كما يقال: لمن داوم على الصوم والصلاة أمره أمر واحد، وقيل: العرب تعبر عن الاثنين بالواحد، وعن الواحد بالاثنين، كقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢] وإنما يخرج من المَلِح[1].

(١) الملح: العذب، د، ز.

ومتى قيل: لم قالوا: لن نصبر على المن والسلوى مع فضلهما؟

قلنا: كانوا أهل بصل وعدس، قد ألفوه، فاشتاقت طباعهم إلى ما جرت به عاداتهم، فسألوا ذلك،عن الحسن، وقيل: تبرموا بالمفاوز، واحتشموا أن يظهروا ذلك، فعرضوا بهذا القول: «**فَادْعُ لَنَا**» أي ادع الله لأجلنا «**يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا**» كل نبت لا ساق له «**وَقِثَّائِهَا**» نوع من الخيار «**وَفُومِهَا**» قيل: هو الخبز، عن ابن عباس، وقيل: هو الحبوب كلها، عن القتيبي، وقيل: هو الثوم، عن الكلبي والنضر بن شميل، والثاء تبدل من الفاء، يقال: جدث، وجدف، وهو قول الكسائي وأبي عبيدة، وقيل: إنه في مصحف عبد الله، وثومها، قيل: هو الحنطة، عن الحسن وقتادة وعطاء ومجاهد، واختيار المبرد «**وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ**» يعني موسى، وقيل: الله قال لهم ذلك «**أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ**» قيل: أتتركون من الطعام ما هو خير، وتطلبون ما هو شر، وقيل: أتتركون ما اختار الله لكم، وتريدون ما تختارون لأنفسكم، وهو استفهام، والمراد النهي، أي لا تختاروا ما لا يختاره الله لكم، وعلى هذين المعنيين «**أَدْنَى**» من الدون الذي هو الدوني، وقيل: هو من الدنو أي تتركون ما هو أقرب مأخذًا، وتختارون ما هو أبعد، وقيل: بدلوا الأخبث بالألذ.

ويقال: سؤالهم هل كان معصية؟

قلنا: قيل: لا؛ لأن الأول كان مباحًا، فسألوا مباحًا آخر، وقيل: كان معصية؛ لأنهم لم يرضوا بما اختاره الله لهم، فلذلك ذمهم على ذلك، وهو الأوجه «**اهْبِطُوا**» انزلوا «**مِصْرًا**» قيل: مصرا من الأمصار، عن قتادة والسدي ومجاهد وأبي علي، قال أبو علي: لا يجوز أن يريد المصر المعروفة، لأنهم أمروا بدخول بيت المقدس، قال أبو مسلم: الأمر بذلك لا يقتضي دخول مصر، وقيل: يعني مصر فرعون، عن الحسن وأبي العالية والربيع والأعمش، وقيل: بيت المقدس «**مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ**» من نبات الأرض، أي أحببتم بها «**وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ**» قيل: ألزموا الذلة، وهو الذل والهوان، وقيل: الجزية، لقوله: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، عن الحسن وقتادة، وقيل: هو الصغار، عن أبي عبيدة، وقيل: هو زي اليهودية «**وَالْمَسْكَنَةُ**» يعني زي الفقر، فلا ترى يهوديًا إلا وكأنه فقير وإن كان من المياسير، وقيل: هو فقير القلب، قيل: «**وَبَاؤُوا**» رجعوا، عن الكسائي، وقيل: استحقوا، عن

أبي روق، وقيل: احتملوا، عن أبي عبيدة، وقيل: حل ذلك بهم عن استحقاق، عن أبي مسلم، والمعنى بعد ما كانوا على حالة جميلة صاروا في غضب الله «**بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ**» قيل: غضبه ذمه إياهم ولعنه لهم، وقيل: إرادته أن يعاقبهم على ما استحقوه، وقيل: غضبه عقوبته «**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ**» يعني يجحدون آيات الله وحججه وبيناته، وقيل: الإنجيل والقرآن، ولذلك قال: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ [البقرة: ٩٠] قيل: الأول لكفرهم بعيسى والإنجيل، والثاني لكفرهم بمحمد والقرآن؛ وقيل: لترادف المعاصي منهم، وقيل: آيات الله: صفة محمد ﷺ، «**وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ**» أي بغير جرم كزكريا ويحيى وغيرهما ـ عليهما السلام ـ «**ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا**» الله تعالى «**وَكَانُوا يَعْتَدُونَ**» أي يتجاوزون الحد في أوامره، ويرتكبون محارمه.

فإن قيل: هم في وقت موسى لم يكفروا، ولا قتلوا نبيًّا؟

قلنا: كفروا مرارًا في وقت موسى بعبادة العجل، وبقولهم: اجعل لنا إلهًا وبقولهم: اذهب أنت وربك، وقيل: إنه أراد بيان ما فعلته فرق اليهود من وقت موسى إلى وقت نبينا ـ عليهما السلام ـ.

فإن قيل: كيف يجوز التخلية بينهم وبين قتل النبي؟

قلنا: الذي يجب أن يعصمه حتى يبلغ رسالته؛ كيلا تفوت المصالح، فإذا بَلَّغَ جاز التخلية، كما يجوز أن يميته.

فإن قال: لم قال: «بغير حق» وقتل النبي لا يكون قط بحق؟

قلنا: تأكيدًا، وقيل: أراد قتلوهم ظلمًا، وسواء قوله قتلته بغير حق، أو قتلته ظلمًا، عن أبي مسلم.

۞ الأحكام

الآية تدل على سوء اختيار العبد، وأن اختيارالله له خير من اختياره لنفسه.

وتدل على سوء بصيرة أولئك القوم.

وتدل على معجزة نبينا حيث أخبرهم بسرائر أخبارهم من غير أن قرأ كتابًا، ولا سمع حديثًا.

وتدل على أنه تعالى لا يخلي عباده من نعمه وإن عصوا.

وتدل على أنه يجوز أن تختلف المصالح والتكليف عند المسألة كما اختلف في حق أولئك عند سؤالهم.

قوله تعالى:
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾

۞ القراءة

قرأ نافع «**الصابين**» بغير همز، والباقون بالهمز، فأما ترك الهمز فيحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون من صبا يصبو: إذا مال إلى الشيء فأحبه، والآخر: قلب الهمزة فتقول: الصابين، والصابون على ذلك، والاختيار الهمز؛ لأنه قراءة الأكثر، وإلى معنى التفسير أقرب؛ لأن أهل العلم قالوا: هو الخارج من دين إلى دين.

وقراءة العامة «**هَادُوا**» برفع الدال، وعن ابن السماك «**هَادَوْا**» بنصبها من المهاداة، أي مال بعضهم إلى بعض في دينهم.

۞ اللغة

الهَوْدُ: التوبة، ومنه: ﴿هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، أي تبنا، وأصله الطمأنينة، فكأن التائب اطمأن إلى الإقلاع عن الذنب.

ويقال: لم سمي اليهود يهودًا؟ ومم أخذ؟

قلنا: اختلفوا فيه، فقيل: لأنهم هادوا، أي: تابوا من عبادة العجل، وقالوا: إنا هدنا إليك، عن ابن جريج، وقيل: تَهَوَّدَ تَفَعَّلَ من هاد، وبينهما هوادة من ذلك، عن قطرب، وقيل: نسبوا إلى يهوذا أكبر(١) ولد يعقوب، والأعجمية إذا أعربت غيرت عن لفظها، فحولت الذال دالاً، وقيل: لأنهم هادوا أي مالوا عن الإسلام وعن دين موسى، يقال: هاد: مال، وقيل: لأنهم يتهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة،

---

(١) أكبر: أكثر، د، ذ، و.

ويقولون: إن السماوات والأرض تحركت حين آتى الله موسى (عليه السلام) التوراة. فإن قيل: ومم أخذ؟ قيل: صار في العرف والشرع اسم ذم لقوم مخصوصين لاعتقادهم كفرًا مخصوصًا.

والنصارى، قيل: سموا بذلك من «**ناصرة**»، قرية كان ينزلها عيسى ابن مريم (عليه السلام)، عن ابن جريج وقتادة، وقيل: من تناصرهم، وقيل: لقولهم: نحن أنصار الله، عن الزهري.

ويقال: ما واحد النصارى؟

قلنا: فيه قولان: قيل: نَصْرَان ونَصَارَى كنشوان ونشاوى وسكران وسكارى، عن سيبويه، وقيل: واحدها نَصْرِيّ، عن الخليل، كقولهم: بعير مهري، وإبل مهارى، والمستعمل في واحد النصارى نصراني.

والصابئ: قيل: الخارج من دين مشهور إلى دين غير مشهور، وأصله الخروج، ومنه حديث عمر لما قالوا: أَلاَ إنَّ ابن الخطاب قد صبا، فقال: ما صبأت، ولكن أسلمت. والصابئون: قوم يعبدون النجوم، ويزعمون أنهم على دين شِيثٍ ونوح. ومنهم من يقول بنبوة إدريس وإبراهيم، وقد اشتهر بهذا المذهب الحرانية.

والأجر جزاء العمل، أَجَرَ يأْجُرُ أجرًا.

۞ الإعراب

يقال: لم رفع «**فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ**»، ونصب «**لاَ رَيْبَ فِيهِ**»؟

قلنا: لتكرير (لا) وهو قياس مطرد في الرفع، إذا كررت، قال الشاعر:

وَمَا صَرَمْتُكِ حَتَّى قُلْتِ مُعْلِنَةً ... لاَ نَاقَةٌ لِي فِي هَذَا ولاَ جَمَلُ[1]

كأنه جواب (أناقة لك في هذا أم جمل؟)، فأما الإفراد فهو جواب «هل من ريب فيه»؟، فجوابه: لا ريب، فيه بالنصب.

(١) البيت للراعي النميري، انظر الديوان؛ اللسان (لقا).

ويقال: ما خبر (إنَّ)، وما العائد إلى اسمها؟

قلنا: الجملة، وهي «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ...» إلى آخر الآية، والعائد إلى اسمها محذوف، كأنه قال: من آمن منهم بالله.

ويقال: لم قال: «عَمِلَ صَالِحًا» على لفظ التوحيد، ثم قال: «فَلَهُمْ»؟

قلنا: لأن لفظة (مَنْ) لفظ الواحد، ومعناه معنى الجمع، فمرة يحمل على اللفظ، ومرة على المعنى.

المعنى

لما تقدم كفر أهل الكتاب، وما أعد لهم من عذابه بَيَّنَ صفة المؤمنين، وما أعد لهم من ثوابه، تنبيهًا على أن استحقاق الثواب بالإيمان والعمل فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يعني صدقوا الله ورسوله، واختلفوا من هم؟ فقيل: قوم آمنوا بعيسى، وانتظروا خروج محمد، وقيل: هم طلاب الدين كَقُسٍّ وورقة وسلمان، وقيل: هم مؤمنو الأمم الماضية، وقيل: هم المؤمنون من هذه الأمة، وقيل: المراد المنافقون آمنوا ظاهرًا، وقيل: هم من آمن بالكتب المتقدمة «وَالَّذِينَ هَادُوا» يعني اليهود، عن ابن عباس وجماعة من أهل العلم «وَالنَّصَارَى» من ادعى أنه على دين عيسى «وَالصَّابِئِينَ» قيل: طائفة من أهل الكتاب، ذبائحهم كذبائح أهل الكتاب، عن السدي وأبي العالية، وقيل: لا دين لهم وليسوا من أهل الكتاب، عن ابن عباس، وقيل: يقرون بالله ويعبدون الملائكة، ويقرؤون الزبور، ويُصَلُّون، أخذوا من كل دين شيئًا، عن قتادة ومقاتل. وقيل: قوم بين اليهود والنصارى، عن الكلبي. وقيل: قوم بادوا، عن عبد العزيز بن يحيى، وإنما اشتبه مذهبهم لأنهم يدينون بالكتمان «مَنْ آمَنَ» يحتمل أن يرجع إلى اليهود والنصارى والصابين، ويحتمل أن يرجع إلى جميع من تقدم، ثم اختلفوا في قوله: «مَنْ آمَنَ» مع قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فقيل: «مَنْ آمَنَ» أي ثبت على إيمانه في مستقبل عمره، كما آمن في الماضي؛ لأن الثواب يحصل بمجموع الأمرين، وقيل: آمنوا بموسى وعيسى، ثم آمنوا بمحمد، وقيل: آمنوا بسائر الكتب، ثم آمنوا بالقرآن، وقيل: آمن في الباطن كما آمن في الظاهر، وقيل: فيه إضمار، أي من آمن

معك إلى يوم القيامة، «**بِاللَّهِ**» أي بتوحيده، وصفاته وعدله «**وَالْيَوْمِ الآخِرِ**» يعني يوم القيامة والبعث، سمي آخرًا لتأخره عن الدنيا «**وَعَمِلَ صَالِحًا**» يعني عمل ما أمره الله به من الطاعات، واجتناب المعاصي؛ وإنما لم يذكر ترك المعاصي، لأن تركها من الأعمال الصالحة «**فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ**» أي جزاؤهم وثوابهم «**عِنْدَ رَبِّهِمْ**» أي معدة عنده «**وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ**» فيما قدموا عليه من عذاب يوم القيامة «**وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**»: ولا يحزنون[1] على ما خلفوا يوم القيامة.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن عذاب الكفر يزول بالإيمان والعمل الصالح، وفيه إجماع.

وتدل على أن استحقاق الثواب والجنة بالإيمان والعمل الصالح، خلاف ما تقوله المرجئة. ولا يقال: لِمَ لم تذكر التوبة؛ لأن ذلك داخل في الإيمان والعمل الصالح.

وتدل على أن المؤمن لا يناله خوف ولا حزن يوم القيامة خلاف ما يقوله قوم.

ويقال: إذا كان العمل الصالح يدخل تحت الإيمان فما الفائدة في ذكره؟

قلنا: لأنه ذكر إيمانا مقيدًا، فصح ضم العمل الصالح إليه، بل لا بد من ذلك؛ لأنه عند التقييد يجري على طريقة اللغة، وقيل: ذكر ذلك تأكيدًا، وعطفه عليه لا يوجب خروجه منه، كقوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨] وكقوله: ﴿فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ﴾ [الرحمن: ٦٨].

فإن قيل: هل يجوز ما يروى عن ابن عباس أنه منسوخ بقوله: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]؟

قلنا: لا يجوز ذلك؛ لأن هذا وعد من الله للمحسنين بالثواب، ولا يجوز نسخه، ولأنه لا تنافي بين الاثنين، ويبعد أن يصح ذلك عن ابن عباس، فيحمل على أنه غلط عليه غير صحيح عنه.

---

(١) ولا يحزنون: ـ ، (أ).

قوله تعالى:
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾

اللغة

الميثاق والعهد والعقد من النظائر، وأصله أحكام العقد، وحده: العهد المؤكد باليمين أوغيره.

والطور: الجبل، ومن قال: إنه بالسريانية فقد أخطأ؛ لأنه ليس في القرآن لغة إلا لغة العرب، فإن وجد ذلك اللفظ في لغة أخرى فلموافقة اللغتين، ولأن العرب أخذته فعربته، وقد وجد الطور في شعر جرير والعجاج، قال العجاج:

دَانَى جَنَاحَيْهِ من الطُّورِ فَمَرْ تَقَضِّيَ الْبَازِي إذَا البَازِي كَسَرْ[1]

والقوة: القدرة، وهي عرض يصير به الحي قادرًا، وكل جسم قادر بقدرة، لا يصح منه فعل [دونها].

والأخذ ضد الإعطاء، وأصله[2] أُؤْخُذْ، نحو: كُلْ، فإن أصله أُؤْكُلْ، وأُؤْمُرْ[3]، وقد جاء أمر على الأصل فقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ [طه:١٣٢]، وإنما حذف لكثرة الاستعمال تخفيفًا.

الإعراب

الواو في قوله: (وَرَفَعْنَا) قيل: واو الحال تقديره: أخذنا ميثاقكم في حال رفع الطور، عن أبي مسلم وجماعة، وقيل: بل هو واو العطف، وتقديره: رفعنا فوقكم الطور في حال أخذ الميثاق، فساغ ذلك؛ لأن الواو لا يوجب ترتيبًا، وهذا أولى من الأول؛ لأن الماضي لا يكون حالاً إلا بذكر (قد).

---

(١) اللسان (طرأ).

(٢) يقصد أصل الأمر منه وهو (خُذْ) أُؤْخُذْ، كما تقول: اكْتُبْ.

(٣) فالأفعال خُذْ ـ مِن أَخَذَ ـ ، وكُلْ ـ مِن أَكَلَ ـ ، ومُرْ ـ مِن أَمَرَ ـ أصلها: اؤْخُذْ واؤْكُلْ وأُؤْمُرْ على زنة أُفْعُلْ.

ويقال: ما موضع «خُذُوا» من الإعراب؟

قلنا: النصب على تقدير (وقلنا) عند البصريين، وقد يحذف القول في كثير من الكلام، قال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣،٢٤] أي ويقولون: سلام، وقال بعض الكوفيين: لا حاجة إلى إضمار القول مع أن أخذ الميثاق قول، ولكن يتصل بـ (أنْ) كقوله: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ﴾ [نوح: ١] ويجوز حذف أن.

۞ المعنى

ثم عاد إلى خطاب بني إسرائيل، فقال تعالى: «وَإِذْ أَخَذْنَا» يعني اذكروا إذ أخذنا «مِيثَاقَكُمْ» أي عهدكم، والمراد عهد أسلافكم، والخطاب لليهود، وقيل: عهده على ضربين: أحدهما: ما فطر عليه الخلق، فجعله دليلاً على خالقه. والثاني: ما أمرهم على ألسن رسله فأخبر أنهم أوثقوا على أنفسهم بالسمع والطاعة فيما تعبدهم، وأخبر أنه عاهدهم عند رفع الطور، وقيل: هو الميثاق الذي أخذه منهم عند رفع الطور بأنهم تابوا، وعهدوا ألا يعودوا إلى ذنوبهم كعبادة العجلوغيره، وأن يعملوا بما في التوراة، عن أبي علي، وقيل: هو أخذ التوراة عن موسى، وقيل: في طاعة الله واتباع رسله «وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ» قيل: الطور جبل أي جبل كان، عن مجاهد وقتادة، وقيل: الطور من الجبال ما أنبت خاصة، وما لم يُنْبت فليس بطور، عن ابن عباس، وقيل: هو الجبل الذي ناجى عليه موسى، عن ابن عباس أيضًا.

ويقال: ما كان سبب رفع الطور؟

قلنا: قال أهل التفسير: لما رجع موسى بالألواح، قال: إن فيها كتاب الله وأمره ونهيه، فقالوا: ومن يأخذه بقولك، فأمر الله الملائكة، فنتقت الجبل فوقهم، وقيل لهم: خذوا الكتاب وإلا طرحناه عليكم فأخذوا، وكان الجبل فرسخًا في فرسخ على مقدار العسكر.

ويقال: أَوَلَيْسَ رفع الجبل يوجب الإلجاء؟

قلنا: لا، لأنه ليس كل تخويف إلجاء، كما يخوف الكافر بالسيف، وقيل: لما

استقر وقوف الجبل مدة ولم يسقط ترددوا بين الخوف والرجاء، كوقوف السحاب، وقيل: إنهم رأوا آيات كثيرة قبل ذلك، فلم يخافوا خوف إلجاء «خُذُوا» أي وقلنا لهم: خذوا «مَا آتَيْنَاكُمْ» أي أعطيناكم، وهو التوراة، عن أبي العالية وغيره. «بِقُوَّةٍ» قيل: بجد واجتهاد، عن ابن عباس والحسن وقتادة، وقيل: تقديره، عن أبي علي والأصم، وتقديره: خذوا وأنتم قادرون على أخذه، وقيل: بعزيمة وجد، وأخذه بقوة هو العمل بما فيه «وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ» قيل: تعرضوا لذكر ما فيه، وعلى هذا الذكر ضد النسيان، وقيل: أراد ادرسوا ما فيه «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» أي لتصيروا أتقياء، وقيل: لتنجوا من العذاب، عن أبي مسلم.

ويقال: هل قبلوا التوراة؟

قلنا: نعم دليله: «أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ»، وقوله: «ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ».

۞ الأحكام

الآية تدل على أن القدرة قبل الفعل؛ لأنه لا يجوز أن يقول: خذوا بقدرة، ولا قدرة فيهم، كما لا يجوز أن يقول: امش برجلك، وابطش بيدك، ولا يد ولا رجل، عن أبي علي، ولأنه لا يقال: خذوا والأخذ واقع.

وتدل[1] على أن رفع الطور فوقهم لم يوجب الإلجاء؛ لأن التكليف باق عليهم.

وتدل أن رفع الطور[2] فوقهم كان لطفًا لهم فيكونون أقرب إلى القبول، فهو بمنزلة مقاتلة الكفار.

وتدل على معجزة عظيمة لموسى مضمومة إلى سائر معجزاته.

قوله تعالى:

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾

---

(١) وتدل: ويدل؛ ف، و.

(٢) الطور: الجبل، د، و.

۞ اللغة

تولى: أعرض، والفضل: هو الزيادة من الإنعام والإحسان.
والخسران: ذهاب رأس المال، خسر خسرانًا.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى ما فعلوه بعد أخذ الميثاق فقال تعالى: «تَوَلَّيْتُم» أي أعرضتم، قيل: عن أمر الله وطاعته، وقيل: عن العمل بما في التوراة «مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ» قيل: من بعد أخذ الميثاق ورفع الجبل، عن أبي علي وغيره، وقيل: بعد ما أنعم الله عليكم بالنعم التي عدها عليكم «فَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» بإمهاله إياكم للتوبة، وقيل: بأن هداكم للتوبة ووفقكم لها، وقيل: بقبول توبتكم، وقيل: بتأخير العذاب «لَكُنتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ» أي الهالكين بما نالهم من العقاب(١)، وفاتهم من الثواب.

ومتى قيل: «فَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ» متى كان؟

قلنا: بعد توليهم، وقيل: في حال رفع الطور، كلاهما عن أبي علي.

۞ الأحكام

الآية تدل على أنهم ارتكبوا كبائر بعد رفع الطور، وأنه تعالى أمهلهم، وقبل توبتهم.

وتدل على بقاء التكليف عليهم بعد رفع الجبل، فيبطل قول من يقول: إن رفع الجبل أوجب الإلجاء.

قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾

۞ اللغة

الاعتداء: تجاوز الحد.

---

(١) العقاب: العذاب، ل.

والسبت: يوم من أيام الأسبوع كان عيدًا لليهود، وأصل السبت القطع، وهو أصل الباب، وإنما سمي سبتًا؛ لأنه سبت فيه خلق كل شيء وعمله، أي انقطع، وفرغ منه، واليهود يسبتون يوم السبت أي يقطعون الأعمال، عن أبي عبيدة.

والقرد: جمعه قردة، وقرود، والأنثى قردة.

وَخَسَأْتَ الكلب إذا زجرته، فقلت: اِخْسَأْ، والخاسِئ الكلب المباعد الذي لا يترك أن يدنو من الناس، وَخُسِئ الكلبُ إذا طرد فتباعد، وأصله من الإبعاد.

۞ المعنى

ثم خاطب بني إسرائيل بخبر أسلافهم وما نالهم ليجتنبوا طرائقهم، فقال تعالى: «وَلَقَد» خطاب لليهود الذين كانوا في زمن النبي ﷺ «الَّذِينَ اعْتَدَوْا» أي: جاوزوا الحد، وتركوا العمل بالتوراة وما فرض عليهم في السبت، والمراد أسلافهم «مِنكُمْ» أي من أسلافكم «فِي السَّبْتِ» وكان اعتداؤهم في السبت أنهم نهوا عن أخذ الحيتان يوم السبت فاصطادوا، وقيل: أخذوها على وجه الاستحلال فكفروا فمسخوا قردة، عن الحسن، وقيل: حبسوها في الحظائر يوم السبت، وسدوها بلوح ثم أخذوها يوم الأحد، ويقولون: نحن لا نتعرض للسمك يوم السبت، فعاقبهم الله تعالى على ذلك، وهو على هذا فسق، وقيل: كانوا يلقون الشخوص يوم الجمعة، ويخرجونها يوم الأحد، وكان هذا زمن داود (عليه السلام)، بِأَيْلَةَ ، فتفرق الناس ثلاث فرق، فرقة أمسكوا ونهوا، وفرقة أمسكوا ولم ينهوا، وفرقة هتكوا الحرمة، فمسخ الله الفريقين، ونجا الفرقة الناهية «فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً» يعني جعلناهم قردة، كقوله: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] وقيل: مسخوا قردة تعاوي بعد ما كانوا رجالاً ونساء، عن ابن عباس وقتادة وأكثر أهل العلم، وقيل: هذا مثل ضربه الله لهم، كما قيل: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: ٥]، والأول الوجه؛ لأنه الظاهر، وعليه أكثر أهل العلم.

ويقال: هل تناسلت تلك القردة؟

قلنا: قيل: لا، ولم يعش مسخ قط فوق ثلاثة أيام، ولم يأكل ولم يشرب، ولم ينسل،عن ابن عباس وغيره، قال أبو علي: لم يبقوا إلا أيامًا قليلة وماتوا، وقيل: أرسل عليهم ريحًا فرمتهم في البحر، فهلكوا والقردة التي تشاهد جِنْسٌ من الحيوان كالذباب وغيره.

ويقال: هل صاروا قردة على الحقيقة؟

قلنا: غير الصورة إلى صورة القردة في الظاهر، فهم عاقلون عالمون بما أصابهم من العقوبة، وبنية البشرية في الباطن على ما هو عليه.

فيقال: فمن نظر إليهم أي شيء يعتقد فيهم؟

قلنا: من علمهم بعيبهم اعتقد فيهم المسخ، ومن لم يعلم لم يخطر الله ذلك ببالهم. وروي أن الناهين خرجوا بُكْرَةً، فإذا المجرمون لم يفتحوا أبوابهم، فدخلوا عليهم فإذا هم قد مسخوا، وكانوا يبكون وتجري أدمعهم على خدودهم.

«خَاسِئِينَ» قيل: مبعدين عن الخير، وقيل: أذلاء صاغرين مطرودين، عن مجاهد وقتادة والربيع، وقيل: خرسًا لا يتكلمون، عن أبي رَوْقٍ.

۞ الأحكام

في الآية زجر عن ارتكاب المعاصي، وتحذير مما نزل ببني إسرائيل من المسخ، فيكون إخباره لُطْفًا لنا؛ لنفارق عادة أولئك.

وتدل على معجزة عظيمة في الإخبار عنه.

قوله تعالى:

﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾

۞ اللغة

النكال: العقوبة التي تزجر عن العصيان، وأصله من المنع، أخذ من النِّكْلِ، وهو القيد، وقيل: أخذ من النِّكْلِ، وهو اللجام، وسمي العقاب نكالاً؛ لأنه يمنع عن ارتكاب مثل ما ارتكبه مَنْ نزلت به العقوبة.

واليد: أصله الجارحة، ثم يستعمل في غيره توسعًا، فيقال للنعمة: يد، وللقدرة: يد، وقد تكون اليد صلة، فيقال: هذه الضيعة في يد فلان، أي في ملكه وتصرفه، مشابهًا بالشيء في يده.

والوعظ والزجر بمعنى، وأصل الوعظ التخويف، يقال: وعظت فلانًا موعظة وعظة، والوعظ بيان لسوء عاقبة الأمر.

۞ الإعراب

(ما) في قوله: «**وَمَا خَلْفَهَا**» قيل: نصب بالعطف على قوله: «**فَجَعَلْنَاهَا**»، أي جعلناها وما خلفها، عن أبي مسلم، وقيل: هو عطف على قوله: «**لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا**».

ويقال: الهاء في قوله: «فَجَعَلْنَاهَا» إلى ماذا ترجع؟

قلنا: قيل: إلى العقوبة، تقديره: جعلنا تلك العقوبة وهو المسخ، عن ابن عباس واختيار أبي مسلم، وقيل: على القرية التي اعتدى أهلها، وقيل: يعود إلى القردة، وقيل: إلى الأمة التي اعتدوا في السبت، وهم أهل أَيْلَة، عن الأصم وأبي علي.

۞ المعنى

«**فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً**» أي المسخة أو الأمة «**نَكَالاً**» قيل: عقوبة، وقيل: اشتهارًا وفضيحة، عن أبي علي «**لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا**» اختلفوا فيه فقيل: لما بين يديها لما خلا[1] من الذنوب، عن الربيع «**وَمَا خَلْفَهَا**» عبرة لمن بقي من الناس بعدها، عن الفراء، وقيل: «**لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا**» لما خلا من الذنوب عن الربيع، «**وَمَا خَلْفَهَا**» من القرى، عن ابن عباس وأبي علي، وقيل: لما بين يديها من ذنوبها، وما خلفها من المعاصي الحيتان التي أصابوا، عن الحسن وقتادة، وقيل: لما بين يديها لما مضى من خطاياهم، وما خلفها خطاياهم التي أهلكوا بها، عن مجاهد، وقيل: ما عملوا قبل الحيتان وبعد الحيتان، عن ابن عباس وقيل: ما بين يديها من يشاهدها، وما خلفها: من يسمع بها، وقيل: فيه تقديم وتأخير، وتقديره: فجعلناها وما خلفها، أي تلك العقوبة وما خلفها: ما أعد الله لهم من عذاب الآخرة نكالاً وعقوبة وزجرًا «**لِمَا بَيْنَ**

---

(١) خلا: خلى، ف.

يَدَيْهَا» أي لما تقدم من الكفر والعصيان، عن أبي مسلم «وَمَوْعِظَةً» قيل: عبرة وتذكرة، عن ابن عباس، وقيل: ردعًا وزجرًا «لِلْمُتَّقِينَ» أي من يتقي عذاب الله باتقاء معاصيه، وإنما خص المتقين لوجهين: أحدهما أنهم انتفعوا به، كقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٥]، عن أبي علي وأبي مسلم. والثاني: أن المتقين يعظ بها بعضهم بعضًا، ويتعظون بخلاف الفجار، عن أبي علي.

۞ الأحكام

الآية تدل على أنه تعالى مسخ أولئك عبرة لغيرهم، وعقوبة لهم.

وتدل على الزجر عن المعاصي في الإخباربما نزل بهم، وهو[1] لطف للسامع متى تفكر فيه.

ويقال: هل كان تقبل توبتهم بعد المسخ؟

قلنا: لا؛ لأنهم اضطروا إلى المعرفة.

ويقال: هؤلاء الذين مسخوا كيف يحشرون؟

قلنا: قيل: على صورة القردة؛ لأنه أبلغ في الفضيحة، وقيل: يجوز أن يحشروا على صورهم.

قوله تعالى:

﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٦٧﴾

۞ القراءة

«هزؤا» ـ و«كفؤا» قرأ حمزة بالهمزة، وسكون الزاي والفاء في كل القرآن وهو رواية إسماعيل عن نافع، وقرأ حفص عن عاصم بضم الزاي والفاء غير مهموز، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو والكسائي، وأبو بكر عن عاصم وابن عامر بالتثقيل والهمز، وكلها لغات صحيحة، وعن يعقوب «هزؤا» بضم الزاي، و«كفوا» بسكون الفاء.

---

(١) وهو: ـ، د، ز.

۞ اللغة

يقال: بقرة وثور، كما يقال: ناقة وجمل، وعَنَاقٌ وجَدْيٌ، وامرأة ورجل، فيكون تأنيثه من غير لفظه، وواحد البقر بَاقِرٌ، وبَيْقُورٌ، وبُقَيْرٌ، وقرئ: «**إِنَّ الباقر تَشَابَهَ عَلَيْنَا**»، وأصل البَقْر الشَّقّ، بقرت بطنه أي شققته، وسمي البقر لأنه من شأنه شق الأرض بالكِرَاب.

والهُزْءُ[(١)] والسخرية بمعنى، والاستهزاء طلب الهزؤ.

وعاذ به ولاذ ولجأ إليه واعتصم به نظائر، تقول: أعوذ بالله، أي ألجأ إليه، ومعاذ الله، أي أعوذ بالله، وحقيقة العياذ: استدفاع ما يخاف من شره بما يطمع ذلك منه.

والجهل نقيض العلم، وحقيقته: اعتقاد الشيء لا على ما هو به.

۞ المعنى

المذكور في هذه الآية معطوف على ما تقدم من بيان نعمه عليهم، وكفرانهم بها، وعصيانهم، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾.

ويقال: ما السبب في أمرهم بذبح البقرة؟

قلنا: تنازعوا في قتيل وجد فيهم، وتدرؤوا فيه، فأمروا بذبح بقرة ليضربوه ببعضها، فيحيا، فيخبرهم مَنْ قَتَلَهُ، عن ابن عباس وجماعة من المفسرين، وقيل: كان بنو إسرائيل اثني عشر سبطًا ولهم مسجد لكل سبط منهم باب، فقتل قتيل، وألقي على باب، فنقل إلى باب آخر، فلما اشتبه القاتل أمروا بذبح البقرة، عن عكرمة، وقيل: كان ينقل القتيل من قرية إلى قرية، عن الكلبي.

ويقال: ما كان سبب القتل؟

قلنا: قيل: كان[(٢)] رجل موسر في بني إسرائيل، وله بنت، وله ابن أخ معسر فخطب ابنته، فأبى أن يزوجها منه، فقال: لأقتلن عمي، ولآخذن ماله، فانطلق به إلى سبط وقتله، ورجع وخرج يحثو التراب على رأسه، عن السدي. وقيل: كان رجل

---

(١) الهزؤ: الهز، ف.

(٢) كان: إن، د، و.

موسر قتله بنو أخيه ليرثوه، ثم جاؤوا يطلبون الدية وتنازعوا. وقيل: كان موسر له ابن عم معسر طال عليه موته فقتله ليرثه، عن عطاء.

ويقال: ما وجه إحياء الميت لما يضرب به من بقرة ذبيحة؟

قلنا: لما علم فيه من المصلحة ولخلق الحياة عند طاعته وقربه واعتبار بمشاهدة تلك الأحوال، وإيصال رزق إلى صاحب البقرة، وغير ذلك من المنافع ووجوه المصالح.

ويقال: لِمَ لم يخبر الله بالقاتل؟

قلنا: لما علم من المصلحة، ولعله كان يُكَذِّبُ موسى في إخباره بذلك فيكفر، فأظهر القاتل على وجه لا يؤدي إلى كفر القاتل، ودل على إحياء الموتى، وفيه تنبيه على التحرز من فعل القبيح مخافة الفضيحة يوم القيامة كما افتضح هذا القاتل، وفيه معجزة لموسى (عليه السلام).

ويقال: لماذا لم يبين أَوَّلاً السبب في ذبح البقرة؟

قلنا: لما علم من الصلاح في تأخير بيانه، ولأنه لو بين لكان ربما تقع الفتنة بين أولياء القاتل فكتم إلى وقت كان الصلاح في بيانه، وقيل: كان هذا قبل نزول القسامة في التوراة **«قَالُوا»** يعني قوم موسى له **«أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا»** أي أتسخر منا حيث سألناك عن القتيل، فتأمرنا بذبح بقرة، وإنما قالوا ذلك لتباعد ما بين الأمرين في الظاهر مع جهلهم بوجه الحكمة، فقالوا: وأي شيء في ذبح البقرة مما يقطع التنازع في القتيل.

ويقال: هل قولهم لنبيهم: **«أتتخذنا هزؤا»** كفر؟

قلنا: بلى؛ ولذلك أجاب بقوله: **«أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ»** يعني أنا أرفع شأنًا من أن أهزأ بأحد، أو بالشرع؛ لأن القبيح إنما يفعله الجاهل به، والمحتاج إليه **«أَعُوذُ بِاللَّهِ»** أي ألجأ إليه، وأعتصم به **«أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ»**.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن العادة كانت فيهم التقربِ بذبح البقرة؛لذلك أمرهم به.

وتدل على أن الأمر بذبحها كان على الوجوب.

وتدل على أن التكليف قد يدخل فيه الإضرار بالغير، وإراقة الدم، وأنه لا بد في ذلك من عوض ليخرج إباحة قتله من حد الظلم.

وتدل على أن التكليف مع التخيير في الأعيان يصح؛ لأن البقرة منكرة لا تعيين فيها، فلا بد أن يكون المكلف مخيرًا.

وتدل على أن الهزء بالدين من الكبائر، وقد يبلغ حد الكفر لذلك عده جهلاً، وتعوذ منه.

وتدل على صحة القول بالعموم؛ لأن المفسرين أجمعوا أنهم لو ذبحوا أي بقرة كانت جاز، ولو أراد ذبح بقرة بعينها لما جاز تأخير البيان.

قوله تعالى:

﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾﴾

القراءة

أجمع القراء على «**قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ**» وعن ابن مسعود «قالوا سل لنا[1] ربك»، وهذا محمول على أنه فسر الدعاء به، لا أنه قراءة.

اللغة

التبيين: التعريف، بين، وتبين، وأصله من بان، وهو الفراق، فكأن من بين شيئًا ميّزه عما يلتبس به حتى يعرفه.

والفارض: الضخم، يقال لكل شيء ضخم: فارض، ولحية فارض، يعني ضخمة، وأصل الفرض الثبوت، ومنه الفرض بمعنى الإيجاب لثبوته، وسميت المسنة فارضة؛ لأنها ثبتت ودامت حتى أسنت.

(١) لنا: ـ، (ل).

والبكر من كل أمر أوله، والبكر أول ولد الرجل، وبقرة بكر فتية لم تحمل، والبكر من النساء التي لم تلد ولم تحمل، والبُكْرَةُ: الغداة، وهو أول النهار.

والعَوان: الوسط، جمعه عُونٌ، وقيل: العوان التي نتجت مرارًا، عن الأخفش، وقيل: التي ولدت مرة واحدة، عن أبي علي، قال: ومنه قيل للحرب: عوان إذا لم تكن أول حرب بين القوم، وكانوا تحاربوا قبله.

۞ الإعراب

يقال: بم ارتفع «**لاَ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ**»؟

قلنا: قال الأخفش: لأنه صفة للبقرة، وقال الزجاج: ارتفع بإضمار هي، أي هي لا فارض ولا بكر.

ويقال: لم جاز «**بَيْنَ ذَلِكَ**»، و«**بين**» لا تصلح إلا لاثنين؟

قلنا: لأن «**ذلك**» ـ وإن كان لفظه لفظًا واحدًا ـ يصلح أن يقع على الاثنين.

۞ المعنى

لما علموا أن ذبح البقرة فرض من الله وعزيمة، سألوا عنها، فبدؤوا بسنها، فلما بين سألوا عن لونها، فلما بين سألوا عن صفتها، فلما بين لم يجدوا للتعنت والسؤال موضعًا، ولو وجدوا للسؤال موضعًا لسألوا، عن أبي مسلم، فقال تعالى: «**قَالُواْ**» يعني بني إسرائيل لموسى «**ادْعُ لَنَا رَبَّكَ**» أي سل من أجلنا ربك «**يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ**» يعني ما البقرة التي أمرنا بذبحها «**قَالَ**» موسى: «**إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَ فَارِضٌ**» قيل: ليست بكبيرة هرمة، عن ابن عباس والحسن، وقيل: لا فارض أي لم تلد بطونًا كثيرة فيتسع جوفها؛ لأن معنى الفارض في اللغة هو الواسع، عن أبي علي، ولم يوافقه على ذلك أحد من أهل اللغة والتفسير «**وَلاَ بِكْرٌ**» يعني ليست بفتية لم تلد ولم تحمل قط «**عَوَانٌ**» قيل: وسط بين الصغيرة والكبيرة، وهي أقوى ما يكون، وأحسن من البقر والدواب، عن ابن عباس، وقيل: وسط ولدت بطنًا أو بطنين، عن مجاهد، وقيل: وسط من سعة الجوف وضيقه، ذكره القاضي، وقال أبو علي: العوان يحتمل وجهين:

أحدهما: أنها بين التي ولدت بطونًا كثيرة، وبين التي لم تلد، أي أنها قد ولدت مرة واحدة.

والثاني: أنها وسط بين الصغيرة والكبيرة، ولا يذهب به إلى معنى الولادة «فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ»، أي اذبحوا ما أمرتم ولا تراجعوا.

الأحكام

الآية تدل على جواز تعليق التكليف بغالب الظن؛ لأن (بَيْنَ ذَلِكَ) ينقسم ويختلف، ووكل ذلك إلى رأيهم.

وتدل على جواز النسخ؛ لأن تكليف الثاني نسخ للأول على ما بيناه.

ويدل على جواز النسخ قبل الفعل، وإنما لا يجوز قبل وقت الفعل؛ لأنه يدل على البداء، فأما إذا فات وقته جاز نسخه؛ لأن المصلحة قد تتغير.

وتدل على حسن التكليف ثانيًا لمن عصى، ولم يفعل ما كلف أولاً.

وتدل على أن زيادة الوصف وزيادة الشرط نقصان من الموصوف والمشروط.

وتدل على أن عند ترك الامتثال في أمر سَهْلٍ قد يكون الصلاح إيجاب أمر شاق.

وتدل على حسن التكليف وإن لم يعرف تفصيل المصلحة إذا عرف أن[1] المصلحة على الجملة.

ويقال: هل كان المأمور ثانيًا هو المأمور أولاً أم غيره؟

قلنا: اختلفوا فيه، فقال بعضهم: الثاني والثالث بيان الأول، وليس بنسخ، وهو اختيار أبي مسلم وجماعة من المفسرين، وقال بعضهم: الثاني نسخ الأول، والثالث نسخ الثاني، وهذا إنما يصح إذا فات وقت الفعل، وقال بعضهم: إن ذلك تكليف بعد تكليف، وذلك أنهم أمروا بشرط الأخذ بظاهر الأمر، وذبح بقرة ما شاؤوا، فلما لم يأخذوا بذلك كان من الأصلح أن يشدد عليهم عند تراجعهم؛ ولذلك قال ﷺ: «لو اعترضوا بقرة لأَجْزَأَتْ[2] عنهم، ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم»[3] فكانوا مأمورين

(١) أن: أنه؛ د، ز، و.

(٢) لأجزأت: لأجزت، ف، و.

(٣) فتح الباري (١٣/٢٦١) ولفظ الخبر: «لو اعترض بنو إسرائيل أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم»، وورد الخبر في عمدة القارئ (١٥/٣٠٤): «فلو لم يعترضوا لأجزأت عنهم أدنى بقرة ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم». . . الحديث.

في المرة الثانية بظاهر الأمر وترك المراجعة، فلما راجعوا تغيرت مصلحتهم إلى تكليف ثالث، وهذا هو الصحيح.

ويقال: لم قلتم: إنه تكليف بعد تكليف، وليس ببيان؟

قلنا: لوجوه: أحدها: أن الأمر الأول لا يحتاج إلى بيان، ولو احتاج لما جاز تأخير البيان عن وقت الخطاب. ومنها: أن العلماء أجمعوا على أنهم لو ذبحوا بقرة أَجْزَأَتْ[١] عنهم، فلما رجعوا وَبَيَّنَ صفة البقرة اشتد عليهم فلم يُجِزْ إلا بقرة موصوفة فكان تكليفًا غير الأول، ومنها: أن قوله: «**فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ**» استبطاء وذم لهم، فلولا أنهم مقصرون لما صح ذلك، ولو كان يلزمهم الفعل عند آخر البيان لما كانوا مقصرين، ولما استحقوا الذم.

قوله تعالى:

﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّـٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾﴾

اللغة

اللون: لون كل شيء، وهو هيئة يفصل بها[٢] بينه وبين غيره، كالسواد والبياض، واللون عَرَضٌ يتعاقب على الجوهر، واختلفوا فقيل: اللون الخالص خمسة: السواد، والبياض، والحمرة، والصفرة، والخضرة، عن أبي علي وأبي هاشم، وقيل: اثنان: السواد والبياض، عن أبي القاسم.

ويقال: هل يخلو الجوهر من اللون؟

قلنا: قيل: نعم بخلاف الأكوان، عن أبي هاشم، وقيل: لا، عن أبي علي وأبي القاسم.

ويقال: هل يدخل اللون تحت مقدور العباد؟

قلنا: لا عن الأكثر، وعن بعضهم متولدًا لا مباشرًا.

(١) أجزأت: أجزت، ف.

(٢) بها: به، د، ز.

والصفرة لون معروف بين البياض والحمرة، أخذ من الصفرة، وهو الخالي، كأنه خلا منهما.

وفاقع يقال: اللون الأصفر إذا كان خالصًا أصفر فاقع، كما يقال: أبيض يَقَقٌ، وأسود حالك، وأخضر ناصع، وأحمر قانٍ.

والسرور: الفرح، وضده الغم، وحقيقته: اعتقاد توقع النفع.

۞ الإعراب

يقال: ما موضع (ما) من[1] الإعراب في قوله: «**مَا لَوْنُهَا**»؟

قلنا: رفع لأنه ابتداء، ولونها خبره، ويجوز النصب على أن يكون (ما) صلة.

۞ المعنى

لما بَيَّنَ تعالى سن البقرة سألوا عن لونها، فقال تعالى: «**قَالُوا ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّن لنَا ما لَوْنُهَا**» يعني سل ربك يبين لنا لون البقرة، «**قَالَ**» موسى: «**إِنَّهُ**» تعالى «**يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ**»، يعني[2] حتى قرنها وظلفها أصفران، عن الحسن وسعيد بن جبير، وقيل: ليس فيها سواد وبياض، عن مجاهد، وقيل: أراد سوداء، روي ذلك عن الحسن، وأنكر ذلك القتيبي، وقال: لا يوصف الأسود بالفاقع، بل يقال: أسود حالك، ولأن في صفة البقرة لا يقال: صفراء بمعنى سوداء، إنما جاز ذلك في صفة الإبل «**فَاقِعٌ**» قيل: شديد الصفرة يكاد من صفرته يبْيَضُّ[3]، عن ابن عباس والحسن، وقيل: الفاقع: الخالص الصفرة، عن قتادة والربيع «**تَسُرُّ النَّاظِرِينَ**» أي تعجب الناظرين بحسنها، عن قتادة وغيره.

۞ الأحكام

هذا تكليف ثالث على ما بينا.

---

(١) من: في، ز، ف.

(٢) يعني: ــ، ز، و.

(٣) يبيض: تبيض؛ د، ز، و.

فإن قيل: إذا كان الغرض إحياء القتيل بذبح بقرة سوداء فكيف أمروا بذبح بقرة صفراء؟

قلنا: إذا كان تعالى يقدر على إحيائه من غير ذبح، ولم يمتنع أن يتعلق الصلاح في إحيائه بالذبح فما المانع أن يكون الصلاح أولاً في ذبح بقرة[1] أي بقرة شاؤوا؟ فلما راجعوا تغيرت المصلحة، فلا يبعد أن يكون هناك مصلحة أخرى.

قوله تعالى:

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾

۞ القراءة

المجمع عليه في القراءة «**إن البقر**» بغير ألف، وعن بعضهم «**إن الباقر**» وهما بمعنى، إلا أن القراءة لا تجوز إلا بما ظهر نقله.

وقراءة العامة: «**تشابه علينا**» بالتخفيف، وعن الحسن «**تشابه**» بالرفع على معنى يتشابه، ويجوز فيه أربعة أوجه في العربية، تَشَابَهَ على الماضي بنصب الهاء، وعليه إجماع القراء، الثاني: «**تَشَابَهُ**» بالتاء ورفع الهاء على معنى يتشابه، وهي قراءة الحسن. الثالث: «**تشَّابَهُ**» على الحذف إلا أنه يدغم التاء في الشين، وهي قراءة الأعرج. الرابع: يَشَّابَهُ بالياء والتشديد على يتشابه، وعن مجاهد «**يَشَّبَّهُ**» بغير ألف، وفي مصحف أُبَيٍّ «**تَشَّابَهَتْ**».

۞ الإعراب

يقال: لم قيل: في صفة البقر «**تشابه**»، وهل يجوز تأنيث بقر وتذكيره؟

قلنا: نعم، قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠] وقال: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧] وقال سيبويه: كل جمع حروفه أقل من حروف وَاحِدِهِ، فإن العرب تذكره، قال الشاعر:

---

(١) بقرة: ــ، ف.

وَدِّعْ هُـرَيْـرَةَ إِنَّ الـرَّكْـبَ مُـرْتَـحِـلُ[(١)]

وقيل: جاء النعت على لفظ البقرة، دون معناه، وقيل: معناه جنس البقر تشابه علينا، عن الزجاج.

۞ المعنى

ولما بَيَّنَ تعالى سن البقرة ولونها سألوا عن صفتها فقالوا: يا موسى «**ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ**» أي من العوامل أم من السوائم؟ عن أبي مسلم وغيره «**إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا**» أي اشتبه، قيل: أرادوا أن يعين الله لهم البقرة؛ فلذلك قالوا: تشابه علينا، وقيل: أرادوا الزيادة في الصفة؛ ليكون العلم به أجلى وأوضح، وقيل: ظنوا أنها بقرة معينة يحيا القتيل بضربه ببعضها لا يجوز غيره، كما أن عصا موسى كانت عصًا بعينها؛ ولذلك ترددوا وتراجعوا.

ويقال: قد يحسن السؤال عند الاشتباه، وقد يجب فلماذا قبح سؤالهم؟

قلنا: لأنه ما اشتبه عليهم صفة المأمور به؛ ألا ترى أنهم لو أتوا بمثل المأمور به جاز عنهم، إلا أنهم حيروا أنفسهم، وترددوا تعنتًا، فتحيروا، فكلما ازدادوا في السؤال ازداد تحيرهم. «**وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ**» إلى صفة البقرة بذبحها.

۞ الأحكام

الآية: تدل على أن اشتباه ما كلف بعضه ببعض مع استيفاء بيان الصفة لا يؤثر في صحة التكليف؛ لأنه ممكن من ذلك.

وتدل على أن في شرعهم يجوز تعليق الخبر عن المستقبل بالمشيئة كما هو في شريعتنا.

ويدل قوله: «**لَمُهْتَدُونَ**» على أن الهدى غير الاهتداء، بخلاف قول كثير من المجبرة.

---

(١) البيت قائله الأعشى في معلقته وعجز البيت: وهل تطيق وداعاً أيها الرجل.

قوله تعالى:
﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾

القراءة

قراءة العامة «لا ذلول» بالرفع والتنوين، وعن بعضهم قرأ: «لاَ ذَلُول» بنصب اللام من غير تنوين، وذلك لا يصح لأنه صفة للبقرة، كأنه قيل: غير ذلول.

اللغة

أَثَارَ الأرض وَكَرَبَهَا وقَلَّبَهَا بمعنى، والإثارة: إظهار الشيء بالكشف.

والحرث: كل أرض ذللته للزرع.

والتسليم والتخليص من النظائر، تقول: خُلِّصَت من كل شائب، وَسُلِّمْت من كل شائب بمعنى، وأصله من السلامة كأنها مسلمة من العيوب.

الشِّيَةُ: لون في لون آخر، كبياض في سواد، وسواد في بياض، وأصله من الوشي، وهو الألوان المختلفة.

والمجيء: الإتيان، جاء: أتى.

وسقاه وأسقاه قيل: بمعنى، وقيل: سقاه إذا كان للشَّفَةِ، وأسقاه جعل له سِقْيًا.

والذبح فَرْيُ الأوداج، وإنما الذبح في البقر والغنم، والنحر في الإبل، وقيل: يوضع أحدهما موضع الآخر.

الإعراب

يقال: ما موضع «تُثِيرُ» من الإعراب؟

قلنا: رفع لأنه صفة الذلول، وهي داخلة في معنى النفي، أي ليست بذلول، ولا مثيرة للأرض، ولا ساقية للحرث؟

ويقال: كم وجها في همزة الآن؟

قلنا: ثلاثة أوجه: التحقيق، والتليين مع إبقاء ألف الوصل بعدها، والتليين مع إسقاطها، والتحقيق للأصل، والتليين مع إبقاء الوصل؛ لأنه عارض ومع إسقاطها لتحرك ما بعدها.

ويقال: لِمَ لم يحسن مع (كاد) (أن)، ويحسن مع (قارب)؟

قلنا: لأن (كاد) للمبالغة في المقاربة، فلم يحسن (أن) لأنها تدل على الاستقبال، وقد جاء مع (كاد) شَاذًّا.

۞ المعنى

ثم سألوا عن جنس البقرة، فقال تعالى، يعني موسى (عليه السلام): **«إِنَّهُ»** يعني الله تعالى، **«يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ»** يعني المأمور بذبحها **«لاَ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ»** يعني ليست بذلول فتفعل ذلك، عن مجاهد. وقيل: تثير الأرض وتسقي الحرث على الإثبات، عن الزجاج، وهذا غلط؛ لأن أهل العلم على خلافه. قال أبو العالية: ليست بذلول فتثير الأرض، وقال الحسن: هي وحشية، فدل أنه على النفي **«تُثِيرُ الأَرْضَ»** أي تقلبها **«وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ»** يعني: الأراضي المزروعة **«مُسَلَّمَةٌ»** قيل: بريئة من العيوب، عن قتادة وأبي العالية وعطاء. وقيل: مسلمة من الشية، عن مجاهد. والأول أوجه؛ لأنه أكثر في الفائدة مع صحة معناه، وعليه أكثر أهل العلم، وقيل: سليمة من آثار العمل؛ لأن العوامل لا تخلو من أثر العمل في قوائمها وبدنها، **«لاَ شِيَةَ فِيهَا»** قيل: لا لون فيها سوى لونها، عن قتادة ومجاهد، وقيل: لا أثر فيها سوى لونها، وقيل: لا عيب فيها، عن عطاء **«قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ»** قيل: الآن بينت، عن قتادة. وقيل: جئت بالحق الذي كنا نطلب من البيان. وقيل: اضطروا إلى بقرة لا يعلمون على صفتها غيرها، فقالوا: **«الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ»** الظاهر، وإن كان ما جاءه قبل ذلك حقًّا[1] أيضًا، وقد قال بعضهم: هذا كان كفرًا منهم حيث اعتقدوا أن

(١) حقًا: حق، ز، ف.

ما سبق ليس بحق، وهذا فاسد؛ لأنه ليس فيه أن ما سبق ليس بحق، والتأويل ما ذكرنا «**فَذَبَحُوهَا**» يعني البقرة على ما أمروا به «**وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ**» أي قبل الذبح كادوا لا يذبحون، قيل: لغلاء ثمنها، عن محمد بن كعب. وقيل: لقلة وجود مثلها، وقيل: لخوف الفضيحة، عن وهب والأصم. وقيل: لهما، وهذا لا يصح؛ لأن موسى لم يخبرهم بأنه يريد ذبح البقرة لإحياء الميت حتى ذبحوا، وكل ذلك كان خطأ منهم؛ لأن الواجب المبادرة إلى أمر الله وإن لم يُتَمَكَّنْ من ذلك إلا بالمال الكثير، والتعب الشديد؛ لأن وجوب الشيء يقتضي وجوب ما لا يتم ذلك الواجب إلا به.

ويقال: لم لم يعذروا في التأخير لخوف الفضيحة؟

قلنا: ذلك لا يكون عذرًا كما لا يكون عذرًا في القصاص، واستيفاء الحدود، وقد يلزمه للإقرار، وتسليم النفس، على أن موسى لم يخبرهم بما لأجله أمروا بالذبح.

ويقال: أليس عند أبي علي وأبي هاشم الأمر لا يدل على الوجوب؟ فكيف ذمهم بتركه؟

قلنا: الأكثر على أنه على الوجوب، وهو الصحيح، على أنه يجوز أن يكون في شرعهم أنه على الوجوب، ويجوز أن يقترن به ما علموا أنه على الوجوب، ولأن موسى يخاف الفتنة بين قومه فدل على وجوبه، ولأن الأمر إذا كان عقيب سبب، فقد يدل السبب على أن الأمر فيه على الوجوب.

ويقال: بكم اشتريت البقرة؟

قلنا: بملء جلدها ذهبًا. وقيل: بوزنها عشر مرات، عن السدي، وقيل: كانت البقرة لشاب من بني إسرائيل بار بوالديه.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن هذا تكليف رابع غير ما تقدم؛ لأنه أجزأ فيما تقدم ما لم يجزئ[1] ههنا، ولأنه قال: «**فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ**» ذمًّا لهم، ولو كان بيانًا لكان

(١) يجزئ: يجز، د، ز.

وقت الفعل ههنا ولا يستحقون الذم بما تقدم، ولا تعلق لهم بقوله: (إِنَّهَا) لأن ذلك إشارة إلى البقرة المأمور بذبحها، فلا يقال: إنه إشارة إلى البقرة الأولى، وقيل: لو لم يقولوا: «إِنْ شَاءَ اللَّهُ» لدام تحيرهم.

وتدل[1] على وجوب الانقطاع إلى الله تعالى والاعتصام به في أمور الدين والدنيا؛ ليتخلص من الضلالة والتحير، ويهتدى إلى طريق النجاة والفوز.

وتدل على أن امتثال الأمر يقع موقعه، وإن وقع من المكلف على نكرة؛ لأنه قد ينكره للمشقة، ويصح فعله.

وتدل على أن المقصد بالقربان إراقة الدم، لولا ذلك لما عد الذبح امتثالاً، وقد بينا اختلاف العلماء أهو[2] بيان أو نسخ، وقد اختلفوا فيه من وجه آخر، فمنهم من قال في التكليف الواقع أخيرًا: إنه يجب أن يكون مستوفيًا لكل صفة تَقَدُمُ خبره حتى لا يكون شبها لا فارض ولا بكر، ولونها صفراء فاقع، وعلى الصفة الثالثة، ومنهم من قال: يجب كونها بالصفة الأخيرة، وهذا أشبه بظاهر الكلام إذا كان تكليفًا بعد تكليف، وإن كان الأول أشبه بالروايات، وبطريقة التشديد عليهم عند ترك الامتثال.

ويقال: هل التكليف الرابع نسخ لما تقدم أم ليس بنسخ؟

قلنا: هو نسخ لأنه دل أنهم لو فعلوا ما تضمنه الأمر السابق كان كَلاَ فِعْلٍ، ولم يصر نَسْخًا؛ لأن فيه زيادة.

وتدل الآية على جواز النسخ في شريعة موسى (عليه السلام) كما كان في شريعتنا.

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢)﴾

---

(١) وتدل: فيدل، ف، و.

(٢) أهو: أو، د، ز، و.

۞ اللغة

الدَّرْءُ[1] : الدفع، درأت الشيء: دَفَعْتُهُ[2] ، ومنه: «ادرأوا الحدود ما استطعتم»[3]. ومنه:

«وبالله ندرأ ما لا نطيق»[4]

والكتمان: ضد الإعلان.

۞ الإعراب

يقال: ما وزن «ادارأتم»؟

قلنا: تفاعلتم؛ لأن أصله تَدَارَأْتُمْ، أدغمت التاء في الدال؛ لأنها من مخرجها، فسكنت، وأدخلت ألف الوصل؛ لأنه لا يبتدأ بساكن، والمصدر منه تَدَارُؤٌ، ولو قال: ادَّرَأَ على الإدغام جاز، ومثله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ﴾ [الأعراف: ٣٨].

۞ المعنى

ثم بين تعالى المقصود من الأمر بالذبح، فبدأ بذكر القتل، فقال تعالى: «وَإِذا قَتَلْتُمْ» وفي الآية تقديم وتأخير حتى قال بعضهم: إن هذه الآية نزلت قبل آية البقرة، وقيل: ليس كذلك؛ لأن المتكلم مخير بأن يخير أَوَّلاً بأي الأمرين شاء، كما يقول: أعطيت زيدًا ألف درهم إذ بنى داري، والبناء قبل الإعطاء، وقوله: «اضْرِبُوه» يدل على أن ذكر البقرة قد تقدم، والمعنى إذ قتلتم، وقيل: هذا خطاب لمن كان على عهد النبي ﷺ، والمراد قتل أسلافهم، وهذا جائز كما يقال لبني تميم: أنتم فعلتم كذا، والمراد أسلافهم، والعرب تقول: نحن نصرنا رسول الله ﷺ والمراد أسلافهم. وقيل: يحتمل أن يكون

---

(١) الدرء: الدرأ، د، ز.

(٢) دفعته: دافعته، د، ز، و.

(٣) سنن الدارقطني (٣/ ٨٤) برقم (٨)، مسند أبي يعلى (١١/ ٤٩٤) رقم (٦٦١٨)، مصنف عبد الرزاق (٧/ ٤٠٢) رقم (١٣٦٤٢)، سنن البيهقي الكبرى (٨/ ٢٣٨) رقم (١٦٨٣٩) (٩/ ١٢٣) رقم (١٨٠٧٣)، حلية الأولياء (٥/ ٣١١)، كنز العمال (٥/ ٦٠٦) رقم (١٣٤١٤).

(٤) فبالله نبلغُ ما نرتجي ... وبالله ندرأُ ما لا نُطيق.

خطابًا لمن كان زمن موسى، وتقديره وقلنا لهم: وإذ قتلتم نفسا، قيل: اسمه عاميل، وقيل في سبب قتله وجهان: أحدهما: قَتَلَهُ بنو أخيه ليرثوه، ثم جاؤوا يطلبون ديته، عن ابن عباس، وقيل: ليتزوج ابنته، وكان موسرًا «فَادَّارَأْتُمْ» قيل: تدافعتم، عن الربيع، يعني كل واحد دفع القتل عن نفسه، وأحال على أخيه. وقيل: اختلفتم، عن ابن عباس ومجاهد، وقيل: اختصمتم، عن الضحاك. وقيل: ألقي القتيل على باب سبط، ثم اختلفوا، عن عكرمة «وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ» قيل: خطاب لليهود في زمن النبي ﷺ، ومعناه أنه مخرج من غامض أخباركم، ومطلع على معائبكم، ومعائب أسلافكم ما تكتمونه أنتم، وقيل: خطاب لأسلافهم، يعني مظهرًا الذي كتموه، وقيل: مخرج ما تحدثون وما تكتمون[1]، وهذا أوجه؛ لأنه نظم الكلام.

الأحكام

الآية تدل على الردع من المعاصي، وإن كَتَمَهُ مخافة أن يظهره الله، فيفتضح.

وتدل على وقوع قتل وتَنَازُعٍ فيه لأجله أُمِرَ بذبح البقرة.

قوله تعالى:

﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾

اللغة

الحياة والموت: عرضان يتعاقبان على الحيوان[2]، وهو مقدور الله تعالى لا يقدر عليه غيره، وقيل: الحياة معنى، والموت ليس بمعنى، ولكنه بطلان الحياة، عن أبي هاشم، والأول أوجه، لقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك: ٢] يقال: حَيِيَ يحيا حياة.

والآيات والعلامات: الحجج.

---

(١) وما تكتمون: وتكتمون، ف، و.

(٢) الحيوان: الجملة، ز، و.

۞ الإعراب

كذلك: الكاف فيه كاف التشبيه، وفي الكلام حذف تقديره اضربوه ببعضها ليحيا، فضربوه فحيي، كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى، وإنما جاز حذفه لدلالة الكلام عليه، نحو قوله: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ﴾ [الشعراء: ٦٣] يعني فضرب، فانفلق.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى ما أمرهم به ليحيا المقتول، فقال تعالى: «**اضْرِبُوهُ**» خطاب لبني إسرائيل، قلنا لهم: اضربوا القتيل ببعض البقرة، واختلفوا فقيل: ضربوه بفخذ البقرة، فقام حيا، وقال: قتلني فلان، ثم عاد ميتا، عن مجاهد وعكرمة. وقيل: ضربوه بالبَضْعَةِ التي بين الكتفين، عن السدي. وقيل: ضرب بِالذَّنَبِ، عن الفراء وسعيد بن جبير. وقيل: بِالغُضْرُوفِ، وقيل: ببعض من أبعاضه. وقيل: بلسانها، عن الضحاك «**كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى**» قيل: إنه حكاية قول لموسى لقومه[(١)]، عن أبي علي. وقيل: بل هو خطاب الله تعالى لمشركي العرب، عن عاصم «**وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ**» يعني حججه بعجائب صنعته، وقيل: معجزات محمد ﷺ، عن الأصم «**لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**» أي: لكي تعقلوا ما يجب عليكم من أمر دينكم، ومن البعث والنشور، وقيل: لما لم يستعملوا عقولهم، صاروا كأنه لا عقول لهم.

ويقال: لِمَ أُحْيِيَ عند ضربه ببعض البقرة؟

قلنا: لِمَاَ عُلِمَ من المصلحة، ولتقديم عبادة وقربة، وتأسيس أمر يعلم به أنه ليس على وجه الشعوذة وَالخِفَّةِ[(٢)]. ولأنه يحصل فيه منافع من أكل لحمها، وحصول الثمن لصاحبها، والتقرب بثمنها مع غلائها.

ويقال: لِمَ أُمِرَ بذبح البقرة دون غيرها؟

قلنا: لو أمر بغيرها لبقي السؤال. وقيل: لأن القربان كان في زمانهم بالبقر. وقيل: لأنه علم أن المصلحة فيها دون غيرها.

---

(١) لقومه: لقوله، ز، ف.

(٢) الخفة: المخرفة، د، ز، و.

ويقال: كيف سئل القتيل، وكيف أجاب؟

قلنا: لَمَّا حَيِيَ قال: قتلني فلان، ومات، واقتص من القاتل، وحرم الميراث، وزال الخلاف، وقال ﷺ: «**لا ميراث لقاتل بعد صاحب البقرة**»[(١)].

۞ الأحكام

الآية تدل على صحة الإعادة، ويدل قوله: «**وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ**» على أنه أحد معجزات موسى (عليه السلام)، وفيه استدلال على منكري البعث.

وتدل على نبوة نبينا محمدﷺ[(٢)] حيث أخبرهم بغوامض أخبارهم من غير أن قرأ كتابًا.

وقيل: تدل على أن المقتول ميت؛ لأنه قال: «**كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى**» فسماه ميتًا، وإن كان مقتولاً، وقيل: معناه يحيي الأموات، كما يحيي[(٣)] هذا.

قوله تعالى:

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾

۞ القراءة

قرأ ابن كثير: «**يعملون**[(٤)]» بالياء، والباقون بالتاء، فالأول كناية عن الماضين، والثاني عن المخاطبين.

واختلفوا في قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، ﴿رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا

(١) ورد الخبر بلفظ: «لم يورث قاتل بعد صاحب البقرة» التمهيد (٢٣/ ٤٤٥)، الاستذكار (٨/ ١٤١).
(٢) نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم: نبينا عليه السلام، ف.
(٣) يحيي: نحو، ز، د، و.
(٤) يعملون: ـ، ف، و.

يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٢] فقرأهما أبو جعفر بالتاء [في] كل القرآن، إلا في الأنعام، وقرأ ابن عامر بالياء كل القرآن، وقرأ حمزة والكسائي الأول بالتاء، والثاني بالياء كل القرآن، واختلف عن ابن كثير ونافع وعاصم.

والقراءة الظاهرة «قسوة» بغير ألف، وعن بعضهم: قساوة بالألف، قال الكسائي: وهما بمعنًى كالشِّقْوَةِ، والشقاوة.

وقراءة العامة «يتفجر» بالياء، وعن مالك بن دينار ينفجر بالنون كقوله: «فانفجرت».

وقراءة العامة «يشقق»، وعن الأعمش «ينشق»، وهما بمعنى.

اللغة

القسوة والغلظة والفظاظة نظائر، ونقيضه الرقة. والقسوة الصلابة: في كل شيء.

والشدة: القوة في الجسم، والشدة: صعوبة الأمر، والشد لِلْعَقْدِ.

والنهر: المجرى الواسع من مجاري الماء، والجدول السري دون ذلك، وسمي نهرًا لسعته، قال الشاعر:

مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتْقَهَا[١] ... يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا[٢]

يعني أوسعت، يقال: نَهْرٌ، ونَهَرٌ، بفتح الهاء وسكونها لغتان، والفتح أفصح، وجمعه نهُر وأنهار.

والشق: الصدع، قال الزجاج: وأصله قطع الشيء وجعله ذا نواح.

والغفلة: السهو عن الشيء، وهو ذهاب المعنى عن النفس، والتغافل: التعمد لأن يعمل عمل الساهي.

الإعراب

يقال: ما معنى (أو) في قوله: «أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً»؟

قلنا: فيه خمسة أقوال: قيل: ذلك على شك المخاطب، كأنه قيل: أو أشد

(١) فتقها: فيفها، أ.

(٢) البيت قائله قيس بن الخطيم، أنظر الديوان، ويصف طعنة له.

قسوة عندكم، وقيل: معناه الإيهام على العباد، أي هي على إحدى الحالتين، وقيل: معناه الإباحة، أي إن شبهتهم بالحجارة فهي تشبههم، وإن شبهتهم بما هو أشد منها فهو شبههم، وقيل: معناه بل أشد قسوة، كقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧]، عن أبي علي. وقيل: أو بمعنى الواو، والاختيار الإباحة؛ لأنه مشهور عندهم ظاهر في مفهوم الآية، كقولهم: جالس الحسن أو ابن سيرين.

ويقال: بم ارتفع «أَوْ أَشَدُّ»؟

قلنا: فيه وجهان: أحدهما: أن يكون عطفًا على موضع الكاف، كأنه قال: فهي كمثل الحجارة أو أشد قسوة. والثاني: على «أو هي أشد قسوة»[(١)] .

۞ المعنى

لما تقدم ذكر الآيات الباهرة، والمعجزات الظاهرة، وبين ما أتوا به بَعْدُ من العصيان، قال تعالى: «ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم» قيل: اشتدت ويبست، عن الكلبي، وقيل: غلظت، وقيل: اسودت، وقيل: ذهب منها اللين والرحمة والخشوع، عن الزجاج «قُلُوبُكُمْ» قيل: هو خطاب للقائلين؛ لأنهم بعد أن حَيِيَ وَذَكَرَ أنهم قتلوه ومات أنكروا وحلفوا ما قتلوه، وقيل: خطاب لأحبار اليهود؛ لأنهم لأجل طلب الدنيا والاستكبار لا يقبلون الحق، ولا تَنْجَع[(٢)] فيهم العظة، عن الأصم، وقيل: خطاب لجميع اليهود، وقيل: خطاب لمن كان في عصر النبيّ ﷺ من اليهود، عن أبي مسلم «مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ» قيل: من بعد إحياء الميت، وقيل: بعد تلك الآيات المتقدمة من إحياء الميت، والمسخ، ورفع الجبل، وغير ذلك، عن الأصم، قال ابن عباس: لما ضرب المقتول ببعض البقرة جلس حيًّا، وقال: قتلني بنو أخي، ثم قبض فأنكروا، وحلفوا ما قتلوه، والمعنى من بعد أن أحيا القتيل حتى أخبرهم كذبوا «فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ» شبه قلوبهم بالحجارة لصلابتها، يعني لا تلين لموعظة وآية، فهي كالحجر «أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً» قيل: لأن الحجارة تتصرف على مراد الله تعالى، وقلوبهم تنفر من ذلك، وقيل: أراد ما

(١) قسوة: قوة، ف، و.
(٢) يقال: «نَجَعَ فيه الخطاب والوعظ والدواء، أي: دخل وأثّر، وبابه: خضع»مختار الصحاح (ن ج ع).

يظهر منهم من الأفعال القبيحة، ولا يظهر من الحجر، ثم بين منافع الحجارة، وأن قلوبهم لا منفعة فيها، فهي أقسى من الحجارة، فقال «**وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ**» يعني يتشقق عن الماء، فيسيل منه الأنهار، وقيل: المراد به الحجر الذي كان مع موسى إذا وضعه[1] يتفجر منه اثنتا عشرة عينًا، وقيل: هو عام «**وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ**» يعني: ومن الحجارة لما يتشقق فيخرج منه الماء، والضمير في «**مِنْهُ**» يرجع إلى (ما)[2]، وروي عن بعضهم «**مِنْهَا**» يرجع إلى الأحجار «**وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ**» الضمير في «**مِنْهَا**» قيل: يرجع إلى الحجارة، يعني: وفي الحجارة ما يهبط من خشية الله، وعليه أكثر أهل التفسير، وقيل: يرجع على القلوب، وتقديره: من القلوب ما يهبط من خشية الله تعالى، يعني[3] يخضع فيكون مستثنى من قلوب الفاسقين، وهم من آمن من أهل الكتاب، عن أبي مسلم، ومن قال: إنه يرجع إلى الحجارة اختلفوا في معناه، فقيل: هو البرد يهبط لخشية الله، كقوله تعالى: ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١] أي بأمر الله، عن أبي علي، وقيل: بل هو على جهة الميل، كأنه يهبط من خشية الله لما فيه من الانقياد لأمر الله، الذي لو كان من حَيٍّ قَادِرٍ لَدَلَّ على أنه خَاشٍ لله، وهذا معنى قول أبي القاسم، وقيل: أراد الجبل الذي تجلى له وجعله دكًا، وقيل: يدعو ما فيه من الآية من جهة الهبوط وغيره إلى خشية الله، وقيل: هو سبب الخشية لما يوجد فيه من الزلازل والآيات، فيخافون عندها، فأما ما روي عن مجاهد وابن جريج أن كل حجر تردى عن رأس جبل فهو من خشية الله فغير صحيح على ظاهره؛ لأن الخشية على الجماد لا تجوز إلا أن تحمل على بعض ما ذكرنا. وما روي عن الزجاج: أن المراد مَنْ جعل فيه التمييز، ففاسد؛ لأنه ليس بحجر إذا بقي[4] إنسانًا، ولأنه يعطل معنى التعجيب؛ إذ لا يستبعد ذلك ممن له التمييز، وأصح الأقوال ما ذكره أبو القاسم: أنه على طريق التمثيل، وله شواهد، قال تعالى: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف: ٧٧] أي كأنه يريد، وقال زيد الخيل:

---

(١) وضعه: وضعها، ز، ف.
(٢) ما: من، د، ز، و.
(٣) يعني: ـ، ف، و.
(٤) بقي: بني، ز، ف.

بِجَيْشٍ تَضِلُّ[1] البُلْقُ فِي حُجَرَاتِهِ تَرَى الأُكْمَ فِيهَا سُجَّدًا لِلْحَوَافِرِ[2]

وقال آخر:

لَمَّا أَتَى خَبَرُ الزُّبَيْرِ تَهَدَّمَتْ سُورُ المَدِينَةِ وَالجِبَالُ الخُشَّعُ[3]

أي كأنه كذلك، وقال آخر:

والشمس طالعة ليست بكاسفة تبكي عليك نجوم الليل والقمرا[4]

وقال تعالى: ﴿أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١] يعني لو كان له تمييز لكان هكذا، يدل عليه أنه قال: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ [الحشر: ٢١].

«**وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**» بالتاء يجوز أن يكون خطابًا لبني إسرائيل في زمن موسى (عليه السلام)، ويجوز أن يكون خطابًا لمن كان في زمن نبينا محمد ﷺ، وبالياء كناية عن الماضين، والمعنى: إن كنتم غافلين عن الآيات، والله تعالى لا يغفل عنكم، فيجازيكم بسوء صنيعكم.

۞ الأحكام

الآية تدل على قلة الخير في قلوب أولئك، فإنها أقسى من الحجر لما في الحجر من المنافع، ولا منفعة في قلوبهم.

وتدل على أن تلك القسوة ليست من خلق الله فيها، بل هي فعلهم؛ لذلك ذمهم.

---

(١) بجيش تضل: بجمع تظل، ف.

(٢) زيد الخيل بن مهلهل الطائي الفارس المشهور.
والبلق جمع أبلق، وبلقاء: الفرس المحجلة. والحجرات جمع حجرة: الناحية، والباء في (بجمع) متعلقة ببيت سابق هو:

بني عامر هل تعرفون إذا غدا أبو مكنف قد شد عقد الدوائر

والشاعر يصف جيشه بالكثرة، فقد جعل له حجرات (نواح) حتى إن الخيل البلق مع شهرتها ووضوحها وسط الخيل تضل عن أصحابها، وحتى إنك لترى الجبال خاضعة لحوافر دوابنا.

(٣) القائل هو: جرير، وفي التبيان: تواضعت. بدلا من (تهدمت).

(٤) البيت قائله جرير في رثا عمر بن العزيز. و(نجوم) معمول (كاسفة)، والمعنى ليست بكاسفة نجوم الليل.

ويدل قوله: «وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ» على وعيد عظيم لهم.

قوله تعالى:

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾

اللغة

الطمع: تعلق النفس بما تظنه من النفع، ونظيره الأمل والرجاء، ونقيضه اليأس، طمع يطمع طمعًا. والتحريف في الكلام: تغيير الكلمة عن معناها. والعقل والعلم من النظائر، وسمي عقلا؛ لأنه يمنع المرء من الإقدام على القبيح، تشبيهًا بالعقال، والعقول علوم مجموعة بها يصح التكليف.

الإعراب

الألف في قوله: (أَفَتَطْمَعُونَ) ألف استفهام، دخلها معنى الإنكار، وإذا جاءت مع النفي صار بمعنى الاستدعاء إلى الإقرار كقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٤٠] ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦].

المعنى

ثم أخبر تعالى عن ضمائر القوم الذين تقدم ذكرهم، وبَيَّنَ أنهم لا يؤمنون فقال تعالى: «أَفَتَطْمَعُونَ» قيل: إنه خطاب للنبي وأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ، عن الأصم وأبي مسلم وجماعة، وقيل: خطاب للنبي خاصة خاطبه على وجه الجمع تعظيمًا له، وقيل: خطاب للمسلمين؛ لأنهم كانوا يدعون اليهود إلى الإيمان، ومعناه أفترجون «أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ» أي يصدقوا لكم، ويستجيبوا لكم بالتصديق بما أتى به[1] نبيكم، والضمير في قوله: «يُؤْمِنُوا» قيل: يرجع إلى اليهود، عن قتادة والربيع. وقيل: على علمائهم؛

(١) أتى به: ـ، د، و.

لأن[1] العوام تبع لهم، وهم على هذه الصفة فمن أين الطمع في إيمانهم؟ وقيل: «**وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ**»، أي جماعة من اليهود، وقيل: هم علماء السوء، عن مجاهد. وقيل: هم السبعون الذين سمعوا كلام الله وقت المناجاة، عن ابن عباس «**يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ**» قيل: التوراة تقرأ عليهم ويحرفونه، عن الحسن ومجاهد والأصم وجماعة. وقيل: هو كلام الله لموسى وقت المناجاة سمعه الذين اختارهم موسى لسماعه، فلما رجعوا إلى قومهم حرفوه، وهم السبعون، عن ابن عباس. وقيل: هو صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم[2] المذكورة في التوراة «**ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ**» يعني يغيرونه «**مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ**» يعني علموه فأنكروه عنادًا «**وَهُمْ يَعْلَمُونَ**» قيل: تعمدهم للتحريف، وتركهم الحق، وقيل: يعلمون أنهم كاذبون في ذلك، وقيل: يعلمون ما عليهم في ذلك.

ومتى قيل: وما في ترك فريق الإيمان ما يوجب الإياس عن إيمان فريق آخر؟

قلنا: لأنهم جروا على طريقتهم في العناد، وعلم تعالى من حالهم أنهم لا يؤمنون، وغلب على ظن المسلمين ذلك.

فإن قيل: فمع وقوع الإياس كيف دعاهم النبي ﷺ، وهل يحسن ذلك؟

قلنا: بلى، وتحسن الدعوة لقدرتهم على الإيمان.

ويقال: إذا كان الكتاب حجة فلِمَ لَمْ يمنعهم من تحريفه؟

قلنا: يحتمل أنهم حرفوا المعنى دون اللفظ، كما يفعله المبتدعة في هذه الأمةفي تأويل الآيات المتشابهة، وقيل: ذلك عوامهم، ويحتمل أنهم حرفوا اللفظ، وكان ذلك من العلماء، وتبعهم العوام للشبهة؛ إذ لا يجوز على الجمع الكثير التواطؤ، ثم هذا التحريف على ضربين: إن أَثَّرَ ذلك في كونه حجة على المكلفينفلا بد أن يمنعهم منه، وإن لم يؤثر فيجوز ألا يمنعهم.

۞ الأحكام

قال أبو علي: الآية تدل على أن جميعهم لم يعلموا ذلك، وإلا لم يكن لتخصيص فريق بذلك معنى؛ فيبطل به قول أصحاب المعارف.

---

(١) لأن: يعني، د، ز.

(٢) صلى الله عليه وآله وسلم: عليه السلام، ف.

وتدل على أن من لا يعرف الدين، ويتمكن من معرفته يكون محجوجًا به.

قال القاضي: وتدل على جواز التحريف منهم، والأقرب أنه تحريف المعنى دون صورة التنزيل، وتقدير الكلام: أفتطمعون أن يعترفوا، ومن علم[1] الحق منهم لا يعترف، بل غَيَّرَ.

وتدل على أن التحريف والكفر ليس بخلق لله؛ لذلك ذمهم عليها، ولو كانت خلقًا له لم يكن للطمع وزوال الطمع لأجل التحريف معنى.

وتدل على عظيم الذنب في تحريف الدين، وذلك عام في إظهار البدع والفتاوى والقضايا، وجميع ما يدخل في أمور الدين.

قوله تعالى:

﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾

۞ القراءة

الظاهرة «وإذا لقوا» بغير ألف، وعن بعضهم «لاقوا»، ولا يجوز أن يقرأ به، وإن جاز ذلك في العربية؛ لأن القراءة سنة لا تثبت إلا بالنقل المستفيض.

۞ اللغة

الحديث والإخبار والإنباء نظائر، وأصله الحدوث، سمي به لأنه إخبار عن حوادث الزمان.

والفتح: نقيض الإغلاق، والفتح: افتتاح دار الحرب، والفتح: أن تفتح على من يستنفرك، والفتح: أن تفتح بين قوم يختصمون إليك، ومنه: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩] وسُمِّيَ القاضي الفتاح، من ذلك؛ لأنه يفتح القضية.

والمحاجة: أن[2] يحتج كل واحد من الخصمين على صاحبه، والحجة الوجه

---

(١) علم: عرف، د، و.

(٢) أن: أي، د، ز، و.

الذي يكون به الظفر عند الخصومة، يقال: حَاجَجْتُهُ فَحَجَجْتُهُ، وأصله من القصد، ومنه الحج، فالحجة: النكتة المقصودة في تصحيح الأمر.

۞ النزول

قيل: نزلت في بني قريظة لما قال لهم رسول الله[1]: «**يا إخوان القردة والخنازير**»[2]، قالوا: من أخبر محمدًا بهذا؟، ما خرج إلا منكم، عن مجاهد، وقيل: كان ناس من اليهود آمنوا، ثم نافقوا فكانوا يحدثون المؤمنين بما عذب به أسلافهم، وقال بعضهم: أتقولون ذلك لهم ليقولوا: نحن أكرم على الله منكم، عن السدي.

وقيل: إن قومًا منهم لقوا أبا بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ، فقالوا: إنا آمنا لأنا نعلم أنه نبي، ونجد صفته في التوراة، فلما خلوا برؤسائهم، قالوا لهم: أتحدثونهم بما قص الله عليكم من صفة محمد ثم لا تتبعونه ليحاجوكم، وتكون الحجة عليكم، عن الكلبي.

وقيل: كان بعضهم يأتي قريبه وحليفه من اليهود، فيسأله عن أمر النبيّ ﷺ فيقول: إنه حق، وهو نبي، فإذا رجعوا إلى رؤسائهم لاموهم على ذلك، ففيهم نزلت الآية.

۞ المعنى

ثم ذكر تعالى خصلة أخرى من خصال أولئك الكفرة فقال تعالى: «**وَإِذَا لَقُوا**» يعني هؤلاء المنافقين «**الَّذِينَ آمَنُوا**» قيل: المراد باللقاء إذا رأوهم، وقيل: أراد بلقائهم مناظرتهم، كما يقال: لقي العلماء، ولقي الخصوم، واختلفوا، فقيل: المراد به منافقو اليهود، عن ابن عباس والحسن وأكثر أهل العلم «**الَّذِينَ آمَنُوا**» يعني محمدًا وأصحابه، وقيل: أبا بكر وعمر «**قَالُوا آمَنَّا**» أي صدَّقنا وتبعنا رسول الله ﷺ «**وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ**» قيل: خلوا برؤسائهم وأحبارهم نحو كعب بن الأشرف وأمثاله «**قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ**» أتخبرونهم «**بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ**» قيل: بما حكم الله عليكم من اتباع النبي

(١) رسول الله: النبي، ف، و.

(٢) مصنف عبد الرزاق (٥/ ٣٩٧) رقم (٩٧٣٧).

الأمي، والعلم بصفته، والبشارة به، عن أبي علي وقتادة وأبي العالية والكلبي. وقيل: بما حكم الله[١] عليكم من العذاب، عن السدي. وقيل: بأن جعل[٢] منكم قردة وخنازير، عن مجاهد. وقيل: بما حكم، وقيل: بما فتح الله عليكم من النصر في مغازي رسول الله ﷺ وما ترون من معجزاته، وما أخبر ببدر عن حال القوم فأراهم مصارع القوم، فكان كذلك، عن أبي علي. وإنما حمل عليه لأنه يحمل الآية على المنافقين من غير اليهود، وقيل: بما بينه لكم، عن الكسائي. وقيل: بما أنزل عليكم، ونظيره ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، عن الواقدي. وقيل: بما مَنَّ عليكم وأعطاكم، عن أبي عبيدة والأخفش. وقيل: بما عَلَّمَكُمْ، يقال: أحب أن تفتح علي في أمري، أي تعلمني، عن أبي مسلم «لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ» قيل: لتكون لهم حجة عليكم، عند الله في الدنيا والآخرة، وقيل: ليكون لهم حجة عند الله يوم القيامة، وقيل: عند ربكم، فيكون أولى به منكم، إذا قامت حجة عليكم، عن الحسن. وقيل: عند ذكر ربكم، والأول أقرب؛ لأنه أظهر من غير تخصيص «أَفَلَا تَعْقِلُونَ» قيل: أفلا تعلمون. وقيل: أليس لكم ذهن الإنسانية. وقيل: أفلا تعلمون أن الأمر على ما نقول، فاتركوا الإخبار به، عن أبي علي. وقيل: أفلا تعلمون أن كتمانهم كفر، وأن من فعل فِعْلَهُمْ فليس بعاقل[٣]، عن الأصم. واختلفوا أن الخطاب لمن؟ فقيل: هو خطاب من اللائمين لمن لاموه على الإخبار بآيات الله، عن قتادة وأبي علي وأكثر أهل العلم. وقيل: يرجع[٤] القول إلى المؤمنين، يعني أفلا تعقلون أنهم لا يؤمنون، فلا تطمعوا في ذلك، عن الحسن. والأول أوجه؛ لأنه على سنن الكلام، وقيل: إنه خطاب من الله تعالى لليهود، يعني أفلا تعقلون حتى تقبلوا من رؤسائكم مثل هذا، فحذرهم عن الرجوع إليهم.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن القوم حافظوا على أمر الدنيا، وتركوا أمر الدين؛ لذلك أنكروا

(١) الله: ـ، ف.
(٢) جعل: يجعل، ز، و.
(٣) بعاقل: بغافل، د، ز، و.
(٤) يرجع: رجع، ز، و.

إظهار الحق، وفيه تحذير من مثل حالهم، وتدل على أن القوم كانوا مكابرين معاندين، علموا الحق وتركوه، وتدل على معجزة لنبينا ﷺ حيث أخبرهم عن سرائر أخبارهم.

قوله تعالى:
﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾

القراءة

قراءة العامة «يسرون» و«يعلنون» بالياء، وعن بعضهم بالتاء على المخاطبة.

اللغة

الإعلان: الإظهار، وهو إخراج الشيء إلى ما يقع عليه الإدراك.

والإسرار: الإخفاء.

والإعلان: نقيض الإسرار.

الإعراب

الألف في قوله: «**أَوَلاَ يَعْلَمُونَ**» ألف استفهام صارت بمعنى التوبيخ، ونظيره قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨].

المعنى

«**أَوَلاَ يَعْلَمُونَ**» يعني اليهود عن أكثر المفسرين، وقيل: يعني المنافقين، عن أبي علي «**أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ**» من كفرهم بمحمد «**وَمَا يُعْلِنُونَ**» يظهرون للمؤمنين من قولهم: إنا آمنا، عن الحسن وقتادة وجماعة، وقيل: هو عام، يعني: يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون، عن أبي علي وأبي مسلم، وقيل: أولا يعلمون أن مثل هذه المخاريق لا تروج على من يعلم السر والعلانية، وقيل: معناه أولم يعلموا بالآيات والدلالة التي أقامها الله تعالى، أن الله يعلم سرهم وعلانيتهم، عن أبي مسلم، وقيل: أولم يعلموا أن الله الذي أقروا به يعلم سرهم وجهرهم، عن أبي علي، وهذا يدل على أنهم كانوا عالمين مقرين بالله.

۞ الأحكام

في الآية زجر عن المعاصي حيث يعلم السر والعلن، وفيه لطف؛ لأن مَنْ تفكر فيه وعلم ذلك امتنع عن ارتكاب القبيح.

قوله تعالى:

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝٧٨﴾

۞ القراءة

قرأ الحسن وأبو جعفر وشيبة «أماني» بتخفيف الياء حذفوا إحدى الياءين تخفيفًا، نحو مفاتح ومفاتيح، قال أبو حاتم: كل جمع في هذا النحو واحده مشدد فلك فيه التشديد والتخفيف، مثل أُثْفِيَّة[1]، وأَثَافِيُّ، والقراء السبعة بالتشديد على إثبات الياءين وإدغامهما، وكذلك ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ [البقرة: ١١١] و﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ [النساء: ١٢٣].

۞ اللغة

الأمي: الذي لا يكتب من الناس، والأمة: الجماعة من كل شيء، ومنه أمة محمد ﷺ، وأصله الاجتماع، وقيل: سمي الأمي؛ لأنه نسب إلى الأمة، وما عليه العامة من أنه لا يحسن الكتابة، وقيل: أخذ من الأم، أي هو على ما ولدته أمه من أنه لا يكتب.

والأمنية: التلاوة، ويقال: تمنى كتاب الله: قرأ وتلا، قال الشاعر:

تَمَنَّى كِتَابَ اللهِ أَوَّلَ لَيْلِهِ ... وَآخِرَهُ لاقَى[2] حِمَامَ المَقَادِرِ[3]

وأصله التقدير، وسمي التلاوة لأنه حكاية على مقدار المحكي.

والظن: قيل: اعتقاد، وقيل: شك يقوي أحد النقيضين على الآخر، وقيل: إنه جنس برأسه، سوى الاعتقاد، عن أبي علي والقاضي.

---

(١) «الأُثْفِيَّةُ والإِثفيّة: الحجر الذي توضع عليه القِدْر» لسان العرب (أثف).

(٢) لاقى: في، ف، و.

(٣) البيت قائله حسان بن ثابت، انظر الديوان.

۞ الإعراب

(إلا) في قوله: «إِلاَّ أَمَانِيَّ» استثناء منقطع، و(إلا) بمعنى (لكن)، كقوله: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ [النساء: ١٥٧].

و(إِنْ) في قوله: «وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ» بمعنى (ما) كقوله: ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾ [الملك: ٢٠].

۞ المعنى

لما تقدم ذكر أحبار[1] اليهود من كتمان الكتاب وتحريفه، أخبر بذكر عوامهم وأتباعهم فقال تعالى: «وَمِنْهُمْ» قيل: من اليهود، عن أبي العالية وابن زيد، وقيل: اليهود والمنافقون، عن أبي علي «أُمِّيُّونَ» أي أمي لا يحسن الكتابة، عن إبراهيم وأبي العالية وأبي علي وأبي مسلم. وقيل: أميون: يعني غير عالمين بمعاني الكتاب، يعلمونها حفظًا وقراءة بلا فهم ولا دراية لما فيه، عن ابن عباس وقتادة. وقيل: لا يحسنون قراءة الكتاب ولا تلاوته، وإنما يتبعون ما تحدث به أحبارهم، عن الكلبي وجماعة. وقيل: أميون: يعني الأمم الذي نزل عليهم الكتاب نسبهم إلى أم الكتاب، كأنه قال: ومنهم أهل الكتاب لا يعلمون الكتاب، عن أبي القاسم وأبي عبيدة. «لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ» قراءتها، وقيل: معانيها، وقيل: كنايته «إِلاَّ» بمعنى (لكن) «أَمَانِيَّ» قيل: تلاوة، يعني يتلونها ولا يعرفونها، عن الكسائي والفراء وأبي علي. وقيل: إلا كذبًا، عن ابن عباس ومجاهد، من قولهم: تمنيت الشيء، أي فعلته، يعني الأشياء التي كتبوها من عند أنفسهم في تغيير صفة محمد ﷺ ونسبوها إلى الله تعالى. وقيل: [أمانيهم الباطلة] حتى تمنوا[2] على الله ما ليس لهم ذلك، عن الحسن وقتادة، كقولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ وكقولهم: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١] ونحوه، وقيل: إلا تلاوة من ظهر القلب من غير كتاب، عن أبي عبيدة، وقيل: إلا ما تحدث به علماؤهم، عن الكلبي «وَإِنْ هُمْ إِلاَّ

(١) أحبار: أخبار، د، ف.

(٢) تمنوا: يتمنوا، ز، د، و.

«يَظُنُّونَ» يعني: لا يعلمون الكتاب وما فيه، ويجحدون نبوتك بالظن، عن ابن عباس. وقيل: إنهم لا يعتقدون ما هم عليه من بطلان نبوتك، وإنما يظنون، وقيل: لا يعلمون ما في الكتاب من حلال وحرام، ولكن يظنون ذلك، وقيل: ما يقولونه توهمٌ لا يقينٌ، عن قتادة والربيع، وقيل: كذب، عن مجاهد.

۞ الأحكام

الآية تدل على بطلان قول أصحاب المعارف؛ لأنه بين أنهم لا يعلمون الكتاب إلا قراءة وتلاوة، ثم حقق بقوله: «يَظُنُّونَ»، ولو عرفوا الحق ضرورة لما صح وصفهم بذلك.

وتدل على أن الحجة بالكتاب قائمة على العوام، وإن لم يعلموا حيث تمكنوا من العلم به.

وتدل على أن الاقتصار على الظن في باب الديانات وما طريقه العلم لا يجوز.

وتدل على أن التقليد في معاني الكتاب فيما طريقه العلم لا يجوز.

وتدل على أن الاعتماد يجب أن يكون على معرفة معاني الكتاب لا تلاوته، وفيها زجر عن سلوك طريقة أولئك وأخذ منهاجهم.

قوله تعالى:

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾

۞ اللغة

الويل: أصله الهلاك.

والكسب: فعل يجتلب به نفعًا، أو يدفع به ضررًا، يقال: كسب كسبًا، وأصله الاكتساب، وهو طلب الرزق، واجتلاب النفع.

۞ الإعراب

«فَوَيْلٌ» رفع لأنه مبتدأ به، ويجوز في العربية النصب، ولا يقرأ به.

۞ النزول

قيل: نزلت في أحبار اليهود، وعلمائهم الذين حرفوا الكتاب على العوام، عن ابن عباس والأصم وأبي علي وأبي مسلم وجماعة من المفسرين، وذلك أنهم خافوا زوال رئاستهم فغيروا صفة النبي ﷺ. وقيل: نزلت في الكاتب الذي كان يكتب للنبي ﷺ ويغير ما يملي عليه، ثم ارتد ومات، فلفظته الأرض، عن أبي مالك، والأول الوجه؛ لأنه نسق الكلام. وقيل: إنه تعالى صنف اليهود فجعل بعضهم محرفين مع العلم، وبعضهم غير عارفين بالقراءة والمعنى، ولكن سبيلهم سبيل سماع ما يتلى عليهم، واتباع علمائهم بالظن، وبعضهم منافقون.

۞ المعنى

ثم عاد تعالى إلى ذكر علمائهم وأحبارهم، فقال تعالى: «**فَوَيْلٌ**» فيه أقوال، قيل: الويل: العذاب عن ابن عباس وجماعة، وقيل: الويل: تقبيح، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ﴾ [الأنبياء: ١٨] وقد يوضع موضع التحسر والتفجع، كقوله: ﴿يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الكهف: ٤٩]، عن الأصمعي، وقيل: الويل: الخزي، عن الفراء، وقيل: واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفًا قبل أن يبلغ قعره، رواه الخدري عن النبي ﷺ(١). وقيل: جبل في النار، عن عثمان يرويه عن النبيّ ﷺ(٢). وقيل: واد في جهنم، عن سعيد بن المسيب. وقيل: ويل كلمة يقولها كل مكروب إذا وقع في هلكة، عن الأصم وغيره. «**لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ**» قيل: حرفوا صفة النبي ﷺ في كتابهم، وقيل: كان صفته أسمر رَبْعَةَ، فكتبوا آدم كهل، وقيل: حرفوا الحلال والحرام، وقيل: المراد كاتب النبي ﷺ حيث غَيَّرَ، والأول الوجه.

ويقال: لم قال: «**يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ**»، والكاتب لا يكتب إلا باليد؟

قلنا: تحقيقًا للإضافة، وأنه تولى فعله دون غيره؛ لأن الفعل يكون من فِعْلِهِ،

---

(١) رواه الترمذي ٥/ ٣٢٠ حديث رقم (٣١٦٤)، ورواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٥٥١ حديث رقم (٣٨٧٣).

(٢) كنز العمال ٢/ ٤٧٤ حديث رقم (٤٢٣٤).

ويكون بأمره، كقوله: ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [القصص: ٤]، وإنما أمر به، فههنا حقق الإضافة، قال ابن السراج: بأيديهم أي من تلقائهم، يقال للذي يبتدع قولاًلم يقل قبله، هذا أنت قلته، وأنت ابتدعته، وقيل: كتبوا بأيديهم إخفاء لكذبهم مخافة الفضيحة.

ويقال: ما الذي كتبوا؟

قلنا: قيل: تحريف الكتاب على ما بينا، وقيل: الإخبار عن موسى (عليه السلام) أنه لا تقوم الساعة إلا على ملته، ونحوها استمالة للعوام.

«**لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً**» يعني يأخذون بدلا، وهو ما يأخذونه من عوامهم، ولفظ الشراء توسع، والمراد تركوا الدين والحق، وأظهروا الباطل؛ ليأخذوا شيئًا، كمن يشتري السلعة بما يعطيه «**فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ**» أي عذاب لهم بسبب ما فعلوا من تحريف الكتاب، ووضع الأخبار على ما بينا.

ومتى قيل: لم كرر «**ويل**»؟

قلنا: توكيدًا وإيعادًا، وقيل: لأنه بَيَّنَ أولاً أن كتابته حرام، وبين ثانيًا أن الكسب به حرام، وعلق الوعيد بكل واحد منهما «**وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ**» قيل: من الخطيئة، عن أبي العالية، وقيل: مما يجمعون من المال الحرام والرشا، وهو ما كانوا يأخذون من عوامهم، عن أبي علي. وقيل: ما يكسبون من الخط مالاً أوجاهًا أورئاسة،عن أبي مسلم.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن الكتابة فعل العبد؛لذلك وبخهم وأوعدهم، ولو كان خلقًا لكان إضافته إليه أولى، ولأن الكتابة متولدة عنهم، وعندهم أنه ليس بكسب للعبد، فكيف إضافتها إليه.

وتدل على أنه لا يجوز قبول كل رواية، بل يجب التمييز بين الحق والباطل، فدل من هذا الوجه على أنه لا يجوز قبول أخبار الآحاد التي يرويها المبتدعة والمشبهة لرئاسة أو جر نفع.

وتدل على عظيم ذنب مَنْ حَرَّفَ الكتاب والدين أودعا إلى باطل زجرًا عن سلوك طريقتهم.

وتدل على ذم من آثر الدنيا على الدين، نهيًا عن مثل ما فعلوا، وكل ذلك ظاهر.

قوله تعالى:

﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨٠﴾

اللغة

المس: مسك الشيء بيدك، ونظيره اللمس، وأصله اللصوق، وحده: الجمع بين الشيئين على نهاية القرب.

والعهد: العقد الموثق.

والإخلاف: نقيض ما تقدم من العهد بالفعل.

الإعراب

الألف في قوله: ﴿أَتَّخَذْتُمْ﴾[البَقَرَة: ٥١] ألف استفهام، صارت لمعنى التوبيخ والتقريع.

ويقال: (أم) ههنا منقطعة أم متصلة؟

قلنا: يحتمل أن تكون متصلة على المعادلة لألف الاستفهام، يعني على أي الحالتين أنتم، كأنه قيل: أتقولون على الله ما لا تعلمون، أم تقولون ما تعلمون، ويحتمل أن تكون منقطعة على تقديم تمام الكلام قبله، كأنه استأنف، وقال: «**أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**» وهي إذا كانت منقطعة بمعنى (بل)، والهمزة[1].

ويقال: لم نصب لن؟

---

(١) أي: بل أتقولون على الله ما لا تعلمون.

قلنا: قال الخليل؛ لأن أصلها لا أن، وأنكر ذلك سيبويه[1] ؛ لأنه لو كان كذلك لما جاز: زيدًا لن أضرب، وهو جائز، كما يجوز زيدًا لم أضرب، ومذهب سيبويه أنه حرف للنصب أصل فيه، كما أنّ (أَنْ) كذلك.

۞ النزول

قال ابن عباس ومجاهد: قدم النبي ﷺ المدينة، واليهود تزعم أن مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما نعذب بكل ألف سنة يوما واحدا ثم ينقطع العذاب بعد سبعة أيام، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقال قتادة وعطاء: زعمت اليهود أن العذاب يكون أربعين يومًا، وهو الذي عبد آباؤهم فيها العجل، مدة غيبة موسى. وقال الحسن وأبو العالية: قالت اليهود: إن ربنا عتب علينا في أمر فأقسم ليعذبنا أربعين ليلة، ثم يدخلنا الجنة، فلن تمسنا النار إلا أربعين ليلة تحلة القسم.

۞ النظم

لما تقدم ذكر اليهود وأفعالهم وأحوالهم في الكفر بَيَّنَ تعالى الذي أغراهم به، وحملهم على ذلك، وهو اعتقادهم أنه يعذب أيامًا ثم ينقطع، وقال: إنهم ألقوا إلى عوامهم ذلك تطييبًا لقلوبهم، واجتراء على المعاصي، وقيل: سمعوا من المسلمين الوعيد، فأظهروا لعوامهم ذلك خلافًا، كما يفعله علماء السوء من المرجئة في زماننا.

۞ المعنى

«وَقَالُوا» يعني علماء اليهود ورؤساؤهم: **«لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا»** قيل: لن يصيبنا عذاب النار **«إِلاَّ أَيَّامًا مَعْدُودَةً»**، قيل: معناه أيامًا قليلة، كقوله: ﴿دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ﴾ [يوسف: ٢٠]، وقيل: أراد أيامًا معدودة مُحْصَاة، ثم اختلفوا في تلك الأيام، فقيل: سبعة أيام تقابل سبعة آلاف سنة من سني الدنيا عن ابن عباس ومجاهد. وقيل: أربعين يومًا بمقدار ما عبدوا فيها العجل،عن قتادة والأصم. وقيل: أربعين تحلة القسم، عن الحسن. وقيل: أربعين سنة، وذلك أن اليهود وجدوا في كتابهم أن ما بين طرفي

---

(١) الأصول ٢/ ١٤٧، وسر صناعة الإعراب ١/ ٣٠٦

جهنم مسيرة أربعين عامًا إلى أن ينتهى إلى شجرة الزقوم، فزعموا أنه إذا خلا العدد وانقضى الأجل فلا عقاب، عن ابن عباس. وقيل: أيامًا بقدر الجرائم ثم يخرج إلى الحياة، كما هو مذهب المرجئة، عن أبي علي. وقيل: أيامًا معدودة، يعني: قلائل، ثم يشفع لنا آباؤنا، وهم الأنبياء. فكذبهم الله تعالى وقال: «**قُلْ**» يامحمد «**أَاتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا**» أي موثقًا أنه لا يعذبكم إلا هذه المدة «**فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ**» يعني وعده بذلك «**أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**» صحته، أي تكذبون عليه.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن الجبر والإلجاء من دين اليهود.

وتدل على أن العذاب دائم؛ لأن نعمة الله لما عظمت عظم الكفران فتأبد العقاب.

وتدل على أنه لا دليل على الإرجاء، وأنه ليس في كتاب الله الخبر بانقطاع العذاب، فلذلك طالبهم بذلك، ولو كان ثابتًا لما طالبهم به.

وتدل على حسن الجدال في الدين لذلك قال: «**قُلْ أَاتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا**».

ويقال: هل يدل الإنكار عليهم في هذه الآية أنه ليس عندهم عهد في أَجَلِ مَنْ[1] يوافي بكبيرة؟

قلنا: قال أبو علي: نعم؛ لأنهم لم يقروا بأنهم كفار، والكلام خرج على جهة الإنكار العام.

وتدل على عظيم ذنب من يقول على الله ما لا يعلم.

قوله تعالى:

﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨١﴾

---

(١) من: ممن، ف، و.

۞ القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع[1]: «خطيئآته» بالألف على الجمع، وقرأ الباقون على التوحيد، وهو الاختيار على ما تقدم من توحيد سيئة، ولأن أكثر الأئمة عليه.

۞ اللغة

السيئة والخطيئة والمعصية نظائر، ونقيض السيئة الحسنة، وحَدُّ السيئة الخطأ الذي يزجر عنه العقل.

والإحاطة: الإدارة حول الشيء.

والخلود: الدوام.

والمصاحبة: الملازمة.

وحقيقة (بلى): الرد للنفي استفهامًا كان أو خبرًا أو نهيًا، فالاستفهام كقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [الإسراء: ٩٩] الآية. وكقوله: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٤٠] جوابه «بلى»، ولفظه لفظ الاستفهام، ومعناه التقرير، وأما الخبر كقوله: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾ جوابه «بلى»، والنهي: لا تلق زيدا؟، جوابه: بلى لقيته، والفرق بين (بلى) و(نعم): أن (بلى) جواب النفي، و(نعم) جواب الإيجاب، واختلفوا في أصله فقيل: أصله بل زيدت الألف ليصلح عليه الوقوف[2]، ويخرج عن معنى الظرف، والمحققون من النحاة ينكرون ذلك؛ لأنه لا يحكى بزيادة الألف[3] حتى يجاوز الثلاثة، و(بلى) تقوم مقام الخبر، وتدل على الجواب، وتختص بالحجة، وليس كذلك «بل»[4]، وقيل: «بل» تنفي الخبر الماضي، وتثبت الخبر في المستقبل.

۞ الإعراب

(من) هاهنا على كم وجه تكون؟

(١) حجة القراءات ١٠٢.
(٢) مغني اللبيب ١٥٣.
(٣) الألف: الياء، د، ف.
(٤) كذلك بل: ذلك بلى، د، ز.

قلنا: (من) ههنا بمعنى «**الذي**»، وهي[1] تكون على أربعة أوجه: استفهام، وجزاء، وبمعنى (الذي)، وموصوفة، والموصوفة كقول الشاعر:

فَكَفَى بِنَا فَضْلاً عَلَى مَنْ غَيْرَنَا حُبُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ إِيَّانَا[2]

ويقال: هل تختص (من) بمن[3] يعقل؟

قلنا: قيل: نعم، و(ما): لما لا يعقل، وهذا تقريب، وحقيقتها أنها لمن يعلم القبح والحسن؛ لأنا نقول في جواب (من خلقكم؟): الله، وفي التنزيل: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧].

ويقال: لِم دخل في خبر (من) و(ما) الفاء، وأنت لا تقول: زيد فقائم؟

قلنا: إنه جاء في (من) و(ما) و(الذي)؛ ليدل على أن الخبر يجب بوجوب معنى الصلة كقولك: الذي في الدار فله درهم، قال ابن السراج: طلب أنه أوجب الدرهم من أجل الكون في الدار.

ويقال: لِم جاءت الجملتان بغير واو حرف العطف في قوله: «**أولئك**»؟

قلنا: قال ابن السراج: لأنهما خبران عن شيء واحد. وقيل: لأن الضمير يربط الكلام الثاني بالأول، كما أن حرف العطف يربطه به: ألا ترى أنك تقول: مررت بزيد والناس يتراءون الهلال، جاز إسقاطه.

۞ المعنى

ثم كذب تعالى اليهود في قولهم: «**لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَعْدُودَةً**» وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ﴾ ليس الأمر كما قالوا، ولكن «**مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً**» بمعنى اقترف معصية، واختلفوا في السيئة فقيل: من الشرك، عن مجاهد، وقيل: الذنوب التي وعد عليها النار، عن السدي، وهو الوجه؛ لعموم اللفظ. وقيل: الكبيرة الموجبة، عن الحسن وقتادة

(١) وهي: وقد، د، ز، و.

(٢) البيت قائله كعب بن هالك الأنصاري، المغني، ١/ ١٠١؛ الكتاب، سيبويه ١/ ٢٦٩.

(٣) بمن: بما، ف، و.

«وَأَحَاطَتْ بِهِ» يعني أحدقت به من كل جانب، واختلفوا في معناه، قيل: سدت عليهم مسالك النجاة، وذلك دلالة على ما لا يغفر من الذنوب، عن ابن السراج. وقيل: دل بالإحاطة على معنى الكبيرة، عن أبي علي. وقيل: «أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ» أي أوبقته ذنوبه، يعني أهلكته، عن الكلبي. وقيل: أحاطت بما له من حسنة فأحبطتها(١)، عن ابن عباس. «خَطِيئَتُهُ» قيل: هي الشرك، عن ابن عباس وأبي العالية وابن زيد والضحاك. وقيل: الذنوب الكبيرة، عن الحسن وأبي علي. وقيل: هو الإصرار على الذنب، عن عكرمة ومقاتل وأبي مسلم.

ومتى قيل: أليس السيئة والخطيئة بمعنى، فلماذا كرر؟

قلنا: تقدير الآية: بلى من كسب سيئة وأحاطت به تلك السيئة، وخولف بين اللفظين؛ لأنه أحسن وأفصح.

ويقال: أليس كل كبيرة محبطة، فما معنى: «وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ»؟

قلنا: لأن الصغيرة سيئة، فشرط في استحقاق النار كونها كبيرة.

«فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ» يعني يصحبون النار ويلازمونها «هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» يعني دائمون أبدًا، عن ابن عباس والحسن وجماعة.

۞ الأحكام

الآية تدل على أمور:

منها: أن الكبيرة يستحق فاعلها النار.

وتدل على الإحباط؛ لأن الإحاطة إذا لم يمكن حمله على الإحاطة بالجسم كان معناه الإحاطة بطاعاته. وأنه يحبطها.

ويدل قوله: «فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ» على أنه لا يدخلها سواهم، وذلك يبطل قولهم في أطفال المشركين.

ويدل قوله: «هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» على دوام العقاب، فيبطل قول المرجئة.

---

(١) فأحبطتها: فاحبطها؛ د، ز، و.

ويقال: قد قيل: الآية نزلت في اليهود، فلا يصح الاستدلال بها على الوعيد. وقيل: إن المراد بالخطيئة الشرك، ولأنها تدل على استحقاق الوعيد، ولا تدل على أنه يفعل بهم ذلك، ولأن التائب خرج منها، فيبقى الباقي محتملاً[1]؟

والجواب عن الأول: أن العلماء مختلفون فيه، فمنهم من قال: إنه عام، ومنهم من قال: إنه خاص في اليهود، ولكن حالنا في باب الوعيد كحالهم، وعلى أنه إنما يعتبر عموم اللفظ.

فكذلك الجواب عن الثاني: أن اللفظ عام في كل كبير، شركًا كان أو غيره.

فأما الجواب عن الثالث: إن الظاهر يُنْبِئُ عن بطلانه؛ لأنه لا يقال للمستحق: إنه مصاحب لها خالد فيها.

والجواب عن الرابع: أن التائب لم تُحِطْ خطيئته به؛ لأن التوبة أزالتها، فكيف تحيط بغيرها، على أنا خصصنا التائب بدليل، فبقي الباقي على ظاهره.

قوله تعالى:
﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾

اللغة

الإيمان في اللغة: التصديق، والمؤمن: المصدق، وقد صار في الشرع اسمًا لأداء الواجبات، والمؤمن اسم مدح، يقال: رجل مؤمن، فالاسم منقول.

والصلاح: الفعل الحسن، والصالحات: هي الخصال الصالحات من الطاعة لله تعالى.

والجنة: البستان الذي فيه الشجر، أخذ من الستر؛ لأنه يستر الأرض.

المعنى

لما تقدم ذكر الوعيد أعقبه بذكر الوعد، فقال تعالى: «وَالَّذِينَ آمَنُوا» قيل:

---

(١) محتملا: محملا، ف، و.

صدقوا، وقيل: عملوا خصال الإيمان، والأول أوجه؛ لأنه عطف عليه «**وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**» يعني الطاعات.

ويقال: لِم ذكر العمل الصالح(١)، وهو داخل في الإيمان؟

قلنا: على المعنى الأول ـ أنه التصديق ـ السؤال زائل، وعلى المعنى الثاني: جَمَعَ بين الصفتين ليدل على أنهم لم يضموا إلى الإيمان عمل الفساد؛ لأنه يقال: مؤمن في الظاهر، ومؤمن في الحكم، فأزال الإشكال، وبالغ في الوصف «**أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ**» يعني: يصحبونها ويلازمونها بالسكون فيها «**هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**» أي دائمون.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن الجنة تُسْتَحَقُّ بالعمل الصالح، فيبطل قول من يقول: لا اعتبار بالعمل، والثواب والعقاب ليس بجزاء على الأعمال.

وتدل على أن الجنة وثوابها تُنَالُ بالأعمال الصالحة مع الأنبياء، خلاف قول المرجئة: إنها تنال مع المعاصي والإخلال بالواجبات، وخلاف قول المجبرة: إنها تنال من غير طاعة.

وتدل على أن نعيم الجنة دائم، فيبطل قول من يجوز انقطاعها.

وتدل على أن الخلود عبارة عن الدوام، فيبطل قول المرجئة: إنه عبارة عن غير الدوام.

ويقال: هل يلزم من أجاز الاستثناء في الوعيد أن يجيزه في الوعد؟

قلنا: نعم؛ لأنه خبر كالوعيد، وذلك يؤدي إلى بطلان جميع دلالات القرآن؛ لتجويز التخصيص من غير دليل.

---

(١) الصالح: ـ، د، ز.

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾

القراءة

اختلفوا في قوله: «**لا تعبدون**» فقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء[(١)]، وقرأ الباقون بالتاء[(٢)]، وجه الياء أنهم غيب أخبر عنهم، ووجه التاء: أنهم كانوا مخاطبين، والتاء الاختيار؛ لأنه إفصاح بمعنى الخطاب، وعليه حقيقة المراد، قال أبو عمرو: ألا تراه يقول: «**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**» دلت المخاطبة على التاء، وروي في الشواذ: «**لا تعبدوا**» جزمًا على النهي[(٣)].

واختلفوا في «**حسنا**» فقرأ حمزة والكسائي[(٤)]: «**حَسَنا**» بفتح الحاء والسين على معنى الوصف للقول، كأنه قيل: قولوا قولاً حسنًا. وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم: «**حُسْنا**» بضم الحاء وسكون السين، واستشهدوا بقوله: ﴿بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨] وبقوله: ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا﴾ [النمل: ١١] وفيه ثلاثة أوجه:

الأول: قال الأخفش[(٥)]: معناه قولا ذا حُسْنٍ.

الثاني: يجوز أن يكون حُسْنًا في موضع حَسَنًا، كما تقول: رجل عَدْلٌ.

الثالث: أن يكون لما دخل قوله: «**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**» يعني: ليحسن قولكم، نصب على مصدر القول[(٦)] الذي دل عليه الكلام الأول. والوجهان الأولان على معنى

(١) حجة القراءات ١٠٢.
(٢) بالتاء: بالياء، د، ز.
(٣) على النهي: للنهي، د، ز، و.
(٤) حجة القراءات ١٠٣.
(٥) انظر اللسان (حسن).
(٦) القول: الفعل، د، ز، و.

الوصف للقول، والوجه الآخر على معنى المصدر، وهاتان قراءتان مشهورتان، وفي الكلمة ثلاث قراءات أخر في الشواذ، فعن عيسى بن عمير «**حُسُنا**» بضم الحاء والسين والتنوين، وهي لغة مثل النصب، وعن عاصم الجحدري: «**إحسانًا**» بالألف، وعن بعضهم «**حسنى**» بالتأنيث على وزن فُعَلَى، يعني كلمة حسنى، وأنكر ذلك سيبويه والأخفش وثعلب؛ لأن أفعل وفُعْلَى لا يستعمل صفة إلا بالألف واللام.

۞ اللغة

الأخذ: مصدر أخذ يأخذ، وهو ضد الإعطاء، وأصله نقل الشيء من المعطِي إلى المعطَى، فكأن بني إسرائيل أعطوا الميثاق، وأخذ منهم.

والميثاق: العقد المؤكد بيمين أو وعيد، أخذ من الوثيقة، وقيل: العقد على غاية الإحكام.

والوالد الأب، والولد الابن، والوليد الصبي، وأصل الولادة، واللِّدَةُ هو الذي مثلك في السن.

والإحسان: النفع الحسن.

والقربى: المصدر كالحسنى، وهو من القرابة.

واليتيم: الذي مات أبوه حتى يبلغ الحلم[(١)]، وجمعه أيتام، ويتامى، كقوله: نديم وندامى. ولا يقال لمن ماتت أمه: يتيم، قال الزجاج: هذا في الإنسان، فأما في غير الإنسان فَيُتْمُهُ من قبل أمه.

والمسكين: الفقير الذي لا شيء له، أخذ من السكون، كأن الفقر قد سكنه، فهو أشد فقرًا من الفقير عند أكثر أهل اللغة، وهو قول أبي حنيفة، وعند الشافعي الفقير أسوأ حالاً، وهو قول ابن الأنباري.

والتولي عن الشيء والإعراض عنه نظائر، والإعراض أُخِذَ من الذهاب عن المواجهة إلى جهة العَرْضِ، مأخوذ من العرض، خلاف الطول.

---

(١) التعارف ٧٤٨.

۞ الإعراب

يقال: ما موضع «تَعْبُدُونَ» من الإعراب؟ وبِمَ ارتفع لفظه؟

قلنا: فيه أربعة أقوال:

الأول: قال الكسائي: رفعه على: (أَنْ لا تعبدوا)، كأنه قيل: أخذ ميثاقهم بألا تعبدوا، إلا أنه لما أسقطت (أن) رفع الفعل كما قال طرفة:

أَلاَ أَيُّهَذَا الزَّاجِرِي أَحْضَرَ الوَغَى ... وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي[1]

أراد أن أحضر، وكذلك عطف عليه (أَنْ)، وأجاز هذا الوجه الأخفش والفراء والزجاج وقطرب، وهو قول علي بن عيسى وأبي مسلم، وَحَذْفُ (أَنْ) معنى قول أبي العالية، لأنه قال: أخذ ميثاقكم أن تخلصوا له، وألا تعبدوا غيره.

والقول الثاني: موضعه رفع على أنه جواب القسم، كقولك: حَلَّفْتُهُ لا يقوم، وهذا حكاية على المعنى، وقد أجاز هذا الوجه المبرد والكسائي والفراء والزجاج، وهو أحد قولي الأخفش.

والقول الثالث: قول قطرب، يكون في موضع الحال، فيكون موضعه نصبًا، كأنه قال: أخذنا ميثاقكم غير عابدين إلا الله.

والقول الرابع: قول الفراء أن يكون في موضع لا تعبدوا على النهي، إلا أنه جاء على لفظ الخبر كقوله: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا﴾ [البقرة: ٢٣٣] فالرفع، والمعنى على النهي، قال الفراء: ويدل على أنه نهي قوله: «وَقُولُوا» «وَأَقِيمُوا».

ويقال: بم تتصل الباء في قوله: «وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا»، وعلام انتصب؟

قلنا: فيه ثلاثة أقوال:

الأول: قال الزجاج: انتصب على معنى أحسنوا بالوالدين إحسانًا.

والثاني: قيل: على معنى وصيناهم بالوالدين إحسانا؛ لأن اتصال الباء به أحسن، ولوكان على الأول لكان «وإلى الوالدين»، كأنه قيل: وأحسنوا إلى الوالدين.

---

(١) البيت لطرفة بن العبد، معلقته. أنظر ديوان طرفة بن العبد.

والثالث: قيل: بل هو على الخبر المعطوف على المعنى الأول، يعني بألا تعبدوا وتحسنوا.

ويقال: لِم قال: «وَبِالْوَالِدَيْنِ»، وأحدهما والدة؟

قلنا: لأن المذكر والمؤنث إذا اجتمعا غُلِّبَ المذكر.

ويقال: لِم خوطبوا بـ(قولوا) بعد الإخبار؟

قلنا: ذلك من شأن العرب إذا أرادت التصرف في الكلام، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ[1] إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ﴾ [يونس: ٢٢] قال عنترة:

شَطَّتْ مَزَارُ العَاشِقِينَ فَأَصْبَحَتْ عَسِرًا عَلَيَّ طِلاَبُكِ ابْنَةَ مَخْرَمِ

«إِلاَّ قَلِيلاً» نصب على الاستثناء.

۞ المعنى

عاد الكلام بعد الوعد والوعيد[2] إلى ذكر بني إسرائيل، فقال تعالى: «وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ» يعني عهدهم. وقيل: الميثاق هو الأدلة من جهة العقل والشرع، وقيل: الوعيد المقرون بالأوامر والنواهي. وقيل: هو مواثيق الأنبياء عليهم السلام على أممهم. وقيل: أخذنا عهدهم في التوراة، والميثاق العهد الشديد، عن ابن عباس. وقيل: إقرارهم لأنبيائهم، وقبولهم ما في كتابهم، عن الأصم وأبي علي، وقيل: العهد والميثاق لا يكون إلا بالقول، كأنه قال: أمرناهم ووصيناهم، وقلنا لهم، وأكدنا عليهم، «لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ» أي توحدونه وتخلصون له العبادة «وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا» يعني: ووصيناهم بالوالدين، برًا بهما وعطفًا عليهما «وَذِي الْقُرْبَى» ذوي القرابات «وَالْيَتَامَى» الأطفال الذين ماتت آباؤهم «وَالْمَسَاكِينِ» يعني الفقراء «وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا» قيل: فيه حذف أي: قلنا لهم: قولوا، عن أبي علي، وقيل: الميثاق لا يكون إلا كلامًا، كأنه قيل: قلنا: لا تعبدوا، وقولوا، واختلفوا في معنى «حسنًا»،

(١) حتى: ـ، ف، و.

(٢) والوعيد: ـ، ز، ف، و.

فقيل: يعني صدقًا وحقًا في شأن محمد ﷺ، فمن سألكم فاصدقوا وبينوا صفته، ولا تكتموا أمره، عن ابن عباس وابن جريج وسعيد بن جبير ومقاتل، وقيل: مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر، عن سفيان. وقيل: الدعاء إلى الله تعالى كما قال: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥]، عن الأصم وجعفر بن مبشر. وقيل: قولوا لهم قولاً حسنًا، ثم اختلف هؤلاء، فقيل: هو عام في المؤمنين والكفار، عن محمد بن عليوأبي عبيدة، وقيل: خاص في المؤمنين، ثم اختلف من قال: إنه عام هل هي ثابتة أم منسوخة؟ فقال ابن عباس وقتادة: نسختها آية السيف، وقال أكثر أهل العلم: ليست بمنسوخة؛ لأنه يمكن قتاله مع حسن القول، وما هذا حاله فلا ينسخ أحدهما الآخر.

ومتى قيل: كيف يصح «وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ» على الحكاية؟

قلنا: لأن الحكاية على ثلاثة أوجه:

حكاية اللفظ والمعنى، كقولك: قال زيد: عمرو عالم.

والثاني: على المعنى بلفظ يقوم مقام المحكي لا بصورته بعينها، كقولك: قال زيد: عمرو عارف، وَكَانَ قَالَ: عالم.

الثالث: الحكاية على المعنى بما ليس بمنزلة الأول، لكن يفهم منه معناه، كقولك: قال زيد: عمرو من العلماء[1]، وَكَانَ قَالَ عَارِفُ، وهذه الآية من هذا القبيل، لأنه يفهم منها معنى لا تعبدوا إلا الله، كأنه قيل: والله لا تعبدوا إلا الله. «وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ» يعني أديموها وأدوها بتمامها «وَآتُوا الزَّكَاةَ» يعني أعطوا زكاة أموالكم، وقيل: كان زكاة أموالهم قربانًا تنزل[2] [نار] من السماء فيحرقه[3]، عن ابن عباس. «ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ» أي أعرضتم «إِلاَّ قَلِيلاً مِنْكُمْ» قيل: إنه خطاب لمن كان في عصر النبي ﷺ من اليهود، يعني أعرضتم بعد ظهور المعجزات كإعراض أسلافكم، وقيل: إنه خطاب لأسلافهم المذكورين في أول الآية «وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ» قيل: عما أخذ عليهم

(١) كقولك قال زيد عمرو من العلماء: ـ ، ف، و.
(٢) تنزل: ينزل؛ د، ز، و.
(٣) فتحرقه: فيحرقه؛ د، ز، و.

من[1] الميثاق، وقيل: من القبول والاستماع، وقيل: عن العمل بذلك، وكل متقارب، وإنما جمع بين التولي والإعراض وإن كان معناهما واحدًا قيل: تأكيدًا، عن أبي مسلم، وقيل: تولوا أعرضوا، أي فعلوا الإعراض ﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣] أي استمروا على ذلك.

۞ الأحكام

الآية تدل على ترتيب الحقوق، فحق الله تعالى مقدم على كل حق؛ لأنه الخالق المنعم، ثم للوالدين مزية لكونهما سببًا لكونه، وتربيتهما إياه، فثنى بذكرهما، ثم ذكر ذوي القربى لأنهم[2] أقرب إليه، ثم اليتامى لضعفهم، ثم الفقراء لفقرهم.

وتدل على وجوب حق هؤلاء لأن أَخْذَ الميثاق به فَاقْتِرَانُهُ بعبادته يدل على ذلك.

ومتى قيل: فما ذلك الحق؟

قلنا: إنها في الجملة تدل على وجوب الإحسان إليهم، ثم كيفيته، وتفصيله موقوف على الدليل، فمرة يكون بوجوب النفقة، ومرة بغيره.

وتدل على وجوب حقهما، وإن كانا كافرين لأنه عام، ولأن وجوب الحق لكونهما والدين، والكفر لا يمنع من ذلك، ولا خلاف أن نفقة الوالدين تجب مع الكفر، فأما نفقة ذوي الرحم المحرم فلا تجب مع الكفر، وإنما تجب عند اتفاق الدين.

ومتى قيل: ما الذي يجب للوالدين عند اتفاق الدين؟

قلنا: البر والتعظيم، فأما النفقة والمصاحبة بالمعروف فتجب في الحالين، والآية تدل عليه، فتدل على وجوب حق ذوي القربى لتميزهم من الأجانب، واختلفوا في نفقتهم، فعند أبي حنيفة تجب، وقال الشافعي: لا تجب.

وتدل على وجوب حق اليتامى والمساكين، وهو ما يسد خَلَّتَهُمْ[3].

---

(١) من: ـ، ز، ف.

(٢) لأنهم: لأنه، د، ز، و.

(٣) الخَلَّةُ: الحاجة والفقر. مختار الصحاح (خلل).

وتدل على وجوب القول الحسن للناس، فيدخل فيه الدعاء إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف، والقول فيهم بالخير، ويتناول أمور الدين والدنيا.

ويدل قوله: «ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ» على أنهم تولوا بعد قبول العهد.

وتدل على أن التولي فعل العبد، لولا ذلك لما ذمهم عليه[1].

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾﴾

القراءة

القراءة الظاهرة «تسفكون» بفتح التاء والتخفيف، وعن بعضهم بضم التاء، وهما لغتان، وعن بعضهم بالتشديد على التكثير.

اللغة

الميثاق: العهد المؤكد.

والسفك: صب الدم.

والدار: المنزل الذي فيه أبنية للمقام، وهو اسم جامع للعرصة والبناء والمحلة، وكل موضع حل به قوم فهو دارهم، ومنه ديار بكر وربيعة.

والنفس والذات واحد، أُخِذَ من النفاسة.

والإقرار: الاعتراف، وهو الإيجاب بـ(نعم).

والشهادة أخذ من المشاهدة، وهو الإخبار عن الشيء بما يقوم مقام المشاهدة في سماع المعرفة، والشهادة تختلف: فشهادة عن سماع كالإقرار ونحوه، وشهادة عن معاينة كالغصوب ونحوها، وشهادة عن استفاضة، كما في النكاح والنسب والولاء، واختلفوا في الوقف. وشهادة عن ضرورة كمن يشهد أن في الدنيا مكة، وشهادة عن استدلال كمن يشهد بالتوحيد والنبوات.

---

(١) ذمهم عليه: على ذلك؛ د، ز.

۞ الإعراب

قيل: في قوله: «لاَ تَسْفِكُونَ» حذف (أن) الخفيفة التي تنصب الأفعال، ومع حَذْفِهَا ليس إلا الرفع، وتقديره ألا تسفكوا، فلفظه لفظ الخبر، والمراد به الأمر.

۞ النزول(١)

قيل: نزلت الآية في بني قريظة والنضير، وكان بينهما السيف، وقيل: هو عام في اليهود وأسلافهم.

۞ المعنى

الآية خطاب لبني إسرائيل، واقتصاص لما سبق من أسلافهم عطفًا على ما تقدم من أخبارهم، ونقض مواثيقهم، قال تعالى: «وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ» قيل: إنه خطاب لعلماء اليهود في عصر النبي ﷺ؛ لأن أخذ الميثاق إنما يصح ممن يقرأ الكتاب، ويعلم ما فيه، وقيل: إنه خطاب لهم، وحكاية عن أسلافهم، وتقديره: وإذ أخذنا ميثاق آبائكم، وقيل: إنه خطاب للأسلاف، وتقريع للأخلاف الذين يقتدون بهم، ويجرون على طريقتهم، ومعنى أخذنا ميثاقكم أي أمرناكم، وأكدنا الأمر، وقبلتم، وأقررتم بلزومه، ووجوبه.

«لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ» فيه أربعة أقوال:

الأول: أنه محمول على حقيقته، وأنه مَنْعٌ لهم من سفك دمائهم.

الثاني: لا يقتل بعضكم بعضًا، عن ابن عباس وقتادة وأبي علي.

والثالث: معناه لا يَقْتُلْ فَيُقْتَلَ قودًا فيصير كأنه قتل نفسه، وقيل: لا تتعرضوا للقتل، قال القاضي: والظاهر والحقيقة هو الأول.

ويقال: كيف يكلف ألا يقتل نفسه، وهو مُلْجَأ إلى ذلك؟

قلنا: هذا الإلجاء قد يتغير بالاعتقاد كما يثبت في أهل الهند أنهم يقدرون في قتل

---

(١) في ف، و جاء المعنى قبل النزول؛ ل.

النفس التخلص من عالم الفساد، واللحوق بعالم النوروالصلاح، فإذا صح عند هذه الشبهة هذا التكليف زال الإلجاء، وكما يصح ذلك يصح أن يتعرض للقتل بتقحم الحرب ونحوه، فثبت أن حمله على الوجه الأول لا مانع منه، وإن كان الوجوه الأخر جائزة.

ويقال: كيف قال: «**أَنفُسَكُم**» والمراد بعضكم بعضًا؟

قلنا: للقرابة أجراهم مجرى النفس الواحدة، أي كما لا يقتل نفسه، كذلك من يحل محل نفسه، ولأنه جَمَعَهُمْ دين واحد، فصاروا كنفس واحدة «**وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ**» قيل: لا يخرج بعضكم بعضًا من ديارهم، بأن يغلبوا على الدار، وقيل: لا تفعلوا ما تستحقون الإخراج من دياركم كما فُعِلَ ببني النَّضِير «**ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ**» قيل: اعترفتم على أنفسكم بقبوله ولزومه وأنفسكم شاهدة بصحته، وقيل: اعترفتم ويشهد بعضكم على بعض حتى اشتهر «**وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ**» ذلك اليوم، وقيل: أقمتم على الرضاء والصبر، معناه أن الله أمركم به ورضيتم به، وأقمتم عليه، وشهدتم بصحته، فالإقرار على هذا توسع، كما يقال: فلان لا يقر على الضيم، قال الشاعر:

أَلَسْتَ كُلَيْبِيًّا إِذَا سِيمَ خُطَّةً ... أَقَرَّ كَإِقْرَارِ الحَلِيلَةِ لِلْبَعْلِ[1]

عن أبي مسلم، وقيل: أخذ الله ميثاق أسلافكم زمن موسى، وأنتم الآن تقرون بصحته، وتشهدون به، وأراد: هذا الشرع دخل في حد التواتر حتى لا يمكن إنكاره.

ويقال: ما المقر به في قوله: «**أَقْرَرْتُمْ**»؟

قلنا: قيل: أقررتم بالميثاق، وقيل: أقررتم بلزوم الموثوق.

ويقال: من المخاطب بقوله: «**تَشْهَدُونَ**»؟

قلنا: فيه قولان: الأول: اليهود الذين كانوا على عهد النبي ﷺ، وتقديره: وأنتم تشهدون على إقرار أسلافكم، وعلى صحة هذا الميثاق.

---

(١) البيت قائله البعيث خداش بن بشر في هجاء جرير. أنظر العقد الفريد، ٢/ ١١٥.

والثاني: أنه خطاب لأسلافهم، فالكلام على سياقة واحدة.

ويقال: لِم قال: «أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ» وهما بمعنى؟

قلنا: فيه ثلاثة أقوال: الأول[1]: أقررتم يعني أسلافكم، وأنتم تشهدون الآن على إقرارهم، وقيل: أقررتم في وقت الميثاق ومضى، وأنتم بعد ذلك تشهدون به، وقيل: ذكر ذلك تأكيدًا.

۞ الأحكام

الآية تدل على أنه يجوز أن يكلف ألا يقتل نفسه.

وتدل على عظم نقض الميثاق واستحقاق العقوبة، وفيه لطف للمكلفين كيلا تُسْلَكَ طريقتهم، ولا يجري على سننهم.

قوله تعالى:

﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾

۞ القراءة

«**تَقْتُلون**» قراءة العامة بالتخفيف من القتل، وعن الحسن «**تُقتِّلون**» بالتثقيل من التقتي.

«**تَظَاهَرُون**» قرأ عاصم وحمزة والكسائي[2] «**تظاهرون**» بتخفيف الظاء، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر[3] «**تَظَّاهرون**» بالتشديد، فوجه التخفيف الحذف

---

(١) الأول: ـ ، ف، و.

(٢) حجة القراءات ١٠٤.

(٣) حجة القراءات ٥٧٢.

لإحدى التاءين كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟﴾ ووجه التشديد إدغام التاء في الظاء، كقوله: «اثّاقلتم» والحذف أخف، والإدغام أدل على الأصل، وعن قتادة «**تظهرون**» مشددة بغير ألف.

«**أُسَارَى تُفَادُوهُمْ**» قرأ أبو عمرو ونافع وعاصم والكسائي ويعقوب بالألف فيهما «**أُسَارَى تُفَادُوهُمْ**»، وقرأ حمزة وحده بغير ألف فيهما[1]، وهو قراءة النخعي ويحيى بن وثاب، واختيار أبي عبيد، وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وخلف بن هشام «**أسارى**» بالألف «**تَفْدُوهُم**» بغير ألف، فالأسرى جمع أسير كجرحى وجريح، وفي أسارى قولان: أحدهما: أنه جمع أسرى كسكرى وسكارى، والثاني: أنه جمع أسير على التشبيه، بجمع فعلان كسكران وسكارى، وفرق أبو عمرو بين الأسرى والأسارى، فالأسارى الذي في وثاق، والأسرى الذي في اليد، كان يذهب إلى أن أسارى أشد مبالغة، وأنكر ثعلب ذلك، وقال علي بن عيسى: الاختيار أسارى بالألف؛ لأن عليه أكثر الأئمة، ولأنه أدل على معنى الجمع؛ إذ كان فعل يكثر فيه فهو قليل في الواحد، ولأنها لغة الحجاز، والاختيار «**تفدوهم**» بغير ألف؛ لأنه أخف في اللفظ من غير إخلال بالمعنى.

«**يعملون**» قرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر عن عاصم بالياء والباقون بالتاء[2]، ووجه الياء البناء على آخره، ووجه التاء للبناء[3] على أول الكلام: «**أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض**»، والاختيار وجه[4] التاء؛ لأن عليه الأكثر، ولأنه أدل على المعنى لتغلب الخطاب على الغائب إذا اجتمعا.

۞ اللغة

الظهير: العون، وهما يتظاهران: يتعاونان، والظهور: الظفر بالشيء، والأصل في الباب الظهور الذي هو البروز، ومنه سمي الظهر لبروزه، خلاف البطن، ومنه المعاونة، أي قَوَّى كل واحد منهما صاحبه، حتى ظهر.

---

(١) حجة القراءات ١٠٤.
(٢) بالتاء: بالياء، د، ز، و.
(٣) للبناء: للبقاء، د، ز، ف.
(٤) وجه: الوجه، ز، ف.

والإثم: الفعل القبيح، الذي يستحق به الذم، ونظيره الوزر والذنب، أثم الرجل: وقع في الإثم، وتأثّم تحرج من الإثم. والعدوان: مجاوزة الحد، وقيل: الإفراط في الظلم.

والأسر: الأخذ بالقهر، وأصله الشد والحبس، والأسير: المحبوس، وأسره إذا شده.

والفدا من الشيء: العوض منه صيانة له، يقال: فداه فدية.

الحرام: المحظور، وأصله من المنع، فالحرام كل ممنوع، ومنه النبت الحرام؛ لأنه يمنع فيه ما هو مباح في غيره من القتال ونحوه، والجزاء: المقابلة على الخير والشر بالثواب والعقاب.

والخزي: السوء والذل، يقال: أخزاه الله إذا مقته وأبعده، وأصل الخزي المقت، وقيل: أصله الاستحياء كأنه قيل: أخزاه الله أي أوقعه موقعًا يستحيا منه.

والرد اسم لما رُدَّ بعد أخذه، ومنه المرتد، كأنه رجع عما كان عليه من الإسلام.

والعذاب: الألم الشديد.

۞ الإعراب

يقال: ما موضع (هو) من الإعراب في قوله: «وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ؟ وما المكني به عنه؟

قلنا: للعلماء فيه قولان:

الأول: أنه كناية عن الإخراج عند ذكره توكيدًا؛ لأنه فصل بينهما بكلام، فموضعه على هذا رفع، كأنه قيل: وإخراجهم محرم عليكم، ثم أعيد ذكر إخراجهم مبينًا للأول.

الثاني: أن يكون (هو) عمادًا عند الكوفيين، وإضمارًا على شريطة التفسير عند البصريين، كأنه قيل: والقصة محرم عليكم إخراجهم، ومثله ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾ [البقرة: ٩٦].

ويقال: ما معنى (هؤلاء) في قوله: «ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ»؟ وما موضعه من الإعراب؟ وكيف يتصل به «تَقْتُلُونَ»؟، وما موضعه من الإعراب؟

قلنا: فيه ثلاثة أقوال: قيل: معناه النداء، تقديره: يا هؤلاء، وقيل: معناه التوكيد: لأنتم والخبر تقتلون، وقيل: هو بمعنى «**الذين**»، وصلته تقتلون.

وموضع «**تَقْتُلُونَ**» رفع إذا كان خبرًا، ولا موضع له إذا كان صلة، قال الزجاج: ومثله في الصلة قوله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ١٧] يعني: وما التي بيمينك، و(هؤلاء) مبني على الكسر كَأَمْسِ.

المعنى

لما تقدم أخذ الميثاق من بني إسرائيل بَيَّنَ كيف نقضوا ذلك، وخالفوا، فقال تعالى: «**ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاءِ**» يعني بني إسرائيل «**تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ**» يعني يقتل بعضكم بعضًا، قيل: تتعرضون للقتل «**وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ**» تعاونون «**عَلَيْهِمْ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**» تجاوز الحد «**وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ**».

ويقال: الذين فدوا من الأسارى هم الذين أخرجوا أم غيرهم؟ وما معنى «**تُفَادُوهُمْ**»؟

قلنا: للعلماء فيه ثلاثة أقوال: الأول[1] : قيل: هم فريق واحد، وذلك أن قريظة والنضير كانا أخوين كالأوس والخزرج، فافترقوا فكانت النضير مع الخزرج، وقريظة مع الأوس، فإذا اقتتلوا عاونت كل فرقة حلفاءها، فإذا وضعت الحرب أوزارها فدوا أسراها، فعابهم العرب بذلك، وهذا معنى قول ابن عباس وابن زيد.

وقيل: كان بنو إسرائيل إذا استضعفوا قومًا أخرجوهم من ديارهم، فيتوجه على هذا أن يفادوا غيرهم، وهو قول أبي العالية والمبرد، وقال: ليس الذين أخرجوهم الذين فودوا، ولكنهم قوم آخرون على ملتهم، فأنبهم الله تعالى على ذلك، وقيل: ليس معنى تفادوهم تعطوا الفداء، ولكن معناه تأخذ الفداء، يعني يقاتل بعضكم بعضًا، فإذا أخذه أسيرًا أخذ الفداء، وتقديره: ثم أنتم تقتلون بعضكم بعضًا، وتخرجونهم من ديارهم، وتأخذون من الأسارى الفداء، وقوله: «**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ**

(١) الأول: +، (ل).

الْكِتَابِ» ليس معناه أنهم يُخْرِجُونَهم[1] وهو محرم، ويفدونهم، وهو واجب، وإنما يرجع ذلك إلى ما تقدم من بيان صفة محمد ﷺ وغيره، عن أبي مسلم، **«وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ»** يعني الإخراج محرم عليكم **«أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ»** يعني كفروا ببعض ما في الكتاب ولم يظهروه، ولم يعملوا به، وآمنوا ببعضه، واختلف العلماء فيه فقيل: إخراجهم كفر، وفداؤهم إيمان، عن ابن عباس وقتادة وابن جريج، وقيل: يلزمكم الكفر ببعض الكتاب بهذا الصنيع، وقيل: أخذ الله عليهم العهد بترك القتل، وترك الإخراج، وترك التظاهر عليهم، وَأَمَرَهُمْ بفداء أُسَرَائِهِمْ، فأعرضوا عن الكل إلا الفداء، فقال مجاهد: إن وجدته في يد غيرك فديته، ثم تقتله بيدك، وقيل: يكفرون[2] ببعض ما كتموا من أمر محمد ﷺ وغير ذلك، عن أبي مسلم. **«فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ»** قيل: القتل والإخراج، وقيل: الكفر والإيمان الذي معهم، عن أبي القاسم، وقيل: القتل والإخراج والفداء، عن أبي مسلم **«مِنْكُمْ»** يعني من اليهود **«إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»** يعني ذلاً وصغارًا، وقيل: إخراج بني النضير عن ديارهم، وقيل: قتل بني قريظة وسبي ذراريهم. **«وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ»** يعني يرجعون **«إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ»** قيل: عذاب لا رَوْحَ فيه مع اليأس من التخلص، وقيل: أشد من عذاب الدنيا، عن الأصم، والأول أظهر وأزجر وأعم في الفائدة، وقيل: أشد منه لدوامه، عن أبي علي. **«وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ»** تهديد لهم، بأنه عالم بسرائرهم، فيجازيهم على ذلك.

۞ النزول

قيل: نزلت في بني قريظة والنضير، وقيل: عَامّ في بني إسرائيل.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن عذاب الدنيا لا يُسْقِطُ عذاب الآخرة.

(١) يخرجونهم: يخرجون، د، ز، و.

(٢) يكفرون: تكفرون؛ ز، ف، و.

وتدل على أن الإيمان ببعض الكتاب لا ينفع مع الكفر ببعضه.

ومتى قيل: إذا وجب عليهم الطاعة مع إقامتهم على المعصية، فلماذا ذمهم على ذلك؟

قلنا: ذمهم على المناقضة، ولأن المعصية أفحش؛ إذ الزواجر أكثر.

وتدل على معجزة لنبينا محمد ﷺ، حيث أخبر عن سرائر أخبارهم من غير أن قرأ كتابًا، ولا[1] سمع منهم حديثًا[2]، أو اختلط بهم.

وتدل على أن الإقدام على المعصية مع العلم بالتحريم أعظم، وفي الآية تسلية للنبي ﷺ بأن اليهود كيف تقبل قولك وهم لا يعلمون بكتابهم مع إقرارهم به، وأنه من عند الله.

وتدل على أن ذلك القتل والإخراج فِعْلُهُمْ لذلك ذمهم، ولو كان خَلْقًا له لما توجه عليهم الذم، فيبطل قول المجبرة في خلق الأفعال.

ومتى قيل: أليس هو[3] تعالى مكنهم من ذلك؟

قلنا: التمكين من المحسَّنات تمكين من المقبَّحات، ولا يصح التكليف إلا بذلك، إلا أنه تعالى أمرهم بالطاعة، ونهاهم عن المعصية، ووعد وأوعد، وأزاح العلة.

قوله تعالى:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾

اللغة

الخفة: خفة الوزن، وهو نقصانه، ونقيضه الثقل، والتخفيف والتسهيل والتهوين نظائر، وتخفيف العذاب النقصان منه، واختلفوا في الخفة والثقل، فقيل: يرجع إلى

---

(١) ولا: أو، ف، و.

(٢) منهم حديثا: منه أحاديث، د، ز، و.

(٣) هو: الله، د، و.

الأجزاء، عن أبي علي، وقيل: إلى الاعتمادات اللازمة فيه، عن أبي هاشم، وهو الصحيح، ولذلك تستوي الأجزاء ويختلف الثقل.

والنصرة: المعونة على الأعداء، واختلفوا فقيل: نصرة الله تكون للمؤمنين لأنه ثواب، عن أبي علي، وهو الصحيح، وقيل: قد يكون ثوابًا، وقد لا يكون ثوابًا، ويجوز أن ينصر الفاسق، وقد أمرنا به، عن أبي بكر أحمد بن علي.

۞ الإعراب

يقال: لِم دخلت الفاء في قوله: «**فَلَا يُخَفَّفُ**»؟

قلنا: فيه قولان:

أحدهما: العطف على «**اشْتَرَوْا**»، فتكون في صلة «**الذين**».

والقول الآخر: بمعنى جواب الأمر كقولك: أولئك الضُّلَّالُ فلا خير فيهم، كأنك قلت: أتيتهم[1] فلا خير فيهم، والأول أوجه؛ لأنه على سياقة الكلام من غير حذف ولا إخلال.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ الوعيد على فعلهم فقال تعالى: «**أُولَئِكَ**» يعني اليهود الذين تقدم ذكرهم «**الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**» يعني استبدلوا وأخذوا الحياة بدلاً من الآخرة وليس ههنا بيع ولا شراء، وإنما هو توسع، أي تركوا الدين وما جاء به الرسول ﷺ وتمسكوا بالكفر إيثارًا للدنيا، وطلبًا لزينتها تشبيهًا بمن يدفع السلعة، ويأخذ الثمن «**فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ**» أي لا ينقص، والنقصان بوجهين: بانقطاعه، أو بتخفيف أجزائه «**وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ**» أي لا يجدون ناصرًا يخلصهم من العذاب، فقوله: «**فَلَا يُخَفَّفُ**» إثبات لشدة العقاب، وإن كان له طريقًا «**وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ**» نفي للنصرة.

۞ الأحكام

الآية تدل على أنه لا شافع لهم؛ إذ لو كان يخفف عنهم لنصرهم.

---

(١) أتيتهم: أتيته؛ ز، ف، و.

وتدل على ذم من آثر الدنيا على الدين.

وتدل على أن عذاب الله لا تخفيف فيه ولا إنظار، ولا ناصر يخلص منه، وجميع ذلك لطف للمكلف، وتحذير أن يعمل ما يستحق به ذلك.

قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾

۞ القراءة

قرأ ابن كثير «**القُدْس**» بالتخفيف والباقون بالتثقيل، وهما لغتان: قُدْسٌ، وقُدُسُ، مثل رُعْبُ ورُعُبُ، وسُحْتُ وسُحُتُ.

۞ اللغة

القَفْوُ: مصدر قفا يقفو، أي اتبعه، والتقفية الاتباع.

والرسل جمع رسول، والإرسال البعث في الأمر، ورسل الله من بعثهم لتبليغ رسالته.

والتأييد: التقوية، والأَيْدُ القوة، أيده تأييدًا.

والروح: النفس الذي يحيا به البدن، والجمع الأرواح، وأصله الريح، ومنه الريح الهوى إذا تحرك، واختلفوا في الروح، فقيل: النفس في مخارق الإنسان، ولذلك يصح فيه النفخ، عن أبي علي وأبي هاشم وأبي القاسم، وقيل: جزء في القلب، وقيل: هو الحياة.

والقدس: الطهر، قدسه تقديسًا، أي طهره.

والهوى ـ مقصور ـ والشهوة من النظائر، هوي هَوًى، والهواء بالمد الجو.

والاستكبار: التكبر، وهو الأنفة عن قبول الحق.

۞ الإعراب

الروح: يذكر ويؤنث، والألف واللام في قوله: (الكتاب) للعهد لا للجنس، وأراد به التوراة.

ويقال: أين جواب قوله: «**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ**»؟

قلنا: ما دل عليه «**أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ**» كأنه قيل: فما استقمتم، كما تقول: لقد أنعمت عليك، فما شكرت.

۞ المعنى

ثم ذكر تعالى ما أنعم عليهم من بعثة الأنبياء، وما سلكوا من طريقة التكذيب، فقال تعالى: «**وَلَقَدْ آتَيْنَا**» لقد تأكيد في الكلام، وآتينا أعطينا «**مُوسَى الْكِتَابَ**» يعني التوراة «**وَقَفَّيْنَا**» أتبعنا من بعد موسى «**بِالرُّسُلِ**» أي أرسلنا رسلاً بعد رسل «**وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ**» قيل: أعطيناه المعجزات من إحياء الموتى، وغيرها، عن ابن عباس، وقيل: العجائب التي أراه، عن الحسن، وقيل: الإنجيل وما آتاه من أحكام هو وحيه، عن أبي علي .«**وَأَيَّدْنَاهُ**» قويناه «**بِرُوحِ الْقُدُسِ**» اختلفوا في الروح، فقيل[(١)]: هو جبريل، لقوله: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣]، عن الحسن وقتادة والربيع والضحاك والسدي، وإنما سمي جبريل: روحًا لوجهين: أحدهما: أنه يحيا به الدين كما يحيا البدن بالروح. والثاني: أن الغالب عليه هو الروحانية، وكذلك سائر الملائكة غير أنه خصه به تشريفًا، وقيل: هو الإنجيل، سمي روحًا، كما سمي القرآن روحًا في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ﴾ [الشورى: ٥٢]، وسمي به؛ لأن الدين يحيا به، عن أبي زيد، وقيل: هو الاسم الذي كان يحيي به عيسى الموتى، عن ابن عباس وسعيد بن جبير، وقيل: هو الروح الذي نفخ فيه، فأضافه إلى نفسه تشريفًا، كما يقال: نبت الله، وناقة الله، عن الربيع، وعلى هذا: المراد به الروح الذي يحيا به الإنسان،

(١) فقيل: قيل، د، ز، و.

وذلك يصحح أن الروح هو النفس؛ لأنه يصح فيه النفخ، ومن الناس من قال: لا يتكلم في الروح؛ لأن الله أبهمه، وقد أخطأ؛ لأنه تعالى إذا علم أن الصلاح أن يكلهم فيه إلى عقولهم وكلهم، كما فعل ذلك في الأمانة وبيان وقت الساعة،وكثير من مسائل الشرائع.

ويقال: على المعنى الأول: لِم خص عيسى بأنه مؤيد بجبريل، وكل نبي مؤيد به؟

قلنا: لثبوت اختصاصه به من صغره إلى كبره، فكان يسير معه حيث سار، وكان معه حين صعد إلى السماء، وكان تمثل لمريم عند حملها به، وبشر به، ونفخ فيها.

واختلفوا في القدس، قيل: الطهر، كأنه دل على التطهير من الذنوب. وقيل: القدس هو الله، عن الحسن والربيع وابن زيد، قال ابن زيد: القدس والقدوس واحد. وقيل: القدوس، عن السدي. وقيل: سمي جبريل الروح الطاهر؛ لأنه لم يتضمنه أصلاب الفحول ولا أرحام الأمهات، بل كان أمرًا من الله تعالى.

«**أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ**» خطاب لليهود، أي يا معشر اليهود كلما جاءكم رسول «**بِمَا لاَ تَهْوَى**» أي لا تحب ولا توافق «**أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ**» أي تعظمتم وتكبرتم من قبوله «**فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ**» يعني طائفة وجماعة كذبت الرسل كعيسى ومحمد، وطائفة يقتلون الرسل كيحيى وزكرياء وغيرهما ـ عليهم السلام ـ.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن الرسول والكتاب لا يرد بما تهوى الأنفس، وإنما يرد بما يكون مصلحة.

وتدل على تقريع من اتبع الهوى وترك الدين، وفيها زجر عن سلوك طريقة اليهود، حيث فعلوا ذلك.

وتدل على أن اليهود لم يفعلوا ما فعلوا من التكذيب محاماة على الدين، ولا تمسكًا بالكتاب، ولكن اتباعًا للهوى، وإيثارًا للدنيا، وفيه زجر لعلماء السوء الذين يسلكون طريقتهم في ذلك.

ويقال: هل يدل قوله: «وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ» على أنهم كانوا على شريعة واحدة؛ لأن الذي يقفو صاحبه أن يكون على طريقته؟

قلنا: قيل: كل واحد منهم على طريقة صاحبه، في القول والعمل، والتصديق لصاحبه، والدعاء إلى الله، وإن اختلفت شرائعهم؛ لأنه لا بد لكل نبي من شريعة، أو زيادة على شريعة، أو إحياء شريعة، وقيل: في تصديق موسى، وموافقته والعمل بالتوراة والدعاء إلى التوحيد.

قوله تعالى:
﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾

القراءة

قراءة العامة «غلف» بسكون اللام مخففة، وعن بعضهم «غلُف» بضم اللام، والفرق بينهما أن المخفف جمع أَغْلَفَ، كأحمر وحُمُر، والتثقيل جمع غلاف، ككتاب وكُتُب، والمعنى مختلف، فمعنى التخفيف كمعنى ﴿فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ [فصلت: ٥] أي لا تفقه حجتك، ولا تعلم بينتك. ومعنى غلف بالتثقيل أي هم أوعية العلم، إلا أنها لا تعلم ما تقول، ولو كان فيه خير لَوَعَتْهُ، عن الكلبي، وقيل: هو أوعية العلم فلا نحتاج إلى حديثك وعلمك، عن ابن عباس وعطاء، فعلى التخفيف كأنه قيل: هي في وعاء، وعلى التثقيل[١] كأنه وعاء.

اللغة

الغلاف: غلاف السكين، وجمعه غُلُفُ، وغلام أغلف، مثل أقلف كأنه في غلاف، وَقَلْبُ أغلف: كأنما غشي غلافًا، فهو لا يَعِي.

واللعن الطرد والإبعاد، ومنه ذئب لعين أي طريد، ورجل لُعَنَةٌ[٢] بفتح العين

---

(١) التثقيل: الثاني، ز، ف.

(٢) مختار الصحاح (لعن).

يَلْعَنُ الناسَ، ولُعْنَهُ[1] بسكون العين يلعنه الناسُ، قال الخليل: اللعنة في القرآن والملاعنة اسم شرعي بحكم مخصوص بين الرجل وامرأته إذا قذفها.

الإعراب

يقال: بِمَ ينتصب «قَلِيلاً» وما معناه؟

قلنا: فيه خلاف، فقيل: لا يؤمنون إلا بقليل مما في أيديهم كأنه قيل: فإيمانًا قليلاً لا يؤمنون، فنصبه؛ لأنه صفة لمصدر محذوف، وقد قام مقامه ودل عليه، وقيل: انتصب بنزع حرف الصفة، أي بقليل يؤمنون، وقال قتادة: معناه لا يؤمن منهم إلا القليل، فنصبه على هذا، فيما قاله بعض أهل العلم، فصاروا قليلاً ما يؤمنون، وقيل: نصب على الحال.

ويقال: ما معنى (ما) ههنا؟

قلنا: هي صلة، أدخلها للتوكيد كقوله: (مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً)، عن أكثر النحويين.

المعنى

رجع الكلام بعد مخاطبة اليهود إلى الحكاية عن سوء أفعالهم ومقالهم، فقال تعالى: «وَقَالُوا» يعني اليهود «قُلُوبُنَا غُلْفٌ» أي في غلاف؛ لأنه جمع أغلف، وأراد ﴿فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَقَالُوٓاْ قُلُوبُنَا﴾ [فصلت: ٥]، فمنعت بذلك من درك ما دعوا إليه، وأنهم كذبوا في ذلك، فيبطل قول الجبرية: إنه كذلك؛ إذ لو كانوا صادقين لما بعثهم، ولكن كلفهم ما يطيقون، عن أبي علي وجماعة.

وتدل على أنه لا مانع لهم من الإيمان من جهة الله، وأنهم من قبل أنفسهم أتوا.

وتدل على أن أفعال العباد فعلهم كذلك أضاف القول والإيمان إليهم.

ويدل قوله: «فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ» أن معهم إيمانًا خلاف ما قاله الواقدي والكسائي؛ لأنه الأصل في الكلام والحقيقة.

(١) مختار الصحاح (لعن).

ويدل قوله: «بِكُفْرِهِمْ» على أن العقاب يستحق بالعمل، وفي الآية زجر عن سلوك طريقتهم في القول في الجبر.

قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾

۞ القراءة

قراءة العامة «مصدق» بالرفع على أنه نعت للكتاب، وعن إبراهيم عن أبي العالية «مصدقا» بالنصب على الحال.

۞ اللغة

الكتاب: الذي يكتب، وهو بمعنى المكتوب.

والاستفتاح: طلب الفتح، وهو طلب النصر ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ [الأنفال: ١٩] والفتح: النصر، والفتح فتح الشيء، وفتحت عليه بينته له، وأصل الفتح ضد الإغلاق.

۞ الإعراب

كان فعل(١) يرفع الاسم وينصب الخبر.

ويقال: ما الفرق بين «كان» وبين الفعل الحقيقي؟

قلنا: الفعل الحقيقي يدل على وجود معنى مصدره في الزمان بعد أن لم يكن في ماض أو حاضر، أو مستقبل، و(كان) يدل على الزمان الماضي والحاضر والمستقبل في تصريفه فقط، من غير دلالة على وجود معنى مصدره في الزمان بعد أن لم يكن.

(١) فعل: اسم، ز، ف، و.

و«قَبْلُ»: مبني على الضم، وإنما بني لأنه بمعنى الغاية، وذلك أن غاية الاسم الإضافة، فلما قطع عنها صار كبعض الاسم.

ويقال: أين جواب لما؟

قلنا: فيه ثلاثة أوجه:

قيل: محذوف كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ [الرعد: ٣١] فجوابه محذوف، وهو لكان هذا القرآن عن الأخفش والزجاج.

وقيل: إنه على التكرير لطول الكلام، والجواب «**كفروا به**» و[مثل]: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٥]، عن المبرد.

والثالث: أن تكون الفاء جوابًا لـ (لما) الأولى، وكفروا جوابا لـ(لما) الثانية، وهو قوله: ﴿يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ٣٨] الآية، عن الفراء.

۞ النزول

قيل: نزلت في بني قريظة والنضير كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل البعث فلما بعث من العرب، ولم يكن من بني إسرائيل كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل، وبشر بن البراء بن معرور: يا معشر اليهود، إتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد، ونحن أهل شرك وتصفونه، وتذكرون أنه مبعوث، فقال سلام بن مشكم أخو بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكر لكم. فأنزل الله تعالى هذه الآية في ذلك، عن ابن عباس وقتادة وأبي العالية وابن زيد والسدي.

وقيل: نزلت في أحبار اليهود، وكانوا إذا قرؤوا ذكر محمد في التوراة وأنه مبعوث، وأنه من العرب، ووصفوا له العلامات، فيسألون مشركي العرب عن تلك الصفات ليعلموا هل ولد فيهم من يوافق حاله ما أنزل إليهم، فلما جاءهم يعني محمدا ﷺ كفروا به حسدًا وعنادًا، وإيثارًا لعاجل الدنيا، عن أبي مسلم.

وقيل: هو عام في جميع اليهود، وذلك غير صحيح؛ لأن الكتمان على الجمع العظيم لا يجوز.

المعنى

ثم ذكر تعالى نعمة أخرى عليهم، وما قابلوه من الكفران، فقال تعالى: «**وَلَمَّا جَاءَهُمْ**» يعني اليهود «**كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ**» أي القرآن أنزل على محمد وسمي كتابًا؛ لأنه يكتب «**مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ**» من الكتاب، وقيل: مصدق لما معهم؛ لأنه جاء على ما تقدم به الإخبار في التوراة، فهو مصدق له من حيث كان مخبره على ما تقدم الخبر به.

والثاني: قيل: إنه تصديق التوراة والإنجيل أنهما من عند الله، والأول الوجه؛ لأن فيه احتجاجًا عليهم «**وَكَانُوا**» يعني اليهود «**مِنْ قَبْلُ**» أي من قبل مبعث محمد ونزول القرآن «**يَسْتَفْتِحُونَ**» أي يسألون الفتح الذي هو[1] النصر، واختلفوا فيه فقيل: قالوا: اللهم افتح علينا وانصرنا بالنبي الأمي، وقيل: كانوا يقولون لمخالفيهم عند القتال: هذا نبي قد أقبل[2] زمانه ينصرنا عليكم، عن ابن عباس، وقيل: كانوا يسألون العرب عن مولده، ويصفونه بأنه نبي من صفته كذا، ويتفحصون عنه، عن أبي مسلم. «**عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا**» على مشركي العرب «**فَلَمَّا جَاءَهُمْ**» يعني محمدًا «**مَا عَرَفُوا**» يعني صفته ومبعثه «**كَفَرُوا بِهِ**» حسدًا وبغيًا وطلبًا للرئاسة «**فَلَعْنَةُ اللَّهِ**» غضبه وعقابه «**عَلَى الْكَافِرِينَ**».

الأحكام

الآية تدل على سوء صنيعهم؛ لأن من حق البشارة أن تقابل بالإيمان، فعملوا بالضد، وكفروا.

وتدل على أن الكفر ليس هو الجهل فقط؛ لأنهم عرفوا الله وعرفوا النبي ﷺ وهم مع ذلك كفار يجحدون ذلك عنادًا.

وتدل على أن الكفر فعلهم، فيبطل قول الجبرية.

وتدل على أن اللعن والعذاب يستحق بالفعل.

وتدل على أن الذنب مع العلم أعظم، وعقوبة فاعله أشد.

---

(١) عليهم وكانوا يعني... الفتح الذي هو: ـ، ف، و.

(٢) أقبل: أظل، د، ز.

قوله تعالى:

﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾

القراءة

قرأ أبو عمرو: «**أن ينزل**» خفيفة كل القرآن إلا في الأنعام[1] ﴿أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ [الإنعام: ٣٧] فإنه شددها، وقرأ ابن كثير بالتخفيف كل القرآن[2] إلا في سبحان[3] ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ [الإسراء: ٨٢] و﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ﴾ [الإسراء: ٩٣] شددهما. وقرأ حمزة والكسائي كل القرآن بالتشديد إلا في ﴿الٓمٓ﴾، و﴿عٓسٓقٓ﴾، ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ [لقمان: ٣٤] فإنهما قرأهما بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد كل القرآن، واتفقوا في الحجر ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ﴾ [الحجر: ٢١] أنه مشدد، وهما لغتان نزل وأنزل، فإذا شدد فهو أبلغ.

اللغة

بِئْسَ: نقيض نِعْمَ، وهما فعلان ماضيان، وبِئْسَ ذم لشدة الفساد، ونقيضه كل شيء صالح، وأصله البأس، وهو الشدة، يقال: بأس يبؤس بؤسًا.

والبغي: أصله الطلب، ونظيره التطاول والطغيان، وسمي الباغي لشدة طلبه للتطاول الذي ليس له ذلك.

والإهانة: الإذلال، ونقيضه الإكرام.

واشترى: ابتاع، واشترى باع، وقد يقع افتعل بمعنى فعل، كقولهم: كسب واكتسب.

---

(١) السبعة في القراءات ١٦٤.

(٢) السبعة في القراءات ١٦٤.

(٣) يقصد آيتي الإسراء رقم ٨٢ ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ﴾ ورقم ٩٣ ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا﴾.

۞ الإعراب

يقال: ما وزن «بئس»؟

قلنا: أصله بَئِسَ على وزن فَعِلَ مثل حمد، نقلت الحركة لأجل حرف الحلق، كما قالوا: سئم، يدل عليه أنه ليس في أصل بناء الفعل ما هو على هذه الزنة.

ويقال: لِمَ لا يتصرف «نعم وبئس» تصرف الأفعال؟

قلنا: لما تضمنت من الدلالة على معنى المدح والذم، كما أن التعجب لما كان خبرًا كسائر الأخبار إلا أنه زاد عليها بمعنى التعجب ترك تصرفه، ليدل على زيادة المعنى، فكذلك «نعم وبئس» تدل على أن القائل مادح، أو ذام، وهو إخبار باستحقاق المدح، أو الذم.

ويقال: لِمَ امتنعت نعم وبئس من أن تعمل[1] إلا في الجنس؟

قلنا: فيه قولان:

قال الزجاج: إذا قلت: نعم الرجل، فإنما أردت أن تمدحه بالمدح الذي يكون لسائر جنسه، فلذلك كان لا بد من ذكر الجنس؛ لأنه للمبالغة في المدح والذم.

والقول الثاني: أنه ذكر الجنس بعدهما للإيهام، كما جاء في التعجب بما دون غيرهما من الأسماء للإيهام الذي فيهما؛ لأن الوهم يذهب إلى كل نوع مما يصلح للمدح به أو الذم.

ويقال: ما معنى (ما) في بئسما؟

قلنا: فيه قولان:

أحدهما: أنه اسم تام، حكى الكسائي عن العرب: بئسما تَزْوِيجُ ولا مهر، كأنه قال: بئس شيئًا تزويج ولا مهر، كأنه قيل: بئسما اشتروا به أنفسهم كفرهم بما أنزل الله.

---

(١) تعمل: العمل، ز، ف، و.

الثاني: أن يكون (ما) مع (بئس) بمنزلة اسم واحد، فإذا قلت: بئسما تَزْوِيجُ ولا مهر[1]، كأنك قلت: المذموم تزويج ولا مهر، وفي الآية المذموم «**اشتروا به أنفسهم**».

ويقال: ما موضع «**أَنْ يَكْفُرُوا**»؟

قلنا: قال الفراء: يصلح فيه الخفض والرفع، أما الخفض فعلى موضع الهاء في به، على التكرير عنده، والبدل عند البصريين. وأما الرفع فزعم أنه مكرر على موضع (ما) التي تلي (بئس)، وقيل: يجوز الرفع على قولك: نعم رجلا زيد، كأنه قيل: من الممدوح؟ فقيل: هو زيد.

ويقال: ما موضع «**أَنْ يُنَزِّلَ اللهِ**»؟

قلنا: يجوز[2] فيه النصب والخفض، وأما الخفض فعلى البدل من (ما) في قوله: «**بِمَا أَنزَلَ اللهُ**»، والنصب على حذف حرف الجر، يعني «**بَغْيًا**» لأن ينزل الله، أو بأن ينزل الله[3] .

ويقال: بِمَ انتصب «**بَغْيًا**»؟

قلنا[4] : قال الزجاج: لأنه مفعول له، كقولك: جعلته حذار الشر، أي لحذار الشر، ويحتمل أن يكون مصدرًا؛ لأن ما تقدم يدل على بغوا، فكأنه قيل: بغو بغيًا، فنصب على المصدر.

۞ المعنى

ثم ذمهم بإيثارهم الدنيا على الدين، فقال تعالى «**بِئْسَما اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ**» يعني بئسما اشتروا الباطل بالحق والكفر بالإيمان، وقيل: بئس ما باعوا به حظ أنفسهم،

(١) لسان العرب (بأس).
(٢) قلنا يجوز: ـ ، د، ز، و.
(٣) الله: ـ ، ف.
(٤) قلنا: +، د، و.

واشتروا بمعنى باعوا، عن السدي ومجاهد. «**أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ**» يعني القرآن ودين الإسلام المنزل على محمد ﷺ «**بَغْيًا**» أي بالبغي، وأصله الفساد، وقيل: حسدًا وهم اليهود، عن أبي العالية والربيع والسدي. وقيل: طلبًا لشيء ليس لهم، ثم فسر ذلك بقوله: «**أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ**» النبوءة والوحي «**عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**» قيل: تمنوا أن تكون النبوءة في ولد إسحاق، وهي تتبع المصلحة، وتتميز بالمعجز «**فَبَاؤُوا**» قيل: رجعوا، وقيل: حملوا «**بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ**».

يقال: ما الغضب الأول؟ وما الثاني؟

قلنا: فيه أقوال:

الأول: غضب عليهم بكفرهم بعيسى، ثم غضبه لكفرهم بمحمد ـ صلى الله عليهما ـ، عن الحسن وعكرمة والشعبي وقتادة وأبي العالية.

الثاني: بما تقدم من كفرهم بقولهم: عزير ابن الله، ويد الله مغلولة، وتحريفهم الكتاب، ثم كفروا بمحمد وما أنزل عليه، عن عطاء وعبيد بن عمير وأبي علي.

والثالث: على التوكيد للمبالغة؛ إذ كان الغضب لازمًا لهم ويتكرر عليهم، عن الأصم وأبي مسلم.

الرابع: الأول: لعبادتهم العجل، الثاني: كتمانهم صفة محمد ﷺ، وجحد نبوته، عن السدي.

«**وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ**» يعني يهينهم الله بالعذاب، فأضاف الإهانة إلى العذاب لأنه سبب له توسعًا ومجازًا.

۞ الأحكام

الآية تدل على أنه تعالى يبعث النبيّ ﷺ من حيث يعلم أن المصلحة فيه، دون التشهي.

وتدل على ذم من آثر الدنيا على الدين، وأنه قد خسر خسرانًا مبينًا.

وتدل على أن العاصي يستحق العقاب والغضب بفعله، فتدل أن للعبد فعلاً، فيبطل قول المجبرة في خلق الأفعال، وقد قال أبو الهذيل ـ رحمه الله ـ لِحَفْصٍ الفَرْدِ: هل تعلم غير الله وغير خلقه؟ قال: لا. قال: أفتغضب لأنه الله؟ قال: لا.

قال: أفتغضب[1] لأنه خلق؟ قال: لا. قال: أفهنا ثالث غيرهما؟ قال: لا، قال: فغضبك[2] لا لشيء، فانقطع.

قوله تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾

اللغة

وراء: نظير خلف، ونقيضه: قدام وأمام، وهو وراء ممدود، والورى مقصور: الأنام على وجه الأرض، وأصله من الظهور، والورى لظهور الشخص في ذلك المكان، وتصغيره وُرَيَّة.

والإيمان: التصديق في اللغة، ونقل في الشرع إلى أداء الواجبات.

الإعراب

يقال: ما الفرق بين (إن) و(إذا)؟

قلنا: (إذا): وقت للفعل الذي هو جواب، وليس كذلك (إن)، تقول: إن جئتني وصلتك، فيصح أن تصله بعد وقت المجيء، وإذا قلت: إذا جئتني وصلتك، فيصح أن تصله وقت مجيئه لا بعد مجيئه، وإذا قلت: إذا جئتني، فإنما تخبر بأنك تصله وقت مجيئه.

ويقال: ما العامل في (إذا)؟

قلنا[3]: «قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا» ولا يصح أن يعمل فيها قبل، لأن المضاف لا يعمل في الصفات كما لا تعمل الصلة في الموصول.

---

(١) أفتغضب: أفغضب، د، و.

(٢) فغضبك: فغضب، ز، ف.

(٣) قلنا: ـ، ف، و.

ويقال: كيف قال: «وَرَاءَهُ» وما كفروا به قدامه؟

قلنا: لمقارنة معنى (وراء) معنى (بعد)، كأنه قيل: ويكفرون بما بعده.

ويقال: بِمَ انتصب «مُصَدِّقًا»؟ وما العامل فيه؟

قلنا: انتصب بمعنى الحال، والعامل فيه معنى الخبر، كقولك: هو زيد حقًّا.

۞ المعنى

ثم حكى جوابهم عند دعائهم إلى الإيمان فقال تعالى: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ» يعني اليهود الذين تقدم ذكرهم «آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ» يعني القرآن المنزل على محمد ﷺ والشرائع التي جاء بها، «قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا» يعني التوراة «وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ» أي يجحدون ما بعده، عن الحسن وقتادة وأبي العالية والربيع، «وَهُوَ الْحَقُّ» يعني ما وراءه وهو القرآن، عن الحسن والسدي: حق وصدق، «مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ» قيل: جاء على مصداق ما في التوراة، وقيل: يصدق التوراة «قُلْ» يا محمد لهم «فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ» وإنما أراد قتل أسلافهم الأنبياء؛ إلا أنه خاطبهم بذلك، لأنهم كانوا على طريقتهم.

ويقال: لِم جاز: لِمَ تقتلون من قبل؟ ولم يجز أنا أضربك أمس؟

قلنا: فيه قولان:

أحدهما: أن ذلك جائز فيما كان بمنزلة الصفة اللازمة، كقولك لمن تعنفه[1] تعاتبه بما سلف من قبيح فعله ويحك لِمَ تكذب؟ولِمَ تبغض نفسك إلى الناس؟كأنه قال: لم هذا من شأنك؟ قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ [البقرة: ١٠٢] ولم يقل: ما تلت؛ لأنه أراد من شأنها التلاوة، وقال الشاعر:

وَلَقَدْ أَمُرُّ عَلَى اللَّئِيمِ يَسُبُّنِي فَمَضَيْتُ ثُمَّتَ قُلْتُ لاَ يَعْنِينِي[2]

ولم يقل: مررت؛ لأن معناه من شأني المرور.

---

(١) تعنفه: تعتقه، د، و.

(٢) اللسان (ثمر)، (منن).

والثاني: كأنه ـ قال: لم ترضون بقتل الأنبياء من قبل إن كنتم مؤمنين؟ فلم تقتلون أنبياء الله؟ لأن من كان مؤمنًا لا يقتل أنبياء الله؟، وقيل: إن كنتم مؤمنين بالتوراة، وتقديره إن كنتم مؤمنين كما تزعمون فلم تقتلون أنبياء الله؟وفيها النهي عن ذلك، وقيل: (إن) بمعنى: ما كنتم مؤمنين، حكاه الزجاج، وهو وجه بعيد.

ويقال: آمنوا خطاب لهؤلاء الموجودين ولم يقتلون حكاية عن صنيع أسلافهم، فكيف وجه الجمع بينهما؟

قلنا: فيه أقوال: قيل: إنكم بهذا التكذيب خرجتم من الإيمان بما آمنتم، كما خرج أسلافكم بقتل بعض الأنبياء عن الإيمان بالباقين.

وقيل: إذا ادعى هؤلاء الإيمان بالتوراة فذلك يوجب الإيمان بما يصدقه كسائر كتب الله، وبما يقارنها[1] المعجز لأن التوراة إنما يجب الإيمان بها لهذا الوجه، فمن قتل نبيًّا لم يصح إيمانه بالتوراة، ومن كذب نبيًّا فكذلك.

وقيل: معناه فلم ترضون بذلك؟ وكانوا راضيين بأفعال أسلافهم مصوبين لهم، مقتدين بهم.

الأحكام

الآية تدل على أن الإيمان بكتاب من كتب الله لا يصح إذا ترك بعضه، أو ترك ما هو مثله في اقتران المعجز به.

وتدل على أن إجابة الداعي إلى الحق واجبة.

وتدل على أن قتل النبيّ ﷺ كفر، فيوجب بطلان قول من قال: إن الكفر لا يكون إلا في القلب.

قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾﴾

---

(١) يقارنها: تقارنه، ف، و.

۞ اللغة

البينات: الحجج والعلامات الدالة على طريق الحق، واحدها بينة، وأصله من القطع، ومن ذلك بان، وأصله من البينونة، ومنه: مَا أُبِينَ من الحي فهو ميت، واتخذتم: افتعلتم من الأخذ، والأخذ نقل الشيء إلى الآخذ.

والظلم: ضرر قبيح، وقيل: ضرر ليس فيه نفع أو دفع أو استحقاق، وقيل: وضع الشيء في غير موضعه، وليس بالوجه.

۞ الإعراب

اللام في قوله: «ولقد» لام القسم، واللامات عشر: لام القسم، ولام الابتداء، ولام الإضافة، كقوله: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ﴾ ولام الأمر كقوله: ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ ولام (كي) كقوله: ﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾. ولام الأصل[1]: «آلهتكم». ولام التعريف كقوله: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الإسراء: ٢]. ولام الاستغاثة كقول الشاعر:

يَا لَبَكْرٍ أَنْشُرُوا لِي كُلَيْبًا   يَا لَبَكْرٍ أَيْنَ أَيْنَ الفِرَارُ[2]

ولام الجنس كقوله: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٦] ولام العاقبة كقوله: ﴿لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨].

ويقال: (ثم) هل هو للعطف؟

قلنا: نعم، والمراد الاستعظام لكفرهم بعدما رأوا الآيات.

«وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ» قيل: محله نصب تقديره: اتخذتم العجل ظالمين في ذلك لأنفسكم، وقيل: رفع تقديره: وأنتم ظالمون بذلك وبغيره[3] من خصال الكفر.

۞ المعنى

ثم حكى تعالى عنهم ما يدل على قلة بصيرتهم في الدين، فقال تعالى: «وَلَقَدْ

---

(١) يقصد اللام الأصلية مثل لام (لحم) و(لوم).

(٢) البيت قائله المهلهل عدي بن ربيعة التغلبي، انظر ديوان مهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم، طلال حرب، بيروت.

(٣) بغيره: لغيره؛ د، ز، و.

جَاءَكُم» هذا وإن كان خطابًا لمن كان في عصر النبي فالمراد ما فعل آباؤهم على عادة جارية للعرب بتقريع الأبناء بفعل الآباء، وقيل: أراد أنكم سلكتم في التكذيب والعناد طريق أسلافكم، فإنهم بعد الآيات ورؤيتها اتخذوا العجل، فلا غرو أن كفرهم بالقرآن وإن اتضح دلالته ككفر أسلافهم بعد رؤية آيات «مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ» أي بالحجج، وقيل: أراد الآيات التسع التي ذكرها الله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١]. وهي: العصا، واليد، وانفلاق البحر، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، ورفع الطور، وإحياء الميت عند ضربه ببعض البقرة، وقيل: هي الآيات التي ألزمت الحجة، وأزالت الشك «ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ» يعني اتخذتم العجل إلها وعبدتموه «مِنْ بَعْدِهِ» أي: من بعد موسى، وقيل: بعد مجيئه بالآيات، وقيل: من بعد مجيئه الميقات، «وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ» لأنفسكم بكفركم حيث وجبت لكم العقوبة.

الأحكام

الآية تدل على تقريع اليهود بفعل أسلافهم حيث وافقوهم في أديانهم، وصوبوا أفعالهم، كما يقال لبني تميم: رهنتم قوسكم كسرى، وإنما رهنها رجل منهم، وتقول للرجل إذا ذهب مذهبًا: أنتم تقولون كذا، وتريد بعض أسلافه.

وتدل على عظيم ذنبهم لمخالفتهم البينات، وذلك يوجب بطلان قول أصحاب المعارف.

وتدل على أن الكفر ظلم.

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾

اللغة

الأخذ: نقيض الإعطاء.

والميثاق: العهد المؤكد.

وأشرب الزرع سقي، والشرب مادة الزرع، وأشرب لون كذا: إذا لزمه، ويقولون: أشرب قلبه حب كذا، قال زهير:

فَصَحَوْتُ[1] عَنْهَا بَعْدَ حُبٍّ دَاخِلٍ وَالْحُبُّ تُشْرِبُهِ فُؤَادَكَ دَاءُ[2]

۞ المعنى

ثم ذكر تعالى خصلة أخرى من أسلافهم توبيخًا لهم، فقال تعالى: «**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ**» يعني أعطيتم العهد، وقبلتم الأمر، فأخذنا ذلك عليكم، «**وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ**»، يعني الجبل، وقد بينا قبل هذا رفع الجبل فوقهم، وأخذ الميثاق، والتكرار في هذا وأمثاله للتأكيد، وإيجاب الحجة على الخصم على عادة مخاطبات العرب. وقيل: الآية حجة عليهم عند ادعائهم أولاً، فلما عادوا إلى الدعوى في مثل قولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨]،وما أشبه ذلك، أعيد الحجاج عليهم، عن أبي علي، كأنه يشير إلى اختلاف الأحوال والأوقات، ولا يعد تكرارًا، وقيل: لما عد فضائح اليهود أعاد ذكر رفع الجبلوقولهم: «**سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا**»، وقيل: ذكر الأول للاعتبار بأخبار من مضى، والثاني الاحتجاج عليهم «**خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ**» أي أعطيناكم، قيل: التوراة، وقيل: الشرائع «**بِقُوَّةٍ**» قيل: بجد واجتهاد، وقيل: بقدرة، أي وأنتم قادرون على أخذه «**وَاسْمَعُوا**» قيل: اقبلوا ما سمعتم، كقوله: سمع الله لمن حمده، أي قبل. قال الراجز:

السَّمْعُ والطَّاعَةُ والتَّسْلِيمْ خَيْرُ وَأَعْفَى لِبَنِي تَمِيْم

يعني قبول ما تسمع والطاعة لما تؤمر، وقيل: اسمعوا ما يتلى عليكم، أي اسمعوا لتسمعوا، وهذا اللفظ يحتمل الاستماع والقبول، ولا تنافي بينهما فيحمل عليهما فيصير كأنه قيل: استمعوا لتسمعوا، ثم أقبلوا وأطيعوا يدل عليه أنه قال في الجواب: «**سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا**» فيه قولان:

---

(١) فصحوت: فصخرت، د، ز.

(٢) البيت قائله زهير بن أبي سلمى، أنظر الديوان.

الأول: أنه كان منهم قول في الحقيقة قالوه استهزاء: سمعنا قولك، وعصينا أمرك، وذلك كفر.

الثاني: حالهم كحال من قال ذلك حيث سمعوا وقابلوا بالعصيان.

ومتى قيل: «**قَالُوا**» كناية عَمَّنْ؟

قلنا: قيل: هم اليهود الذين كانوا في عصر النبي ﷺ قالوا ذلك له، ثم رجع إلى حديث أوائلهم، فقال «**وَأُشْرِبُوا**»، عن الحسن، وقيل: هم الذين كانوا في زمن موسى (عليه السلام) ردوا عليه، وقالوا: سمعنا وعصينا، عن أبي علي، وهوالوجه؛ لأنه تبيين الكلام .«**وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ**» قيل: حب العجل، عن قتادة وأكثر أهل العلم، وقال السدي: لما رجع موسى إلى قومه أخذ العجل وحرقه بالمبرد، ثم ذراه في اليم، فلم يبق بحر يومئذ إلا وقع فيه شيء منه، ثم قال لهم موسى: اشربوا منه، فشربوا فمن كان يحبه خرج على شاربه الذهب، فلذلك قوله: «**وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ**» وروي نحوه عن ابن جريج، والأول الوجه لذكره القلوب، ولأنه لا يقال: أُشْرِبَ من سَقْيِ الشَّفَةِ، ولأنه أظهر، وعليه أكثر العلماء، فأما معنى «**وَأُشْرِبُوا**» قيل: أدخل قلوبهم حبه، كإشراب اللون لشدة الملازمة، وقيل: لما داموا على عبادة العجل قيل: أشربوا لأن الشرب مادة الزرع، فلما أمروا بعبادة العجل قيل: أشربوا.

ويقال: من أَشْرَبَ ذلك قلوبهم؟

قلنا: لم يرد أن غيرهم فعل ذلك بهم، ولكن لفرط ولوعهم به، وإِلْفِهِمْ لعبادته، أشربوا في قلوبهم حبه، فألزموا ذكره ومحبته، فَذُكِرَ على ما لم يسم فاعله، كما يقال: فلان مُعْجَبٌ بنفسه، وقيل: أَشْرَكَهُ مَنْ زَيَّنَهُ عندهم ودعا إليه، كالسامري وإبليس وشياطين الإنس والجن، ولا يجوز أن يقال: إن الله تعالى فعل ذلك؛ لأنه ذمهم بذلك ووبخهم، ولو كان ذلك فِعْلَهُ لما صح ذلك، ولأن تزيين عبادة الصنم قبيح، وقد نهى عنه، وأوعد عليه، ولا يجوز أن يفعله؛ ولأنه لو جاز أن يفعل ذلك بنفسه جاز أن يبعث رسولاً يدعو إليه، وهذا فاسد، «**بِكُفْرِهِمْ**» يعني لاعتقادهم التشبيه وجهلهم بالله، وتجويزهم العبادة لغير الله أشربوا في قلوبهم حب العجل؛ لأنهم

صاروا إلى ذلك لهذه المعاني التي هي كفر، فأما من قال: فعل الله ذلك بهم بكفرهم مجازاةلهم [فغلط] عظيم؛ لأن حب العجل ليس من العقوبة في شيء، ولا ضرر فيه، ولا يجوز أن يخلق حب العجل لأنه قبيح، يتعالى الله عن ذلك، «قُلْ» يا محمد لهؤلاء اليهود «بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ» يعني إن كان الترغيب فيه من جهة إيمانكم لكنه جاء على البلاغة، كقوله: ﴿تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] أي فيها ذلك، فهذا مجاز أبلغ من الحقيقة «إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ» يعني بئس الإيمان إيمان يأمر بالكفر؛ ليدل بذلك على أنهم ليسوا بمؤمنين، وتقدير الكلام: إن كنتم مؤمنين بزعمكم، وقد أَمَرَكُمْ بعبادة العجل، فبئس الإيمان إيمان يأمر بالكفر، ولا يمنع منه؛ لأن حقيقة الإيمان تمنع من الكفر.

۞ الأحكام

يدل قوله: (بقوة) على أن الاستطاعة قبل الفعل؛ لأنه لو قال: اصعد السطح بِسُلَّمٍ، ولا سلم هناك، فلم يفعل، كان معذورًا، عن أبي علي.

وتدل على أن الكفر وَحُبَّ العجل فِعْلُهُمْ؛ لذلك عاتبهم به، ومعنى المحبة هاهنا الإرادة لا الشهوة؛ لأن الشهوة لا يقدر عليها العباد، ولا يُؤْمَرُ بها، ولا يُنْهَى عنها.

وتدل على أن جميعهم لم يتوبوا، وأن فيهم مَنْ زَعَمَ أن عبادة العجل من الإيمان؛ فلذلك أجيبوا بهذا.

قوله تعالى:

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾

۞ اللغة

الخالصة والصافية من النظائر، ونقيضه: الشائب، يقال: خلص خلوصًا، وخالص الشيء إذا كان قد شيب ثم نجا، وخلص فلان إلى فلان وصل إليه، وتقول: هذا الشيء خالصة لك، أي خاص لك، وأصل الخلوص صفو الشيء من كل شائب.

والتمني: مصدر تمنى تمنيًا، وقيل: هو من جنس الأقوال، وهو قولهم: ليت لي مالاً، هكذا ذكره أهل اللغة والنحو، وهو قول أبي علي، وقيل: هو معنى في القلب، عن أبي هاشم، والأول أصح.

و(ليت) أَصْلٌ[1] في أداة التمني، ثم يقام الاستفهام مقامه كقوله تعالى: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ﴾ [الأعراف: ٥٣] وكقولهم: ألاَ ماء فأشربه.

و(دون): يستعمل على ثلاثة أوجه: دونه في المكان، ودونه في الشرف، ودونه في الاختصاص، وهو المراد بالآية.

والموت: ضد الحياة، وقيل: هو عرض يضاد الحياة، عن أبي علي وهو الصحيح، وقيل: بمعنى ولكن عبارة عن بطلان الحياة، عن أبي هاشم.

النزول

قيل: لما ادعت اليهود دعاوي باطلة، كقولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠] و﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾ [البقرة: ١١١]، و﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨]، قيل لهم: «فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ» في هذا ومثله نزلت الآية، عن قتادة وأبي العالية والربيع، وأكثر أهل العلم، وقيل: لما جادلو النبي ﷺ، قيل: «فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ» أي ادعوا الموت على أي الفريقين أكذب، عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ.

المعنى

ثم عاد إلى الاحتجاج على اليهود في بطلان قولهم: إن الحق ما هم عليه، فقال تعالى: [«قل»] يا محمد لهم «إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً» يعني خاصة، أي كنتم واثقين بخلوص الجنة لكم، وحسن حالكم في المعاد «مِنْ دُونِ النَّاسِ فتمنوا» قيل: من دون الله ومحمد ﷺ وأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ الذين

(١) أصل: أصلا، د، ز، و.

استهزأتم بهم وزعمتم أنكم بالحق أولى منهم، والناس خاص، وقيل: هو عام لقوله حكاية عنهم: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١] «فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ» أي سلوه وأريدوه «إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ» فيما زعمتم وادعيتم أن ذلك لكم.

ويقال: قوله «فَتَمَنَّوْا» أمر أم لا؟

قلنا: هو تَحَدٍّ، وليس بأمر، فتحداهم بذلك، وقيل: احتجاج عليهم، ودعا إلى المباهلة، وروي عن النبيﷺ أنه قال: «لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ولرأوا مقاعدهم من النار، ولو خرجوا إلى المباهلة لرجعوا لا يجدون أهلا ولا مالاً. فلما لم يتمنوا الموت[(١)] افتضحوا كما افتضح النصارى حين أحجموا عن المباهلة وظهر الحق»[(٢)] .

ويقال: لم كره للمؤمن تمني الموت؟

قلنا: قال القاضي: لأنه يخاف التقصير فيما أمر، ويرجو في البقاء التلافي، ولأنه لا يأمن إقدامه على كبيرة، أو ترك واجب، فأما إذا كان على ثقة، فيجوز أن يتمنى؛ ألا ترى أن أميرالمؤمنين (عليه السلام) كيف كان يتمنى، ويقول[(٣)]: ما أبالي سقط الموت عَلَيَّ، أم سقطت على الموت. وقال معاذ ـ رضي الله عنه ـ لما نزل به الطاعون: مرحبًا بزائر جاء على فاقة، لا أفلح من ندم. وقيل: لأنه لا يعلم المصالح، فيجوز أن يتمنى الموت لشرط المصلحة، وقد روي عن النبيّ ﷺ: «لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ولكن ليقل: اللهم أحيني ما دامت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي»[(٤)] ولأن ذلك يدل على جزع منه، والله تعالى أمره بالصبر وتفويض الأمر إليه، وقيل: يجوز ذلك عقلاً، إلا أن الشرع منع منه، والصحيح أن العقل والشرع فيه سواء، وأنه لا يجوز إلا بشرط المصلحة.

---

(١) الموت: ـ ، ف، و.

(٢) مسند أحمد ١/ ٢٤٨ حديث رقم (٢٢٢٥) ومسند أبي يعلى ٤/ ٤٧١ حديث رقم ٢٦٠٤.

(٣) ويقول: ويقال، د، ف، و.

(٤) صحيح البخاري (٥/ ٢٣٣٧) رقم (٥٩٩٠)، (٦/ ٢٦٤٣) رقم(٦٨٠٦)، صحيح مسلم (٤/ ٢٠٦٤) رقم (٢٦٨٠)، سنن الترمذي (٣/ ٣٠١) رقم (٩٧٠)، سنن النسائي (٤/ ٣) رقم (١٨٢٠، ١٨٢١).

۞ الأحكام

الآية تدل على صحة نبوة محمد ﷺ لأن المعلوم من حال اليهود شدة معاداتهم إياه، ومعلوم أنه تحداهم بتمني الموت، وأخبر أنهم لا يفعلونه، وإذا أمكنهم إبطال أمره بالسهل الذي هو التمني لا يجوز ألا يقع منهم، ثم مع ذلك خافوا إظهار تمني الموت، ومعلوم أنهم لو تمنوا لبطل أمره، ولصاروا بزعمهم إن ماتوا إلى نعيم دائم، فمجموع ذلك يقتضي المبادرة إلى التمني، فلما عدلوا دل على صدقه، وعلى أنهم لم يكونوا على ثقة من صدقهم فيما ادعوه.

ويقال: إذا كان التمني معنى في القلب، فكيف يعرف حصوله منهم؟

قلنا: أما عند أبي علي فالتمني هو القول، فالسؤال ساقط، وعند أبي هاشم ليس المراد به ما يحصل بالقلب؛ لأنه لا يُعْرَفُ، وإنما يعرف من جهتهم، ولا يعرف صدقهم، فالتحدي وقع بما يظهر باللسان، فكان يسهل عليهم أن يقولوا: ليت الموت نزل بنا، وذلك نظير ما قاله الفقهاء إذا قال لامرأته: أنت طالق إن شئت، فالاعتبار بما يظهر من قولها، لا بما في قلبها، وكذلك إن قال لها: إن كنت تحبينني أو تبغضينني.

وتدل على صحة الحجاج في الدين.

وتدل على كذب اليهود في قولهم: إن لهم الدار الآخرة خالصة.

قوله تعالى:

﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾

۞ اللغة

الأبد والدهر من النظائر.

والقديم والأول والسابق متقارب في المعنى، والقديم الموجود لم يزل، ونقيضه الحديث، وأصله من التقدم خلاف التأخر.

ويقال: هل يطلق اسم القديم على غير الله؟

قلنا: أما في عرف المتكلمين فلا، وأما من حيث اللغة فقال أبو علي: لا، وقال أبو هاشم: نعم. ومنه: ﴿كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩].

المعنى

ثم أخبر تعالى عنهم بما لا يعلمه إلا علام الغيوب، فقال تعالى: «**وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَا**» يعني اليهود لن يتمنوا الموت[(١)] ، قيل: لأنهم يعلمون أنهم كاذبون، عن ابن عباس وجماعة، وقيل: إنما تركوا التمني حرصًا على الدنيا، وخوفًا من الموت أن يعجل لهم، وقيل: إنه تعالى أورد على قلوبهم ما توفرت معه دواعيهم إلى ترك إظهار التمني ليكون حجة لرسوله «**بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ**» بما أسلفوا من الأعمال القبيحة، وتكذيب الكتاب والرسول، عن الحسن والأصم وأبي مسلم وأبي علي، وقيل: بما عرفوا أن محمدًا نبي فكتموا، عن ابن جريج .«**وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**» قيل: إنه وعيد لهم، يعني عليم بما يستحقونه من الجزاء على قبيح فعلهم، وقيل: إنه إخبار عن علمه بضمائرهم، وما يمتنعون لأجله من إظهار التمني للموت خوفًا أن يقع بهم. كأنه قيل: عالم بضمائرهم، عن أبي مسلم، وقيل: عليم بالحجج التي تفضحهم وتخزيهم، فيوردها عليهم، عن الأصم.

الأحكام

الآية تدل على أن أفعال العباد جارية من جهتهم لذلك قال: «**بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ**».

ويقال: لِم أضاف الفعل إلى اليد، وبها يكون أم بغيرها؟

قلنا: على عادة العرب أن تضيف الفعل إلى اليد تأكيدًا وتحقيقًا للإضافة؛ إذ قد يضاف إليه ما يأمر به أيضًا، ولأن أكثر الجنايات من الناس بأيديهم، فحمل الأمر على الغالب.

وتدل على صحة نبوة محمد ﷺ حيث أخبر عنهم بترك التمني، فكان الأمر على ما أخبر، لا سيما وقد جرى ذلك معهم على جهة الحجاج، فتدل على أنه أخبره بذلك علام الغيوب.

---

(١) الموت: ـ ، ز، ف، و.

وتدل على أنهم كانوا معاندين، فلذلك تركوا التمني.

قوله تعالى:
﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوٰةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

القراءة

قرأ يعقوب: «**والله بصير بما تعملون**» بالتاء على الخطاب، والباقون بالياء وهو الاختيار؛ لأن الآية كلها على المغايبة، ولاجتماع القراء عليه.

اللغة

وجده وألفاه وصادفه نظائر، وهو من قولك: وجدت الشيء وجدانًا، إذا أصبته، ويستعمل وجدت بمعنى علمت.

والحرص: شدة الطلب، ورجل حريص، وقوم حراص.

والشركة مخالطة الشريكين، والشرك بالله: أن يشرك معه غيره في العبادة، وفي الشرع: كل كفر شرك، وكل كافر مشرك، وكل مشرك كافر.

والمودة: المحبة، ومصدر الود: الوَدَادُ، والوَدَادَةُ، يقال: وَدِدْتُ الشيء أوده ودًّا.

والعمر، والعمر بفتح العين، وضمها لغتان، وهو عمر الحياة وأصله من العمارة الذي هو ضد الخراب، فالعمر المدة التي يعمر فيها البدن بالحياة.

والألْفُ عدد مخصوص مأخوذ من التأليف، وهو ضم الشيء إلى الشيء، وسمي بذلك لأنه ضم مائةً عشر مرات.

والسنة والعام من النظائر، وهي اسم مدة مخصوصة، وهو اثنا عشر شهرًا.

وتزحزح: تباعد، يقال: زحزحه فتزحزح لازم ومتعد، تقول: تزحزح عن البئر لا تقع فيها، وأصله الزوال عن الشيء، قال الشاعر:

رَأَتْنَـا كَـأَنَّـا قَـاصِـدِيـنَ لِـوَصْـفِـهَـا ... بِـهِ فَـهِـيَ تَـدْنـو تَـارَةً وَتَـزَحْـزَحُ

يصف الظبية، وأراد عهدها بولدها.

۞ الإعراب

يقال: ما الواو في قوله تعالى: «**وَمِنَ الَّذِينَ**»؟

قلنا: فيه قولان:

الأول: أنه واو عطف، تقديره: أَحْرَصَ النَّاسِ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا، كقولهم: هو أسخى الناس ومن حاتم، يعني وأسخى من حاتم.

الثاني: أنه واو الاستئناف، وقد تم الكلام عند قوله: «**عَلَى حَيَاةٍ**» تقديره: ومن الذين أشركوا مَنْ يود أحدهم، قال أبو علي: هو على حذف من، أي ومن الذين أشركوا من يود، قال علي بن عيسى: هذا غير صحيح؛ لأن حذف مَنْ لا يجوز في مثل هذا الموضع.

ويقال: بم ارتفع «**لَوْ يُعَمَّرُ**»؟

قلنا: فيه وجهان:

أحدهما: بالابتداء وخبره «**وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ**» أو يكون على تقدير الجواب لما كنى عنه، كأنه قيل: وما هو الذي ليس بمزحزحه؟ فقيل: هو التعمير.

والثاني: أن يرتفع بمزحزحه ارتفاع الفاعل بفعله.

ويقال: ما معنى هو؟ وكناية عماذا في قوله: «**وَمَا هُوَ**»؟

قلنا: فيه ثلاثة أقوال: قيل: كناية عن أحدهم الذي جرى ذكره، وقيل: كناية عن التعمير، وقيل: هو عماد.

۞ المعنى

ثم أخبر تعالى عن أحوال اليهود وأسرارهم، فقال تعالى: «**وَلَتَجِدَنَّهُمْ**» اللام لام القسم، والنون للتأكيد، وتقديره: والله لتجدنهم يا محمد هؤلاء اليهود، فهم كناية

عن اليهود، عن الحسن وابن عباس وأبي العالية، وغيرهم من أهل العلم، وقيل: هم علماء اليهود، عن الأصم «**أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ**» يعني حرصهم على بقائهم في الدنيا أشد من حرص سائر الناس «**وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا**» قيل: اليهود أحرص الناس، وأحرص من الذين أشركوا، عن الفراء والأصم وأبي علي وأبي القاسم، وقيل: هو ابتداء أي من الذين أشركوا من يود، عن أبي علي، وقيل: فيه تقديم وتأخير، وتقديره: ولتجدنهم وطائفة من الذين أشركوا أحرص الناس على حياة، عن أبي مسلم، واختلفوا في المراد بقوله: «**وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا**» على[1] ثلاثة أقوال: قيل: المجوس، عن أبي العالية والربيع، وقيل: مشركو[2] العرب، عن الحسن، وقيل: كل مشرك، قال ابن عباس: المشرك لا يرجو بعثًا بعد الموت، وهو يحب طول الحياة.

ويقال: كيف صارت اليهود أحرص الناس، وأحرص من الذين أشركوا على أحد التأويلين؟

قلنا: قال ابن عباس: لأن [اليهودي] عرف ما له في الآخرة من الخزي بما ضيع ما عنده من العلم، وقيل: هذا في المعاندين، فأما الجهال فجعلوا تبعًا على التغليب «**يَوَدُّ أَحَدُهُمْ**» يريد، ويحب «**لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ**» وخص الألف لأنه تحبه المجوس، يقولون: عش ألف سنة، وعش ألف نيروز وألف مهرجان، عن بعض المفسرين، قال ابن عباس: هو قول أحدهم إذا عطس: «**زه هزا رسال**»[3] ، يعني ألف سنة، وقيل: المراد به التكثير، وهو معروف في كلام العرب. «**وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ**» أي بمنجيه، عن ابن عباس وأبي العالية، وقيل: بمباعده، وقد بينا أنه كناية عن التعمير، أو عن أحدهم، أو هو عماد «**أَنْ يُعَمَّرَ وَاللهُ بَصِيرٌ**» يعني: عليم بأعمالهم يعلم ما يستحقون، فيجازيهم بها، وذلك وعيد لهم.

---

(١) على: ـ ، د، و.

(٢) مشركو: مشركي، ز، ف، و.

(٣) انظر العجاب في بيان الأسباب ١/ ٢٨٩.

ويقال: لِم دخلت (من) في قوله: «وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا» ولم يدخل في قوله «أَحْرَصَ النَّاسِ»؟

قلنا: لأنهم بعض الناس، والإضافة في باب أفعل لا تكون إلا كذلك، وإذا دخلت (من) جاز الوجهان، كقولك: الياقوت أفضل من الزجاج، ولا يجوز الياقوت أفضل الزجاج؛ لأنه ليس منه، ولكن لو قلت: الياقوت أفضل الحجارة جاز، فلذلك قال: «وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا»؛ لأن اليهود ليسوا من المجوس، وهم من الناس.

۞ الأحكام

الآية تدل على بطلان قولهم: نحن أحباء الله، وإنا أحق بالحق، وأنهم قالوا ذلك عنادًا لا حقيقة؛ لأن الصادق عن نفسه العارف بأن له الجنة خاصة لا يشتد حرصه على الدنيا، مع كثرة الغموم وما تنفك أحوال المرء منه، عن أبي علي والقاضي.

وتدل على أن طول العمر إذا لم يكن في طاعة الله لا يغني شيئًا، بل يكون حسرة، وإنما يغني إذا طال عمره وحسن عمله.

وتدل على أن الحرص على طول البقاء لطلب الدنيا ونحوها مذموم، وإنما المحمود طلب البقاء للطاعة وتلافي الفائت.

قوله تعالى:

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾

۞ القراءة

قرأ ابن كثير[١]: «جبريل» بفتح الجيم، وكسر الراء من غير همز. وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم بفتح الجيم والراء مهموزًا، وقرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب وحفص عن عاصم بكسر الجيم والراء غير مهموز، فهذه

(١) انظر الحجة في القراءات ٨٥، وحجة القراءات ١٠٧.

ثلاثة شائعة مستفيضة، ثم روي فيها قراءة شاذة لا يجوز أن يقرأ بها، وفي جبرايل سبع لغات: جِبْرِيل على وزن شمليل، بكسر الجيم والراء، وجَبْرِيل كعرجيل، وجَبْرَيْل بوزن فعليل، فهذه الثلاثة التي ذكرناها في القرآن، وجَبْرَئِيل على وزن جبرعيل، وجِبْرِين بالنون، وجِبْرَائيل بالمد والهمز، وجبريل.

اللغة

العدو: ضد الولي، والعداوة ضد الولاية.

وجبريل اسم معرب اختلفت العرب في تعريبه، قال الشاعر:

وَجِبْرِيلٌ رَسُولُ اللهِ فِينَا ... وَرُوحِ القُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ[١]

وأنكر بعضهم جبريل؛ لأنه ليس في الكلام فِعْلِيلُ، وأجازه قوم، ورووا عن الحسن، وأنشدوا:

بِحَيْثُ[٢] لَوْ وُزِنَتْ لَخْمُ بِأَجْمَعِهَا ... مَا وَزَنَتْ رِيشَةً مِنْ رِيشِ[٣] شَمْوِيلاَ[٤]

شمويل: طائر[٥]، وقيل: جبريل معناه: عبد الله، فجبر: عبد، وإيل: هو الله، وميكائيل عبد الله، عن ابن عباس وجماعة، قال المنهال بن عمرو: إيل بالعبرانية اسم الله.

قال أبو علي الفسيوي: هذا لا يصح لوجهين: أحدهما: أنه لا يعرف من أسماء الله إيل. والثاني: أنه لو كان كذلك لكان آخر الاسم مجرورًا أبدًا كقولهم: عبد الله.

والهدى الدلالة والبيان.

والبشارة: الخبر السار، أول ما يرد فيظهر ذلك في بشرة الوجه.

(١) البيت قائله حسان بن ثابت. أنظر الديوان.

(٢) بحيث: بحيث، د، ف.

(٣) ريش: روس، د، ز.

(٤) البيت قائله الربيع بن زياد يخاطب النعمان تاج العروس (سمل)، اللسان (سمل).

(٥) تاج العروس (سرول)

۞ الإعراب

يقال: الهاء في قوله: «فإنه» وفي قوله: «نزله» على أي شيء يعود؟

قلنا: يحتمل ثلاثة أوجه:

الأول: الهاء الأولى تعود على جبريل، والثانية على القرآن، وإن لم يَجْرِ له ذكر لأنه كالمعلوم، كقوله تعالى: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥] يعني على الأرض، عن ابن عباس وأكثر أهل العلم.

الثاني: فإن الله نزل جبريل لا أنه نزل بنفسه.

الثالث: فإن الله نزل القرآن على يده[١] .

۞ النزول

أجمع أهل التفسير أنه جواب لليهود حين زعموا أن جبريل عدو لهم، وميكائيل ولي لهم، وفيهم[٢] نزلت الآية، واختلفوا في الحال الذي[٣] ظهر منهم ذلك على أربعة أقوال:

الأول: قال ابن عباس كان ذلك في الحجاج بين ابن صوريا اليهودي وبين النبي ﷺ فلما لزمته الحجة قال: من يأتيك؟ قال: جبريل. قال: إنه ينزل بالعذاب والشدة، وهو عدونا، وميكائيل ينزل بالرحمة، وهو صديقنا.

الثاني: قال الشعبي وقتادة وعكرمة والسدي والأصم: كان ذلك في كلام جرى بينهم وبين عمر بن الخطاب، قالوا: من يأتي صاحبكم؟ فقال: جبريل. فقالوا: هو عدونا، وميكائيل ولينا، فقال: من كان عدوا لجبريل فهو عدو لميكائيل، فرجع عمر إلى النبي ﷺ وقد نزلت الآية فقال النبي ﷺ: «لقد وافقك ربك يا عمر».

الثالث: قال مقاتل: زعمت اليهود أن جبريل عدونا أُمِرَ أن يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

---

(١) على يده: عليه، ز، ف.

(٢) وفيهم: وفيه؛ د، ز، ف، و.

(٣) الذي: التي؛ د، ز، و.

الرابع: قال بعضهم: كانت اليهود تقول ذلك للمسلمين، فأنزل الله تعالى هذه الآية. واختلفوا في سبب العداوة. فقيل: لأنه نزل بالقرآن على النبي ﷺ مشتملاً على أخبار اليهود، وفضائحهم، وقتلهم، وأخذ الجزية منهم صغارًا، وإجلائهم، وقيل: لأنهم قالوا: إنه ينزل بالشدة في العذاب، وقيل: لأنهم قالوا: إنه غلط في النبوة عن مقاتل، وقيل: قالوا: وجدنا في كتابنا أن بختنصر سيخرب بيت المقدس فبعثنا من يقتله، وهو صبي ضعيف، فمنعه جبريل، وقال لصاحبنا: إن كان ربكم أذن في خرابه فلن تسلط عليه، وإن لم يأذن فعلى أي وجه تقتله، فتركه صاحبنا ورجع، وكبر بختنصر، وخرب بيت المقدس، عن ابن عباس.

۞ المعنى

ثم رد عليهم ما قالوا في جبريل (عليه السلام) فقال تعالى: «وَقُلْ» يا محمد لهؤلاء اليهود «مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ» يعني فإن جبريل نزل القرآن على قلب رسول الله ﷺ والمراد به يقرأ عليه فيحفظه كأنه نزله على قلبه «بِإِذْنِ اللَّهِ» قيل: بأمره نزل عليه، وقيل: بعلمه، ومعناه إن كانت عداوتهم لجبريل؛ لأنه ينزل بالقرآن عليه، فإنما نزل بعلمه وأمره «مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ» قيل: جاء على مصداق ما قبله من الكتب، وقيل: على وفق ما فيه، وقيل: مصدق لما بين يديه أنه حق، وقيل: يصدقه في التوحيد والعدل، وإن خالفه في الشرائع، وقيل: في صفة محمد. وما بين يديه هو التوراة «وَهُدًى» دلالة وبيانًا، وخص المؤمنين به لاهتدائهم به، ولو كان هدى لغيرهم، وقيل: رحمة وثوابًا «وَبُشْرَى» يعني إن كان نزل بالعذاب على الكافرين فقد نزل بالرحمة والبشرى للمؤمنين ومعنى «وَبُشْرَى» أي يبشرهم بالنعيم الدائم.

ويقال: هدى، وبشرى صفة من؟

قلنا: فيه وجهان: الأول: القرآن كأنه قال: نزله هدى وبشرى.

الثاني: جبريل هدى وبشرى، أي يأتي بالهدى والبشرى.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن في اليهود من كان يعتقد عداوة جبريل؛ لأن إظهار النبيّ ذلك وادعاءه عليهم وسكوتهم عن إنكاره دليل على عداوتهم إياه.

ويقال: أليس اليهود تنكر ذلك اليوم؟

قلنا: يحتمل أنه كان قول بعضهم، ويحتمل أنه جرى في محاجة كما يفعله كثير من المبطلين في ارتكاب الأمر العظيم ليتم ما يرومه من إثبات باطل، ويحتمل أنهم تركوا قول سلفهم للتبعة والفضيحة التي فيه، كقولهم: عزير ابن الله.

وتدل على عظم عداوة جبريل؛ لذلك ذمهم، وألزمهم الكفر والعذاب.

قوله تعالى:

﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾

القراءة

قرأ أبو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم «**ميكال**»[١] بكسرالميم، وبغير همز على وزن مفعال، وقرأ أبو جعفر ونافع: «**وميكائل**»[٢] مختلسين ليس بعد الهمز ياء على وزن ميكاعل، وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم بالمد والهمزوالإشباع على وزن ميكائيل، وكلها لغات صحيحة، وفيه لغة أخرى ميكئل مقصور مهموز على وزن ميكعل، وروي ذلك عن الأعمش، والاختيار «**ميكال**»، لأنه لغة أهل الحجاز، قال الشاعر:

وَيَوْمَ بَدْرٍ لَقِينَاكُمْ لَنَا مَدَدٌ ... فِيهِ مَعَ النَّصْرِ جِبْرِيلٌ وَمِيكَالُ[٣]

وقال جرير:

عَبَدُوا الصَّلِيبَ وَكَذَّبُوا بِمُحَمَّدٍ ... وبِجِبْرَئِيلَ وَكَذَّبُوا مِيكَالاَ

اللغة

المَلكُ وإن كان أصله من الرسالة ـ على ما تقدم ـ فقد اختص بنوع من الحيوان، فلذلك عطف عليه «**ورسله**».

---

(١) حجة القراءات ١/١٠٧.
(٢) حجة القراءات ١/١٠٧.
(٣) البيت قائله حسان بن ثابت.

والرسل جمع رسول.

۞ الإعراب

يقال: ما الواو في قوله: «وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ»؟

قلنا: فيه قولان: الأول: أنه واو العطف. والثاني: أنه بمعنى (أو)، يعني من كان عدوا لأحد هؤلاء فهو عدو للجميع.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى أن عداوة جبريل عداوة لله ورسله، فقال تعالى: «مَن كَانَ عَدُوًّا لله» أي معاديًا له، ولا يصح العداوة مع الله؛ لأنه طلب الإضرار به، وهذا مستحيل عليه، وإنما معناه أنه يفعل فعل المعاداة من المخالفة، والعصيان، وقيل: المراد معاداة، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٥٧] «وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ» وإنما أعاد ذكرهما وإن دخلا في جملة الملائكة تفضيلاً لهما وتفخيمًا لشأنهما، كقوله: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقيل: لأنه أبعد من الشبهة، لئلا يقول أحد: إنهما لم يدخلا في الملائكة الذين عناهم الله بهذا القول، ولأن النزاع جرى فيهما، فكان ذكرهما أهم «فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ» يعني يفعل بهم فعل المعادي من الإضرار والعقاب الدائم. ومعنى الآية أن من كفر بواحد مما ذكر كان كافرًا بالكل، والله يعاديه ويجازيه.

ويقال: قد جرى اسم الله ثم قال: «فَإِنَّ اللَّهَ» ولم يُكَنِّ؟ فما الوجه فيه؟

قلنا: فيه وجهان:

أحدهما: ليخرج عن حد الاحتمال؛ إذ لو كنى لاحتمل أن يعود إلى جبريل لتقدم ذكره.

والثاني: تأكيدًا.

فأما قوله: (عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ) فصرح ولم يُكَن وإن[1] جرى ذكرهم لوجهين: أحدهما: زوال الاحتمال، والثاني: ليدل أنهم مع عداوته لهم كافرون.

---

(١) وإن: قد، د، ز، ف.

ويقال: لم أوجب عداوة جبريل عداوة الله؟

قلنا: فيه أقوال: قيل: كان ينزل العذاب بأمره فمن عاداه بهذا السبب فهو في الحقيقة يعادي الله، وقيل: لأنه أنزل بالوحي على محمد بأمره تعالى، فإنكاره يوجب العداوة، [و] قيل: لأن عداوة جبريل كفر، والكافر عدو لله.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن من عادى واحدًا من الرسل والملائكة فقد عادى الله وجميع ملائكته ورسله، وأن المؤمن من آمن بالجميع، وقد طعن بعض الملحدة في هذا، وقال: كيف يجوز أن يقول عاقل: أنا عدو لجبريل؟

قلنا: الله تعالى إنما حكى ذلك عنهم لفرط جهلهم، وليس للجاهل والجهل غاية، ولا عجب [في] هذا ممن يعبد عجلاً، ويقول لنبي: «اجعل لنا إلها كما لهم آلهة»، وفي الآية تسلية للرسول في أنهم إن كذبوا فلا غرو، فقد فعلوا مثل هذه الأفعال، وقالوا مثل هذه الأقوال.

قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾﴾

۞ اللغة

الآية[١]: العلامة التي فيها عبرة، وقيل: العلامة التي فيها أعجوبة.

البينة: الدلالة الفاصلة بين الحق والباطل حتى يزول الالتباس، يقال: بَيَّنَهُ فتبين.

۞ الإعراب

(قد) تدخل في الكلام للتأكيد، أو تقريب الماضي حتى المستقبل، تقول: قد جاء زيد[٢]، وجاءني زيد وقد عزم على الخروج، أي عازمًا عليه.

---

(١) الآية: ـ، ف.

(٢) فتبين الإعراب... قد جاء زيد: ـ، د، ز.

۞ النزول

قيل: قال ابن صوريا للرسول فيما جرى بينهما من المحاجة[1] ، وفي حديث جبريل: ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل عليك من آية بينة فنتبعك لها، فنزلت الآية، عن ابن عباس.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى الحجة الدالة على نبوته عند محاجتهم فقال تعالى: «**بَيِّنَاتٍ**» يعني واضحات تفصل بين الحق والباطل «**وَمَا يَكْفُرُ بِهَا**» يعني بتلك الآيات «**إِلاَّ الْفَاسِقُونَ**» قيل: المتمردون في كفرهم، وقيل: الخارجون عن أديانهم، وهم علماء اليهود، فإنهم وإن أظهروا اليهودية فمن حيث حرفوا وغيروا، وكتموا، ولم يؤمنوا بمحمد ﷺ فقد خرجوا عن شريعة موسى (عليه السلام)، وقيل: معناه إلا الفاسقون في دينهم؛ لأن أهل الصلاح منهم لا يكفر به كابن سلام، عن الأصم، وقيل: أراد: كفرهم بهذه الآيات: كُفْرٌ بها وبما تقدمها من الكتب، وقيل: أراد المبالغة في الكفر، يعني لا يكفر بها إلا من بلغ[2] منتهاه في الكفر، كما يقال: لا يهلك على الله إلا هالك، عن أبي مسلم[3] .

۞ الأحكام

الآية تدل على أن القرآن معجزة دالة على صحة نبوته لما فيه من الإعجاز بالفصاحة، ولما فيه من أخبار الغيوب، ولما يتضمن من أصول الشرائع مع قلة الحروف، وكثرة المعاني، ولما يتضمنه من النظم والمواعظ والتحاميد والأحكام.

وتدل على حدث القرآن؛ لأن المراد بالآيات القرآن، ويستحيل الإنزال على القديم.

وتدل على أنه حجة لذلك وصفه بأنه بيان يفصل بين الحق والباطل.

(١) العجاب في بيان الأسباب ١/ ٣٠١
(٢) بلغ: بالغ، ف.
(٣) عن أبي مسلم: ـ ، د، ز، و.

قوله تعالى:
﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

القراءة

ظاهر القراءة «أَوَ» بفتح الواو على الاستفهام، وعن ابن السماك العدوي ساكنة الواو على النسق، وهو جائز في العربية، ولا يجوز القراءة به، لأن قراءة القرآن سنة يتبع فيها النقل المستفيض.

وقراءة العامة «**عاهدوا**» فعل ماض مضاف إليهم، وعن أبي رجاء العطاردي: «**عوهدوا**» جعلهم مفعولين.

اللغة

النَّبْذُ: طرح الشيء، نبذت الشيء أَنْبُذُهُ، ومنه سمي النبيذ؛ لأن التمر كان يلقى في الجرة وغيره.

والعهد: العقد، والعهد: الوصية.

الإعراب

الواو في قوله: «**أَوَكُلَّمَا**» واو عطف دخلت عليه ألف الاستفهام، عن سيبويه وجماعة من النحاة، وقد يدخل ذلك على الفاء، وثم نحو قوله: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ [يونس: ٤٢] ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾ [يونس: ٥١] وقيل: الواو زائدة، وليس بصحيح؛ لأنه مع صحة معناه لا يحكم بالزيادة.

ويقال: الضمير في قوله: «**أَكْثَرُهُمْ**» على من يعود؟

قلنا: على المعاهدين، ولا يصلح على الفريق؛ لأنهم كلهم كانوا غير مؤمنين، فأما المعاهدون فمنهم من آمن كعبد الله بن سلام، وكعب الأحبار.

ويقال: بم انتصب «**كلما**»؟

قلنا: لأنه ظرف، والعامل فيه (نَبَذَ)، ولا يجوز أن يعمل فيه «عَاهَدُوا»؛ لأنه منهم و(ما) إما صلة وإما صفة.

النزول

قال ابن عباس: لما ذكر النبيّ ﷺ ما عهد الله إليهم في التوارة في أمره والإيمان به، قال مالك بن الصيف[1]: والله ما عُهِدَ إلينا في محمد عَهْدٌ ولا ميثاق، فنزلت الآية، وقيل: عاهدوا النبيّ ﷺ عهودًا منها ألا يعينوا الكفار عليه، ثم نقضوا يوم الخندق ذلك، فأعانوا قريشًا، وأرادوا أن يلقوا عليه حجرًا فأخبره الله بذلك، وذلك في قريظة فنزلت الآية، عن عطاء.

المعنى

ثم أخبر تعالى عن اليهود أيضًا فقال: «أَوَكُلَّمَا» هو استفهام والمراد الإنكار، وكلما لفظة تقتضي التكرار، والمراد به: قد تكرر منهم العهد والنقض «عَاهَدُوا» يعني اليهود «عَهْدًا» قيل: هو الميثاق الذي أخذه الله عليهم لتؤمنن بالنبي الأمي، عن ابن عباس، وقيل: أراد العهود التي كانت اليهود أعطتها من أنفسهم أيام أنبيائهم، وفي أيام نبينا؛ لأنهم عاهدوه أن لا يعينوا عليه مشركًا، ثم نقضوا، وأعانوا قريشًا يوم الخندق،عن أبي علي. وقيل: هو العهود التي كانوا يعطون: لئن خرج النبيّ ﷺ لنؤمنن به، ولنخرجن المشركين من ديارهم قبل البعث، فلما بعث كفروا به، ونظيره ﴿مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البقرة: ٨٩]. وقيل: كانوا يعاهدون الله كثيرًا، وينقضون، فأخبرهم بما يعلمونه من أنفسهم ما لا يعلمه غيره تعالى، عن الأصم. وقيل: هو العلم بالتوراة وما فيها فلم يفعلوا، وكتموا وحرفوا إلا القليل، وهم الذين أسلموا «نَبَذَهُ» قيل: نقضه، وقيل: ألقاه وتركه «فَرِيقٌ مِنْهُمْ» أي جماعة، يعني أن جماعة نبذوا العهد «بَلْ أَكْثَرُهُمْ» يعني أكثر المعاهدين «لاَ يُؤْمِنُونَ» ودخل عليه (بل) لوجهين: أحدهما: أنه لما نبذه فريق بالنقض، وفريق بالجحد والتكذيب، ومعنى لا

(١) العجاب في بيان الأسباب ١/ ٣٠٢.

يؤمنون: لا يصدقون، واختلفوا قيل: لا يؤمنون بك حسدًا، وقيل: بكتابهم؛ لأنهم كانوا ينافقون، عن الأصم.

۞ النظم

يقال: كيف يتصل ذكر العهد بما قبله؟

قلنا: فيه قولان: أحدهما: أن يكون على قوله: «وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ» الآية فلما ذكر الميثاق ذكر النقض. الثاني على أنهم كفروا بنقض العهد، كما كفروا بالآيات.

۞ الأحكام

الآية تدل على قبح نقض العهد، وأن فيه ما يبلغ حد الكفر.

وتدل على أن ذلك تكرر من اليهود؛ لذلك قال: «كُلَّمَا».

وتدل على أن أكثرهم نقضوا وكفروا، ومنهم من آمن وإن كانوا القليل.

قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٠١﴾

۞ اللغة

النَّبْذُ: الطرح، نَبَذْتُ الشيء نبذًا فهو منبوذ.

ووراء: نقيض قدام.

والظَّهْرُ: خلاف البطن.

۞ الإعراب

مصدق بالرفع، وهو القراءة، صفة للرسول[1]، ويجوز في العربية النصب على تقدير جاء مصدقًا.

---

(١) للرسول: للرسل، ف، و.

۞ المعنى

ثم أخبر تعالى عن اليهود، وما قابلوا به رسوله، فقال تعالى ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ﴾ يعني جاء اليهود الذين كانوا في عصر النبي ﷺ «رَسُولٌ» قيل: محمد ﷺ عن السدي وأكثر المفسرين، وقيل: أراد بالرسول الرسالة، قال الشاعر:

لَقَدْ كَذَبَ الوَاشُونَ مَا بُحْتُ عِنْدَهُمْ　　بِلَيْلَى وَلاَ أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولِ[1]

عن أبي مسلم، قال علي بن عيسى: وهذا خلاف الظاهر، وقليل في الاستعمال «مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ» قيل: مصدق لكتبهم؛ لأنه جاء على الصفة التي تقدمت البشارة، وقيل: يصدق بالتوراة، أنها حق من عندالله «لِمَا مَعَهُمْ» قيل: التوراة والإنجيل، عن الحسن، وقيل: التوراة؛ لأن الخبر عن اليهود دون النصارى «نَبَذَ» قيل: ترك وألقى «فَرِيقٌ» طائفة «مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ».

ومتى قيل: لم قيل: «مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» ولم يقل: منهم وقد تقدم ذكرهم؟

قلنا: فيه قولان:

الأول: أنه أريد به علماء اليهود، فأعيد ذكرهم لاختلاف المعنى، عن أبي القاسم.

الثاني: للبيان لما طال الكلام.

«كِتَابَ اللهِ» قيل: القرآن، عن أبي علي، وقيل: التوراة، عن السدي والأصم وأبي مسلم، قال السدي: نبذوا التوراة، وأخذوا بكتاب آخر، وسحر هاروت وماروت «وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ» هذا كناية عن تركهم العمل به، فأخبر أنهم كفروا بإنكار الرسل، ونبذهم كتاب الله وراء ظهورهم.

ويقال: هل كان هؤلاء معاندين؟

قلنا: نعم عن قتادة وأكثر أهل العلم، قال أبو علي: ولا يجوز على جماعتهم

---

(١) البيت لكثير عزة في ديوانه وهو من بحر الطويل.

الكتمان؛ لأنه خلاف العادة، وإنما يجوز على العدد القليل؛ ولذلك قال: «**فَرِيقٌ مِنْهُمْ**».

ويقال: كيف نبذوا كتاب الله وهم متمسكون بالتوراة؟

قلنا: لأنهم لَمَّا لم يعملوا بها ابتغاء للرئاسة صاروا نابذين لهاوراء ظهورهم، وقال الشعبي: هو بين أيديهم يقرؤونه، ولكن نبذوا العمل به، وقال سفيان بن عيينة: أدرجوه في الحرير والديباج، وحلوه بالذهب والفضة، ولم يحلوا حلاله، ولم يحرموا حرامه، فذلك النبذ، هذا إذا حمل الكتاب على التوراة، وقيل: لما جاءهم الرسول بهذا الكتاب، ولم يقبلوه صاروا نابذين للكتاب الأول أيضًا الذي فيه البشارة، عن أبي مسلم. «**كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**» قيل: لا يعلمون أنه حق وصدق، والمراد أنهم علموا فكفروا بغيًا وعنادًا، وقيل: كأنهم لا يعلمون ما عليهم في ذلك من العقاب. وقيل: كأنهم لا يعلمون ما في كتابهم، يعني أحلوا أنفسهم محل الجاهل بالكتاب، عن الأصم.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن من لم يعمل بكتاب الله ردًّا وعنادًا يكفر.

وتدل على أن الذنب مع العلم به أعظم، وعقابه أكبر.

قوله تعالى:

﴿وَاتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

۞ القراءة

قرأ نافع وابن كثير وعاصم وأبو عمرو[(١)]: «وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ» بتشديد «وَلَكِنَّ» «الشَّيَاطِينَ» بالنصب على اسم لكن. وقرأ الباقون «وَلَكِن» بالتخفيف «الشَّيَاطِينُ» بالرفع، والمعنى واحد، وكذلك في الأنفال: «ولكن الله رمى» «ولكن الله قتلهم» على الخلاف، قال الكسائي: والاختيار إذا كان بالواو كان التشديد أحسن، وإذا كان بغير واو فالتخفيف أحسن، ووجه ذلك أن (لَكِنْ) بالتخفيف تكون[(٢)] عطفًا ولا تحتاج[(٣)] إلى الواو لاتصال الكلام، والمشددة لا تكون عطفًا؛ لأنها تعمل عمل (إِنَّ). وقرأ الكسائي على خلاف ما ذكر من الاختيار في العربية اتباعًا للاختيار في القراءة، وروي في الآية قراءات شاذة لا يجوز القراءة بها، فروي عن الحسن «الشياطون»[(٤)] بالواو، وقيل: إنه لحن، ويبعد أن يصح، عن الحسن مع مخالفته لظاهر الرواية.

وروي «مَلِكَيْنَ» بكسر اللام، عن ابن عباس والحسن والضحاك[(٥)].

وروي رفع التاء من «هاروتُ وماروتُ»، عن الزهري.

وعن بعضهم «يُعْلِمَانَ» مخففة.

والقراءة «بين المرء» بفتح الميم، وعن بعضهم بالكسر، وعن بعضهم بالضم، وكلها لغات، ولا يجوز القراءة إلا بما استفاض نقله.

وروي عن زيد بن علي (عليه السلام) «يُضِرْهُمْ» بضم الياء وكسر الضاد، ويحمل على أنه بَيَّنَ لو قرئ به لكان لغة صحيحة لا أنه قراءة.

۞ اللغة

اتبعه: اقتدى به، ومنه قيل: تَبِيعٌ وتَبِيعَةٌ لولد البقرة؛ لأنه يتبع أمه.

---

(١) حجة القراءات ١٠٨.
(٢) تكون: يكون؛ ز، و.
(٣) تحتاج: يحتاج؛ ز، و.
(٤) تفسير الطبري ١٩/ ٤٠٤.
(٥) روح المعاني١/ ٣٤٢.

والتلاوة: القراءة، تلا يتلو: قرأ، وتلاه: تبعه، وهو الأصل، وسمي التالي؛ لأنه التابع.

والسحر والحيلة والكهانة نظائر، سَحَرَ يَسْحَرُ سِحْرًا، وأصله من الخفاء، وسمي سحرًا؛ لأنه يوهم ـ لخفائه ـ نقل الشيء عن حقيقته، كفعل السحرة زمن موسى، أوهموا بفعلهما نقلا بالعصا حيوانًا، قال الله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦].

والفتنة: أصلها الامتحان، فَتَنْتُ الذهب بالنار: اختبرته؛ ليعلم أخالص أم مشوب، وفُتِنَ الرجل: اخْتُبِرَ، ويقال: أَفْتَنَهُ، وأنكره الأصمعي[(١)]، ولغة قريش فتنته، وبه جاء القرآن ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ [ص: ٣٤] ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠].

والمرء: تأنيثه المرأة.

والضر: نقيض النفع، وفتح الضاد وضمها لغتان، وأصله من النقصان، فالضر انتقاص الحق.

والنفع: الانتفاع، ورجل نَفَّاعٌ: ينفع الناس.

و(بئس) خلاف (نِعْمَ).

۞ الإعراب

(ما) في قوله: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٦٤] قيل: بمعنى (الذي) في معنى قول ابن عباس وقتادة والسدي، وقيل: بمعنى الجحد[(٢)]، عن ابن عباس ـ بخلاف ـ والربيع وأبي مسلم، فعلى الأول تقديره: والذي أنزل، وعلى الثاني: ما أنزل.

ويقال: (ما) عطف على ماذا؟ وما محله من الإعراب؟

قلنا: موضعه نصب، واختلفوا فيما عطف عليه قيل: على (ما) في قوله «**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو**» وقيل: عطف على السحر، وقيل: موضعه جر عطفًا على «**مُلْكِ سُلَيْمَانَ**» وتقديره: ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان، وعلى ما أنزل على الملكين، عن أبي مسلم.

(١) لسان العرب (فتن).
(٢) يعني أن (ما) نافية.

ويقال: علام يعود الضمير في قوله: «مِنْهُمَا»؟

قلنا: فيه خلاف قيل: على الملكين، عن أكثر المفسرين، وهو قول أبي علي، وقيل: يعود على السحر والكفر، عن أبي مسلم، قال: لأنه تقدم الدليل عليهما في قوله: «كفروا» كقوله: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ١٠، ١١] يعني يتجنب الذكرى.

ويقال: ما معنى (مَنْ) في قوله: «لِمَن اشْتَرَاه»؟ وأين جوابها؟

قلنا: فيه قولان: أحدهما: أنها بمعنى الجزاء، والآخر بمعنى (الذي)، وجوابها مكتف بجواب القسم، كقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾ [الحشر: ١٢] فلذلك رفع. و(هاروت وماروت): اسمان أعجميان لا ينصرفان، ومحلهما جر؛ لأنه بدل من الملكين.

ويقال: علام يعطف «فَيَتَعَلَّمُونَ»؟

قلنا: فيه ثلاثة أقوال:

الأول: قيل: يأتون فيتعلمون، وقد دل أول الكلام على (يأتون)، فيتعلمون: عطف عليه.

وقيل: يعلمون الناس السحر فيتعلمون، ذكر الوجهين الكسائي والفراء.

والثالث: يعلمان فيتعلمون، عن الزجاج.

ويقال: لِم لا يجوز أن يكون جوابًا للنفي في قوله: «وَمَا يُعَلِّمَانِ»؟

قلنا: لأن لفظه على النفي، ومعناه الإيجاب، كأنه قال: يعلمان إذا قالا: نحن فتنة فلا تكفر، واللام في قوله: «وَلَقَدْ عَلِمُوا» لام القسم.

❁ النزول

عن الربيع أن اليهود سألوا محمدًا ﷺ زمانًا عن أمور في التوراة لا يسألونه عن شيء من ذلك إلا أنزل الله عليه ما سألوا عنه فخصمهم، فلما رأوا ذلك قالوا: هذا أعلم بما أنزل علينا منا، وأنهم سألوه عن السحر وخاصموا به، فأنزل الله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَاطِينُ﴾ الآية.

وعن محمد بن إسحاق أن جماعة من أحبار اليهود قالوا: ألا تعجبون من محمد يزعم أن سليمان كان نبيًا، وما كان إلا ساحرًا، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

۞ المعنى

هذه الآية عطف على ما تقدم أي نبذ فريق منهم كتاب الله الذي في أيديهم «**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ**» وهو أيضًا إخبار عن مقابح اليهود، فقال تعالى: «**وَاتَّبَعُوا**» فيه ثلاثة أقوال: قيل: هم اليهود الذين كانوا على عهد النبي ﷺ، عن الربيع وابن زيد والسدي، وقيل: اليهود الذين كانوا زمن سليمان، عن ابن عباس وابن جريج وابن إسحاق، وقيل: الجميع عن بعضهم، قال: لأن مُبْتَغِي السحر من اليهود لم يزالوا منذ عهد سليمان إلى أن بعث الله نبيه محمدًا ﷺ، ومعنى اتبعوا اقتدوا به «**مَا تَتْلُو**» يعني الذي تتلو، قيل: تتبع وتعمل به، عن ابن عباس، وقيل: تقرأ، عن قتادة وعطاء، وقيل: تكذب على ملك سليمان، عن أبي مسلم، يقال: تلا عليه إذا كذب، وتلا عنه إذا صدق، وإذا أبهم جاز الأمران[1]، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [آل عمران: ٧٥] وقيل: تتحدث وتخبر عنه، عن أبي عبيدة وأبي علي. «**الشَّيَاطِينُ**» قيل: شياطين الجن، وقيل: شياطين الإنس والجن، عن أبي علي. وقيل: شياطين الإنس وهو الأوجه «**عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ**» عن ابن جريج. وقيل: على عهد ملك سليمان، وقيل: كذبوا على ملكه.

ومتى قيل: لم أضافوا السحر إلى سليمان؟

قلنا: فيه خلاف: قيل: عداوة، وقيل: ليقبل منهم، وكذبوا في ذلك، عن أبي علي. «**وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ**» يعني أن اليهود أضافوا[2] السحر إلى سليمان؛ لأن معنى قوله: «**مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ**» المراد به السحر عند جماعة أهل العلم، والسحر كفر، فرد الله تعالى عليهم وقال: «**وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ**» ولكن: أضافوا[3] السحر إليه، وزعموا أن ملكه كان به، عن ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير. قال ابن إسحاق: قالوا: ألا

(١) أحكام القرآن للجصاص ١/ ٦٨.
(٢) أضافوا: أضاف، د، و.
(٣) أضافوا: أضاف، د، ز؛ أخرفوا، ف.

تعجبون من محمد يزعم أن سليمان كان نبيًا، والله ما كان إلا ساحرًا، وتقدير الكلام: واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان من السحر فتضيفه إليه **«وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ»**.

ويقال: كيف كان سبب إضافة اليهود السحر إلى سليمان عندكم؟

قلنا: فيه خلاف، فقيل: إنه جمع كتب السحر ودفنه تحت كرسيه، وروي جَمَعَهُ في خزائنه، ومَنَعَ الناس من العمل به، فلما مات وظُهِرَ عليه، قالت الشياطين: بهذا كان يتم ملكه، وشاع في اليهود، وقبلوه لعداوتهم لسليمان، عن السدي، وقيل: الشياطين كتبوا السحر على لسان آصف[١] ، ودفنوه تحت كرسيه، وكان سليمان لا يعلم الغيب، فلما مات أخرجوه وخدعوا به الناس، وقالوا: هذا علم سليمان، عن الكلبي، وقيل: كان أودع تحت كرسيه شيئًا من علومه كيلا يضيع، فاستخرجوه، وكتبوا بين أثناء أسطرها بخط يشبه المكتوب فيه أشياء من السحر والكهانة، ثم عرضوها على الناس وأضافوها إلى سليمان، وقيل: كان سليمان لا يصبح يومًا إلا وينبت في محرابه نبت فيذكر اسمه لأي شيء يصلح، ونفعه وضره، حتى نبت الخُرْنُوب[٢] ، فغرسها فلم يلبث أن مات، وجعل الناس يقولون في مرضاهم لو كان لنا مثل سليمان، فكتب الشياطين كتب السحر، ودفنوه تحت مصلاه، ثم قالوا: هل ندلكم على ما كان سليمان يداوي به؟ فانطلقوا واستخرجوا ذلك الكتاب فإذا فيه السحر، فرد الله عليهم ذلك.

ومتى قيل: من الذين أضافوها إليه؟

قلنا: سفهاء بني إسرائيل، فأما صلحاؤهم فلم يقبلوا ذلك، وقالوا[٣] : معاذ الله أن يكون هذا علم سليمان، وقيل: بعض أَحْبَارِهِمْ، ثم تبعهم العوام **«وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ»** قيل: كفروا بتعليم السحر، وقيل: كفروا ومع ذلك يعلمون السحر أيضًا **«السِّحْرَ»** قيل: هو الحذق والعلم. وقيل: هو تمويه يُظَنُّ أنه شيء، ولا حقيقة له **«وَمَا أُنزِلَ»** قيل: الذي أنزل، ثم اختلفوا على قولين:

الأول: يعلمون السحر، وما أنزل على الملكين من ذلك، ليعلم الناس كيف هو

(١) آصف بن برخيا، كاتب سليمان ـ عليه السلام ـ. الإتقان ٢/ ٢٩٠.

(٢) شجر ينبت بأرض الشام. العين (خرنب).

(٣) وقالوا: وقال، ز، و.

حتى يجتنب، فيبطل التمويه على الناس أنه من جنس المعجزات، قال أبو علي: أنزلهما الله تعالى من السماء وجعلهما بهيئة الأنفس حتى يُبَيِّنَا للناس بطلان السحر، وقال الحسن وقتادة: أخذ عليهما ألا يُعَلِّمَاهُ حتى يقولا: إنما نحن فتنة، فلا تكفر.

الثاني: اتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما أنزل على الملكين، وكذبوا في الوجهين.

وقيل: ما أُنْزِلَ: أي لم ينزل السحر على الملكين؛ لأن ما ينزل عليهما ينزله الله تعالى، فالسحر لا يضاف إليه، ولهذا أضافه إليهم وكفَّرَهُم به «**وَيُعَلِّمُونَ**» يعني الشياطين دون الملكين، عن أبي مسلم. المِلكين قيل: بكسر اللام، عن الحسن، وقال: كانا عِلْجَيْنِ[1] أعجمين أغلفين ببابل، عن الحسن والضحاك، وقيل: كانا رجلين، عن السدي، وقيل: كانا ملكين نزلا من السماء، عن ابن عباس وعائشة، وهو اختيار أبي علي وأبي مسلم، وهو الصحيح «**هَارُوتَ وَمَارُوتَ**» قيل: ملكان يسميان بذلك، وقيل: جبريل وميكائيل، وقيل: كان ذلك زمن إدريس (عليه السلام)؛ لأنهما إذا كانا ملكين نزلا بصورة البشر لهذه البغية، ولا بد من رسول في وقتهما ليكون ذلك معجزة له، ولا يجوز كونهما رسولين؛ لأنه ثبت أنه تعالى لا يبعث الرسول إلى الإنس إلا منهم، وذكر الأصم في ذلك وجهًا، فقال: «**وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ**». تم الكلام، ثم ابتدأ فقال: ولكن ببابل هاروت وماروت يعلمان، وهما رجلان.

ويقال: هل يصح ما روي في قصة هاورت وماورت أنهما اختيرا من الملائكة، وركب فيهما الشهوة لما عيرت الملائكة بني آدم بالعصيان، وأنزلا إلى الأرض، وتحاكم إليهما رجل وامرأته فمالا إليها، وكانت تسمى زهرة، وشربا الخمر، وقتلا رجلاً رآهما وحكما لها باطلاً، وسجدا للصنم، وعلما الزهرة الاسم الأعظم، فصعدت السماء فمسخت نجمًا، وهو الزهرة، وإن سهيلاً[2] [كان] عَشَّارًا[3] ، وأنهما عذبا في بابل في بئر منكوسين يعلمان الناس السحر؟ وما روي أن النبيّ ﷺ سحر حتى كان لا يدري ما يقول؟

(١) أحكام القرآن للجصاص ١/ ٦٨.

(٢) النجم المعروف.

(٣) قيل: إنه كان رجلا ظالما يأخذ من الناس عُشْر أموالهم ظلما فمسخه الله. البداية والنهاية ١/ ٣٨.

قلنا: قيل: مثل هذا لا يليق بكلام أهل العلم، وإنما هو حشو وهذيان، وقد قال تعالى في صفة الملائكة: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾ [التحريم: ٦] ونحوها من الآيات التي ذكرناها، والذي ذكرناه هو قول الحسن، وكل موثوق بعلمه من أهل الدين، ومن أجاز مثل ذلك على الملائكة والرسل لا يمكنه معرفة النبوَّات، ولا يوثق برسول وقوله وفعله، وما روي في حديث النبي ﷺ فغلط عظيم، وقد قال تعالى: ﴿يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] وهذا القول يشبه قول الكفرة حيث قالوا: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الإسراء: ٤٧] ونعوذ بالله من الخذلان.

«**بِبَابِلَ**» قيل: اسم بلد لا ينصرف، عن الكسائي، وقيل: بابل العراق، عن الحسن، وعائشة، وقيل: بابل دیناوند، عن الضحاك والسدي، ولم سمي بابل، قال الخليل: لأن ألسنتهم تبلبل بها، يعني اختلفت اللغات «**وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ**» يعني الملكين «**حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ**» قيل: نحن امتحان واختبار نبين السحر لِيُجْتَنَبَ ولا[1] يُكْفَرُ بعمل السحر، فإنما بعثنا لنمنع الناس منه، ونبين بطلانه، عن أبي علي، وقيل: نحن عقوبة على من لا يقبل نصيحتنا فلا تكفر، وقيل: ما أنزل عليهما السحر وما علماه، فكانا لا يعلمان أحدًا شيئًا إلا وينصحان فيقولان: لا تكفر، ينهيان عن الكفر والسحر، عن أبي مسلم، وقيل: كانا علجين، وقولهما: لا تكفر كقول الخليع: أنا في ضلال فلا تفعل ما أنا فيه، وتقديره إنما نحن ضلال كفار، فلا تكفر أنت، عن الحسن. ولا تكفر فيه ثلاثة أقوال: قيل: بعمل السحر، وقيل: لا تكفر بتعلم السحر، وقيل: بواحد منهما «**فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا**» من الملكين، عن أكثر المفسرين، وهو قول أبي علي، وقيل: من السحر والكفر، عن أبي مسلم، وتقديره: فيتعلمون مكان ما علمناه، وقيل: من الشياطين وهاروت وماروت، عن الأصم «**مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ**» أي يفرقون بما يتعلمون بينهما، قيل: بالنميمة والتضريب، فينغص كل واحد منهما إلى صاحبه، عن قتادة، وقيل: إذا عمل بالسحر كفر، فحرمت عليه زوجته، فكأنه يغريه بالكفر والسحر فيفرق بينه وبين زوجته، عن أبي مسلم «**وَمَا هُمْ**» يعني الذين يفرقون بين المرء وزوجه «**بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ**

(١) ولا: فلا، ف، و.

اللَّهِ» يعني لا يلحقان ضررًا بغيره إلا بإذنه. و«**مِنْ**»: صلة، وتقديره وما يضران أحدًا، واختلفوا في معنى الإذن، قيل: بعلم الله تعالى، عن أبي علي والأصم، من قوله: ﴿فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٩]. وقيل: الإذن، بسكون الذال وكسر الهمزة، والأَذَن بفتحهما[1] بمعنًى، كشِبْهٍ وشَبَهٍ، ومِثْلٍ ومَثَلٍ، عن أبي مسلم، وقيل: بتخلية الله، قال: من شاء الله منعه من السحر، فلم يضره، ومن شاء خلى بينه وبينه فضره. وروى سفيان: (إلا بقضاء الله) ويحمل على معنى العلم، وقيل: بإذن الله لخلقه، وهو كالأمراض[2] التي تحصل عند سقي السم والأطعمة وغيره، عن أبي علي، «**وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ**» لأنهم يصيرون به إلى العذاب الدائم «**وَلَقَدْ عَلِمُوا**» يعني اليهود الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم «**لَمَنِ اشْتَرَاهُ**» استبدل السحر بدين الله، فالهاء في اشتراه كناية عن السحر، عن قتادة وابن زيد وجماعة. وقيل: كانوا يعطون الأجرة عليه، فذلك اشتراؤهم له، عن أبي علي «**مَا لَهُ**» يعني ما لِمَنْ اشتراه «**فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ**» قيل: نصيب من الخير، عن مجاهد وسفيان والسدي. وقيل: ما له دِينٌ، عن الحسن. وقيل: من خلاص. «**وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ**» يعني ما باعوا به حظ أنفسهم، حيث اختاروا الكفر على الإيمان، عن السدي وغيره «**لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**».

ويقال: لم قال «**لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**» وقبله «**وَلَقَدْ عَلِمُوا**»؟

قلنا: فيه قولان: الأول: هما فريقان فريق علموا وعاندوا، وفريق جهلوا، عن الأصم. الثاني: هم فريق واحد إلا أنهم ذموا في أحد الكلامين بنفي العلم؛ لأنه بمنزلة المنتفي، حيث لم يعملوا به، وأخبر عن حالهم في الكلام الثاني. وقيل: الذين علموا الشياطين، والذين لم يعلموا الناس، وأنكر بعضهم للإجماع أن المراد بقوله: «**لَمَنِ اشْتَرَاهُ**» اليهود دون الشياطين، وقيل: لو كانوا يعلمون كنه ما أعد الله لهم من العذاب، عن أبي مسلم.

۞ الأحكام

الآية تدل على جواز إنزال الملك لبيان الشبه، وإن تعلق به من لا يريد الدين؛

(١) بفتحهما: بفتحها، د، ز، و.

(٢) كالأمراض: الأمراض، ز، ف.

لأنه تعالى أنزل الملكين لبيان السحر والنهي عنه. وقيل: كثر السحر والتكهنات[1] في زمانهم، فأنزل الله الملكين ليميزوا بين المعجز والشعبذة، وبَيَّنَا بطلان السحر.

ويدل قوله: «**وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ**» على وجوب نصيحة المعلم للمتعلم.

وتدل على أن الأفعال تختلف بالمقاصد؛ لذلك كان تعليم السحر لإزالة الشبهة والتَّجَنُّبِ له إيمانًا، وتَصْدِيقُهُ والعمل به كفر.

وتدل على أن أفعال العباد فِعْلُهم؛ لذلك أضافه في مواضع إليهم، وذمهم بها.

وتدل على أن في السحر ما هو كفر، فلذلك قال: «**وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ**».

وتدل أنه لا حقيقة له، فإنه تمويه.

وتدل على أن تعليم السحر لا يكون كفرًا.

وتدل على أن التمسك به تفريق، ويوجب العقاب.

وتدل على أنه[2] يكون في الضرر ما يكون من فعل الله تعالى، كما يحصل عند شرب السموم والأدوية والأطعمة.

فصل الكلام في أحكام السحر

يشتمل على ستة فصول منها: تعليمه، ومنها: تعلمه، ومنها: العمل به، ومنها: حقيقته وكيفيته، ومنها: بيان ما هو كفر وما ليس بكفر، ومنها: حكم الساحر، ومن يقتل، ومن يعزر، ومنها: هل تقبل توبته أم لا؟

أما الأول: فتدل الآية على أن تعليم السحر يحسن حيث عَلَّمه المَلَك، ولا شبهة أنهما عَلَّما ذلك بأمر الله ووحيه.

واختلفوا هل يجوز التعليم من غير قرينة أم لا؟ فمنهم من قال: لا يحل إلا مع

(١) التكهنات: التبريجات، ز، ف، و.

(٢) أنه: أن، د، ف.

المنع من استعماله؛ ولذلك قالا: «فَلَا تَكْفُرْ». ومنهم من أجازه[١] مطلقًا، وإذا حسن منا أن نَذْكُر شبه الملحدة لإزالة الإيهام؛ فلذلك جاز بيان السحر لبيان بطلانه وإزالة الإيهام. وكذلك يحسن منا أن نعلم النكاح الفاسد والصحيح، والبيوع الفاسدة، والأشربة؛ ليتبين المباح من المحظور؛ ولذلك بين الله تعالى لنا القبيح والحسن، وأما تعلمه ليجتنب، ويفرق بينه وبين غيره فيحسن[٢]، وتعلمه للعمل به يقبح[٣].

فأما الثاني: فلا شبهة أن العمل بالسحر مذموم، ولذلك ذمهم، وفيه ما هو كفر؛ لأن الكفر لا يتعلق بالتعلم والتعليم، وهما[٤] يعلمان[٥] ذلك، فلم يبق إلا أن يتعلق الكفر بالعمل بالسحر، واعتقاد صحته.

وأما الثالث: فقد قال أصحابنا: لا حقيقة للسحر، وإنما هو تمويهات، ويبعد أن يكون القول بأن له حقيقة قولاً لمحقق، ولأنه يؤدي إلى إبطال المعجزات، وأن يلتبس فعل الله بفعلهم، وقد فصل ذلك الشيخ أبو بكر الرازي وغيره، فقالوا: السحر على وجوه خمسة منها: سحر بابل، وكانوا يعبدون الكواكب، فيزعمون أنها حية فعالة، وطائفة منهم عملوا أوثانًا على أسماء الكواكب السبعة، وتقربوا إليها بضروب من القربان، فمن أراد خيرًا تقرب إلى المشتري، ومن أراد شرًا تقرب إلى زحل، ومن أراد غرقًا أو حرقًا تقرب إلى المريخ، ونحو ذلك، ويزعمون أن عند ذلك تفعل الكواكب ما شاؤوا[٦] من قلب الأعيان، وتغيير الصور، ونحوها، فتجعل الإنسان كلبًا، وتقطع مسافة بعيدة في مدة قريبة، فيعتقدون [في] الكواكب أنها تقدر على قلب الأعيان والصور والنفع والضرر، وهذا فاسد؛ لأنها جماد، ولأنها محدثة، قد ثبت حدوثها، ولأنها جسم، وكل ذلك يدل على أنها لا تقدر على هذه الأشياء.

ومنها: سحر آل فرعون، فإنهم بالحيل يخيلون ما ليس بحي أنه حي، كما قال

(١) أجازه: اختاره، ز، ف، و.
(٢) فيحسن: يحسن، ف، و.
(٣) يقبح: يقبيح، د، ز.
(٤) يقصد الملكين
(٥) يعلمان: يعملان، ز، و.
(٦) شاؤوا: شاؤا، د، ز.

تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦] ومن هذا القبيل، مَنْ يدعي أنه يذبح عصفورًا، ثم يحييه، ويخزق[1] ثوبًا ثم يصححه، وهذا نوع من خفة اليد والشعبذة.

ومنها: [ما] يدعيه بعضهم من طاعة الجن والشياطين له، وأنه يتوصل إلى ما يريده بالعزائم، كما يعتقده كثير من الجهال، فيدعي أنه يفعل مثل تلك الأفاعيل ويعلم الغيب؛ لأن الجن تخبره.

ومنها: ما يدعيه بعضهم بالتوصل إلى الأمور بالنميمة والتضريب، وأصناف الكلام.

ومنها: ما يتوصل إلى تمريض وإماتة بالأدوية والأطعمة التي يطعمها، أو يبخر بها فيصل الدخان إلى دماغه كالسموم أو نحوها، وقد أجرى الله تعالى العادة بإحداث أمور عند إطعامه، وأدوية من مرض وصحة وإماتة، وذلك فعله تعالى لا فعل الساحر، وجميع ما يدعون مخاريق وتمويهات، ولا يقدرون على شيء، من ذلك ولو قدروا لأبطلوا أمر النبيين، ولقتلوا المؤمنين مع شدة عداوتهم لهم. فأما ما ترويه الحشوية أن امرأة أتت عائشة، وقالت: إني ساحرة، فهل لي من توبة؟ فقالت: وما سحرك؟ قالت: صرت إلى بابل هاروت وماروت أطلب السحر، فقالا: يا أمة الله لا تختاري عذاب الله، اتقي الله، فأبيت فقالا: اذهبي فبولي على ذلك الرماد، فذهبت وعدت، ولما أفعل، وقلت: فعلت، فقالا: فهل رأيت شيئًا؟ قلت: لا، قالا: أنت على رأس أمرك لم تفعلي شيئًا، اتقي الله، فأبيت حتى فعلت مرتين ثم بلت في الثالثة على الرماد فرأيت فارسًا مقنعًا في حديد خرج من فرجي، فعدت إليهما فأخبرتهما بما رأيت، فقالا: ذلك إيمانك، وقد تعلمت السحر، وما تريدين شيئًا كان، فصورت في نفسي حبًّا من حنطة، فإذا أنا به فقلت ليزرع فخرج من ساعته سُنْبُلَهُ، فقلت: تطحن وتخبز، فصار خبزًا، فكنت لا أريد شيئًا إلا كان، فقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ : ليست لك توبة[2] . ورووا أكثر من هذا، قالوا: سحر النبي ﷺ فمرض، وقالوا:

(١) الخَزْق: طعن الشيء والنفاذ منه. اللسان (خزق)

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى بلفظ قريب ٨/ ١٣٧ حديث رقم (١٦٢٨٢)

وقال: «إنه ليخيل إلي أن أقول الشيء وأفعله، ولم أقله ولم أفعله[1]»، وهذا كله أباطيل وترهات، لا تجوز على الله، ولا على رسوله؛ لأنه يبطل المعجزات بل يبطل الطريق إلى إثبات الصانع؛ إذ لو جاز ذلك لجاز أن يقال: إن ساحرًا خلق السموات والأرض، وهذا كفر ممن يُجَوِّزُهُ.

فأما حديث بنات لبيد بن أعصم[2]، فيجوز أن يكونوا اعتقدوا السحر حقيقة، فأطلع الله تعالى نبيه عليه حتى يعلموا أنه ليس بشيء، وتدل على معجزة له.

فأما الرابع: فالذي هو كفر فوجهان[3]: الأول: تجويز الاختراع والتصوير وعلم الغيب وما لا يقدر عليه إلا الله تعالى؛ لأنه يبطل الطريق إلى إثبات الصانع. والثاني: تجويز ما جرى مجرى[4] المعجزات؛ لأن معه لا يتمكن من معرفة النبوءات، وما عدا هذين ففسق يوجب التعزير، وليس بكفر.

فمثال الأول: أن يجوز من أحدهم تغيير الصور، وأخذ الدراهم من الهواء ونحوها، ولا فرق بين أن يُجَوِّزَ فعله من الساحر، أو من النجوم، أو من الجن، فإن جميع ذلك كفر.

ومثال الثاني: أن يجوز أن يطير بغير جناح، ويقطع المسافة البعيدة في مدة قريبة، ومن هذا القبيل سحر آل فرعون، وذلك كفر لما ذكرنا.

ومثال الثالث: ما هو من جنس التضريب والنميمة، وسقي الأدوية والسموم؛ لأن ذلك يؤدي إلى إبطال الفضل، ولا يقدح في معجزة، وقد نبه الله تعالى على الوجهين حيث أشار في بعضه إلى أنه كفر، وفي بعضه إلى أنه ضرر وتفريق بين الزوجين.

فأما الفصل الخامس: فكل سحر هو كفر ففيه القتل؛ لأن حكمه حكم المرتد، وما ليس بكفر فهو فسق، وفيه التعزير.

---

(١) أورده البخاري عن عائشة قالت: سحر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى إنه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله» ٥/ ٢١٧٦ حديث رقم ٥٤٣٣، ورواه أبو يعلي في مسنده ٨/ ٢٩٠ حديث رقم (٤٨٨٢) والبيهقي في السنن الكبرى ٨/ ١٣٥ حديث رقم (١٦٢٧١).

(٢) قيل: إنهن سحرن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ

(٣) فوجهان: وجهان، د، ز.

(٤) مجرى: يجري، و.

فإن قيل: فقد روي عن الصحابة ما يدل على أن كل سحر كفر، وأن كل ساحر يقتل؟

قلنا: أما إكفارهم لكل ساحر فلا يقتل فيه، وقتلهم للساحر محمول على أنهم عرفوا من سحره ما يوجب قتله، ومعلوم أن بالتضريب وسقي السم لا يستحق القتل وإنما فيه التعزير والحبس على ما يراه الإمام.

وأما الفصل السادس: فقيل: إنه يقتل، ولا يستتاب، ولا تقبل توبته؛ لأن مع كفره جمع السعي في الأرض بالفساد، إلا أن تكون توبته قبل القدرة، فتقبل كحكم الساعي في الأرض بالفساد، وهذا قول أبي حنيفة[1] وأصحابه - رضي الله عنهم -، وقيل: لا تقبل توبته أصلاً، ويقتل بمنزلة الزنديق؛ لأن كفره يثبت سرًّا، ولا يوثق بتوبته، وهذا قول مالك[2]، وذكر الشيخ أبو بكر - رحمه الله - عن مالك أن ساحر أهل الكتاب لا يقتل إلا أن يضر بالمسلمين، فيقتل لنقض العهد. وقيل: تختلف حاله، فإن كان سحره كفرًا فهو كالمرتد، وإن كان احتيالاً فهو كالجاني، فإن قَتَلَ بجنايته أجري عليه أحكام القتل من قود أو دية، وهذا قول الشافعي[3]، ومن أصحابه من يقول: للسحر حقيقة، فلا بد أن يحمل على التفصيل الذي ذكرناه.

قوله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

۞ اللغة

المثوبة والثواب والأجر نظائر، وأصل الثواب: ما رجع إليك من شيء، وبذلك سمي الثواب؛ لأنه العائد على صاحبه مكافأةَ ما فَعَلَ، وأصله الثوب، وهو الرجوع، يقال: ثاب إليه: رجع، وحد الثواب: الجزاء على العمل بالإحسان.

(١) فتح القدير ٥/ ٣٥٢.

(٢) أنوار البروق في أنواع الفروق ٤/ ١٥١

(٣) أحكام القرآن للجصاص ١/ ٧٣.

۞ الإعراب

اللام في قوله: «لَمَثُوبَةٌ» لام الابتداء؛ لأنها دخلت على الاسم كما تدخل في (علمت لزيد خير منك).

ويقال: أين جواب لو؟

قلنا: لأثيبوا، ووقع (لمثوبة من عند الله) موقعه لدلالته عليه، وقيل: شبهت (لو) بـ(لئن)[1]، فأجيبت بجوابها، المعنى: لَئِنْ[2] آمنوا لمثوبة.

۞ المعنى

«**وَلَوْ أَنَّهُمْ**» يعني الذين يتعلمون السحر، ويعلمونه، وقيل: هم اليهود ومن يسلك مسلكهم «**آمَنُوا**» أي صدقوا محمدًا ﷺ والقرآن «**وَاتَّقَوْا**» قيل: السحر والكفر، وقيل: جميع المعاصي «**لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ**» أي لأثيبوا، وثواب الله خير «**لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**»، عن قتادة والربيع والسدي، قال الحسن: يعلمون أن ثواب الله خير من السحر، ولو علموا ما أعد الله للمؤمنين من الثواب لآمنوا، عن أبي مسلم، وقيل: إنهم لا يعلمون، فينبغي أن يعلموا ويطلبوا ما هو خير لهم من السحر، عن أبي علي.

۞ الأحكام

الآية تدل على بطلان قول أصحاب المعارف؛ لأنه نَفَى ذلك العلم عنهم، عن أبي علي.

وتدل على أنهم متمكنون من الإيمان قادرون عليه، وذلك يدل على الاستطاعة قبل الفعل، وأن العبد متمكن من الإيمان والكفر، وفيها ترغيب في الإيمان والتقوى والتنفير عن السحر والعمل به.

---

(١) لئن: تلين، ف، و.

(٢) لئن: لإن، د، ز، و.

قوله تعالى:
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٠٤﴾

القراءة

قراءة العامة «رَاعِنَا» بغير تنوين، وعن الحسن بالتنوين[1] ، أي قولا: راعنا، من الرعونة.

و«انظُرْنَا» قراءة العامة موصولة الألف من النظر، وعن أبي بن كعب بقطع الألف، يعني أَخِّرْنَا.

اللغة

المراعاة والمحافظة والمراقبة نظائر، ونقيضه الإغفال، يقال: رَاعِنِي سمعَك، أي استمع وأصغ إلي.

والنظر مشترك، يقال: نظر بعينه، ونظر بقلبه، [ونظر] بفكره. وأَنْظَرَه: أَخَّرَهُ، ونَظَرَهُ: انتظره.

والأليم: المؤلم، وهو الموجع، فعيل بمعنى مُفْعِل.

النزول

روي أن المسلمين كانوا يقولون: يا رسول الله راعنا، أي اسمع منا، وكانت هذه اللفظة شَيْنًا بلغة اليهود، وقيل: كانت عندهم: اسمع، لا سمعت، وقيل: هو إلحاد إلى الرعونة، فلما سمعت اليهود ذلك اغتنموا لها، وكانوا يقولون: راعنا، ويضحكون فيما بينهم، فسمع ذلك سعد بن معاذ، فقال: لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله ﷺ لضربت عنقه[2] ، فقالوا: أولستم تقولون ذلك، فأنزل الله تعالى هذه

(١) الناسخ والمنسوخ، للنحاس، ١٠٥.

(٢) العجاب في بيان الأسباب، لابن حجر، ١/ ٢٤٤.

الآية، ومنع المؤمنين من إطلاق هذه اللفظة كيلا يقولها اليهود على وجه الاستهزاء والسب، وهو معنى قول قتادة وعطية، وقيل: كان يهودي يقال له: رفاعة بن زيد هو الذي قال ذلك فنزلت الآية، عن السدي.

۞ المعنى

لما تقدم النهي عن السحر الذي كان عليه اليهود عقبه بالنهي عن إطلاق هذه اللفظة على ما يفعلها اليهود، فقال تعالى: «**يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا راعِنَا**» قيل: لا تقولوا هذه اللفظة لكيلا يجد اليهود سبيلاً إلى سب رسول الله ﷺ، وقيل: لا تقولوا: اسمع منا ونسمع منك، عن ابن عباس ومجاهد. وقيل: لا تقولوا خلافًا، عن عطاء، وقيل: هي كلمة كانت الأنصار تقولها في الجاهلية، فنهوا عنها في الإسلام، وقيل: لما لم يكن في هذه اللفظة تعظيم نهوا عنه، وأمروا أن يقولوا: انظرنا، أي قفنا، وانتظرنا حتى نفهم عنك، وقيل: هي كلمة يقولها أهل الحجاز على وجه الهزؤ عن قطرب. وقيل: فيه نوع تهديد، وطلب مساواة، وينبغي أن يكون خطابه على وجه التعظيم، وقال أبو علي: هي كلمة كانت اليهود تلوي بها ألسنتهم، كقوله: ﴿وَرَٰعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ [النساء: ٤٦] «**وقولوا انظرنا**»، لنفهم[(١)] ونتبين. وقيل: فقهنا وبَيِّنَ لنا، عن مجاهد «**وَاسْمَعُوا**» قيل: اسمعوا ما يأتيكم به[(٢)] الرسول، عن الحسن والسدي. وقيل: اقبلوا منه ما يأمركم به، نحو: سمع الله لمن حمده، عن أبي علي «**وَلِلْكَافِرِينَ**» بمحمد والقرآن «**عَذَابٌ أَلِيمٌ**» أي وجيع.

۞ الأحكام

الآية تدل على المنع من إطلاق لفظ، وإباحة لفظ آخر، ولا يمتنع في الكلمتين أن يكون الصلاح في المنع من أحدهما، وإباحة الآخر مع اتفاقهما في الفائدة، أو لمصلحة في أحدهما، أو الإيهام في أحدهما، ولكن لا بد في هذين اللفظين من تمييز حتى يصح ذلك، ثم يجوز أن يرجع النهي إلى اللفظ، ويجوز أن يرجع إلى المعنى. وتدل على أن في أحد اللفظين تعظيمًا ومصلحة ليست في الآخر.

---

(١) لنفهم: نفهم، ز، ف، و.

(٢) به: ـ، (ل).

وتدل على أن كل لفظة فيها إيهام لا يجوز إطلاقه على الله ورسوله على ما يذهب إليه في أسماء الله وصفاته.

قوله تعالى:
﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾

۞ اللغة

يود: يحب، وهو من الود، وهو المحبة، وهو يرجع إلى الإرادة التي هي فعل العباد، وقد يستعمل بمعنى الشهوة التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى، يقال: يود جاريته ويحبها.

والخير: نقيض الشر.

والاختصاص بالشيء: هو الانفراد به، يقال: خصه بالشيء إذا فضله به.

والرحمة: النعمة على المحتاج.

۞ الإعراب

يقال: في قوله: «**وَلاَ الْمُشْرِكِينَ**» لم خفض، وهل يجوز فيه الرفع؟ وما محله من الإعراب؟

قلنا: هو عطف على (أهل الكتاب)، فيكون مجرورًا، ويجوز فيه الرفع على (الذين كفروا)، وموضعه رفع؛ لأنه كالفاعل، ومثله مما يجوز فيه الوجهان، قوله تعالى: ﴿وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة: ٥٧] فروي بهما جميعًا[(١)] .

ويقال: ما معنى (مِنْ) الأولى والثانية؟

قلنا: [أما] الأولى «**من أهل الكتاب**» فهي للتنويع، كقوله: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ

(١) إلا أن الوجهين الجائزين هنا هما النصب والجر، والنصب بالعطف على (الذين اتخذوا)، والجر بالعطف على (الذين أوتوا) من قوله تعالى: «لا تتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء».

مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠]. والثانية التي مع خَيْرٍ فهي زائدة مؤكدة، كقولك: ما أتاني من أحد، وموضعها[١] رفع، والثالثة في «**من ربكم**» فلابتداء الغاية.

۞ النزول

قيل: روي أن المسلمين كانوا يقولون لليهود: آمنوا بمحمد ﷺ، وما أنزل عليه، فقالوا: ما هذا الذي يدعونا إليه خير مما نحن عليه، ووددنا إن كان خيرًا، فأنزل الله تعالى هذه الآية تكذيبًا.

۞ المعنى

هذا أيضًا إخبار عن اليهود، فقال تعالى: «**مَا يَوَدُّ**» يعني ما يحب وما يريد «**الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**» قيل: أراد اليهود، ويحتمل اليهود والنصارى «**وَلاَ الْمُشْرِكِينَ**» يعني مشركي العرب «**أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ**» يعني محمدًا وأصحابه، وقيل: أراد محمدًا، وكنى عنه بلفظ الجمع تعظيمًا «**مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ**» قيل: الوحي المنزل، عن الحسن وغيره، وقيل: الكتاب والحكمة، عن الأصم «**وَاللَّهُ يَخْتَصُّ**» أي يتفضل ويتفرد به «**بِرَحْمَتِهِ**» قيل: بالنبوة، عن الحسن وجماعة، وقيل: الإنعام بالثواب، وقيل: بالألطاف، وليس ذلك على أنه يمنع أحدًا ألطافه، ولكن يعطيه من يعلم أنه يصلح به، وقيل: يختص برسالته للأصلح، ولا يقف على شهوات الخلق واقتراحهم «**وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**» يعني أن كل نعمة وفضل دينًا ودنيا، فمنه تعالى ابتداء خَلَقَهُ به من غير استحقاقٍ سلفَ، فهو عظيم النعم والفضل.

۞ الأحكام

الآية تدل على أنه تعالى يبعث من هو أصلح، وأقرب إلى القبول، ولا يبعث مما يتمناه الخلق.

ويدل على أن فضله عظيم، فيفعل بعباده ما هو أصلح في دينهم.

---

(١) يقصد موضع (خير).

قوله تعالى:

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾

القراءة

قرأ ابن عامر «ما نُنسِخ» بضم النون وكسر السين، والباقون بفتحها، فأما القراءة العامة فمن قولهم: نسخت الكتاب، فأنا ناسخ، والكتاب منسوخ. وأما قراءة ابن عامر ففيها وجهان: أحدهما: ما قاله أبو عبيد: ما نُنْسِخُكَ يا محمد، كما قال: نَسَخْتُ الكتاب، وأَنْسَخْتُهُ غيري، والثاني: أنسخته جعلته ذا نسخ، كما قال قوم للحجاج وقد صلب رجلاً: أقبرنا فلانًا، أي اجعله ذا قبر، يقال: قبرت زيدًا دفنته، وأقبره الله جعله ذا قبر، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾ [عبس: ٢١].

واختلفوا في «ننسها» فقرأ ابن كثير وأبو عمرو[١] «نَنْسَأْها» بفتح النون والهمزة[٢]، وهو جزم بالشرط، ولا يدع أبو عمرو الهمزة في مثل هذا؛ لأن سكونها علامة للجزم، وهو من التأخير، ومنه: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٣٧] وقرأ الباقون بضم النون وكسر السين من النسيان أو من الترك.

اللغة

النسخ: نَسْخُكَ[٣] كتابا عن كتاب، والنسخ: أن تزيل أمرًا كان يُعمل به، واختلفوا في أصله فقيل: أصله من الإبدال، ومنه سمي النسخ نسخًا؛ لأنه بدل عن الأول، عن علي بن عيسى، وقيل: أصله من الإزالة، عن أبي هاشم، ومنه نَسَخَتْ الشمس الظل، ونسخت الرياح آثارهم، أي أزالتها.

(١) حجة القراءات ١٠٩.

(٢) لا يعني فتح الهمزة، وإنما يعني أنه قرأ بالهمزة.

(٣) نسخك: نسختك، د، ز.

واختلفوا في معنى النسخ في الشرع، فقيل: إنه يستعمل في الشرع تشبيهًا باللغة، عن أبي هاشم، وقيل: هي لفظة شرعية منقولة عما وضعت له في اللغة.

ثم اختلفوا في حد النسخ في الشرع، فقيل: هو ما دل على أن مثل الحكم الثابت بالشرع غير ثابت في المستقبل على وجه لولاه لكان ثابتًا بالنص الأول مع تراخيه عنه، فالنص الثاني ناسخ، والأول منسوخ، ذكره القاضي ـ رحمه الله ـ، وقيل: رفع كل[1] شيء قد كان يلزم العمل به إلى بدل منه، عن علي بن عيسى ـ رحمه الله ـ.

والنَّسْأُ[2]: التأخير، يقال: نَسَأْتُ الإبل عن الحوض أي أخرتها، ومنه سمي النسأ، والنسيئة في البيع، والنسيء: ما كانت العرب تؤخر من الشهر الحرام.

[والنسيان]: نقيض الحفظ، وهو ذهاب المعنى عن النفس.

وقدير وقادر بمعنىً، غير أن في «**قدير**» مبالغة للعدول، وهو تعالى قدير لذاته، يقدر من كل جنس، وفي كل وقت على ما لا يتناهى، ولا يجوز عليه العجز.

۞ الإعراب

(مِن) في قوله: «**مِنْ آيَةٍ**» قيل: للتبعيض، وقيل: زيادة مؤكدة، و(آية) مكسورة بـ(من).

«**مثلها**»: عطف على (منها).

۞ النزول

روي أن المشركين قالوا: ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه، ويأتي بخلافه من تلقاء نفسه، وهو كلام يناقض بعضه بعضًا، فأنزل الله تعالى هذه الآية فيهم.

۞ النظم

قيل: لما ذكر الله تعالى في الآية الأولى أن اليهود لا تود أن ينزل عليهم خير آذن

(١) كل: ـ، ف.

(٢) والنسأ: النسو، د، و.

بهذه الآية أنه لا يخليهم من إنزال خير بهم خلاف ما تمنى أعداؤهم، وأنه أبدًا ينزل ما هو أصلح لهم، عن علي بن عيسى، وقيل: لما قص أخبار اليهود ومعائبهم في أقوالهم وأفعالهم، ورد عليهم ما راموا به الطعن في أمر نبينا ﷺ وكان مما أنكروا نسخ شريعة كانت مفروضة ـ بَيَّنَ الله تعالى جواز ذلك ردًّا عليهم، عن أبي مسلم.

۞ المعنى

«مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ» قيل: في الكلام حذف؛ لأن الآية لا تنسخ، فإما أن تريد حكم آية أو تلاوة آية، أو حفظ آية، واختلفوا في معنى «مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ» فقيل: المراد به النسخ الذي هوالرفع، عن الحسن وأكثر أهل العلم. وقيل: المراد به النسخ الذي هو من نسخت الكتاب، عن عطاء وسعيد بن المسيب. ومن قال بالقول الأول اختلفوا على أقوال: الأول: قيل: «مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ»، وأنتم تقرؤونها «أَوْ نُنسِهَا» أي من القرآن ما قرئ بينكم ثم ننسه، عن الحسن وأبي علي والأصم، فحملوا «ننسخ» على نسخ الحكم دون التلاوة، و«ننسها» على نسخ التلاوة.

والحكم الثاني: «مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ» أي ما نبدل، فينسخ الثاني حكم الأول، و«ننسها» أي نتركها فلا نبدلها، فيبقى غير منسوخ، فيجب العمل به، في معنى قول ابن عباس.

الثالث: «مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ» أي نرفعها، وننسخها بعد إنزالها. قراءة و«ننسأها» على قراءة الهمز أي نؤخرها فلا ننزلها أصلاً، وننزل بدلها ما يقوم مقامها في المصلحة، وقيل: نؤخرها إلى وقت ثان فتأتي بدلاً في الوقت الأول تقوم مقامها، وعلى قراءة «نُنسِهَا» نتركها فلا نرفعها، بل نبقيها على حالها ليعمل به.

الرابع: «مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ»[1] بكتاب «أَوْ نُنسِهَا» نأمر بترك العمل بها كالذي يقرأ وينسخ حكمه. وتقديره: ما نسخناه بالكتاب، وما أمرنا بتركه، ولم ننسخ بالكتاب، عن الأصم، وننسها: قيل: من النسيان، عن قتادة، وقيل: من الترك، عن ابن عباس.

---

(١) ما ننسخ من آية: ـ، ز، ف.

ويقال: كيف يجوز على الجماعة الكثيرة نسيان شيء؟

قلنا: إذا أمر بترك تلاوته نسي على مرور الأيام، عن أبي علي، وقيل: يكون ذلك معجزًا للنبي ﷺ، ورووا في ذلك خبرًا أنهم كانوا يقرؤون السورة فيصبحون وقد نسوا ذلك.

فأما من قال بالقول الثاني «**مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ**» أي ما ننسخها من اللوح المحفوظ، «**أَوْ نُنسِهَا**» نؤخرها، وننسها بتركها يعني نترك نسخها، فلا ننسخها بأن نختار[1] منها ما هو أسهل وأنفع وأصلح.

واختلفوا في قوله: «**مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ**» فكل المفسرين حملوه على الآية من القرآن، غير أبي مسلم فإنه حمل ذلك على التوراة والإنجيل وأحكامها، والشرائع التي فيها، وقال: أراد «**مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ**» أي من شرائعهم، وكتبهم «**أَوْ نُنسِهَا**» يعني لا ذكر له في القرآن، ولم يؤمن به حتى نسي، وهو يعود إلى معنى النسخ (وننسها) نؤخرها، ونبقيها فلا ينسخها القرآن، ونذكرها في القرآن، وقوله: «**نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا**» يعود إلى الضمير في (منها) إلى «**ما ننسخ**». وفي (مثلها) يرجع إلى «**ما ننسخ**»[2]، وهو لا يرى نسخ القرآن، وهو محجوج بالإجماع، والذشي ذكره ههنا وجه صحيح، وربما تأول الآيات المنسوخة على تأويل بعيد، ويتعسف فيها «**نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا**» قيل: في التسهيل وفي التيسير[3] نحو قوله: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٦] في الجهاد، أو مثلها في السهولة كالتوجه إلى الكعبة، عن ابن عباس، وقيل: بخير منها في الوقت الأول في الصلاح «**أَوْ مِثْلِهَا**» في ذلك، عن الحسن، وقيل: «**نَأْتِ بخَير مِنْهَا**» في الصلاح ومثلها «**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**» قيل: خطاب للرسول، والمراد جميع المكلفين، وقيل: أراد ألم تعلم أيها السامع، أو أيها الإنسان أنه قادر على آيات وسور مثل القرآن ينسخ بها ما أمر، عن أبي علي، وقيل: هو عام في كل شيء، وقيل: ألم تعلم أنه تكفل بنصرك والانتصار ممن يعاديك، وأنه على ذلك قادر.

---

(١) نختار: نختر، د، ز.

(٢) ما ننسخ: ما لم ننسخ، ز، و.

(٣) وفي التيسير: والتيسير، د، ف، و.

۞ الأحكام

الآية تدل على جواز النسخ في القرآن، وحَمْلُه على غيره عُدُولُ عن الظاهر.

وتدل على حدث القرآن؛ لأن القديم لا يصح نسخه، ولأنه أثبت له مثلاً، ولأنه بين اختصاصه بالقدرة عليه، ولأنه جوز فيه الترك والنسيان، والتقديم والتأخير كل ذلك يدل على حدثه.

وتدل على أن النسخ مما يشق ويخف جائز؛ لأن قوله: «بِخَيْر» يعني أنفع وأصلح، وقد يكون ذلك فيما هو أشق، ويكون فيما هو أخف. وتدل على جواز نسخ القرآن بالقرآن وبالسنة، لأن مثلها وخيرًا منها ما هو أنفع، وهذا المعنى قد يحصل بالكتاب والسنة. واتفقوا على أن نسخ القرآن بالقرآن جائز، غير أبي مسلم، فإنه أَبَى ذلك، واختلفوا في نسخ الكتاب بالسنة، أو السنة بالكتاب، فقال أصحابنا: يجوز في الوجهين، وخالف في ذلك الشافعي وأصحابه؛ لأن السُّنَّةَ إذا كان بأمره ووحيه صح إضافته إليه تعالى، ولأنهما يستويان في العلم والعمل فجاز النسخ به، والآية تدل على الضد مما تعلق به بعض الشافعية، في منع نسخ القرآن بالسنة.

والنسخ على ثلاثة أوجه: نسخ التلاوة دون الحكم، ونسخ الحكم دون التلاوة، ونسخ مجموع الأمرين، لأن كل واحد منهما تعبد، والآية تدل عليها؛ لأنها لم تُفَصِّلْ، فأما النسخ بالإجماع والقياس فلا[1] يجوز؛ لأنها كالفرع على الكتاب والسنة، فأما النسخ بأخبار الآحاد فعند الأكثر لا يجوز، وقد جوز بعضهم، وليس بشيء؛ لأنها لا توجب العمل، ولا خلاف بين المسلمين في جواز النسخ، وإنما خالف في ذلك اليهود فمنهم من يأباه عقلاً، ويزعم أنه بَدَاءٌ، ومنهم من يأباه سمعًا لخبر زعموا أنه من موسى (عليه السلام)، وفيهم أيضًا من يجوِّز النسخ، وعندنا: الشرائع مصالح، فلا يمتنع أن تختلف بالأزمنة والأمكنة والمكلفين، والفرق بين البداء والنسخ مذكور في كتب الكلام[2].

(١) فلا: لا، د، ز، ف.

(٢) «والفرق بين النسخ والبداء: أن النسخ تحويل العبادة من شيء إلى شيء قد كان حلالا فيحرم، أو كان حراما فيحل، وأما البداء فهو ترك ما عزم عليه» تفسير القرطبي ٢/ ٦٤.

قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾

المعنى

لما بَيَّنَ تعالى أنه ينسخ ما يشاء، ويأتي بما يشاء بين في هذه الآية أن له ملك السموات والأرض، وله أن يحكم فيهما بما شاء، وإن كان لا يشاء إلا الحكمة والأصلح فقد قال تعالى: «**ألم تعلم**» قيل: إنه استفهام، والمراد التقرير والتثبيت، ويؤول في المعنى إلى الإيجاب، كأنه يقول، قد عَلِمْتَ حقيقة، قال جرير:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ

ويقال: ألم أعطك[1]؟ أي أَعْطَيْتُكَ، عن الأصم، وقيل: ألم تعلم معناه اعلم، واختلفوا فقيل: إنه خطاب للنبي والمراد غيره؛ كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١] يوضحه قوله: (**وَمَا لَكُمْ**) وقيل: المراد به جميع المكلفين، كأنه قيل: «**أَلَمْ تَعْلَمْ**» أيها السامع، أو أيها الإنسان «**أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**»؛ لأنه خلقهما، وما فيهما «**وَمَا لَكُمْ**» قيل: خطاب للرسول عن الأصم، كأنه أتى بلفظ الجمع تفخيمًا وتعظيمًا، وقيل: خطاب له وللمؤمنين عن أبي علي، وقيل: خطاب للمكلفين، أي ألم تعلموا ما لكم أيها الناس «**مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ**» يعني سوى الله ناصر ومولى، أراد أن الخلق أعداؤك وغضاب عليك، والله يتولى نصرك، عن الأصم، وقيل: «**مِنْ وَلِيٍّ**»: قريب، وصديق ناصر، وقيل: من ولي يقوم بأمركم، ولا ناصر ينصركم.

الأحكام

في الآية تنبيه على ثلاثة أشياء:

(١) أعطك: أعطيك، ز، ف.

أحدها: التحذير من سخط الله وعقابه؛ إذ لا أحد يمنع منه.

والثاني: التسكين لنفوس المؤمنين بأنه تعالى ناصرهم دون غيره، فلا يعتد بغيره[1] مع نصره.

والثالث: التفريق بين حالهم وحال الكفار مدحًا لهم، وذمًّا لأولئك، في معنى قول أبي علي.

قوله تعالى:

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾﴾

القراءة

قراءة العامة «**سئل**» بالهمز وضم السين، وعن بعضهم «**سيل**» نحو قيل، وروي بتليين الهمزة مخففة، وضم السين «**سئل**».

اللغة

السؤال: طلب أمر ممن يَعْلَمُ معنى الطلب، سأل يسأل سؤالاً، فهو سائل، وذلك مسؤول.

والسبيل: الطريق يُذَكَّرُ ويؤنث، والجمع السُّبُلُ، والسابلة المختلفة في الطرقات في حوائجهم، وجمعه سوابل.

وسواء بالمد على ثلاثة أوجه: بمعنى قصد، وعدل، وبمعنى وسط نحو قوله: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٥]، وبمعنى (غير)، كقولك: كل أحد أتاني سواك أي غيرك.

الإعراب

يقال: ما معنى (أم) في قوله: «**أَمْ تُرِيدُونَ**»؟

---

(١) بغيره: غيره، د، ف، و.

قلنا: لفظه لفظ الاستفهام، والمراد به التوبيخ والإنكار، كقوله تعالى: ﴿فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ٢٨] و(أم) تكون على ضربين: متصلة ومنفصلة، فالمتصلة عديلة الألف، وهي مفرقة لما جمعته، أي كما أن (أو) مفرقة لما جمعته، تقول: اضرب أيهم شئت زيدًا أم عمرًا أم بكرًا، فإذا قلت: أضرب أحدهم، قلت: زيدًا أو عمرًا أو بكرًا. والمنقطعة عن المعادلة لألف الاستفهام قبلها لا تكون إلا بعد كلام؛ لأنها بمعنى (بل) والألف، كقول العرب: إنها لَإِبِلٌ أم شَاءٌ، كأنه قال: بل هي شاء، ومنه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [يونس: ٣٨] أي بل يقولون، وكذلك «أَمْ تُرِيدُونَ»، أي بل تريدون، قال الأخطل:

كَـذَّبَـتْـكَ عَـيْـنُـكَ أَمْ رَأَيْـتَ بِـوَاسِـطٍ   غَـلَـسَ الـظَّـلَامِ مِـنَ الـرَّبَـابِ خَـيَـالاَ

❁ النزول

روي عن ابن عباس أن رافع بن حرملة ووهب بن زيد قالا لرسول الله ﷺ: ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء يُقْرَأ، أو فجر لنا أنهارا نتبعك، فأنزل الله هذه الآية. وعن الحسن المراد به مشركو[١] العرب، وقد سألوا وقالوا: أن يأتي بالله والملائكة قبيلا، وقالوا ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ [الفرقان: ٢١] وعن السدي سألت العرب محمدا ﷺ أن يأتيهم بالله فيروه جهرة، وعن مجاهد سألت قريش محمدا أن يجعل لهم الصفا ذهبا، فقال: نعم، هو لكم، كالمائدة لبني إسرائيل، فرجعوا، وعن أبي علي، سألوا رسول الله ﷺ محالات، منها ماسأله قوم أن يجعل لهم ذات أنواط[٢] ، كما أن للمشركين ذات أنواط، وهي شجرة كانوا يعبدونها، ويعلقون عليها المأكول والمشروب، كما سألوا أن يجعل لهم إلها كما لهم آلهة، وقيل: إن اليهود قالوا: يا محمد آتنا[٣] بكتاب من السماء جملة كما أوتي موسى، فنزلت الآية.

---

(١) مشركو: مشركي، ز، و.

(٢) شجرة عظيمة خضراء كانت قريش والعرب يأتونها يعلقون عليها أسلحتهم ويدعون عندها.

(٣) آتنا: امنا، د، ز.

۞ النظم

في اتصال الآية بما قبلها وجوه: أحدها: لما دل ما تقدم على تدبير الله في خلقه بما يأتي من الآيات، وبما ينسخه ويثبته، بَيَّنَ في هذه الآية أن الواجب أن يرضوا بذلك، ولا يقترحوا، كأنه قيل: ألا ترضون بتدبيره، ولا يتخيروا الآيات، ولا يقترحوا المحالات، كما سئل موسى من قبل، وهو تعالى يأتي بما يعلم من المصالح، وليس لأحد أن يعترض، عن علي بن عيسى، وثانيها: قيل: لما تقدم الأوامر والنواهي، قال: إن لم تسلموا لما أمركم الله كنتم كمن سأل موسى بما ليس له أن يسأله، عن أبي مسلم، وقيل: تقديره لما أمر ونهى قال: أتفعلون ما أُمرتم أم تفعلون كما يفعل مَنْ قَبْلكم من قوم موسى، وقيل: إنه خطاب لليهود عابهم حين تخيروا الآيات. كما عابهم بالأفاعيل التي تقدم ذكرها.

۞ المعنى

«**أَمْ تُرِيدُونَ**» قيل: معناه أتريدون، استفهام على طريق الإنكار، وقيل: معناه بل أتريدون، واختلفوا في المخاطب به، فقيل: المسلمون، وهو عطف على قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ [البقرة: ١٠٤] وتقديره فهل تفعلون كما أُمرتم أم تريدون أن تسألوا رسولكم من المحالات، كما سأل قوم موسى نبيهم ﷺ، عن أبي مسلم، وقيل: خطاب لهم فقد سألوه عن أمور لا خير لهم في البحث عنها، عن الأصم. وقيل: خطاب لهذه الأمة ونهي لهم أن يسألوا نبيهم كما فعل قوم موسى، عن أبي علي. وقيل: خطاب لأهل مكة، عن مجاهد. وقيل: لليهود، عن ابن عباس وجماعة، وهو الأصح؛ لأن ماتقدم حكاية عنهم، ومحاجة معهم، ولأن الآية مدنية «**أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ**» يعني محمدا «**كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ**» من الاقتراحات والمحالات «**وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ**» يعني يختار الكفر، ويترك الإيمان «**فَقَدْ ضَلَّ**» أي ذهب عن «**سَوَاءَ السَّبِيلِ**» قيل: عن طريق الاستقامة، وقيل: قَصْدِ الطريق، عن الحسن والأصم وأبي مسلم، وقيل: عن وسط الطريق.

۞ الأحكام

الآية تدل على قبح السؤال على سبيل التعنت، وأن الواجب أن يُسْأَلَ استرشادًا.

وتدل على أن الحجة متى قامت بمعجزة واحدة، فبعد ذلك يجوز أن لا تظهر أخرى، وألا يُسْأَلَ إلا بحسب المصلحة؛ لأن التمكن قد حصل، ولا لطف في الثانية.

وتدل على أن التعنت في الدين ضلالة، والتشبه بأهل الضلال ضلال، ونحو ذلك مما روي «من تشبه بقوم كان منهم»[1].

قوله تعالى:

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾

اللغة

ود وأحب وأراد من النظائر، تقول: وَدِدْتُ أَوَدُّ.

والحسد: الأسف على خَيْرِ غَيْرِهِ، وتمني زواله، وهو خلق دنيء، حَسَدْتُ أَحْسُدُ.

والصفح والعفو: التجاوز عن الذنب، يقال: صفح عنه، أي تجاوز بالعقوبة عنه.

الإعراب

في نصب «حسدًا» أقوال: قيل: نصب على المصدر بتقدير: حسدوكم حسدًا؛ لأن الجملة التي قبلها بدل من الفعل الذي هو الحسد، وقيل: نصب لأنه مفعول له كأنه قيل: يردونكم لأجل الحسد، وقيل: بنزع حرف الصفة، أي للحسد، أو من الحسد.

---

(١) سنن أبي داود (٢/ ٤٤١) رقم (٤٠٣١)، مسند أحمد (٢/ ٥٠، ٩٢) رقم (٥١١٤، ٥١١٥، ٥٦٦٧)، المعجم الأوسط (٨/ ١٩٧) رقم(٨٣٢٧)، مجمع الزوائد (١٠/ ٤٧٨) رقم(١٧٩٥٩)، كنز العمال (٩/ ١٧) رقم (٢٤٦٨٠).

۞ النظم

قيل: كيف تتصل الآية بما قبلها؟

قلنا: الحكاية عن أفعال اليهود نظير ما تقدم، وقيل: لما علم اليهود ما للمسلمين عند الله تعالى حسدوهم، وأرادوا ردهم عنه بإلقاء الشبه، فبين تعالى ذلك من حالهم عقيب ذكرهم تحذيرًا منهم.

ويقال: بِمَ يتصل قوله: (من) في قوله: «مِنْ عِندِ أَنفُسِهِمْ»؟

قلنا: فيه أقوال: قيل: يتصل بقوله: «وَدَّ كَثِيرٌ» عن الزجاج، وقيل: يتصل بقوله: «حَسَدًا» توكيدًا، وقيل: إن اليهود أضافوا الكفر والمعاصي إلى الله تعالى، فقال ردًّا عليهم وتكذيبًا لهم: «مِنْ عِندِ أَنفُسِهِمْ».

۞ النزول

قيل: نزلت في حيي بن أخطب، وأخيه أبي ياسر بن أخطب، دخلا على رسول الله ﷺ حين قدم المدينة، فلما خرجا، قال حيي: أهو نبي؟ قال: هو هو، فقيل: فما له عندك؟ قال: العداوة إلى الموت، وهو الذي نقض العهد، وأثار الحرب يوم الأحزاب، عن ابن عباس.

وقيل: نزلت في كعب بن الأشرف، عن الزهري. وقيل: في جماعة اليهود، عن الحسن. وقيل: في قوم من اليهود قالوا لعمار وحذيفة: بعد أُحُدٍ لو كان دين محمد حقًّا لما أصابه هذا فارجعا إلى ديننا، فقال عمار ـ رضي الله عنه ـ: رضيت بالله ربًّا وبمحمد نبيًّا وبالإسلام دينًا، فنزلت الآية.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى من سرائر اليهود، فقال: «وَدَّ» أي أراد وتمنى «كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» قيل: علماء اليهود والمعاندين كحيي بن أخطب، وكعب بن الأشرف، وجد بن قيس، وأمثالهم «لَوْ يَرُدُّونَكُمْ» يا معشر المؤمنين، أي: يُرْجِعُونكم «مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا» منهم لكم بما أعد الله لكم من الثواب، والخير «مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ» أي

ذلك التمني والحسد من عند أنفسهم «**مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ**» أن محمدًا رسول الله ﷺ، والإسلام دين الله، عن قتادة والربيع والسدي «**فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا**» قيل: تجاوزوا عنهم، وقيل: أرسلوهم فإنهم لا يفوتون «**حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ**»، قيل: أَمْرُهُ يأتيكم[1] بعقابهم، أو يعاقبهم هو، ثم أتاهم بأمره فقال: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة:٢٩]، عن أبي علي. وقيل: بأمره بآية القتل والسبي لبني قريظة، وجلاء بني النضير، عن ابن عباس. وقيل: بأمره بالقتل، عن قتادة. وقيل: بِحُكْمِهِ فيهم لبعض بالإسلام، ولبعض بالقتل، ولبعض بالسبي، عن الأصم. وقيل: «**بِأَمْرِهِ**» أي بالقيامة، واختلفوا في الآية، فقيل: إنها منسوخة نسختها آية السيف، عن ابن عباس وقتادة والربيع والسدي وأبي جعفر محمد بن علي ـ عليهما السلام ـ وجعفر بن مبشر وأبي علي، وقيل: ليس بمنسوخ، والمراد بالصفح الإعراض عنهم، والصبر على أذاهم «**حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ**» من نصر المؤمنين وإظهار دينه «**إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**» قيل: إنه قادر على عقابهم، وهو على كل شيء قدير، وقيل: هو قادر على أن يدعوهم إلى دينه بما أحب بما هو عنده الأبلغ في الحكمة، عن الزجاج، كأنه يقول: فيأمر بالصفح تارة، وبالعقاب أخرى، على حسب المصلحة، وقيل: أمهلوهم ولا يُفَوَّتُون؛ إذ هو قادر على كل شيء، يأخذهم متى شاء.

۞ الأحكام

الآية تدل على أنهم كانوا معاندين؛ لذلك قال: «**مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ**»، ولذلك حمل على قوم بأعيانهم، وهم العلماء الذين يجوز عليهم التَّوَاطُؤ[2]، ولهذا قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ﴾.

وتدل على أن تمني مثل حال الغير يصح.

وتدل على قبح الحسد، وأنه خصلة مذمومة.

وتدل على أن الحسد فِعْلُهُم؛ إذ لو كان خلقًا له لكان إضافته إليه أولى، ولَمَا صح أن يقول «**مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ**».

(١) يأتيكم: أتاكم، د، ز.

(٢) التواطؤ: التواطي، ز، و.

وتدل على بطلان قول أصحاب المعارف؛ لذلك قال: «مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ»، ولأنه خص به كثيرًا دون غيرهم.

وتدل على جواز النسخ في القرآن؛ لأن قوله: «فَاعْفُوا» منسوخ عند جماعة أهل العلم.

وتدل على أن هذا الصفح غير دائم لذلك علقه بِغَايَةٍ.

قوله تعالى:

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾﴾

اللغة

التقديم: نقيض التأخير.

وبصير: يستعمل في شيئين: الرؤية بالبصر، وفي العلم.

الإعراب

(ما) في قوله: «وَمَا تُقَدِّمُوا» ما الجزاء، وجوابه: «تَجِدُوهُ» ومثله: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ﴾ [فاطر: ٢].

المعنى

لما أمر الله تعالى فيما تقدم بمنابذة اليهود في الدين، وبين شدة عداوتهم للمسلمين أمر بالتمسك بدين الإسلام وشرائعه مُخَالَفَةً لهم على ما بَدَرَ منهم، فقال: «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ» أي أديموها «وَآتُوا الزَّكَاةَ» أي أعطوها الفقراء، والزكاة ما أوجب الله تعالى للفقراء في مال الأغنياء «وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ» يعني من عمل صالح، وقيل: من ثواب، وقيل: من مال «تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ» قيل: تجدوا ثوابه معدًّا عند الله، وقيل: تجدوه مستحقًّا على الله أن يكافئه عليه، وقيل: تجدوه عند الله محفوظًا مكتوبًا فيجازيه به، ولا يجوز أن يريد غير أفعالهم؛ لأن الترغيب لا يقع بوجودها، ولأن الإعادة على أفعال العباد لا تجوز.

ويقال: كلمة «**عندنا**» تتناول الأمانات لا الواجبات.

قلنا: لما كان القديم تعالى يوفر الجزاء لا محالة كان كرد الوديعة.

«**إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**» أي عليم بأفعالكم يجازيكم بما تستحقونه، فاعملوا عمل من يدري أنه يجازيه من لا يخفى عليه شيء من ذلك.

۞ الأحكام

الآية تدل على التعبد بالصلاة والزكاة، وأنهما من الأركان؛ لذلك خصهما بالذكر.

ويقال: هل تجب الزكاة[1] في جميع الأموال؟ وكيف تجب؟

قلنا: لا، لكن في مال مخصوص، وهو السوائم من الإبل والبقر والغنم، إذا كان نصابًا كاملاً، وحال عليه حول كامل، ويضم المستفاد في أثناء الحول إلى الأصل عند أبي حنيفة، وقال الشافعي: لا يضم، ولا يجب في المعلوفة والعوامل.

فأما الذهب والفضة، فتجب في العين، ويضم بعضها إلى بعض، وقال الشافعي: لا يضم، واختلفوا فقال أبو حنيفة: يضم بالقيمة، وقال صاحباه: بالأجزاء، وكيف يُقَوَّمُ ههنا، وفي مال التجارة؟ بما هو أنفع للفقراء عند أبي حنيفة، وبما اشتري به عند أبي يوسف، وبالنقد الغالب عند محمد، وزكاة التجارة يُقَوَّمُ المال ثم يزكى كما تزكى الدراهم والدنانير، ويعتبر في ذلك الحول والنصاب، وأما العشر فلا يعتبر الحول باتفاق، واختلفوا فعند أبي حنيفة لا يعتبر النصاب أيضًا، وعند أبي يوسف ومحمد يعتبر.

ويقال: على من تجب؟

قلنا: على حر بالغ عاقل، ولا تجب في مال الصبي والمجنون عند أبي حنيفة وأصحابه، وقال الشافعي: تجب، ولا تجب في مال المديون بقدر الدين عند الحنفية، وقال الشافعي: تجب.

---

(١) هل تجب الزكاة: هل الزكاة تجب، ف، و.

ويقال: ما الذي يجب في الغلة؟

قلنا: العشر أو نصف العشر، ولا يجب العشر في المستفاد من الأرض الخراجية، وقال الشافعي: يجتمع العشر والخراج.

ويقال: كيف يجب العشر والخراج؟

قلنا: العشر يجب في الأرض العشرية، والخراج يجب في الأرض الخراجية، والأراضي العشرية هو أن يُسْلِمَ أهلها عليها، أو تفتح، وتقسم بين المسلمين. والخراجية أن تقر في أيدي الكفار، ويوضع عليها الخراج.

وتدل الآية على أن ثواب الخير لا يضيع.

ويقال: كيف قال: «**تجدوه**» وإذا أحبطه لا يجده؟

قلنا: قيل: يجده، لكن عند السلامة يوفر عليه نفس الثواب، وعند الإحباط يوفر عليه بأن ينقص من عقابه، ففي الحالين قد وجد ما قدم.

وتدل على صحة قولنا في الموازنة، وعلى فساد ما يقوله أبو علي في الإحباط؛ لأن على مذهبه يجد الخير في حال دون حال، ولا يجده مطلقًا، ولا يقال: إنه مشروط بزوال الكبائر؛ لأنه إذا صح حمله على ظاهره من غير شرط فإثبات الشرط لا يصح.

ومتى قيل: إنه تعالى وصفه بالخير، ونقصان العقاب لا يكون خيرًا، فعلى قولكم أيضًا لا بد من تأويل؟

قلنا: لا فرق بين زوال المضار فيه، وإيصال المنافع إليه، في أنهما من باب الخير؛ ولذلك يعد المُخَلِّصُ من ضرر كَالمُسْدِي منفعة، بل ربما يكون ذلك أبلغ في النعمة والخير.

ويدل قوله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [البقرة: ٢٦٥] على وعد ووعيد.

قوله تعالى:

﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾

اللغة

في هود ثلاثة أقوال:

أحدها: جمع هائد، يقال: هائد وهود، كعائذ وعُوذٍ، وهو جمع للمذكر والمؤنث، والهائد: التائب الراجع إلى الحق.

والثاني: أن يكون مصدرًا يصلح للواحد والجمع، كقولك: رجل صَوْمٌ وامرأة صوم، ورجل فِطْرُ وامرأة فطر، ورجل خَصْمٌ وامرأة خصم.

الثالث: معناه من كان يَهُودًا[1] إلا أن الياء[2] الزائدة حذفت، ورجع إلى الفعل من اليهودية.

والأماني: الأباطيل والأكاذيب، ويجوز التخفيف، والأجود التثقيل.

المعنى

ثم حكى تعالى من أقوال اليهود وأباطيلهم فقال تعالى: «**وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ إلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى**» هذا جاء على الإيجاز، وتقديره: وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيًا عن جماعة أهل التفسير «**تِلْكَ**» أي المقالة التي تقدمت «**أَمَانِيُّهُمْ**» قيل: أماني يتمنونها[3] على الله كاذبة، عن قتادة والربيع. وقيل: أمانيهم: أباطيلهم بلغة قريش، عن المُؤَرِّجِ، وقيل: تلك أقاويلهم، وتلاوتهم من قولهم: تمنى: تَلَا، ومنه:

(١) يهود: يهوديا، د، ف.

(٢) الياء: التاء، د، ز، و.

(٣) يتمنونها: يتمنوها، ف، و.

تَـمَـنَّـى كِـتَـابَ الـلـهِ أَوَّلَ لَـيْـلَـةٍ(١)

وقيل: تقديرهم وظَنُّهُمْ، من قولهم إذا رد على غيره: كذا يُظَنُّ، وكذا يُقَدَّرُ، أي ليس كذلك، عن أبي مسلم، «قُلْ» يا محمد لهم «هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ» أحضروا، وليس بأمر، وإنما هو تعجيز، يعني إذا لم يمكنكم إتيان ببرهان فاعلموا أنه باطل فاسد «بُرْهَانَكُمْ» يعني حجتكم، وجمعه: براهين، كقربان وقرابين، وسلطان وسلاطين «إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ» أي في قولكم لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن من كان صدقًا في الديانات فعليه برهان، وما لا برهان عليه فليس بصدق؛ لأن كل شيء يجب اعتقاده فلا بد عليه من دليل.

وتدل على وجوب النظر؛ لأن البرهان يحتاج إليه النظر.

وتدل على صحة الحجاج في الدين.

وتدل على فساد التقليد؛ لأنه لا برهان فيه.

وتدل على أن الجنة لا تنال بالتمني، وإنما تنال باعتقاد الحق والعمل الصالح.

ويقال: هل يجب على النافي(٢) دليل؟

قلنا: قيل: لا. وعندنا لا بد؛ لما بينا.

قوله تعالى:

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾

---

(١) البيت لكعب بن مالك وتمامه:

تَـمَـنَّـى كِـتَـابَ الـلـهِ أوّل لـيـلـةٍ وآخِـرَهُ لاقـى حِـمـامَ الـمـقـاديـر

(٢) هل يجب على النافي: على النافي، د، ز.

۞ اللغة

الوجه: مستقبل كل شيء، والوُجَاهُ والتُّجَاهُ: ما استقبل شيء شيئًا، يقال: داره تجاه دار فلان، ووجه الإنسان محياه؛ لأنه يواجهك، ووجه الأمر ما يبدو فيظهر بظهوره ما بعده، ويطلق وجه الشيء، ويراد نفسه، يقال: هذا وجه الرأي، ووجه الصواب، ومنه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨].

والإسلام في اللغة: الاستسلام، وهو الانقياد، وفي الشرع الإيمان والإسلام واحد، يقال: رجل مسلم ومؤمن، وأسلم يستعمل في شيئين: أسلم إليه[١] كذا: صرفه إليه، وأسلم له، أي أخلص من قولهم: مسلم له أي خالص.

۞ الإعراب

(بلى) تدخل في جواب الاستفهام كقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فأما ههنا فدخلت على تقدير: أَمَا يدخل الجنة أحد؟ فقيل: بلى من أسلم؛ لأن ما تقدم يقتضي هذا السؤال، ويحتمل أن يكون جوابًا للحجة على التكذيب، كقولك: ما قام زيد، فيقول: بلى.

وموضع «وَهُوَ مُحْسِنٌ» نصب على الحال كأنه قيل: محسنًا، والواو واو الحال.

۞ المعنى

ثم رد الله تعالى عليهم مقالتهم فقال: «**بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ**» قيل: أسلم نفسه لله، بأن سلك طريق مرضاته، عن ابن عباس والربيع ومقاتل، وقيل: «**وجْهُه**» يعني: وجهه في الدين، عن الحسن، وقيل: وجهه لطاعته[٢]، وقيل: أخلص، وقيل: استسلم لأمر الله وخضع له وتواضع «**وَهُوَ مُحْسِنٌ**» قيل: وهو مؤمن، وقيل: محسن في أعماله، وقيل: مخلص «**فَلَهُ أَجْرُهُ**» يعني: جزاء عمله، وإنما وحده مع قوله: «**وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ**» لأن (مَنْ) لفظها لفظ الواحد، ومعناه معنى الجمع، فمرة يحمل على

(١) إليه: إلي؛ د، ز، و.

(٢) لطاعته: لظاعنه، ز، و.

اللفظ، ومرة على المعنى كقوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ﴾ [محمد: ١٦] ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ﴾ [يونس: ٤٢] «وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ».

يقال: إذا قال: «فلهم أجرهم» فما معنى «وَلاَ خَوْفٌ»؟

قلنا: فيه قولان:

أحدهما: أنه على يقين لا على رجاء يخاف معه إلا أن يكون الموعود به.

الثاني: للفرق بين حالهم وحال أهل العقاب الذين يخافون ويحزنون، عن أبي علي، كأنه ذكر ذلك تأكيدًا.

۞ الأحكام

في الآية تنبيه على أن الجنة للمسلمين فقط دون الكفار.

وتدل على أنها تنال بالإيمان مع الإحسان في العمل، وقيل: إنه مشروط بترك الكبائر، وقيل: غير مشروط؛ لأن من ارتكب كبيرة فليس بمحسن، والأول الصحيح.

وتدل على أن أهل الجنة لا ينالهم خوف ولا حزن في الآخرة، خلاف ما يقوله قوم.

قوله تعالى:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾

۞ اللغة

التلاوة: القراءة.

والقيامة: مصدر قام يقوم قيامًا وقيامة، إلا أنه صار كالعَلَم لوقت بعينه، وهو يوم يبعث الله فيه الخلق، فيقومون من قبورهم، وقيل: لأنهم يكونون قيامًا ثَمَّ.

۞ النزول

قال ابن عباس: لما قدم وفد نجران وهم نصارى على رسول الله ﷺ أتتهم أحبار اليهود، فتنازعوا عند رسول الله ﷺ، فقال رافع بن حرملة للنصارى: ما أنتم على شيء، وجحد نبوة عيسى والإنجيل، وقال رجل من أهل نجران: ما أنتم على شيء، وجحدوا نبوة موسى، وكفروا بالتوراة، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال الربيع: هؤلاء أهل الكتاب الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ.

وقال أبو مسلم: اليهود والنصارى هم الذين اختلفوا قديمًا قبل زمان نبينا وقبل مجيء عيسى ـ عليهما السلام ـ، والذين لا يعلمون: مَنْ تأخر من اليهود والنصارى إلى عهد رسول الله ﷺ.

۞ المعنى

لما ذكر تعالى أهل الكتاب وإنكارهم للإسلام بَيَّنَ ما بينهم من الاختلاف، مع تلاوة الكتاب، فقال تعالى: «**وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَرَى عَلَى شيء**» يعني في تدينهم بالنصرانية «**وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ**» في تدينهم باليهودية «**وَهُمْ يَتْلُونَ**» يقرأون «**الْكِتَابَ**» قيل: التوراة التي اتفقوا على العمل بها.

ومتى قيل: لم ذكر تلاوتهم الكتاب؟

قلنا: فيه ثلاثة أقوال: الأول: إزالة الشبهة بالتلاوة، وأنه لا معتبر في إنكار الحق بتلاوة الكتاب، إنما المعتبر بالحجة، فسبيل أهل الكتاب كسبيل مشركي العرب وغيرهم ممن لا كتاب له في أن جحدهم سواء، وقيل: لما أنكروا عنادًا، ساووا الجهال في دفع الحق، وقيل: لأنهم مع تلاوته لا يرجعون إليه، ولا يعملون بما فيه، وقد يتلونه ولا ينتفعون به دينًا ودنيا «**كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ**» يعني من لا يعلم الكتاب فقد استووا في جحد الحق بغير برهان، بخلاف قول المسلمين: إنهم ليسوا على شيء؛ لأن قولهم يستند إلى حجة، وقيل: إنكارهم نبوة موسى وعيسى ـ عليهما السلام ـ، وقولهم فيهما كقول من لا يعلم في إنكار نبوة محمد ﷺ فهو ذم للجميع.

واختلفوا في الذين لا يعلمون، قيل: هم العرب قالوا: ليس محمد على شيء، عن السدي ومقاتل. وقيل: قالت النصارى مثل قول اليهود قبلهم، عن الربيع، ووجه ذلك، أي ساووكم يا معشر اليهود في الإنكار، وهم عندكم لا يعلمون. وقيل: هم أمم قبل اليهود والنصارى كقوم نوح وعاد وثمود، قالوا لأنبيائهم: لستم على شيء، عن عطاء. «**فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» قيل: يكذبهم جميعًا، ويدخلهم النار، عن الحسن. وقيل: حكمه انتصاف من الظالم المكذِّب للمظلوم المكذَّب، عن أبي علي. وقيل: نريهم مَنْ يدخل الجنة عيانًا، ومن يدخل النار عيانًا، وقيل: يحكم بين المحق والمبطل فيما اختلفوا فيه من الدين.

۞ الأحكام

الآية تدل على عظم ذنب من لا يعمل بكتاب الله مع تلاوته، وهذا سبيل علماء السوء من هذه الأمة، وبين أن حالهم كحال الجهال في أن كل واحد لا ينتفع بذلك.

وتدل على أن كل من قال قولاً بغير حجة فهو كالجاهل، وإن كان عالمًا.

وتدل على أنه تعالى يفصل يوم القيامة بين المحق والمبطل.

قوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾

۞ اللغة

المنع: الحيلولة بين المرء وبين ما يريده، ونظيره: الصد، ونقيضه: الإطلاق.

والسعي: عَدْوٌ دون السير، وكل عمل من خير أو شر فهو سَعْيٌ.

والمسجد: موضع السجود، ويجمع مساجد.

والخراب: نقيض العمارة.

والخزي: الفضيحة.

۞ الإعراب

يقال: بم نصب (أنْ)؟ وما العامل فيه؟

قلنا: فيه ثلاثة أوجه: قال الأخفش: يجوز أن يكون على حذف (مِنْ)، كأنه قيل: مساجد الله من أن يذكر فيها اسمه. ويجوز أن يكون على البدل من مساجد الله. وقال الزجاج: يجوز على معنى كراهة أن يذكر فيها اسمه، والعامل فيه: «مَنَعَ».

۞ النزول

قيل: نزلت في الروم؛ لأنهم كانوا خربوا بيت المقدس، وسعوا في خرابه حتى أيام عمر، وظهر المسلمون عليهم، وصاروا لا يدخلونه إلا خائفين، عن ابن عباس ومجاهد والفراء.

وقيل: نزلت في بختنصر خرب بيت المقدس، عن الحسن وقتادة والسدي، قال قتادة: وأعانه على ذلك النصارى بغضًا لليهود.

وقيل: نزلت في مشركي العرب صدوا النبي ﷺ والمسلمين عن المسجد الحرام، عن الأصم وأبي علي وأبي القاسم وابن زيد.

وقيل: نزلت في سائر المشركين؛ لأنهم يريدون صد المسلمين عن المساجد ويخربونها.

۞ النظم

يقال: كيف تتصل الآية بما قبلها؟

قلنا: مَنْ حَمَلَهَا على النصارى، وخراب بيت المقدس، قال: تتصل بما قبلها من حيث جرى ذكر اليهود والنصارى، فمرة يوجه الذم إلى اليهود، ومرة يوجه إلى النصارى.

وأما من حمله على المسجد الحرام وسائر المساجد، قال: جرى ذكر مشركي العرب في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ وقيل: هي مقدمة لما يأتي بعده. وقيل:

جرى ذكر جميع الكفار وذمهم فمرة وجه الذم إلى اليهود والنصارى، ومرة إلى المشركين.

المعنى

«**وَمَنْ أَظْلَمُ**» أي أشد ظُلْمًا وأعظم «**مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ**» أي لا ظلم أعظم من ظلمه، واختلفوا قيل: هم النصارى، والمسجد بيت المقدس، وقيل: هم المشركون والمسجد هو المسجد الحرام، عن الأصم وغيره. وقيل: هم سائر الكفار، والمساجد سائر المساجد.

ويقال: إذا حمل على بيت المقدس أو الكعبة فلم جُمِعَ وهو واحد؟

قلنا: قيل: كل بقعة فيها مسجد، وقيل: دخل فيها المساجد التي بناها المسلمون، وكان أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ بنى مسجدًا بمكة فخربوه.

«**وَسَعَى**» قيل: عمد «**فِي خَرَابِهَا**» قيل: تخريبهم إخراجهم المؤمنين عند الهجرة، وقيل: صدهم، عن أبي مسلم، ويجوز حمله عليهما، وقيل: المراد المنع عن الصلاة والطاعة فهو سعي في خرابها «**أُوْلَئِكَ**» يعني من تقدم ذكرهم «**مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ**» يعني النصارى لا يدخلون بيت المقدس إلا خائفين، ولا يوجد فيه نصراني إلا أوجع ضربًا، عن قتادة والسدي. وقيل: لا يدخل كافر مسجدًا إلا بِحُكْمٍ، فيدخل خائفًا، ولا يدخل المسجد الحرام لحكومة ولا لغيرها، عن أبي علي، وقيل: نادى رسول الله ﷺ: «**لا يحج بعد العام مشرك**»[1] عن ابن زيد، وقيل: أَعْلَمَ اللهُ أن الإسلام يظهر حتى لا يدخل مخالف مساجدهم إلا خائفًا، فكأنه قال: إلا خائفين؛ لإعزاز الدين وإظهار المسلمين، عن الزجاج. «**لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ**» قيل: يعطون الجزية وهم صاغرون، عن قتادة، وقيل: خزيهم: فتح مدائنهم الثلاث: قسطنطينية، ورومية، وعمورية عن مقاتل والكلبي. وقيل: خزيهم إذا قام المهدي، وفتحت

---

(١) صحيح البخاري (١/ ١٤٤) رقم (٣٦٢)، (٢/ ٥٨٦) رقم (١٥٤٣)، (٣/ ١١٦٠) رقم(٣٠٠٦)، (٤/ ١٥٨٦، ١٧٠٩، ١٧١٠) رقم (٤١٠٥، ٤٣٧٨، ٤٣٧٩)، صحيح مسلم (٢/ ٩٨٢) رقم (١٣٤٧)، سنن أبي داود (١/ ٥٩٩) رقم (١٩٤٦)، سنن النسائي (٥/ ٢٣٤) رقم (٢٩٥٨).

قسطنطينية، عن السدي. وقيل: خزيهم: أن يقتلوا إن كانوا حربًا، ويعطوا الجزية إن كانوا ذمة، عن الزجاج. وقيل: خزيهم: طردهم عن دخول المساجد كما يدخلها المؤمن، عن أبي علي «**وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**» يعني يوم القيامة لهم عذاب جهنم عن جماعة المفسرين، وقيل: هو ما وعد الله المسلمين من فتح الروم، ولم يكن بَعْدُ، عن الفراء، وهو خلاف الظاهر، وخلاف قول المفسرين.

۞ الأحكام

الآية تدل على عِظَمِ المنع من العبادة ودخول المساجد، والمراد: خائفين من لبثهم، وعظيم السعي في خرابها ومنع الناس عن عمارتها بالصلاة.

وتدل على أن الكفار يُمْنَعُونَ من دخول المساجد. والمراد خائفين من لبثهم، أو يدخلها خائفا لحكومة، وإذا كان المنع من المساجد ظلمًا عظيمًا، فالمنع من إظهار التوحيد والعدل ودين الحق أعظم.

قوله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾

۞ اللغة

المشرق: مطلع الشمس والقمر، وأصله من الشروق، وهو الطلوع، فكل شيء طلع من قِبَلِ المشرق يقال: شرق.

والمغرب والمغيب من النظائر، والمغرب: موضع الغروب، يقال: غربت الشمس إذا غابت.

والسَّعَةُ والفسحة من النظائر، ونقيض السعة الضيق، والسعة: مصدر وسع يسع سعة.

۞ الإعراب

اللام في قوله: (ولله) أصله لام الإضافة، ومعناه المِلْكُ.

ويقال: لم وحد المشرق والمغرب، ولله المشارق والمغارب؟

قلنا: فيه قولان: أحدهما: أنه أخرجه مخرج الجنس فدل على الجمع، كقولهم: أهلك الناس الدينار والدرهم. وقيل: على الحذف وتقديره: المشرق الذي تشرق منه الشمس كل يوم، والمغرب الذي تغرب فيه كل يوم.

(ثَمَّ): يبنى على الفتح، وإنما بني لأن فيه معنى الإشارة إلى المكان فمعناه هنالك[1]، وبني على الحركة لالتقاء الساكنين، وفُتِحَ لخفة الفتح في المضاعف.

النزول

اختلفوا في سبب نزول الآية فقيل: لما حُوِّلَتِ القبلة عن بيت المقدس أنكر اليهود ذلك، فنزلت الآية ردًّا عليهم، عن ابن عباس وأبي العالية. وبَيَّنَ تعالى أنه ليس في جهة دون جهة على ما يذهب إليه المُشَبِّهَةُ، وقيل: كان للمسلمين التوجه حيث شاؤوافي صلواتهم، ففيه نزلت الآية، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤]، عن قتادة وابن زيد، قال: وكان النبيّ ﷺ اختار التوجه إلى بيت المقدس، وله أن يتوجه حيث شاء، وقيل: نزلت في قوم صلوا في ظلمة وخفيت عليهم جهة القبلة، فاجتهدوا وصلوا، فلما أصبحوا إذا هم قد صلوا إلى غير القبلة، فسألوا عن ذلك رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية، عن النخعي.

وقيل: نزلت في صلاة التطوع على الراحلة عن ابن عمر، وقيل: في تحويل القبلة، يعني له المشرق والمغرب، فأينما كنتم فصلوا إلى الكعبة عن عكرمة، وقيل: نزلت في المجتهدين بشرط الاجتهاد.

وقيل[2]: لما نزلت: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] قالوا: أين ندعوه، فنزلت الآية، عن الحسن ومجاهد والضحاك.

النظم

وقد قيل في اتصال الآية بما قبلها وجوه:

---

(١) فمعناه هنالك: ومعناه هالك، ف، و.

(٢) وقيل: ـ ، د، ف.

منها: لما تقدم الوعيد قال: لله المشرق والمغرب فأينما تكونوا فهو معكم، وليس بغائب عنكم، في معنى قول الأصم، وقيل: لما تقدم ذكر الصلاة والمساجد عقبه بذكر القبلة وبيانها، وقيل: إنه خطاب لليهود والنصارى، حيث عاب بَعْضُهُم بعضًا على ما تقدم، وَقِبْلَتُهُمْ مختلفة، فَبَيَّنَ أنه ليس في جهة دون جهة، بل هو خالق الجهات بخلاف ما تقوله الْمُشَبِّهَةُ.

ومعنى: «فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ» أي جهة الله، يعني جهة[1] المشرق والمغرب الذي هو ملكه وخلقه، عن أبي مسلم، وقيل: إنه خطاب للمسلمين أي: لا يمنعكم تخريب من خرب مساجد الله عن ذكره حيث كنتم من أرضه، فلله المشرق والمغرب والجهات كلها، عن علي بن عيسى.

۞ المعنى

«وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ» قيل: له ملكهما، وقيل: خَلْقُهُمَا، وقيل: الخلق والملك له، والمراد بالمشرق جهة المشرق، وبالمغرب جهة المغرب، «فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا» وجوهكم، أي تحولوا «فَثَمَّ» هنالك «وَجْهُ اللَّهِ» قيل: جهة القبلة التي أمر الله تعالى بالتوجه إليها، وهي الكعبة، عن الحسن ومجاهد وقتادة ومقاتل؛ لأنه يمكن أن يتوجه إليها من كل مكان، وقيل: فثم الله فادعوه حيث توجهتم، وقيل: فثم رضوان الله يعني الوجه الذي يؤدي إلى رضوانه، عن أبي علي، «إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ» قيل: غني، عن أبي عبيدة، وتقديره: إنه غني عن عطائكم. وإنما يريدها لمنافعكم، وقيل: واسع المقدور يفعل ما يشاء، وقيل: واسع الرحمة، عن أبي علي، وقيل: واسع الرحمة، فلذلك رَخَّصَ في الشريعة، عن الزجاج. «عَلِيمٌ» قيل: عليم بوجوه الحكمة فبادروا إلى أمره، وقيل: واسع الرحمة «عَلِيمٌ» أي يضعها على ما توجبه الحكمة، وقيل: عليم بِنِيَّاتِهِمْ حيثما صلوا ودعوا.

۞ الأحكام

إذا حملت الآية على التوجه إلى القبلة، كأنه قيل: أينما كنتم فَمَكَّةُ القِبْلَةُ، فتدل

(١) جهة: ـ، د، ز.

على وجوب التوجه إليها، وفيه إجماع وعلم من دينه ضرورة، وإذا حملت على التوجه عند الاشتباه إلى حيث يؤدي اجتهاده، فتدل على صحة الاجتهاد، وفي هذين الوجهين لا نسخ في الآية، وإذا حملت على التخيير فلا بد من نسخ ذلك لوجوب التوجه إلى الكعبة.

وتدل على أن من توجه باجتهاده عند الاشتباه ثم بان خَطَؤُهُ لا قضاء عليه، وهو قول أبي حنيفة، وقال الشافعي: عليه القضاء.

وقد اختلفوا فيما يجب عند الاشتباه إذا لم يجد من يسأله، فقال أكثر الفقهاء: يجتهد، وقال بعضهم: يصلي إلى أربع جهات، والصحيح الأول؛ لأن في الثاني أمرًا بالصلاة إلى غير القبلة بيقين.

قوله تعالى:

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ١١٦﴾

القراءة

قرأ ابن عامر: «**قالوا**» بغير واو، والباقون بالواو.

اللغة

الوَلَدُ والوُلْدُ لغتان، وقد ذكرناه، وأصله من الولادة.

وأصل القنوت: الدوام، ثم يستعمل على أربعة أوجه: الطاعة، كقوله تعالى: ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ﴾ [آل عمران: ٤٣]، وطول القيام كقوله ﷺ لما سئل عن أي الصلاة أفضل، قال: «**طول القنوت**»[(١)] . وبمعنى السكوت، كما قال زيد بن أرقم: كنا نتكلم في الصلاة حتى نزل: ﴿لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] فأمسكنا عن الكلام، وتكون بمعنى الدوام.

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٥٢٠) رقم (٧٥٦)، سنن الترمذي (٢/ ٢٢٩) رقم (٣٨٧)، سنن النسائي (٥/ ٥٨) رقم (٢٥٢٦)، سنن ابن ماجه (١/ ٤٥٦) رقم (١٤١٢).

۞ النزول

قيل: نزلت في اليهود حين قالوا: عزير ابن الله، وفي النصارى حين قالوا: المسيح ابن الله، وفي مشركي العرب حين قالوا: الملائكة بنات الله.

۞ المعنى

لما حكى الله تعالى قول اليهود في أمر القِبْلَةِ وَرَدَّ عليهم، ذكر قولهم في التوحيد وردَّ عليهم فقال تعالى: «**وَقَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا**» يعني المشركين وغيرهم «**سُبْحَانَهُ**» يعني تنزه عن اتخاذ الولد «**بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**» مِلْكًا وخَلْقًا، فنبه بذلك على أن المسيح وغيره خَلْقُ له، مملوك مربوب، فهم بمنزلة سائر الخلق، على أن من يكون خالق السماوات والأرض لا يجوز عليه اتخاذ الولد؛ لأنه يكون جسمًا، والجسم لا يقدر على خلق الجسم «**كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ**» قيل: مطيعون، عن مجاهد وابن عباس. وقيل: مطيعون يوم القيامة، عن السدي. وقيل: قائم له بالشهادة بما فيه من آثار الصنعة، والدلالة على الربوبية، عن أبي علي والأصم. وقيل: جميعها في ملكه وقهره، متصرف فيها كيف شاء، لا امتناع عليه، عن أبي مسلم.

ويقال: هل هو عام أم خاص؟

قلنا: منهم من قال: هو عام، ثم اختلفوا، فقيل: أراد يوم القيامة، عن السدي. وقيل: هو ما دل عليه آثار الصنعة، كما ذكرنا عن أبي علي. وقيل: هو بالقهر كما ذكرنا، عن أبي مسلم، ومنهم من قال: هو خاص، ثم اختلفوا فقيل: أراد به المطيعين، عن الفراء. وقيل: أراد المسيح وعزيرا، عن مقاتل. واللفظ عام فلا يجوز تخصيصه من غير دليل.

۞ الأحكام

الآية تدل على تنزيهه تعالى عما لا يليق به من الصاحبة والولد.

وتدل على أنه ليس بجسم؛ لأن الوالد يكون من جنس الولد، فلو صح كونه جسمًا لجاز عليه الولد.

ويدل قوله (سبحانه) على تنزيهه من القبائح.

وتدل على أن المِلْكَ والولادة لا يجتمعان؛ فلذلك نفى الولد بإثبات المِلْكِ، ولا خلاف أن من مَلَكَ أباه أو ولده يعتق عليه، واختلفوا في الرحم، فقال أبو حنيفة: يعتق، وقال الشافعي: يعتق إلا من له ولاية.

قوله تعالى:

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾

القراءة

قرأ ابن عامر: «كُن فَيَكُونَ» بالنصب كل القرآن إلا في موضعين في آل عمران: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٩، ٦٠] وفي الأنعام: ﴿كُن فَيَكُونُۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّۚ﴾ [الأنعام: ٧٣] فإنه رفعهما. وعن الكسائي بالنصب في النحل ويس، ورفع سائر القرآن، وقرأ الباقون بالرفع كل القرآن.

اللغة

الابتداع والاختراع والإنشاء نظائر، ونقيض الابتداع الاحتذاء على مِثَالٍ، يقال: ابتدعت الشيء، وأَبْدَعْتُهُ أنشأته.

والقضاء والحكم نظائر، وأصل القضاء: الفصل، ومنه انقضى الشيء إذا انفصل وتم، ثم ينصرف على وجوه:

منها: الخلق كقوله: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ [فصلت: ١٢].

ومنها: الأمر كقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

ومنها: الإخبار والإعلام كقوله: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الإسراء: ٤].

ومنها: قضى القاضي بين الخصمين أي: فصل الأمر.

و(كن): أمر من قولهم: كان يكون، وأصله: كُونْ فحذفت الواو فصار: كن.

۞ الإعراب

«فيكون» يرفع وينصب، فالرفع من وجهين: أحدهما: العطف على (يقول)، والثاني: الاستئناف، أي فهو يكون، والنصب على جواب الأمر، وقيل: هو بعيد.

۞ المعنى

لما تنزه عن اتخاذ الولد، ودل عليه بخلق السموات والأرض، أكد ذلك، فقال تعالى: «بَدِيعُ» يعني: مُنْشِئٌ لا على مثال، وبديع ومبتدع بمعنى، غير أن في «بديع» مبالغة للعدول فيه، ولأنه يدل على استحقاق الصفة في غير حال الفعل، على تقدير أن مِنْ شأنه الإبداع، فهو في ذلك بمنزلة سامع وسميع، ومعنى بديع ومنشئ أنه خالق ذلك عن عدم، لا على مثال، ولا عن سبب، بل أوجدها ولم تكن قط، قال السدي: خلقها، ولم يخلق قبلها شيئًا فيتمثل به: «وَإِذَا قَضَى أَمْرًا» قيل: خلق أمرًا،عن أبي علي وأبي القاسم، وقيل: حتم وحكم بأنه يفعل أمرًا، وقيل: أحكم أمرًا، قال الشاعر:

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا   دَاوُودُ أو صَنَعُ السَّوَابِغِ تُبَّعُ[1]

وقيل: حكم حكمًا في عباده، عن الأصم، والأول أوجه، وإنما يقول له: «كن فيكون» اختلفوا فيه على وجوه:

الأول: وهو أصحها وأوضحها أنه بمنزلة التمثيل، وحقيقة[2] معناه: أن منزلة الفعل في تسهيله عليه وانتفاء التعذر بمنزلة ما يقال: كن فيكون، ولهذا نظائر كثيرة، فمن ذلك قولهم: قال بيده وبرأسه، قال تعالى: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] قال الشاعر:

امْتَلأَ الحَوْضُ وَقَالَ قَطْنِي   مَهْلاً[3] رُوَيْدًا قَد مَلأْتُ بَطْنِي[4]

---

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي، والمسرودتان: درعان، وقضاهما: فرغ منهما، والصَّنعُ: الحاذق بالعمل. انظر اللسان (قضى)، وتاج العروس (سبغ).

(٢) وحقيقة: حقيقته، ز، و.

(٣) مهلاً: سلا، د، ز.

(٤) اللسان (قطن).

وقال الآخر:

فـقَـالَـتْ لَـهُ الـعَـيْـنَـانِ سَـمْـعًـا وَطَـاعَـةً وَحَـدَرَتـا كَـالـدُّرِّ لَـمَّـا يُـثَـقَّـبِ[1]

وهو قول أبي علي وأبي هاشم وأبي القاسم وجماعة من المفسرين.

وقيل: إنه علامة يفعلها الله تعالى للملائكة إذا سمعوها علموا أنه أحدث أمرًا، يحكى ذلك عن أبي الهذيل، وفيه بعد؛ لأن لفظة (كن) لا تدل على فعل ولا جنس، وقيل: هذا خاص في الموجودين الذين قال لهم: «**كُونُوا قِرَدَةً**»، ومن جرى مجراهم، عن الأصم، وهذا بعيد؛ لأنه تخصيص من غير دليل، ولأنه تعالى يكونه فما فائدة قوله: (كُنْ)؛ ولأن «كن» فعل فيحتاج إلى «كن» آخر فيتسلسل، وقيل: إنها أمر للمعدوم حيث علمه الله تعالى، وهذا فاسد؛ لأن المعدوم لا يصح خطابه، ولأنه تخصيص من غير دليل، وقيل: أمر للموجودين من إحياء الموات، وإماتة الأحياء، والآية عامة توجب حمله على ما ذكرنا.

ويقال: كيف الاحتجاج بالآية على نفي الولد؟

قلنا: فيه قولان:

الأول: أن مبدع الأشياء هو مبدع عيسى من غير أب.

والثاني: أن من كان هذه صفاته لا يجوز عليه اتخاذ الولد كما لا يجوز [عليه] صفات النقص.

۞ الأحكام

الآية تدل على أنه تعالى خالق السموات والأرض، فتدل على أنه ليس بجسم؛ لأن الجسم لا يقدر على الجسم، وإذا لم يكن جسمًا لم يَجُزْ عليه اتخاذ الولد.

وتدل على بطلان قول المفوضة والباطنية.

---

(١) البيت لم أقف على قائله، انظره في اللسان (قول)، وتاج العروس (قول). وتعددت الروايات في بداية صدر البيت، فقالت، قالت، وقالت.

وتدل على كمال قدرته حيث لا يمتنع عليه شيء، فمن هذا الوجه تدل على كونه قادرًا لذاته.

قوله تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾﴾

اللغة

اليقين والعلم والمعرفة نظائر، ونقيضه الجهل.

والآية: العلامة والحجة.

المعنى

لما بَيَّنَ تعالى من حالهم إنكار التوحيد، والاحتجاج عليهم، عقبه بذكر خلافهم في النبوات مبينًا أنهم يسلكون سبيل التعنت والعناد، فقال تعالى: «**وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ**» قيل: النصارى، عن مجاهد، وقيل: اليهود، عن ابن عباس، وقيل: مشركو العرب، عن الحسن وقتادة والأصم وأبي علي، وهو الأقرب؛ لأنهم الذين سألوا المحالات، ولم يقتصروا على ما ظهر من المعجزات ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الإسراء: ٩٠] الآيات إلى آخرها، ولأنه وصفهم بأنهم لا يعلمون، وأهل الكتاب أهل علم، وقيل: سائر الكفار الذين كانوا في عصر النبي ﷺ، ومعنى «**لاَ يَعْلَمُونَ**» قيل[١]: التوحيد والدين والكتاب، عن أبي علي، وقيل: لا يعلمون الكتاب «**لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللَّهُ**» يعني يكلمنا معاينة أنك نبي، وقيل: يكلمنا بكلامه كما كلم موسى وغيره من الأنبياء «**أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ**» أي حجة ومعجزة توافق دعوتنا ومرادنا، «**كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ**» قيل: هم اليهود، عن مجاهد، وقيل: اليهود والنصارى وغيرهم، عن قتادة والسدي والربيع، وقيل: سائر الكفار الذين كانوا قبل الإسلام،

(١) ومعنى لا يعلمون قيل: ومعنى قيل: لا يعلمون، ف، و.

عن أبي مسلم، «تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ» قيل: في الكفر والإعراض عن الأنبياء والبعث، كقول اليهود لموسى (عليه السلام): ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣]، وقول النصارى لعيسى: ﴿أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [المائدة: ١١٤]، وقول العرب لمحمد ﷺ: حول لنا الصفا ذهبًا، وقيل: بالكفر.

واختلفوا في قوله: «قُلُوبُهُمْ» قيل: قلوب النصارى واليهود، عن مجاهد، وقيل: العرب واليهود والنصارى، عن قتادة والربيع، «قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ» يعني الحجج والمعجزات التي يعلم بها صحة نبوته[(١)] «لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ» قيل: أيقن به قوم حيث تدبروا، فدلهم[(٢)] على الحق، فالواجب على هؤلاء أيضًا أن يستدلوا.

ويقال: لِمَ لم يؤتوا ما طلبوا فيكون آكد بالحجة؟

قلنا: لأن المصالح لا تقف على اختيار العباد، بل يختارون المفسدة، وهو تعالى العالم بالمصالح، فَيُظْهِرُ ما يكون لطفًا وصلاحًا، ولا يُظْهِرُ ما يكون بخلافه.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن الاقتراح على الأنبياء بالمعجزات لا يجوز.

وتدل على صحة الحجاج في الدين؛ لأن الآيات تطلب لذلك.

وتدل على بطلان قول أصحاب المعارف؛ لأنه أَثْبَتَ قَوْمًا تَعْلَمُ، وعندهم الجميع سواء في ذلك، ولأنه أثبت قوما لا تعلم.

قوله تعالى:

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾

۞ القراءة

قرأ نافع ويعقوب: «تَسْأَلْ» بالجزم، وفتح التاء على النهي والباقون برفع التاء واللام على الخبر، فأما قراءة نافع فتحتمل وجهين:

---

(١) صحة نبوته: نبوة محمد، د، و، ز.

(٢) فدلهم: +، و.

أحدهما: أن يكون الله تعالى أمره بترك المسألة.

والثاني: أن يكون على تفخيم ما أعد لهم من العقاب، كما يقال: لا تسأل عن فلان، قد صار إلى أعظم ما ترى.

والقراءة الثانية على معنى أنه غير مسؤول عنهم.

۞ اللغة

الجحيم: النار الشديدة التأجج والالتهاب، ومنه اشتقاق الجحيم، وهو نار جهنم.

۞ الإعراب

يقال: ما موضع «**تُسْأَلُ**» من الإعراب؟

قلنا: قال الزجاج: فيه قولان: أحدهما: أن يكون استئنافًا، فلا يكون له موضع، والآخر أن يكون حالاً، فيكون موضعه نصبًا، كأنه قيل: أرسلناك غير مسؤول عن أصحاب الجحيم.

۞ النزول

قيل: قال رسول الله ﷺ: «**ليت شعري ما فعل أبواي**»[1] فنزلت الآية[2] «**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا**»، عن ابن عباس ومحمد بن كعب، وهذا الخبر من أخبار الآحاد، ويبعد أن يصح ذلك، عن ابن عباس.

۞ المعنى

لما تقدم ذكر تكذيبهم له وسؤالهم على طريق التعنت، ورد عليهم، بين في هذه

(١) لباب النقول ١٧، والعجاب في بيان الأسباب١/٣٦٨، والحجة في القراءات السبع٨٧، وحجة القراءات ١١١.

(٢) الآية: ـ ، ف.

الآية أنه أيده بالحجج، وبعثه بالحق، فإذا لم يؤمنوا مع هذا فَوَبالُهُ عليهم، ولا تسأل عن أفعالهم، فقال تعالى: «**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ**» يا محمد «**بِالْحَقِّ**» قيل: بالإسلام، عن الأصم، وقيل: بالقرآن، عن ابن عباس، وقيل: بالصدق. وقيل: على الحق بعثناه، على أنه حق «**بَشِيرًا**» للمؤمنين بالجنة «**وَنَذِيرًا**» أي مخوفًا للكافرين بالنار «**وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ**» أي لا تسأل عن أحوالهم، وفيه تسلية له، أي: أنت هاد، وليس عليك قبولهم، ونظيره: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر: ٨] وقيل: لا تُؤَاخَذُ بذنبهم، كقوله: ﴿عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ [النور: ٥٤] وقيل: معناه لا تنظر إلى المطيع والعاصي في الحال والوقت، فإن الحال قد يتغير، فهو غيب لا تسأل عنه، ذكره القاضي.

۞ الأحكام

الآية تدل على تعليق الثواب والعقاب بالحق المذكور، ولا يكون كذلك إلا بأن تبشر بالثواب من تمسك به، وتنذر بالعقاب من زاغ عنه.

وفي قوله «**وَلاَ تُسْأَلُ**» تسلية له (عليه السلام)؛ لئلا يشتد حزنه بمن[1] زاغ عنه، وقال أبو علي: تدل الآية على أن أحدًا لا يؤاخذ بذنب غيره.

قوله تعالى:

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝١٢٠﴾

۞ اللغة

الرضا والمحبة والمودة نظائر، ونقيض الرضا الغضب، والرضا مقصور، من بنات الواو، ودليله الرضوان، والرضا يرجع إلى الإرادة، والغضب إلى الكراهة، فكأن من رَضِيَ عنه يَزِيدُ إكرامه، ومن غضب عليه يزيد هوانه.

---

(١) بمن: من، ز، و.

والملة والنحلة والديانة نظائر، والملة: النحلة التي ينتحلها الإنسان من الدين[1]، وأصله من الحمى لأن الإنسان يحمى على ملته.

۞ النزول

اختلفوا في سبب نزول الآية، قيل: كانوا يسألون النبي ﷺ الهدنة والمسالمة، ويرونه أنه إن أمهلهم أسلموا، فأعلمه الله تعالى أنهم لن يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم، عن الزجاج، وقيل: كان هذا في أمر القبلة، وذلك أن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون أن يصلي النبي ﷺ إلى قبلتهم، فلما صرفت القبلة إلى الكعبة يئسوا من الموافقة، وشق عليهم ذلك، فأنزل الله تعالى الآية، وقيل: كان النبي ﷺ مجتهدًا في طلب ما يرضيهم ليدخلوا في الإسلام، فأنزل الله تعالى الآية، وقال: دع طلب ما يرضيهم إلى ما أمرك الله به من مجاهدتهم.

۞ المعنى

لما تقدم ذِكْرُ مخالفة الكفار للرسول، وبين أنه أرسله بالحقآيَسَهُ من موافقتهم، وأمر بمجاهدتهم فقال تعالى: «**وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**» يعني كل فرقة منهم لا ترضى عنك إلا أن تتبع ملتهم، قيل دينهم، وقيل: قبلتهم «**قُلْ**» يا محمد لهم «**إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى**» قيل: معناه إن القرآن هو الذي يهدي إلى الجنة، فالهدى الأول هو القرآن، والثاني: الهداية إلى الجنة عن أبي علي، وقيل: معناه الذي دعاه الله إليه من الدين هو الذي يهدي إلى الجنة، وطريق النجاة لا اليهودية والنصرانية، فالهدى الأول الدعاء إلى الحق، والثاني طريق الجنة والنجاة، عن أبي مسلم، وقيل: معناه هدى الله الذي يكذب قولهم: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١] وتقديره: دلالات كتاب[2] الله تدل على أن الجنة يدخلها المطيعون لا العصاة الذين ذكروا «**وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ**» يا محمد «**أَهْوَاءَهُمْ**» يعني مرادهم «**بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ**» قيل: من الدين، وقيل: من العلم بأن دين الله هو الإسلام،

(١) من الدين: ـ، و.
(٢) كتاب: ـ، د.

قال الحسن: قال تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ وقد علم تعالى أن رسوله لا يتبع أهواءهم «مَا لَكَ» يا محمد «مِنَ اللَّهِ» يعني مما يريده من عقابه إن اتبعت أهواءهم «مِنْ وَلِيٍّ» يلي أمرك، فيعصمك منه، «وَلاَ نَصِيرٍ» يعني معين وظهير يعينك عليه.

❁ الأحكام

الآية تدل على أنه يستحيل رضا اليهود والنصارى؛ لأن اليهود لا ترضى عنه حتى يكون يهوديًّا، والنصارى لا ترضى عنه حتى[1] يكون نصرانيًّا، ويستحيل كونه يهوديًّا ونصرانيًّا، فاستحال رضاهم بذلك.

وتدل على صحة الوعيد لمن علم أنه لا يَعْصِي؛ لأن قوله: «مَا لَكَ مِنْ وَلِيٍّ مِنَ اللهِ ولاَ نَصِيرٍ[2]» إن اتبعت أهواءهم وَعِيدٌ له، وقد علم أنه لا يتبعهم، وحل ذلك محل قوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥].

وتدل أن كل متبع لكافر في كفره، فليس له من الله ولي ولا نصير؛ لأنه أوجب ذلك في متبع واحد، فوجب في كل متبع.

وتدل على أنه لو اتبعهم لانحبط ثوابه؛ إذ لو بقي ثوابه لما جاز ألا يكون له ولي ولا نصير.

قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾

❁ اللغة

التلاوة: القراءة، تلا كتاب الله: قرأه، وأصل التلاوة الاتباع، ومنه: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ [الشمس: ٢] أي اتبعها.

(١) حتى: ـ، ف.
(٢) ولا نصير: ـ، ز.

والإيمان: التصديق، في اللغة آمن: صدق.

والخاسر: من هلك رأس ماله.

۞ الإعراب

«**الذين**» موضعه رفع بالابتداء، و«**أولئك**»: ابتداء ثان، و«**يؤمنون به**» خبره، وتقديره: الذين يؤمنون بالكتاب هم الذين يتلونه حق تلاوته، عن أبي مسلم.

ويقال: الهاء في قوله: «**يَتْلُونَهُ**» إلى ماذا تعود؟

قلنا: فيه قولان: قيل: إلى الكتاب الذي سبق ذكره، وقيل: إلى محمد ﷺ، وقد سبق ذكره في قوله: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ [البقرة: ١١٩].

ومعنى «**يَتْلُونَهُ**» يصفونه في كتبهم حق صفته لمن سأل عن أحواله، عن الكلبي.

۞ النزول

قيل: نزلت في أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب (عليه السلام) من الحبشة، وكانوا أربعين رجلاً اثنان وثلاثون من الحبشة، وثمانية من رهبان الشام، منهم بحيرا، عن ابن عباس، وقيل: هم[١] أصحاب النبي ﷺ آمنوا بالقرآن، وصدقوه، عن قتادة وعكرمة وأبي علي، وقيل: هم من آمن من أهل الكتاب[٢]، كعبد الله بن سلام وابن صوريا عبد الله وغيرهم، والكتاب: التوراة عن الضحاك وأبي مسلم والأصم، قال أبومسلم: الذي يؤمن بالكتاب من يتلوه حق تلاوته، لا من يُحَرِّفُهُ، وقيل: هم المؤمنون عامة.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى حال الطائفتين فقال تعالى: «**الَّذِينَ أَتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ**» قيل: الكتاب: القرآن، ومَنْ أعطاهم: المؤمنون، وقيل: الكتاب: التوراة، ومن أعطاهم: أهل الكتاب على ما ذكرنا «**يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ**» قيل: يتبعونه حق اتباعه ولا يحرفونه،عن ابن

(١) هم: هو، د، ز.

(٢) من أهل الكتاب: من اليهود وأهل الكتاب، د، ف، و.

عباس وابن مسعود ومجاهد وقتادة، وقيل: يقرؤونه حق قراءته، عن أبي علي، واختلفوا في «**حق تلاوته**»، فقيل: لا يحرفونه بل يتبعونه كما أنزل الله تعالى، عن ابن عباس، وقيل: يتلونه على سبيل الخشوع، ويتدبرون فيه وفي دلائله؛ ليقوموا بواجباته، عن أبي علي. وقيل: يحلون حلاله، ويحرمون حرامه ولا يحرفونه، عن ابن مسعود «**أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ**» يعني بالكتاب، عن أكثر المفسرين، وقيل: بالنبي ﷺ عن الكلبي «**وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ**» قيل: هم اليهود، عن ابن زيد. وقيل: سائر الكفار، عن أبي علي، وهو الأوجه لعموم اللفظ «**فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**» قيل: خسروا أنفسهم وأعمالهم في الدنيا؛ لأنهم لم ينتفعوا بها، عن الأصم. وقيل: خسروا في الدنيا الظفر والنصرة، وفي الآخرة ما أعد الله للمؤمنين من النعيم الدائم، عن أبي علي.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن حقيقة الإيمان بالكتاب أن يتلوه حق تلاوته.

وتدل على أن من يكفر[1] بالكتاب فقد خسر الدنيا والآخرة؛ لسوء اختيارهم والعدول عن طاعة الله.

وتدل على أن التلاوة والكفران فِعْلُهم؛ لذلك أضافها إليهم وأوجب الجزاء لهم.

قوله تعالى:

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢٢﴾

۞ اللغة

النعمة: النفع الحسن الذي قَصَدَ المنعِمُ به الإنعام، وقيل: النفع الذي يستحق به الشكر. والإنعام: الإفضال على الغير.

والعالم: جماعة العقلاء، وجمعه عالمون[2]، وقيل: العالم ما حواه الفلك، والأول أقرب إلى قول أهل اللغة، والثاني إلى عرف المتكلمين.

---

(١) يكفر: كفر، ز، و.

(٢) عالمون: عالمين، ف، و.

۞ الإعراب

يقال: ما موضع «وَأَنِّي» من الإعراب؟

قلنا: نصب[1] بالعطف على «نِعْمَتِي».

۞ المعنى

ثم وعظ تعالى بني إسرائيل وذكَّرَهُمْ نعمته، ودعاهم إلى دينه فقال تعالى: «**يا بَنِي إِسرائِيل**» معنى إسرائيل: عبد الله، وهو يعقوب. «**اذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ**» قيل: نعم الدين والدنيا، وقيل: أراد ما أنعم على بني إسرائيل زمن موسى وداود وسليمان ـ عليهم السلام ـ، عن أبي علي. «**وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**» قيل: على عالمي زمانهم، بأن جعل النبوة والحكم فيهم، عن الحسن. وقيل: على العالمين كلهم، حيث جعل فيهم أنبياء، وجعلهم معدن كتابه، وجعل فيهم علم النبي الأمي، فلا يعلمه أحد من الخَلْقِ بصفته قبل بعثه غيرُهم، عن الأصم.

۞ الأحكام

الآية تدل على وجوب شكر النعم، والتحذير من كفرانها.

ويقال: لِم كررت هذه الآية؟

قلنا: فيه أقوال: قيل: لما كانت نعمه موجبة لشكره وعبادته ذكَّرَهُمْ بها، وأكد ذلك لِيُقْبِلُوا على طاعته، واتباع أمره، وقيل: لما تقدم ذِكْرُ الكتاب، وفيه صفة عيسى ومحمد ـ صلى الله عليهما ـ، والبشارة بهما، ذكَّرَهُمْ نعمه عليهم بذلك، وما فَضَّلَهُمْ به، كما عَدَّدَ النعم في سورة الرحمن، وكرر ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣] وقيل: إنه مقدمة لما بعده؛ لأنه تعالى لما أراد وعظهم ذكرهم قبله بالنعم عليهم؛ لأن فيه استدعاء إلى قبول الوعظ، وقيل: لما باعد بين الكلامين حسن إعادته للتنبيه

---

(١) نصب: انتصب، د، ز.

والتذكير، وقيل: لاختلاف المقامات، وكان ذلك في مقام مع اليهود، وهذا كان في مقام آخر، وقيل: تأكيدًا وإبلاغًا في الحجة.

قوله تعالى:

﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

اللغة

العدل: الفدية، وقيل: المِثْلُ، وقيل: هذا عدله، أي مثله، والعدل بفتح العين وكسرها لغتان، والعدل بكسر العين: الحمل.

والشفع: الزوج، وأصله من الضم، وسمي الشفيع؛ لانضمامه إلى طالب[1] الحاجة، ونقيض الشفع: الوتر.

المعنى

لما أمر تعالى[2] بشكر نعمه، عقبه بذكر الوعيد، فقال تعالى: «واتَّقُوا» يعني اتقوا عذابه باتقاء المعاصي «يَوْمًا» يعني يوم القيامة «لاَ تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا» يعني لا يدفع أحد عن أحد عقابًا «وَلاَ يُقْبَلُ مِنهَا عَدْلٌ» أي فدية «وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ» قيل: أراد لا يكون لها شفاعة، ولا شفيع، وقيل: إنهم قالوا: إن آباءهم من الأنبياء يشفعون لهم، فآيسهم الله من ذلك «وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ» قيل: لا ينصر أحد أحدًا، وقيل: ليس لهم من ينتصر من اللهبعد عقابه إياهم، عن الأصم.

الأحكام

الآية تدل على بطلان قول المرجئة في الشفاعة؛ لأنه تعالى بَيَّنَ أنه تعالى[3] لا

---

(١) طالب: طلب، د، ز، و.

(٢) تعالى: ـ، ف.

(٣) تعالى: ـ، ز، و.

يقبل شفاعة لمن استحق العقاب، عن أبي مسلم وأبي القاسم، ولا يقال: إنه وَرَدَ في الكافرين؛ لأن اللفظ عام في كل من استحق العقاب.

قوله تعالى:

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾

القراءة

قرأ ابن عامر: «إبراهام» بالألف بين الهاء والميم[1]، في بعض القرآن ههنا، وفي موضع آخر، وقرأ الباقون بياء بين الهاء والميم، وهو قراءة ابن عامر في مواضع وهما لغتان. وكذلك إبراهام بالألف بين الهاء والميم، وحذف الألف، قيل: وروي عن ابن الزبير أنه قرأ به، وعن أبي بكر: «إِبْرَهِمُ» بغير ألف وياء، وكلها لغات، غير أن الظاهر إبراهيم، وعليه الأئمة.

وقرأ حمزة وحفص عن عاصم «عهدي»[2] بإرسال الياء، والباقون بفتحها، وجه ذلك أن الياء ههنا كالكاف للمخاطب، فكما فُتِحَ ثَمَّ، كذلك ههنا؛ ولأن أصله الفتح بدليل أنه لو سكن ما قبل الياء[3] انفتح الياء مثل «بشراي» ووجه السكون أن تحريك الياء يكره، فإذا أمكن تسكينه سكن، وهذا غير صحيح؛ لأن تحريك الياء يكره بالكسر والضم لا بالفتح، بدليل قولهم: «بشراي».

وقراءة العامة «الظالمين» وعن ابن مسعود: الظالمون بالواو، وقال الزجاج: وهو في المصحف بالياء، ويجوز بالواو في العربية؛ لأن ما نَالَكَ فقد نِلْتَهُ، تقول: نالني خيرك، ونلت خيرك.

(١) حجة القراءات ١١٢

(٢) حجة القراءات ١١٢

(٣) الياء: الفاء، د، ز، ف.

۞ اللغة

الابتلاء: الاختبار، يقال: ابتلاه واختبره، وهو في صفة الله تَوَسُّعُ فيما يأمر به عباده على طريق التشبيه، عن أبي علي، قال أبو بكر: إنما يقال ذلك لأنه تعالى يعامل العبد معاملة المختبر.

والتمام والكمال من النظائر، تم الشيء تمامًا، وأتمه إتمامًا، ونقيضه: النقصان.

وإبراهيم: اسم أعجمي لا ينصرف.

وكلمات: جمع كلمة، وهو الكلام

والذرية والنسل والولد نظائر، وفيه ثلاث لغات: ضم الذال، وهي قراءة العامة، وفتحها، وهي قراءة أبي جعفر، وكسرها روي ذلك عن زيد بن ثابت أنه قرأ به.

۞ المعنى

لما تقدم ذِكْرُ النعم على بني إسرائيل أتبعه بقصة إبراهيم، وما أنعم عليه لانتسابهم إليه، وادعائهم أنهم على دينه، فقال تعالى: «وَإِذِ ابْتَلَى» يعني اختبر، وحقيقته أنه أمره وكلفه، «إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ» قيل: هي عشر خصال كانت فرضًا في شرعه، سنة في شرعنا، خمس في الرأس، وخمس في الجسد. أما التي في الرأس: المضمضة والاستنشاق، وفرق الرأس، وقص الشارب، والسواك، وأما التي في البدن: الختان، وحلق العانة، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار، والاستنجاء بالماء، عن ابن عباس وقتادة وأبي الخلد، وقيل: ابتلاؤه بثلاثين خصلة من شرائع الإسلام، عشر منها في سورة براءة ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ إلى آخره، وعشر في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] إلى آخر الآية، وعشر في المؤمنين: «قد أفلح» إلى قوله: ﴿هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ١٠] وروي عشر في: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾ [المعارج: ١]، إلى قوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٣] فجعلها أربعين سهمًا، عن ابن عباس. وقيل: أمره بمناسك الحج، عن قتادة والربيع وابن عباس. وقيل: ابتلاه بسبعة أشياء: بالشمس، والقمر، والكواكب، والختان، وذبح ابنه، والنار، والهجرة، فَوَفَّى كلهن،

عن الحسن. وقيل: ابتلاؤه بالآيات التي بعدها **«إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا»**... إلى آخر الآية، وقيل: هو قوله: **«إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا»**[1] فتكفل بذلك، عن أبي القاسم، وقيل: أمره بكلمات يؤديهن إلى أمته، فقام بذلك، عن أبي علي. والكل محتمل؛ لأنه يحتمل أنه ألزمه حفظًا أو فعلاً أو إبلاغًا، وإن كان الأقرب ما ذكره أبو علي. **«فَأَتَمَّهُنَّ»** قيل: وَفَّى بهن، عن الحسن، وقيل: عمل بهن على التمام، عن قتادة والربيع **«قَالَ»** يعني إبراهيم **«وَمِنْ ذُرِّيَّتِي»** أي اجعل من ذريتي من يؤتم به، ويقتدى به، يعني من أولادي، وقيل: إنه سأل لِعَقِبِهِ أن يكونوا على عهدهودينه، كما قال: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] فأخبر تعالى أن في عقبه الظالم المخالف له في دينه، بقوله: **«لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ»** وقال أبو علي: هو سؤال منه لله تعالى أن يعرفه أن في ولده من يبعثه نبيًّا، وقيل: يجوز أن يكون مسألة منه أن يفعل ذلك في ذريته فيجتمع في السؤال التعريف والدعاء، قال الله تعالى: **«لاَ يَنَالُ»** لا يصيب ولا يلحق **«عَهْدِي»** قيل: النبوة، عن السدي وأبي علي، وقيل: الإمامة، عن مجاهد وأبي حذيفة، وقيل: رحمتي عن عطاء، وقيل: طاعتي، عن الضحاك، وقيل: أماني، عن أبي عبيدة. **«الظَّالِمِينَ»** من ظلم نفسه بمعصية الله تعالى، وهو عند الإطلاق اسم ذم.

۞ الأحكام

الآية تدل على أنه تعالى أجاب دعاء إبراهيم، وجعل في ذريته النبوة والكتاب، قال أبو علي: الآية دالة على أنه سيعطي بعض ولده لولا ذلك لكان الجواب أن يقول: لا، أو يقول: لا ينال عهدي ذريتك.

وتدل على أن النُّبوّة لا تليق إلا بالمنزه عن الظلم.

وتدل على أن في ذرية إبراهيم ظالمين[2]، لا حظ لهم في النُّبوّة.

واحتج بعضهم بالآية على وجوب كون الأئمة والقضاة عدولاً غير ظالمين، وذلك يبعد؛ لأن ظاهره يقتضي انتفاء الظلم ظاهرًا أو باطنًا، وذلك لا يصح في الإمامة

(١) في هامش النسخة (ف) ما نصه: ذكر في نسخة الأصل أن ههنا غلطًا، وهو تفسير قوله: «إني جاعلك للناس إمامًا».

(٢) ظالمين: الظالمين، د، و.

والقضاء، كما يصح في النبوة، واحتج بعض الرافضة على أن الإمامة لا يستحقها من ظلم مرة، وراموا بذلك الطعن على أبي بكر وعمر، وهذا لا يصح؛ لأن المراد بالآية النبوة.

وبعد، فإن الظالم متى تاب لا يوصف بأنه ظالم به، وإنما منع تعالى أن ينال عهده الظالم في حَالٍ، مَنْ هذا حاله ينال[1] العهد.

ويقال: أما[2] كان إبراهيم عالما بأن النبوة لا تليق بالظالم؟

قلنا: بلى، ولكن لم يعلم حال ذريته، فَبَيَّنَ تعالى أن فيهم مَنْ هَذَا حَالُهُ، فإن النبوة تكون فيمن ليس بظالم.

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾

القراءة

قرأ نافع وابن عامر: «**واتَّخَذُوا**» بفتح الخاء على الخبر، والباقون بكسرها على الأمر، والخبر عطف على جعلنا.

والقراءة المجمع عليها «**مثابة**» على الواحد، وعن بعضهم «**مثابات**» على الجمع.

وقرأ حفص عن عاصم: «**بيتيَ**» بفتح الياء على الأصل والباقون بإسكانه للتخفيف.

اللغة

البيت والمأوى والمنزل نظائر، وبيت الله هو الكعبة، والبيت من أبيات الشعر، والبيت من بيوت الناس، والبيت من بيوتات العرب، والبيتوتة: دخولك في الليل، وَبِتُّ أفعل كذا، كما تقول في النهار: ظللت، وبَيَّتُّ القوم تبييتًا، إذا وقعت بهم ليلاً.

---

(١) ينال: ينل، د، ز، و.

(٢) أما: إنما، د؛ أفما، ز، ف.

والمثابة: من ثاب يثوب مثابة، وثاب[1]: رجع، وأصلها مَثْوُبَة: مَفْعُلَة، فنقلت[2] حركة الواو إلى الثاء، ثم قلبت على ما قبلها، ومثابة ومثاب قيل: معناهما واحد، كمقامة ومقام، عن الفراء والزجاج، وقيل: في مثابة مبالغة كما في قولهم: نَسَّابَة وعلاَّمة.

والمصلى: موضع الصلاة.

والطائف: الدائر، طاف يطوف طوفًا وطوافًا: إذا دار حول الشيء.

والعَكْفُ: مصدر عَكَفَ يَعِكُفُ بضم الكاف وكسرها عكفًا، إذا ألزم الشيء وأقام عليه فهو عاكف، وقيل: عكف إذا أقبل عليه لا ينصرف عنه بوجهه، والعاكف والمعتكف في المسجد، يقولون: اعتكف، ولو قيل: عكف كان صوابًا.

۞ الإعراب

يقال: على أي شيء عطف «**وَاتَّخِذُوا**»؟

قلنا: فيه أربعة أقوال:

الأول: على قوله: «**اذْكُرُوا نِعْمَتِي**» كأنه قيل لليهود: اذكروا نعمتي، واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى.

الثاني: أنه من الكلمات التي ابتلى بها إبراهيم، كأنه قال: إني جاعلك، وقال: اتخذوا من مقام إبراهيم، عن الربيع بن أنس.

الثالث: على معنى: «**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ**» كأنه قيل: واذكروا إذ جعلنا واتخذوا.

الرابع: على معنى: «**مَثَابَةً لِلنَّاسِ**» كأنه قيل: توبوا واتخذوا.

۞ النزول

عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه مر بالمقام مع رسول الله ﷺ فقال:

(١) وثاب: مثاب، د، ز.

(٢) فنقلت: فقلبت، د، ز، ف.

يا رسول الله، أليس هذا مقام إبراهيم؟ فقال: «بلى»، فقال: أفلا نتخذه مصلى، عن الأصم. وعن عمر: وافقني ربي في ثلاث: قلت: لو اتخذت مقام إبراهيم مصلى فنزلت: «**وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى**»، وقلت: لو حجبت أمهات المؤمنين فنزلت آية الحجاب، وقلت: لو حرم الخمر، فنزلت آية التحريم.

المعنى

لما ذكر تعالى حديث إبراهيم وما أنعم عليه، اتصل به حديث البيت، فقال تعالى: «**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ**» يعني اذكروا إذ جعلنا البيت يعني الكعبة، والألف واللام للعهد «**مَثَابَةً**» قيل: مرجعًا يثوبون إليه كل عام، وقيل: لا ينصرف عنه أحد وهو يرى أنه قضى منه وطرًا، وهم يعودون إليه، عن ابن عباس ومجاهد. وقيل: يثوبون إليه يرجعون دائمًا، صار كذلك بأمر الله عباده بالمصير إليه لمنافع دينهم ودنياهم، فبذلك جعله مثابة لهم، عن أبي علي. **وقيل: يحجون إليه فيثابون عليه، وقيل**: «**مَثَابَةً**» مجمعًا، عن قتادة وعكرمة. وقيل: معادًا وملجأ، والمعنى في الكل يرجع إلى أنهم يثوبون إليه مرة بعد مرة «**وَأَمْنًا**» قيل: مأمنًا يأمنون فيه، واختلفوا فقيل: لأمر الله تعالى لترك التعرض لمن دخل فيه، حتى [إنه] لا يقام [عليه] الحد حتى يخرج، وقيل: لِمَا جعل في نفوس العرب من تعظيمه، فكان من فيه آمنًا على[(1)] ماله ودمه، ويُتَخَطَّفُ الناس من حوله، وقيل: جعلهم[(2)] بحيث لا يكون فيه حدث، وتجبى إليه ثمرات كل شيء «**وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى**» قيل: الحرم كله مقام إبراهيم، عن مجاهد. وقيل: الحجر مقام إبراهيم، عن ابن عباس. وقيل: مقام إبراهيم عرفة والمزدلفة والجمار، عن عطاء. وقيل: المسجد كله مقام إبراهيم، وقيل: مقام إبراهيم هو الحجر الذي فيه أثر قدم إبراهيم، وذلك أن زوجة إسماعيل وضعته تحت قدمه حتى غسلت رأسه وهو راكب فغسلت شق رأسه، ثم وضعته من الجانب الآخر، وغسلت الشق الآخر، فغابت رجلاه في الحجر، فجعلها الله من شعائره، عن الحسن وقتادة

(1) على: من، ز، ف.
(2) جعله: جعلهم؛ د، ز، و.

والربيع والسدي وأبي علي، وهو أوجه؛ لأن مقام إبراهيم إذا أطلق فلا يفهم إلا ذلك، ولحديث عمر؛ ولأن مقامه موضع قيامه، فحمله عليه أولى «**مُصَلًّى**» قيل: مدعاة، كأنه أخذ من صليت دعوت، عن مجاهد. وقيل: قِبْلَة، عن الحسن وأبي علي. وقيل: موضع صلاة، وأمروا أن يصلوا عنده(١)، عن قتادة والسدي، وهو الصحيح، وهو الصلاة التي تفعل عقيب الطواف «**وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ**» أي أمرناهم وألزمناهم «**أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ**» من الفرث والدم الذي كان يطرحه المشركون عند البيت، قبل(٢) أن يصير في يد إبراهيم وإسماعيل، عن أبي علي. وقيل: طهراه من الأصنام والأوثان التي كانت عليه المشركون قبل أن يصير في يد إبراهيم، عن مجاهد وأبي علي وقتادة. وقيل: طهراه ببنائكما على الطهارة كقوله: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٠٩] عن السدي. «**بَيْتِيَ**» يعني الكعبة، وأضافه إلى نفسه تخصيصًا وتفضيلاً «**لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ**» قيل: للطائفين بالبيت، والمقيم بحضرته، عن عطاء وأبي علي. وقيل: الطائفين من أتاها من الآفاق، والعاكفون أهل البلد الحرام، عن سعيد بن جبير، وقيل: العاكفون المجاورون، عن مجاهد. وقيل: المصلون، عن ابن عباس، والأوجه الأول «**وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**» قيل: المصلون عند البيت، عن قتادة وعطاء وأبي علي. وقيل: أراد جميع المؤمنين، عن الحسن والفراء. وقيل: إذا طاف به فهو من الطائفين، وإذا جلس فهو من العاكفين، وإذا صلى فهو من الركع السجود، عن عطاء.

۞ الأحكام

يدل قوله: «**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً**» على أن ذلك تَعَبُّدٌ منه؛ لأن معنى مثابة أن يثوبوا إليه، وذلك فعلهم، فيتعلق به التعبد، ثم ذلك قد يكون نذرًا، وقد يكون واجبًا، فالواجب له صفة زائدة فيحتاج إلى دليل، ويحتمل أنه جعله(٣) مثابة بلطفه حتى يحصل في قلوبهم الحرص على الرجوع إليه، وإن كان الوجه الأول أولى.

---

(١) لنا: ـ، ف.

(٢) +، د، ز: عن ابن عباس، والأوجهُ الأول، والركع السجود وقيل: المصلون.

(٣) جعله: ـ، ف.

وتدل على أن التعبد بأن يثاب إليه، ثم ليس في الآية أن يثاب للحج[1] أو العمرة أو الطواف أو الصلاة، فصارت من باب المجمل يحتاج إلى بيان، وقيل: إن الأقرب أن المراد الطواف؛ لأنه يختص بالبيت لمن ثاب إليه.

ويدل قوله: «أَمْنًا» على حصول أمن، ثم يحتمل أن يكون ذلك تعبدًا بأن أمر أن يُؤَمَّنَ مَنْ دَخَلَهُ، ويحتمل أنه من فِعْلِهِ تعالى، ثم ينقسم إما أن يريد أنه لا يلحقهم حدث، أو عَظَّمَ حرمته في القلوب حتى تركوا التعرض، أو لطف في ذلك فحينئذ يكون خبرًا، ولا يكون تعبدًا.

ويدل قوله: «وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى» على تعبد، والأقرب أنه الصلاة التي تختص بتلك البقعة عقيب الطواف؛ لأنه مختص بالمقام، ولخبر عمر.

ويدل قوله: «طَهِّرَا بَيْتِيَ» على وجوب تطهيره مما يمنع صحة الصلاة والطواف؛ لأنهما المختصان به، ولذلك قال: «لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ»، ثم ذلك قد يكون من النجاسة، وقد يكون من الأوثان، وإن كان الأول أقرب؛ لأنه يختص بالمنع من الصلاة.

وقد استدل بعضهم بها على وجوب العمرة، ولا دليل له فيها لا ظاهرًا ولا مفهومًا.

وتدل الآية على أن من لجأ إلى الحرم وقد وجب عليه حد أو قصاص لا يُتَعَرَّضُ له، ولكن يُضَيَّقُ عليه حتى يخرج.

وتدل على وجوب تطهير البيت عما لا يليق به من الصبيان والمجانين، وكذلك من اللعب والمآثم.

وتدل على كراهية الصلاة في البيت على الميت على ما يقوله أبو حنيفة؛ لأنه لا يؤمن خروج نجاسة منه.

---

(١) للحج: في الحج، د، ز، ف.

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾

۞ القراءة

قرأ ابن عامر: «فَأُمْتِعُهُ» بسكون الميم خفيفة من أمتعت[1]، والباقون بفتح الميم مشددة من مَتَّعْتُ، كقوله: ﴿فَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الصافات: ١٤٨] والفرق بينهما أن متعت بالتشديد، يدل على التكثير خلاف التخفيف، وعن أبي بن كعب، «**فنمتعه**» و«**نضطره**» بالنون، وعن ابن عباس «**فَأمتِعْهُ**» بتخفيف الألف، وكسر التاء خفيفة، «**ثُمَّ اضْطَرَّهُ**» موصولة الألف مفتوحة الراء على جهة الدعاء من إبراهيم، والدعاء صيغته صيغة الأمر، وإنما يختلف بالرتبة.

۞ اللغة

البلد والمصر والمدينة نظائر، وأصله من قولهم بلد للأثر في الجلد، وجمعه أبلاد، ومن ذلك سميت البلاد؛ لأنها مواضع مواطن الناس وتأثيرهم، والبلدان الجمع.

والثمرة جمعها ثمرات وثمار.

وَنُمْتِعُهُ بالتخفيف من أُمْتَعْتُ، وأُمَتِّعُهُ بالتشديد من مَتَّعْتُ، وفعلت وأفعلت يجيء على خمسة أوجه: التكثير والتقليل، كمتعت وأمتعت وعلى النقيض، كفرطت قصرت، وأفرطت تجاوزت، ويجمعها مجاوزة حد الاستقامة والاعتدال إما إلى التقليل أو التكثير، والثالث: وَلِيتُ الفعل وتركته حتى يقع، كخَرَّبْت[2] البيت هدمته،

(١) السبعة في القراءات ١٧٠.

(٢) كخربت: خربت، د، ز.

وأخربته تركته حتى خرب. والرابع: أن يكونا بمعنى واحد كسميت وأسميت. والخامس: أن ينفرد أحدهما عن الآخر، كقولك: كلمت ليس فيه أفعلت، وأجلست ليس فيه فعلت.

والاضطرار: فِعْلٌ لا يتهيأ له الامتناع منه.

وصار يصير مصيرًا على قياس رجع يرجع مرجعًا، والمصير المآل، يقال: صار أمره إلى كذا، أي آل ورجع.

۞ الإعراب

«مَنْ آمَنَ» محله نصب؛ لأنه بدل من أهله، قال الأخفش: هذا بدل البعض عن الكل.

و«قليلاً»: نصب لأنه صفة لمحذوف، ويجوز فيه وجهان: أحدهما أن يكون المحذوف مصدرًا تقديره إمتاعًا قليلاً، أو زمانًا تقديره: زمانًا قليلاً.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى ما دعا به إبراهيم لأهل مكة فقال تعالى: «وإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ» أي اذكر إذ قال إبراهيم «رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا» يعني مكة «آمِنًا» يعني مأمونًا من أهله، ومن دخل فيه، وقيل: إنما صار حرمًا آمنًا بدعاء إبراهيم، وقبلها كانت كسائر البلاد يدل عليه قوله ﷺ: «إن إبراهيم حرم مكة، وإني حرمت المدينة»[1] وقيل: كان الحرم آمنًا قبل دعوة إبراهيم، وأكده إبراهيم بالدعاء، يدل عليه ما روي عن النبي ﷺ أنه قال لما فتح مكة: «إن مكة حرام حرمها الله يوم خلق السموات والأرض»[2] الخبر، وقيل: كانت حرامًا قبل الدعوة بوجه غير الوجه الذي صارت به حرامًا بعد الدعوة، فالأول بمنع الله إياها من الاصطلام[3]، وبما جعل في النفوس من التعظيم، والثاني: بالأمر على ألسنة الرسل، فأجابه الله تعالى إلى ما سأل.

---

(١) صحيح مسلم (٢/ ٩٩٢) رقم (١٣٦٢)، سنن الدارقطني (٣/ ٩٨) رقم (٦١)، مصنف عبد الرزاق (٥/ ١٣٩) رقم (٩١٨٨)، سنن النسائي الكبرى (٥/ ٢٠٨) رقم (٨٦٨١)، شرح معاني الآثار (٤/ ١٩٣) رقم (٥٨٥٠).

(٢) عمدة القارئ (٨/ ١٦١).

(٣) الاصطلام: الاستئصال. مختار الصحاح (صلم).

واختلفوا في قوله: «آمِنًا» من ماذا؟ قيل: من الجدب والقحط؛ لأن أهلها بواد غير ذي زرع، ولم يسأله أَمْنَة[1] من خسف وانتقال؛ لأنه كان آمنًا قبل ذلك[2]، وقيل: سأله الأمرين، وإن كان أحدهما مستأنفًا، والآخر قد كان قبل مسألته، فسأله أن يديمها له «**وَارْزُقْ أَهْلَهُ**» أي أعطهم من أنواع الرزق والثمرات «**مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**» وإنما خص المؤمنين بالدعاء في الرزق تأدبًا بآداب الله تعالى[3] لما رد عليه في جواب مسألته لذريته من الإمامة التي هي النبوة، فخص في الدعوة الثانية المؤمنين تقبلاً لأمر الله وتأديبه، عن أبي مسلم، وقيل: ظن إبراهيم أنه إن دعا للكفار أيضًا بالرزق أنهم يكفرون بمكة ويفسدون، وربما يصدون الناس عن الحج، فدعا للمؤمنين خاصة عن القاضي، وقيل: خص المؤمنين بالدعاء لأنهم أهله دون الكفار «**قَالَ**» الله تعالى «**وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ**» قيل: بالرزق الذي أرزقه إلى وقت مماته، وقيل: بالبقاء في الدنيا، وقيل: بالأمن والرزق إلى خروج محمد ﷺ فيقبله أو يخليه إن أقام على الكفر، عن الحسن «**ثُمَّ أَضْطَرُّهُ**» يحتمل أُلْجِئُهُ، ويحتمل أصيره في الآخرة «**إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**» المرجع والمثوى، وإنما قال «**أَضْطَرُّهُ**» لأنه يصيره بحيث يتعذر عليه الخلاص منها.

۞ الأحكام

الآية تدل على تحريم مكة بعد الدعاء، وإن اختلفوا قبله، وكُلٌّ تَعَبُّدٌ، ذكره الله في قصة إبراهيم فهو تعبد للرسول ﷺ وأمته، على ما يدل عليه الكلام من بعد، فلذلك وجب ذكر أحكامه.

وتدل على أن الكفر لا يمنع الرزق الحلال، وأنه يمتع بالبقاء والرزق كما يمتع المؤمن، وإن اختلفا في العاقبة؛ لأن الرزق ليس من باب الاستحقاق والتعظيم، ولأنه نوع تمكين يصح معه التكليف.

وتدل على وعيده من عصى وكفر.

---

(١) يسأله أمنة: تنله أمة، ف، و.

(٢) أحكام القرآن للجصاص ١/ ٩٧.

(٣) تعالى: عز وجل، د، و.

وتدل على الفرق بين الرزق والنبوة من حيث لا يكون نبيٌّ إلا ويكون معصومًا مختارًا؛ لأنه من باب الألطاف.

قوله تعالى:
﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾

اللغة

الرفع نقيض الوضع، يقال: رفع رفعًا، وارتفع الشيء بنفسه ارتفاعًا.

والقواعد جمع قاعدة، قال الزجاج: أصله في اللغة الثبوت والاستقرار، فمن ذلك قاعدة البناء أساسه، وقاعدة الجبل أصله، والقواعد[1] من النساء واحدها: قاعدٌ بغير هاء[2]، وهي التي عليها سنون، ولم تتزوج، وفي الفرق بين الواحد من ذلك والواحدة من القواعد قولان: قيل: واحدها قاعد نحو طالق وخالص، وما أشبه ذلك من الصفات التي تختص بالمؤنث دون المذكر، فلم يُحْتَجْ إلى علامة التأنيث، فإذا أردت الجلوس قلت: قاعدة؛ لأنها حينئذ مشتركة. والثاني: أنها على وجه التشبيه أي ذات قعود، كما يقال: نابل وزارع، أي ذو نبل، وذو زرع.

الإعراب

يقال: ما موضع الجملة من «رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا»؟ وكيف تتصل بما قبلها؟

قيل: موضعه نصب بقول محذوف، تقديره: يقولان: ربنا، واتصاله على أنه من تمام الحال؛ لأن يقولان[3] في موضع الحال.

وإسماعيل: اسم[4] أعجمي معرفة، فلا ينصرف.

(١) قال الزجاج أصله... أصله والقواعد: ـ، ف.
(٢) بغير هاء: فعبرها، د، و.
(٣) يقولان: يقولون، ز، ف.
(٤) اسم: ـ، د، ز.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى كيف بنى إبراهيم البيت فقال: «**وَإِذْ يَرْفَعُ**» يعني اذكر إذ يرفع، وهو عطف على ما تقدم «**إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ**» قيل: أصول البيت التي كانت من[1] قبل ذلك، عن ابن عباس. وقيل: أساسه، عن أبي علي وأبي مسلم. «**وَإِسْمَاعِيلُ**» يعني يرفعه مع إبراهيم «**رَبَّنَا**» فيه إضمار يعني، ويقولان: ربنا، عن ابن عباس، وفي حرف ابن مسعود: ويقولان: ربنا، ونظيره: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤] أي ويقولون: سلام، وإنما جاز حذفه لدلالة الكلام عليه، وقيل: المحذوف (يقول)، برده إلى إسماعيل، وهو شاذ لا يعمل عليه، وإنما رَفَعَ القواعد إبراهيم وإسماعيل جميعًا، عن السدي وأكثر أهل العلم، وقيل: كان إبراهيم يبني وإسماعيل يناوله الحجر، فَوُصِفَا بأنهما رفعا البيت، عن ابن عباس. وقيل: كان إبراهيم رفعها، وإسماعيل صغير، وهذا خلاف الظاهر، وخلاف ما عليه أهل العلم.

ويقال: رفعا البيت مسكنًا أو متعبدًا؟

قلنا: متعبدًا، ولذلك قالا: «**رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا**»، عن أبي القاسم.

ويقال: هل كان للبيت قواعد قبل إبراهيم؟

قلنا: فيه خلاف، قيل: كان بناه آدم، ثم عفا أثره فجدده إبراهيم، عن ابن عباس وعطاء، وقيل: بل ابتدأه إبراهيم، عن مجاهد وعمرو بن دينار، واختلفوا، فقيل: أول من حج البيت إبراهيم، عن الحسن، وقيل: إن آدم حجه، واختلفوا كيف علم إبراهيم مكان البيت، قيل: دله عليه جبريل (عليه السلام) بأمر الله تعالى، وقيل: جاءت سحابة قدر البيت، ونودي: ابْنِ على ظِلِّهَا. «**رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا**» يعني ما بنيناه للتعبد، والتقبل: إيجاب الثواب على العمل، قال أبو علي: وهو مشبه بتقبل الهدية في أصل اللغة «**إِنَّكَ أَنْتَ**» ذكرهما للتأكيد «**السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**» يعني سميع لدعائنا، عليم بنياتنا وما يصلحنا.

---

(١) من: ـ، و.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن البيت بناه إبراهيم وإسماعيل، ثم يحتمل أنهما بنياه معًا.

أو كان يبني أحدهما، والآخر يناوله الحجر، وليس في الظاهر ما يدل على أحدهما، إلا أن الأول أوجه لتحقيق الإضافة.

وتدل على أن ذلك كان عبادة منهما؛ لأن التقبل لا يدخل إلا فيهما.

وتدل على أن الفعل ينقلب من العادة بالنية؛ لأن بناء البيت إنما صار قربة بالنية، ولولاه لما كان عبادة فهو كالإمساك في الصوم.

وتدل على الترغيب في الدعاء عند الفراغ من العبادة كما فعلاه.

فأما أن يكون بناه ابتداء، أو كان، فلا ظاهر يدل على ذلك، فإذا حمل على أنه بناه إبراهيم أولاً فلا بد أن تكون هذه الآية متقدمة على الآية الأولى؛ لأنه ما لم يُبْنَ لا يصح أن يقال: رب اجعل البلد آمنًا.

قوله تعالى:

﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾

۞ القراءة

قرأ ابن كثير ويعقوب وأبو عمرو في بعض الروايات: «أَرْنَا» بإسكان الراء كل القرآن، ووافقهم عاصم وابن عامر في حرف واحد في حم السجدة ﴿أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا﴾ [فصلت: ٢٩] وقرأ أبو عمرو في الروايات الظاهرة عنه باختلاس كسرة الراء من غير إشباع كل القرآن، والباقون بالكسر مشبعة، وأصله أَرْئِنَا[١]، بالهمزة المكسورة نقلت كسرة الهمزة إلى الراء، وحذفت الهمزة، وهو الاختيار؛ لأن أكثر القراء عليه، ولأنه سقطت الهمزة، فأما التسكين فعلى حذف الهمزة، فلا ينبغي أن تسكن الراء لئلا يجحف بالكلمة، وتذهب الدلالة على الهمزة، فأما التسكين فعلى حذف الهمزة وحركتها،

(١) أرئنا: أرنا، أ.

وعلى التشبيه بما يسكن، كقولك: كبد وفخذ، فأما الاختلاس فلطلب الخفة وبقاء الدلالة على حذف الهمزة.

۞ اللغة

الإسلام: الانقياد والخضوع، وهو الاستسلام لأمر الله.

والذرية: النسل والأولاد، أخذ من الذَّرْءِ، وقيل: من الذَّرْي.

والأمة: الجماعة من الناس، وأصله القصد.

والرؤية: الإدراك للمرئي(١) هذا هو الأصل، ثم يستعمل في العِلْمِ تشبيهًا كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥].

والنسك: العبادة، يقال: رجل ناسك عابد، ومنه النسك الذبيحة؛ لأنه يُتَعَبَّدُ به، والمنسك بفتح السين هو النسك نفسه، وبكسر السين الموضع الذي يذبح فيه المناسك، والمنسك أيضًا المُتَعَبَّدُ، وهو موضع العبادة.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى تمام دعاء إبراهيم، فقال تعالى: «**رَبَّنَا**» يعني قالا «**رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ**» قيل: باللطف الذي نتمسك معه بالإسلام، في المستقبل، عن أبي علي. وقيل: احكم لنا بالإسلام، وصفنا به في المستقبل، عن أبي القاسم وأبي مسلم. قال القاضي: وذلك بعيد؛ لأن الموصوف إذا حصل له، فلا فائدة في الصفة، وقيل: ذلك لا يصح؛ لأن وصفه بذلك ثناء ومدح، وذلك مرغوب «**مُسْلِمَيْنِ**» قيل: موحدين مخلصين، لا نعبد إلا إياك، ولا ندعو ربا سواك، وقيل: قائمين بجميع شرائع الإسلام، وهو الأوجه لعمومه «**وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا**» أي ومن أولادنا، و(مِنْ) للتبعيض، وخص بعضهم؛ لأنه تعالى أَعْلَمَ أن في ذريتهما من لا ينال عهده لما ارتكب من

(١) للمرئي: للمري، د، ز، ف.

الظلم، وقيل: أراد به العرب؛ لأنهم من ذريتهما، «أُمَّةً» جماعة وهم أمة محمد ﷺ بدليل قوله: ﴿وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ «مُسْلِمَيْنِ لَكَ» موحدين منقادين لك «وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا» قيل: هو من رؤية العين، وقيل: من رؤية القلب، أي علمنا مناسكنا متعبدنا، فكل متعبد منسك، عن الزجاج. وقال أبو علي: هي ما يتقرب به إلى الله سبحانه من الهدي والذبائح، وغير ذلك من أعمال الحج والعمرة. وقال قتادة: فأراهما الله تعالى مناسكهما: الطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة، والإفاضة من عرفات، ومن جمع، ورمي الجمار، حتى أكمل له الدين، وقيل: مذابحنا، عن عطاء ومجاهد. وقيل: شرائع أبينا، فأجاب الله دعاءهما، وبعث جبريل فعلمهما ذلك في يوم عرفة، فكان يقول في كل شيء: عَرَفْتَ عَرَفْتَ؟ قال: نعم، فسمي المكان عرفات، واليوم عرفة «وَتُبْ عَلَيْنَا» قيل: تقبل توبتنا، وقيل: وفقنا للتوبة، وإنما تابا من الصغائر؛ لأن الكبائر على الأنبياء لا تجوز، وقيل: تب على ظَلَمَةِ ذريتنا، وقيل: قالاه على جهة الانقطاع إليه، والتسبيح ليقتدى بهما فيه «إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ» قيل: كثير قبول التوبة مرة بعد أخرى، وقيل: قابل التوبة من عظائم الذنوب «الرَّحِيمُ» بعباده المنعم عليهم.

۞ الأحكام

الآية تدل على وجوب الانقطاع إليه تعالى، وطلب اللطف والمعونة في الدين.

وتدل على حسن دعاء الغير للغير.

وتدل على أن في ذريتهما من يكون مسلمًا، كمن يكون فيهم من يكون ظالمًا.

وتدل على جواز الصغائر على الأنبياء؛ إذ لا يحسن أن يقول: اغفر ذنبي ولا ذنب له، كذلك لا تحسن التوبة ولم يسلف منه شيء.

وتدل على جواز الدعاء بما يعلم الداعي أنه يكون لا محالة؛ لأنهما علما أنهما لا يفارقان الإسلام، ولا يقترفان الكبائر.

قوله تعالى:

﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾

اللغة

البعث: الإرسال، ومنه بعثه رسولاً، وبعثه من قبره.

والتزكية[1] : التطهير، يقال: نفس زكية، أي طاهرة، وسمي محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن النفس الزكية؛ لأخبار ظهرت أنه يُقْتَلُ بموضع كذا النفس الزكية، فقتل هو.

العزيز: القادر الذي لا يغالب، وأصل العزة القوة، وقيل: هو القادر الذي لا يمتنع عليه شيء، وقيل: المنيع، وهو في صفته تعالى بمعنى القادر، فيكون من صفات ذاته.

وحكيم: بمعنى عالم من صفة الذات، وبمعنى مُحْكِمٍ لأفعاله من صفات الفعل.

المعنى

لما بَيَّنَ تعالى دعاءهما للذرية بَيَّنَ دعاءهما لنبينا فقال تعالى: «**رَبَّنَا وابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنهُمْ**» قيل: هو محمد ﷺ؛ ولذلك قال: «**أنا دعوة إبراهيم، وبشرى عيسى**»[2] وتلك البشارة قوله: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] و«**فِيهِمْ**» يعني في الأمة التي سبق ذكرها، عن الحسن وقتادة وجماعة من أهل العلم. قال أبو علي: لأنه دعاء للذرية التي تكون حول مكة فلم يَبْعَثْ مَنْ هذه صفته إلا محمدًا ﷺ دون أنبياء بني إسرائيل ـ عليهم السلام ـ «**مِنْهُمْ**» يعني من الأمة المسلمة، وقيل: من

(١) والتزكية: ـ ، د، ز.

(٢) مجمع الزوائد (٨/ ٤٠٩) رقم (١٣٨٤٥)، كنز العمال (١١/ ٥١٢، ٥١٣) رقم(٣١٨٣٣، ٣١٨٣٤، ٣١٨٣٥).

أهل مكة فدعا بشيئين: نبي يهديهم، وأن يكون منهم، وهو ﷺ بهذه الصفة «**يَتْلُو**» يقرأ «**عَلَيهِمْ آيَاتِكَ**» حججك، وقيل: هو القرآن، وهو أولى لتعلقه بالتلاوة «**وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ**» يعني القرآن، فبالأول تلاوته ليعلموا أنه معجز، وأنه نبي، وبالثاني: يُعْلَمَ ما يتضمنه من الشرائع، وأدلة التوحيد، والعدل وغير ذلك من أحكامه، فلا يعد تكرارًا. وقيل: وصف الكتاب بصفتين مختلفتين: الأول: أنه مكتوب، والثاني: أنه حجة وبرهان .«**وَالْحِكْمَةَ**» قيل: السنة، عن قتادة. وقيل: المعرفة بالدين والفقه في التأويل، عن مالك بن أنس. وقيل: العلم بالأحكام التي لا تدرك إلا من جهة الرسول، عن ابن زيد. وقيل: هو صفة الكتاب كأنه وَصَفَهُ بأنه كتاب، وأنه حكمة، وأنه آيات، وقيل: هو العلم والعمل، عن ابن قتيبة. وقيل: مواعظ القرآن وحلاله وحرامه، عن مقاتل. «**وَيُزَكِّيهِمْ**» أي يدعوهم إلى ما يصيرون به أزكياء من الإيمان والصلاح، عن أبي علي. وقيل: يشهد لهم بأنهم أزكياء يوم القيامة إذا شهدت كل نفس بما كسبت، عن الأصم، وقيل: يطهرهم من الشرك ويخلصهم منه، عن ابن جريج. وقيل: هو الطاعة لله والإخلاص، عن ابن عباس. «**إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ**» القادر الذي لا يعجزه شيء، عن الأصم، وقيل: الغالب، عن الكسائي. وقيل: المنيع الذي لا تناله الأيدي، عن المفضل، وكل ذلك يرجع إلى معنى قادر، وقيل: العزيز الذي لا يوجد مثله، عن ابن عباس كقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وقيل: هو العزيز المعز فَعِيلٌ بمعنى مُفْعِلٍ، وهو خلاف الظاهر «**الْحَكِيمُ**» قيل: العليم، وقيل: المُحْكِم لأفعاله، عدل عن محكم إلى حكيم للمبالغة، وإنما ذكر هاتين الصفتين لاتصاله بالدعاء، كأنه قال: دعوناك لأنك قادر على إجابة دعائنا، العليم بضمائرنا، وبما هو أصلح لنا.

۞ الأحكام

الآية تدل على أنهما دعوا لنبينا محمد ﷺ وأنه كان مذكورًا فيما بينهم مُبَشَّرًا به.

وتدل على سؤالهما له جميع شرائط النبوة؛ لأنه[1] تجبّ التلاوة الأداء، ويجبّ التعليم البيان، ويجب الحكمة السُّنَّة.

---

(١) لأنه: لأن، د، ز، و.

وتدل على أنه كما سأل البعثة دعا للأمة، بقوله: «ويزكيهم»؛ لأنه مسألة لهم باللطف الذي لأجله تمسكوا بالكتاب فيصيروا أزكياء.

وتدل على أن النبي ﷺ المدعو له من ولد إسماعيل لا من ولد إسحاق؛ لأن الدعاء صدر من إسماعيل.

قوله تعالى:

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾

۞ اللغة

الرغبة: الميل إلى الشيء بالمحبة، يقال: رغبت فيه إذا ملت إليه وأردته، ورغبت عنه: تركته.

والاصطفاء: الاختيار، وأصله الخلوص، ومنه الصفو نقيض الكدر، ووزن اصطفينا: افتعلنا، من الصفة، وإنما قلبت التاء طاء؛ لأنهما أشبه بالصاد بالاستعلاء والإطباق، وهو من مخرج التاء، فأتي بحرف وسط بين حرفين.

۞ الإعراب

يقال: ما معنى «مَنْ» الأولى، و«مَنْ» الثانية؟

قلنا: الأولى استفهام، ومعناها الجحد، والثانية: بمعنى (الذي) تقديره: وما يرغب عن ملة إبراهيم إلا الذي سفه نفسه.

ويقال: علام انتصب «نفسه»؟

قلنا[1]: فيه خلاف، منهم من قال: لأنه مفعول، ثم اختلفوا في تقدير الكلام، فمنهم من قال سفه نفسه، ومنهم من قال: أَوْبَقَ نفسه، وقيل: نصب على التفسير، كقوله: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ [النساء: ٤]، عن الفراء.

---

(١) قلنا: ـ، ز، و.

۞ النزول

روي أن عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه سلمة ومهاجرا إلى الإسلام، وقال: لقد علمتم أن صفته في التوراة، فأسلم سلمة، وأَبَى مهاجِرٌ أن يسلم، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقيل: إنها نزلت في اليهود والنصارى، عن قتادة والربيع.

۞ المعنى

لما بَيَّنَ تعالى قصة إبراهيم، وأن ملته ملة محمد، وإن كان في ملته زيادات، عقبه بذكر ما حث على اتباعه، فقال تعالى: «**وَمَن يَرْغَبُ عَن مِلَّةِ**» أي يترك دينه وشريعته، وهو عام في جميع الكفار، «**إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ**»، قيل: أهلك نفسه وأوبقها، عن أبي عبيدة، وقيل: أضل نفسه، عن الحسن. وقيل: جهل قدره؛ لأن من جَهِلَ خالقه فهو جاهل بنفسه، عن الأصم، وقيل: أنفسهم حقيرة عندهم؛ إذ حملوها على الكفر، عن أبي علي. وقيل: معناه سفه نَفْسًا[١]، ثم أضاف[٢] ، وتقديره: إلا السفيه، وذكر النفس توكيدًا، يقال: هذا الأمر نَفْسُهُ، والسفه: الجهل، عن قطرب وأبي مسلم. قال أبو مسلم: ويحتمل وجهًا آخر، يعني جهل نفسه بما فيه من أدلة التوحيد «**وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا**» أي اخترناه بالرسالة، وقيل: أخذناه صافيا[٣]، والمعنى أنه خالص الدين لا يعبد سواه، «**وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ**»، قيل: من الفائزين، عن الزجاج. وقيل: مع آبائه الأنبياء في الجنة، عن ابن عباس. وقيل: في الآية تقديم وتأخير، وتقديره: ولقد اصطفيناه في الدنيا والآخرة وإنه لمن الصالحين، وإذا صح الكلام من غير تقديم وتأخير كان أولى، وقيل: من الذين يستوجبون على الله الكرامة، وحسن الثواب، عن الحسن.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن ملة إبراهيم داخلة في ملة محمد ﷺ، لذلك قال: «**وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ**» وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل

(١) نفسًا: نفسه، د، ز، و.

(٢) +: فقال، ز.

(٣) +: نفسه، د.

عمران: ٨٥]، فلولا أن ملته داخلة في ملتنا لما قُبِلَت، وهو معنى قول قتادة والربيع وأبي علي.

ويدل عليه قوله تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨].

ويدل قوله: «وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ» على أنه نبي، وأنه معصوم عن الكبائر.

قوله تعالى:

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾

۞ اللغة

أسلم: أمر وإيجاب من الاستسلام، وهو الانقياد.

۞ الإعراب

موضع «إِذْ»[1] نصب «باصطفيناه»، تقديره: اصطفيناه حين قلنا له: أسلم.

۞ المعنى

لما ذكر تعالى أنه اصطفى إبراهيمبَيَّنَ ما لأجله اصطفاه، فقال تعالى: «إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ» واختلفوا متى قال ذلك: قيل: لما بلغ حد التكليف، واستدل بالكوكب والشمس والقمر، وعلم أن جميعها محدثة، ولها مُحْدِثٌ، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٧٨] وإنما أسلم حينئذ، عن الحسن، وعلى هذا يكون هذا قبل النبوة، وأنه قال ذلك إلهاما، فلما وضح له طريق الاستدلال أسلم. وقيل: إنه قال ذلك حين خرج ذلك من السَّرَبِ، عن ابن عباس. وقيل: قال ذلك بعد النبوة، ومعناه اسْتَقِمْ على الإسلام، واثْبُتْ على التوحيد، كقوله تعالى﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] فأما معنى أسلم، قيل: أخلص دينك بالتوحيد، وقيل: اخضع له، وقيل: المراد هنا الانقياد لأمره، عن أبي علي: «قال أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» أي أخلصت الدين لرب العالمين.

---

(١) إذ: أن، ز، و.

۞ الأحكام

الآية تدل على حسن إجابة إبراهيم وقبوله ما أُمِرَ به لَمَّا وضحت الحجة، ولم يَمِلْ إلى هوى وإِلْفٍ[(١)] ، وهكذا ينبغي أن يكون المؤمن قابلاً للحق غير معاند.

وتدل على أنه إنما اصطفاه[(٢)] لإجابته إلى ما كلف وحسن قيامه به.

وتدل على كون الأنبياء معصومين منزهين؛ لذلك صح الاصطفاء.

قوله تعالى:

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢﴾

۞ القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر: «وأوصى» بالألف، وكذلك في مصاحف المدينة والشام، وقرأ الباقون «وَوَصَّى» بغير ألف بالتشديد، وكذلك هو في مصاحفهم، والمعنى واحد، إلا أن في «وَصَّى» مبالغة وتكثيرًا.

۞ اللغة

وصى وأوصى نظائر، والوصية: الأمر بالطاعة.

۞ الإعراب

يعقوب: رفع؛ لأنه عطف على إبراهيم، كأنه قيل: وصى إبراهيم ويعقوب، وقيل: على الاستئناف، فكأنه قيل: ووصى يعقوب بنيه.

والألف واللام في قوله: ﴿ٱلدِّينَ﴾[البَقَرَة: ١٣٢] للعهد لا للجنس، ولأنه لم يختر لهم جميع الأديان، وإنما اختار دين الإسلام.

---

(١) ألف: ـ، د، و.

(٢) اصطفاه: اصطفيناه؛ د، ز، ف، و.

۞ المعنى

لما بَيَّنَ تعالى شدة محبة إبراهيم وذريته، وما يعود إلى صلاحهم، وأنه دعا لهم بما تقدم، وحكى عنه استنصاره في الدين، ذكر أنه أوصى بذلك بنيه وذريته، وبين أن اهتمامه كان بأمر الدين فقط، فقال تعالى: «وَوَصّى» قيل: أمرهم بها، قيل: بالملة، وقد تقدم ذكرها، فرجعت الكناية إليه، عن أبي علي والزجاج، وقيل: بالكلمة التي هي قوله: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، حكاه أبو القاسم وبُرَيْدةُ، ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف: ٢٨]،وقيل: بكلمة الإخلاص: لا إله إلا الله،عن ابن عباس ومقاتل. والوجه: الأول؛ لأنه مصرح به، ولأنه يشتمل على جميع ذلك «إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ» إنما خص البنين؛ لأن إشفاقه عليهم أكثر، والوصية بهم أليق، وهم إلى قبوله أليق، وإلا فمن المعلوم أنه كان يدعو الكل بالإسلام «وَيَعْقُوبُ» هو ابن إسحاق، وسمي يعقوب؛ لأنه وعِيصُو[1] كانا توأمين، فتقدم عِيصُو، وخرج يعقوب على أثره، آخذا بعقبه، عن ابن عباس، والمعنى وَصَّى يعقوب بنيه الاثني عشر، وهم الأسباط «يَا بَنِيَّ» تقديره: أن يا بني فحذف (أن) لأن الوصية قول، فكأنه قال يعقوب: يابني، كقوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩] «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ» قيل: استخلصه، وميزه بالأدلة، حتى اتضح وتجلى لمن طلب، وقيل: اختار لكم الدين، والألف واللام للعهد، وأراد دين الإسلام «فَلَا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» النهي عن ترك الإسلام، لا عن الموت، وإن اتصل في اللفظ، وتقديره لا تتركوا الإسلام، كي يصادفكم الموت عليه، أو لا تتعرضوا للموت على ترك الإسلام بفعل الكفر، ونظيره لا أَرَيَنَّكَ ههنا، أي لا تتعرض لأن أراك ههنا، أو لا تكن ههنا فأراك «إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» قيل: مخلصون، وقيل: مؤمنون منقادون.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن الإسلام كان طريقة ذرية إبراهيم.

(١) عيصو: عيص، د، ز، ف.

وتدل على الترغيب في الوصية عند الموت، وأنه يجب أن يوصى بالدِّين مَنْ يلي أمرهم.

قال الحسن: كتب الله الوصية عند الموت، ولم يكن له شيء أن يوصيهم بتقوى الله.

قوله تعالى:
﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾

❁ القراءة

القراءة الظاهرة «**آبائك**» على الجمع، وعن يحيى بن يعمر «**أبيك**» على الواحد، قال: إن إسماعيل عم يعقوب لا أبوه، وهذا لا يجوز القراءة به؛ لأن الإجماع على خلافه، والعرب تسمي العم أبا، وقد قال النبي ﷺ للعباس: «**هذا بقية آبائي**»[1].

❁ اللغة

الشاهد والحاضر من النظائر، ونقيض الحاضر الغائب، حضر حضورًا.

والآباء واحده الأب، وهو حقيقة في الوالد مجاز في العم [به] يسمى العم توسعًا وتشبيهًا؛ ولذلك يصح نفيه عنه.

❁ الإعراب

«**أم**» ههنا منقطعة، كقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [السجدة: ١ ـ ٣] وقال الشاعر:

---

(١) المعجم الكبير (١١/ ٨٠) رقم (١١١٠٧)، المعجم الأوسط (٤/ ٢٨٢) رقم (٤٢٠٩)، (٩/ ١٠١) رقم (٩٢٥٠)، المعجم الصغير (١/ ٣٤٤) رقم (٥٧٢)، مجمع الزوائد (٩/ ٤٣٧) رقم (١٥٤٧٣).

كَـذَبَـتْـكَ عَـيْـنُـكَ أَمْ رَأَيْـتَ بِـوَاسِـطٍ غَـلَـسَ الـظَّـلَامِ مِـنَ الـرَّبَـابِ خَـيَـالا[(١)]

ولا تجيء منقطعة إلا وقد تقدمها كلام؛ لأنها بمعنى (بل)، والألف للاستفهام[(٢)] كأنه قيل: بل كنتم شهداء، ويكون[(٣)] معناه الجحد، أي ما كنتم شهداء.

ويقال: لم جعل اللفظ على الاستفهام، والمعنى على خلافه؟

قلنا: لأن إخراجه مخرج الاستفهام أبلغ في الكلام، وأشد مظاهرة في الحجاج، كأنه أراد منه أن يقر بذلك.

ويقال: ما العامل في (إذ) الثانية؟ وبأي شيء يتصل؟

قلنا: هي بدل من (إذ) الأولى، والعامل فيها معنى الشاهد، وقيل: العامل فيها معنى حضر.

ويقال: بم انتصب «**إلها واحدا**»؟

قلنا: فيه قولان: الأول: أنه حال من قوله «**إِلَهَكَ**»، والثاني: البدل من «**إِلَهَكَ**»، وتكون الفائدة فيه ذكر التوحيد.

ويقال: ما موضع الجملة من «**وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**»؟

قلنا: نصب على الحال، وقيل: لا موضع لها؛ لأنها على الاستئناف.

ويقال: ما موضع إبراهيم وإسماعيل؟ وما العامل فيه؟

قلنا: محله خفض، والعامل فيه ما عمل في «**آبَائِكَ**»؛ لأنه بدل منه، فأما إسماعيل وإسحاق فعلى القراءة الظاهرة عطف على إبراهيم، ومترجم عليه، ومن وَحَّدَ[(٤)] فهو عطف من غير ترجمة.

---

(١) البيت للأخطل، ومعنى (أم) فيه (بل). انظر اللسان (أمم).

(٢) والألف للاستفهام: ألف الاستفهام، ز، ف، و.

(٣) ويكون: أو، د، ف.

(٤) وحّد: وجد، د، و.

۞ النزول

روي أن اليهود قالوا للنبي: إن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية. فأنزل الله تعالى هذه الآية.

۞ المعنى

لما تقدم أن ملة إبراهيم هو دين الإسلام احتج على من أنكر ذلك، فقال تعالى: «أَمْ كُنتُم شُهَدَاءَ» أي ما كنتم حضورًا، والخطاب لأهل الكتاب، والمراد أنكم لم تحضروا ذلك فلا تَدَّعُوا على الأنبياء الأباطيل، وأن تنسبوهم إلى اليهودية والنصرانية «إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ» قيل: لما دخل يعقوب مصر، ورآهم يعبدون الأوثان جمع بنيه ووصاهم قال: «مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي» وعن عطاء خَيَّرَهُ الله تعالى بين الموت والحياة، فجمع ولده وولد ولده، وقال لهم: قد حضر أجلي فما تعبدون من بعدي؟ «قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ» وإنما أضاف، ولم يصف المعبود بصفته؛ لأنه أوجز وأدل، وأقرب إلى سكون نفس يعقوب، كأنهم قالوا: لا نَجْرِي إلا على طريقتك وطريقة آبائك «إِبْرَاهِيمَ» فبدؤوا بجدهم، ثم بإسماعيل؛ لأنه أكبر ولديه، ثم بإسحاق. «إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» منقادون خاضعون، والمراد نوحده ونعبده ونطيعه.

۞ الأحكام

الآية تدل على أنه تعالى يعرف بأفعاله؛ لذلك قال: «وَإِلَهَ آبَائِكَ» كأنه قال: خالقك، وخالق آبائك، ثم نبهوا بقوله: «إِلَهًا وَاحِدًا» أنه إله الكل وخالقهم، وأضاف إليهم الاختصاص له به بدعائهم إلى عبادته وتوحيده، واختياره إياهم لرسالته.

وتدل على أن الجد يسمى أبًا، وكذلك العم، وهو فيهما تَوَسُّعٌ، ولذلك يقال لمن فقد أباه، وله جد: إنه يتيم لا أب له، وقد استدل به بعض الحنفية في أن الجد بمنزلة الأب في حجب الإخوة والأخوات.

وتدل على أن شفقة الأنبياء على أولادهم تكون في باب الدِّين فقط، وكذلك ينبغي للمؤمن أن يهتم بأمر دينهم؛ ولذلك قال تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦].

قوله تعالى:
﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾

۞ اللغة

الأمة: الجماعة، وأصله القصد، يقال: أَمَّهُ يَؤُمُّهُ أَمًّا، فالأمة الجماعة: التي تَؤُمُّ جهة واحدة، ثم يستعمل على ستة أوجه: الأول: بمعنى الجماعة «تِلْكَ أُمَّةٌ»، والثاني: الحين ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥]، الثالث: القدرة ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠]، الرابع: الأمة القامة، قال الشاعر:

حِسَانُ الوُجُوهِ طِوَالُ الأُمَمِ(١)

الخامس: الاستقامة في الدين والدنيا، والسادس: الأمة أهل الملة الواحدة كقولهم: أمة محمد ﷺ. والخِلْوُ: أصله الانفراد، يقال: خلا المكان من أهله، ويقال لِمَا مضى: خلا؛ لأنه بمعنى خالٍ مكانُه. والكسب: العمل يجتلب به نفع أو يُدْفَعَ به ضرر؛ ولذلك لا يوصف به تعالى.

۞ الإعراب

«لَهَا مَا كَسَبَتْ» موضعه نصب على الحال، كأنه قال: ملزمة ما تستحقه بعملها، وقيل: لا موضع لها؛ لأنها مستأنفة، فلا تكون خبرًا من المخبر[عنه] الأول، ولكن تتصل به كأنه قيل: الجماعة قد خلت، والجماعة لها ما كسبت.

۞ المعنى

لما ذكر تعالى ملة يعقوب وآبائه، وادعاء أهل الكتاب أنهم على دينهم، احتج عليهم فقال تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾ أي جماعة، والخطاب لليهود والنصارى؛ لأن الاحتجاج بذكرهم إنما يصح على المعترف بهم، والمراد بالأمة إبراهيم وأولاده، وهم

---

(١) عجز بيت للأعشى، وصدره: وإن معاوية الأكرمين. انظر لسان العرب: (أمم)، ومعجم العين (أمم).

جماعة قد مضت «**لَهَا مَا كَسَبَتْ**» أي ما عملت من طاعة ومعصية، ولكم يا معشر اليهود والنصارى ما عملتم من طاعة ومعصية، «**وَلاَ تُسْأَلُونَ**» عن أعمالهم، أي لا تجزون بها ولا تسألون عنها.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن كل أحد يؤخذ بكسبه، ولا يؤخذ بكسب غيره، فيبطل قول المجبرة في أطفال المشركين، وقولهم تحمل ذنوب المسلمين على الكفار.

وتدل على بطلان التقليد.

وتدل على أن طاعة الآباء لا تنفع الأولاد، وكذلك ينبغي لكل مكلف ألا يتكل على غيره في دِينِهِ وأعماله.

قوله تعالى:

﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٣٥﴾

۞ القراءة

قراءة العامة: «**ملة**» بالنصب، وعن الأعرج بالرفع، وله وجهان: أحدهما: بل الهدى ملة إبراهيم، والثاني: ملتنا ملة إبراهيم.

۞ اللغة

الحَنَفُ: الميل، والحنيف: العادل من دين إلى دين، وبه سمي الحنيفية؛ لأنها مالت من اليهودية إلى النصرانية، فالحنيف كل من مال إلى الحق، وقيل: أصله الاستقامة، وسمي الأحنف تفاؤلاً.

۞ الإعراب

يقال: بم انتصب (ملة)؟

قلنا: فيه أربعة أقوال:

الأول: كأنه عطف في المعنى على قوله: «**كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى**» وتقديره: قالوا اتبعوا اليهودية، قل بل اتبعوا ملة إبراهيم.

الثاني: على الحذف تقديره: بل نتبع ملة إبراهيم.

الثالث: على معنى أهل ملة إبراهيم، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه، كقوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] أي أهل القرية[١]، فهذا عطف على اللفظ.

الرابع: على الإغراء، كأنه قيل: بل اتبعوا ملة إبراهيم.

وحنيفًا: نصب على الحال من إبراهيم، عن الزجاج وغيره، وقيل: نصب على القطع، أراد بل ملة إبراهيم الحنيف، فلما سقطت الألف واللام لم تتبع النكرة المعرفة، فانقطع منه فانتصب، قاله نحاة الكوفة.

۞ النزول

عن ابن عباس أن ابن صوريا وكعب بن الأشرف، ومالك بن الصيف، وجماعة من اليهود، ونصارى نجران: السيد والعاقب وعبد المسيح، خاصموا المسلمين في الدين، كل فرقة تزعم أنها أحق بدين الله، فقالت اليهود: موسى أفضل الأنبياء، وديننا خير الأديان، وقالت النصارى: بل عيسى أفضل، وديننا خير الأديان، وقال المسلمون: نبينا خاتم الأنبياء، آمنا به وبموسى وعيسى، فأنزل الله تعالى هذه الآية[٢].

وروي أن ابن صوريا قال لرسول الله ﷺ: ما الهدى إلا ما نحن عليه، فاتبعنا يا محمد تهتدوا، وقالت النصارى مثل ذلك. فنزلت الآية.

۞ المعنى

لما بَيَّنَ تعالى أن لكل نفس ما كسبت، بين أن من جملة كسبه الدعاء إلى الحق

(١) أهل القرية: أهلها، ز، و.

(٢) العجاب في بيان الأسباب ١/ ٣٨١.

والباطل، فقال تعالى: «**وَقَالُوا**» يعني اليهود والنصارى: «**كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى**» أي على دينهم، وليس المراد التخيير، وإنما المراد أن كل فرقة منهما تدعو إلى طرائقها[١] «**تَهْتَدُوا**» يعني إذا فعلتم ذلك كنتم قد اهتديتم وصرتم على سنن الاستقامة «**قُلْ**» يا محمد «**بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ**» أي نتبع ملة إبراهيم، أي دينه. «**حَنِيفًا**» فيه قولان:

الأول: قول أهل اللغة، فمنهم من قال: مستقيمًا على دين إبراهيم، وأصله الاستقامة، ثم يقال: أحنف تفاؤلاً، كما يقال: مفازة، عن أبي علي، وقيل: أصله الميل، يعني مالوا إلى دين الإسلام.

والثاني: قول المفسرين، وفيه أربعة أقوال: قيل: الحنفية حج البيت، عن ابن عباس والحسن ومجاهد. وقيل: اتباع الحق، عن مجاهد. وقيل: اتباع إبراهيم في شرائعه التي هي شرائع الإسلام، وقيل: إخلاص الدين لله، وتقديره: بل نتبع ملة إبراهيم التي هي التوحيد، ونستقيم[٢]، ولا تناقض بين جملته وتفصيله، خلاف غيره من الأديان، كالتهود والتنصر، «**وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**» فنفى الشرك عن ملته وأثبته في اليهود والنصارى، يعني ليس هو من اليهود حيث قالوا: عزير ابن الله، ولا من النصارى حيث قالوا: المسيح ابن الله.

۞ الأحكام

الآية تدل على صحة الحجاج في الدين، وتدل على أن للمحتج أن يحتج بما يجري مجرى المناقضة لقوله، ويعدل عن الأدلة؛ لأن من المعلوم أن النبيّ ﷺ احتج عليهم بالمعجزات، فلما لم يقبلوا رد عليهم ما يناقض مذهبهم، فقال: إن كان هذا الدين بالاتباع كما زعمتم، فالأولى[٣] ما اتفقت عليه الكلمة أنه حق وهو ملة إبراهيم.

(١) طرئقها: طرايقتها، د، ز.
(٢) ونستقيم: يستقيم، ز، ف.
(٣) فالأولى: فأولى، ز، ف، و.

قوله تعالى:

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ (١٣٦)﴾

اللغة

السِّبْط: واحد الأسباط، وهم أولاد يعقوب، ويقال: الحسن والحسين سِبْطَا رسول الله ﷺ، والسبط في بني إسرائيل كالقبيلة في العرب، وكانوا اثني عشر سبطًا من اثني عشر أبًا، وأصل السبط قيل: الجماعة الذين يتتابعون في معنى من المعاني، وقال الزجاج: السبط الجماعة الذين يرجعون إلى أب واحد.

والتفريق جعل الشيء مفرقًا لغيره، والفرق: نقيض الجمع، والافتراق والاجتماع أعراض(١) من جنس الأكوان.

النزول

عن ابن عباس أن نفرًا من اليهود سألوا رسول الله ﷺ عَمَّنْ يؤمن به من الرسل، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال الحسن: أمر الله المؤمنين أن يقولوا: «آمَنَّا بِاللَّهِ» إلى آخر الآية، وجعل ذلك محنة فيما بين اليهود والنصارى.

المعنى

لما حكى الله تعالى عنهم قولهم: ﴿كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ﴾ أمر المسلمين في مقابلته بهذا القول فقال تعالى: «قُولُوا» خطاب للمسلمين، وقيل: للنبي وللمؤمنين

(١) أعراض: عرضان، ز، و.

«آمَنَّا بِاللَّهِ» أمرهم بإظهار ما يدينون به على الشرح، فبدأ بالإيمان بالله؛ لأن ذلك أول الواجبات، ولأنه ما لم يُعْرَفْ الله تعالى لا يصح معرفة النبوات والشرائع «وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا» يعني القرآن نؤمن بأنه حق وصدق، وأنه الذي يجب اتباعه في الحال، وإن تقدمه كتب «وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ» قيل: هم الأنبياء من ولد يعقوب، وقيل: بنو يعقوب يوسف وإخوته عن قتادة والسدي والربيع. «وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى» أي أُعْطِيَا، فخصهما بالذكر؛ لأن لليهود والنصارى في ذكرهما اختصاصًا، ولأنه محاجة عليهم، والمراد بما أوتي موسى التوراة، وما أوتي عيسى الإنجيل «وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ» أي أعطوا «مِنْ رَبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ» بأن نؤمن ببعض، ونكفر ببعض، كما فعلته اليهود والنصارى «وَنَحْنُ لَهُ» قيل: لما تقدم ذكره، وقيل: لله «مُسْلِمُونَ» قيل: خاضعون بالطاعة، وقيل: مذعنون بالعبودية، وقيل: منقادون لأمره ونهيه، مستسلمون، وقيل: داخلون في دين الإسلام.

❁ الأحكام

الآية تدل على وجوب إظهار الحق عند ظهور الخلاف؛ ولذلك قال: «قُولُوا» وذلك إيجاب.

وتدل على وجوب الإيمان بسائر الأنبياء من غير تخصيص، وإن كانت شرائعهم مختلفة، ولا يلزمنا؛ لأن الإيمان بهم لا يقتضي لزوم شرائعهم.

وتدل على أن الأسباط كانوا أنبياء، ولا خلاف بين المفسرين أنهم ولد يعقوب.

قوله تعالى:

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾

❁ اللغة

تولى: أعرض.

والشقاق: قيل: أخذ من الشق، كأنه صار في شق غير شق صاحبه بالعداوة والمباينة، وقيل: إنه من المشقة؛ لأن كل واحد منهما يحرص على ما يشق على صاحبه ويؤذيه.

والشقاق: الخلاف.

وكفى يكفي كفاءة[1]: إذا قام بالأمر، وكفاك هذا الأمرُ، أي حَسْبُك، ويقال: يكفي ويجزي ويغني[2] بمعنى.

۞ الإعراب

يقال: ما معنى الباء في قوله: «بِمِثْلِ» وهلا قال: بما آمنتم؟

قلنا: فيه ثلاثة أقوال: الأول أن يكون معناه فإن آمنوا مثل إيمانكم، والثاني: فإن آمنوا على مثل إيمانكم، الثالث: إلغاء (مثل) كأنه قيل: بما آمنتم به.

۞ النزول

لما نزل قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ قرأها النبي ﷺ على اليهود والنصارى، فلما سمع اليهود ذكر عيسى أنكروا وكفروا، وقالت النصارى: ليس كسائر الأنبياء هو ابن الله، فنزلت الآية.

۞ المعنى

ثم أمر تعالى بالإيمان، فقال تعالى: «**فإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ ما آمَنتُم بِهِ**» أي صدقوا بما صدقتم، وأقروا بمثل ما أقررتم به، وقيل: آمنوا بمثل إيمانكم، وكان ابن عباس يقول: أقِروا[3] بما آمنتم به، فليس لله مثل، وهذا محمول على أنه فسر الكلام، لا أنه أنكر القراءة الظاهرة مع صحة المعنى «**فَقَدِ اهْتَدَوا**» أي سلكوا طريقة الاستقامة

(١) كفاءة: كفاية، د، ز.
(٢) ويجزي ويغني: يجري ويعني، د، ز، ف.
(٣) أقروا: أمروا، ف، و.

والهداية «وَإِنْ تَوَلَّوْا»: أعرضوا عما أمروا به «فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ» أي ليسوا إلا في شقاق، أي في خلاف، قد فارقوا الحق، وتمسكوا بالباطل، فصاروا مخالفين لله، عن ابن عباس وعطاء والأخفش، وقيل: في ضلال، عن أبي عبيدة ومقاتل. وقيل: في منازعة ومحاربة، عن ابن زيد. وقيل: الشقاق والعداوة، عن الحسن «فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ» وعد منه له(١) بالنصرة، وتقوية لقلبه، يعني أنه تعالى يكفيك أمرهم «وَهُوَ السَّمِيعُ» لأقوالهم «الْعَلِيمُ» بأفعالهم، وقيل: سميع بمكرهم، عليم بعملهم في إبطال أمرك، ولن يصلوا إليك.

۞ الأحكام

الآية تدل على صحة نبوة نبينا ﷺ؛ لأنه أخبر أنه يكفيه أمر أعدائه، ويُظْهِرُ دينه، فكان كما أخبر.

وتدل على أن شيئًا من الأعمال لا تقبل إلا بعد صحة الإيمان.

قوله تعالى:

﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

۞ اللغة

الصِّبْغُ: ما يلون به الثياب، ويقال للدين: صبغة الله، واختلفوا مم أخذ؟ فقيل: من الصَّبْغِ؛ لأن بعض النصارى كانوا يجعلون المولود في ماء لهم أصفر يزعمون أنه تطهير له، فكأنه قيل: تطهير الله لا تطهيركم له(٢) بتلك الصبغة، عن الفراء، وقيل: اليهود تصبغ أبناءها يهودًا، والنصارى تصبغ أبناءها نصارى، يعني يلقنونهم فيصبغونهم بذلك لما يشربون قلوبهم، عن قتادة. وقيل: سمي الدين صبغة؛ لأن هيأته تظهر بالمشاهدة من أثر الطهارة والصلاة وغير ذلك، ويقال: صَبَغَ الثوب يصِبَغُ ـ بفتح الباء وضمها وكسرها ـ ثلاث لغات صَبْغًا وصِبْغًا بفتح الصاد وكسرها لغتان.

---

(١) له: +، يعني لرسوله، ف.
(٢) له: ـ، د، ز.

۞ الإعراب

في نصب «صِبْغَةَ» قولان:

أحدهما: أنه بدل عن ملة، وتفسير له.

الثاني: ابتغوا صبغة الله، ويجوز الرفع على تقدير: هي صبغة.

و(من) في قوله: «وَمَنْ أَحْسَنُ» معناها الجحد، أي لا أحد أحسن من الله صبغة، واللفظ على الاستفهام، ومعناه الجحد.

۞ المعنى

لما ذكر تعالى دين الإسلام وأمر به بين فضله وشرفه، فقال تعالى: «**صِبْغَةَ اللهِ**»، قيل: دين الله، عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد والسدي والأصم، وقيل: فطرة الله، عن عبد الله بن كثير. وقيل: شريعة الله التي هي الكتاب الذي هو تطهير، حكاه أبو القاسم والفراء. وقيل: حجة الله، عن الأصم، وقيل: سنة الله، عن أبي عبيدة. «**وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً**» أي لا أحد أحسن منه دينًا «**وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ**» يعني يجب علينا أن نتبع دينه؛ إذ كان أحسن الأديان بأن نعبده، وقيل: «**له عابدون**» أي مخلصون مطيعون، واختلفوا في قوله: «**وَمَنْ أَحْسَنُ**» فقيل: معناه هذا الدين ثابت لا يغير ولا يبدل، فهو أولى بالحسن من شرائع من تقدم لزوال التعبد بها، وتغييرها، عن أبي علي، وقيل: معنى أنه الحسن، وما عداه فليس بحسن.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن دين الإسلام أحسن الأديان؛ لأنه لا يُنْسَخُ ولا يزول[1]؛ لأنه يكثر أه له، ولأن عباداته وشرائعه أكثر وأحسن.

ويدل قوله: «**وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ**» أن الإيمان يجب أن يكون مقرونًا بالعمل؛ لأن الغرض لا يتكامل إلا بالأمرين.

---

(١) يزول: يدوم، د، ز.

قوله تعالى:
﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾﴾

القراءة

القراءة الظاهرة «أَتُحَاجُّونَنَا» بنونين، وعن بعضهم بنون واحدة، وقال الزجاج: ويجوز فيه ثلاثة أوجه: الإظهار، والإدغام، والحذف.

اللغة

الحِجَاجُ والجدال والخصام نظائر، والمحاجَّة مفاعلة من الحجاج.

والإخلاص والإفراد[1] والاختصاص نظائر، ونقيض الخالص الشائب.

والعمل والفعل نظائر، والفعل: ما حدث عن قادر.

الإعراب

الألف في «أَتُحَاجُّونَنَا» استفهام والمراد الإنكار، وقد يجيء ذلك بمعنى الإنكار، وبمعنى الإيجاب والتقرير.

النزول

قيل: قالت اليهود: يا محمد إن الأنبياء كانوا مِنَّا وعلى ديننا، ولم يكن من العرب نبي، فلو كنت نبيًّا لكنت منا، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى ما يبطل شبه القوم فقال تعالى: «قُلْ» يا محمد لهؤلاء اليهود وغيرهم «أَتُحَاجُّونَنَا» قيل: أتجادلوننا، عن ابن عباس، وقيل: أتخاصموننا، عن مجاهد وابن زيد. واختلفوا في تلك المحاجة، قيل: كان ذلك قولهم: إنهم أولى بالحق والنبوة لتقدم النبوة فيهم، وقيل: هي قولهم: نحن أحق بالإيمان من العرب الذين عبدوا الأوثان، وقيل: هي قوله: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨] وقولهم:

(١) والإفراد: الإقرار، د، ز.

﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١] فَبَيَّنَ تعالى أنه أعلم بتقدير خلقه، ومن يصلح للرسالة ومن هو أصلح فيبعثه، وقيل: «**فِي اللَّهِ**» أي في دينه «**وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ**» أي خالقنا وخالقكم، قيل: هو خطاب لليهود والنصارى، وقيل: لمشركي العرب وكانوا يقرون بالخالق، وقيل: للجميع، «**وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ**» يعني ما علينا مضرة من أعمالكم، وما عليكم منفعة من أعمالنا، فضرر أعمالكم عليكم، ونفع أعمالنا لنا، وقيل: إنه إنكار لقولهم: إن العرب تعبد الأوثان، فذكر أنه لا حجة فيه؛ لأن كل أحد يؤخذ بعمله، وقيل: لنا ديننا، ولكم دينكم .«**وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ**» أي[(١)] أراد: موحدون، وقيل: نخلص العبادة له ولا نشرك، وقيل: المراد أن المخلص أولى بالحق من المشرك، وقيل: هو رد عليهم في قولهم: إن العرب عبدة الأوثان، فكأنه قيل: لا عيب علينا في ذلك؛ إذ كنا مخلصين موحدين، كما لا عيب عليكم بفعل مَنْ عَبَدَ العجل منكم إذا أنكرتموه.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن أحدًا لا ينتفع ولا يستضر في باب الدِّين بعمل غيره، فيبطل قول المجبرة في المخلوق؛ لأنه يؤاخذ بما خلق الله فيهم، ويبطل قولهم في أطفال المشركين، ويبطل قولهم بأن ذنوب المسلمين تحمل على الكفار، واختلفوا فقيل: الآية منسوخة بآية السيف، عن الكلبي، وليس في الآية ما ينافي الجهاد حتى تحمل على النسخ[(٢)] .

قوله تعالى:

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾

---

(١) أي: قيل، ف، و.
(٢) النسخ: القبيح، ف، و.

۞ القراءة

قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي، وحفص عن عاصم: «**أم تقولون**» بالتاء على المخاطبة، كأنه قيل: أتحاجوننا أم تقولون، وقرأ الباقون بالياء، على أنه إخبار عن اليهود والنصارى، فعلى الأول تقديره بأي الحجتين يتعلقون في أُمِرْنا بالتوحيد، فنحن موحدون، أمرنا باتباع دين الأنبياء، فنحن متبعون، وعلى الثاني: معناه الانقطاع إلى حجاج آخر غير الأول كأنه قيل: أتقولون: إن الأنبياء قبل نزول التوراة والإنجيل كانوا هودًا أو نصارى.

۞ اللغة

الأعلم والأعرف: الأكثر معرفة وعلمًا.

والأظلم والأجور: الأشد ظلمًا، و(أَفْعَلُ) إنما يستعمل على وجهين بمعنى الزيادة، كقولهم: أفضل، وبمعنى الصفة كقولهم: أسود، ويصح معناه فيما يقع فيه التزايد، كقولهم: أجسم وأطول وأحسن، وقد قال مشايخنا: الصفات على ثلاثة أضرب: صفة ذات، وصفة تحصل بالفاعل، وصفة تحصل[1] بالمعنى، فالأول ككونه جوهرا أسود، وهذا لا يصح فيه التزايد، والثاني: كالوجود، ولا يصح فيه التزايد أيضًا، فأما الثالث: فعلى ضربين كل معنى له مثل يوجب صفة، فالتزايد في تلك الصفة تصح كالألوان ونحوها، وما لا مثل له لا يصح فيه التزايد، واختلفوا فقال مشايخنا: يجوز وجود مثلين في محل واحد، فعند ذلك يقع التزايد، وقال أبو القاسم: لا يجوز ذلك.

والغفلة والسهو نظائر، وهو ذهاب المعنى عن النفس. والسهو: فَقْدُ علوم ضرورية، وليس بمعنى في نفسه، وعن بعضهم: إنه معنى، فالأول قول أبي هاشم في بعض المواضع، واختيار أبي إسحاق وابن عباس والقاضي، والثاني: قول المشايخ، واختلفوا فقيل: إنه مقدور لله تعالى فقط، عن أكثر المشايخ، وعن أبي عبد الله أنه مقدور للعباد، إلا أنه لا داعي له إلى فعله.

---

(١) تحصل: تحصيل، د، ف.

والشهادة نقيض الغيبة، ومنه أخذت الشهادة.

۞ الإعراب

الألف في قوله: «أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ» قيل: ألف استفهام، والمراد التوبيخ، ومثله ﴿أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا﴾ [النازعات: ٢٧].

و(من) في قوله: «مِمَّنْ كَتَمَ» قيل: معناه ابتداء الغاية؛ لأنه تعالى ابتدأ الشهادة في التوراة والإنجيل، بصحة نبوة محمد ﷺ، ويجوز ابتداء الشهادة بأن الأنبياء كانوا على الحنيفية.

۞ المعنى

ثم ذكر ضربا آخر من الحِجَاجِ، فقال تعالى: «أَمْ تَقُولُونَ» يعني اليهود والنصارى «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ» وهؤلاء الأنبياء «كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى» وفي هذا احتجاج عليهم من وجوه:

أحدها: ما أخبر به صاحب المعجز.

والثاني: ما ذكر في الكتابين أنهم كانوا على الحنيفية.

والثالث: أن الكتاب أنزل بعدهم.

والرابع: أنهم ادعوا ذلك من غير برهان، فوبخهم الله تعالى بهذه الوجوه.

«قُلْ» يا محمد لهم «أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ» يعني أنه أخبر بأنهم كانوا على الحنيفية، فزعموا أنهم كانوا يهودًا أو نصارى، فلزمكم أن تكونوا أعلم من الله، وهذا غاية الخزي، فقيل: معناه الله أعلم، وخبره أصدق، وقد أخبر أنهم كانوا مسلمين، عن أبي علي.

ويقال: إنما يقال هذا فيمن لا يعلم، وهم عَلِمُوُه وكتموه، فكيف يصح الكلام؟

قلنا: من قال: إنهم على ظنوتوهم، فالكلام ظاهر، ومن قال: علموا وجحدوا معناه أن منزلتكم منزلة المعترض على ما يعلم أن الله أخبر به، فلا ينفعه ذلك مع

إقراره بأن الله تعالى أعلم منه. «**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ**» قيل: من أظلم من هؤلاء حيث كتموا شهادة لله عندهم، وقيل: ومن أظلم في كتمان الشهادة من الله لو كتمها، وذلك نحو قولهم: مَنْ أَظْلَمُ ممن يَجُورُ على الفقير الضعيف من السلطان القوي، وتقديره: يلزمكم أن لا أحد أظلم من الله إذ كتم شهادة عنده[1]، وهو الغني بنفسه، يعني لو كانوا يهودًا لأخبر بذلك في معنى قول أبي القاسم وأبي مسلم، والأول أوجه، وهو قول أبي علي وأكثر المفسرين، وقيل: كتم شهادة من عباد الله، واختلفوا في تلك الشهادة التي كتموها، فقيل: كتموا الشهادة بأنهم كانوا على الإسلام، عن مجاهد والربيع، وقيل: كتموا الشهادة التي عندهم للنبي ﷺ بصحة نبوته عن الحسن وقتادة وأبي علي، «**عِنْدَهُ**» يعني يعلمه ويلزمه أداؤه «**مِنَ اللهِ**» أي من جهته؛ لأنه أوجب عليه إظهاره، ثم أوعدهم على ذلك ما هو جامع لكل وعد، فقال: «**وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**» يعني عالمًا بأعمالكم فكونوا على حذر، وقيل: ليس بغافل عما تعملون من كتمان الشهادة التي لزمكم القيام بها، واختلفوا فيمن أريد بالآية من اليهود، قيل: علماؤهم، لأنهم كتموا صفة النبي ﷺ، عن الحسن، وقيل: جميع اليهود والنصارى.

۞ الأحكام

الآية تدل على حظر كتمان كل شهادة ووجوب إقامتها؛ لأنه وإن تعلق بما قبله، فالمعتبر عموم اللفظ، فيدخل فيه كتمان العلوم والديانات التي أوجب الله تعالى إظهارها والدعاء إليها، ويدخل فيه الشهادات بالحقوق، ويدخل فيه الفتاوى.

ويدل قوله: «**وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**» على وعيد عظيم؛ لأنه نبه أنه عالم بسرهم وعلانيتهم، يجازي كل أحد بعمله.

---

(١) انظر روح المعاني ١/ ٤٠٠.

قوله تعالى:

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾

اللغة

الأمة: الجماعة، وأصله القصد، كأنهم قصدوا أمرًا واحدًا.

خلت: مضت، وأصله من الخلاء، وهو المكان الخالي.

والكسب: الفعل يُجْتَلَبُ به نفع أو يدفع به ضرر، وما يقوله المجبرة في الكسب لا يعقل؛ لأن عندهم أنه تعالى أحدث أفعالهم؛ وأوجدها بجميع صفاتها، فما الكسب وما تأثير العبد؟

النظم

لما حاجَّ الله تعالى اليهود في هؤلاء الأنبياء عقبه بهذه الآية لوجوه:

منها: وعظًا لهم وزجرًا حتى لا يتكلوا على فضل الآباء، فكل واحد يؤاخذ بعمله.

ومنها: أنه بين أنه متى لم يستنكر أن يكون فرضكم غير فرضهم؛ لاختلاف المصالح لم يستنكر أن تختلف المصالح، فينقلكم محمد ﷺ من ملة إلى ملة.

ومنها: أنه لما ذكر حسن طريقتهم بَيَّنَ أن الحجاج لا يتم بذلك، بل كل إنسان مسؤول عن عمله، فلا عذر في ترك الحق، بأن يوهم أنه يتمسك بطريقة مَنْ تقدم؛ لأنهم أصابوا وأخطؤوا، ولا ينفع هؤلاء ولا يضرهم؛ لئلا يتوهم أحد أن طريقة الدين التقليد.

المعنى

«تِلْكَ أُمَّةٌ» يعني قل يا محمد لهم ما أوردته من البينات «تِلْكَ أُمَّةٌ» قيل: الإشارة

بـ(تلك) إلى إبراهيم ومن ذكر معه، عن قتادة والربيع، وقيل: إلى من سلف من آبائهم الذين كانوا على طريقتهم، عن أبي علي «**أُمَّةٌ**» جماعة «**قَدْ خَلَتْ**» أي مضت «**لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ**» أي لهم جزاء عملهم، ولكم جزاء عملكم «**وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**»؛ لأن كل أحد يسأل عن عمله.

ويقال: لم كررت هذه الآية؟

قلنا: فيه قولان:

أحدهما: أنه عنى بالأول إبراهيم، ومن ذكر معه، وبالثاني: أسلاف اليهود، عن أبي علي.

الثاني: أنه متى اختلفت الأوقات والأحوال والمواطن لم يعد معيبًا.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن أحدًا لا يؤخذ بذنب غيره، ولا يسأل إلا عن عمل نفسه، فيبطل قول المجبرة في أطفال المشركين، وفي خلق الأفعال، وفي الكافر يحمل عليه ذنوب المسلمين[1].

وتدل على أن التعلق بما تقدم لا يكون طريقًا للتوصل إلى الدين، وإنما الطريق اتباع الأدلة والنظر فيها، وفيه حث على العمل[2].

قوله تعالى:

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾

۞ اللغة

السفيه: الجاهل، وجمعه السفهاء، وأصله الخفة، والسفيه الخفيف العقل،

---

(١) المسلمين: المسلم، د، ز، ف.

(٢) فيها وفيه حث على العمل: ـ، د، و.

يقال: ثوب سفيه: رديء النسج، وتَسَفَهَّت الرياح الشيء: إذا[1] استخفته فحركته.

وَلَّى عنه وصَرَفَهُ والنهى عنه نظائر، وولَّى عنه خلاف وَلَّى إليه، كقولهم: عدل عنه، وعدل إليه.

والقبلة: الجهة التي تستقبل في الصلاة، والكعبة قبلة المسلمين، وأصله الحال التي يقابل الشيء غيره عليها، كالجلسة للحال التي يجلس عليها.

ويهدي ويدل من النظائر، وأصل الهداية الدلالة.

والصراط: الطريق المستقيم المستوي المستمر على سَنَنٍ واحد.

۞ النزول

روي أنه لما حولت القبلة إلى الكعبة عاب الكفار المسلمين على ذلك فنزلت الآيات[2]، واختلفوا في العائب، وهم السفهاء على أربعة أقوال:

قيل هم مشركو قريش وأهل مكة، قالوا: يا محمد رغبت عن قبلة آبائك، ثم رجعت إليها، فلترجعن إلى دينهم، فنزلت الآية، عن ابن عباس والبراء بن عازب، والحسن والأصم.

وقيل: هم اليهود، عن ابن عباس ومجاهد.

وقيل: المنافقون، عن السدي، وذلك أنهم قالوها استهزاء بالإسلام.

وقيل: هم أهل الكتاب، ويجوز أن يدخل فيه المشركون، عن أبي مسلم.

وقيل: الكل، فالمنافقون قالوا: ما باله توجه قِبَلَهُ زمانًا، ثم توجه إلى غيرها، واليهود قالوا[3]: اشتاق إلى بلد أبيه ومولده، ولو ثبت على قبلتنا لرجوناه المنتظر، والمشركون قالوا: تحير محمد. فأنزل الله تعالى هذه الآية.

۞ المعنى

قيل: لما تقدم ذكر اليهود ومعائبهم ذكر أمرهم في قصة القِبْلَةِ، وما عابوا به

(١) إذا: أي، و.

(٢) العجاب في بيان الأسباب ١/ ٣٨٨

(٣) قالوا: قالت إن محمداً، ز، و.

المسلمين، وقيل: إنه تعالى بين لرسوله حالاً بعد حال من أقوال المخالفين ما يحاجهم به نعمة عليه، فبدأ بالحجاج في التوحيد، وفي النبوات، ثم بين أمر القبلة، وأنهم سيقدمون على ما يؤذي قلبه من أمر القبلة ونسخها؛ تسلية له ومعجزة، فقال تعالى: «**سَيَقُولُ**» أي سوف يقول «**السُّفَهَاءُ**» أي الجهال، وهم الكفار، وقد بَيَّنَّا مَن المَعْنِيُّ به، ومعنى السفيه أن يجهل ما له وعليه «**مِنَ النَّاسِ**» أراد بهم بعض الناس «**مَا وَلاَّهُمْ**» صرفهم وحولهم، يعني المسلمين «**عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا**» يعني بيت المقدس الذي كانوا يتوجهون إليه في صلاتهم، عن جماعة من[1] المفسرين وأبي مسلم بعد ذكره التأويل؛ ويحتمل لفظ الآية أن يراد بقوله: «**عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا**» يعني السفهاء، وهي قبلة اليهود والنصارى، وإحداهما إلى المشرق، والأخرى إلى المغرب، ولم يكن غير ذلك قبلة، ولما توجه إلى الكعبة عابوه، وقالوا: كيف يتوجه لغير هاتين القبلتين، فرد الله تعالى ذلك بقوله: «**قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ**».

ويقال: لم عابوا الصرف[2] عن القبلة الأولى؟

قلنا: فيه أقوال: قيل: إنكار النسخ، عن ابن عباس، وقيل: قاله قوم من اليهود، قالوا: يا محمد ما ولاك عن قبلتك ارجع إليها نتبعك، وأرادوا فتنته، عن ابن عباس أيضًا، وقيل: قاله مشركو العرب إيهاما أن الحق ما هم عليه.

ويقال: لم صرف عن القبلة الأولى؟

قلنا: فيه قولان:

الأول: لتغير المصلحة عن القاضي، وهو أوجه.

الثاني: لِمَا بينه تعالى في قوله: «**وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ**» فأمروا بمكة أن يتوجهوا إلى بيت المقدس ليتميزوا عن[3] المشركين، فلما هاجروا إلى المدينة وبها اليهود أمروا بالتوجه إلى الكعبة ليتميزوا عن اليهود، عن أبي علي وأبي القاسم.

---

(١) في صلاتهم عن جماعة: ـ ، ز، و.

(٢) الصرف: التصرف؛ د، ز، ف.

(٣) عن: من؛ د، ف، و.

«قُلْ» يا محمد «لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ» ملكًا وخلقًا، وفي وجه الاحتجاج به قولان: أحدهما[1] : أن مَنْ له المشرق والمغربفله التدبير فيهما، والثاني: إبطال قولهم: إن الأرض المقدسة أولى في التوجه، فقال تعالى: له المشرق والمغرب، يأمر بالتوجه إلى ما هو أصلح.

ويقال: هل كان التوجه إلى بيت المقدس فرضا؟

قلنا: لا خلاف أنه تعالى جعل ذلك قبلة له، ولذلك قال: «وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ» لكن اختلفوا فقيل: إنه تعالى خيَّره، فاختار بيت المقدس، عن الربيع، وقيل: بل فرض ذلك عليه، عن ابن عباس وأكثر المفسرين.

ويقال: منذ كم حولت القبلة؟

قلنا: فيه خلاف، قيل: بعد سبعة عشر شهرا من مَقْدِمِهِ[2] المدينة، عن ابن عباس والبراء بن عازب، وقيل: بعد تسعة عشر[3] شهرا[4]، عن أنس بن مالك، وقيل: بعد ثلاثة عشر شهرًا، عن معاذ، وقيل: بعد ثمانية عشر شهرًا عن قتادة.

«يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ» أي يدله ويرشده «إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» أي طريق سويّ[5]، قيل[6] إلى الدين، عن أبي علي، وسمي صراطًا؛ لأنه طريقُ الجنة المؤدي إليها، وقيل: إلى طريق الجنة.

۞ الأحكام

الآية تدل على جواز النسخ؛ لأن قوله: «مَا وَلَّاهُمْ» كالصريح في أنهم كانوا على قبلة، فحولت إلى غيرها.

---

(١) أحدهما: ـ، د.
(٢) مقدمه: تقدمه، ز، و.
(٣) عشر: أو عشرة، د، ز.
(٤) شهرًا: أشهر، د، ز، ف، و.
(٥) سويّ: مستقيم، د، و.
(٦) قيل: ميل، د، ز، ف.

ويدل قوله: «وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ» على أن بعض الجهات ليس بأن تُتَّخَذَ قبلة أولى من بعضها إلا من حيث المصلحة، وإذا كانت المصالح تختلف بالأوقات فلا مَغْمَزَ فيه لعائب، وتدل على أن اسم السفه، وإن كان في أصل اللغة الخفة، فقد صار في الشرع اسم ذمٍّ يجري على الكفار؛ لأنه تعالى وصفهم بذلك ذمًّا لهم.

قوله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾

القراءة

قرأ أبو عمرو ويعقوب وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم «رَؤُف»(١) مهموز غير مشبع، على وزن رَعُف، وقرأ أبو جعفر وحده «رَوُوف» مثقل غير مهموز كل القرآن(٢).

وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحفص عن عاصم «رَؤُوفٌ» مثقل مهموز مشبع على وزن رَعُوف، وفيه أربع لغات: رَؤُف كفَعُل، ورؤوف كفعول، ورَئِف كحَذِر، ورَأْف: فَعْل، قال الشاعر:

نُـطِـيـعُ نَـبِـيَّـنَـا ونُـطِـيـعُ رَبًّـا ... هُـوَ الـرَّحْـمَـنُ كَـان بِـنَـا رَؤُوفَـا(٣)

وقال جرير:

---

(١) حجة القراءات، ١١٦.

(٢) تاج العروس(روف).

(٣) البيت لكعب بن مالك الأنصاري الصحابي. انظر في اللسان (رأف)، والصحاح (رأف).

يَـرَى لِـلْـمُـسْـلِـمِـيـنَ عَـلَـيْـهِ حَـقًّـا   كَـفِـعْـلِ اَلْـوالِـدِ الـرَّؤُفِ الـرَّحِـيـمِ[1]

۞ اللغة

الوسط من الناس ومن كل شيء أفضله وأعدله، ليس بالغالي ولا المقَصِّر[2] ، والوسطى بين طرفي كل شيء.

والعَقِب مؤخر القدم، وهو النسل أيضًا.

والإضاعة: مصدر أضاع يُضِيعُ إضاعة، وضاع ضَيَاعًا، وضيَّعه تضييعًا.

والرأفة الرحمة.

ويقال: مم أخذ الوسط، ومامعناه؟

قلنا: معناه خيار، أخذ من المكان الذي تَعْتَدِلُ المسافة إلى أطرافه، وقيل: من المتوسط بين الغالي والمقَصِّر[3] ، فالحق معه.

۞ الإعراب

يقال: في لام «**ليكونوا**» و«**لَكَبِيرَةٌ**» و«**لِيُضِيعَ**»: ما معنى هذه اللامات الثلاثة؟

قلنا: الأولى لام كي، تقديره: لكي يكونوا، والثانية: لام التوكيد. والثالثة: لام الجحود.

والكاف في قوله: «**كَذَلِكَ**» كاف التشبيه، قيل: مردودة على يهدي، تقديره: كما أنعمنا عليهم بالهداية كذلك[4] أنعمنا عليهم بالعدالة، وقيل: كما اخترنا إبراهيم كذلك اخترناكم، فَيُصْرَف إلى اصطفينا، وقيل: تقديره: نهدي من نشاء، كما هديناكم إلى قبلة هي أوسط القِبَل، كذلك جعلناكم أمة وسطًا عن أبي القاسم وأبي مسلم.

---

(١) البيت لجرير يمدح هشام بن عبد الملك. انظر: في الصحّاح (رأف)، وتاج العروس (رأف) واللسان (رأف).

(٢) العين (وسط).

(٣) العين (وسط).

(٤) أنعمنا عليهم بالهداية كذلك: ـ ، د، ز.

والعامل في الكاف «جَعَلْنَا» تقديره: نهدي من نشاء، وقد أنعمنا عليهم بذلك، وجعلناكم أمة وسطًا وأنعمنا كذلك الإنعام، إلا أن (جعلنا) يدل على أَنْعَمْنَا.

النزول

روي أن مرحبًا والربيع[1] وجماعة من رؤساء اليهود قالوا لمعاذ: ما ترك محمد قبلتنا إلا حسدًا، وإن قبلتنا قبلة الأنبياء، وهو يعلم أَنَّا عدل بين الناس، فقال معاذ: إنا على عدل وحق، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقيل: لما حولت القبلة قال ناس: كيف بأعمالنا التي كنا نعمل في قِبْلَتِنا الأولى؟، عن ابن عباس وقتادة والربيع، وقيل: قالوا: كيف بمن مات من إخواننا قبل ذلك؟ وكان مات سعد بن زرارة والبراء بن معرور، فأنزل الله تعالى: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ»، ولا يجوز أن يكون الصحابة شَكَّتْ في صلاتهم حتى سألوا ذلك، فوجب حمله على أنهم قالوا: لو أدرك إخواننا هذه الصلاة؟، أوعلى أنهم قالوا: فِعْلنا أفضل أم ذاك، أو على أنه قاله منافق فخاطب المسلمين بالرد عليهم، وإنما خاطب الأحياء، وإن كان السؤال وقع عن الأحياء والأموات تغليبًا.

المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى فضل هذه الأمة على سائر الأمم فقال تعالى: «وَكَذَلِكَ»، ولا بد من تعلق له بما تقدم، وقد ذكرنا ما قيل فيه، والأقرب ما قاله أبو القاسم. «جَعَلْنَاكُمْ» قيل: باللطف الذي هو علم الله تعالى أنه متى فعل بهم أجمعوا على الصواب، ولما كان سبب ذلك لطفًا جاز أن يضيفه إلى نفسه، وقيل: حكمنا لكم بذلك، ووصفناكم به «أُمَّةً» جماعة، يعني أمة محمد «وَسَطًا» قيل: عدلاً، عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والربيع، وروي مرفوعًا، وقيل: خيارًا، وقيل: وسطًا بين الغالي في الأديان وبين المقصر، فيجعل لهم القصد والثواب، وفيه مع إيجاز اللفظ دليل أنهم في جميع أمورهم على الصواب، وقيل: لما غلت النصارى في المسيح، وقصر اليهود كان قول المسلمين أوسطهم وأعدلهم عند الله ورسوله.

(١) والربيع :ـ ، د، و.

ويقال: إذا كان في الأمة من ليس هذه صفته فكيف وصفوا بذلك؟

قلنا: المراد به من كان بتلك الصفة، ولأنه في كل عصر لا يخلو من جماعة هذه صفتهم.

«**لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**» فيه ثلاثة أقوال:

الأول: لتشهدوا على الناس بأعمالهم التي خالفوا الحق فيها، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١] وقال ابن زيد: الأشهاد أربعة: الملائكة، والأنبياء، وأمة محمد ﷺ، والجوارح.

الثاني: يشهدون الأنبياء على أممهم المكذبين أنهم قد بلغوا، وجاز ذلك لإعلام الله إياهم.

الثالث: «**لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**» أي حجة عليهم، فتبين للناس الحق، ويكون الرسول شهيدًا، مؤديًا ومبينًا للدِّين، قال الأصم: وسمي الشاهد شاهدا؛ لأنه يبين، ولذلك يقال للشهادة: بينة. «**وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**» قيل: حجة عليكم، وقيل: شهيدا بما يكون من أعمالكم، وقيل: شهيدًا بأنكم قد صدقتم وقبلتم، و(على) بمعنى اللام كقوله تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣] أي للنصب. «**وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا**» قيل: بيت المقدس الذي كانوا يصلون إليها، وقيل: مكة والكعبة، والمراد التي أنت عليها، وقيل: يحتمل (كنت) بمعنى صرت عليها، وأنت عليها، يعني الكعبة، كقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٨] والمراد أنه بهذه الصفات لم يزل، وتقدير الآية: وما جعلنا القبلة التي لم تزل عليها، يعني الكعبة، عن أبي مسلم «**إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ**» قيل: ليَعْلَم حزبنا من النبي ﷺ والمؤمنين، كما يقول الملك: جعلنا وفتحنا، بمعنى أوليائه[(١)]، ومنه يقال: فتح عمر السواد. وقيل: معناه[(٢)]: ليحصل المعلوم موجودًا، وتقديره: لنعلم أنه موجود، ولا يصح الوصف قبل وجوده بأنه عالم بوجوده. وقيل: نرى ونميز، عن جماعة. وقيل:

(١) من عادة العرب إضافة ما فعله المرؤوس للرئيس، يقولون فتح عمر العراق، وجبى سوادها، والمقصود أولياؤه وأتباعه. انظر الطبري ٣/ ١٥٨.

(٢) معناه: ـ، ز، و.

نعاملكم معاملة المختبر الذي كأنه لا يعلم، والعدل يوجب ذلك، عن أبي بكر أحمد بن علي. «**مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ**» أي يؤمن به، ويتبعه في شرائعه «**مِمَّنْ يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ**» فيه قولان:

أحدهما: أن قومًا ارتدوا عن الإسلام لما حولت القبلة جهلاً منهم بما فيه من وجه الحكمة، ومعنى «**مِمَّنْ يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ**» أنه يكفر بالله ورسوله، فجعل الانقلاب على العقبين قائمًا مقام ذكر كفرهم، فهو كناية عن الردة، عن أبي علي وأبي القاسم، وذكر ابن جريج أن ناسًا رجعوا ممن أسلم، وقالوا: ههنا مرة، وههنا مرة.

الثاني: المراد به كل مقيم على كفر؛ لأن جهة الاستقامة إقبال، وخلافها إدبار؛ ولذلك وصف الكافر بأنه أدبر واستكبر.

«**وَإِنْ كَانَتْ**» قيل: الضمير يعود إلى القبلة، يعني: وإن كانت القبلة كبيرة، عن أبي العالية، وقيل: إلى التحويل ومفارقة القبلة الأولى، عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وأبي مسلم، وقيل: إلى الصلاة، عن ابن زيد «**لَكَبِيرَةً**» قيل: ثقيلة، يعني التحويلة إلى بيت المقدس؛ لأن العرب لم تكن قبلةٌ أحبَّ إليهم من الكعبة، وقيل: معناه: عظيمة على من يعرف ما فيها من وجوه الحكمة «**إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ**» قيل: المؤمنين، عن ابن عباس وأبي علي. وقيل: ثقيلة على أهل الكتاب إلا من آمن منهم، عن أبي مسلم. وقيل: إلا على الذين هداهم لذلك، فلا يعظم عليهم، يعني إلى المعرفة لما[1] فيه من المصلحة، وقيل: هداهم لمعرفة الناسخ من المنسوخ، عن الأصم.

ويقال: لم خص المؤمنين بأنه هداهم، وقد هدى جميع الخلق؟

قلنا: لأنه ذكرهم على طريق المدح، فخصهم بذلك، وقيل: أراد به الاهتداء، وقيل: لأنهم الذين انتفعوا بهدى الله، فغيرهم كأنه لم يعتد بهم. «**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ**» قيل: صلاتكم إلى بيت المقدس، وقيل: إيمانكم عند الأمر بالتوجه إلى بيت المقدس، يعني تصديقكم بالقبلة الأولى؛ لأنكم كنتم مطيعين له، عن الأصم، وقيل: يحتمل أنه خطاب لأهل الكتاب، والمراد بالإيمان صلاتهم وطاعاتهم قبل البعثة، ثم نسخ، عن أبي مسلم.

---

(١) لما: بما، ز، ف.

ويقال: ما الذي اقتضى ذكر هذا، وكيف يتصل بما قبله؟ وهل هو جواب أم لا؟

قلنا: فيه أقوال: قيل: إنه جواب لما سألوه عن صلاتهم إلى بيت المقدس عن ابن عباس وقتادة، وقيل: لما ذكر ما عليهم من المشقة في التحويل عقبه بذكر ما لهم عنده من المثوبة بذلك، ولأنه لا يضيع ما عملوه، عن الحسن، وقيل: لما ذكر إنعامه عليهم بالتوجه إلى بيت المقدس ذكر سببه، وهو إيمانهم بما أمروا به أولاً، وتقديره: وما كان الله ليضيع إيمانكم، يعني الذي استحققتم به تبليغ محبتكم بالتوجه إلى الكعبة، عن أبي القاسم «**إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ**» رؤوف بهم لا يضيع عملهم عنده «**رَحِيمٌ**» بأن يوفر عليهم ما استحقوه من الجزاء.

۞ الأحكام

الآية تدل على أشياء: منها: أن الإجماع حجة لقوله: «**وَسَطًا**» أي عدلاً، فإذا عدلهم الله تعالى ليشهدوا لم يجز أن تكون شهادتهم مردودة، عن أبي علي وأبي القاسم وجماعة، وقوله: «**لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**» أي حجة، فتدل على كون إجماعهم حجة أيضًا[1] من هذا الوجه.

وتدل على فساد قول المرجئة؛ لأنهم اتفقوا على أن المراد بالإيمان الصلاة، فدل على أن العمل من الإيمان.

وتدل على أن الشاهد هو الحاضر دون من مات؛ لأنه لو كان الرسول يشهد على من مضى ومن يأتي بعد لم يكن لقوله: ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ﴾[2] معنى، ويؤكده قوله: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ﴾ [المائدة: ١١٧]، عن أبي علي والقاضي، وقيل: يجوز أن يشهدوا وإن لم يحضروا إذا علم بخبر صادق.

وتدل على جواز النسخ في الشرع.

وتدل على أن هذه الأمة تشهد يوم القيامة، وإنما يشهد أهل كل عصر بما عاين.

ويدل قوله: «**رَءُوفٌ رَحِيمٌ**» على أنه منعم بتحويل القبلة.

---

(١) أيضا: ـ، ز، و.

(٢) عليكم شهيدا: (شهيدًا عليكم)، د، ز، ف، و.

قوله تعالى:
﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾

القراءة

قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي «**تعلمون**» بالتاء[1] على الخطاب للمسلمين، والباقون بالياء على أنه راجع إلى اليهود.

اللغة

الرؤية: إدراك الشيء بالبصر، ونظيره أبصره، يقال: رأى يرى رؤية، ثم يستعمل بمعنى العلم، قال الله تعالى[2]﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥] و﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ [الفجر: ٦].

والتقلب: التحريك في الجهات، والتقلب والتصرف والتحول نظائر.

والرضا يرجع إلى الإرادة، فإذا قيل: رضي عمله، فكأنه أراده، وإذا قيل: رضي عنه، فكأنه أراد ثوابه وتعظيمه، ونقيضه السخط، وهو يرجع إلى أنه يريد عقابه، ورضي وأحب وأراد من النظائر.

والشطر: النصف، ويقال: شطر كذا أي نحوه.

والحرام: المحرم، حرَّمه تحريمًا إذا منعه عنه، ثم يختلف باختلاف المواضع، فَحَرَّم الأُمَّ أي[3] نكاحَها، وحرم الطعام أي أَكْلَه، وحرم مال الغير ليتصرف فيه، وسمي البيت الحرام قيل: لأنه ممنوع عن الاصطلام[4] ، كما مُنِع من أصحاب الفيل، وقيل: لأنه يحرم فيه ما يحل في غيره.

---

(١) حجة القراءات ١١٦.

(٢) قال الله تعالى: قال تعالى، ز، د، ف.

(٣) أي: ـ ، ف، و.

(٤) الاصطلام: الاستئصال.اللسان(صلم)، ومختار الصحاح (صلم).

والغفلة: سهو يعتري الإنسان، وهو ذهاب العلم بما جرت العادة بعلمه.

۞ الإعراب

يقال: ما موضع «كنتم» من الإعراب؟

قلنا: جزم بالشرط، فإنه قيل: حيث تكونوا، والفاء جواب، ولولاها لم يجز الجواب بـ(حيث)؛ لخروجها[1] عن نظائرها، بأنه لا يستفهم بها، ولأن الإضافة لها كالصلة لغيرها، وليست كصلة أخواتها.

و«شَطْرَهُ» نصب على الظرف، والعامل فيه: «فَوَلِّ».

۞ النزول

روي أن النبي ﷺ وُعِد التحويل عن بيت المقدس، ولم يبين إلى أي موضع يحوله، فكان يقلب طرفه في السماء توقعًا وانتظارًا لما وُعِدَ به، وكان يُحَسِّنُ أن يكون قبلته الكعبة، فأتاه جبريل بهذه الآية، عن الحسن والسدي وأبي علي. وقيل: كان يحب ذلك محبة طباع، ولم يكن يدعو به حتى أُذِن له فيه، وكان يستأذن[2] جبريل، فقال: «سل ربك فجعل يديم النظر إلى السماء، فنزلت الآية»[3]، عن ابن عباس وقتادة. وقال أبو مسلم: لولا الأخبار لاحتمل أن يكون ذلك أول مقدمه المدينة، فقد روي «أنه كان بمكة يصلي، ويجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس»[4] فلما هاجر لم يعلم أين يتوجه، فانتظر أمر الله، فنزلت الآية، وقد اختلفوا في صلاته بمكة، فقيل: كان يصلي إلى الكعبة، فلما هاجر أمر بالتوجه إلى بيت المقدس، وقيل: بل كان بمكة يصلي إلى بيت المقدس، ويجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس. وقيل: بل كان يصلي إلى بيت المقدس، حكاه أبو القاسم. قال جعفر بن مبشر: أمر بالتوجه إلى بيت

---

(١) لخروجها: لخرجها، د، ز.

(٢) يستأذن: يشاور، د، و.

(٣) العجاب في بيان الأسباب ٣٩٦/١.

(٤) وروح المعاني ٢/ ٥، دار إحياء التراث، بيروت.

المقدس لا باختياره، والصحيح أنه كان وعد التحويل، وكان لا يحب من تلقاء نفسه؛ لأنه يعلم أن المصلحة ما يأمره به ربه، وأن ما تميل إليه الطباع لا يكون مصلحة، فحاشاه أن يتبع ذلك، وإذا سأل فلا بد أن يسأل بإذن؛ لأنه إذا سأل بغير إذن فربما تكون المصلحة في خلافه، فإذا رد كان فيه تنفير، وقد سأل ما فيه مفسدة، فما يحبه يحبه بأمر الله تعالى، وما يسأله يسأله بإذنه، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النجم:٣]، وهذا ينفي أن يسأله بغير الوحي.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى أمر القبلة «**قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ**» يا محمد «**فِي السَّمَاءِ**» قيل: لانتظار الموعود، وقيل: لانتظار الوحي في أمر القبلة، وإنما قلب طرفه نحو السماء لأن جبريل (عليه السلام) يأتيه بالوحي من السماء، وقد قال بعضهم: أنه منع عن استقبال بيت المقدس، ولم تُعَيّن له القبلة، فضاق صدره أن يرد وقت الصلاة ولم تظهر القبلة، فكان يقلب وجهه نحو السماء، وليس بالوجيه؛ لأنه لا يجوز أن يؤمر بالصلاة إلا مع بيان موضع التوجه، «**فَلَنُوَلِّيَنَّكَ**» لنحولنك «**قِبْلَةً تَرْضَاهَا**» تريدها وتحبها، وقيل: قبلة وأنت راض بكل وجهة تؤمر بها، عن الأصم.

ويقال: لماذا أحب التحويل، وكره ما كان عليه؟

قلنا: قيل: فيه مخالفة لليهود، وتميز منهم، عن مجاهد وابن زيد، وقيل: لأنه قبلة إبراهيم (عليه السلام)، عن ابن عباس. وقيل: لاستدعاء العرب للإيمان(١)؛ إذ هو موافق لقومه، حكاه الزجاج. وقيل: لأنه وُعِد ذلك فعلم أنه المصلحة فأحبه لذلك، وهو الصحيح، ويحتمل أنه أحب جميع ذلك؛ إذ لا تنافي فيه. «**فَوَلِّ وَجْهَكَ**» يعني فول نفسك، ووجه الشيء: نَفْسُهُ، وقيل: ذكر الوجه لأنه به يظهر التوجه، «**شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**»، قيل: نحو المسجد الحرام، عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وأكثر أهل العلم، وقيل: وسط المسجد الحرام؛ لأنه من سائر جنباته هو النصف

(١) للإيمان: إلى، ز، و.

والشطر النصف، والكعبة واقعة بين[1] المسجد في النصف من كل جهة، فكأنه عبارة عن الكعبة، في معنى قول[2] أبي علي. قال القاضي: هو الأصح «**الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**» يعني مسجد مكة، وإنما أمر به لأن القبلة هي الكعبة، والكعبة هي المسجد. واختلفوا فقيل: البيت كله قبلة، وعليه الإجماع، وروي عن بعضهم أن على الناس أن يقصدوا الميزاب، وهو خلاف الإجماع، وقيل: حولت القبلة في رجب بعد زوال الشمس، وهو يصلي، فتحول، عن قتادة وغيره «**وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ**» يعني أينما كنتم من الأرض في بر أو بحر، سهل أو جبل «**فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ**»، وإنما كرر ذلك؛ لأن الأول كان[3] خطابا لمن كان في المدينة، فجاز أن يظن أن ذلك قبلتهم، فَبَيَّنَ تعالى أنه قبلة لجميع المصلين أينما كانوا من مشارق الأرض ومغاربها «**وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ**» أُعطوا، قيل: أراد اليهود خاصة، والكتاب: التوراة، عن السدي، وقيل: أحبار اليهود وعلماء النصارى، وهو الصحيح، لعموم اللفظ، والكتاب: التوراة والإنجيل، ولا بد أن يكونوا عددًا قليلاً؛ لأن الكثير لا يجوز عليهم التواطؤ على الكتمان، «**لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ**» قيل: التحويل حق مأمور به، عن أبي علي، وقيل: التوجه إلى الكعبة حق؛ لأنها قبلة إبراهيم والأنبياء قبله،عن الحسن، وقيل: النبي ﷺ حق، ودينه حق، وقبلته حق؛ لأنه مذكور فيما تقدم، عن القاضي، وروي أنهم قالوا عند التحويل: ما أمرت بها يا محمد، هذا شيء تبتدعه من تلقاء نفسك، مرة إلى ههنا، ومرة إلى ههنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وبين أنهم يعلمون خلاف ما يقولون، «**وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ**» من كتمان ذلك، ومخالفة حقك، وإبطال أمرك، وقيل: يعني يعلم أعمالكم ويحفظها لكم، ليجازيكم بها، وفيه وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن الله تعالى راءٍ للأشياء، وحقيقته إدراك المرئي، وحمله على العلم خلاف الظاهر على ما تزعمه البغدادية.

---

(١) بين: من، د، ز، و.

(٢) قول: ـ ، ف.

(٣) كان: ـ، د، و.

وتدل على أنه كان ينتظر الوحي بتحويل القبلة، وأن ذلك سائغ للأنبياء.

وتدل على أنه انتظر ذلك لمحبة منه لما وُعِد، ولما علم أنه المصلحة، ولا يحمل على محبة الطباع لما بينا، وتدل أنه انتظر ذلك بعد مسألته، ومعرفته أنه يجاب إليه. وتدل على[1] أنه كان لا يعرف وقت التحويل.

وتدل على نسخ الأولى ولزوم الثانية، قال ابن عباس: أول ما نسخ من القرآن فيما ذكر لنا شأن القبلة، وقال قتادة: نسخت هذه الآية ما قبلها، قال جعفر بن مبشر: هذا مما نسخ السنة بالقرآن.

ويدل قوله: «شَطْرَ الْمَسْجِدِ» أي نحوه؛ لأن الكعبة فيه، والمعتبر بالبقعة؛ لأنه لو زال البناء فإن الصلاة تجب نحوه، ولأن البقعة هي الموصوفة بأنها وسط المسجد خلاف ما يقوله بعضهم.

ولا تدل على منع الصلاة في البيت على ما تدعيه المالكية، بل تدل على جوازه؛ لأن المصلي فيه يصلى إلى ناحية منه كالمصلي خارج البيت.

وتدل على أن المراد به الأمة وإن كان الخطاب له للإجماع، ولقوله: «وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ».

وتدل على وجوب الاجتهاد في التوجه؛ لأن مَنْ في بقاع الأرض لا يمكنه التوجه إلا من طريق الاجتهاد.

قوله تعالى:

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٤٥)﴾

اللغة

الآية: الحجة والعلامة.

---

(١) على: ـ، د، ز.

والهوى: هوى النفس، وهو مما يميل إليه الطبع، والهواء ممدُودٌ: الجو.

والظالم: على ضربين: يقال: ظالم لنفسه إذا أضر بنفسه، وإن لم يستحق الذم، وظالم مطلقًا، وهو اسم ذم.

۞ الإعراب

لئن: بمعنى (لو)، وأجيب بجواب (لو). وللعلماء فيه خلاف، فقيل: إنهما لما تقاربا تداخلا، واستعمل كل واحد منهما مكان الآخر، وأجيب بجوابه، ونظيره: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ [الروم: ٥١] ثم قال: «ولو أنهن آمنوا واتقوا» على جواب لو، وقال: «**وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا**» ثم قال: «**لَمَثُوبَةٌ**» على جواب «**لئن**»، وذلك أن أصل (لو) للماضي، و(لئن) للمستقبل، عن الأخفش، وقيل: إن كل واحد منهما على مواضعها، وإنما لحق في الجواب هذا التداخل، لدلالة اللام على معنى القسم في الجواب، كجواب القسم، يعني عن جواب الجزاء لدلالته عليه، فمعنى «**لظلُّوا**»[١] ليظلن، عن سيبويه[٢].

۞ النزول

روي أن يهود المدينة ونصارى نجران قالوا لرسول الله ﷺ: ائتنا بآية كما أتى الأنبياء قبلك؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

۞ المعنى

لما بَيَّنَ تعالى فيما تقدم أن الذين أوتوا الكتاب يعلمون أنه الحق بيَّن أن حالهم لا يتغير في العناد والمخالفة، فقال تعالى: «**وَلَئِنْ أَتَيْتَ**» وفي الكلام معنى القسم، كأنه قيل: والله لئن أتيت «**الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ**» قيل: أهل العناد من علماء اليهود والنصارى، عن الزجاج والأصم وأبي القاسم. وقيل: المراد جميع اليهود والنصارى،

(١) في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا﴾ [الروم ٥١].

(٢) الأصول في النحو لابن السراج ـ ٢/ ٢٠٠ مؤسسة الرسالة- بيروت، ط ٣، ص١٩٨٨، ت د/عبد الحسين الفتلي.

عن الحسن وأبي علي، وقيل: هم العلماء وأهل العناد عن الأصم، «**وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ**» فيه أقوال:

الأول: أنه رَفعٌ لتجويز النسخ، وبيان أنه لا ينسخ هذه القبلة.

الثاني: حسمًا لأطماع أهل الكتاب حين رَجَوْا الرجوع إلى بيت المقدس.

الثالث: للمقابلة، يعني ما هم بتاركين باطلهم، وما أنت بتارك حقك.

الرابع: أراد لا عليك استصلاحهم باتباع قبلتهم؛ لأن ذلك معصية.

الخامس: ما أنت بتابع قبلتهم عَرَّفَهُ نَسْخَهُ، وأنه لا ينتقل.

«**وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ**» يعني اليهود كلهم لا يتبعون النصارى، والنصارى كلهم لا يتبعون اليهود، عن الحسن والسدي وابن زيد وأبي علي. وقيل: أراد به العلماء أي علماء اليهود لاتتَنَصَّر، وعلماء النصارى لا تتهود، ويحتمل أنه على العموم؛ لأنه لم يثبت أن يهوديًا تنصّر، ولا نصرانيًّا تهوّد، فلا ضرورة بنا إلى العدول عن الظاهر إلى التأويل، عن القاضي. وقيل: هذا إبطال لاعتلالهم أنه لا يجوز مخالفة أهل الكتاب؛ لأنه إذا جاز أن تختلف قبلتهما للمصلحة جاز أن يكون لمصلحة في ثالث، وقيل: أراد به اليهود والنصارى ومشركي العرب، عن الأصم. وقيل: قبلة اليهود في جهة المغرب لبيت المقدس قبلة، وقبلة النصارى من جهة المشرق الموضع الذي ولد فيه عيسى (عليه السلام) «**وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ**» يا محمد «**أَهْوَاءَهُمْ**» فيه أربعة أقوال:

الأول: ولئن اتبعت أهواءهم في المداراة حرصًا على أن يؤمنوا «**إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ**» لنفسك؛ إذ قد أعلمتك أنهم لا يؤمنون، عن أبي علي.

الثاني: الدلالة على أن الوعيد يستحق باتباع أهوائهم فيما دعوا إليه من ملتهم، وأنّ اتباعهم ردة، والخطاب للنبي، والمراد كل من كان بتلك الصفة، عن الحسن والزجاج. قال الحسن: يعني ظلم الشرك؛ لأنهم دعوا المؤمنين إلى دينهم.

الثالث: الدلالة على فساد مذهبهم، وأن من تبعه كان ظالمًا.

الرابع: زجر له عن مقاربتهم والركون إليهم ليستمروا على عداوتهم تقوية لنفسه ولمتبعي شريعته، عن القاضي.

«**من بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ**» قيل: من الآيات والوحي الذي هو طريق العلم،

وقيل: من بعد ما علمت أن الحق ما أنت عليه من الدين والقبلة «**إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ**» قيل: لمن الظالمين لنفسك بارتكاب صغيرة، عن أبي علي. وقيل: إنك إذًا بمنزلتهم في كفرهم وظلمهم، قال القاضي: وهذا أولى لأن ما وقع منهم يجب أن يُتناول على ظلم النفس، لا ما المعلوم أنه لا يقع، ونظيره: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥].

۞ الأحكام

الآيـة تدل على بطلان قول أصحاب الموافاة لقوله: «**إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ**» دل أن الوعيد يلحقهم في الحال.

وتدل على بطلان قول أصحاب اللطف؛ لأنه قال: «**بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ**» وعندهم أن في المقدور أنه لو أتاهم لاتبعوا قبلته، وهذا خلاف الظاهر، وقيل معناه: المعاند لا تَنْفَعُهُ الآية، وقيل: معناه لا لطف لهم، وعلى هذين الوجهين يبطل قولهم.

وتدل على أن جميع الكفار لا يؤمنون.

وتدل على [أن] العبد مختار قادر على الاتباع، وترك الاتباع، وأن الاتِّباع فِعْلُهُم؛ لذلك أضافه إليهم، وذمهم عليه.

قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾

۞ اللغة

المعرفة والعلم والدراية نظائر.

والفريق: الطائفة.

والكتمان نقيض الإظهار. والمرية والشك من النظائر.

۞ الإعـراب

الحق: رفع لأنه خبر ابتداء محذوف، وتقديره: ذلك الحق، أوهو الحق، ونظيره: مررت برجل كريمٍ زيدٌ؛ أي: هو زيد، وقيل: تقديره: جاءك الحق، ولو نصب جاز في العربية على: اعْلَم الحقَّ من ربك أو اقرأ الحق من ربك، والنون في قوله: لتكونن للتأكيد.

۞ النزول

عن ابن عباس: لما قدم النبي ﷺ المدينة قال عمر لعبد الله بن سلام: كيف تعرف نبينا محمد ﷺ؟ فقال: يا عمر، لقد عرفته فيكم حين رأيته، كما أعرف ابني إذا رأيته مع الصبيان يلعب، وإنه لنبي حق، فنزلت الآية(١) .

۞ المعنى

لما ذكر الله تعالى عناد اليهود والنصارى، وإنكارهم لنبوته حقق ذلك فقال تعالى: «**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ**» يعني أعطيناهم الكتاب، وهم العلماء فيهم «**يَعْرِفُونَهُ**» قيل: يعرفون النبي وصحة أمره، عن الأصم وأبي مسلم والزجاج. قال أبو مسلم: والضمير يعود إلى قوله: «**مِنَ الْعِلْم**» يعني النبوة فلذلك ذكره، وقيل: يعرفون أن أمر القبلة حق، عن ابن عباس وقتادة والربيع وابن زيد «**كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ**» قيل: إنه ضرب مثلاً في توكيد العلم كما تعرفون من نسبتموه إلى أنفسكم ولدًا «**وَإِنَّ فَرِيقًا**» يعني طائفة من أهل الكتاب؛ لأن منهم من أسلم كعبد الله بن سلام وكعب الأحبار «**لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ**» هذا ذم لهم على كتمانه ووعيد، واختلفوا في المكتوم، قيل: أَمْرُ محمد وكان مكتومًا عندهم، عن مجاهد وجماعة، وقيل: أمر القبلة عن الربيع،

---

(١) العجاب في بيان الأسباب لابن حجر العسقلاني ـ ٣٩٩/١ دار ابن الجوزي ـ الدمام، ط١، ١٩٩٧م، ت عبد الحكيم محمد الأنيس.

والأول أولى؛ لأنه يشتمل على القبلة وغيره، ولأنه لم يثبت أن أمر القبلة كان معلومًا عندهم بخلاف أمر النبي ﷺ «وَهُمْ يَعْلَمُونَ» صحة الأمر الذي كتموه، وقيل: يعلمون ما على مَنْ كَتَمَ حقًّا من العقاب «الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ» يعني هو الحق من ربك، وهو ما آتاه من الكتاب والوحي والشرائع «فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ» يعني من الشاكين، قيل: لا تكن من الشاكين أن من تقدم ذكرهم علموا صحة نبوتك وأمر القبلة، وأنهم عاندوا وكتموا، عن الحسن وابن زيد وأبي علي. وقيل: من الشاكين في أمر القبلة، وقيل: في صحة نبوتك وهو الأقرب، وقيل: فيما لزمك العلم به، واختلفوا فقيل: هو خطاب لغير الرسول؛ لأنه لا يشك، وقيل: خطاب له وإن علم أنه لا يقع منه كقوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]. وقيل: خطاب له ولغَيْرِه جميعًا وهو الأولى؛ لأنه إنما لا يجوز عليه الشك لأنه مُنْتَفٍ عنه، عن علي بن عيسى، وقيل: يجوز أن ينهى عن القبائح، كما يجوز أن يؤمر بالواجبات وإن علم أنه يفعل، عن القاضي.

۞ الأحكام

الآية تدل على قبح العناد وما يلزم كاتم الحق من الوعيد.

وتدل على النهي عن الشك في المواضع التي يجب فيها العلم.

وتدل على صحة أمر النبي ﷺ وأمر القبلة.

وتدل على جواز وقوع الشك من النبي ﷺ وقدرته عليه، وإن علم أنه لا يقع لِوَلِيِّه لما نهى عنه، فتدل على أن القدرة على خلاف المعلوم جائز، وعلى ما لا يقع، فيبطل قول المجبرة.

قوله تعالى:
﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾﴾

۞ القراءة

قرأ ابن عامر «مُوَلاَّها» بالألف أي مصروف إليها[1] ، وروي ذلك عن ابن عباس وذلك يشهد أن المراد به المسلمون على ما تأوله عليه أبو علي، وقرأ الباقون «موليها» بالياء، ومعناه: مُوَلٍّ إليها أي: مستقبلها.

وروي أن في حرف أُبَيٍّ: (لِكُلٍّ قِبْلَةٌ)، وفي حرف ابن مسعود (لكلٍّ جَعَلنا قبلة)، وهذا يُحْمَلُ على أنهما فسرا به، لا أنهما قرآه.

۞ اللغة

قال الفراء: في «وجهة» ثلاث لغات: وِجْهَةٌ وجِهَةٌ ووَجْهٌ بمعنى واحد.

والاستباق والابتدار والإسراع نظائر، والسبق التقدم في الأمر.

والجميع والكل بمعنىً.

۞ النظم

اتصال الآية بما قبلها على ما يذهب إليه أبو علي لكل قوم من المسلمين جهة «فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ» يا معشر المسلمين، ولو أراد غير المسلمين لكان يميز بين الحق والباطل، فلما قال: «استبقوا» دل أنه المراد، عن القاضي، وعلى مذهب الحسن لِكُلٍّ طريقة، وقد ظهر الحق في طريقتك «فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ»، وعلى ما يقوله الأصم: لكل قوم من الكفار قبلة، وفي زعمه أنه مأمور به، فإن كان الله يوجههم إليها فيما ينكرون أو يوجهك أي قبلة أخرى فلماذا قالوا: «مَا وَلَّاهُمْ»؟ فإذا ظهر بهذا الحجاج الحق «فَاسْتَبِقُوا».

۞ المعنى

والآية أيضًا في بيان أَمْرٍ القبلة قال تعالى: «وَلِكُلٍّ» قيل: لأهل كل قبلة من اليهود والنصارى، عن ابن عباس ومجاهد والربيع والسدي وابن زيد، وقيل: لكل قوم من

(١) حجة القراءات ١١٧.

المسلمين جهة ممن وراء الكعبة إما عن يمينها أو عن شمالها قَرُبُوا أم بعدوا، عن أبي علي والقاضي، وقيل: لكل من اليهود والنصارى والمشركين، عن الأصم، وقيل: لكل من المسلمين وأهل الكتاب، عن أبي مسلم، وقيل: لكل نبي وصاحب قبلة «**وِجْهَةٌ**» قيل: طريقة وشرعة وهي الإسلام وإن اختلفت الأحكام عن الحسن، وقيل: قبلة، عن مجاهد والأصم وأبي علي وأكثر المفسرين، «**هُوَ مُوَلِّيهَا**» الضمير في «**هُوَ**» قيل: يعود على (كُلٍّ)، وقيل: يعود على اسم الله تعالى يعني أنه أمر بالتوجه إليها «**مُوَلِّيهَا**» قيل: مستقبلها ومولي وجهه إليها «**فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ**» قيل: بادروا وسارعوا، عن الربيع وغيره، و«**الْخَيْرَاتِ**» فقيل: الطاعات، عن ابن زيد وأبي علي «**أَيْنَ مَا تَكُونُوا**» خطاب للجميع، كأنه وعد للمؤمنين، ووعيد للكافرين أنهم أينما كانوا «**يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ**» يوم القيامة، وقيل: ما سكنتم من بلاد الله عن الربيع والسدي «**يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا**» إلى المحشر يوم القيامة للجزاء «**إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**» يعني قادر على جمعكم وعلى كل شيء.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن لكل قوم قبلة، ثم اختلفوا، قيل: هي الكعبة كانت قبلة الأنبياء، عن أبي العالية والربيع، وقيل: الكعبة وبيت المقدس، عن أبي علي وغيره. وقيل: قبلة اليهود بيت المقدس، وقبلة النصارى المشرق، وقبلة المشركين إلى أصنامهم، عن الأصم.

وتدل على وجوب المسارعة إلى الطاعات وترك التواني.

وتدل على أنه يجمع الناس للحشر يوم القيامة للجزاء على الأعمال وكل ذلك ظاهر.

وقيل: في الآية إياس للمؤمنين من قبول الكفار قولهم، فكأنه قيل: إذا كانوا لا يقبلون قولكم فبادروا أنتم.

وقد استدل بها على وجوب الصلاة في أول الوقت.

قوله تعالى:

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾﴾

القراءة

قرأ أبو عمرو «**يعملون**» بالياء[1] وعيدًا لمن سبق ذكرهم من المخالفين، وقرأ الباقون بالتاء على الخطاب للمسلمين وعد لهم في تمسكهم بها بما أمروا.

اللغة

الشَّطْر: النحو، وقد مضى ذكره.

والغفلة: ذهاب العلم.

الإعـراب

(حيث): بالياء والرفع لغة قريش، وقراءة العامة، وقيل: هو مبني على الضم كمنذ، وقيل: رفع على الغاية، وفيه لغات أخرى: حَيْثَ بفتح الثاء، وحَوْثُ بالواو.

المعنى

لما بَيَّنَ تعالى أمر قبلة الحاضرين بين أحوال السفر، فقال تعالى: «**وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ**» قيل: إزالة لإيهام أنّه أحوال يختلف فيه السفر والحضر، كما في صلاة النافلة على الراحلة «**فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**» قد مضى تفسيره «**وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ**» قيل: القبلة المأمور بها، ويحتمل أنه الثابت الذي لا يزول بنسخ، ولهذا يوصف الله تعالى بأنه حق، أي ثابت لا يزول «**وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**» يعني عليم بأحوالهم يجازيهم، وهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين أنه لا يخفى عليه شيء منهم.

---

(١) حجة القراءات ١١٧.

ويقال: لم كررت هذه الآية؟

قلنا: فيه أربعة أقوال: قيل: لأنه لنسخ فرضٍ قبله فكان موضع التأكيد، فأكده لينصرف الناس إليه، وقيل: إنه مقدم لما يأتي بعده ويتصل به كقولك: زيد عالم كريم، وقيل: بالأول نَسَخَ بيْت المقدس، وبالثاني بَيَّنَ أن القبلة هي الكعبة أينما كانوا، وقيل: بَيَّنَ في الثاني حال السفر، وفي الأول حال الحضَر.

۞ الأحكام

الآية تدل على وجوب التمسك بالقبلة حيث كان وأنه الحق المأمور به.

وتدل على أن الغفلة والنسيان لا يجوز على الله تعالى؛ لأنه عالم لذاته لم يزل ولا يزال، ولا خلاف بين الأمة أن التوجه إلى الكعبة من شرائط الصلاة، وقد دلت الآية عليه وعلم من دين النبي ﷺ ضرورة حتى يكفر جاحدها، ولا خلاف أن فرض المشاهِدِ العَيْنُ للآية، فأما الغائب فقيل: فَرْضُهُ الجهةُ، عن أبي الحسن وأبي بكر الرازي.

وقيل: فرضه العين، عن أبي عبد الله الجرجاني، والأول الوجه؛ لأنه غير قادر على إصابة العين، فكان فرضه ما قدر عليه، وأبو عبد الله الجرجاني يقول: الاستيفاء يجب لحرمة البقعة، فإن اشتبهت تحرى واجتهد، ولا خلاف فيه، فإن تبين أنها خطأ وهو في الصلاة استدار، وإن تبين بعد الفراغ فلا إعادة عليه عند علمائنا، وقال الشافعي: عليه الإعادة، وإن كان بحضرته من يسأله لم يجز له أن يجتهد، وكان بمنزلة النص في الأحكام.

فأما إذا اجتهد بمكة ثم بان له أنه أخطأ فذكر أبو بكر الرازي أنه يعيد؛ لأنه انتقل من اجتهاد إلى يقين، وقال محمد فيما رواه ابن رستم: لا يعيد، وهو الأقيس، فإن أدى اجتهاده إلى جهة فصلى إلى غيرها فصلاته فاسدة سواء علم أنه أصاب أو أخطأ، قال أبو يوسف: إذا أصاب القبلة فصلاته تامة.

قوله تعالى:

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾

القراءة

قرأ نافع «لِيَلاً» بترك الهمزة، وكل همزة مفتوحة قبلها كسرة فإنه يقلبها ياء على ما قبلها، وقرأ الباقون بالهمز، وهو الأصل.

اللغة

الحجة: البينة الصادقة، ثم تستعمل في الشبهة توسعًا، يقال: هذه حجة المخالف، وتستعمل في نفس المنازعة، يقال: ليس بيننا حجاج إلى حراك.

والخشية: الخوف.

والنعمة: الإفضال على الغير، وهو النفع الحسن يوصله إليه. وأصل الهداية الدلالة.

الإعراب

«لئلا» موضعه نصب العامل فيه، قيل: وَلُّوا لئلا، وقيل: ما دخل الكلام في معنى عرفتكم ذلك لئلا، عن الزجاج.

فأما قوله: **«إلا الذين ظلموا»** اختلفوا في هذا الاستثناء على خمسة أقوال:

[الأول]: أنه استثناء منقطع غير متصل، و(إلا) فيه بمنزلة (لكن) كقوله: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ﴾ [النساء: ١٥٧] ويقال: ما له عليَّ حق إلا التعدي، يعني لكنه يتعدى ويظلم، وقال النابغة:

وَمَا بِالرَّبْعِ مِنْ أَحَدٍ إلاَّ أَوَارِيَّ(١)

وتقدير الآية: ليس الذين ظلموا منهم يتعلقون بشبهة، ويضعونها موضع الحجة، عن الفراء وجماعة من النحويين.

---

(١) بعض بيتين للنابغة الذبياني وتمامهما:

وقفتُ فيها أصيلاناً أسائلها ... أعيت جوابا وما بالربع من أحد
إلا أوراي لأياً ما أبيّنها ... والنوي كالحوض بالمظلومة الجلد

والمعنى: وقفت طويلاً فلم يجبني أحد إلا محابس الدواب.

انظر اللسان (إلا).

الثاني: أن الحجة بمعنى المحاجة، وتقديره: لئلا يكون للناس معكم حجاج إلا الذين ظلموا فإنهم يحاجونكم بالباطل، والاستثناء على هذا متصل بما قبله.

الثالث: زعم أبو عبيدة أن (إلا) بمعنى الواو، كأنه قيل: لئلا يكون للناس عليكم حجة، ولا الذين ظلموا، وأنشدوا:

وَكُلُّ أَخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ ... لَعَمْرُ أَبِيكَ إِلاَّ الْفَرْقَدَانِ[1]

يعني: والفرقدان، وأنكر ذلك الفراء وأبو العباس، قال الفراء: ولا يجيء إلا بمعنى الواو إلا إذا تقدم استثناء، كما قال الشاعر:

مَا بِالْمَدِينَةِ دَارٌ غَيْرُ واحِدَةٍ ... دارِ الخَلِيفَةِ إلا دارَ مَروَانَ[2]

كأنه قال: ما بالمدينة دار إلا دار الخليفة ودار مروان، وقال أبو العباس: لا يجوز(إلا) بمعنى الواو أصلاً.

الرابع: زعم قطرب أن فيه إضمارًا، وتقديره: لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا على الذين ظلموا، وموضع(الذين) خفض عنده؛ لأنه جعله بدلاً من الكاف والميم في (عليكم)، كأنه قيل: لئلا يكون عليكم حجة إلا على الذين ظلموا فإنه يكون حجة عليهم، وهم الكفار، وقال علي بن عيسى: وهذان الوجهان يبعدان، والأول هو الصحيح.

والخامس: أنه استثناء صحيح، والمراد بالناس أهل الكتاب، وأنهم وجدوا في كتابهم أن النبي ﷺ يحول القبلة، فلما حولت القبلة بطلت حجتهم إلا الذين ظلموا، فإنهم كتموا ما عرفوا، عن أبي روق.

ويقال: لِمَ أثبتت الياء في «**واخشوني**» وحذفت في نظائره؟

قلنا: الإثبات هو الأصل، وهو إجماع ههنا، وأما الحذف فللخفة، والأخير بالكسرة من الياء.

---

(١) نسبه إلى معد في اللسان (إلا)، وانظره في تاج العروس (فرقد)، وتهذيب اللغة (إلا).

(٢) لم أقف على قائله، وانظر الأصول في النحو ١/ ٢٠٤.

«**الذين**» موضعه نصب بالاستثناء، عن الفراء، وقيل: موضعه خفض، كأنه قيل: للذين ظلموا، فلما سقطت اللام حلت «**الذين**» محلها، عن الكسائي.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى ما قطع حجاج المخالفين في أمر القبلة، فقال تعالى: «**وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ**» مضى تفسيره «**فَوَلِّ وَجْهَكَ**»، وفيه خلاف، كأنه قيل: فول وجهك في الصلاة، وإنما حذفت لدلالة الكلام عليه «**شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**» يعني نحوه.

ويقال: لم كررت هذه الكلمة؟

قلنا: فيه أقوال: قيل: المراد بالأولى حيث خرجت إلى النواحي التي كنت تصلي فيها إلى بيت المقدس «**فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**»، وأراد بالثاني سائر البلاد والأقطار من أي جهات الكعبة، عن أبي علي. وقيل: إنه صدر الآية به ليتعلق به قوله: «**وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ**» وأراد بيان حكم آخر يعلقه به، وأعاد ذكره كقوله: زيد عالم، زيد كريم، عن أبي مسلم. وقيل: أراد بإحدى الآيتين السفر، وبالأخرى الإقامة في المواضع، عن الأصم، وقيل: لاختلاف المواطن والأوقات التي يُحتاج إلى هذا المعنى فيها، وقيل: لأنه من مواضع التوكيد لما جرى من النسخ لتثبيت القلوب، وكل حسن «**لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ**» قيل: لأهل الكتاب، عن قتادة والربيع. وقيل: هو على العموم «**عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ**» يعني: لا تعدلوا عما أمركم الله به من التوجه إلى الكعبة فتكون عليكم حجة، يعني: لا تعدلوا عما أمركم الله به بأن تقولوا: لو كنتم تعلمون أنه من عند الله ما عدلتم عنه، عن أبي علي. وقيل: لئلا يكون لأهل الكتاب عليكم حجة لو جاء على خلاف ما تقدمت به البشارة في الكتب من أن المسلمين يتوجهون إلى الكعبة، وقيل: هم قريش واليهود، أما اليهود فيقولون: ما درى محمد أين قبلته حتى هديناهم، وأما قريش فقالوا: ترك قبلة إبراهيم. «**إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ**» بينّا ما قيل في الاستثناء، وإنما اختلفوا في ذلك؛ لأن الظالم ليس له حجة، وإنما يورد ما يظنه حجة، وهي داحضة، فلذلك اختلف العلماء في وجه الاستثناء على الوجوه التي قدمناها.

واختلفوا مَن الذين ظلموا؟ قيل: الناس على العموم، والذين ظلموا: اليهود وقريش، أما قريش فقالوا: إنه علم أنه قبلة آبائه فرجع إليه، وسيرجع إلى ديننا، ويعلم أنه الحق، وأما اليهود فقالوا: لم ينصرف محمد عن قبلتنا عن علم، وإنما يفعله برأيه، ويزعم أنه أُمِرَ به، وقيل: الناس هم أهل الكتاب، والذين ظلموا مشركو مكة، وحجتهم أنهم قالوا: إن محمدًا تحير في دينه فتوجه إلى قبلتنا، وسيرجع إلى ديننا، عن ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة والربيع والسدي. وقيل: هو على العموم، والذين ظلموا يعني ظلموكم بالمقابلة وقلة الاستماع، هذه الأقوال على قول من يقول: إنه استثناء صحيح أو منقطع، وعلى قول أبي عبيدة وقطرب، والكلام ظاهر «فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ» قيل: خطاب للمسلمين لئلا يخافوا مَنْ تقدم ذكره من المتعنتين؛ إذ لا حجة لأحد عليهم ولا يد، «فَلَا تَخْشَوْهُمْ» في التمسك بالإسلام والانصراف إلى الكعبة، واخشوا عقابي بأن تعدلوا عما أمرتكم به، وقيل: لأجل خشيتكم من الغير، لا تركبوا المعاصي «وَاخْشَوْنِ» بتركها فإني أكفيكم أمرهم «وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي» عطف على قوله: «لِئَلَّا»، وتقديره: لئلا يكون لأحد عليكم حجة «وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ» بخشية الله دون خشية الناس ليتم نعمة الدين والدنيا، وقيل: لأتم نعمتي بهدايتكم إلى الكعبة التي هي قبلة الأنبياء، وأنه أصلح، فبين أنه حول القبلة لهذين الغرضين: زوال المقالة وتمام النعمة، وقيل: تمام النعمة في التحويل أن القوم كانوا يفتخرون باتباع إبراهيم، فلما حول القبلة إلى بيت المقدس لحقهم ضعف، قلت: فكان يحب النبي ﷺ التحويل حتى حولت، فهذا تمام النعمة، عن أبي مسلم. وقيل: أتم النعمة بهدايتكم إلى الصلح لكم ولتتميزوا من اليهود بالقبلة كما تميزتم من سائر الأديان، عن أبي مسلم، «وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» قيل: لكي تهتدوا، و(لعل) من الله واجب، عن الحسن وأبي علي وجماعة. وقيل: لتهتدوا إلى ثوابها، وقيل: إلى التمسك بها.

۞ الأحكام

الآية تدل على أنه لا حجة لمخالفي الحق إلا من ظلم نفسه بإيراد الشبهة؛ ليدفع بها الحق فتكون داحضة، وهذا سبيل كل مبطل مخالف للحق.

وتدل على أنه ينبغي أن يخشى، ويجعل أوامره نصب عينيه، ويعلم أنه يراه في جميع أحواله؛ ليتقي معاصيه، ولا يعصيه لأجل خشية الناس.

وتدل على أن تمام النعم نِعَمُ الدين، وأن نعم الدنيا كالتَّبَعِ لها.

وتدل على أنه تعالى أراد اهتداء الخلق؛ لأن قوله: «**وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**» معناه: أريد بذلك هدايتكم.

وتدل على وجوب التوجه إلى الكعبة سفرًا وحضرًا، ونسخ ما عدا ذلك من الجهات، وقد ذكر أبو مسلم في هذه الآيات الواردة في نسخ القبلة تشككًا في صلاة النبي ﷺ والمؤمنين بمكة والمدينة فقال في قوله: «**مَا وَلاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ**»: لولا الأخبار لاحتمل أن يكون المراد ما ولى المسلمين عن قبلتهم «**الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا**» يعني: قبلة السفهاء أي ما صرفهم عن ذلك؛ لأنهم لما رأوا المسلمين متوجهين نحو الكعبة كان ذلك عندهم بدعًا مستنكرًا، وذكر في قوله: «**وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا**» لولا اتفاق العلماء ورواة الأخبار أنه صلى إلى بيت المقدس لاحتمل قوله: «**كُنتَ عَلَيْهَا**» صرت عليها كقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٨]، وقال في قوله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾: لولا الأخبار واتفاق العلماء في توجهه إلى بيت المقدس لاحتمل أن يكون هذا في مقدمه المدينة، فقد روي أنه كان ﷺ إذا صلى بمكة جعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس، وهذه صلاة إلى الكعبة لا إلى بيت المقدس، ودليل على أنه الحق عنده، فلما هاجر لم يدر أين يتوجه، ويحب أن يؤمر بالتوجه إلى الكعبة، فانتظر الوحي، فأتاه ما طَلَبَ وأحب، وهذا كله تخليط، وإنما دعاه إلى ذلك مذهب له أن النسخ في شرع نبينا لا يجوز ولا يثبت، وتأول الآيات المنسوخة على تأويل، وهذا لا وجه له؛ لأنه خلاف الكتاب والأخبار والنظر والإجماع.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ [البقرة: ١٠٦] يدل على بطلان قوله، وقوله: «**سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ**» وقال: «**الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا**» وظاهرها أنه كان على قبلة فَصُرِفَ إلى أخرى.

وأما الأخبار فتظاهرت بأن القبلة نسخت حتى قال ابن عباس: أول ما نسخ من القرآن التوجه إلى بيت المقدس.

فأما الإجماع فلا يُعْلَمُ أحدٌ من العلماء في الصحابة والتابعين ومَنْ بعدهم أنكر النسخ، وهذه كتب الجميع ناطقة بجواز النسخ.

فأما النظر إذا جاز النسخ للمصلحة لم لا يجوز في شريعتنا كذلك؟

وقوله: إنه ﷺ صلى بمكة كذا، لا يجوز؛ لأن من المشهور أنه كان يصلي إلى بيت المقدس بمكة وبالمدينة بضعة عشر شهرًا، وقيل: ثمانية عشر، وقيل: ستة عشر، ولا يجوز أن يؤمر بالتوجه إلى موضع، فيوهم أنه صلى إلى غيره.

ومتى قيل: إنه صلى إلى بيت المقدس اتباعًا لغيره لا شرعًا.

قلنا: جميع ما تعبده به فهو شرع له، ولأنه لو اتبع غيره لاتبع ملة إبراهيم فلا وجه إذًا لما قاله.

قوله تعالى:

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ (١٥١)﴾

اللغة

الإرسال: التوجيه بالرسالة، أرسله إرسالاً.

والتلاوة: القراءة، وهي ذكر الكلمة على نظام متسق، وأصله من الاتباع ومنه تلاه: تبعه.

والتزكية تكون بمعنى البركة والنماء، وتكون الطهارة والقُدُس يقال: زكا زرعُه أي نما وزاد، وفلان زكَّى فلانًا: مدحه وأطراه ووصفه بالطهارة، وزكَّاهُ: حَمَلَهُ على ما له فيه التزكية.

الإعراب

يقال: في (كما) ما العامل فيه وبماذا يتصل؟

قلنا: فيه أربعة أقوال:

الأول: الفعل الذي قبله وهو قوله: **«وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ»** **«كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً»**، عن الزجاج والفراء وأبي علي.

الثاني: أن إبراهيم دعا الله أن يبعث فيهم رسولاً منهم يبين لهم الشرائع ويهديهم، فأجاب تعالى دعاءه فقال: لأنعم نعمتي ببيان الشرائع وأهديكم إلى الدين إجابة لدعوته **«كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً»**، عن ابن جرير.

الثالث: الفعل الذي بعده وهو **«فَاذْكُرُونِي»** تقديره: فاذكروني كما أرسلنا فيكم رسولاً أذكركم، عن الحسن وابن نجيح ومجاهد.

الرابع: أنه يرجع إلى قوله: **«وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا»** تقديره: كما أرسلنا فيكم رسولاً جعلناكم أمة وسطًا، أو كما جعلناكم أمة وسطًا أرسلنا فيكم، قال القاضي: والأول أولى؛ لأنه إذا وجد ما يتم به الكلام قبله من غير فصل فتعلقه به أولى.

ويقال: أَيُّ كاف في قوله: **«كَمَا»**؟

قلنا: كاف التشبيه، وفي وجه التشبيه قولان:

أحدهما: أن النعمة في أمر القبلة كالنعمة بالرسالة؛ لأنه تعالى يفعل الأصلح.

الثاني: أن الذكر المأمور به كالنعمة بالرسالة فيما ينبغي أن يكون عليه من المنزلة في العظم، والإخلاص لله يعظم النعم.

ويقال: **«كما»**، هل يجوز أن يكون جوابًا؟

قلنا: نعم عند الفراء، وجعل لـ **«اذكروني»** جوابين: أحدهما: كما، والثاني: أذكركم، ووجه ذلك أنه وجب عليهم الذكر ليذكرهم الله برحمته، ولما سلف من نعمته، أَشْبَهَ من هذا الوجه الجوابَ؛ لأنه يجب الثاني فيه بوجوب الأول.

ويقال: أَيُّ (ما) في قوله: **«كما»**؟

قلنا: (ما) المصدر، كأنه قيل: كإرسالنا فيكم، ويحتمل أن تكون كافة.

۞ المعنى

لما ذكر تعالى إتمام نعمه بالقبلة والهداية عقبه بذكر الرسول؛ إذ هو من أعظم النعم، فقال تعالى: «كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ» هو خطاب للعرب «رَسُولاً» يعني محمدًا ﷺ «مِنْكُمْ» نسبًا؛ لأنه من العرب، ووجه النعم عليهم بكونه من العرب ما لهم به من الشرف والذكر، ولأنه لو كان من العجم لكان العرب لا تتبعه، ففي ذلك لطف لهم في باب الدين، ولأنه أقرب إلى الأفهام «يَتْلُو عَلَيْكُمْ» يقرأ عليكم معاشِرَ العربِ «آيَاتِنَا» قيل: الحجج، وقيل: القرآن وما فيه من الأوامر والزواجر، وهو من أعظم النعم «وَيُزَكِّيكُمْ» قيل: يدعوكم إلى ما إذا تمسكتم به صرتم أزكياء، وقيل: يزكيكم بالثناء والمدح أي يعلم ما أنتم فينسبكم إلى ذلك، ومعنى يزكيكم قيل: يطهركم، وقيل: يكثركم الله به ويؤلف بين قلوبكم ويقربكم من الزكاة التي هي النماء، عن أبي مسلم «وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ» قيل: هو القرآن، وجمع بين هذه الأوصاف لاختلاف المعنى، والآية: الحجة، والكتاب: المكتوب، والحكمة: ما فيه من إعلام الدين وشعائره فليس بتكرار، وقيل: يتلو مضاف إلى الرسول والمراد به الأداء «وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ» معاني الكتاب وما يشتمل عليه، «وَالْحِكْمَةَ» السنة وما لا يُعْلَمُ إلا من جهته من الأحكام، وقيل: يتلو ما ليس فيه كتاب من أصول التوحيد والعدل «وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ» أي الشرائع، «وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ» من أخبار الأمم «وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ» قيل: لم يكن لهم كتاب ولا عِلْمٌ فعلمهم ذلك، وذلك من أعظم النعم وإن كان غيرهم يشاركهم في ذلك فيما يتصل بالدين، وقيل: يعلمكم الشرائع، وقيل: أخبار الأمم، وقيل جميع ذلك.

۞ الأحكام

الآية تدل على أمور:

منها: كمال نعمته بالرسول حيث أرسله من أشرف بيت، ومن حيث يتلو الكتاب حالاً بعد حال، ومن حيث يعلم الأحكام والسنن.

ومنها: تدل(١) على فضيلة العلم.

(١) تدل: يدل؛ د، ز، ف.

ومنها: دلالة قوله: «**مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ**» على بطلان قول أصحاب المعارف؛ إذ هو نص في الباب.

ومنها: التنبيه على صحة نبوته ﷺ كأنه قيل: إذا كنتم قومًا لا تعرفون كتابًا، ولا تعلمون علمًا فَمُحَمَّدٌ منكم ليس بصاحب كتاب، أتاكم بالآيات يتلو عليكم بلسانكم وعجزتم عن الإتيان بمثله، وفيه أنباء الأمم والتنبيه على صحة الأحكام والشرائع، فذلك حجة على نبوته ونعمة عليكم،ذكره الأصم.

قوله تعالى:

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾

۞ اللغة

الذكر: حضور المعنى للنفس، وهو على وجهين: أحدهما بالقلب، والآخر بالقول، والأول نقيض النسيان، وأصله التنبيه على الشيء، فمن ذكَّر ناسيًا فقد نبهه عليه، والذكر: الشرف أيضًا ومنه: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤].

والكفر: ستر النعمة بالجحد لها، وأصله التستر في اللغة، ثم صار في الشرع اسم ذم لمن يستحق أعظم العقاب.

والشكر: إظهار النعمة بالاعتراف، يقال: شكرتك وشكرت لك، كما يقال: نصحتك ونصحت لك.

۞ الإعراب

في قوله: «**وَاشْكُرُوا لِي**» محذوف، وكذلك في قوله: «**وَلاَ تَكْفُرُونِ**» وتقديره: اشكروا نعمتي ولا تكفروا نعمتي؛ لأن أصل الشكر إظهار النعمة لا إظهار المنعم، وأصل الكفر ستر النعمة لا ستر المنعم.

ويقال: لِمَ حذفت الياء في التواصل؟

قلنا: على نية الوقف فلذلك قيل: «وَلاَ تَكْفُرُونِ» بغير ياء فهي في ذلك بمنزلة القوافي التي يوقف عليها بغير ياء، قال الأعشى:

وَمِـنْ شَـانِـئٍ كَـاسِـفٍ وَجْـهُـهُ   إِذا مَـا انـتَـسَـبْـتُ لَـهُ أَنـكَـرَنْ[1]

والمعنى: أنكرني.

المعنى

لما عد تعالى نعمه عقبه بالأمر بالشكر والذكر، فجعل سبحانه جميع ما عده كالعلة والسبب في وجوب شكره وذكره، والذكر يتضمن سائر العبادات بالقول والاعتقاد والأفعال، فبين أن علة وجوب شكره وأداء عباداته ما عد من أصول النعم، وأنه متى قاموا به ذكَرَهم، ويجب أن يكون لقوله: «أَذْكُرْكُمْ» تعلق بما مضى، فالمراد به الثواب والإكرام، فأوجب الثواب على أداء العبادات، فقال تعالى: «فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ» فيه أقوال:

الأول: اذكروني بجميع ما تعبدتكم به من العبادات أذكركم بالثناء وإيجاب الثواب، عن أبي علي، وقال بعضهم: اذكروني بطاعتي أذكركم برحمتي.

الثاني: اذكروني بالدعاء أذكركم بالإجابة والإحسان في العاجل والآجل، عن أبي مسلم.

الثالث: اذكروني بالثناء بالنعمة أذكركم بالطاعة.

الرابع: اذكروني بالشكر أذكركم بالثواب والزيادة، عن الأصم.

والخامس: اذكروني بطاعتي أذكركم بمعونتي، عن ابن عباس.

السادس: قيل: اذكروني في الدنيا أذكركم في الآخرة.

السابع: اذكروني في الرخاء أذكركم في البلاء.

---

(١) الشانئ: المبغض، والكاسف الوجه: العابس، والبيت في: المفصل في صنعة الإعراب ص٤٨٠ للزمخشري، ت: د/ علي أبو ملحم دار ومكتبة الهلال ـ بيروت، ط١ ١٩٩٣م.

والثامن: قيل: اذكروني بمدارسة الكتاب والسنة وتعليمها وتعلمها أذكركم بالمدح والثناء، فيكون أمرًا بذكر الله والدعاء إلى معرفته ومعرفة رسوله وشرائعه، عن القاضي.

«وَاشْكُرُوا لِي» أي اشكروا نعمتي بالطاعة «وَلاَ تَكْفُرُونِ» بالعصيان.

الأحكام

الآية تدل على أن مَنْ ذَكَرَ الله تعالى فالله تعالى يذكره، وعن ابن عباس: من ذكر الله تعالى من أهل طاعته ذكره الله بخير، ومن ذكره من أهل معصيته ذكره الله تعالى باللعنة.

فإن قيل: إنه تعالى ذَكَرَنَا ابتداء بِخَلْقِهِ إيانا ونعمه علينا، فكيف علق ذلك بذكرنا؟

قلنا: المراد ذكره إيانا على وجه التعظيم والمدح وذلك يتعلق بالشرط.

وتدل على أن جميع العبادات تدخل في الذكر لذلك أوجب ذكره، ولأنه متى نظر لمعرفة أو لحل شبهة أو عزم على طاعة أو استغفر لذنب أو أقر بالربوبية أو أثنى عليه بأنواع التسبيح أو صلى وصام وأتى سائر الشرائع فهو ذاكر له تعالى، فأما ذكره إيانا فالمراد الثواب والرحمة والجزاء.

قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾

اللغة

الاستعانة: طلب المعونة، وحقيقته: الازدياد في القوة، وقد يستعان بالآلات ليتهيأ الفعل فيكون كزيادة قوة.

والصبر: حبس النفس عما تدعو إليه من الأمر، والصبر صفة مدح.

والصلاة في اللغة: الدعاء، وفي الشرع: اسم لأفعال مخصوصة معلومة أولها التكبير وآخرها التسليم، فبالتكبير تدخل فيها، وبالتسليم تخرج منها.

۞ الإعراب

«**الذين**» موضعه رفع لا يجوز غير ذلك عند النحويين إلا المازني، فإنه أجاز يا أيها الرجل، قيل: بالنصب، والعامل فيه ما يعمل في صفة المنادى عند سائر النحويين إلا الأخفش، فإنه يجعله صلة لـ(أيٍّ) ويرفعه؛ لأنه خبر ابتداء محذوف، وتقديره: يأمرهم الذين آمنوا، إلا أنه لا يظهر المحذوف مع (أيّ) وإنما حمله على ذلك لزوم البيان له فقال: الصلة تلزم والصفة لا تلزم، قال علي بن عيسى: والأوجه عندي أن يكون صفة بمنزلة الصلة في اللزوم.

ويقال: لم لزمت «**أيَّ**» هاءٌ في النداء؟

قلنا: لأن الغرض بحرف التنبيه وقع في موضع التنبيه، فلزم.

۞ المعنى

لما أوجب الله تعالى العبادات بقوله: «**فَاذْكُرُونِي**» والشكر على النعم بقوله: «**وَاشْكُرُوا لِي**» عقبه بذكر المعونة عليهما فقال تعالى: «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**» خطاب للمسلمين «**اسْتَعِينُوا**» اطلبوا المعونة «**بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ**» وإنما خصهما بذلك لما فيهما من المعونة على العبادات، أما الصبر فهو قَصْرُ النفس على احتمال المكاره في ذات الله تعالى، وتوطينها على تحمل المشاق وتجنب الجزع، ومن ذلل نفسه وقلبه هذا التذليل يسهل عليه فعل الطاعات وتحمل مشاقّ العبادات وتجنب المحظورات، وأما الصلاة فَلِمَا فيها من الخشوع والتذلل للمعبود وقراءة القرآن وما فيها من المواعظ والوعد والوعيد والترغيب والترهيب، فعند ذلك يسهل عليه فعل الطاعة، وقيل: أراد بالصبر الصوم، عن مجاهد.

ويقال: استعينوا بهما على ماذا؟

قلنا: على سائر الطاعات، وقيل: على الجهاد.

«**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**» قيل: بالمعونة والنصرة، عن أبي علي، كما يقال: السلطان معك، وقيل: معهم بالتوفيق والتسديد أي يزيدكم تسديدًا وتوفيقًا، فيسهل

عليكم أداء العبادات، عن أبي القاسم، ونظيره: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ [مريم: ٧٦] ولا يجوز أن يكون بمعنى الاجتماع في مكان أو بقعة؛ لأنه من صفات الأجسام، تعالى الله عن ذلك.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن فعل العبد حادث من جهته؛ لأن الاستعانة لا تصح إلا والعبد فاعل مختار، وإذا كان جميع ما يظهر عليه خلقًا لله تعالى لم يكن للاستعانة معنى. وتدل على أن الصبر والصلاة لطف للعبد كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

ومتى قيل: اللطف في شرعها أو فعلها؟

قلنا: فيهما جميعًا، فالشرع من فعله تعالى، ومنا اعتقاد وجوبه وإقامة حدوده، وجميع ذلك لطف للمكلفين.

وتدل على أن الواجب على المكلف الصبر على أداء الطاعات، وعَنْ فعل المعاصي وتحمل المشقة فيهما لينال الفوز بالدرجات، وتدل على أنه متى فعل ذلك فالله تعالى يوفقه ويسدده ويثيبه وينصره.

قوله تعالى:

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾

۞ اللغة

السبيل: الطريق، وسبيل الله: طريق مرضاته، وعند الإطلاق يفهم منه الجهاد، سمي بذلك؛ لأنه طريق ثوابه ورحمته.

والقتل نقيض الموت الذي[1] تنتفي بوجوده الحياة. والحياة عرض يصير

---

(١) الذي: التي؛ ز، و.

الجسد[1] كالشيء الواحد حتى يصير قادرًا واحدًا عالمًا واحدًا ومريدًا واحدًا، ولا خلاف بين مثبتي الأعراض أن الحياة معنى مقدور لله تعالى لا يقدر عليه غيره، واختلفوا في الموت، فقيل: هو معنى يضاد الحياة، وهو قول أكثر المشايخ، وقيل: هو بطلان الحياة، عن أبي هاشم، والأوجه الأول لقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك: ٢].

والشعور: ابتداء العلم، وقيل: هو إدراك صادق ولطف، ومنه يسمى الشاعر؛ ولذلك لا يقال لله تعالى شاعر، وإن قيل: عالم.

۞ الإعراب

«**أموات**» رفع؛ لأنه خبر ابتداء محذوف، تقديره: لا تقولوا: هم أموات.

ويقال: هل يجوز فيه النصب؟

قلنا: لا، كما يجوز في قولهم: قلت حسنًا؛ لأنه في موضع المصدر كأنه قال: قلت قولاً حسنًا، فأما قوله: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾ [النساء: ٨١] فيجوز فيه الرفع والنصب، فأما الرفع فعلى: منا طاعة، والنصب على: نطيع طاعة.

ويقال: ما الفرق بين (بل) و(لكن)؟

قلنا: (لكن): نفي لأحد الشيئين وإثبات الآخر، نقول: ما قام زيد لكن عمرو، و(بل): إضراب عن الأول، وإثبات للثاني؛ ولذلك وقعت في الإيجاب كقولك: قام زيد بل عمرو.

۞ النزول

عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أنها نزلت في قتلى بدر، وقتل من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلاً: ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار، فكانوا يقولون: مات فلان، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقيل: كانوا يقولون: مات فلان، وانقطع عنه نعيم الدنيا، فنزلت الآية[2].

---

(١) الجسد: الجملة؛ د، ف، و.

(٢) العجاب في بيان الأسباب ١/ ٤٠٣.

وقال الأصم: يحتمل أن المشركين قالوا هم أموات في الدين، وقال أبو القاسم: كان الكفار يقولون: إن أصحاب محمد يقتلون أنفسهم في الحرب بغير سبب، ثم يموتون فيذهبون، فنزلت الآية.

۞ المعنى

لما أمر تعالى بالعبادات، وفيها الجهاد وأمرنا بالصبر عليه بين ما فيه، فقال تعالى: «**وَلاَ تَقُولُوا**» وهذا كالدليل على تَقَدُّمِ قول منهم غير مرضي؛ فلذلك منعهم منه، ثم يحتمل أن يكون ذلك قولاً من المشركين، حيث قالوا على جهة الذم: تكلفوا ما أداهم إلى الهلاك ولا عاقبة لذلك، ويحتمل أن يكون ذلك من المؤمنين قالوا: لا على جهة الذم: إنهم ماتوا فقال تعالى: «**وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**» أي في الجهاد «**أَمْوَاتٌ**» يعني: هم أموات «**بَلْ**» هم «**أَحْيَاءٌ**» قيل: فيه عدة أقوال:

الأول: أنهم في الوقت أحياء لا في المستقبل كأنهم نشروا في قبورهم وأثيبوا، عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وأبي علي وأبي بكر والقاضي.

الثاني: لا تقولوا: هم أموات في الدين، بل هم أحياء، خلاف ما يقوله المشركون «**وَلَكِنْ لاَ تَشْعُرُونَ**» أيها المشركون أن مَن قُتل على دين محمد فهو على هدى من ربه، عن الأصم، ومثله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

الثالث: ولا تقولوا: إنهم لا ينشرون ولا ينتفعون بما لقوا، بل اعلموا أنهم أحياء أو يستحيون ويثابون، عن أبي القاسم وأبي مسلم. «**وَلَكِنْ لاَ تَشْعُرُونَ**» يعني الكفار لا يعلمون ذلك.

والأوجه: الأول؛ لأن الظاهر يقتضي ذلك، ولأن عليه إجماع المفسرين، ولأن الخطاب للمؤمنين، وكانوا يعلمون أنهم على حق، ويقرون بالنشأة الثانية، فكان لا يقال لهم: لا تشعرون، ولأن حمله على ذلك يبطل فائدة تخصيصهم بالذكر.

الرابع: قال بعضهم: إن أرواحهم أحياء، ورووا في ذلك أخبارًا، وذكروا أن الروح هو الإنسان وهو جزء واحد في القلب أو مشابه للجثة حسب اختلافهم، ومنهم

من قال: الروح غير الإنسان إلا أنه يجعله حيًا وهذا فاسد؛ لأن الروح لا يكون حيًا، والإنسان الحي هو الجثة وعليه الثواب والعقاب، والروح هو النفس المتردد في مخارق الإنسان وهو أجزاء الجوهر المسمى روحًا، وما رووا مرفوعًا «**أن أرواح الشهداء في أجواف طير خضر، وأنها جنود مجندة تأتلف وتختلف**»(١) ونحوها فغير صحيح؛ لأنها أخبار آحاد، وكل ذلك صفة الأحياء القادرين، وقد بينا أن الحي هو هذا الشخص، وقد تأوله بعض مشايخنا أنهم يصيرون أحياء في حواصلهم بحيث يرى من باطنه ظاهر الجنة، فيرون نعيم الجنة متى طاروا، فيزداد سرورهم، وهذا تعسف، والأقرب أن مثل هذه المذاهب والروايات تكون من دسيس الملحدة وأهل التناسخ، والصحيح أنهم أحياء بأبدانهم كما كانوا، وقد اختلف من قال: إنهم أحياء في الحال، فقال بعضهم: أحياء في قبورهم، وقيل: في الجنة، وقيل: عند السدرة في السماء، والأقرب هو الأول؛ ولذلك تزار قبورهم، ويعتقد أنهم فيها، وإنما خص الشهداء بذلك إكرامًا لهم، فإنه أطال حياتهم ترغيبًا في الجهاد، وإن كان من الجائز أن يكون غيرهم من المؤمنين كذلك، ولا يصح الاستدلال بقوله: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٩] أنهم في الجنة، على ما ذكره أبو مسلم؛ لأنه يحتمل أن يريد به في المكان الذي عظم الله تعالى قدرهم، كما يوصف الملك أنه مقرب وإن كان في الأرض.

وقوله: «**وَلَكِنْ لاَ تَشْعُرُونَ**» أي لا تعلمون أنهم أحياء، وقد بينا اختلافهم في المخاطبين به.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن كون الشهداء أحياء ولا ضرورة إلى ترك الظاهر فقلنا: هم أحياء في الحال.

---

(١) الحديث رواه البخاري باب: الأرواح جنود مجندة رقم ٣١٥٨ عن عائشة، ومسلم باب: الأرواح جنود مجندة رقم ١٥٩من باب أبي هريرة، وأبو داوود رقم ٤٨٣٤، وأحمد رقم٧٩٢٢، وابن حبان رقم ٦١٦٨، والطبراني في الكبير رقم ٦١٦٩، والأوسط رقم ١٥٧٧، والبيهقي في شعب الإيمان رقم ٩٠٣٧، ولفظه: «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف...»، وكونها في حواصل طير خضر، جاءت في الكثير من هذه الروايات.

وتدل على صحة ما نقوله في سؤال القبر، وثواب المؤمنين فيه، وعقاب العصاة على ما ورد به الخبر، وإنما حمله أبو القاسم على حياة الحشر؛ لأنه ينكر عذاب القبر.

ومتى قيل: نحن نشاهد أجسادهم ميتة في القبور، فكيف يصح ما ذهبتم إليه؟

قلنا: يصح أن يعيد الله تعالى إليهم الحياة ويحيي من الأجزاء ما لا بد منه في كونه حيًّا على ما نقوله في ماهية الحي، ولا معتبر بالأطراف، ويحتمل أن يحييهم إذا لم يشاهدوا، فيدل على أن هذه الصفة لقوم تقدموا ثم مشاركة غيرهم إياهم في تلك الصفة تعلم بدليل.

وتدل على الترغيب في الجهاد رغبة فيما وعد الله المجاهدين.

قوله تعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾

اللغة

الابتلاء: الاختبار والامتحان، وإذا استعمل في صفة الله تعالى فالمراد به أنه يعامل معاملة المختبر؛ لأنه عالم بالأشياء، ولا يجوز عليه أن يختبر ليعلم.

والبلوى مثل الابتلاء، يقال: بلوته وابتليته: اختبرته، والبلاء الاختبار أيضًا، ويكون بالخير والشر.

الجوع: المخمصة وهو الحاجة إلى الغذاء، جاع يجوع، والمجاعة عام فيه جوع، ونقيض الجوع الشبع، وحقيقة الجوع: شهوة غالبة للطعام، والشبع زوال الشهوة، ولا خلاف أن الشهوة معنى في القلب لا يقدر عليه إلا الله تعالى، والجوع منه، فأما الشبع فمنهم من قال: هو معنى وهو يفعله تعالى، ومنهم من قال: زوال الشهوة فقط، والأول قول أبي علي، والثاني قول أبي هاشم، وعلى هذا العطش والري.

والخوف: الفزع، ونقيضه الأمن.

والنقص: نقيض الزيادة وهو الحط على التمام، نقص نقصًا ونقصَّه تنقيصًا.

والثمرات جمع ثمرة.

۞ الإعراب

يقال: لِمَ فتح الواو من «**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ**»؟

قلنا: فيه قولان:

أحدهما: العلة التي تفتح في «**لينصرنكم**» وهو أنه مبني على الفتحة؛ لأنها أخف إذا استحق البناء على الحركة.

الثاني: أنه بني على الحركة لالتقاء الساكنين، وكان معنى لا يدخله الرفع.

ويقال: لِمَ قال: «**بِشَيْءٍ**» على الوحدان، ولم يقل «**بأشياء**» على الجمع؟

قلنا: فيه قولان:

الأول: لئلا يوهم «**بأشياء**» من كل واحد، فيدل على ضروب الخوف، ويكون الجمع كجمع الأجناس للاختلاف، فَقُدِّرَ بشيءٍ من كذا أو شيء من كذا، وأغنى المذكور عن المحذوف.

والثاني: أن يقع الواحد في موضع الجميع للإيهام الذي فيه مثل «**مَنْ**».

۞ المعنى

لما بَيَّنَ تعالى ما كلفهم من العبادات بين ما يكلفهم به عند أمور يفعلها لطفًا ومصلحة، فقال تعالى: «**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ**» أي لنختبرنكم، ومعناه نعاملكم معاملة المختبر ليظهر المعلوم منكم «**بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ**» في الكلام حذف، تقديره: نكلفكم بضروب من التكاليف، وأنتم على هذه الأحوال، أو نكلفكم بتكاليف تؤدي إلى هذه الأحوال، والخطاب للمؤمنين، ومعلوم أن من كلِّف تكليفًا يحصل معه الخوف أو يؤدي إلى الخوف فقد عظمت عليه البلوى، وكلما كانت المحنة أشد كانت العاقبة أحمد،

والثواب أكبر، وإنما عرفهم بذلك ليوطنوا أنفسهم على المكاره التي تلحقهم في حضرة الرسول لما لهم فيه من المصلحة.

ويقال: ما سبب الخوف والابتلاء بهذه الأشياء؟

قلنا: أما الخوف فلقصد المشركين لهم بالعداوة «**وَالْجُوعِ**» بالفقر للشُّغْل عن المعاش بالجهاد وأمور الدين، وقيل: للقحط الذي لحقهم «**وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ**» هلاك المواشي ونقصان الأموال، وقيل: الانقطاع بالجهاد عن العمارة «**وَالْأَنفُسِ**» قيل: بالقتل في الحرب، وقيل: بالموت، وقيل: بالمرض، وقيل: بالشيب، «**وَالثَّمَرَاتِ**» يعني ذهابها بالجوائح، أو لا تخرج كما كانت تخرج من قبل، وروي عن الشافعي: الخوف خوف الله تعالى، والجوع صيام رمضان، ونقص من الأموال الزكوات، والأنفس الأمراض، والثمرات الأولاد.

ويقال: الابتلاء بهذه الأشياء لكونها لطفًا ومصلحة أم للعوض؟

قلنا: للأمرين، فالغرض كونه لطفًا به يخرج عن حد العبث، والعوض يجب تبعًا، وبه يخرج عن حد الظلم.

فأما وجه اللطف في ذلك فأشياء:

أولها: أنه تعالى إذا أخبرهم بذلك، ووطنوا أنفسهم عليها سهل عليهم تحمل تلك المشاق في نصرة الرسول، ويكون أسرع إلى الجهاد واحتمال العوارض.

ومنها: أن الكفار إذا شاهدوا المؤمنين يتحملون المشاق في نصرة الرسول وموافقته، وتنالهم هذه الأحوال، وهم لا يتغيرون في قوة البصيرة وبذل النفس، يعلمون أنهم إنما فعلوا ذلك وآثروا؛ لعلمهم بصحة هذا الدين، وما يرجون من العاقبة الجميلة، فلذلك سهل عليهم كل عسير، فيكون داعية لهم إلى دخول دينهم.

ومنها: أنه تعالى أخبر بذلك فَوُجِدَ مَخْبَرٌ على وفاق خبره، ولحق المسلمين في بُدُوِّ الإسلام ذلك فكان معجزة له ﷺ «**وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**» أي أخبرهم بما لهم على الصبر في تلك المشاق من الثواب وحسن العاقبة.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن هذه المحن ليست بعقوبة؛ لأنه تعالى وعد بها المؤمنين، بل تكون مصلحة.

وتدل على أن هذه الأشياء تكون نعمة لذلك أمر بالصبر عليها.

وتدل على أن الصبر عليها يؤدي إلى درجة عظيمة؛ لذلك بشر بها.

وتدل على أن هذه الأشياء إما أن تكون من جهته، أو بسبب من جهته حتى يجب الصبر عليها.

إلا أن الصبر يجب على جميع ما يلحقه من جهته؛ لكونها عدلاً ومصلحة، وما يكون من جهة الظَّلَمة لا يجب الصبر عليه؛ ولذلك يجب الدفع والجهاد والأمر بالمعروف، ولكن يجب الصبر على التخلية التي هي من جهته تعالى، ويعتقد أنها لضرب من المصلحة.

ومتى قيل: كيف يكون من جهته، وكيف يكون بسبب من جهته؟

قلنا: ما يكون من جهته فالأمراض ونحوها التي هي فعله تعالى، وما يكون بسبب من جهته فكالخوف من الأعداء بسبب نصرة الرسول المأمور بها.

ومتى قيل: فما الصبر في ذلك؟

قلنا: الرضا بما ينزل به من جهته وبجميع قضاياه وترك الجزع، والاعتقادُ لحسنه، وكونه مصلحة.

قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

۞ القراءة

أمال الكسائي في «مصيبة»، في بعض الروايات النون من «إنا» ولام «لله»، والباقون بالتفخيم، وإنما جازت الإمالة في هذه الألف للكسرة مع كثرة الاستعمال

حتى صارت بمنزلة الكلمة الواحدة، قال الفراء والكسائي: لا يجوز إمالة «إنا» مع غير اسم الله تعالى، وإنما وجب ذلك؛ لأن الأصل في الحروف وما يجري مجراها امتناع الإمالة؛ ولذلك لا يجوز إمالة (حتى) و(لكن).

اللغة

المصيبة: المضرة الشديدة على النفس، وأصلها من الإصابة، كأنه يصيبها بالنكبة.

والرجوع: مصير الشيء إلى ما كان، رجعت الدار إلى فلان إذا ملكها ثانيًا، ومنه: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ [العلق: ٨].

والصلاة: قيل أصلها الدعاء، وقيل: اللزوم.

والرحمة: النعمة على المحتاج.

والاهتداء: إصابة طريق الحق.

المعنى

لما تقدم ذكر الصابرين عقب ذلك بوصفهم، فقال تعالى: «**الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ**» في النفس والمال «**قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ**» يعني عبيده وملكه وخلقه «**وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**» يعني راجعون، يعني إلى حكمه بالبعث والنشور، وقيل: إلى حيث لا يملك الحكم سواه.

ويقال: هذه المصيبة من جهته تعالى أو من جهة العباد؛ لأن في الموضعين تكليفًا، فما كان من قِبَله، فالرضا به والاعتقاد لحسنه، وكونه حكمة ومصلحة، وما كان من غيره فيرجع إليه في الانتصاف له والرضا بالتخلية لما فيه من المصلحة وجميع ذلك يدخل في قوله: «**إِنَّا لِلَّهِ**»، كأنه يقول في الأول: إنا لله يدبر فينا كيف شاء، وفي الثاني إنا له فينتصف لنا كما يشاء.

ويقال: فما فيه مما يدل على الرضا؟

قلنا: من وجهين:

أحدهما: أنه إذا أقر بأنه ربه وهو عدلٌ حُكمُهُ، وأن ما يفعله فلا راد له، فلا فائدة في الجزع صار رضا.

وثانيهما: أنه مبالغة في الرضا كما يقول لغيره إذا أصابه شيء: أنا لك.

ومتى قيل: إذا كان هو الخالق المنعم فلم يكره العبد الرجوع إليه؟

قلنا: لأنه لا يأمن العقاب، فينبغي أن يهتم بأمر آخرته، ويأتي بما كلف، ويهون أمر الدنيا؛ ليحب الرجوع إلى خالقه.

«**أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ**» يعني على الصابرين القائلين هذه المقالة «**صَلَوَاتٌ**» قيل: ثناء ومدح وتعظيم «**مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ**» نعمة عاجلاً وآجلاً، وهذا غاية ما وعد المكلف «**وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**» قيل: بهذه الطريقة، وقيل: إلى الجنة والثواب، وقيل: لسائر ما لزمهم.

وقيل: هذه البشارة تتعلق بهذا القول؟

قلنا: لا؛ لأنه لو قال بلسانه، واعتقد خلافه، أو أتى من الأفعال بما يخالفه لم يستحق البشارة، ولكن يقول بلسانه، ويعتقد بقلبه، ويفعل بجوارحه ما يدل على الرضا والتسليم من ترك الجزع، واعتقاد أن ذلك مصلحة وحكمة.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن العبد مكلف بهذا القول عند المصيبة؛ لأنه وإن كان خبرًا فالمراد به الأمر.

ومتى قيل: هل يجب ذلك؟

قلنا: هو مندوب إليه، وقد يجب عند تهمة الجزع؛ لأن إظهاره كالدلالة على الصبر والرضا.

وتدل على وجوب الرضا بقضائه، والتسليم له فيما ينزل به.

ويقال: لم كان هذا القول تعزية عن المصيبة؟

قلنا: لما فيه من الدلالة على أنه تعالى يجبرها بالعوض والخلف إن كان من جهته، وينتصف من فاعلها إن كانت ظلمًا.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾

القراءة

قرأ حمزة والكسائي «ومن يطّوعْ خيرا» بالياء وتشديد الطاء وجزم العين[(١)]، وكذلك ما بعده (فَمَن يطّوع خيرًا)، وقرأ يعقوب في الحرف الأول مثل حمزة وفي الثاني مثل قراءة الباقين، وقرأ الباقون «تَطوعَ» بالتاء وفتح العين وتخفيف الطاء في الحرفين، فالأول بمعنى يتطوع فأدغم الياء في الطاء، والثاني على تطوع على الماضي، وقيل في مصحف عبد الله (أن لا يطوف بهما)، وروي أنه قرأ به ابن عباس وأنس وابن سيرين، وهذا محمول على أنهم حملوا الآية عليه، وفسروا به، لا أنه قراءة؛ لأنه يخالف الظاهر من القراءة ومصاحف أهل الإسلام، ومثل ذلك فسره شيخنا أبو علي رحمه الله.

اللغة

الصفا في الأصل: هو الحجر الأملس، مأخوذ من الصفو، واشتقاقه من صفا يصفو، وهو الصافي الخالص الذي لا يشوبه شيء، وكل حجر لا يخالطه غيره من تراب أو طين فهو الصفا، والدليل أنه من الواو الاشتقاق وامتناع الإمالة، وقيل: الصفا جمع واحدها صفاة، وقيل: هو واحد وجمعه أصفاء وصَفًا.

والمروة في الأصل الحجر الصلب، وقيل: الحصاة الصغيرة، وجمعها مَرْوٌ،

(١) حجة القراءات ١١٨.

وقد صار اسمين لجبلين معروفين في الحرم يجب السعي بينهما، والألف واللام للتعريف لا للجنس.

والشعائر جمع شعيرة؛ وهي المعالم للأعمال، وأصله من العلم، وشعائر الله تعالى: معالمه التي جعلها مواطن للعبادة، وكل معلم لعباده من دعاء أو صلاة أو غيرها فهو مشعر لتلك العبادة، وقيل: شعائر الله إعلام متعبدٍ به، والإشعار الإعلام، ومنه: الشعر: العلم بما دق، وشعرت به: علمت.

والحج في الأصل القصد، وصار في الشرع اسمًا لقصد البيت بأعمال مخصوصة مشروعة كالإحرام والطواف والوقوف ونحوه، فالاسم الشرعي فيه معنى اللغة.

والعمرة: الزيارة، أخذ من العمارة وكأن الزائر للمكان عمره بزيارته، وهو في الشرع اسم لعبادة مخصوصة، وهو زيارة البيت بعمل مشروع وهو الإحرام والطواف والسعي.

والجناح: أصله الميل، ومنه: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ﴾ [الأنفال: ٦١] أي مالوا، وجنحت السفينة إذا مالت في أحد شقيها، ومنه أخذ جناح الطائر وجناح العسكر وجَنَحَ الظلام، ومال للذهاب.

والطواف أصله الدوران حول الشيء، ومنه الطايف. قال الشاعر:

لَقَدْ طَوَّفْتُ في الآفاقِ حَتَّى ... رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بالإِيَابِ[1]

وفي عرف الشرع: الدور حول البيت.

والتطوع: تفعل من الطاعة، وأصله من الطوع، قال أبو مسلم: سواء قولك طاعة أو تطوع كحال وتحول وضاف وتضيف، والطوع الانقياد، والتطوع ما تبرعت به من ذات مما لا يجب عليك.

---

(١) هذا مثل يضرب للرجل يشقى في طلب الحاجة حتى يرضى بالخلوص سالما، وهو من كلام امرئ القيس. انظر في جمهرة الأمثال ١/ ٤٨٤ لأبي هلال العسكري، دار الفكر بيروت، ط٢، ١٩٨٨، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ومجمع الأمثال ١/ ٢٩٥ للنيسابوري، دار المعرفة بيروت، ت: محمد محيي الدين، والمستقصى في أمثال العرب ٢/ ١٠٠ للزمخشري، دار الكتب العلمية بيروت، ٢ .١٩٨٧

والشاكر: فاعل من الشكر، وهو في صفة الله تعالى توسع ومجاز؛ لأن أصله هو المظهر للإنعام عليه والله يتعالى عن ذلك، ومعناه في صفته أنه يجازي على الطاعة بالثواب شبهًا بالشاكر.

۞ الإعراب

أصل يطوف يتطوف؛ لأنه من «**اطّوّف يتطوف**»، فأدغمت التاء في الطاء؛ لأنها من مخرجها والطاء أقوى بالجهر منها.

۞ النزول

روي عن ابن عباس والشعبي أنه كان على الصفا والمروة صنمان، وكان أهل الجاهلية إذا طافوا بينهما مسحوهما، فكره المسلمون الطواف بينهما لذلك[(١)] ، وكان على الصفا صنم يقال له: إساف، وعلى المروة صنم يقال له: نائلة، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وذكر أبو علي مثل ذلك غير أنه قال: كان على الصفا والمروة أصنام منصوبة للكفار يعبدونها، فكره المسلمون الطواف لذلك، وذكر أن الآية نزلت في عمرته بعد الحديبية بسنة قبل فتح مكة.

وعن الحسن أن أهل الجاهلية كانوا يقولون: لا تَطَوُّف بين هذين الحجرين، وكانوا لا يطوفون بينهما، ويقولون: ليسا من الدين، والدين هو الشعائر، وروي نحوه عن قتادة.

وعن مجاهد أن الأنصار قالت: السعي بين هذين من أمر الجاهلية، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وروي نحوه عن أنس قال: كنا نكره الطواف بين الصفا والمروة؛ لأنهما كانا من مشاعر قريش في الجاهلية فتركناه في الإسلام، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وروى عروة عن عائشة أنها نزلت في الأنصار، وأنهم كانوا قبل الإسلام يهلون

(١) العجاب في بيان الأسباب ١/ ٤١٠.

لمناة، وهي صنم كانت بين مكة والمدينة، وكانوا لا يطوفون بين الصفا والمروة، فلما أسلموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، وقالوا: كنا لا نطوف بين الصفا والمروة تعظيمًا لمناة، فهل علينا حرج في أن نطوف بهما، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

۞ المعنى

لما بَيَّنَ تعالى أنه يبتلي عباده بالأوامر والنواهي مرة، والمصائب أخرى على حسب مصالحهم، بَيَّنَأن من جملة ذلك أمر الحج والسعي بين الصفا والمروة من شعائر الله، وقيل: لا حذف فيه، والمراد «**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ**» من أعلامه وآياته يعني مواضع نسكه وعبادته «**مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ**» قيل: من المناسك عن ابن عباس. وقيل: من دين الله، عن الحسن. وقيل: من أعلامه التي عرّف عباده بأنه موضع عبادة، عن أبي علي، وقيل: متعبدًا به «**فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ**» أي قصده بالأفعال المشروعة «**أَوِ اعْتَمَرَ**» أي أتى بالعمرة، وهي الزيادة بالمناسك المشروعة «**فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ**» أي لا حرج عليه «**أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا**» فحذف (لا) كقوله: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦] وكقوله: ﴿تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، عن أبي علي وجماعة، قال القاضي: وهذا لا يصح؛ لأنه يستغنى عن هذه الزيادة، فلا وجه له، وقال علي بن عيسى: إنما يجوز الحذف إذا كان في الكلام ما يدل عليه. وقيل: معناه لا إثم عليه في الطواف بينهما، ورفع الإثم يدل على أن ذلك الفعل حسن، وهذه اللفظة تفيد معنى الإباحة، لكن العلماء اتفقوا أن الطواف بينهما عبادة، وإن اختلفوا أنه واجب أو ندب؛ ولذلك طلبوا المعنى لأنه وَجَّهَهَا وذكروا الأسباب في ذلك على ما قدمنا، فوجب حمله على بعض تلك الأسباب ليستقيم وجه الكلام، قال الحسن: هو جواب لقولهم، إنه لا يحل، وإلا فهو واجب «**وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا**» قيل: فزاد في الطواف حول البيت بعد الواجب، عن ابن عباس ومقاتل والكلبي. وقيل: من تطوع بالطواف بالصفا والمروة وعنده أنه سنة وليس بواجب، عن مجاهد وأبي علي. وقيل: تطوع بمعنى اعتمر فالحج فريضة والعمرة تطوع، عن ابن زيد. وقيل: فمن تطوع بالحج والعمرة بعد قضاء الواجب،

(١) العجاب في بيان الأسباب ١/٤٠٨.

عن الأصم، وقال: الحج والعمرة قد يُفْعلان فرضًا، ويفعلان تطوعًا. وقيل: تطوع خيرًا يعني الدين كله وأنواع الطاعات، عن الحسن «**فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ**» يعني يجازي من أحسن بالحسنى والثواب، وهو عليم بقدر ما استحق، وقيل: شاكر يقبله منه، عليم بما نوى، عن ابن عباس، وقيل: عليم بقدر الجزاء فلا يبخس حقه، وقيل: عليم بجميع أحوال العباد يجازيهم بأعمالهم.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن الحج والعمرة عبادتان، ولا خلاف في ذلك، ثم اختلفوا في العمرة، فقال بعضهم: سنة، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه وجماعة من الفقهاء، وقال بعضهم: فرض، وهو قول الشافعي، ووقت الحج في ذي الحجة، ووقت العمرة جميع السنة، وأفعال الحج: الإحرام والوقوف بعرفة والمزدلفة والرمي والطواف والسعي، وأفعال العمرة: الإحرام والطواف والسعي.

وتدل على أن الطواف بين الصفا والمروة وهو السعي عبادة، واتفقوا على ذلك، ويدل عليه أنه علق ذلك بفعل الحج والعمرة، ولا يتعلق بهما إلا نسك، ويدل عليه قوله: «**وَمَنْ تَطَوَّعَ**»؛ لأنه يستعمل في العبادات، ثم اختلفوا على ثلاثة أقوال: فمنهم من قال: إنه فرض لا يتم الحج دونه، وإن تركه لزمه العود، وهو ركن كالوقوف، وهو قول مالك والشافعي، وروي نحوه عن عائشة والحسن، ومنهم من قال: هو تطوع عن عطاء وأنس، وروي نحوه عن ابن عباس، ومنهم من قال: إنه واجب وليس بركن إن تركه فقام بقضائه يحسن، وإن لم يُعِدْ وأراق دمًا تم حجه، وهو قول سفيان الثوري وأبي حنيفة وأصحابه، وليس في الظاهر ما يدل على واحد، فوجب الرجوع إلى دليل آخر.

واستدل بعضهم بالآية أن البداية بالصفا واجب، وظاهرها لا يدل عليه لوجهين: أحدهما أن الواو لا يوجب الترتيب، والثاني أنه جمع بينهما فقال: «**أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا**».

وتدل على أن مشاهدة المنكر لا تمنع من فعل الواجبات والقرب؛ لأنه تعالى جعل الطواف بينهما قربة وإن كان هناك أصنام منصوبة.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾

اللغة

الكتمان: إخفاء الشيء مع الحاجة إلى إظهاره، ونقيضه الإظهار.

والبينات: الحجج والعلامات، واحدها بينة.

واللعن: الطرد والإبعاد.

النزول

عن ابن عباس أن جماعة من الأنصار سألوا نفرًا من اليهود عما في التوراة من صفته ﷺ ومن الأحكام فكتموا، فنزلت الآية[1]. وقيل: نزلت في أهل الكتاب، عن الحسن وأبي علي، وإنما نزلت وعيدًا لهم.

المعنى

لما بَيَّنَ تعالى دين الحق حث على إظهاره ونهى عن كتمانه، فقال تعالى: «**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ**» قيل: أهل الكتاب من اليهود والنصارى، عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والحسن والربيع والسدي والأصم وأبي علي. وقيل: إنه كلام مستأنف في كل من كتم ما أنزل الله، عن أبي القاسم وأبي مسلم. والقاضي قال: ونزوله على سبب لا يوجب قصره عليه، ولا مانع من حمله على العموم، فروي عن عائشة وأبي هريرة ما يدل على أنهما حملاه على العموم، قال أبو هريرة: لولا آيتان من كتاب الله تعالى ما حدثتكم، وتلا: «**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى**» قيل: من الحُجَج

(١) العجاب في بيان الأسباب ١/ ٤١١.

المنزلة في الكتب، والهدى: الدلائل، والأول: علوم الشرع، والثاني: أدلة العقل، فعم الوعيد في كتمان جميعها «**مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ**» قيل: في التوراة والإنجيل من صفته ﷺ من الأحكام، وقيل: في كتاب أنزله الله، وقيل: أراد بالمنزل الأول ما في كتب المتقدمين، وبالثاني ما في القرآن «**أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ**» يعني يبعدهم من رحمته «**وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ**» قيل: الملائكة والمؤمنون، عن قتادة والربيع وأبي علي. وقيل: دواب الأرض وهوامها يقولون: مُنِعْنا القطر بمعاصي ابن آدم، عن مجاهد وعكرمة، ولذا عبر عنهم بعبارة ما يعقل؛ لأنه أضيف إليهم فعل ما يعقل فعبر عنهم بعبارتهم كقوله: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] قيل: كل شيء سوى الثقلين الجن والإنس، عن ابن عباس، وقيل: من آمن به، عن الأصم وأبي مسلم، وقيل: إن أهل النار تلعنهم أيضًا حيث كتموهم الدين، فهو على العموم، وعن ابن مسعود: إذا تلاعن المتلاعنان وقعت اللعنة على المستحق، فإن لم يكن مستحقٌّ رجعت على اليهود الذين كتموا ما أنزل الله، وروي عن ابن عباس أن لهم لعنتين: لعنة الله، ولعنة الخلائق، قال: وذلك إذا وضع الرجل في قبره فيسأل ما دينك ومن ربك فيقول: ما أدري، فيضرب ضربة فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين، ولا يسمع شيء صوته إلا لعنه، ويقول له الملك: لا دريت، فذلك كنت في الدنيا.

ومتى قيل: كيف يصح هذا؟ وما روي عن مجاهد وعكرمة؟

قلنا: لا وجه له إلا أن يحمل على وجهين:

أحدهما: أنه يكون في الآخرة فتكمل عقولهم حتى لعنوهم.

والثاني: أنه يحمل على أنه يلهمهم اللعنة، عن القاضي، وفيه تعسف، والصحيح الوجه الأول.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن كتمان الحق من الكبائر إذا احتيج إلى إظهاره مع سلامة الأحوال لذلك أوجب عليه اللعنة.

وتدل على وجوب إظهاره للغير إذا لم يعلمه؛ لأنه إذا كان عالمًا فليس هو بأن يجب ذلك عليه بأولى من الآخر.

وتدل على أن [المقصود] المنع من كتمان المنزل وما يدل عليه، فمن هذا الوجه يدل على وجوب إظهار التنزيل والتأويل.

وتدل على أنه إذا أظهره واحد سقط عن الباقي؛ لأن المقصود الإظهار، فهو من فروض الكفاية.

وتدل على وجوب الدعاء إلى التوحيد والعدل؛ لأن البينات والهدى يجمعان ذلك، وفي الكتاب ما يدل عليهما مؤكدًا لما في العقول.

ومتى قيل: أليس جميع المكلفين مشتركين في العقليات، فكيف يجب الإظهار؟

قلنا: قد يتفاوتون في استعمال الأدلة وطرقها وكيفية الاستدلال، فوجب أن يبين ذلك.

وتدل على أن حل الشبهة واجب؛ لأنه من إظهار الحق.

وتدل على أن اللعن اسم شرعي؛ لأنه يفيد أمرًا زائدًا على اللغة، وجنس اللعنة يدل على الوعيد، ولَعْنُ الله تعالى: إبعادُهُ من رحمته، وَلَعْنُ غيره: الدعاء عليه باللعن، ولعن الله والمؤمنين يدل على الاستحقاق.

قوله تعالى:

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠﴾

اللغة

التوبة أصلها الرجوع، وفي الشرع: هي[1] الندم على مواقعة الجريمة والعزم على ترك المعاودة. والتواب في صفة الله تعالى قابل التوبة، وفي صفة العبد فاعل التوبة، ثم تواب فيه مبالغة، وتلك المبالغة على ضربين إما لكثرة ما يقبل من التوبة حالاً بعد حال، أو لأنه يقبل التوبة على عظائم الإجرام.

---

(١) هي: هو، د، ز، و.

والبيان أصله من البَيْن وهو القطع وفيه إبانة، ومنه: ما أُبِين من الحي فهو ميت، والبيان في الشرع هو الأدلة، عن أبي علي وأبي هاشم، وقيل: العلم الحادث، عن أبي عبد الله، والأول أوجه، وموضعه أصول الفقه.

۞ الإعراب

موضع الذين نصب على الاستثناء من الإيجاب، ولو كان من النفي لألغيت (إلا) في الإعراب، فهي في الإيجاب مسلطة، وفي النفي ملغاة.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى أن وعيد كاتم الحق يسقط بالتوبة، فقال تعالى: «**إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا**» أي ندموا على ما فرطوا وعزموا على ترك العود إلى أمثاله «**وَأَصْلَحُوا**» يعني أصلحوا دينهم، نبه على أن التوبة في الحال لا تكفي ما لم يتمسك في المستقبل بدينه والقيام بالحق، وقيل: أصلحوا من كانوا أفسدوه ممن لا علم لهم «**وَبَيَّنُوا**» بمعنى أظهروا، قيل: صفة محمد وهو الذي كتموه، عن ابن عباس وقتادة وابن زيد وأبي علي وأبي القاسم. وقيل: بينوا التوبة وإصلاح السريرة بإظهار ذلك. وقيل: بينوا الذي جاءهم من عند الله، وقيل: بينوا التوبة بإخلاص العمل «**فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ**» يعني أقبل توبتهم «**وَأَنَا التَّوَّابُ**» كثير التوبة مرة بعد أخرى ومن كل أحد «**الرَّحِيمُ**» أثيبهم على التوبة وسائر الطاعات ما استحقوا وأزيدهم من فضلي.

۞ الأحكام

الآية تدل على أمور:

منها: زوال الوعيد والعقاب بالتوبة.

ومنها: أن التوبة لا تتكامل في نيل الثواب إلا بانضمام فِعْل الواجبات إليه واتقاء المعاصي.

ومنها: دلالة قوله: «بينوا» على صحة قولنا: إن إظهار الحق شرط في قبول توبتهم بإصلاح ما بينهم وبين الله تعالى، وما بينهم وبين العباد من رد المظالم ونحوه.

ومتى قيل: إذا تاب من ذنب دون ذنب هل يصح؟

قلنا: لا، عن أبي هاشم؛ لأن الواجب أن يتوب لقبحه، وقيل: نعم، عن أبي علي.

وتدل على قبول التوبة؛ لأن قوله: «**أَتُوبُ**»، يدل عليه.

ومتى قيل: هل يجب قبوله أم لا؟

قلنا: عندنا واجب، وعند بعضهم تَفَضُّلٌ، والأول الوجه؛ لأنه بمنزلة العذر، ولأنه أتى بما في وسعه، ولأنه لولا ذلك لما كان له طريق إلى إزالة العقوبة عن نفسه مع بقاء التكليف، وهذا لا يجوز.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ (١٦١) خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ (١٦٢)﴾

اللغة

اللعنة: الإبعاد من رحمة الله وإيجاب العقوبة له.

والناس واحده إنسان ولا واحد له من لفظه، وهو كقولهم: رهط ونفر.

والخلود والدوام من النظائر، ومنه: جنة الخلد.

والتخفيف: النقصان من المقدار.

والإنظار: الإمهال إلا أن الإمهال مبهم، والإنظار مضمر بمقدار، وقد يقع فيه النظر.

الإعراب

القراءة المجمع عليها «**الملائكة**» بالخفض لأنه مضاف إليه، ويجوز في العربية رفعه حملاً على المعنى؛ لأن المعنى يلعنهم الله والملائكة، ويحكى ذلك عن الحسن، ولا يجوز القراءة بها؛ لأن القراءة سنة يتبع فيها النقل المتظاهر.

«**أَجْمَعِينَ**»: تأكيد لزوال الإيهام أنه يقع على الأكثر، ولا يجوز رفع (أجمعين) في العربية كما جاز رفع الملائكة؛ لأن (أجمعين) لا يكون إلا تابعًا، وليس في الكلام مظهر ولا مضمر يتبعه على ذلك، وإنما الحمل على المعنى بمنزلة إعادة العامل، كأنه قيل: وتلعنهم الملائكة والناس أجمعون.

والهاء في قوله: «**خالدين فيها**» قيل: تعود على اللعنة، عن الزجاج، وقيل: تعود إلى النار، وهو كالمذكور، عن أبي العالية.

ويقال: ما عامل الإعراب في «**خالدين**»؟

قلنا: العامل فيه الظرف من قوله: «**عليهم**»؛ لأن فيه معنى استقرار اللعنة، وهي حال من الهاء والميم في «**عليهم**» كقولك: عليهم المال صاغرين.

۞ النظم

قيل: لما ذكر تعالى حال كاتمي الحق وذكر حال التائبين منهم عقب ذلك بذكر حال من يموت من غير توبة، فقال تعالى: «**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا**»، عن أبي مسلم.

وقيل: إنه كلام مستأنف عام في جميع الكفار، ولا يحمل على من تقدم بغير دلالة، خصوصًا وقد دخل تحت الآية الأُولى من مات من غير توبة، عن القاضي.

۞ المعنى

«**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ**» يعني ماتوا مصرين على الكفر.

ويقال: أليس كل كافر ملعونًا في حال كفره، فما معنى هذا الشرط؟

قلنا: ليصير الوعيد فيه غير مشروط؛ لأن بالموت يفوت التوبة؛ ولذلك شرطه تعالى، وبَيَّنَ أنهم لو لم يموتوا مصرين لم يكن هذا حالهم، عن القاضي، وقيل: للدلالة على خلودهم في اللعنة.

«**أُوْلَئِكَ**» يعني من تقدم ذكرهم «**عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ**» قيل: عقابه، وقيل: إبعاده من رحمته وإيجاب العقاب له «**وَالْمَلَائِكَةِ**» أي لعن الملائكة عليهم «**وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**» فيه أربعة أقوال:

الأول: يلعنهم الناس أجمعون يوم القيامة، عن أبي العالية.

الثاني: أنه لا يمتنع أحد من لعن الظالمين، فيدخل في ذلك لعن الكافر؛ لأنه ظالم، عن السدي.

الثالث: أراد به المؤمنين كأنه لم يَعتدَّ بغيرهم، كما يقال: المؤمنون هم الناس، عن قتادة والربيع بن أنس.

الرابع: المراد به أنهم يستحقون لعن الناس في الدنيا، يعني به الاستحقاق؛ فلذلك عم الناس، عن أبي علي، وقد روي عن الحسن أنه قال: دخل فيه البر والفاجر، وحمله على الدنيا أولى؛ لأن قوله: «**عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ**» أراد به في الدنيا، فكذلك المعطوف عليه «**خَالِدِينَ فِيهَا**» أي دائمين بلا نهاية ولا انقطاع (فيها) قيل: في اللعنة، عن أبي العالية وأبي علي وهو الأوجه؛ لأنه جرى له ذكر، وقيل: في العذاب والنار؛ لأنه كالمذكور لشهرته في حال المعذبين، ولأن اللعن إبعاد من الرحمة وإيجاب العقاب له، وإيجابه يكون في النار وفي الدنيا.

ويقال: إذا حمل اللعنة على أنها في الدنيا فما معنى الخلود فيها؟

قلنا: فيه قولان:

الأول: قيل في استحقاق اللعنة، وقيل في العذاب «**لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ**» التخفيف في العذاب من ثلاثة أوجه: إذا كان العذاب بالكثرة فتخفيفه بالنقصان، وإذا كان بعظم الموقع فتخفيفه بأن يخف موقعه، وإذا كان بالاتصال فتخفيفه بالانقطاع، والآية تتناول كل ذلك وإن كان الأقرب أنه يتناول النقصان؛ لأن الاتصال مفهوم بخالدين فكأنه قيل: يخلدون في العذاب ولا يخفف عنهم شيء بل الذي ينالهم في الأوقات متشابه[(١)] .

ويقال: إذا تصور أحدهم حال غيره في مزيد العقاب كان ذلك كالتخفيف.

قلنا: لا يكون تخفيفًا؛ لأن أبدانهم مستغرقة بالعذاب فهذا التفاوت لا يؤثر في حالهم، عن القاضي، وقيل: إن كل واحد مدفوع إلى عذاب يظنه أعظم، والأول أصح،

---

(١) مشابه: متشابهة به؛ د، ز، ف، و.

وقيل: إنه لَمَّا يجدُ في نفسه من العذاب غير مشوب براحة يُعَظِّمُ عذاب غيره ولا يوجب تخفيفًا، وإنما أكده بأنه لا يخفف؛ لأن الخلود لا ينافي التخفيف على ما فسرنا.

«وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ» قيل: لا يؤخرون في التعذيب، بل عذابهم حاضر متصل، وقيل: لا ينظرون لاعتذار، كقوله: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المرسلات: ٣٦] قطعًا للطمع في التوبة، عن أبي العالية.

الأحكام

الآية تدل على أن العام يجوز أن يريد به الخاص؛ لأنه عم الناس، والمراد به المؤمنون على أصح الأقاويل، ولأن جميعهم لا يلعنون.

وتدل على جواز التخصيص مع التأكيد؛ لأنه مؤكد بأجمعين وقد أريد به الخصوص.

وتدل على دوام العقاب، وأنه لا يخفف فيه بوجهٍ، فيبطل قول جهم.

وتدل على جواز لعن الظالم، وقد تعلق بالآية أصحاب الموافاة.

وجوابنا أن الآية وردت في كفار تقدم كفرهم وموتهم، ومن هذا حاله إنما يجوز لعنه إذا مات كافرًا لا تائبًا ولا خلاف فيه، والخلاف في الكافر المصر ولم يمت بعد، فعندنا يستحق اللعن في الحال، وعندهم لا يستحقه، وذلك يبطل تعلقهم، وبينٌ أنّ ذلك الذي به يَستحِقُّ اللعنَ هو الكفر لا الموت فكيف يقال: يستحقه بعد الموت، ولا يستحقه قبله؟!، وكيف يضم إلى العلة والسبب ما ليس بعلة ولا سبب؟.

وتدل الآية أن اسم الكفر لا يجري على الكفار من حيث الاشتقاق؛ لأنه وصفهم بأنهم كفار بعد موتهم، ولو كان على وجه الاشتقاق لما صح ذلك، وثبت أن الكافر اسم شرعي لمن استحق أعظم العقاب بارتكابه أعظم الإجرام.

قوله تعالى:

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾

اللغة

الواحد شيء لا ينقسم عددًا كان أو غيره، فقولنا: جزء واحد لا ينقسم من جهة

أنه جزء، وإنسان واحد لا ينقسم من جهة أنه إنسان، والواحد في صفات الله تعالى على أربعة أوجه:

الأول: قيل: ليس بذي أبعاض ولا يجوز عليه الانقسام.

الثاني: ليس له نظير ولا شبيه.

الثالث: واحد من الصفات التي يستحقها لنفسه ككونه قديمًا باقيًا قادرًا عالمًا حيًا سميعًا بصيرًا.

الرابع: في الإلهية وهو استحقاق العبادة وهذا أولى؛ لأنه يشتمل على جميع ما تقدم في المعنى، ولأن التمدح فيه أكثر، والآية لا تحتمل إلا ذلك؛ لأنه مقيد بالإلهية كقولهم: فلان عالم واحد، سيد واحد.

۞ الإعراب

يقال: بم يرتفع «هو»؟

قلنا: لأنه بدل من موضع (لا) مع الاسم كقولك: لا رجلَ إلا زيدٌ، كأنك قلت: ليس إلا زيد، فيما تريد من المعنى إذا لم يقيد بغيره.

ويقال: هل في قوله: «لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ» إثبات؟

قلنا: نعم، هو بمنزلة قوله: الله هو الإله وحده.

ويقال: ما فائدة هذه الإضافة، والخطاب ولعلها لمن في قوله: «وَإِلَهُكُمْ»؟

قلنا: هذه الإضافة إنما تصح للأحياء، ولم تصح لكونه حيًّا حتى يصح استحقاق العبادة عليه دون الجواهر المنفردة والأعراض، وفائدته لطفُ الاستدعاء إلى عبادته، يعني أنه الذي أنعم عليكم بأصول النعم وفروعها فاعبدوه وانقطعوا إليه، فإنه واحد في استحقاق ذلك، فأما الخطاب فللأحياء المكلفين في الحال.

۞ النزول

روي عن ابن عباس أن كفار قريش قالوا: يا محمد، صف لنا ربك، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وسورة الإخلاص(١) .

وروى الضحاك عنه أنه كان للمشركين في الكعبة ثلاثمائة وستون صنمًا يعبدونها من دون الله إفكًا، فَبَيَّنَ تعالى أنه واحد، فأنزل هذه الآية.

۞ المعنى

لما تقدم ذكر الكفار وعظم ما أقدموا عليه من الشرك وما استحقوا من العذاب أتبعه بذكر التوحيد الذي فيه النجاة والفوز، فقال تعالى: «**وَإِلَهُكُمْ**» يعني خالقكم والمنعم عليكم والذي تحق له العبادة «**إِلَهٌ وَاحِدٌ**» يعني أنه واحد في الإلهية واستحقاق العبادة؛ إذ لا يقدر غيره على أصول النعم التي بها يستحق العبادة كالخلق والحياة والشهوة والرزق، ثم أكد ذلك بقوله: «**لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ**» ثم بَيَّنَصفته التي بها تمام نعمته، وهو «**الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**» وقد تقدم القول في معناهما أن في «**الرَّحْمَن**» مبالغة من فعل الرحمة، وهي النعمة على المحتاج، و«**الرَّحيم**» فعيل وفيه أيضًا مبالغة، وإذا لم يرد به المبالغة يقال: راحم.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن معنى الإله ما تُدخلُه الإضافة، ولا يكون كذلك إلا أن يراد به أنه يحق له العبادة، فيضاف إلى من جعله بالصفة التي يستحق عليها العبادة.

وتدل على أنه المتفرد بالإلهية، المستحق للعبادة.

---

(١) لباب النقول ١٧، للسيوطي ـ دار إحياء علوم الدين ـ بيروت.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾

القراءة

قرأ حمزة والكسائي: «**الريح**» على التوحيد[1] والباقون «**الرياح**» على الجمع، ولم يختلفوا في توحيد ما ليس فيه ألف ولام، قال ابن عباس: الرياح للرحمة، والريح للعذاب، واختلف القراء، فقرأ أبو جعفر «**الرياح**» على الجمع كل القرآن إلا في الذاريات ﴿ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١] فإنه وَحَّدَهُ، وقرأ أبو عمرو وعاصم وابن عامر ويعقوب «**الرياح**» على الجمع في عشرة مواضع: البقرة، والأعراف، والحجر، والكهف، والفرقان، والنمل، والروم موضعين، والجاثية، وفاطر. وقرأ نافع اثني عشر موضعًا هذه العشرة، وفي إبراهيم ﴿كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ [إبراهيم: ١٨] وفي (عسق) ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ﴾ [الشورى: ٣٣]. وقرأ ابن كثير الرياح في خمسة مواضع: البقرة، والحجر، والكهف، والروم الأول منها، والجاثية. وقرأ حمزة «**الرياح**» في موضعين: في الفرقان، والروم. وقرأ الكسائي في ثلاثة مواضع: في الحجر، والفرقان، والروم الأول منهما.

اللغة

الخلق: إحداث الشيء على تقديرٍ من غير احتذاء على مثال، والخلق والمخلوق بمعنى، وقيل: هما غيران، والأول أوجه.

والسماوات: جمع سماء، ويقال لكل سقف سماء غير أنه إذا أطلق لم يفهم منه غير السماوات، وأصله من السُّمُوِّ وهو العلو، سما يسمو سموًّا.

(١) حجة القراءات ١١٨.

والاختلاف: نقيض الاتفاق، وقيل: اختلاف الليل والنهار أخذ من الخَلَف؛ لأن كل واحد منهما يخلف صاحبه على جهة المعاقبة، وقيل من اختلاف الجنس كاختلاف السواد والبياض، والأشياء على ثلاثة أضرب: متماثل كالسواد والسواد، ومختلف كالسواد والحمرة، ومتضاد كالسواد والبياض.

والليل جَمْعُ ليلةٍ كتمرة وتمر؛ وهو الظلام المعاقب النهار.

والنهار: الضياء المتسع وأصله من السعة، ومنه أخذ النهر المجرى الواسع للماء، ومنه قول الشاعر:

مَلَكْتُ بها كَفِّي فَأَنْهَرتُ فَتْقَهَا[1]

والفُلْك: السُّفُن الواحد والجمع فيه سواء، ويؤنث ويذكر، والفَلَكُ: فَلَكُ السماء، وقيل: هو اسم للدوار خاصة، قيل: بل لأطباق سبعة فيها النجوم، وأصله من الدور سمي فلكًا لدورانه، والفلك لأنها تدور بالماء أسهل دور.

والبحر أصله من السعة، وهو الخرق الواسع للماء الذي يزيد على سعة النهر.

والنفع والخير والحظ نظائر، والمنفعة: التعريض للنصيب من اللذة، أو ما أدى إليها.

والإحياء: فِعْلُ الحياة، وحياة الأرض عمارتها بالنبات، وموتها خرابها، وهو اتساع.

والبث: التفريق، وكل شيء فرقته فقد بثثته، وسمي العمر بثًّا لتقسيم القلب.

والدابة: أصله من الدبيب كل ما يدب فهو دابة، غير أنه اختص بنوع من الحيوان في العرف، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور: ٤٥] ورد على الأصل.

والتصريف: التقليب، «وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ»: تصريفها من حال إلى حال، وقيل: ينقلها في الجهات المختلفة.

(١) البيت لقيس بن الحطيم، وعجزه: يرى قائما من خلفها ما وراءها.
انظر البيت في لسان العرب (نهر) و(ملك) وتاج العروس (نهر).

والسحاب الغيم، وأصله من السَّحْب، وهو الجر، وكل منجَرٍّ مُسْتَحَبٌ، وسمي سحابًا لاستحابها في الهواء.

والتسخير: التذليل، يقال: سخرت كذا له أي سهلته، وسخر الله تعالى الريح لسليمان.

والآيات: الحجج والعلامات.

الإعراب

يقال: لم وُحِّدَت الأرض، وجُمِعَتِ السماوات؟

قلنا: فيه قولان:

الأول: أنها جمعت لأنها سبع سماوات، فجمع لئلا يوهم التوحيد، ودل مع ذلك قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] على معنى السبع، ولكنه لم يجئ على جهة الإفصاح بالتفصيل كما في اللفظ.

الثاني: لأن الأراضي لتشاكلها شبه الجنس الواحد كالرسل، والماء الذي لا يجوز جمعه إلا أن يراد الاختلاف، وليس تجري السماوات مجرى الجنس المتفق؛ لأنه أخبر عن كل سماء أمرها.

ويقال: لم جمعت الليلة، ولم يجمع النهار؟

قلنا: لأن النهار بمنزلة المصدر كقولك: الضياء يقع على الكثير والقليل، وأما الليلة فَمخْرَجُها مخرج الواحدة من الليل، وقد جاء جمعه على الشذوذ نُهُر. قال الشاعر:

لَوْلاَ الثَّرِيَدانِ هَلَكْنَا بالضُّمُرْ ... ثَرِيدُ لَيْلٍ وَثَرِيدٌ بِالنُّهُرْ[1]

النزول

حكى شيخنا أبو القاسم عن عطاء [أن] المشركين قالوا: أرنا يا محمد آية، فنزلت هذه الآية.

(١) البيت من دون نسبة في: اللسان (نهر) وتاج العروس (نهر)، ومختار الصحاح (نهر).

وذكر ابن جرير عن عطاء أنه لما قدم النبي ﷺ المدينة نزل قوله: «**وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ**» فقال كفار قريش بمكة: كيف يسع الناسَ إلهٌ واحدٌ، فأنزل الله تعالى: «**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...**» الآية[1].

وعن أبي الضحى: لما نزل قوله: «**وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ**» جعل المشركون يتعجبون ويقولون: يقول إلهكم واحد، فليأتنا بآية إن كان صادقًا، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وعن سعيد بن مسروق قال: سألت قريش اليهود فقالوا: حدثونا عما جاءكم به موسى من الآيات، فحدثوهم بالعصا واليد وغيرها، وسألوا النصارى، فحدثوهم بإحياء الميت وإبراء الأكمه، فعند ذلك سألوا النبيﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبًا، فأوحى الله تعالى إليه أن أعطهم ما سألوه، فإن لم يؤمنوا أعذبهم عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين، فقالﷺ: «**ذرني وقومي أدعوهم يومًا بيوم**»[2] فأنزل الله تعالى هذه الآية مبينًا أنهم التمسوا ذلك ليزدادوا يقينًا، فخلق هذه الأشياء أعظم في الحجة.

۞ المعنى

لما ذكر تعالى ما تقدم من التوحيد عقبه بذكر الأدلة مبينًا أنه لا يجوز العدول عنها، ومُعرِّفًا أنه أزاح العلة لمن تدبر ونظر فيها ودالاً به أنه إنما يعرف بأفعاله وما نَصَبَ من أدلته كي لا يتكلوا على التقليد، فقال تعالى: «**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**» يعني في إنشائها مقدرًا على سبيل الاختراع «**وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**» قيل: كل واحد منهما يخلف صاحبه، إذا ذهب أحدهما جاء الآخر بعده، وقيل: اختلافهما في الجنس واللون والطول والقصر، عن عطاء وابن كيسان.

ويقال: لم قدم الليل؟

قلنا: لأن الليل هو الأصل، والضياء طارئ؛ لأنه تعالى خلق الأرض مظلمة ثم خلق الشمس والقمر.

(١) العجاب في بيان الأسباب ١/ ٤١٤.

(٢) لباب النقول١٧، وأورده بلفظ «وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة»، فقال: «بل يا رب التوبة والرحمة» في: السنن الكبرى حديث رقم١٧٥١٠، ومسند أحمد٢١٦٦، والمستدرك رقم ١٧٤.

«**وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ**» يعني السفن «**بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ**» بركوبها والحمل عليها والتجارات والمكاسب «**وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ**» يعني المطر، واختلفوا في الماء المنزل، فقيل: إنه ينزل من السماء على الحقيقة كما أخبر به تعالى وهو الصادق في خبره، وإذا كان هناك سحاب لم يمتنع أن يكون نازلاً من السماء إليه، ثم يسقط بقدر الحاجة، هذا قول جماعة من أصحابنا؛ إذ لا مانع من حمل الكلام على حقيقته، وقال بعضهم: إنه ينزل من السحاب، ومعنى «**مِنَ السَّمَاءِ**» أي من جهة السماء ويخلقه الله تعالى في السحاب حالاً بعد حال، وهذا جائز، وإن كان الأول أليق بالظاهر، وقال بعضهم: إنه تعالى بقدرته يحمل السحاب مياه البحر مع ملوحته، ثم ينزله من السحاب بقدر الحاجة عذبًا فراتًا، وهذا أيضًا لا يبعد، فأما من يقول: إن السحاب بخار يرتفع من البحر عند تأثير الشمس فينسحب في الهواء، ويعذب مالحه، ثم يعود مطرًا على ما يحكى عن بعضهم، فنحن ننكر ذلك، والذي دعاهم إلى ذلك نفيهم الصانع المدبر وإضافتهم الحوادث إلى الطباع وجميع ذلك بينا بطلانها «**فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**» يعني أحيا الأرض بالنبات بالمطر بعد يبوستها وجدوبتها، وقيل: أحيا به الأرض يعني أهل الأرض بإخراج الأقوات وغيرها مما تحيا به النفوس «**وَبَثَّ فِيهَا**» يعني فرق في الأرض «**مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ**» من كل حيوان يدب، وأراد أنه خلقها في مواضع متفرقة، وقيل: فرقها كي لا تزدحموا «**وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ**» تقليبها شمالاً وجنوبًا وقبولاً ودبورًا، وقيل: مجيؤها مرة بالرحمة ومرة بالعذاب، عن قتادة، «**وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ**» أي المذلل يصرفها كما يشاء «**بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ**» حجج ودلالات فبين أنها أدلة ولم يذكر على ماذا، فحذف لدلالة الكلام عليه، وقد بين العلماء تفصيل ما يدل عليه ما بينها في الأحكام «**لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**» قيل: هو عام في العقلاء من استدل ومن لا يستدل؛ لأنه يمكنه الاستدلال، وقيل: هو خاص فيمن استدل وعلم؛ لأنهم لما أهملوا أنفسهم صاروا كأنه لا عقل لهم حيث لم ينتفعوا بتلك الدلالات كقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٥] وإنما أضاف الدلالة إلى من يعقل لوجهين: أحدهما: أنها نصبت لهم، ولأنها لا تصح أن يستدل بها غيرهم.

ومتى [قيل]: قوله: «**آيات**»، يرجع إلى الجميع أو إلى كل واحدة؟

قلنا: يحتمل الوجهين، أي الكل آيات، ويحتمل كل واحد مما ذكر فيه آيات.

۞ الأحكام

في الآية فوائد وأدلة من وجوه وترجع جملتها إلى ثلاثة أوجه:

أولها: ما يدل عليه ظاهر الآية نصًّا وتنبيهًا.

والثاني: دلالة هذه الأشياء على ما تدل عليه.

والثالث: كيفية دلالتها.

فأما الأول: فتدل على الصانع المدبر على ما نقرره.

وتدل على كونها أدلة على التوحيد على نِعَم منه تعالى على عباده لأجلها استحق العبادة، وتدل على أنه تعالى لا يعرف ضرورة ولا إلهامًا ولا تقليدًا؛ إذ لو صح شيء من ذلك لم يكن لبيان الأدلة معنى فصارت الآية بيانًا لما يجب فيه النظر وباعثًا على النظر ومبطلاً للتقليد والضرورة.

وتدل على صحة الحجاج في الدين خلاف ما تقوله الحشوية.

وتدل على وجوب النظر والاستدلال، وأن ذلك طريق معرفته.

وتدل على أنه تعالى أزاح العلة للمكلف من بيان الحجج، ومن لم يتفكر ولم يتعلم فأتي [بمنكرٍ فقد أتى به] من قِبل نفسه لا من قبل ربه.

فأما الفصل الثاني: فتدل هذه الأشياء على إثبات الصانع وصفاته وتوحيده وعدله ثم دلالتها عليه تنقسم إلى قسمين: منها ما يدل عليه بنفسه ككونه قادرًا يدل الفعل عليه، ومنها ما يدل عليه بواسطة ككونه حيًّا لما علم أنه قادر عالم علم أنه حي سميع بصير، فتدل الأفعال عليها بواسطة.

ومتى قيل: على ماذا يدل؟

قلنا: أولاً يدل على حدوثها؛ لأنها لا تخلو من الحوادث ولم يسبقها.

وتدل على صانع؛ لأنه إذا ثبت حدوثها فلا بد من مُحدث لها أحدثها كالكتابة والبناء.

وتدل على أن صانعها قادر؛ لأن صحة الفعل تدل على كونه قادرًا.

وتدل على كونه عالمًا؛ لأن صحة الفعل المحكم تدل على أن صانعه عالم، وإذا ثبت أنه عالم قادر فلا بد أن يكون حيًّا؛ لأن كونه حيًّا يصحح كونه عالمًا قادرًا.

وتدل على أنه قديم باقٍ؛ لأنه واجب الوجود؛ إذ لو كان جائز الوجود لاحتاج إلى محدث ولتسلسل.

وتدل على أنه سميع بصير؛ لأنه حي لا آفة به.

ويدل خلقه الأجسام [على] أنه ليس بجسم ولا عرض؛ لأن خلق الجسم لا يصح منها، فيعلم أنه لا شبيه له، ولا يجوز عليه المكان والمحل، وأنه لا يُرى؛ لأن جواز الرؤية من صفات الأجسام والأعراض وأنه غني؛ لأن الحاجة من صفات الأجسام، وإذا ثبت أنه ليس بجسم لا يجوز إثبات اليد والوجه ونحوه من الأعضاء؛ لأنه من صفات الأجسام، ويعلم أنه ليس بمحل للحوادث؛ لأنه ليس بمتحيز؛ ولأنه لو صح حلول بعضها صح حلول سائرها فيؤدي إلى الجهالات.

وتدل على أنه مخالف للأجسام والأعراض، ولا بد من صفة بها خالف وهو كونه قديمًا فيعلم بذلك أنه لا يجوز أن يكون معه قديم آخر فعند ذلك يعلم أنه عالم لذاته، قادر لذاته، حي لذاته، قديم لذاته لا لمعانٍ[1] قديمة أو مُحَدَثةٍ، ويعلم أن القرآن ليس بقديم، وأنه كلامه أحدثه.

وتدل على أنه واحد؛ إذ لو جاز إثبات ثانٍ وثالث لصح التمانع.

وإذا ثبت بأفعاله أنه عالم لذاته غني ثبت أنه لا يفعل القبيح؛ لأن العالم بقبح القبيح العالم بغناه عنه لا يختاره، ولأنه لا داعي له إلى فعل القبيح فعند ذلك يعلم أنه لا يفعله ولا يريده، وأن أفعال العباد ليست بخلق لله لما فيها من الكفر والقبائح، وأنه كلف العباد لمنافعهم، ولم يخلق أحدًا للعذاب لما فيه من القبح، وأنه يزيح العلة ولا يكلف ما لا يطيقه، فيعلم أن الاستطاعة قبل الفعل، وإذا كان غرضه حصول الفعل من

---

(١) لمعان: لمعاني؛ د، ز، ف.

المكلف يستحق الثواب، فلا بد أن يلطف فيعلم وجوب اللطف، وإذا عُلم أنه لا يجوز عليه القبائح يُعلَمُ كونه صادقًا، فيعلم صحة ما جاء به الوعد والوعيد، وإذا علم وجوب اللطف وقد يكون ذلك من فعل المكلف فلا بد من رسولٍ يبين، فعند ذلك يعلم وجوب النبوات وشرائطها من المعجز والعصمة ومعرفة الشرائع، وإذا تفكر فيها علم مسائل الأسماء والأحكام والوعد والوعيد والإمامة، وما يتعلق بالفعل كالصلاة والزكاة والحج، وما يتعلق بالترك كالشرك والقتل والزنا والربا، وجميعأحكام الشرع لا يخلو من هذين الوجهين فِعْلٍ أو ترك، فهذه جملة تدل عليها أفعاله بنفسها أو بواسطة تنبيه على تفصيل يطول.

فأما الفصل الثالث: فكيفية دلالة كل واحد من هذه الأشياء على الصانع المدبر وصفاته:

أما السماوات والأرض فتدل من وجوه:

أولها: كونها مخلوقة محدثة، ولا بد من محدث إذا لم يخل من الحوادث.

وثانيها: كونها مقدرة محكمة متسقة فتدل على مدبر حكيم عليم.

وثالثها: أنهما قُدِّرا على وجوه تتكامل بها المصلحة من رفع السماء والانتفاع بالشمس والقمر، ودحو الأرض حتى صح مقرًّا ومتصرفًا، وما فيها من أنواع النبات والأشجار تدل على صانع حكيم.

ورابعها: سكونهما من غير علاقة، ولا مكان مع ثقلهما وعظمهما لا يصح إلا من صانع قادر وإلى ذلك أشار بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ [فاطر: ٤١].

وخامسها: ما يستمر عليه أحوال النجوم السائرات والأفلاك الدائرات على طريقة واحدة مما يتم به مصالح الخلق في أرزاقهم ومعاشهم وحسابهم.

فأما اختلاف الليل والنهار: فيدل من وجوه:

أولها: نقيض ما صار به الليل والنهار من الضياء والظلام؛ إذ لا يقدر عليه أحد من الأجسام، ولا بد من محدث مخالف لها.

وثانيها: جريهما على طريقة واحدة حتى تتم به المصالح ومعرفة الأزمنة من السنين والشهور، وتتم به النعمة من السكون وابتغاء الفضل.

وثالثها: أخذ أحدهما من صاحبه والزيادة والنقصان.

ورابعها: تعلق ذلك بجري الشمس والقمر على الحد الذي يجري عليه لولاه لما تم الليل والنهار.

وخامسها: قصر كل واحد وطوله باختلاف مشارق الأرض ومغاربها.

وسادسها: اختلافهما حتى لو دام أحدهما واتصل لما تمت المصلحة ومنافع الخلق.

وسابعها: لولاهما لما صح شيء من معرفة السنين والحساب.

فأما الفلك وإن كان من أفعال العباد فلا يتم إلا بأمور من جهته تعالى:

أولها: الآلات التي يعمل بها الفلك كالخشب والحديد وغيرها مما لا يقدر عليها غيره.

وثانيها: صفة الماء في الرقة التي لولاها لما صح جري الفلك.

وثالثها: ما يفعله تعالى في الماء من الجِرْيَة الشديدة وما فيه من الاعتمادات والرطوبات.

ورابعها: تخلل الماء في البلاد ليقع الانتفاع في الفلك.

وخامسها: الاعتمادات التي خلقها في الماء حتى منع الفلك من الرسوب.

وسادسها: إرسال الريح لإجراء السفن على حد معلوم.

وسابعها: ما أجرى به العادة من السلامة في الغالب في تقوية القلب في الركوب.

فأما الماء المنزل من السماء فيدل من وجوه:

أولها: إنشاؤه مع أنه لا يقدر عليه غيره.

وثانيها: صفته من الرقة والعذوبة وحياة الأرض.

وثالثها: نزوله قطرًا على وجه لا يتلاقى ولا يتدافع.

ورابعها: نزوله بقدر الحاجة وفي أوقاتها.

وخامسها: إسكانه في الأرض وإخراجه بقدر الحاجة.

وسادسها: ما يتعلق به من التطهير والمأكول والمشروب والعبادات وكل ذلك يدل على مدبر حكيم.

وأما إحياء الأرض بعد موتها فيدل من وجوه:

أولها: ظهور النبات والثمار والحبوب، وذلك مما لا يقدر عليه أحد سواه.

وثانيها: ما يحصل به من أقوات الخلق وأرزاق الحيوانات.

وثالثها: أنه يُنبت كل شيء بقدر الحاجة.

ورابعها: اختلاف ألوانها على حد لا يكاد يحصى.

وخامسها: اختلاف الطعوم، وذلك ليس بمقدور البشر.

وسادسها: اختلاف المنافع والمضار.

وسابعها: ما أجرى به العادة في حدوثها في أوقاتها ليتم به المصالح.

وثامنها: ما أجرى به العادة أن لا يحدث من كل شجرة إلا نوعًا من الثمرة لتتم مصالح الخلق وليهتدوا إلى معايشهم ومكاسبهم.

وتاسعها: ما تنبت الأرض من أنواع الملابس والروائح وغيرها.

وعاشرها: اختلاف الروائح واختلاف المنافع من الأغذية والأدوية وأن بعضها ينتفع بقشرها وبعضها بلبها، وبعضها بأصلها وبعضها بورقها، وبعضها بأزهارها، فسبحانه من مدبر حكيم وصانع عليم!.

وأما بث الدابة فيها فيدل من وجوه:

أولها: خلق الدواب المختلفة بالهيئات المختلفة.

وثانيها: إحياؤه لما بث فيها من دابة.

وثالثها: جعله كل دابة على صفة تحتاج إلى الماء.

ورابعها: إخراج الماء بحسب حاجتهم ومصالحهم، فلذلك صيرها أنهارًا وينابيع.

وخامسها: ما جعل لكل حيوان من الأغذية التي عاشوا بها.

وسادسها: ركب فيهم الشهوة التي بها تتم جميع هذه النعم.

وسابعها: إحياء الخلق التي بها يتم جميعها، ولا يقدر على الحياة غيره.

وثامنها: الصور المختلفة والأعضاء المختلفة والمركبات المتنوعة من اللحم والعظم والعصب والعروق، وجميع ذلك مركب من ماء دافق لا يقدر عليه أحد.

وتاسعها: ما أجرى به العادة من ترتيبه حالاً بعد حال باللبن والطعام، ثم ما يعطيه من الآلات للنطق، والحس والعقل إلى غير ذلك من العجائب التي يطول تفصيلها.

فأما تصريف الرياح فيدل من وجوه:

أولها: إنشاء نفس الهواء الذي إذا تحرك صار ريحًا.

وثانيها: تحريكه.

وثالثها: تصريفها في الجهات.

ورابعها: اختلافها في الحر والبرد.

وخامسها: تأثيرها في الحيوانات وأنواع النبات والثمار على عادة مستمرة مستقيمة.

وسادسها: ما أجرى العادة من ترتيبه حالاً بعد حال من تعلق ادخار الأطعمة بها، ولولاه لما بقيت على الادخار، وغير ذلك من منافع الريح.

فأما السحاب فتدل من وجوه:

أولها: إنشاء السحاب الثقال.

وثانيها: بما فيه من الرعد والبرق.

وثالثها: إسكانه الهواء مع ثقله مرة وإجراؤه مرة.

ورابعها: جعله بالصفة التي يحمل الماء الكثير مع أنه ليس بجسم ممسك.

وخامسها: حمله الماء بقدر الحاجة، وصبه في الموضع الذي يريده تعالى.

وسادسها: مجيئه مرة وذهابه مرة أخرى، ولو دام لعاد في المضرة وكما لو لم يكن لحصلت المضرة، وكل ذلك يدل على صانع مدبر سبحانه وتعالى.

ومتى يقال: لم خص هذه الأشياء وجميع الأجسام دالة عليه؟

قلنا: لأنها جامعة بين كونها أدلة وكونها نعمًا على المكلفين؛ فلذلك ذكرها عقيب قوله: «وَإِلَهُكُمْ»، ولأن ذلك مما يشاهده عموم الخلق، ولا يخفى على ذي لب.

قوله تعالى:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾

۞ القراءة

قرأ نافع وابن عامر ويعقوب: «ولو ترى» بالتاء المعجمة من فوق على الخطاب[1]، وقرأ الباقون بالياء المعجمة من تحت على الإخبار عمن جرى ذكرهم.

واختلفوا في «يرون» فقرأ ابن عامر بضم الياء على التعدية، وقرأ الباقون «يرون» بالفتح على إضافة الرؤية إليهم.

وقرأ أبو جعفر ويعقوب «إن القوة» «وإن الله» بكسر الألف في (أنّ) فيهما على الاستئناف، والقراء على فتح الألف فيهما على معنى لعلموا حين يرونه.

۞ اللغة

الحب: خلاف البغض، يقال: أَحَبَّهُ حُبًّا، وأحبه إحبابًا، والحب يستعمل بمعنى الإرادة، وعلى هذا يقال: أحب الله ورسوله، والله يحب عباده، والمراد بحب الله عبدَهُ إرادةُ مَدْحِه وثنائه وإثابته، وحب العبد لله: إرادة ثنائه ومدحه وعبادته وتعظيمه، ويقال: أحببت أن أفعل كذا، أي أردت وهو الأصل، ثم يستعمل في الشهوة توسعًا، يقال: يحب جاريته، والحب يضاف إلى الشخص وإلى الفعل، فالأول كقولهم: فلان

---

(١) حجة القراءات ١١٩.

يحب فلانًا، ولا بد من حذف فيه، والمعنى: يحب مدحه وبقاءه ونحوها، فإذا أضيف إلى الفعل يراد وجوده، وإذا استعمل بمعنى الشهوة فيتعلق بالشخص وغيره.

والند: المِثْل، وقيل: الند: الضد، وأصل الند: المثل المساوي والقوة والقدرة.

۞ الإعراب

يقال: كم وجهًا في العربية في «**أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ**» مع الياء في: «**إِذْ يَرَوْنَ**»؟

قلنا: يجوز الفتح[1] من ثلاثة أوجه، والكسر من ثلاثة أوجه.

أما الفتح: **فالأول**: لوقوع «**يرى**» عليه بمعنى المصدر تقديره: ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب قوة الله وشدة عذابه.

الثاني: الفتح على حذف اللام، تقديره: لأن القوة لله، ولأن الله شديد العقاب.

الثالث: على تقدير «**لرأوا أن القوة**» على الإيصال بما حذف من الجواب.

وأما الكسر، **فالأول**: على الاستئناف.

والثاني: على الحكاية فيما حذف من الجواب، تقديره: لقالوا: إن القوة لله.

الثالث: على الإيصال بما حذف من الجواب كقولك: يقولون: إن القوة لله.

ويقال: كم وجهًا يجوز في «**أن**» مع التاء؟

قلنا: يجوز الفتح من ثلاثة أوجه، والكسر من ثلاثة أوجه.

أما الفتح: **فالأول**: على البدل كقولك: ولو يرى الذين ظلموا أن القوة لله عليهم، عن الفراء.

الثاني: لأن القوة.

الثالث: لرأيت أن القوة لله.

فأما الكسر مع التاء كالكسر مع الياء، قال الفراء: والاختيار مع الياء الفتح، ومع التاء الكسر؛ لأن «**الرؤية**» قد وقعت على (الذين).

---

(١) يقصد فتح همزة (أن).

ويقال: أين جواب (لو)؟

قلنا: محذوف كأنه قيل: لرأوا مضرة اتخاذهم الأنداد أو لرأوا أمرًا عظيمًا، وحذف الجواب يدل على المبالغة كقولهم: لو رأيت السياط تأخذ فلانًا؛ لأن المحذوف يحتمل كل أمر.

ويقال: عَلامَ يعود الضمير في «**يَتَّخِذُ**»، و«**يُحِبُّونَهُم**»؟

قلنا: على «**مَنْ**» وإن كان أحدهما على التوحيد والآخر على الجمع؛ لأن (من) مبهمة فتتناول الواحد والجميع، فمرة يحمل الكلام فيها على اللفظ، ومرة على المعنى؛ لأن المبهم موقوف على بيان غيره له.

ويقال: علام انتصب «**جميعًا**»؟

قلنا: على الحال، كأنه قيل: القوة ثابتة لله في حال اجتماعها، وهي صفة مبالغة كأنه تعالى يقول: هو قادر، لا يعجزه شيء.

۞ النظم

ويقال: كيف تتصل الآية بما قبلها؟

قلنا: لما تقدم ذكر التوحيد وأدلته والأمر بتدبرها عقبه بذكر حال من عدل عنهما ومال إلى الشرك، عن القاضي، وقيل: اتصل بما قبلها اتصال الإنكار للإقامة على الباطل بعد ظهور البرهان، كأنه قال: أَبَعْدَ هذا البيان يتخذون الأنداد؟، عن علي بن عيسى.

۞ المعنى

«**وَمِنَ النَّاسِ**» (مِنْ) للتبعيض ههنا أي بعض الناس «**مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا**» قيل: أشباهًا وهي الآلهة من الأوثان يعبدونها، عن قتادة والربيع ومجاهد وأكثر المفسرين. وقيل: أضدادًا. وقيل: هم رؤساؤهم الذين يطيعونهم طاعة الأرباب من الرجال، عن السدي. وقوله تعالى: «**يُحِبُّونَهُمْ**» على هذا القول أدل، وكذلك قوله: «**كَحُبِّ اللَّهِ**» لا يبعد أن يحبوا الأوثان كحب الله مع علمهم أنها لا تنفع ولا تضر،

ويدل عليه قوله تعالى: «**إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا**» من بعد: «**يُحِبُّونَهُمْ**» وليس المراد محبة ذاتهم فلا بد من محذوف، والمراد يحبون عبادتهم والتقرب إليهم والانقياد لهم وجميع ذلك، «**كَحُبِّ اللَّهِ**» فيه ثلاثة أقوال:

الأول: كحبكم الله، يعني الذين اتخذوا الأنداد، فيكون على من يعرف الله من المشركين، ويعبد معه الأوثان، ويسوون بينهم في المحبة، عن الأصم وأبي علي وأبي مسلم.

الثاني: كحب المؤمن لله، عن ابن عباس والحسن.

الثالث: كحب الله؛ أي الحب اللازم الواجب عليهم لا الواقع عن أبي علي، وهذان الوجهان على قول من يقول: لم يكونوا عارفين بربهم، والأول هو الظاهر؛ لأن «**يُحِبُّونَهُمْ**» راجع إلى الناس، فلذلك قال: «**كَحُبِّ اللَّهِ**»؛ لأنه تقدم ذكرهم دون ذكر المؤمنين.

«**وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ**» يعني حب المؤمنين فوق حب هؤلاء، وحبهم أشد من وجوه:

أحدها: إخلاصهم التعظيم والعبادة له والثناء عليه دون من أشرك.

والثاني: أن حبهم لله اقترن به الرجاء للثواب والرغبة، وعظم المنزلة والخوف من شدة العقاب، فكان محبتهم أشد، عن أبي علي.

وقيل: إنهم يعبدونه ويحبونه عن علم بأنه المنعم ابتداء، ويرجون رحمته عن يقين، ويعلمون أنه فعل لهم في جميع أحواله ما هو الأصلح لهم في الدين، وأنعم عليهم ما لا يدخل تحت العد، فلا بد أن يكون حبهم له أشد.

وقيل: إذا علم أنه تعالى حكيم، لا مِثْل له ولا نظير، وأنه عدل وله الصفات العُلاَ والأسماء الحسنى، وإليه المرجع والمآب، فيكون حبه أشد ممن لا يعلم على الحقيقة، واختلفوا في معنى قوله: «**أَشَدُّ**» فقيل: أثبت وأدوم فإن المشرك ينتقل من صنم إلى صنم، عن ابن عباس. وقيل: لأن حبهم مشترك وحب المؤمنين في الإخلاص. وقيل: المؤمن يعبده بلا واسطة، والمشرك يعبده بواسطة، عن الحسن.

«**وَلَوْ يَرَى**» أما بالتاء فقيل: خطاب للنبي أي ولو ترى يا محمد، عن الحسن. وقيل: له والمراد غيره كقوله: الذين آمنوا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١]. وقيل: ولو ترى أيها السامع أو أيها الإنسان فالخطاب لغيره، وأما الياء فالمراد نفس الذين ظلموا تقديره: ولو يرى هذا الظالم، واختلفوا في الرؤية، فقيل: لو يبصرون، وقيل: لو يعلمون، وتقدير الكلام على الوجه الأول: لو رأيتهم عند رؤية العذاب كيف يتجادلون لعجبت، وعلى الوجه الثاني: لو علم هؤلاء الظالمون حين يرون العذاب كيف يتبرأ بعضهم من بعض لما تناصروا على الظلم. «**الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ**» فيه حذف كأنه قيل: يعلمون أن القوة لله، فعلى هذا يتصل بما قبله، وقيل: «**أَنَّ الْقُوَّةَ**» مستأنف والحذف لِـ(رأوا) ـ مضمرة ـ فعلهم وسوء عاقبتهم، ثم استأنف «**أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ**» ومعنى قوله: «**أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ**» يعني هو قادر على أخذهم وعقوبتهم، وفيه وعيد وإشارة إلى أن هؤلاء الجبابرة مع عزتهم إذا حشروا ذلوا وتخاذلوا وعلموا أن القوة لله، وأن الأنداد لا تنفعهم والتناصر لا يغني عنهم شيئًا، وقيل: معناه أن القوة كلها من الله خلقها في العباد فكيف يُعبد بها سواه من الأنداد ولا يملك قوة ولا نفعًا ولا ضرًّا، وقد بينا الفتح والكسر في (أن) والوجه فيه «**وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ**» يعني عذابه شديد، ووصف العذاب بالشدة مبالغة في الوصف، وهو توسع؛ لأن الشدة من صفات الأجسام.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن المؤمن يحب الله تعالى، ويحب عبادته والجهاد في سبيله، حتى يبذل نفسه وماله فيه، فلذلك وصفه بأنه أشد حبًّا لله.

وتدل على أن أشد الناس حبًّا لله أعرفهم به، فتدل من هذا الوجه أنه ليس في المكلفين أشد حبًّا لله من أهل التوحيد والعدل؛ لأن عندهم أنه تعالى محسن عَدْلٌ، تفضل عليهم بأنواع النعم من الخلق والرزق والتكليف، وأنه خلقهم للجنة وأكمل عقولهم ولا يفعل بهم إلا ما هو أصلح، وأنه أزاح عللهم، وإذا أطاعه [عَبْدٌ] صيره إلى نعيم الأبد، وأنه لا يفعل الظلم ولا يخلق أحدًا للنار، والمجبرة تزعم أنه خلق

الأكثر للنار، وأن جميع القبائح من خلقه، وأحد لا يأمن أن يكون خَلَقَهُ للنار، وخلق فيه الكفر والشر وقضاه، ثم يعاقبهم، ويكلفهم ما ليس إليهم ولا يقدرون عليه، وحَمَلَهم على المعاصي، ويأخذهم بغير ذنب، وأحد لا يأمن أن يأخذه بغير جريمة، ولو تفرقت هذه الخصال فَوُجِدَ واحدةٌ منها في واحد لأبغضوه، فكيف مَنْ جَمَعَ الخصال عندهم؟!، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرا.

وتدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يؤثر رضا مخلوق على رضا الخالق؛ لأنه تعالى ذمهم حيث انقادوا لقادتهم في خلاف أمره.

قوله تعالى:

﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾

القراءة

القراءة الظاهرة تقديم المتبوع على الأتباع، وقرأ مجاهد على الضد.

اللغة

التَّبَرِّي: التباعد للعداوة، وقيل: تبرأ الله عن المشركين، فكأنه باعدهم من رحمته للعداوة التي استحقوها بمعصيته، وأصله من الانفصال، ومنه بَرَأَ من مرضه، وبرئ من الدَّين، وتَبَرَّؤُوا عنهم لانفصالهم عنه بالمباينة والعدواة.

والاتباع من تبع غيره أي اقتدى به تبعه يتبعه، ومنه: التابعون.

والتقطع: التباعد بعد الاتصال.

والأسباب جمع سبب، وهي الوصلة، ومنه سُمِّي الحبل سببًا؛ لأنه يتوصل إلى ما انقطعْ عنك من ماء بئر أو غيره.

والكَرَّة: الرجعة والرد.

والحسرة: التلهف على ما فات، وأصل الحسر الكشف، ومنه: الحاسر، خلاف الدارع، وسمي حسرة؛ لأنه انكشاف عن حال الندامة، وجمعه: حسرات، كشهوة وشهوات.

۞ الإعراب

يقال: ما عامل الإعراب في «إذ».

قلنا: معنى (شديد) كأنه قيل: شديد العقاب إذ تبرأ، يعني وقت التبري.

ويقال: لِمَ ضُمَّتِ الألف في «اتُّبِعُوا»؟

قلنا: لضمة التاء، وإنما ضمت لما لم يُسَمَّ فاعله؛ لأنه إنما يضم له أول المتحرك من الفعل فيما يثنى عليه، وألف الوصل لا يعتد به، لأنه وصلةٌ إلى التكلم بالساكن، فإذا اتصل بمتحرك استغنى عنه.

ويقال: لم انتصب «فنتبرأ منهم»؟

قلنا: انتصب جواب التمني بالفاء، كأنه قيل: لو أن لنا كرة فنتبرأ، وكلما عطف الفعل على تأويل المصدر نصب بإضمار (أن)، ولا يجوز بإظهار (أن) فيما لم يفصح بلفظ المصدر فيه؛ لأنه لما حمل الأول [على] التأويل حمل الثاني أيضًا على التأويل، ويجوز فيه الرفع على الاستئناف، أي فيجوز: يتبرأ منه على كل حال.

ويقال: في قوله: «لو أن» ما عامل الإعراب في «أن»؟

قلنا: محذوف، تقديره: لو صح أن لنا كرة؛ لأن (أن) في التمني وغيره تطلب الفعل، وإن ثبت قدر به: لو ثبت أن لنا كرة.

ويقال: في «كذلك» بأي شيء رفع التشبيه، وما العامل في الكاف؟

قلنا: فيه قولان:

الأول: كَتَبَرِّي بعضِهم من بعضهم يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم، وذلك لانقطاع الرجاء من كل واحد منهما.

الثاني: كما أراهم العذاب يريهم أعمالهم حسرات؛ لأنهم أيقنوا بالهلاك، فكل واحد من العامل فيه يريهم.

۞ المعنى

لما تقدم ذكر الذين اتخذوا الأنداد بيَّن حالهم يوم القيامة، فقال تعالى: «**إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا**» قيل: القادة والرؤساء من مشركي الإنس، عن قتادة والربيع وعطاء. وقيل: هم الشياطين الذين اتبعوا بالوسوسة من الجن، عن السدي. وقيل: شياطين الإنس والجن. وقيل: من كانوا يدعونه شريكًا وإلهًا، عن أبي مسلم. والأظهر هو الأول، بيّن تعالى أن الذين أفنوا عمرهم في اتباعهم كان عاقبة أمرهم أن تبرؤوا منهم أحوج ما كانوا، وهذا التبري يحتمل أن يقع منهم بالقول، ويحتمل أن يكون عند نزول العقاب «**مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا**» يعني المتبوعين من الأتباع السفل «**وَرَأَوُا الْعَذَابَ**» وعاينوا حين دخلوا النار «**وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ**» فيه سبعة أقوال:

الأول: الوصلات التي كانوا يتواصلون عليها، عن مجاهد وقتادة والربيع.

الثاني: الأرحام التي كانوا يتعاطفون بها، عن ابن عباس وابن جريج.

الثالث: الأعمال التي كانوا يؤتونها، عن ابن زيد والسدي.

الرابع: العهود والحلف الذي كان بينهم يتوادون عليه، عن ابن عباس.

والخامس: ما كانوا يتواصلون به من الكفر، فكان بها تقاطعهم، عن الأصم.

السادس: المنازل التي كانت لهم من الدنيا، عن الضحاك والربيع بن أنس.

السابع: أسباب النجاة تقطعت بهم، عن أبي علي.

قال القاضي: والظاهر دخول الكل فيه؛ لأنه كالنفي، فيعم الكل، فكأنه قيل: وزال عنهم كل سبب يمكن أن يتعلق به حتى لا ينتفعوا بالأسباب على اختلافها من منزلة ونسب وسبب وحلف وعقد وعهد على ما كانوا ينتفعون به في الدنيا، وذلك نهاية في الإياس، وقيل: معنى «**بِهِمُ**» عنهم «**وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا**» يعني الأتباع للقادة «**لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً**» أي عودة ورجعة إلى دار الدنيا وحال التكليف، وهذا تَمَنٍّ منهم «**فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ**» يعني من القادة في الدنيا «**كَمَا تَبَرَّؤُوا مِنَّا**» في القيامة.

ويقال: الذين تمنوه هذا القدر أم غيره؟

قلنا: بل مفهوم الكلام أنهم تمنوا لهم في الدنيا ما يقارب العذاب، فيتبرؤون منهم، ولا يُخَلِّصُونَهم بنصرة كما فعلوا هم يوم القيامة، وتقديره: فلو أن لنا كرة فنتبرأ منهم، وقد دهمهم مثل هذا الخطب كما تبرأوا منا والحال هذه؛ لأنهم لو تبرؤوا مع السلامة قلت فائدتُه.

«**كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهَمْ حَسَرَاتٍ**» فيه أربعة أقوال:

الأول: الطاعات لِمَ ضيعوها؟، عن عبد الله والسدي وأبي القاسم، كما يقال: جد في عملك يعني ما هو أولى بك.

الثاني: المعاصي وأعمالهم الخبيثة، عن الربيع وابن زيد وأبي علي وأبي القاسم، يتحسرون لَمِ عملوها؟.

الثالث: ثواب طاعاتهم، يعني ما عملوا من خير حيث أحبطوه بالكفر، عن الأصم.

الرابع: أعمالهم التي تقربوا بها إلى رؤسائهم من تعظيمهم والائتمار لأمرهم، والظاهر أن المراد الأعمال التي فيها اتبعوا القادة وهو كفرهم ومعاصيهم، وإنما تكون حسرة بأن رأوها في صحفهم، وأيقنوا بالجزاء عليها، وكان يمكنهم تركها والعدول إلى الطاعات، وفي هذا الوجه الإضافة حقيقة؛ لأنهم عملوها، وفي الثاني مجاز بمعنى لزمهم، فلم يقوموا به «**وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ**» يعني مخلدون فيها، ولا ينقطع العذاب بموت وغيره.

الأحكام

الآية تدل على بطلان التقليد بما حصل بين المتبوع والأتباع من التبري.

وتدل على الخلود في النار فيبطل قول جهم. وأكثر المفسرين على أن الآية واردة في الكفار، عن ابن عباس وغيره، ولولا ذلك لكان الظاهر يجمع الكفار والفساق وأهل البدع خصوصًا علماء السوء حيث يدعون إلى الاعتقادات الفاسدة.

وتدل على أنه كان لهم قدرة التبري منهم لولا ذلك لما صح تحسرهم، كما لا يتحسر الإنسان على ترك صعود السماء.

وتدل على أن التبري فعلهم؛ لذلك أضافوا إلى أنفسهم.

وتدل على أن أهل الضلال يتبرأ بعضهم من بعض، وفيه تحذير من اتباعهم والاتكال في الدين على الغير، وتنبيه على أن الواجب اتباع الأدلة ليأمن العقوبة.

قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر وابن عامر والكسائي وأحد الروايتين عن ابن كثير وحفص عن عاصم: «**خُطُوات**» بضم الخاء والطاء على التثقيل، وقرأ نافع وأبو عمرو وحمزة وأبو زيد عن عاصم وابن كثير بسكون الطاء على التخفيف(١)، وعن سلام القاري بضم الخاء والطاء وهمزة بعد الطاء(٢)، وعن عبيد بن عمير بفتح الخاء والطاء، فأما من خفف فَبَقَّاهُ على الأصل وطلب الخفة؛ لأنها جمع خُطْوة ساكنة للطاء، ومن ضم الطاء فلاتباع ضمة الخاء، وكل ما كان على «**فُعْلَةٍ**» فالأكثر في جمعه التثقيل كظُلْمة وظُلُمَات، وقُرْبُة وقُرُبات وحُجْرة وحُجُرات، ومن ضم الخاء والطاء مع الهمز قال الأخفش: ذهب بها مذهب الخطيئة، فجعل ذلك على زنة «**فَعِيلة**» من الخطأ، وقال أبو حاتم: أرادوا إشباع الضمة في الواو، فانقلبت همزة، ومن فتح الخاء والطاء فهو جمع خَطْوَة، مثل تَمْرة وتَمَرَات.

(١) حجة القراءات ١٢٠.

(٢) لسان العرب (خط).

۞ اللغة

الحلال: نقيض الحرام ونظيره المباح، وأصل الحَلِّ نقض العقد، فالحلال المباح لانحلال عقدة الحظر عنه.

والطيب: نقيض الخبيث، وأصله الخلوص من الشوائب الذي تنغصها، ثم يستعمل على ثلاثة أوجه: الطيب: المستلذ، والطيب: الحلال الجائز، والطيب: الطاهر، والأصل فيه المستلذ.

والأكل: الابتلاع عن مضغ.

والخطوة أصله من الخطو، وهو نقل القدم، والجمع الخُطا، فخطوات الشيطان: آثاره أخذ من ذلك، فأما الخَطْوة بالفتح، فهو المرة منه.

۞ النزول

روي عن ابن عباس أنها نزلت فيما حرموا على أنفسهم من الزرع والأنعام، وقيل: كان ذلك في ثقيف وبني عامر بن صعصعة وخزاعة وبني مدلج وبني عبد مناف، عن الحسن، وفيما حرم أهل الجاهلية البحيرة والسايبة والوصيلة أنزل الله تعالى هذه الآية[(١)] .

۞ المعنى

لما بَيَّنَ تعالى التوحيد وما لأهله من الثواب وذكر الشرك وما لأهله من العقاب أتبع ذلك بذكر نعمه على الفريقين وإحسانه إليهم ليعلم أن نعمه سابغة على الكل، ثم نهى عن اتباع الشيطان لما فيه من كفر النعمة، فقال تعالى: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**» وهذا خطاب عام لجميع المكلفين من بني آدم «**كُلُوا**» صيغته أمر، ومعناه الإباحة، ولما أباح الأكل بَيَّنَ ما يجب أن يكون عليه من الصفة؛ لأن فيه ما يحرم، وفيه ما يحل، والأول يعقب الهلكة، والثاني يقوي على العبادة فقال تعالى: «**حَلَالاً طَيِّبًا**» وإنما يكون حلالاً

---

(١) العجاب في بيان الأسباب ١/٤١٦.

بألا يكون عين المال وجنسه مما تناوله الحظر كالميتة والدم، وألا يكون لغير الآكل فيه حق يمنع من أكله، وأما الطيب فقيل: هو الحلال، عن الأصم وأبي مسلم. وقيل: هو المستلذ، وهو الأوجه؛ لكيلا يكون معنى اللفظين واحدًا «**وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيطَانِ**» قيل: أعماله، عن ابن عباس. وقيل: خطاياه، عن مجاهد وقتادة. وقيل: طاعتكم إياه، عن السدي. وقيل: آثاره، عن الخليل. وقيل: ما يتخطى به إليكم بالأمر والترغيب، عن أبي علي. وقيل: النذور في المعاصي،عن أبي مِجْلَز. وقيل: ما يزين لكم من الحرام، عن أبي القاسم. وقيل: لا تطيعوه ولا تقتدوا به كما يقال: فلان تَقَفَّى فلانا، قال القاضي: والمراد به وساوسه وخواطره «**إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**» يعني: ظاهر العداوة، يبذل جهده في العدول بكم عن طريق الرشد.

۞ الأحكام

الآية تدل على حظر الحرام؛ لأنه لما أذن في الحلال كان ذلك منعًا من الحرام.

وتدل على إباحة المأكل إلا ما قام الدليل على حظره، فجاءت الآية مؤكدة لما في العقل؛ لأن الأشياء في الأصل على الإباحة عقلاً.

وتدل على المنع عن اتباع من يدعو إلى الضلالة، وفيه إيجاب النظر ليعرف الحق والباطل وأهلهما.

قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾

۞ اللغة

الأمر هو قول القائل لمن دونه: «**اِفْعَلْ**»، إذا أراد الأمر المأمور به، ثم يستعمل صيغته في الإباحة والدعاء والتهديد، ويختلف ذلك باختلاف الإرادة، وقيل: الأمر هو الدعاء إلى الفعل بصيغة «**افعلْ**».

والسوء: الفعل الذي يزجر عنه العقل، والأصل فيه نفور النفس عن الشيء، يقال: ساءني كذا، يسوءني.

والفحشاء: الفاحشة، وهي القبيحة، ونقيضه الحسنة، والفحشاء مصدر، نحو: ضَرٌّ وشر.

۞ المعنى

لما تقدم ذكر الشيطان وعداوته بَيَّنَما يدعو إليه فقال تعالى: «**إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ**» قيل: المعاصي، عن السدي وقتادة، وقيل: ما يسوء الفاعل يعني عواقبه، «**وَالْفَحْشَاءِ**» قيل: الزنا، عن السدي، وقيل: السوء ما لا حد فيه، والفحشاء ما فيه حد،عن ابن عباس، «**وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**» قيل: هو دعواهم له الأولاد والأنداد ونسبتهم إليه الفواحش، عن أبي مسلم، وقيل: أراد به جميع المذاهب الفاسدة، وقيل: إنه تعالى لم يُفَصِّل ما يدعو إليه الشيطان من أنواع المعاصي؛ لأن ما يتصل بالمذاهب والاعتقادات دخل تحت قوله: «**وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**» وجميع أفعال الجوارح دخل تحت قوله: (السوء)، ودخل تحت قوله: (الفحشاء) جميع الكبائر.

ويقول: إذا كنا لا نشاهد الشيطان ولا نسمع كلامه، فكيف يدعو؟

قلنا: نجد وسوسته في أنفسنا في الأمر بالمعاصي والتزيين والترغيب؛ ولذلك أمر تعالى بمجانبة المعاصي، وألا نلتفت إلى ترغيبه، ونَحْذَرَه لعداوته.

ويقال: يجب أن يكون الشيطان عارفًا بالله تعالى والحق والباطل، والحلال والحرام، والمذهب حتى يدعو إليها.

قلنا: اختلفوا، فقيل: إنه عالم بجميع ذلك، ولكنه معاند، وقيل: يصح أن يكون في بعض ذلك مقلدًا فيدعو إليه وإن لم يكن عارفًا به، وقيل: يجوز أن يعلم من حال الملائكة معاداتهم للكفار، فيعلم عند ذلك بطلان تلك الاعتقادات فيدعو إليها.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن الشيطان يوسوس، وأنه لا يقدر على ما سوى ذلك.

وتدل على أن الوسوسة فعله؛ لذلك أضافها إليه وحذرنا منه وذمه، ولو كان خلقًا له لما صح ذلك، وكذلك يدل قوله: «**وَأَنْ تَقُولُوا**».

وتدل على بطلان قول أصحاب المعارف؛ لأن قوله: «**مَا لاَ تَعْلَمُونَ**» نص في الباب.

واستدل بعضهم بالآية على نفي القياس، وذلك يبعد؛ لأنا عَلِمْنَا صحته بما دللنا عليه وموضعه وصفته، فقد قلنا ما يعلم صحته، وقيل: إن الآية وردت فيما يتصل بالتوحيد والعدل ولا وجه لما قال.

ومتى قيل: أي فائدة في الإخبارعن عداوته وما يأمر به؟

قلنا: فوائد كثيرة:

منها: كي نحاربه بفعل الطاعات وترك المعاصي.

ومنها: أنه إذا دعا إلى الشُّبه والحرام دعاه علمه بعداوته إلى النظر في الأدلة والتحرز، والتمييز بين الحلال والحرام.

ومنها: إذا علم عداوته تجنب دعوته وترك اتباعه.

ومنها: أنه إذا علم عداوته وقابل دعوته أوامر الله تعالى مع محبته لعباده اتبع أوامره، وطلب مرضاته دون من صحت عداوته.

ومتى قيل: فما معنى التخلية بينه وبين العباد حتى يوسوس إليهم؟ وهل يضل بسببه أحد؟

قلنا: أما التخلية فلما علم تعالى من المصلحة للمكلفين، وهي زيادة في التكليف واختبرهم به، فأما الضلال فقال أبو علي: لا يضل أحد بوسوسته إلا ولو فقدها لضلّ[(١)] أيضًا حتى لو علم تعالى أنه لولاه لم يضل لمنعه منه، ولما خلى بينهما، وأما أبو هاشم فيقول: يجوز أن يضل بسببه أحد لولاه لما ضل، ويقول: إنه كزيادة الشهوة، فإذا خالفه عظم ثوابه.

قوله تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

---

(١) لضل: ولولاه لضل، د، ز، ف.

۞ القراءة

يدغم الكسائي[1] لام هل وبل في ثمانية أحرف الياء؛ كقوله: ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية:١٦][2] والنون ﴿بَلْ نَتَّبِعُ﴾ [البقرة: ١٧٠] والثاء ﴿هَلْ ثُوِّبَ﴾ [المطففين: ٣٦] والسين: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾ [يوسف: ١٨] والزاي ﴿بَلْ زُيِّنَ﴾ [الرعد: ٣٣] والضاد ﴿بَلْ ضَلُّواْ﴾ [الأحقاف: ٢٨] والظاء: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ﴾ [الفتح: ١٢] والطاء: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١٥٥] وأكثر القراء على الإظهار، ومنهم من يوافقه في البعض، والإظهار هو الأصل، وعلته أنها ساكنة أصلاً، وسائر اللامات تسكن لعلة، فإذا زالت العلة زال سكونها، نحو قوله: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٢٣١].

۞ اللغة

الاتباع: طلب الاتفاق في المقال والفعال، يقال: تبع فلانا إذا وافقه في ذلك.

وألفينا: صادفنا ووجدنا.

والأب: من وُلِدَ الولد على فراشه. وقيل: من خلق من نطفته وولد على فراشه.

والعقل علوم ضرورية بها يتمكن من الاستدلال والاهتداء.

۞ الإعراب

يقال: في «أولو» أي واو هذه؟

قلنا: واو العطف دخلت عليها ألف الاستفهام المنقولة إلى معنى التوبيخ والتقريع، فهي ألف توبيخ، مخرجها مخرج الاستفهام.

۞ النزول

روى عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ دعا اليهود إلى الإسلام فقال له رافع بن

---

(١) حجة القراءات١٢١.

(٢) وهي قراءة أبي عمرو في قوله تعالى «بل تؤثرون» انظر: حجة القراءات ٧٥٩.

خارجة ومالك بن عوف: بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا، فهم كانوا أعلم منا، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1] . وروى الضحاك عن ابن عباس أنها نزلت في كفار قريش.

النظم

قيل في اتصال الآية بما قبلها وجهان:

أحدهما: أنه إخبار عن الكفار الذين تقدم ذكرهم، ثم منهم من قال: إنهم اليهود، ومنهم من قال بأنهم المشركون، ومنهم من قال: إنهم الذين حرموا فخوطبوا: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ» فبين أن طريقهم التقليد لا العلم.

الثاني: أنه لما بَيَّنَ عداوة الشيطان ونهى عن اتباعه بين أن الكفار يتبعون آباءهم عدولاً عن النظر وطلبًا للإلف، كما يتبعون الشيطان عند دعائه إلى الشُّبَه، فلما حذر من أحد الأمرين حذر من الآخر.

المعنى

«**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ**» اختلفوا في الضمير في قوله: «**لَهُمُ**» على ثلاثة أقوال: فقيل: يعود على مَنْ في قوله: «**مَنْ يَتَّخِذُمِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا**» وهم مشركو العرب وقد سبق ذكرهم، وقيل: على الناس في قوله: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**» فعدل عن المخاطبة إلى المعاينة للتصرف في الكلام، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ [يونس:٢٢]، وقيل: يعود على الكفار من اليهود وغيرهم، وقد جرى ذكرهم، والضمير قد يعود على المعلوم كما يعود على المذكور، والقائل النبي ﷺ والمسلمون «**اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ**» قيل: القرآن وشرائع الإسلام، وقيل: في التحريم والتحليل «**قَالُوا**» يعني الكفار «**بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا**» وجدنا «**عَلَيْهِ آبَاءَنَا**» من عبادة الأصنام، فالخطاب للمشركين، وقيل: في التمسك باليهودية فيكون خطابًا لليهود. وقيل: من تحريم الحرث والأنعام «**أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا**» أي لا يعلمون شيئًا من أمور الدين «**وَلاَ يَهْتَدُونَ**» أي لا يصيبون طريقة الحق، واختلفوا في وصفهم بذلك، فقيل: هو على النفي، عن أبي

(١) العجاب في بيان الأسباب ١/ ٤١٧.

علي، أي لا ينظرون ولا يعلمون ما لزمهم معرفته. وقيل: هو على جهة الذم، كما يقال: فلان أعمى القلب، عن أبي القاسم.

ويقال: كيف الاحتجاج بهذا عليهم؟

قلنا: معناه أكنتم تتبعونهم وإن ظهر لكم أنهم لا يعقلون شيئًامن أمور الدين ولا يهتدون إلى الحق أم كنتم تنصرفون عن اتباعهم إن وجب الانصراف؟ فوجب في الاتباع أن يعلم أولاً أنهم على حق أم لا فيجب إذًا اتباع الدليل دون هؤلاء.

ويقال: في قوله: «**لاَ يَعْقِلُونَ**» هو عام.

قلنا: لا، بل المراد به الخصوص، يعني لا يعقلون من أمر الدين شيئًا، ولا يهتدون إلى حق.

۞ الأحكام

تدل الآية على بطلان التقليد؛ لأنه ليس بطريق إلى المعرفة؛ إذ ليس تقليد بعضهم أولى من بعض.

وتدل على جواز النظر والحجاج في الدين؛ لأن قوله: «**اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ**» أولاً، ثم قوله: «**أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ**» طريقةُ الحجاج، نبه بذلك على أن المعتبر الحجة دون اتباع الأشخاص.

وتدل على بطلان قول أصحاب المعارف؛ لأنه يدل على أنهم كانوا على ضلال في الاعتقاد، عن أبي علي.

قوله تعالى:

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾

۞ اللغة

نَعَقَ الراعي بالغنم يَنْعِقُ: إذا صاح بها، ونعق الغراب: إذا صوت.

والنداء والدعاء نظيران، يقال: ناداه أو دعاه بأرفع صوته كقولك: يا زيد.

والدعاء: طلب الفعل من المدعو، ونظيره الأمر، والفرق بينهما يظهر بالرتبة، فالأمر هو قول القائل لمن دونه: افعل، والدعاء لمن فوقه.

والصمم والبكم والعمى آفات تمنع الإدراك بهذه الحواس.

۞ الإعراب

«صُمٌّ» رفع على الاستئناف، أي هم صم، وأجاز الفراء النصب في العربية على الذم.

۞ النزول

عن عطاء أنها نزلت في اليهود[1] .

۞ المعنى

لما تقدم ذكر الكفار وأنهم دُعُوا إلى الإسلام فلم يجيبوا، وركنوا إلى التقليد ضرب لهم مثلاً، فقال تعالى: «**وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا**» قيل: صفتهم، وقيل: شبههم «**كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ**» يصوت «**بِمَا لاَ يَسْمَعُ**» من البهائم «**إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً**» يعني صياحًا من دون معرفة معناه، واختلفوا في تقدير الكلام، وتأويل الآية على وجوه أربعة:

الأول: مثل الذين كفروا في دعائك إياهم كمثل الناعق في دعائه المنعوقَ به من البهائم التي لا تفهم كالإبل والبقر والغنم، فحذف لدلالة الكلام عليه، والحذف في مثله حسن كقولهم: إنهم كالحمار أي في سوء الفهم وعدم الفهم وكالأسد في القوة، وهذا أحسن في البيان، عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والربيع، وهو معنى قول أبي علي.

الثاني: مثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم من الأوثان كمثل الناعق في دعائه ما

---

(١) العجاب في بيان الأسباب ١/ ٤١٨.

لا يسمع بـ (تَعَالَ) وما يجري مجراه من الكلام والبهائم لا تفهم، فشبه الأصنام في أنها لا تفهم بها، فإذا كان لا يشكل أن من دعا بهيمة عد جاهلاً، فمن دعا حجرًا أولى بالذم والجهل، حكاه أبو القاسم وغيره.

الثالث: ومثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم كمثل الناعق في دعائه الصدى في الجبل وغيره أنه لا يسمع منه إلا دعاء ونداء، وذلك أنه إذا قال: «يا زيد» سمع مِن الصدى «يا زيد»، وليس وراء هذا القول شيء، إلا أنه يخيل أنه يجيبه مجيب، وليس فيه فائدة كذلك يخيل إلى هؤلاء المشركين أن دعاءهم الأصنام يستجاب، وليس لذلك حقيقة ولا فيه فائدة، عن أبي زيد.

الرابع: مثل الذين كفروا في قلة تفهمهم وعقلهم كمثل الراعي يكلم البهائم، وهي لا تعقل، وهذا لا يحتاج إلى تقدير محذوف، وعلى الوجوه الأخر لا بد من محذوف.

ويقال: كم وجهًا في تقدير المحذوف؟

قلنا: ثلاثة أوجه:

أولها: مثل الذين كفروا في دعائك إياهم كمثل الناعق في دعائه المنعوقَ به.

الثاني: مثل وعظ الذين كفروا كمثل الناعق، فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه.

الثالث: مثل الذين كفروا في دعائهم الأصنامَ كمثل الناعق في دعائه الأنعام.

ويقال: إذا كان مثل الذين كفروا مثل المنعوق به وهو مشبه به، فهلا قوبل به؟

قلنا: قال الفراء والكسائي: إنه مجرى المقلوب، وهو أن توضع كلمة مكان كلمة، قال أبو القاسم: وقع المعنى على المنعوق به واللفظ على الناعق، فكأنه قيل: كمثل الغنم الذي لا تسمع الذي ينعق بها راعيها، وهذا كما يقال: أدخلت القلنسوة الرأس، وإنما هو أدخلت الرأس في القلنسوة، وقيل: لأن الكلام يتضمن تشبيهين: الداعي إلى الإيمان بالراعي، والكفار المدعوين بالأنعام، وأريد الإيجاز، فحذف ما حذف، وبقي ما يدل على ما حذف، فأبقى في الأول ذكر المدعو، وفي الثاني ذكر

الداعي، ثم وصفهم بما يجري مجرى التوبيخ، فقال تعالى: «صُمٌّ» يعني عن استماع الحجة «بُكْمٌ» عن التكلم بالحق «عُمْيٌ» عن الإبصار لها، عن ابن عباس وقتادة والسدي، وهذا على التشبيه يعني لما لم يسمعوا الحق، ولم يتكلموا به، ولم يبصروا الأدلة ساروا بمنزلة من لا يبصر ولا يسمع ولا يتكلم كقول الشاعر:

أَصَمُّ عَمَّا سَاءَهُ سَمِيعُ[1]

وقال آخر:

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا وَلَكِنْ لاَ حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي[2]

ويحتمل أنهم على هذه الصفة يوم القيامة كقوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧].

«فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ» قيل: لا يعلمون الحق، وقيل: هم بمنزلة من لا عقل له إذ لم ينتفعوا بعقولهم.

۞ الأحكام

قال أبو علي: الآية تدل على بطلان قول أصحاب المعارف؛ لأنهم لو كانوا عالمين بصحة الدين ضرورة لم يستحقوا هذه الصفة.

وتدل على أن من لا يقبل قول الواعظ الداعي كأنه بمنزلة البهيمة التي لا تعقل.

قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾

---

(١) هذا مثل يضرب لمن يسمع الحسن ويتغافل عن القبيح ويتصامم، وهو فعل الرجل الكريم. انظره في جمهرة الأمثال ١/ ١٠ لأبي هلال العسكري، دار القمر - ط٢ - ١٩٨٨م. ت محمد ابو الفضل إبراهيم، ومجمع الأمثال ١/ ٤٠٢ للنيسابوري، دار المعرفة - بيروت - ت محمد محيي الدين.

(٢) لبشار بن برد، مجمع الأمثال ٢/ ٢٠٦.

۞ اللغة

الشكر: إظهار النعمة مع القيام بحقها، قال أبو علي: وهو على وجهين:

اعتراف بالنعمة في القلب وترك الكفر به بالقلب والجوارح وذلك واجب على كل أحد.

الثاني: ما يفعله من تعظيم المنعم ومدحه لمكان نعمته، فالأول واجب بكل حال، والثاني يلزم في الحالة التي يحتاج إلى القيام بالحق، فأما باللسان فقد يجب عند التهمة، وضد الشكر: الكفر.

والعبادة: خضوع وتذلل ليس لها نهاية، ولا يستحقها إلا الله تعالى.

۞ المعنى

ثم خاطب تعالى المؤمنين وذكَّرهم نعمه عليهم، فقال تعالى: «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**» قيل: صدقوا، عن الضحاك، وقيل: صاروا مؤمنين بفعل ما أمروا به وترك ما نهوا عنه «**كُلُوا**» قيل: إنه إباحة وإن كان صيغته الأمر؛ لأن تناول المشتهى لا يدخل في التعبد، عن القاضي، وقيل: إنه أمر من وجهين: أحدهما أن يأكل الحلال، والثاني أن يأكلوا وقت الحاجة دفعًا للضرر عن النفس، قال القاضي: وهذا مما يعرض في بعض الأوقات، والآية غير مقصورة عليه، فيحمل على الإباحة «**مِنْ طَيِّبَاتِ**» قيل: مما يستلذ ويشتهى مما رزقناكم، وقيل: من حلال ما رزقناكم، قال: ومعناه مما حَكَمَ أنه رزقكم دون ما هو لغيركم ولم يرد إثبات رزق ليس بطيب، ونظيره قوله: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٦٠] لا يدل على أن شيئًا ليس من رزق الله، عن أبي القاسم، والأول أوجه، قال القاضي: لأن الرزق لا يكون إلا حلالاً فوجب حمل الطيبات على ما هو أخص، ولكيلا يؤدي إلى التكرار «**رَزَقْنَاكُمْ**» أعطيناكم «**وَاشْكُرُوا**» أمر بالشكر، وذلك يكون بالقلب واللسان، فأما أفعال الجوارح فقيل: إنه مِنْ شكر النعمة كالعبادات، عن أبي مسلم، وقيل: إنه سمي شكرًا على وجه التشبيه من حيث إنه يجب لمكان النعمة العظيمة فَعُدَّ من الشكر في عرف الشرع، لا من حيث اللغة «**إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**» يعني إن كنتم عارفين به وبنعمه؛ لأن المتمسك بعبادته وحده هو

الذي عرفه، وتقديره: إن كنتم إياه تعبدون عن علم بكونه منعمًا إلهًا، وقيل: إن كنتم مخلصين له في العبادة.

فإن قيل: أفيجب الشكر بهذا الشرط أم يجب على الكافر والفاسق؟

قلنا: يجب على الجميع، وإنما ذكر هذا الشرط؛ لأن الشكر عنده يصح، ولولاه لما صح، والشرط قد يدخل في الأداء كما يدخل في الوجوب، كالطهارة في الصلاة.

۞ الأحكام

الآية تدل على إباحة المأكولات إلا ما دل الدليل على الحظر.

وتدل على وجوب شكر النعمة.

قال شيخنا أبو القاسم: وتدل على النهي عن أكل الخبيث، كأنه قيل: كلوا من الطيب دون الخبيث.

قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾

۞ القراءة

القراءة الظاهرة: «حَرّم» بفتح الحاء والراء على أنه فعل ماض مضاف إلى الله تعالى «الميتة» نصب لأنه مفعول، وعن السلمي «حَرُمَ» بالتخفيف وضم الراء «الميتة» رفع على إضافة الفعل إليه، وعن أبي جعفر القاري «حُرِّمَ» بضم الحاء وكسر الراء والتشديد و«الميتة» رفع على أن (ما) اسم إنّ وما بعده خبر، وحرم على ما لم يسم فاعله[1].

وقرأ أبو جعفر: «الميتة» مشددة في جميع القرآن، وخففها ابن كثير وأبو عمرو

---

(١) التبيان في إعراب القرآن ١/ ٧٦للعكبري، دار إحياء الكتب العربية، ت: علي محمد البجاوي.

وابن عامر وأبو عمر عن عاصم كل القرآن، فأما نافع وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم في بعضها بالتخفيف وبعضها بالتشديد.

وقرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر والكسائي: «**فمن اضطر**» بضم النون والباقون بالكسر، فالضم للاتباع والكسر على أصل الحركة لالتقاء الساكنين، ولهم في نظائر ذلك اختلاف[1] .

اللغة

التحريم: ضد التحليل، وهو ما دخله الحظر، وأصله المنع.

والميت بالتخفيف والتثقيل بمعنى واحد، وقيل: بينهما فرق، قال أبو عمرو: ما كان قد مات فهو بالتخفيف، كقوله: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ﴾ [يونس: ٣١] وما لم يمت بالتثقيل كقوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ [الزمر: ٣٠]، ووجه ذلك أن التثقيل لما كان هو الأصل كان أقوى على التصريف، وقال غيره: المعنى واحد، وإنما التخفيف لثقل الياء والكسر، قال الشاعر:

إِنَّمَا الْمَيْتُ مَيِّتُ الأَحْيَاءِ[2]

فجمع بين اللغتين، وأصله مَيْوِتٌ؛ لأنه من الموت، أدغمت الواو في الياء.

والإهلال: التصويت، ومنه: استهل الصبي، والإهلال على الذبيحة: رفع الصوت بالتسمية.

والاضطرار: الضرورة، وهو فعل لا يمكن المفعول به الامتناع فيه.

والبغي: الطلب، ومنه: فلان باغٍ أي طالب.

والعادي: المعتدي.

---

(١) عجز البيت لعدي بن الرعلاء، وصدره: (ليس من مات فاستراح بميِّتٍ)، انظره في لسان العرب (موت)، وتاج العروس (موت)، والمصباح المنير (مات).

(٢) الأحرف السبعة ٤١ لأبي عمرو الداني، مكتبة المنار، مكة ـ ط١ ـ ١٤٠٨هـ، ت: د عبد المهيمن طحان، والسبعة في القراءات ١٧٤ لابن مجاهد، دار المعارف، القاهرة، ط٢ ـ ١٤٠٠هـ ـ ت: شوقي ضيف.

۞ الإعراب

نصب الميتة وما بعدها على ظاهر القراءة؛ لأنه مفعول، و(ما) كافة تمنع (إنّ) من العمل، ويجوز الرفع في العربية على أن (ما) بمعنى (الذي).

ويقال: لماذا صار «**إنما**» إثباتًا للشيء ونفيًا لما سواه؟

قلنا: لأنها لما كانت للتوكيد، ثم ضم إليها (ما) للتوكيد أيضًا وكّدت هي من جهة تحقيق الشيء، وأكدت (ما) من جهة نفي ما عداه.

۞ المعنى

لما ذكر تعالى إباحة الطيبات بين المحظورات، فقال تعالى: «**إِنَّمَا حَرَّمَ**» قيل: معناه ما حرم عليكم إلا الميتة، عن الزجاج. وقيل: إنه تأكيد فقط «**عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ**» وهو ما يموت من الحيوانات «**وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ**» وخص اللحم؛ لأنه المعظَّم والمقصود، وإلا فجملته محرمة «**وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ**» قيل: ذكر عليه غير اسم الله، عن الربيع وابن زيد وجماعة. وقيل: ما ذبح لغير الله، عن قتادة ومجاهد. «**فَمَنِ اضْطُرَّ**» قيل: ضرورة مجاعة عند الأكثر، وقيل: ضرورة إكراه، عن مجاهد. والأول: الوجه[(١)] ، وتقديره: فمن خاف على النفس من الجوع، ولا يجد مأكولاً يسد به الرمق فيكون مضطرًّا، وكما حرم تعالى هذه الأشياء مطلقًا استثنى حالة الاضطرار إزالةً للتوهم أنه لا يحل مع الضرورة.

ومتى قيل: هل يثبت تكليف علمه في أكله؟

قلنا: المضطر على وجهين: إن كان يشتهي الميتة فهو ملجأ إلى تناوله، وإن كان طبعه نافرا عنها يجب عليه تناولها حتى لو لم يتناول يأثم «**غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ**» فيه ثلاثة أقوال:

قيل: غير باغ اللذة أي طالب لها، ولا عاد متجاوز سد الجوعة، عن الحسن وقتادة والربيع ومجاهد وابن زيد.

---

(١) الوجه: أوجه؛ ف، و.

وقيل: غير باغ في الإفراط ولا عاد في التقصير، عن الزجاج.

وقيل: غير باغ على إمام المسلمين من البغي، ولا عاد بالمعصية أي مجاوزة طريقة المحقين واتباع غير سبيلهم، عن مجاهد وسعيد بن جبير.

والوجه[1] الأول؛ لوجوه:

منها: أنهم أجمعوا أن قتل النفس والتعريض للقتل لا يجوز، ولو لم يُبَحْ ذلك للمسافر، وإن كان في معصية لكان معرضًا نفسه للقتل.

ومنها: أن الرخصة لأجل المجاعة لا لأجل الحرج، فمتى وجد السبب وجد المسبب، وهو الحل.

ومنها: أن الذي تقدم ذكر الأكل دون السفر، والشرط كالاستثناء يتعلق بالمذكور، فقوله: «**غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ**» يجب أن يتعلق بالأكل.

ومنها: أن الرخصة للضرورة بدليل أن المقيم كالمسافر فيه، فوجب في الشرط أن يتعلق به.

ومنها: أن للعاصي دفع التلف عن نفسه بما أمكن كالمطيع، وكذلك في أكل الميتة.

ومنها: إذا كان له دفع ضرر العقاب عن نفسه بالتوبة كان له دفع الهلاك عن نفسه بالأكل.

ومنها: أجمعنا أن له أن يقتل الجمل الذي صال عليه دفعًا عن نفسه، كذلك أكل الميتة.

ومنها: أن أكثر المفسرين عليه.

ومتى قيل: كيف يصح البغي في الأكل؟

قلنا: إذا طلب التلذذ بالأكل فقد صار طالبًا ما ليس له، ولو وجد غيره فعدل إليه صار باغيًا، ولو تزود للمستقبل كان باغيًا في أكله، فأما كونه عاديًا فإذا تجاوز الحلال إلى الحرام فهو عادٍ، وإذا زاد على قدر الحاجة كان عاديًا.

«**فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ**» يعني لا حرج عليه فذكر هذا اللفظ ليبين أنه ليس بمباح في

---

(١) والوجه الأول: والأوجه الأول؛ د، ف، و.

الأصل، ولكن دفع الحرج لأجل الضرورة «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» قيل: يستر بالرخصة ما لولا الضرورة لكان منكشفًا ولِرَحْمَته جَوَّزَ تناوله. وقيل: غفور رحيم لمن كان يُحِلُّ ما حرم الله، أو حرم ما أحل الله، ثم تاب وتَلافَى رُحِمَ بقبول توبته. وقيل: غفور للناس رحيم بالمؤمنين.

۞ الأحكام

الآية تدل على تحريم هذه الأشياء، والتحريم والتحليل وإن كان لا يتعلق بالأعيان في الأصل، وإنما يتعلق بأفعالنا فبالعرف يقيد التصرف في العين، فإذا علق بها التحريم أفاد حظر التصرف.

وتدل على تحريم الميتة، وهي وإن كانت في اللغة عينا خرجت من كونها حية من دون قتل ونَقْضِ بِنْيَة فهو في الشرع اسم لما لا ذكاة حصلت فيه؛ ولذلك عد ذبيحة المجوس ميتًا وإن حصل الذبح، ولا تسميه أهل اللغة ميتة، والذي يقتضيه الظاهر تحريم الميت.

واختلفوا هل يدخل في قوله: «الميتة» اللحم أو ما سواه كشعرها وصوفها وعظمها، قال أبو حنيفة: لا يدخل؛ لأنه لم يكن فيه حياة، وقال الشافعي: يدخل لأنه كان ينمو بنمائه، فأما البيض فبالاتفاق لا يحرمه واللبن على الخلاف.

واختلفوا في الجلد إذا دبغ، فالأكثر على أنه يحل الانتفاع به، ومنهم من قال: لا يحل، وتفصيل ذلك موضعه كتب الفقه.

واختلفوا في الموت هل هو معنى أم لا؟، وقد مر ذلك.

وتدل الآية على تحريم الدم، ثم اختلفوا فقيل: المراد به الدم المسفوح؛ لأنه قال في موضع آخر: ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ [الأنعام: ١٤٥] وهو قول أصحاب أبي حنيفة، وقيل: هو عام في كل دم، وهو قول الشافعي، واختلفوا في دم السمك، فقال أصحابنا: طاهر لأنه مأكول بدمه، وقال الشافعي: نجس للظاهر.

وتدل على تحريم لحم الخنزير وهو حيوان معروف، ثم اختلفوا في خنزير الماء، فحرمه أصحابنا للظاهر، وأباحه الشافعي، ولا خلاف في نجاسته ونجاسة

سؤره ووجوب غسل الإناء منه، وإنما اختلفوا في شعره، فأباح استعماله جماعة وحَرَّمَ بعضهم.

وتدل على تحريم ما أُهِلَّ لغير الله، ولا شبهة أن المراد ما يظهر من اسم غير الله على الذبيحة وأنه يحرم. واختلفوا فيما يذبح لغير الله بالقلب ولا يظهر ذلك، فمنهم من يحرم وهو الأولى، ومنهم من لا يحرم.

واختلفوا في النصراني إذا ذبح لعيسى وسمى اسمه، فمنهم من حرم، والظاهر يدل عليه، ومنهم من لا يحرم، فأما إذا لم يعلم كيف ذبح فيحل عند جماعة الفقهاء إلا من حرم ذبيحة أهل الكتاب، وهو مذهب الهادي (عليه السلام).

واختلفوا في المسلم إذا ذبح على هذا الوجه فحكي عن سعيد بن جبير: أنه لا يحل، وهذا على التقدير؛ لأنه إذا فعل ذلك خرج من الإسلام كالساجد لغير الله.

وتدل على أن الضرورة تبيح هذه الأشياء ولا شبهة فيه، واختلفوا في مقدار ما يحل، فقيل: قدر ما يزيل الاضطرار، عن أصحاب أبي حنيفة، وقيل: له أن يشبع والأول أليق بالظاهر.

واختلفوا في المضطر في سفر المعصية فقيل: يترخص، عن أصحاب أبي حنيفة. وقيل: لا يترخص، وهو قول الشافعي، وقد بينا.

واختلفوا في المضطر إذا وجد جميع ما تقدم، وأكثر العلماء على أنه مُخَيَّرٌ، وهو الصحيح، ومنهم من يقول يتناول الميتة، ويجعل تحريم لحم الخنزير أغلظ، وهذا أقرب.

وتدل على أن المضطر إلى شيء إذا فعله لا إثم عليه، فيبطل الجبر؛ لأن العبد لو كان فعله مخلوقًا فيه لكان مضطرًّا ملجأ إليه، فكان لا يتوجه عليه الإثم، وهذا ظاهر.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤﴾

۞ اللغة

البطن خلاف الظَّهرْ، ومنه البطانة.

والاشتراء: الاستبدال.

والثمن: العوض المقابل للمثَمَّن.

والتزكية: التطهير.

۞ النزول

روي عن ابن عباس أنها نزلت في رؤساء اليهود(١) : كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب وكعب بن أسد وغيرهم، وكانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا، ويرجون كون النبي ﷺ منهم، فلما بعث من غيرهم خافوا زوال مأكلتهم، فغيروا صفة محمد لهم، وكتموا ما في التوراة، ففيهم أنزل الله تعالى هذه الآية.

وروى الضحاك عن ابن عباس: «أن الملوك كانوا يسألون اليهود قبل المبعث عن صفة محمد، فيحدثونهم، فلما بعث سألوهم: أهو هو؟ فأنكروا؛ طمعًا في مالهم، وقالوا: ليس هو ذاك، وأعطاهم الملوك الأموال، فنزلت هذه الآية».

۞ المعنى

عاد الكلام إلى ذكر مَنْ تقدم من اليهود، فقال تعالى: **«إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ»** قيل: صفة محمد وأمته، والبشارة به، عن ابن عباس وقتادة، والسدي والأصم وأبي علي وأبي مسلم. وقيل: كتموا الأحكام، عن الحسن **«مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ»**. **وقيل: ما أنزل في التوراة من صفة محمد. وقيل: في الأحكام «وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً»** يستبدلون به ثمنًا قليلاً، قيل: هو قليل في نفسه، وقيل: قليل بالإضافة إلى ما فيه من الضرر وفوت النفع، واختلفوا فيمن طمعوا فيه بهذا الثمن، فقيل: كبارهم، عن الأصم وأبي علي وأبي مسلم. وقيل: السفلة، عن ابن عباس. **«أُوْلَئِكَ»** يعني الذين كتموا ذلك «مَا

---

(١) العجاب في بيان الأسباب ١/ ٤١٩.

يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ». **وقيل: إن أكلهم في الدنيا وإن كان طيبًا في الحال فعاقبته النار، فوصف بذلك كقوله:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ١٠]، عن الحسن والربيع وأبي علي وجماعة من أهل العلم. وقيل: هم في الآخرة يأكلون النار لأكلهم في الدنيا الحرام، عن الأصم. وإنما ذكر البطن، وإن كان الآكلون لا يأكلون إلا في البطون لوجهين: قيل: ليعلم أن النار تكون في بطونهم، وقيل: تأكيدًا «**وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ**» قيل: لا يكلمهم بما يحبون وَيُسِرّهُم، وإن كان يكلمهم بالسؤال والتوبيخ وبما يغمهم، عن الحسن وأبي علي. وقيل: لا يكلمهم أصلاً، وهو كناية عن غضبه عليهم، ثم السؤال يقع من الملائكة بأمره تعالى «**وَلاَ يُزَكِّيهِمْ**» قيل: لا ينسبهم إلى التزكية، ولا يثني عليهم، وقيل: لا يقبل عنهم أعمالهم كما تقبل أعمال الأزكياء. وقيل: إنه يرجع إلى ما تقدم، يعني لا يكلمهم بما يزكيهم من الوصف الجميل والثناء الحسن «**وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**» أي موجع مؤلم.

۞ الأحكام

الآية تدل على تحريم كتمان كل علم في باب الدين، ووجوب إظهاره في وقت الحاجة، واختلفوا في كتمانهم فقيل: حرفوا التأويل دون التنزيل كما تفعله المشبهة والمجبرة في القرآن؛ لأن تحريف التنزيل من التوراة يَبْعُدُ، عن أبي علي. وقيل: كتموا التنزيل، وكانوا عددًا يجوز عليهم التواطؤ، ولم تكن التوراة في الفضل والإعجاز كالقرآن. وقيل: كانوا يفتون بأهوائهم فذمهم على ذلك.

وتدل على أن كاتم العلم يستحق العقاب، ويدخل فيه أصول الدين وفروعه، والفتيا[١]، والقضايا والشهادات، والتحديث وغيرها.

وتدل على أن أحكام الشرع لا يجوز الكلام فيها إلا بعد قيام الدليل.

---

(١) والفتيا: والفتوى، د، و.

قوله تعالى:
﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾﴾

اللغة

الصبر: حبس النفس على ما تكره، ومنه: قُتل فلان صبرًا، وقال أبو علي: ولا يجوز في صفة الله تعالى الصبور، وقال غيره: يجوز بمعنى الحليم توسعًا.

الإعراب

(ما) في قوله: «**فَمَا أَصْبَرَهُمْ**» قيل: (ما) التعجب، وقيل: (ما) الاستفهام الذي يراد به التوبيخ والتقريع.

المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى ذم من كتم الحق، فقال تعالى: «**أُوْلَئِكَ**» يعني من تقدم ذكرهم «**الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى**» يعني اختاروا الضلالة، وهي الكفر، والتمسك بالباطل، وعدلوا عن الحق، فصاروا بمنزلة من يشتري السلعة بالثمن، وهذا توسع؛ إذ ليس هناك بيع ولا[1] شراء، والمراد ما ذكرنا، واختلفوا فقيل: اختاروا الكفر بالنبي ﷺ بدلاً من[2] الإيمان به، وقيل: كتمان أمره مع علمهم به بدل الإظهار، وقيل: الضلال: العذاب، والهدى: الثواب وطريق الجنة، يعني استبدلوا النار بالجنة، والعذاب بالمغفرة، وقيل: إنه تأكيد لما تقدم، عن الأصم وأبي مسلم. وقيل: معناه أنهم مع معرفتهم بما أعد الله من العقاب لمن عصاه، وبما أعد لمن ترك معاصيه من الثواب، ثم أقاموا على ما هم عليه مصرين صاروا مشترين العذاب بالمغفرة، عن القاضي. وهذا هو الوجه؛ لأنه إذا أمكن حمله على زيادة فائدة كان أولى؛ فكان اشتراؤهم للضلالة بالهدى يرجع إلى عدولهم عن طريق العلم إلى طريق الجهل،

(١) لا: ـ، ز، ف.
(٢) بدلاً من: لا من، د، ز.

واشتراؤهم العذاب بالمغفرة يرجع به إلى قصدهم ما يوجب النار، وتركهم ما يوجب الجنة، وقيل: العذاب بالمغفرة يعني استمروا، وتركوا التوبة التي تؤدي إلى المغفرة، واختاروا الإصرار، وهذه أيضًا فائدة جديدة «فَمَا أَصْبَرَهُمْ» قيل: هو استفهام والمراد به التوبيخ، أي كيف يصبرون، عن ابن عباس وابن جريج وابن زيد والسدي. وقيل: تعجيب منه تعالى للسامع بحالهم، عن الحسن وقتادة ومجاهد. يعني عجبًا من جرأتهم على النار مع معرفتهم بشدتها[١]؛ لأنه لا يكاد يقال فيمن أقدم على عمل بشبهة[٢] وتأويل، فلما كانت اليهود أنكروا نبوته مع العلم صح ذلك فيهم، والتعجب لا يجوز على الله تعالى، وإنما هو على وجهين أحدهما: تعجبوا ممن هذا حاله، والثاني: أنهم حكوا فعل[٣] من يتعجب منه، فالتعجب لنا منهم، واختلفوا في قوله: «فَمَا أَصْبَرَهُمْ» قيل: في الآخرة، وإنهم يصبرون لليأس من الخلاص، عن الأصم، وقيل: إنه في الدنيا ثم اختلفوا في معناه على أقوال، قيل: ما أجرأهم «عَلَى النَّارِ» أي على العمل المؤدي إليها، عن الحسن وقتادة والربيع، وهذه لغة إيمانية اشتق من الصبر الذي هو حبس النفس؛ لأنه بالجرأة يصبر على الشدة، وقيل: ما أَعْمَلَهم بأعمال أهل النار، عن مجاهد. مأخوذ من الصبر كأنهم[٤] حبسوا أنفسهم على عمل أهل النار. وقيل: ما أصبرهم على النار أي حبسهم عليها، عن الفراء. وقيل: ما أبقاهم على النار، كقوله: ما أصبرهم على الحبس!، حكاه الزجاج. وقيل: ما أدومهم على النار، عن الكسائي وقطرب. كأنه قيل: ما أدومهم على عمل أهل النار، كقولهم: ما أشبه سخاك بحاتم؛ أي بسخاء حاتم، وقيل: ما الذي جرأهم وصبرهم حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل؟، عن ابن عباس والحسن وعطاء وابن زيد.

۞ الأحكام

الآية تدل على عقاب من كتم حقًّا يجب إظهاره لغرض من الدنيا، وفيها تنبيه على أنه لا ينبغي لأحد أن يقدم على عمل أهل النار، فإن الجرأة عليه ضلال عظيم.

---

(١) بشدتها: لشدتها، ف، و.

(٢) بشبهة: لشبهة، د، و.

(٣) حكوا فعل: حلوا محل، د، ز، و.

(٤) كأنهم: كانوا، د، ز، و.

وتدل على أنهم عرفوا وعاندوا؛ لأنه[1] ظاهر الاستدلال، وقوله: «فَمَا أَصْبَرَهُمْ» يقتضي ذلك.

قوله تعالى:
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾﴾

اللغة

الاختلاف: الذهاب على جهة التفرق، يقال: اختلفا في المكان وفي المذهب. قال أبو مسلم: «**اختلف**» من باب «**افتعل**» الذي يكون مكان «**فَعَلَ**» كقولهم: كسب واكتسب، وكتب واكتتب[2] ، ومعناه خَلَفُوا فيه، أي توارثوه وصاروا خَلَفًا فيه.

والشقاق: المباعدة.

الإعراب

يقال: «**ذلك**» إشارة إلى ماذا؟

قلنا: فيه ثلاثة أقوال:

الأول: الحكم بالنار والعذاب لهم، عن الحسن والأصم.

الثاني: ذلك العذاب.

الثالث: الضلال.

ويقال: أين خبر (ذلك)؟وما هو؟ وكم وجهًا يحتمل؟

قلنا: في تقدير الخبر ثلاثة أقوال:

الأول: قول الزجاج: ذلك الأمر، فحذف لدلالة ما تقدم عليه من الأمر الحق تقديره: ذلك الحق.

(١) لأنه: لأن؛ د، ز، ف، و.
(٢) وكتب واكتتب: ـ ، ف، و.

الثاني: ذلك معلوم بأن الله نزل الكتاب بالحق؛ لأنه قد أخبر أن ذلك معلوم لهم، والكتاب حق، عن الأخفش وأبي القاسم.

الثالث: ذلك العذاب لهم بأن الله نزل الكتاب[1] فكفروا به، فتكون الباء في موضع الخبر.

ويقال: ما موضع (ذلك) من الإعراب؟

قلنا: يحتمل الرفع على ما بَيَّنَّا من الوجوه، ويحتمل النصب على تقدير فعلنا ذلك؛ لأن في الكلام دليلاً على فعلنا.

ويقال: لِمَ[2] كسرت(إنَّ) الثانية؟

قلنا: لأنها للاستئناف.

۞ المعنى

لما بَيَّنَ تعالى ما أنزل بالكفار من العذاب بين مِنْ سببه ما يجري مجرى التعليل، فقال تعالى: «**ذلك**» يعني الذي حكم فيهم، وحل بهم «**بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ**» قيل: التوراة، عن الأصم وأبي علي وأبي مسلم. وقيل: القرآن، عن أبي علي «**بِالْحَقِّ**» قيل: بالصدق وقيل: ببيان الحق «**وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ**» قيل: هم الكفار أجمع، اختلفوا في القرآن فقال بعضهم: سحرٌ، وقال بعضهم: كلام تَقَوَّله، وقال بعضهم: علم، وقيل: هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى حرفوا وكتموا ومع ذلك اختلفوا، عن السدي، يعني: جحدت اليهود الإنجيل والقرآن، وقيل: اختلفوا، بمعنى خَلَفُوا يعني ورثوا التوراة عن أسلافهم «**لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ**» يعني في اختلاف شديد، قيل: فيه أقوال: قيل: بعيد عن الألفة بالاجتماع على الصواب، وقيل: بعيد في الشقاق لشهادة[3] كل واحد على صاحبه في الضلال، وقيل: في اختلاف شديد فيما يتصل بأحكام التوراة والإنجيل، وقيل: أراد به المشركين لمباينتهم لأهل الكتاب.

---

(١) بالحق لأنه قد. . . نزل الكتاب: ـ ، ف، و.

(٢) لم: ولم، د، ز، و.

(٣) لشهادة: بشهادة، د، ز، ف.

ويقال: هل في الآية حذف (فكفروا به)؟

قلنا: فيه قولان: من ذهب إلى أن المعنى: (ذلك العذاب بأن الله نزل الكتاب بالحق فكفروا به) جعله محذوفًا، ومن قال: المعنى ذلك الحق[1]، بدلالة أن الله نزل الكتاب بالحق، لم يجعله على الحذف.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن الوعيد إنما يلزم لمخالفة[2] الحق؛ لأن[3] من خالف الكتاب يستحق العذاب العظيم، وفيه ترغيب لمتابعة الكتاب، وإيثار الحق والقيام به، والتحذير من[4] كتمانه.

ومتى قيل: أليس عندكم المختلفون مصيبين؟

قلنا: ذلك في مسائل الاجتهاد، دون الأصول.

قوله تعالى:

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾

۞ القراءة

قرأ حمزة وحفص عن عاصم «لَيْسَ الْبِرَّ» بنصب الراء[5]، وقرأ الباقون بالرفع،

---

(١) الحق: الحكم، د، ز، ف، و.

(٢) لمخالفة: بمخالفة، ز، و.

(٣) لأن: وإن، د، ز، ف.

(٤) من: عن، ز، ف، و.

(٥) حجة القراءات ١٢٣.

أما الرفع فلأنه اسم (ليس)، وخبره في «**تولوا**»، وتقديره: ليس البر توليكم، وأما النصب فجعل (أن) وصلتها في موضع الرفع على اسم (ليس) تقديره: ليس توليكم وجوهكم البر كله، لقوله[1] ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾ [الجاثية: ٢٥] ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ﴾ [الحشر: ١٧] والاختيار الرفع؛ لأن (ليس) يتقدم اسمها قبل خبرها[2]، والفائدة في الخبر.

قرأ نافع وابن عامر «**ولكن**» خفيفة «**البر**» رفع[3]. وقرأ الباقون «**لكن**» مشددة «**البر**» نصب.

اللغة

البَرُّ: الواسع الإحسان، وهو البار، والبِرُّ: مصدر، وهو العطف والإحسان، والبر: الصدق، والبر: الإيمان والتقوى، وأصله من الاتساع، ومنه البَرُّ خلاف البحر لاتساعه.

والمسكين: الفقير، وجمعه مساكين، وأصله السكون ضد الحركة، كأن الفقر أسكنه، واختلف أهل اللغة والفقهاء أيهما أشد فقرًا؟ فقال أكثرهم: المسكين الذي لا شيء له، والفقير من له شيء، وهو قول يونس ويعقوب وابن دريد وجماعة من أئمة اللغة وقول أبي حنيفة وأصحابه، وقال بعضهم: الفقير الذي لا شيء له، والمسكين من له شيء، وهو قول ابن الأنباري والشافعي.

والسبيل: الطريق، وابن السبيل: هو المسافر، وسمي بذلك للزومه السبيل.

والرقاب: جمع رقبة، وهو أصل العتق، ويعبر به عن جميع البدن، يقال: عندي كذا رقبة، ومنه: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [النساء: ٩٢].

والبأساء: الشدة.

والضراء: المضرة، ويبنى على فَعْلاء وليس لهما أَفْعَلُ؛ لأن «**أفعل وفعلاء**» إنما

(١) لقوله: كقوله، ف، و.

(٢) يتقدم اسمها قبل خبرها: يقدم اسمه خبره، ز، ف، و.

(٣) حجة القراءات ١٢٣.

يجيء في الصفات والعيوب، يقال: أحمر وحمراء، وأعور وعوراء، فأما الأسماء التي ليست بصفات، فلا يجيء فيها ذلك.

۞ الإعراب

في رفع «الموفون»[1] قولان:

أحدهما: أنه عطف على محل (مَنْ آمن) تقديره: لكن البر[2] المؤمنون والموفون، عن الفراء والأخفش.

الثاني: رفع على المدح.

وفي نصب «**الصَّابرين**» أقوال:

أولها: أنه نصب على المدح، عن الخليل والفراء، والعرب تنصب على المدح وعلى الذم، كأنهم يريدون إفراد الممدوح والمذموم، فأما النصب ففي التنزيل: ﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾ [النساء: ١٦٢] قال الشاعر:

إلى المَلِكِ القَرْمِ وابنِ الهمام ... وليثِ الكتيبة في المُزْدَحَمْ[3]

وذا الرأي حين تَغُمُّ الأمور ... بذات الصَّلِيلِ وذات اللُّجُمْ

وأما[4] الذم فقوله تعالى: ﴿مَّلۡعُونِينَۖ﴾ [الأحزاب: ٦١].

الثاني: أنه عطف على «**ذَوي القُرْبى**» تقديره: آتى المال ذوي القُرْبَى والصابرين، عن الكسائي، وعلى هذا الوجه لا يجوز رفع «**المُوفُونَ**» إلا على المدح؛ لأنه لا يجوز بعد العطف على الموصول العطف على ما في الصلة.

---

(١) الموفون: الموفين، د، ز، ف.

(٢) البر: أكثر، ز، و.

(٣) القرم: السيد، والمزدحم: مكان الزحام، وذات الصليل: الأسلحة، وذات اللُّجم: الخيل. والبيت دون نسبة في الإنصاف ٤٦٩/٢، للأنباري، دار الفكر ـ دمشق. وشرح قطر الندى ٢٩٥، لابن هشام ـ القاهرة ـ ط٢ ـ ١٣٨٣م، ت: محمد محيي الدين.

(٤) وأما: فأما، د، ز، و.

الثالث: نصبه على تطاول الكلام؛ لأن من شأن العرب أن تغير الإعراب إذا طال الكلام، عن أبي عبيدة وأبي علي، وتقديره: أعني الصابرين.

۞ النزول

روي أنه لما حولت القبلة كثر الخوض في نسخها[1] ، وصار كأنه لا يراعى بطاعته الله إلا[2] التوجه للصلاة، وأكثر اليهود والنصارى ذكرها، وذكر الكعبة، فأنزل الله تعالى هذه الآية، عن أبي القاسم.

وعن قتادة أنها نزلت في اليهود، وعنه أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن البر، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وكان الرجل قَبْلَ الفرائض إذا أتى بالشهادتين، ثم مات يطمع له في الجنة، فلما هاجر وفرض الفرائض أنزل الله تعالى هذه الآية.

۞ المعنى

لما بَيَّنَ تعالى أمر القبلة وما أقدم عليه أهل الكتاب من كتمان أمرها وأمر الرسول بَيَّنَ تعالى أن للإيمان شرائط سوى التوجه إلى القبلة، فقال تعالى: «**لَيسَ الْبِرَّ**» فيه ثلاثة أقوال:

الأول: ليس الإيمان والتقوى، وذكر لفظ البر؛ لأنه كلمة مدح كقولهم: مؤمن، وبقي معناه، ومعناه[3] : ليس البر هذا ما لم تقارنه معرفة الله والتمسك بما ألزم، وإنما يكون برا مع غيره إذا فعل على وجه العبادة والقربة، عن القاضي.

والثاني: أنه خطاب لليهود والنصارى، يعني ليس البر ما أنتم عليه من التوجه إلى المغرب كما تفعله اليهود ولا التوجه إلى المشرق كما تفعله النصارى؛ لأن ذلك منسوخ، والتمسك بالمنسوخ ليس ببر «**وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ**» وفعل ما ذكر، عن قتادة والربيع ومقاتل والحسن وأبي علي وأبي القاسم.

---

(١) العجاب في بيان الأسباب١/ ٤٢١.

(٢) إلاَّ: إلى، د، ز.

(٣) ومعناه: ـ ، ف.

والثالث[1] : أنه خطاب للمؤمنين يعني: ليس كل البر في التوجه في الصلاة، والمراد ليس كل البر أن تصلوا، وإنما البر هذه الأعمال، عن ابن عباس ومجاهد والضحاك والأصم وأبي مسلم.

«وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ» في تقديره أربعة وجوه[2] :

الأول: لكن البر بر من آمن، واستغنى بذكر الأول عن الثاني، كقولهم: السخاء حاتم، والفقه أبو حنيفة، والشعر زهير، عن قطرب والفراء والزجاج وأبي علي.

الثاني: ولكن ذو[3] البر كقولهم: درجات أي ذو درجات، حكاه عن الزجاج.

والثالث: ولكن البر بر[4] من آمن بالله[5]، كقوله: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢] أي للمتقين، عن أبي عبيدة.

الرابع: ولكن البر بالإيمان؛ لأن (من آمن) لما وقع موقع المصدر جعل خبرًا للبر، كأنه قيل: ولكن البر بالإيمان، والعرب تجعل الاسم خبرًا للفعل كقولهم: إنما البِرُّ الصادق الذي يصل رحمه، عن المفضل، قال القاضي: والوجه الأول أحسن وأقرب إلى اتساق الكلام، فيكون معناه: ولكن البر الذي هو كل البر الذي يؤدي إلى الثواب من آمن بالله، قيل: الإيمان ببر التصديق ههنا؛ لأنه قيده بالله، ولأنه عطف عليه بالأفعال، ولا شبهة أنه أصل البر، ولا يصح شيء من خصال البر إلا به، ويدخل فيه جميع ما لا يتم معرفة الله إلا به كمعرفة حدث العالم وإثبات المحدث وصفاته الواجبة والجائزة، وما يستحيل عليه، ومعرفة أفعاله، وما يجوز عليه وما لا يجوز، وجميع ما يتصل به «وَالْيَوْمِ الآخِرِ» يعني يوم[6] القيامة سمي به لتأخره عن الدنيا، فيقر بالبعث والملائكة، والإيمان بهم أن يقر بأنهم عباد الله ورسله إلى أنبيائه، وأنهم

(١) والثالث: والثاني، د.
(٢) وجوه: أوجه، د، ز.
(٣) ذو: ذا، ز، و.
(٤) بر: ـ، د.
(٥) بالله: ـ، د.
(٦) يوم: ـ، د، ز.

معصومون «**وَالْكِتَابِ**» فيقر بجميع كتب[1] الله أنه منزل على أنبيائه «**وَالنَّبِيِّينَ**» يقر بأن الأنبياء كلهم رسل الله معصومون، ولا يفرق بينهم، ويؤمن بأن خاتمهم محمد ﷺ وأن شريعته تَجُبُّ جميع الشرائع، وأن التمسك بشريعته واجب إلى يوم القيامة، «**وَآتَى الْمَالَ**» يعني أعطى المال في وجوه البر «**عَلَى حُبِّهِ**» قيل: حب ماله، عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وأبي علي وأبي مسلم، يعني: حيث شاءه وأراده لبقاء ماله، قال ابن مسعود: وهو أن تعطيه وأنت صحيح تأمل العيش، وتخشى الفقر، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، وإنما خصه بالذكر؛ لأن الإعطاء في تلك الحال أشق وثوابه أكثر، وقيل: الكناية راجعة إلى الإيتاء، كأنه قيل: يعطي ويحب الإعطاء رغبة في ثوابه تعالى، وقيل: الضمير عائد على اسم الله تعالى، يعني يعطون المال لحب الله أي طلب مرضاته.

ويقال: هذه العطية أهي الزكاة أم غيرها؟ وهل يدخل فيها الواجب فقط؟ أم التطوع أيضًا؟

قلنا: فيه قولان: منهم من قال: لا يدخل فيه إلا الواجبات، ثم اختلف هؤلاء، فمنهم من قال: إنه الزكاة، عن الأصم. ومنهم من قال: في المال حقوق واجبة سوى الزكاة، عن ابن عباس. والثاني: أنه يدخل فيه التطوع أيضًا، عن أبي علي. قال القاضي: والأقرب أن الآية تتناول الواجبات؛ لأنه علق التقوى به.

ثم اختلف من قال: إنها تتناول الواجبات، فقال الحسن والأصم: هي الزكاة الواجبة، وقيل: هي [كل] حق سوى الزكاة،عن ابن عباس والشعبي وأبي علي. قال القاضي: وذلك نحو ما يلزم من إطعام المضطر ونحوه، وخص هؤلاء؛ لأن الغالب أنه لا يوجد الاضطرار إلا في هؤلاء، ولا يجوز حمله على الزكاة. لأنه عطف عليه الزكاة، وقال بعضهم: أراد به التطوع فقط، ورووا عن علي أن الزكاة تستحب كل واجب، وهذا يحمل على المقدورات؛ لأن ما يلزمه عند الضرورات من نفقة الأقارب والمماليك ليس بمنسوخ بالإجماع، و«**ذَوِي الْقُرْبَى**» أكثر المفسرين على أن المراد به ذوو قرابة المعطي، وهم من تقرب منه بولادة الأبوين والأجداد والجدات، قيل: هم

---

(١) كتب: كتاب، د، ز، ف.

ذوو الرحم المحرم الذي تجب نفقتهم. وقيل: إنهم القربى في آية النفل والغنيمة، حكاه القاضي. والأول الوجه؛ لأنه ظاهر الكلام، وهم أخص بالمعطي، وهم من تقرب منه بولادة الأبوين والأجداد، وروي أن النبي ﷺ سئل أي الصدقة أفضل؟ قال: «جُهْدُ المُقِلِّ على ذي القرابة الكاشح»[1] «**وَالْيَتَامَى**» اليتيم من لا أب له مع الصغر، وقيل: أراد باليتامى أنفسهم فيعطيهم، وقيل: أراد ذوي اليتامى، يعني من تكفل بأمرهم؛ لأنه لا تمييز له ولا يصح إيصال المال إليه إلا أن يعقل، فيصح دفع المال إليه، فيدخل في الآية «**وَالْمَسَاكِينَ**» يعني أهل الحاجة، وهم ضربان: أحدهما يكف عن السؤال وهو المراد ههنا، والثاني: يسأل، وهو المعنى في قوله: «**وَالسَّائِلِينَ**» وإنما جمع بينهما لأن أحدهما بالسؤال تُعرف حاجته، والآخر ما يظهر من حاله «**وَابْنَ السَّبِيلِ**» قيل: الضيف، عن قتادة وسعيد بن جبير وابن عباس. وقيل: المسافر المنقطع من ماله، عن أبي جعفر ومجاهد وأبي علي. «**وَالسَّائِلِينَ**» قيل: هو الذي يسألك، عن عكرمة «**وَفِي الرِّقَابِ**» فيه أقوال: قيل: في رقاب المكاتبين، وقيل: في عتق الرقاب بأن يشتري ويعتق، قال أبو علي: وكلاهما يحتمل. وقيل: في فداء الأسارى. والأول الوجه[2]؛ لأنه في إيتاء الزكاة. «**وَإِقَامَ الصَّلَاةَ**»، يعني: الصلوات المفروضة، وإقامتها القيام بأدائها وإتمامها، «**وَآتَى الزَّكَاةَ**» يعني أعطى زكاة ماله «**وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا**» يعني عهودًا وأمورًا لزمتهم بعقودهم ونذورهم وأيمانهم.

أما الأول فما يلزمه بعقود المعاوضات من التسليم ونحوه.

والثاني: ما يعاهد الله عليه من الطاعات ويوجبه نذرًا.

والثالث: الأيمان والوفاء به وكفارته، وقيل: عهودًا عاهدوا الرسول عليها عند البيعة من القيام بالنصرة، قال القاضي: ويجب حمله على الجميع لعموم اللفظ، ولا

---

(١) الحديث ورد بمعناه دون ذكرٍ لجهد المقلِّ في صحيح ابن خزيمة رقم ٢٣٨٦، والمستدرك رقم ١٤٧٥، والمعجم الكبير رقم ٣١٢٦، والأوسط رقم ٣٢٧٩، وسنن البيهقي الكبرى رقم ١٣٠٠٢، ومسند الشهاب رقم ١٢٨٢.

(٢) الوجه: أوجه، د، ز.

يجوز حمله على ما يلزم ابتداءً من جهة الله تعالى؛ لأنه أضاف العهد إليهم «**وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ**» قيل: البأساء: البؤس والفقر، والضراء: السقم والعلة، عن ابن مسعود وقتادة وجماعة من المفسرين. «**وَحِينَ الْبَأْسِ**» قيل: وقت القتال ولقاء العدو، عن ابن مسعود وقتادة ومجاهد والربيع وغيرهم، وخص هذه الأحوال لما فيها من الخوف على النفس والمال. ثم اختلفوا فقيل: إنه عطف على إيتاء المال والمراد ما يلزم من معونتهم عند صبرهم على ما دفعوا إليه، وقيل: إنه مدحهم بالصبر كما مدح مَنْ قبلهم، وليس بعطف على ذوي القربى والأصناف المذكورين الذين توضع فيهم الصدقة، قال القاضي: وهو الأولى؛ لأنه إذا استقل بنفسه، فلا وجه لتقدير العطف «**أُوْلَئِكَ**» إشارة إلى من[1] تقدم ذكرهم «**الَّذِينَ صَدَقُوا**» قيل: صدقوا في جميع ما تقدم بأن التزموه[2] علمًا وتمسكوا به عملاً، عن ابن عباس والحسن وأبي مسلم، كأنه قيل: صدقوا في القيام بجميع ما كلفوا. قال أبو مسلم: مَنْ فعل جميع ذلك فهو صادق فيما ينتحله من الإيمان، وقيل: صدقوا في عهدهم الذي تقدم ذكره، عن أبي علي والأصم. قال القاضي: والأول الوجه[3]؛ لأن في كلا الوجهين يدخل المجاز، والأول أعم وأكثر فائدة «**وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**» يعني اتقوا كل ما نُهُوا عنه، فكأنه تعالى[4] جمع بين شيئين فيهما فوزه ونجاته: أحدهما: القيام بفعل ما كلف، والثاني: اجتناب ما نهي عنه.

۞ الأحكام

الآية تدل على بطلان قول من يقول: الإيمان هو الإقرار فقط؛ لأنه تعالى علق التقوى بجميع ما تقدم.

وتدل على بطلان قول من يزعم أن الإيمان معارف لا يصح فيها الزيادة والنقصان؛ لأنه تعالى بدأ بأفعال القلوب ثم عدل إلى أفعال الجوارح، فذكر الصلاة والزكاة وإعطاء الحقوق، وبدأ بالأهم فالأهم على الترتيب المذكور.

---

(١) من: ما: د، ز،ف.

(٢) قيل صدقوا في جميع ما تقدم بأن التزموه: ـ ، ف، و.

(٣) الوجه: أوجه؛ د، ز.

(٤) تعالى: ـ ، و.

وتدل على بطلان قول المرجئة؛ لأنه تعالى بين أن بجميع ما تقدم يقع التخلص من العقاب، وقد دخل في ذلك جميع الواجبات والانتهاء عن المحظورات.

وتدل على بطلان قول المجبرة؛ لأنه أضاف الأفعال إلى العباد، وعلق التقوى بها فلو كانت خلقه لما صح إضافتها إليهم.

وتدل على وجوب الإيمان بالملائكة، ولا وجه إلا ما ذكرنا، وكذلك الإيمان بالأنبياء والكتب والبعث، ولا خلاف أن جميع ذلك شرط في صحة الإيمان.

وتدل على حسن الصبر في أمور الدين، فيدخل فيه الصبر على الطاعة وعن المعصية، والصبر في إظهار الدين وأذى المخالفين.

قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨﴾

اللغة

أصل الكتابة هو الخط الدال على معنى، فـ (كَتَبَ)[1] بمعنى فرض مشتق منه؛ لأن الخط يدل على معنى الفرض، ومنه الصلاة المكتوبة أي المفروضة، ومنه الكاتب[2] لأجل ما يكتب من الكتاب، ومنه قول الشاعر:

كُتِبَ القتلُ والقتالُ علينا وعلى المحصناتِ جرُّ الذُّيولِ[3]

يعني فُرِض.

---

(١) فكتب: وكتب، ز، و.

(٢) الكتاب: المكاتب، ز، ف، و.

(٣) قائل البيت عمر بن أبي ربيعة. انظره في البيان والتبيين ٣٣٠ للجاحظ، دار صعب ـ بيروت ـ ط١، ١٩٦٨، ت: المحامي فوزي عطوي، والأغاني ٩/ ٢٦٤، للأصفهاني، دار الفكر ـ بيروت ـ ط٢، ت: سمير جابر. وتاريخ الطبري ٢/ ٦٤٥، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١، ١٤٠٧هـ.

والقصاص والمقاصة والمعاوضة نظائر، يقال: قص أثره؛ يعني تلاه شيئًا بعد شيء، ومنه القصاص؛ لأنه يتلو أهل الجناية ويتتبعه[1]، وقيل: هو أن يفعل بالثاني مثل ما فعله بالأول مع مراعاة المماثلة، ومنه: قاصصته أي فعلت به مثل ما فعل، وهما متقاربان، ومن ذلك أُخِذَ القصص كأنه يتبع آثارهم، ويذكر أخبارهم شيئًا بعد شيء.

والحر: نقيض العبد، والحر من كل شيء: أكرمه، مشبه بالحُرِّ[2]. والعبد: المملوك من جنس الإنسان.

والعفو: التَّرك، عفت الديار والمنازل: أي تركت حتى اندرست، والعفو عن المعصية: ترك العقوبة عليها، وقيل: أصل العفو هو الإعطاء، وأصله من الفضل، ومنه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩].

والأداء: مصدر أدى يؤدي[3] أداءً وتأدية.

والتخفيف: خلاف التثقيل، وأصله الخفة، والثقل حقيقة في الأجسام ثم يستعمل في غيرها توسعًا، وقيل: إنهما يرجعان إلى الأجزاء، عن أبي علي، وقيل: إلى الاعتماد، عن أبي هاشم.

۞ الإعراب

«فاتباع» رفع لأنه خبر ابتداء محذوف، وتقديره: فحكمه اتباع أو فعليه اتباع بالمعروف.

۞ النزول

روي عن ابن عباس أن حيين من العرب اقتتلوا قبل الإسلام، فكان بينهم قتلٌ وجراحات، ولأحدهما طَوْلٌ على الآخر[4] في الكُثْرِ[5] والشرف، فكانوا ينكحون

---

(١) ويتتبعه: ويتبعه، د، ز، و.
(٢) لعله يقصد الخَدَّ؛ لأن من معاني الحر: خَدّ الرَّجُل. انظر تهذيب اللغة (حرّ).
(٣) يؤدي: يدي، د، ز، ف.
(٤) الآخر: الأخرى، ز، و.
(٥) الكثر: الكبر، ز، ف، و.

نساءهم بغير مهر، فأقسموا لنقتلن بالعبد منا الحر منهم، وبالمرأة منا[1] الرجل منهم، وبالرجل منا الرجلين منهم، وجعلوا جراحاتهم ضعفين على جراحات[2] أولئك، فلم يأخذ بعضهم من بعض حتى جاء الإسلام، فرفعوا أمرهم إلى رسول الله ﷺ، وطلبوا ذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية، ونهاهم عن ذلك[3] .

وعن السدي أنها نزلت في قومين أحدهما: مسلم، والآخر معاهد، فكانوا[4] على عهد رسول الله ﷺ اقتتلوا. وقيل: نزلت في حيين من الأنصار.

۞ المعنى

لما بَيَّنَ تعالى أن البر لا يكون[5] إلا بالإيمان والتمسك بالشرائع، بين الشرائع خصلة خصلة، وبدأ بذكر القصاص في الدماء والجراح؛ لأنه أهم، فقال تعالى: «**كُتِبَ عَلَيْكُمُ**» يعني فرض عليكم، وهذه اللفظة تقتضي الوجوب من وجهين: أحدهما: قوله: «**كُتِبَ**»؛ لأنها في الشرع يُعَبَّرُ بها عن الوجوب، والثاني: قوله: «**عَلَيْكُمُ**»؛ لأنه ينبئ عن الوجوب، كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧] ويقال: لفلان على فلان حق، وقيل: معنى (كتب) أن هذا الوجوب كتب عليهم في أم الكتاب «**الْقِصَاصُ**» يعني المساواة، فيفعل بالقاتل مثل ما فعله بالمقتول.

ومتى قيل: كيف يجب القصاص مع تخيير الأولياء، فإنه مخير بين فعله وتركه، والمقتص منه لا فعل له فيه ولا وجوب عليه، وإن صح وجوبه فعلى من يجب؟

أما الأول ففيه قولان: الأول: فرض ذلك إن اختار الولي القصاص، وقيل: كتب عليكم التمسك بما حد لكم دون التعدي فيما ليس لكم.

فأما من يجب عليه ففيه قولان:

---

(١) منا: ـ، ف، و.
(٢) جراحات: جراح، د، ز، و.
(٣) العجاب في بيان الأسباب ١/٤٢٣، ٤٢٥.
(٤) فكانوا: كانا، د، ز، و.
(٥) لا يكون: لا يتم، ز، ف.

الأول: يجب على من يتولى القصاص، وهو الإمام ومن يجري مجراه، وقد جرى ذكره؛ لأنه من جملة المؤمنين.

والثاني: يجب على القاتل تسليم النفس عند مطالبة الولي، وليس له الامتناع كما للزاني والسارق الهرب[1] من الحد، وإنما كان كذلك؛ لأنه حق آدمي إلا أنه يجب عند شرائطه في المقتول والقتل والآلة والقاتل، فإذا تكاملت الشرائط يجب حَقًّا للولي، ثم اختلفوا في الاستيفاء، فعند مشايخنا استيفاء القصاص إلى الإمام فقط، أو من يجري مجراه، وعند أكثر الفقهاء لولي الدم أن يستوفي في القتلى جماعة القتيل[2]، ولا خلاف أن المراد به قتل العمد؛ لأن العمد هو الذي يجب فيه القصاص دون الخطأ، وشبه العمد، وسنبين ذلك في الأحكام.

ومتى قيل: فالقصاص عقوبة أم لا؟ فإن كان عقوبة فلم وقفت على مطالبة الآدمي؟

قلنا: لا شبهة أنه عقوبة في المُصِرِّ امتحان في التائب ولطف له، ثم اختلفوا، فمنهم من قال: يجري مجرى حقوق الأموال، وعليه أكثر الفقهاء، ومنهم من قال: إنه حق لله تعالى[3]، وللولي الطلبوالإسقاط، فلا يمنع[4] أن يكون عقوبة، والصلاح في استيفائه أن يكون عند مطالبة الولي كما هو في كثير من الحقوق «**الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى**» اختلفوا في تأويله، فمنهم من قال: الآية توجب القصاص بين هؤلاء فقط، ولولا الدليل لما جاز القصاص بين الرجل والمرأة؛ لأن هذا التفصيل خصص أول الآية، ومنهم من قال: الآية تفيد القصاص بين المذكورين، وما عداه موقوف على الدليل؛ لأن تعليق الحكم بصفة لا يدل على نفي ما عداه، ومنهم من قال: قوله: «**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ**» جملة مستقلة بنفسها، يفهم منها المراد، ثم ذكر هذه الأحكام بعدها لا لقصر الحكم عليها، لكن لفائدة أخرى، واختلفوا في تلك

(١) الهرب: والهرب، ز، و.
(٢) القتيل: القتل، ف، و.
(٣) تعالى: ـ ، ز.
(٤) فلا يمنع: ولا يمتنع، د، ز.

الفائدة، فمنهم من قال: بَيَّنَ بها أحكام القصاص فينا خلاف ما كان عليه أهل الجاهلية على ما روينا من أسباب النزول، وبين أنه لا يقتل بالعبد غير قاتله، ولا بالمرأة غير قاتلها، ومنهم من قال: بَيَّنَ ما[١] كان القصاص فيه جميع الحق، وهو الحر بالحر، فأما الحر والعبد فمع القود يجب التراجع في زيادة[٢] الدية، وكذلك الذكر والأنثى على ما رُوِيَ عن الحسن، ورواه الطبري في تفسيره عن علي عليه السلام، غير أنه ثابت عند أهل النقل عن علي، ولا يصح على النظر؛ لانعقاد الإجماع أن الجماعة تُقْتَلُ بالواحد من غير تراجع؛ فالأولى أن يقال: إنه يتضمن حكم المذكورين، وفائدة التخصيص ما بَيَّنَّا من الأسباب والنهي عن فعل أهل الجاهلية في ذلك.

«فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ» فيه أقوال:

الأول: من ترك له من جهة أخيه شيء يعني ترك له القتل، ورضي منه بالدية، و«**عُفِيَ**» كناية عن القاتل، ولم يذكر تعالى العافي لكن معلوم أن المراد به من له القصاص والمطالبة، وهو ولي الدم، وفي قوله: «**مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ**» ذكر «**له**» والهاء في «**أخيه**» راجعة إلى القاتل تقديره: فمن ترك له من أخي القاتل شيء يعني القود؛ فحصل من هذه الجملة أن العافي هو ولي الدم الذي سماه الله أخا[٣] القاتل، ومن توجه العفو إليه فهو المطالب[٤] بالدم، وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة والربيع والأصم وأبي علي وأبي القاسم وأبي مسلم. ثم اختلف هؤلاء إذا عفا الولي؟ فقال بعضهم: يثبت المال بتراضيهما، وهو مذهب الأكثر واختيار أبي علي، ومنهم من قال: يثبت بغير تراض، وهذا فرع مسألة، وهو أن موجب العمد ماذا؟ على ما نبينه، واختلفوا في تلك الدية،فقيل: من مال القاتل، عن الأكثر، وعليه إجماع الفقهاء، وقيل: على العاقلة، عن ابن عباس والحسن.

والقول الثاني: فمن عفا له ولي الدم، والهاء في «**أخيه**» ترجع إليه، وتقديره:

---

(١) بينما: من ما، د، ز.

(٢) في زيادة: بزيادة، د، ز، و.

(٣) أخا: أخ، د، و.

(٤) فهو المطالب: وهو المطالبة، ز، ف، و.

فمن أُعِطْيَ له يعني الولي الدية بالرضاء لما عفا، وبذل له وضمن له «من أخيه» يعني أخا الولي، وهو المقتول فليتبعه بالمعروف، ويكون العافي معطي المال، عن علي بن موسى القمي، وذكره إسماعيل بن إسحاق عن مالك.

الثالث: فمن عفا له ولي الدم بأن دفع إليه بقية ما يجب مع القود، عن السدي. وهذا إنما يصح على ما روي عن علي (عليه السلام) والحسن من التراجع مع القصاص بين الرجل والمرأة، والحر والعبد، وقد بَيَّنَّا أن ذلك لا يصح، فعلى هذين العفو بمعنى الإعطاء.

ومتى قيل: أيّ الأقوال أولى؟

قلنا: قال القاضي: الأول؛ لأن الظاهر من العفو هو السقوط والترك، وهو ترك القود، ولأن أكثر المفسرين عليه.

ومتى قيل: كيف قال: «مِنْ أَخِيهِ» والقود لا يتبعض، وما الفائدة فيه؟

قلنا: أما «مِنْ أَخِيهِ» فسنبين معناه، فأما الفائدة فقيل: فيه فائدتان أحدهما: أن حقه يتبعض؛ لأن حقه العفو والدية والقود.

والثانية: أنه بين أن عفو البعض كعفو الكل «مِنْ أَخِيهِ» قيل: (من) للتبعيض، والمعنى من بعض حقه الواجب بسبب أخيه، وقيل: هو لابتداء الغاية كأنه قيل: فمن ترك له من جهة أخيه الذي هو الولي.

ومتى قيل: كيف سمي القاتل أخا الولي وهو فاسق؟

قلنا: فيه ثلاثة أوجه:

الأول: أراد به[1] الأخوة في النسب كقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف: ٦٥].

والثاني: لأن القاتل قد يتوب، فيدخل فيه غير التائب على التغليب.

(١) به: ـ ، ز، ف.

الثالث: أنه خطاب له قبل حصول القتل، فأما الهاء في قوله: «أَخِيهِ» فقيل: أراد أخا[١] المقتول، عن الحسن، وقيل: أخا[٢] القاتل.

«فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ» قيل: على العافي الاتباع بالإحسان، وعلى المعفو عنه الأداء بالإحسان، عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد، وقيل: هما على المعفو عنه، وقيل: على من أعطى، وهو الولي «فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ» يعني أخذه، وعلى القاتل أداؤه، فأما الإتباع بالمعروف فترك التشديد في المطالبة والإنظار إن كان معسرًا، وألاَّ يطالبه بالزيادة على حقه ونحوذلك، وأما الأداء بالإحسان، فالدفع عند الإمكان من غير مطل، وكل ذلك تأديب منه تعالى لعباده لمن له الحق، ولمن عليه الحق، وقيل: فليتبع أمر الله بالمعروف، فيكون المعروف من صفة الأمر،عن أبي مسلم، والوجه: الأول. «ذَلِكَ» إشارة إلى جميع ما تقدم من العفو وأخذ المال والاتباع بالمعروف والأداء بالإحسان، وقيل: يرجع إلى أخذ المال، وترك القود، عن ابن عباس وجماعة «تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ» قيل: كان أهل التوراة يقتلون، ولا يأخذون الدية، وأهل الإنجيل عليهم العفو بالقود[٣] ولا دية، فجعل تعالى لهذه الأمة التخفيف إن شاء قتل، وإن شاء أخذ الدية، وإن شاء عفا، عن ابن عباس، وقيل: ما خيركم فيه تخفيف، ولرحمته فعل ذلك، عن أبي علي، وقيل: تخفيف من[٤] باب الأداء والمطالبة[٥] ، فإنه أوجب جميع ذلك المعروف[٦] «فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ» يعني جاوز الحد إلى ما هو أكثر منه، قيل: بأن قتل بعد الدية والعفو، عن ابن عباس والحسن وجماعة. قال الحسن: كان أهل الجاهلية إذا عفا أو أخذ الدية ثم ظفر بالقاتل قتله، فنهى الله تعالى عن ذلك، وقيل: بأن قتل غير قاتله، أو أكثر من قاتله، أو طلب أكثر مما وجب له من الدية، وقيل: جاوز الحد بعدما تبين له كيفية

(١) أخا: أخ، ز، ف.
(٢) أخا: أخ، ز، ف.
(٣) بالقود: بلا قود، د، ز، و.
(٤) من: في، ز، ف، و.
(٥) والمطالبة: أو المطالبة، د، و.
(٦) المعروف: بالمعروف، ز، ف، و.

القصاص، قال القاضي: ويحمل على الجميع لعموم اللفظ «فَلَهُ عَذَابٌ» قيل: القود، مَنْ قَتَلَ بعد القود قُتِلَ لا محالة، وليس فيه العفو، عن الحسن وسعيد بن جبير. وقيل: المراد به عذاب الآخرة، وهو الوجه؛ لأنه المفهوم عند الإطلاق، وأكثر المفسرين عليه «أَلِيمٌ» مؤلم[(١)] موجع.

الأحكام

في الآية أحكام: منها: أنها تدل على وجوب القصاص؛ لأن قوله: «كُتِبَ» يتضمن ذلك.

وتدل على وجوب القصاص في جميع المقتولين إلا ما خصه الدليل؛ لأن الآية عامة مستقلة بنفسها يفهم المراد بظاهر قوله: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ».

ومتى قيل: أي قتل يجب فيه القصاص؟

قلنا: القتل على ثلاثة أضرب: عمد، وخطأ، وشبه عمد، ففي العمد القصاص، وفي الخطأ الدية مخففة، وفي شبه العمد الدية مغلظة، وقال[(٢)] الهادي (عليه السلام): لا معنى لشبه العمد، وهو قول مالك، فأما العمد فله صفة وأحكام.

فأما صفة العمد فاتفقوا أن القصد معتبر، وأن الآلة معتبرة، ثم اختلفوا فقال أبو حنيفة: أن يتعمد الضرب بسلاح أو ما يجري مجراه في تفريق الأجزاء، وقال أبو يوسف ومحمد ومالك والشافعي: أن يتعمد الضرب بما يقتل غالبًا كالقتل بالمثقل، والعصا الكبير، فإذا توالى الضرب بالصغير لم[(٣)] يوجب القود، وعندهم يوجب.

فأما الأحكام المتعلقة في العمد فالمأثم والقود والعوض للمقتول.

واختلفوا في المال فقيل: لا يثبت إلا بالتراضي عن أبي حنيفة وأصحابه، وقيل: يثبت، والخيار إلى الولي عن الشافعي.

---

(١) مؤلم: ـ، ف.
(٢) وقال: فقال، أ.
(٣) لم: لا، ز، و.

واختلفوا في الكفارة، فقال أهل العراق: لا كفارة فيه، وقال الشافعي. يجب به الكفارة، واتفقوا أنه يتعلق به حرمان الميراث.

فأما أحكام الخطأ فتجيء من بعد، وتدل على وجوب المساواة؛ لأن لفظة القصاص تنبئ عن ذلك، ثم اختلفوا فقيل: المراد بالمثل تناول النفس حتى لو قطع يده ثم قتله أو مات بقتل السيف، وكذلك لو فعل فعلاً أدى إلى التلف، وهو قول أبي حنيفة، وقال الشافعي: يفعل به مثل ما فعل، واختلف هؤلاء إذا لم يمت، فقيل: يكرر عليه ذلك الفعل، وقيل: بل يقتل بالسيف.

وقيل: كيف تتعلق به هذه الحقوق؟

قلنا: المأثم حق الله تعالى لا يسقط إلا بالتوبة، والعوض حق المقتول لا بد أن يصل إليه؛ لأنه بالقصاص لم يصل إليه شيء إنما هو حق الله، أو حق الولي عقوبة أو مصلحة، والقود وإن كان حقًّا لله تعالى فالاستيفاء والإسقاط[1] إلى الولي، فأما الدية فخالص حق الولي، وهو في حكم تركة الميت، ولذلك تنفذ منه[2] وصاياه، ويقسم بين ورثته.

ويقال: حسن القود يعلم عقلاً أو شرعًا؟

قلنا: شرعًا؛ لأنه يجب لغير المقتول، فورد به الشرع لما فيه من المصلحة.

ويقال: إذا كان عقوبة فكيف يكون مصلحة، والمصلحة في وجوبه أو فعله؟

قلنا: بينا أنه قد يكون عقوبة ومصلحة أيضًا، وتقديم بعض العقوبة لا يجوز إلا لوجه من المصلحة، فأما وجوبه فمصلحة على الإطلاق، فأما فعله فعلى ما قدمنا.

ويقال: هل فرق بين القصاص والعقوبات المحضة؟

قلنا: نعم؛ لأنه يعتبر المماثلة، ولا يسقط بالتوبة، ولا يستوفى على وجه الاستحقاق.

---

(١) والإسقاط: والاستيفاء، د، ز.

(٢) منه: فيه، د، ز، و.

ويدل قوله: «**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى**» على جريان القصاص بين المسلم والذمي، وكذلك قوله: «**الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى**» وهو قول أهل العراق، وقال الشافعي: لا قصاص على المسلم بقتل الذمي، واتفقوا أنه يقطع بسرقة مال الذمي.

وتدل على وجوب قتل الجماعة بالواحد؛ لأن كل واحد منهم قاتل.

ويقال: هل في الآية نسخ؟

قلنا: حكى جعفر بن مبشر عن بعضهم أن[١] فيه نسخًا، وليس بصحيح؛ لأنه تناول المذكورين، ولا نسخ فيه.

فأما من قال: إنه يدل على نفي ما عداه لا يبعد أن يقول[٢] بنسخه.

ويدل قوله: «**وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ**» على وجوب القصاص من غير اعتبار القيمة خلاف ما قال بعضهم، ولا خلاف بين الفقهاء في قتل الرجل بالمرأة من غير تراجع، وقد روي عن علي (عليه السلام) التراجع، وهو مذهب الهادي (عليه السلام)، قالوا: لأن الفعل الواحد لا يتعلق به القصاص والدية معًا، ولا خلاف في قتل العبد بالحر، واختلفوا في قتل الحر بالعبد، فقال أبو حنيفة: يقتل به، وقال الشافعي: لا يقتل.

واتفقوا أن الوالد لا يقتل بالولد، وأن الولد يقتل بالوالد، وأما[٣] شريك الأب لا يقتل عند أبي حنيفة كشريك الخطأ، وقال (الشافعي): يقتل.

ويدل قوله: «**فَمَنْ عُفِيَ لَهُ**» علي أن العفو يسقط القصاص، ويدل على أن قليل العفو وكثيره سواء يقتضي سقوط القصاص.

ويدل قوله: «**وَأَدَاءٌ**» على أن للمال[٤] مدخلاً في العمد، وقد بَيَّنَّا أنه لا يثبت إلا

(١) أن: أنه، د، ز.

(٢) يقول: يقولوا، ز، و.

(٣) وأما: فأما، د، ز، و.

(٤) للمال: المال، د، و.

بالتراضي، وعند الشافعي يثبت، ودية العمد في مال القاتل عند جماعة الفقهاء.

وأما دية الخطأ وشبه[1] العمد، وصفة الدية فنبينه في سورة النساء.

ويدل قوله: «ذَلِكَ تَخْفِيفٌ» على أن الانتقال إلى الدية رحمة منه تعالى وتوسعة لهذه الأمة.

ويدل قوله: «فَمَنِ اعْتَدَى» على أن من يأخذ ما ليس له، ويتجاوز[2] الحد فله العذاب، فيبطل[3] قول المرجئة، وإذا أضاف الاعتداء إليهم وأوجب الجزاء عليه بطل[4] قول المجبرة في خلق الأفعال، وفي أن العمل لا يوجب الجزاء.

قوله تعالى:

﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

القراءة

القراءة الظاهرة: «الْقِصَاصِ» وعن بعضهم: «في القصص» يعني قصص القرآن، فلا تجوز[5] القراءة به؛ لأنه خلاف الإجماع، ولا يشاكل ما قبله[6].

اللغة

اللُّبُّ: العقل، ولب كل شيء: خالصه، وأصل لب الشيء: داخلُهُ الذي تركبه[7] القشر، واللب: العقل مشبه به.

و(لعل): فيه تشكك، ولا يجوز على الله تعالى ذلك، فلذلك اختلفوا في معناه،

---

(١) وشبه: وشبهه، ف، و.

(٢) ويتجاوز: وتجاوز، د، ز، ل.

(٣) فيبطل: ويبطل، د، ز، ف.

(٤) بطل: يبطل، ز، و.

(٥) فلا تجوز: ولا يجوز، ل.

(٦) الإتقان في علوم القرآن ٢/ ٤١٩.

(٧) تركبه: تركبها؛ د، ز، ف، و.

فقيل: هو بمعنى اللام يعني لتتقوا، وقيل: معناه الرجاء والطمع كأنه قيل: على رجائكم في[1] التقوى، وقيل: معناه التعرض كأنه قيل: على تعرضكم للتقوى.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى ما في وجوب القصاص من المصلحة فقال تعالى: «**وَلَكُمْ**» أيها المخاطبون «**فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ**» قيل: في إيجابه حياة؛ لأن من هَمَّ بالقتل فتذكر[2] القصاص ارتدع، عن مجاهد وقتادة والربيع وأكثر أهل العلم. وقيل: في وقوعه، والأول أوجه. «**حَيَاةٌ**» قيل: بقاء، عن ابن عباس وجماعة. وقيل: في تصوره استمرار الحياة.

ويقال: كيف تكون فيه الحياة ولمن تكون؟

قلنا: إذا تصور القصاص ارتدع ففيه بقاء من يَهُمُّ بالقتل، ومن يُهَمُّ به، ومن يتعصب لهما؛ لأن الفتنة تعظم بالقتل عن أكثر أهل العلم، وقيل: لأنه لا يقتل غير القاتل خلاف ما كان يفعله أهل الجاهلية، عن السدي.

ويقال: إذا كانت[3] الحياة فعله تعالى فكيف أضافه إلى القصاص؟

قلنا: إذا كان في وجوبه ترك القتل، وفي تركه البقاء واستمرار الحياة جاز أن يقال: إنه سبب الحياة[4] توسعًا «**يَا أُولِي الأَلْبَابِ**» أي ياذوي العقول؛ لأنهم يعرفون العواقب، ويتصورون ذلك، فلذلك خصهم «**لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**» قيل: تتقون القتل خوف القصاص، عن ابن عباس والحسن والأصم وابن زيد، وقيل: لتتقوا ربكم باجتناب معاصيه، عن أبي علي والقاضي.

۞ الأحكام

في الآية أحكام عقلية وشرعية:

---

(١) في: ـ، ز، ف.
(٢) فتذكر: فذكر، د، ز، و.
(٣) كانت: كان، د، ف، و.
(٤) الحياة: للحياة، د، ز، ف.

أما العقلية: فيدل قوله: «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» على بطلان قول المجبرة في المخلوق والإرادة؛ لأنه يدل أنه أراد من الجميع التقوى، وأنه كلفهم ليتقوا، عن أبي علي.

وتدل على أن المقتول لو لم يُقتل لا يجب أن يموت خلاف قولهم؛ لأنه لو كان إذا لم يقتل يموت لا محالة لم يكن في القصاص حياة، ولكان من يريد قتل غيره يعلم أنه يموت، وكذلك من يقاد منه، عن القاضي.

وتدل على أن فعل العبد حادث من جهته؛ إذ لو كان خلقه لما صح إيجابه، ولما صح المؤاخذة بالقصاص ولا الذّم[1]، عن القاضي، ولأنه لا يصح من الحكيم أن ينهى عن القتل ويُوعِدَ عليه، ثم يخلق فيه القتل، ثم يوجب القصاص، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

فأما الأحكام الشرعية: فتدل على وجوب القصاص.

ومتى قيل: هل يدخل فيه جميع الجراح أم النفس؟

فجوابنا: قد[2] يتناول الجميع؛ لأن فيها ما فيه القصاص، وفيها ما لا قصاص فيه، ولكن لا يأمن أن يسري إلى النفس فيجب القصاص.

وتدل على بيان وجه المصلحة في إيجاب القود، وتدل على أن في إيجاب القصاص زجرًا للقاتل عن القتل، وفيه بقاء الخلق.

ومتى قيل: فمن لا قصاص فيه يجب ألا يكون مزجورًا بالآية كالوالد عند الجميع، وكالمسلم في قتل الذمي، والحر في قتل العبد على قول بعضهم؟

فجوابنا: أما الوالد فما جبل عليه من الشفقة يمنعه من[3] قتل[4] ولده، ولا[5] يحتاج إلى الزجر، كما لا يحتاج في قتل نفسه، وأما الحر والمسلم فلا يأمنان أن ترفع القضية إلى قاض يجتهد في وجوب القود عليهما، فالخوف[6] قائم.

(١) ولا الذمّ: ولا الدم، د، ز، ف.
(٢) قد: بل، ز، و.
(٣) من: عن، د، ز، و.
(٤) قتل: ـ، ف.
(٥) ولا: فلا، ف، و.
(٦) فالخوف: فالجواب، ز، ف.

وتدل على أن الجماعة تقتل بالواحد؛ لأنه لو لم تقتل لم يُؤْمَنْ أن من يهم بقتل واحد يستعين بغيره ليسقط القصاص، ولا خلاف فيه، فأما[1] الواحد إذا قتل جماعة قتل بهم ولا دية عند أبي حنيفة وأصحابه، وقال الشافعي: تقتل بواحد ويغرم للباقي[2] الدية. فإن اجتمعوا قتل، وتقسم الديات بينهم.

وتدل على إعجاز القرآن، وأنه كلام الله تعالى؛ لأن العرب تقول في أمثالهم: «**القتل أنفى للقتل**»، وقالوا: أَكِثْرَ القتلَ لِيَقِلَّ القتلُ، فورد القرآن بما هو أحسن وأزجر[3] وأصح في المعنى من وجوه كثيرة.

منها: كثرة الفوائد، ووضوح المعنى مع الإيجاز في العبارة والبعد عن الكلفة، مع حسن تأليف الحروف، وفيه خمسة أوجه:

أما كثرة الفوائد فلأن فيه كل ما في قولهم: القتل أنفى للقتل، وفيه زيادات[4] كثيرة.

أولها: بأنه العدل لذكر القصاص.

وثانيها: بأنه الغرض المرغوب فيه بذكر الحياة.

وثالثها: الاستدعاء بالرغبة والرهبة لحكم الله به.

ورابعها: أن في المَثَل بيان القتل فقط، وفي الآية بيان القتل وسائر الجراح.

وخامسها: أن المثل لا ينبئ أن غير القاتل لا يقتل، والآية تنبئ عن ذلك.

فأما وضوح المعنى فلأنه قال: «**وَلَكُم**» فبين من له الحياة، وليس في المثل ذلك، ولأن قولهم: «**القتل أنفى للقتل**»، ليس فيه بيان أي قتل أنفى للقتل، ونحن نعلم أن من القتل ما يؤدي إلى قتلٍ كثيرٍ، وفي الآية بيان ذلك، وهو وجوب القصاص، ولأن في المثل لا يمكن تقدير وجوب القتل، فلا بد من حمله على

(١) فأما: فإن، ف، و.
(٢) للباقي: الباقي، د، ز، و.
(٣) وأزجر: وأوجز، د، ز، و.
(٤) زيادات: زيادة، د، ز، و.

وقوعه، ووقوعه لا يكون سببًا للحياة فصار ذلك كالناقص، وفي الآية تقرير الوجوب ممكن، فتتكامل فائدة بقاء الحياة في الجميع.

فأما الإيجاز فلأنه مع قلة حروفه يدل على معانٍ خمسة كما بينا مما لا يدل عليه المثل، وحروف الآية اثنا عشر حرفًا «**فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ**»، وهو مستقل بنفسه(١) يعني بغير «**وَلَكُمْ**»، وحروف المثل أربعة(٢) عشر حرفًا.

فأما البعد عن الكلفة فلأن المثل يشتمل على ألفاظ مكررة ينفر منها الطبع، ويمجها السمع، والآية تشتمل على ألفاظ تقبلها القلوب، وتدخل على السمع بغير حجاب.

وأما حسن التأليف: فلأن الآية مؤلفة من حروف متلائمة تدرك حِسِّيًا بخلاف المثل، وكل ذلك ظاهر.

قوله تعالى:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (١٨٠)﴾

اللغة

كُتب: فُرض، ومنه الصلاة المكتوبة، وأصله من الكتابة، وقد بينا.

والوصية معروفة.

المعروف هو الذي لا يجوز أن يُنكَر.

الإعراب

في رفع «**الوصية**» وجهان: أحدهما: أنه اسم ما لم يسم فاعله، والعامل فيه

---

(١) بنفسه: بنفسها، د، ف.

(٢) أربعة: اثنا، ز، ف.

(كتب). الثاني: العامل فيه الابتداء وخبره: (للوالدين)، والجملة في موضع رفع على الحكاية كأنه قيل: لكم الوصية.

والعامل في (إذا) قيل فيه وجهان: أحدهما: (كتب) كأنه قيل: كتب عند المرض. الثاني: قال الزجاج: كتب عليكم الوصية في حال الصحة قائلين: إذا حضرنا الموت فلفلان كذا.

«حَقًّا» نصب على المصدر أي حق ذلك حقًّا، وقيل: على المفعول أي جعل الوصية حقًّا، وقيل: على القطع من الوصية على المتقين.

۞ النزول

قيل: كانوا يوصون للأبعد طلبًا للفخر، ويعدلون عن الأقربين، فأوجب الله تعالى في صدر الإسلام الوصية لهؤلاء منعًا لهم عما اعتادوه، عن الأصم.

وقيل: كان الخيار للموصي في ماله، فأمر ألا يتعدى بوصيته هؤلاء، فيصل إليهم بتمليكه، ولذلك لما نزلت الآية[1] آية المواريث قال ﷺ: «**إن الله تعالى أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث**».

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى شريعة أخرى وهو الوصية، فقال تعالى: «**كُتِبَ عَلَيْكُمْ**» يعني فرض عليكم «**إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ**» يعني أسباب الموت من مرض ونحوه، عن أكثر أهل العلم. وقيل: فرض عليكم الوصية في حال الصحة أن تقولوا: إذا حضرنا الموت فافعلوا كذا، عن الأصم «**إِنْ تَرَكَ خَيْرًا**» أي مالاً، واختلفوا، فقيل: يجب في القليل والكثير، عن الزهري، وقال غيره: لا بد من مقدار، وهو قول أكثر أهل العلم. قال القاضي: اتفقوا على إثبات قدر منه إلا من لا يعتد بِقَدْرِهِ؛ لأنه لا يقال لمن ترك درهمًا: إنه ترك خيرًا، فلا بد من قدر، ثم اختلفوا في ذلك القدر، فقيل: ألف

---

(١) الآية: ـ، ف.

درهم، عن قتادة، وقيل: من ألف إلى خمسمائة، عن النخعي، وقيل: ثمانمائة درهم، عن ابن عباس، وقيل: أربعة آلاف درهم، عن علي (كرّم الله وجهه)، وروي عنه في رجل ترك تسعمائة أنه قال: لم يترك خيرًا فيوصي، وعن عائشة أربعمائة دينار قليل، وقيل: إنه على قدر حال الرجل، وقال القاضي، وهو الأصح؛ لأنه بمقدار من المال يوصف المرء أنه[1] غني، وبذلك القدر لا يوصف غيره بحسب[2] كثرة العيلة والنفقة، وعلى هذا مجمل[3] قول علي (عليه السلام) وابن عباس وعائشة، «**الْوَصِيَّةُ**» هي التي فرضت وكتبت «**لِلْوَالِدَيْنِ**» للأب وللأم[4]، «**وَالأَقْرَبِينَ**» قرابة الميت الأقرب فالأقرب، وهؤلاء الذين وجبت لهم الوصية «**بِالْمَعْرُوفِ**»، ويحتمل أن يرجع إلى قدر ما يوصى؛ لأن من يملك المال العظيم فأوصى بدرهم فلم يوص بالمعروف، ويحتمل أن يرجع إلى الموصى لهم فيميز من الأقربين من يوصى له ممن لا يوصى، فكأنه أمر بالوصية بالطريقة الجميلة، إن سوّى أو فضل؛ لأنه ليس من المعروف أن يوصي للغني ويترك الفقير، وأن يسوي بين بني العم والوالدين، فالواجب حمله عليهما، فيكون المعروف في قدر الوصية والموصى لهم «**حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ**» تأكيدًا في وجوبه يعني حقًّا واجبًا لمن آثر التقوى.

۞ الأحكام

الآية تدل على وجوب الوصية للمذكورين، واختلفوا فيها، فمنهم من قال: كان واجبًا، ومنهم من قال: كان ندبًا، والأول: الوجه؛ لقوله: «**كُتِبَ**» ولقوله: «**عَلَيْكُم**» وكلا اللفظين ينبئ على الوجوب، ثم أكد الوجوب بقوله: «**حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ**».

ثم اختلفوا فيها على ثلاثة أوجه: فمنهم من قال: إنها منسوخة في الكل، وعليه أكثر الفقهاء، ومنهم من قال: ثابت في الكل، ومنهم من قال: منسوخة فيمن يرث، ثابتة فيمن لا يرث، واختلفوا بأي دليل نسخ، فقيل: بآية المواريث، وقيل: بالسنة وهو قوله: «**لا وصية لوارث**» ونسخ القرآن بالسنة جائز، وقيل: بالإجماع، عن أبي

---

(١) أنه: بأنه، د، ز، و.

(٢) أحكام القرآن للجصاص ١/ ٢٠٤.

(٣) مجمل: يحمل، ز، ف.

(٤) للأب وللأم: الأب والأم، د، ز،و.

علي، وعنده يجوز النسخ بالإجماع، وقيل: بقوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ﴾ [النساء: ١١].

ثم اختلفوا فيمن لا يرث من الوالدين والأقربين، فقيل: الوصية واجبة لهؤلاء، عن ابن عباس والحسن وطاووس والضحاك وغيرهم. وقيل: لا تجب فيهم، وهي منسوخة، عن علي (عليه السلام) وعائشة وابن عمر وعكرمة ومجاهد والسدي. قال أبو بكر الرازي: نسخت بآية المواريث؛ لأنه تعالى قال: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ﴾ [النساء:١١] وظاهره يقتضي إذا لم يكن وصية أن المال مصروف إلى الورثة، ولو كانت الوصية واجبة لكان إذا لم يوص لم تسقط، ولأنها لو كانت واجبة لوجبت[١] في حال الصحة، ولأنه لا يأمن أن يأتيه الموت بغتة، وهذا لا قائل به.

ويدل قوله: «وَالأَقْرَبِينَ» على أنها كانت واجبة للأقارب، واختلفوا، فقيل: الأقرب إليه وإن كانوا أغنياء، عن الحسن وعمرو بن عبيد. وقيل: الأحوج[٢]، عن ابن مسعود وواصل بن عطاء.

واستدل بعضهم بقوله: «حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ» على أن الكفار لا يخاطبون بالشرائع، وهذا لا يصح؛ لأن في الآية وجوبها على المتقين، وليس فيها أنها لا تجب على غيرهم، وقد ثبت أنه مكلف، والخطاب يتناوله، ولا خلاف أنه يحد بالزنا، ويقطع في السرقة، ويقتل قصاصًا، فلو لم يكن مكلفًا بترك هذه الأفعال ما وجب عليه ذلك كالمجنون والصبي.

❁ أحكام الوصايا

لا خلاف أن الوصية مرغب فيها، وقد ورد القرآن[٣] والسنة بذلك، واختلفوا في وجوبها على ثلاثة أقوال على ما تقدم، وأكثر الفقهاء على أنها غير واجبة.

والكلام في الوصية على أربعة أوجه: صفة الموصي، وصفة الموصى له، وصفة الوصية ومحلها ووقتها، وصفة الوصي.

---

(١) لوجبت: لوجب، د، ف، و.

(٢) الأحوج: للأحوج، د، ز، ف، و.

(٣) القرآن: الكتاب، د، ز، ف.

فأما صفة الموصي فأن يكون عاقلاً بالغًا. واختلفوا في وصية الصبي فالأكثر على أنه لا يصح، وعن الشافعي: يصح.

فأما الموصى له: فعلى وجهين إن كانوا عددًا يحصون جاز، وهو بينهم بالسوية الغني والفقير والذكر والأنثى سواء، وإن كان عددهم لا يحصى فهو على ثلاثة أوجه: إن كان فيه قُرْبَةٌ فلا يدخل فيه الغني كالوصية لأهل الحاجة والمسكنة جاز كقوله: لفقراء بني تميم، ثم التعيين إلى الوصي يعطي من شاء، فإن أعطى واحدًا منهم جاز عند أبي يوسف. وقال محمد: لا يجوز إلا أن يعطى اثنين فصاعدًا وإن كان لفظ الوصية يقع للغني والفقير، ولا يحصون فهو باطل، نحو أن يقول: لشيوخ بني تميم. وإن كان اللفظ يقع على الغني والفقير، ويستعمل مع ذلك في أهل الحاجة، ينظر[١] فإن كانوا يحصون جعلت فيهم، وإن كانوا لا يحصون جعلت في أهل الحاجة، نحو أن يوصي[٢] لِزمنى بني تميم، وإن أوصى لاثنين بأكثر من الثلث ضرب كل واحد بسهمه.

فأما صفة الوصية ومحلها ووقتها: فمحلها ثلث المال بعد الدَّين، والمواريث بعدهما؛ ولذلك قالت الفقهاء: الموصى له شريك الوارث، وإن[٣] أوصى بأكثر من الثلث وقف على إجازة الورثة، وتعتبر الإجازة بعد الموت، وتفتقر الوصية إلى قبول الموصى له، إلا ما قاله زفر أنه لا يفتقر إلى القبول، والقبول يعتبر بعد الموت، فإن مات ولم يقبل ملكه الوارث استحسانًا، ولا تجوز الوصية للوارث، وللقاتل عمدًا، أو خطًأ، قال مالك: تجوز للقاتل، فإن أجازت الورثة وصية القاتل لم يجز عند أبي يوسف، ويجوز عند أبي حنيفة ومحمد، وما أوصى به من القُرَبِ ابتداء، أو ما لزمه فأوصى به كالحج والزكاة والكفارات فجميع ذلك من الثلث، وقال الشافعي: من أصل المال، ويجوز الرجوع من[٤] الوصايا بالاتفاق، وسواء أوصى في صحته أو في[٥] مرضه، فإنه يكون من الثلث.

---

(١) في هامش النسخة (أ): انظر في هذا الكلام.
(٢) أن يوصي: أن يحصى، د، ز، و.
(٣) وإن: فإن، د، ز.
(٤) من: عن، د، ز، ف.
(٥) في: ـ، و.

فأما الوصي فلا بد من قبوله، ويعتبر قبوله ورده في صحتها، فإن تصرف بعد الموت فهو قبول، فإن قبل: في حياته لزمته، ولا يجوز ردها إلا بحضرته، وليس قبول الوصية كقبول الوصايا أنه يكون بعد الموت.

وإذا[١] أوصى إلى رجلين فهما وصيان، وإن أوصى إليه في شيء بعينه فهو وصي في الجميع، وقال الشافعي: هو وصي فيما عَيَّن، والوصية إلى عَبْد غَيْرِه باطلة، فأما عبد نفسه والورثة صغار جاز عند أبي حنيفة، ولم يجز عند أبي يوسف ومحمد، والوصية إلى الذمي باطلة، وقيل: جائزة[٢]، ويخرجه القاضي، والأول أصح[٣].

وإذا أوصى إلى فاسق لم يجز، وقيل: يجوز، ويخرجه القاضي، قال الشيخ الإمام الناصحي رحمه الله تعالى: الأوصياء ثلاثة: عدل قوي فيقره، وفاسق قوي متهم فيجرح، وعدل ضعيف، فيقوى بضم غيره إليه، والكلام في الوصايا موضعه كتب الفقه.

قوله تعالى:

﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١٨١﴾

❁ اللغة

التبديل: تغيير الشيء بِوَضْع[٤] غيره موضعه.

والبدل: وضع الشيء مكان آخر، ومنه قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

❁ الإعراب

الهاء في قوله: «بَدَّلَهُ» يرجع إلى الوصية؛ لأنه بمنزلة الإيصاء، كقوله: ﴿فَمَن

---

(١) وإذا: فإذا، ز، ف، و.
(٢) جائزة: جائز، د، ز.
(٣) والأول أصح: وهو الأصح، د، ز، و.
(٤) بوضع: يوضع، ز، ف، و.

جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٥] أي: وعظ. وقيل: هو كناية عما أوصى به الميت، وقيل: الوصية قول، فلذلك ذكر الكتابة عن المفضل، وقيل: فمن بدل الأمر المتقدم، فأما الهاء في قوله: «**فَإِنَّمَا إِثْمُهُ**» فيرجع على التبديل المدلول عليه بقوله: «**فَمَنْ بَدَّلَهُ**».

۞ المعنى

لما ذكر تعالى الوصية عقبها بذكر الوعيد في تغييرها، فقال تعالى: «**فَمَنْ بَدَّلَهُ**» يعني: بدل الوصية وغيرها عما أوصى «**بَعْدَمَا سَمِعَهُ**» من الموصِي، أو من الشهود والأولياء، وذكر السماع ليدل على أن الوعيد لا يلزم إلا بعد العلم والسماع «**فَإِنَّمَا إِثْمُهُ**» يعني إثم التبديل «**عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ**» قيل: الوصي، وقيل: الشاهد، وقيل: الجميع؛ لأنهم دخلوا في أنهم سمعوا ذلك «**إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**» قيل: سميع لجميع المسموعات عليم بجميع المعلومات، عن أبي علي. وقيل: سميع لشهادتهم[(١)] ، عليم بما يعملون، عن الأصم. وقيل: سميع للوصية، عليم بصفتها، لا يخفى عليه شيء منها، وقيل: سميع لما قاله الموصي من العدل أو الجور[(٢)] ، عليم بما يفعله الوصي من التصحيح أو التبديل، وقيل: سميع لوصاياكم عليم بنياتكم.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن العقوبة لا يستحقها إلا من يتولى[(٣)] العمل، فيبطل قول المجبرة في عذاب أطفال الكفار، والعقوبة بغير ذنب.

وتدل على بطلان قول من يقول: إن الميت يعذب إذا قصر الوصي في تنفيذ وصاياه، أو قضاء ديونه.

وتدل على حظر التبديل من الوصي والشاهد، وذلك يكون بزيادة أو نقصان أو تحويل أو إشراك أو تغيير صفة من الوصي، وكذلك من الشاهد؛ لأنه بشهادته تثبت.

---

(١) لشهادتهم: بشهادتهم، د، ز.

(٢) الجور: الحوار، د، ف، و.

(٣) يتولى: تولى، د، ز، و.

وتدل على أن الوعيد لا يلزم إلا بعد السماع، فوجب الفرق بين مَنْ بدَّلَ ولم يسمع، أو بدل وقد سمع.

وتدل على أن الواجب على الوصي تنفيذ الوصية من دون حكم حاكم، فإذا نفذ ولم يبدل فقد أدى ما وجب.

ويقال: مِلك الوارث، وملك الموصى له من جهة الميت أم لا[1]؟ وهل هي عقلية أم شرعية؟

قلنا: هي أحكام شرعية تملك الورثة من جهة الله تعالى لا من جهة الميت، وكذلك الموصى له إلا أنه يعتبر شرطه، فيجوز[2] أن يعتبر شرطه بعد زوال ملكه لوجه من المصلحة، كما قلنا في الأقارب.

قوله تعالى:
﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾﴾

القراءة

قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم ويعقوب: «مُوَصٍّ» بالتشديد، وقرأ الباقون بالتخفيف، وهما لغتان، وصَّى[3] وأوصى بمعنى.

وقراءة العامة «جنفًا» بالجيم، وروي عن علي (عليه السلام) «حيفًا» بالحاء والياء، ويحمل على أنه فسر به الجنف.

اللغة

الجنف: الميل في الكلام والأمور كلها، وأصله العدول عن الاستواء، يقال: جَنِفَ يَجْنَفُ جَنَفًا.

---

(١) أم لا: أو لا، د، ف.

(٢) فيجوز: ويجوز، د، ز، ف.

(٣) الحجة في القراءات السبع، ٩٣.

۞ الإعراب

الضمير في قوله: «بَيْنَهُمْ» يرجع على معلوم بالدلالة، وهم الموصى لهم من نازعهم، وقيل: على الوالدين والأقربين، والضمير في قوله: «فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ» يرجع على الموصي[1]، وقيل: على المصلح، وهو مذكور في[2] المعنى.

۞ المعنى

لما تقدم الوعيد لمن بدل الوصية بين في هذه الآية أن ذلك يلزم من بدل حقًّا إلى باطل، فأما من بدل باطلاً إلى حق فهو يحسن[3]، قال تعالى: «فَمَنْ خَافَ» وقيل: خشي، وقيل: علم «مِنْ مُوصٍ» يعني الذي أوصى به هو الميت.

ويقال: إذا كان الخوف إنما يصح في أمر منتظر، والوصية وقعت، فكيف علق بالخوف[4]؟ وكيف يصلح؟

قلنا: فيه وجوه: يحتمل «فَمَن خَافَ» أي إذا خاف وهو يشاوره في الوصية، وظهرت أمارات الميل عن الحق فأصلح، عن مجاهد، ويحتمل إذا أوصى ومَالَ عن الحق، وخاف أن يستمر أصلحه ليفسخه، ويوصي على طريقة الحق، ويحتمل إذا أوصى واستقرت الوصية، ومات الموصي، وخاف العدول عن الحق في إمضائه أصلح ليقع[5] بين الورثة الموصى لهم مصالحة، فيزول الخطأ، عن ابن عباس وقتادة «جَنَفًا أَوْ إِثْمًا» قيل: جنفًا: ميلاً عن الحق على جهة الخطأ والتأويل «أَوْ إِثْمًا» تعمدًا[6] لذلك، عن ابن عباس ومجاهد. وقيل: ميلاً، عن عطاء وقتادة. واختلفوا في الجنف والإثم، فقيل: إذا زاد على الثلث، عن ابن عباس. وقيل: أن يعدل عن موضع الوصية، فيوصي لغير قرابته، عن الحسن. وقيل: أن يوصي لابن ابنه، كيلا يكون

(١) الموصي: الوصي، د، ز.
(٢) في: من، د، ز، و.
(٣) يحسن: محسن، د، ز، ف.
(٤) بالخوف: الخوف، ز، و.
(٥) ليقع: لنفع، ف، و.
(٦) تعمدا: معتمداً، ز، ف.

المال لابنه، عن طاووس. وقيل: أن يعدل عن الطريق المشروع، وهو الوجه «**فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ**» قيل: المصلح هو الوصي، وقيل: الولاة، وقيل: المتوسط، وقيل: الشاهد بينهم، وقيل: بين أهل الوصايا، وقيل: بين أهل الوصية، وأهل الميراث، والإصلاح أن يَرُدَّ الأمر إلى حقه بالإصلاح والتوسط «**فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ**» أي لا حرج عليه، قيل: على الوصي، وقيل: على المتوسط.

ومتى قيل: لِمَ قال: «**فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ**»، وهو محسن يستحق الأجر؟

قلنا: لما بين إثم المبدل وهو أيضًا ضرب من التبديل في الإصلاح[1] بين مخالفته للأول، وأنه لا إثم عليه؛ لأنه رد الوصية إلى العدل، وقيل: لما كان المصلح ينقض الوصايا، وذلك يصعب على الموصى له، ويوهم فيه إثما أزال الشبهة، وقال: (لاَ إِثْمَ عَلَيْهِ)، عن أبي علي، وقيل: بين أن بالوصية[2] والإشهاد لا يتحتم ذلك، وأنه متى غير إلى الحق، وإن خالف وصيته[3] فلا إثم عليه. «**إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**» يعني إذا كان يغفر الذنوب، ويرحم المذنب فَلأَنْ يكون كذلك ولا ذنب أولى.

۞ الأحكام

الآية تدل على جواز الصلح في الحقوق، ولا خلاف أن الصلح عقد جائز ورد الشرع به، ثم الصلح على ثلاثة أوجه:

الأول: صلح على الإقرار، وهو جائز بالإجماع، وأحكامه تشبه أحكام البياعات.

والثاني: الصلح مع السكوت فيجوز عند أبي حنيفة وابن أبي ليلى، وقال الشافعي: لا يجوز.

والثالث: الصلح على الإنكار فيجوز عند أبي حنيفة، ولا يجوز عند الشافعي.

ولا بد في الصلح من مصالح عنه، ومصالح عليه، ويجوز الصلح من المجهول على المعلوم، ولا يجوز من المعلوم على المجهول، ويجوز الصلح في الأموال

---

(١) في الإصلاح: بالإصلاح، د، ز.

(٢) بالوصية: الوصية، د، ز، ف.

(٣) وصيته: وصيّه، ز، و.

والديون، والقصاص، والجراحات، والعيوب في البياعات، وإن صالح عن حق الشفعة أو الكفالة بالنفس، أو عن دعوى النكاح على مال لم يجز الصلح، ويجوز الصلح على الأموال التي تكون ثمنًا، والمنافع التي يجوز عليها عقد الإجارة غير أنه يبطل بموت أحد المتعاقدين كما في الإجارات، ويجوز أن يصلح عن[1] غيره بأمره وغَيْرِ أَمْرِهِ.

وتدل على أن الجنف في الوصية[2] محظور، والجنف أن يزيد على القدر المأذون فيه في الشرع، أو لا يوصي[3] بما يلزمه الوصية به، أو ينقص عن القدر الواجب، أو يوصي لمن يحب، وتقديم غيره عليه، أو يفاضل، والواجب التسوية، وجميع ذلك يرجع إلى ثلاثة أشياء: ميل في قَدْرِهِ، وميل في صفته، وميل في موضعه، وفي الجميع يجب الإصلاح.

وتدل أن تغيير الوصية إلى الإصلاح جائز، بل قد[4] يجب ذلك.

وتدل على إلحاق الوعيد بالموصي إذا مال عن الحق.

وتدل على أن الجنف منه؛ لذلك ألحق الوعيد به.

قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾

اللغة

الصوم في اللغة: هو الإمساك. ويقال: للصمت[5] صوم؛ لأنه إمساك عن الكلام، ومنه: ﴿نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا﴾ [مريم: ٢٦]، وأما في الشرع فهو إمساك مخصوص في[6] وقت مخصوص عن أشياء مخصوصة، مع شرط

---

(١) عن: من، د، ز.
(٢) الوصية: الوصايا، ز، ف.
(٣) يوصي: يرضى، د، ز، و.
(٤) قد: ـ، ف.
(٥) للصمت: الصمت، ـ، ف.
(٦) في: له، د، ز، و.

العزم والنية، وقيل: هو الامتناع من المفطرات إذا عرضت له من حين طلوع الفجر إلى غروب الشمس بشرط النية، فالاسم الشرعي[1] فيه معنى اللغة، والصوم والصيام بمعنًى.

۞ الإعراب

«كما» نصب على المصدر كأنه قيل: فرض عليكم فرضًا، كالذي فرض على الذين من قبلكم، وقيل: نصب على الحال من الصيام.

۞ النزول

ذكر أهل التفسير أن النبي ﷺ[2] لما قدم المدينة فرض عليهم صوم يوم عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر، ثم نسخ ذلك، ونزل صيام شهر[3] رمضان قبل بدر بشهر وأيام[4].

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى شريعة أخرى مصلحة لعباده، فقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ» فرض عليكم، وقد بينا أن وجوبه على أهل الإيمان لا ينافي وجوبه على غيرهم، وخصهم بالذكر لقبولهم ذلك، وصحته منهم «الصِّيَامُ» وهو العبادة المعروفة في الشرع «كَمَا كُتِبَ» فرض «عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» قيل: النصارى عن الحسن والشعبي. وقيل: أهل الكتاب، عن قتادة ومجاهد. وقيل: أهل الملل، عن ابن عباس والأصم وأبي علي. واختلفوا فيما وقع فيه التشبيه، فقيل: في شهر رمضان وقدره، عن الحسن والشعبي لكن حرفوه[5] وزادوا فيه، وقيل: في صفته وكان الصوم من العتمة إلى العتمة لا يحل بعد النوم أكل ولا شرب ولا نكاح، ثم نسخ، عن الربيع

(١) الشرعي: شرعي، د، ز، ف، و.
(٢) صلى الله عليه وآله وسلم: عليه السلام، ف، و.
(٣) شهر: ـ ف، و.
(٤) العجاب في بيان الأسباب ١/ ٤٢٩.
(٥) حرفوه: جوزوه، ز، ف.

والسدي. وقيل: في نفس الصوم، يعني كتب علينا صيام أيام كما كتب عليهم، عن الأصم وأبي علي وأبي مسلم، وأنكر الأصم قول الحسن. قال القاضي: وما روي في ذلك خبر واحد ضعيف، فما هم عليه من النقل أولى «**لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**» قيل: لتتقوا المعاصي بفعل الصوم، عن أبي علي. وقيل: لتتقوا ما حرم عليكم في الصوم، عن السدي. وقيل: لتكونوا أتقياء لما[1] لطف لكم في الصوم.

ومتى قيل: ما وجه اللطف في الصوم؟

قلنا: قيل: إنه يضعف البدن، ويصرفه عن الشهوات؛ ولذلك قال ﷺ: «**خصاء أمتي الصوم**»[2] وقال: «الصوم جنة»[3] وقيل: لأنه إذا جاع وعطش تذكر جوع الآخرة وعطشها وحاجة أهل النار إلى ذلك حتى قالوا ﴿أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾ [الأعراف: ٥٠]، وقيل: فيه تذليل النفس، ومنعها من الشهوات.

۞ الأحكام

الآية تدل على وجوب الصوم، والخطاب وإن[4] كان للمؤمنين فالصوم لازم للجميع فيجب على الكفار بشرط تقديم الإيمان، كما تجب الصلاة على المُحْدِث بشرط تقديم الطهارة، وقد بيَّنَّا فائدة تخصيص المؤمنين بالذكر.

وتدل على أن الصوم كان في شريعة من قبلنا كما في شريعتنا.

وتدل على أنه تعالى أراد من الجميع التقوى؛ لأن معنى الكلام لتتقوا بفعل الصوم، فلا بد من شرائط في الصيام والوقت والفعل، فأما الصوم فيصح من العاقل،

---

(١) لما: بما، ز، ف، و.

(٢) مسند أحمد حديث رقم ٦٦١٢.

(٣) البخاري رقم ٧٠٥٤، الترمذي رقم ٧٦٤، وابن ماجه رقم ٣٩٧٣، ومسند أحمد رقم ٨٠٤٥، ، والدارمي رقم ١٧٧١، وصحيح ابن خزيمة رقم ١٨٩٠، صحيح ابن حبان رقم ١٧٢٣، والمستدرك رقم ٢٦٥، والمعجم الكبير رقم ٣١٨، ومسلم بلفظ «الصيام جنة» حديث رقم ١٦٢، وكذا أبو داود رقم ٢٣٦٣.

(٤) وإن: ـ، د، ز.

ولا يصح من المجنون، ولا من الحائض، فأما الصبي إن كان يعقل فيصح منه نفلاً ولا يجب، وإن لم يعقل لا يصح، فأما وقته فجميع السنة إلا خمسة أيام: أيام العيدين، وأيام التشريق، ولا يصح الصوم في الليالي، وإنما يصح في الأيام من وقت الفجر إلى غروب الشمس، ولا يتبعض صيام[١] يوم، فأما الفعل فالنية.

والصوم على ثلاثة أوجه: تطوع، وفرض عين كشهر رمضان، وقضاء وكفارات، ونذور، ففي الأول يجوز النية ليلاً أو نهارًا إلى أن تزول الشمس، ولا يجوز بعد ذلك عند أهل العراق، ويجوز عند الشافعي. وفي الثالث لا تجوز النية إلا بالليل بالاتفاق، واختلفوا في شهر رمضان، فعند أبي حنيفة تجوز بالنهار، وقال الشافعي لا تجوز، والثاني الإمساك عن المفطرات، منها: الجماع، ومنها: ما يحصل[٢] في الجوف من مأكول أو مشروب أو غيره، وتفصيل ذلك في[٣] كتب الفقه، فأما صيام رمضان وما يجب فيه، وذكر الكفارات فَنُبَيِّنُهُ من بعد.

قوله تعالى:

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر: «فِدْيَةُ» بغير تنوين[٤] «طعام» بالكسر مضاف إليه «مساكين» جمعًا، أضافوا الفدية إلى الطعام، وإن كان واحدًا لاختلاف اللغة،

(١) صيام: صوم، ز، و.
(٢) ما يحصل: ما يحمل، د، ز، و.
(٣) في: ـ، د، ز.
(٤) حجة القراءات ١٣٤.

كقولهم: مسجد الجامع، وقرأ الباقون «**فديةٌ**[1]» منونة «**طعام**» رفع[2] «**مسكين**» على الواحد مخفوض، فمن وحد[3] فمعناه لكل يوم طعام مسكين، وَمَنَ جَمَعَ رَدَّهُ إلى الجميع.

قرأ حمزة والكسائي: «**يَطَّوعْ خَيرًا**» بالياء وتشديد الطاء وجزم العين[4]، وقرأ الباقون بالتاء وفتح العين والتخفيف على الماضي، والأول على معنى يتطوع، فأدغم التاء في الطاء.

والمجمع عليه «**يُطِيقونه**» بضم الياء وكسر الطاء مخففة، وعن ابن عباس وعائشة: «**يُطوَّقونه**» بضم الياء وفتح الواو وتشديده[5]، وفيه وجهان: أحدهما يكلفونه، ولا يطيقونه لمشقة. الثاني: يلزمونه، وعن مجاهد وعكرمة «**يَطَّوَّقُونه**» بفتح الياء الأول والثاني، وتشديد الطاء على معنى يتطوقونه، يقال: طاق، وأطاق، بمعنى، ولا يجوز القراءة بهذين؛ لأنه خلاف الشائع المستفيض.

۞ الإعراب

يقال: بم انتصب «**أَيَّامًا**»؟

قلنا: فيه أقوال:

الأول: نصب على الظرف، كأنه قيل: الصيام في أيام[6].

والثاني: خبر ما لم يسم فاعله كقولهم: أعطي زيد مالاً.

والثالث: على التفسير.

---

(١) فدية: ففدية، ف، و.

(٢) رفع: رفعًا، د، ف، و.

(٣) وحد: وحده، د، ز.

(٤) حجة القراءات ١١٨، والسبعة في القراءات ١٧٢.

(٥) مناهل العرفان ٢/١٨٦.

(٦) أيام: أيامه، ز، ف، و.

والرابع: بإضمار، أي فصوموا أيامًا.

فأما رفع (عدة) فقيل: بالابتداء كأنه قيل: فعليه عدة، ويجوز نصبها على تقدير فليعتد عدة.

۞ اللغة

السفر: معروف، وأصله من الكشف، ومنه ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ﴾.

والطوق: الطاقة[1] وأطاقه: إذا قوي عليه.

والفدية: الجزاء والبدل، يقال: فديت هذا بهذا أي جزيته وأعطيته بدلاً منه، وفديت فِدْية مثل مشيت مِشْية، وجلست جِلْسة.

۞ المعنى

لما أوجب تعالى الصوم، وبين محله في موضع الرخصة، فقال تعالى: «**أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ**» قيل: معلومات، واختلفوا في هذه الأيام على قولين: الأول: على[2] أنها غير رمضان، عن معاذ وقتادة وعطاء، ورواه عن ابن عباس. ثم اختلف هؤلاء فقيل: ثلاثة أيام من كل شهر، عن عطاء. وقيل: ثلاثة أيام من كل شهر، وصوم عاشوراء، عن قتادة. وقيل: إنه كان تطوعًا ثم فرض، وقيل: كان واجبًا، واتفق هؤلاء أنه منسوخ بصوم رمضان، والقول الثاني: أن المراد بالمعدودات شهر رمضان، عن ابن عباس والحسن وأبي علي وأبي مسلم وعليه أكثر المفسرين. وقيل: أوجب الصوم أولاً فأجمل، ولم يبين أنه يوم أو يومان أو أكثر ثم بين أنه أيام معلومات، وأبهم، ثم بينه بقوله: «**شَهْرُ رَمَضَانَ**» قال القاضي: وهو الأولى؛ لأنه إذا أمكن حمله على معنى من غير إثبات نسخ كان أولى، ولأن ما قالوه زيادة لا دليل عليه، ووجه التشبيه إيجاب الصوم، وإن لم تتفق الأيام وعدته.

ومتى قيل: فقد روي[3] أن صوم رمضان نسخ كل صوم؟

---

(١) والطوق الطاقة: والطوق والطاقة، د، ز.

(٢) على: ـ ، ز، ف.

(٣) فقد روي: ـ ، و.

قلنا: يحتمل كل صوم واجب في الشرائع المتقدمة، ويحتمل صيامًا وجب على هذه الأمة بغير الآية.

ومتى قيل: فإن كان المراد بالجميع شهر رمضان فلم كرر قوله: «**فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ**»؟

قلنا: لأن الابتداء لم يتحتم بشهر رمضان، وكان مخيرًا بين الصوم والفدية، ورخص للمسافر والمريض الفطر، وكان يجوز أن يظن أن لا فدية عليهما، ولا قضاء، وأن عليه الفدية دون القضاء، فَبَيَّنَ تعالى أن حكمه خلاف التخيير في المقيم، وأن عليهما القضاء، فلما نسخ التخيير في المقيم وحتم[1] الصوم كان من الجائز أن يظن أن التضييق يعم المقيم والمسافر والصحيح والمريض، فبين أن حكم الرخصة في حق المريض والمسافر ثابت، هذا[2] هو الفائدة في إعادته «**فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ**» قيل: الرخصة تتبع الاسم فكل مريض ومسافر له أن يفطر، عن الحسن. وقيل: بل كل مريض ومسافر يلحقه الجهد إن صام، ومن لا جهد فلا رخصة، عن الأصم. وقيل: هو كل مرض يؤدي الصوم إلى ضرر في النفس أو زيادة علة والرخصة ثابتة، وفي السفر أن يكون قدرًا مخصوصًا، ولا اعتبار بحال المسافر وجهده، وعليه الفقهاء وأكثر المفسرين «**فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**»، لا بد من حذف وتقديره: فأفطر فعليه عدة ذلك، ونظيره: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦] أي فحلق فعليه فدية «**وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ**» قيل: إنه يرجع إلى المريض والمسافر فلهما حالان:

أحدهما: يلزمه الفطر وعليه القضاء، وهو حال الجهد الشديد إن صام.

والثانية: ألا يثقل عليه فهو مخير بين الصوم والفدية، ولم يكن هذا التخيير في المقيم فقط، بل كان في المريض والمسافر، ثم نسخ، عن الأصم، وقال الأكثر: هو عام، والتخيير كان في المقيم الصحيح وغيره، ثم نسخ، والهاء ترجع إلى الصوم، وتقديره: وعلى الذين يطيقون الصوم إذا أفطروا فدية، وقيل: الذين يطيقون الفدية،

---

(١) وحتم: وانحتم، ف، و.

(٢) هذا: فهذا، د، ز، و.

عن الحسن والأصم وأبي مسلم. وهذا لا يصح؛ لأنه لم يَجْرِ له ذكر، ولأن الإضمار مذكر، وقيل: إنها نزلت في الشيخ الهرم، ولا نسخ فيه، عن السدي. وروي عنه أنها نزلت فيهوفي الحامل والمرضع إذا خافتا على ولدهما فنسخ فيهما دون الشيخ الهرم. «طَعَامُ مَسَاكِينَ» يعني لكل يوم طعام مسكين، وعلى القراءة الأخرى لكل الأيام طعام مساكين «فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ» قيل: تطوع بزيادة، عن ابن عباس وأبي علي، وذلك يكون بوجهين:

أحدهما: أن يطعم مسكينين أو أكثر، عن عطاء وطاووس والسدي.

والثاني: أن يطعم المسكين الواحد أكثر من قدر الكفاية حتى يزيده على نصف صاع، عن مجاهد، وقيل: عَمِلَ بِرًّا في جميع الدين، عن الحسن، وقيل: صيام مع الفدية، عن ابن شهاب[1].

«وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ» يعني الصوم خير من الإفطار والفدية «إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ» إن كنتم علماء لمشقته عليكم، وقيل: إن كنتم تعلمون أن الصوم خير لكم من الإفطار.

۞ الأحكام

يدل قوله: «أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ» على أن الصوم يجب في أيام، والصحيح أنها شهر رمضان لما قدمنا، ولأن صومه ثابت بالإجماع، وحمل[2] الآية عليه أولى.

ويدل قوله: «فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ» على الرخصة لهما، واختلفوا في مدة السفر فقيل: ثلاثة أيام ولياليها عن أهل العراق، وقيل: ستة وأربعين ميلاً عن الشافعي، وقيل: مسيرة يوم، وقيل: مسيرة يومين[3].

واختلفوا في صفة[4] المسافر، فقيل: الرخصة ثابتة سواء كان السفر طاعة أو مباحًا، أو معصية[5]، عن أبي حنيفة وأصحابه وعليه الأكثر، وقال الشافعي: لا يثبت

(١) ابن شهاب: أبي شهاب، د، ز، و.
(٢) وحمل: فحمل، د، ف.
(٣) وقيل مسيرة يومين: ـ، ز، و.
(٤) صفة: ـ ،ف.
(٥) أو مباحاً أو معصية: أو معصية أو مباحاً، د، ز، و.

في سفر المعصية، وإذا[1] سافر بعدما دخل الشهر أو قبله جاز له الفطر.

واتفق الفقهاء أن الفطر في السفر رخصة، وإن صام جاز صومه إلا أن يبلغ الجهد. وعن عمر وابن عباس أن الفطر عزيمة، ثم اختلفوا، فالأكثر على أن الصوم أفضل من الفطر، وعن بعضهم الفطر أفضل، فأما المريض فقد بينا ما قيل فيه، والصحيح أن كل مريض يؤثر الصوم فيه فله أن يفطر، وسواء كان وجعًا أوحُمّى أو غيره.

ويدل قوله: «**فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**» على وجوب القضاء على المريض والمسافر، ولا خلاف فيه، وإنما الخلافُ في موضعين إذا لم يقض حتى دخل رمضان آخر، فعندنا هو مسيء، وعليه القضاء فقط، وقال الشافعي: عليه مع القضاء الفدية. والثاني الحامل والمرضع إذا أفطرتا عليهما القضاء عندنا، وعند الشافعي القضاء والفدية.

ولا خلاف أنه إذا لم يبرأ من مرضه، ولم يعد من سفره فلا قضاء عليه، فإذا عاد وبَرَأَ ولم يقض حتى مات أوصى به، ثم اختلفوا، فعندنا تؤدى عنه الفدية ولا يصوم عنه أحد، وقال الشافعي: يصوم عنه وليه، واختلفوا في العدة، فقيل: التتابع شرط فيه، عن مالك بن أنس، وقيل: ليس بشرط، عن ابن عباس ومعاذ، وعليه أكثر الفقهاء.

ويدل قوله: «**وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ**» على وجوب الفدية، قد بَيَّنَّا ما قيل فيه، وأن الأولى أن يحمل على أنه كان مخيرًا ثم نسخ و«**يطيقونه**» يعني الصوم.

واختلفوا في الفدية، فقيل: مقدر بنصف صاع بر أو صاع من تمر أو شعير، عن أهل العراق، وقيل: مقدر بِمُدٍّ عن الشافعي.

واتفقت الأمة أنه لا يجوز الفطر في رمضان إلا لعذر، والعذر ثلاثة: المرض، والسفر وعليهما القضاء[2] فقط، والشيخ الهرم وعليه الفدية، فأما الحامل والمرضع فتدخل في عذر المرض، فأما إذا أفطر لغير عذر مقصود[3] جنسه من جماع أو طعام فعليه التوبة والقضاء والكفارة العظمى.

(١) وإذا: إذا، د، ف، و.

(٢) وعليهما القضاء: ـ ، د، ز.

(٣) لغير عذر مقصود: بغير عذر لمقصود، ز، ف.

ويدل قوله: «وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ» على أن الصوم في السفر أفضل، فيبطل قول من خالف فيه.

ويدل قوله: «وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ» على أن الاستطاعة قبل الفعل.

قوله تعالى:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾

القراءة

قرأ ابن كثير وحده «القران» بغير همز حيث كان، والباقون بالهمز(١)، وهما لغتان.

وقرأ أبو جعفر «اليُسُرَ» و«العُسُرَ» بالتثقيل فيهما، والباقون بالتخفيف(٢)، والمعنى واحد.

وقرأ أبو بكر عن عاصم: «ولتُكَمِّلوا» بتشديد الميم(٣)، والباقون بالتخفيف، قال أبو العباس: أكملت وكملت في المعنى سواء.

والظاهر من القراءة «شهر رمضان» بضم الراء، وحكى أبو القاسم عن مجاهد بفتح الراء، وروي عن الحسن بسكون الراء، ولا تجوز القراءة بهما؛ لأنه خلاف النقل المستفيض.

اللغة

الشهر: معروف، وهو اسم لمدة مخصوصة، ثلاثون يومًا، أو تسعة وعشرون

---

(١) حجة القراءات ١٢٥.

(٢) روح المعاني ٢/ ٦٢.

(٣) حجة القراءات ١٢٦.

يومًا، والاعتبار في الشهر في أحكام الشرع بالأهلة إلا في مدة العِنِّين، فعندنا يعتبر سنة شمسية لا قمرية. أو جمع الشهر: أشهر[1] وشهور، وأصله من الظهور، يقال: شَهَرْتُ الحديث أظهرته، والشهرة ظهور الأمر في شُنْعَةٍ.

ورمضان أصل الرمض شدة الحر، وكانوا يسمون الشهور باسم الأزمنة التي فيها وقعت فوافق رمضان أيام الحر، وجمع رمضان: رمضانات، واختلفوا، فقيل: سمي رمضان؛ لأن رمضان اسم من أسماء الله تعالى، كأنه قيل: شهر الله، وقيل: لأن الحجارة كانت ترمض من شدة الحر. وقيل: لأنه يرمض الذنوب أي يحرقها.

والقرآن: أصله الجمع، ومنه سمي القراءة؛ لأنها تجمع الحروف.

والعسر: الصعوبة، ونقيضه اليسر، وهو السهولة.

والإكمال من الكمال وهو التمام.

والتكبير: التعظيم.

۞ الإعراب

في رفع «**شَهْرُ رَمَضَانَ**» ثلاثة أو جه:

الأول: أنه خبر ابتداء محذوف، يدل عليه قوله: «**أَيَّامًا**» فكأنه قيل: متى هي؟ قال: شهر رمضان، عن الفراء والأخفش.

الثاني: على ما لم يسم فاعله بدلاً من الصيام، كأنه قيل: كتب عليكم شهر رمضان، عن الكسائي.

الثالث: الابتداء، وخبره «**الذي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآن**».

وفي نصبه وجوه: قيل: صوموا شهر رمضان، وقيل: بدلاً من أيام معدودات. وقيل: نصب على الظرف، وهو قول الأخفش، وقيل: على الإغراء، عن أبي عبيدة، كأنه قيل: عليكم شهر رمضان، كقوله: ناقَةَ اللهِ.

---

(١) أشهر: الأشهر؛ د، ز، ف، و.

ويقال: و«لتكملوا» على ماذا عطف؟

قلنا: فيه وجهان: قيل: عطف على جملة؛ لأن بعده محذوفًا[1] ، كأنه قيل: ولتكملوا العدة شرع[2] ذلك، عن الفراء، وقيل: على تأويل محذوف دل عليه ما تقدم أن يسهل عليكم ولتكملوا العدة، عن الزجاج.

ويقال: ما موضع «هدى» من الإعراب؟

قلنا: نصب على الحال، كأنه قيل: أنزل فيه القرآن هاديًا.

ويقال: كيف عطف الظرف على الاسم في قوله: «وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ»؟

قلنا: لأنه بمعنى الاسم، كأنه قيل: أو مسافرًا، ومثله: ﴿دَعَانَا لِجَنْبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾ [يونس: ١٢] معنى مضطجعًا أو قائمًا.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى وقت الصوم ووجوبه والرخصة فيه، فقال تعالى: «شَهْرُ رَمَضَانَ» عرف الشهر، وبيّن أنه خصه بالصوم لاختصاصه[3] بالفضائل المذكورة، وهو أنه أنزل فيه القرآن، وعليه مدار الدين، واختلفوا، فقيل: أنزل القرآن كله في ليلة القدر إلى السماء[4] الدنيا، ثم أنزل على النبي ﷺ متفرقًا بعده، عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وجماعة، وقيل: ابتدأ إنزاله ليلة القدر من شهر رمضان، عن أبي إسحاق، وقيل[5] : كان ينزل إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ما يحتاج إليه في تلك السنة، والأقرب الأول لما يعلمه الله تعالى من المصلحة. ثم وصف القرآن فقال: «هُدًى لِلنَّاسِ» يعني دلالة لهم فيما كلفوه من العلوم[6]، «وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى» فبيّن أنه مع كونه

---

(١) محذوفا: محذوف، ل.

(٢) شرع: وشرع، ل.

(٣) لاختصاصه: ولاختصاصه، د، ز.

(٤) السماء: سماء، د، ز، ف.

(٥) وقيل: فقيل، ز، ف.

(٦) من العلوم: العلوم، د، ز، و.

هدى يتضمن بينات من الهدى والفرقان[1] فوجب حمله على غير ما تقدم ليفيد، وقيل: المراد بالهدى الأول الهدى من الضلالة، وبالثاني: بيان الحلال والحرام، عن ابن عباس. وقيل: أراد بالأول ما كلف من المعلوم، وبالثاني ما يشتمل عليه من ذكر الأنبياء وشرائعهم وأخبارهم؛ لأنها لا تدرك إلا بالقرآن، عن الأصم والقاضي؛ ولذلك قال: «وَبَيِّنَاتٍ»؛ لأنه كالحكاية عن هدى من تقدم من الأنبياء، ثم وصف القرآن بأنه فرقان يعني يفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام، وكل ذلك ترغيب في تدبره، والتعويل عليه، والتحذير من خلافه **«فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ»** الألف واللام في الشهر للعهد، والمراد به شهر رمضان، وقيل: من شهد أول الشهر فليصم جميعه عن علي (عليه السلام)، وقيل: من شهد كل الشهر مقيمًا صحيحًا مكلفًا فليصمه، ومعنى «شَهِدَ» قيل: شاهد الشهر وهو مكلف، وقيل: حضر ولم يغب، ومعناه أن يرد الشهر وأوقاته وهو على صفة يلزمه الصوم فليصمه، فأوجب الصوم حتمًا ونسخ التخيير، وإن كان موصولاً به في التلاوة؛ لأن الانفصال تغيير عند الإنزال لا عند التلاوة، وعلى هذا قال العلماء في عدة المتوفى عنها زوجها: إن المقدم ناسخ، والمتأخر في التلاوة منسوخ؛ إذ لا معتد بالتلاوة، والمتلو أولا هو المنزل آخرًا، فأما الصوم فقد بينا صفته، وأنه الإمساك مع النية، ولا خلاف أن تقديم النية في وقت الشروع جائز، والخلاف في تأخره وقد بينا. **«وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ»** بَيَّنَّا الرخصة للمريض والمسافر وصفتهما وذكرنا أن منهم من قال: الفطر للمسافر عزيمة، ومنهم من قال: رخصة، وهو قول الفقهاء، ثم اختلفوا، فمنهم من قال: الصوم أفضل، وعليه الأكثر، وبعضهم قال: الفطر أفضل **«فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ»** أي فأفطر فعليه عدة من أيام أخر يقضي فيها ذلك، واختلفوا هل للعدة وقت، قال أبو حنيفة: لا، وهو موسع، وقيل: هو مُضَيَّقٌ إذا برئ أو قَدِمَ، عن الحسن وجماعة. وقيل: مؤقت بما بين رمضانين، فإن فرط لزمه الفدية، عن الشافعي **«يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ»** بالرخصة[2] للمريض والمسافر إذْ لم يوجب الصوم عليهما حتمًا فقيل[3]: يريد الله بكم اليسر في جميع

---

(١) والفرقان: في القرآن، ز، ف، و.

(٢) بالرخصة: في الرخصة، د، ز.

(٣) فقيل: وقيل، ز، ف.

أموركم «وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ» أي التضييق عليكم «وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ» يعني تتموا[1] العدة ما أفطرتم بالقضاء، وقيل: وليكمل المقيم الصحيح والمريض والمسافر على ما أمر؛ لأنه مع الطاقة وعدم العذر يسهل عليه كمال[2] العدة، والمريض والمسافر يتعسر عليه فيكمل في وقت آخر «وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ» قيل: أراد التكبير ليلة الفطر ويوم الفطر، عن ابن عباس وجماعة. وقيل: هو التعظيم له شكرًا لقوله: «عَلَى مَا هَدَاكُمْ» ولأنه لم يُرْوَ تكبير في ذلك الوقت فجمع عليه «وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» أي لتشكروا الله على نعمه، والشكر قيل: هو تعظيم النعم بالثناء باللسان والتعظيم بالقلب. وقيل: العبادات بالجوارح، عن أبي مسلم. وقيل: إنه يقع على القول والاعتقاد حقيقة، وفي أفعال الجوارح، وهو مجاز، عن القاضي.

۞ الأحكام

في الآية أحكام عقلية، وأحكام شرعية:

أما العقليات: فتدل على أن الهدى ليس هو نفس الإيمان كما تزعمه المجبرة؛ لأنه تعالى جعل القرآن هدى.

وتدل على بطلان قول أصحاب المعارف؛ إذ لو كانت ضرورية لما أفاد وصفه بأنه هدى.

وتدل على بطلان قول المجبرة؛ لأنه بين أن في أفعال المكلف ما يريد وهو اليسر، ومنها ما لا يريد، وهو العسر، وهذا خلاف قولهم، فإنهم يزعمون أنه يريد كل عسر بعباده.

وتدل على بطلان قولهم في تكليف ما لا يطاق ولا يستطاع؛ لأنه إذا كان لا يريد بهم العسر فلأن لا يريد تكليف ما لا يطاق أولى[3].

وتدل على بطلان قولهم في خلق الأفعال؛ لأنه أثبت أن لهم فعلاً بتعسير

(١) تتموا: تتمموا، د.
(٢) كمال: لكمال، د، ز، و.
(٣) في تكليف قولهم: . . . يطاق أولى: ـ ، ز، ف.

وتيسير، وتدل على بطلان قولهم أيضًا قوله: «وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ» فبين[1] أنه أراد من الجميع الإكمال[2]، خلاف قول المجبرة.

ويدل عليه قوله: «وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» أنه أراد من الجميع الشكر، وعندهم أراد الإهمال[3] ممن فعله، والشكر ممن شكره، والكفر ممن كفره.

وتدل على[4] أن المصالح قد تعلق بالمكان؛ والزمان لذلك أوجب صوم شهر رمضان.

وأما الأحكام الشرعية: فتدل على أن القرآن أنزل ليلة القدر، ومعلوم أنه لم ينزل في تلك الليلة على الرسول فلم يبق إلا ما بَيَّنَّاه، ولا يقال: إنه خبر عن الماضي؛ لأنه بمنزلة قوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٤] يعني سينادي، ولا يمتنع أن يقول: يكون وقعة حنين، فإذا وقعت أنزل على[5] الرسول ﴿وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ﴾ [التوبة: ٢٥]، وتدل على أن القرآن هدى ودلالة، وتدل على أن القرآن يُفهَمُ معناه، فيبطل قول من يخالف فيه، وقال: لا يُعْرَفُ بظاهره، أو يُرجع إلى إمام؛ لأنه يخرجه من كونه هدى، وتدل على وجوب صوم الشهر، ولا خلاف أن من شهد جميع الشهر وهو مكلف لزمه الصوم، واتفقوا أن الصبي إذا أدرك والكافر إذا أسلم يلزمه ما بقي، ولا يلزمه ما مضى، واختلفوا في المجنون إذا أفاق في بعض الشهر فعند أبي حنيفة يلزمه صوم الجميع، وقال الشافعي: لا يلزم[6] إلا ما بقي، واختلفوا في الشهر فالفقهاء كلهم على أنه يعتبر رؤية الأهلة، أو يكون بالعدد ثلاثين[7] يومًا، فأما الذي تزعمه الباطنية من الحساب وغيره، فذاك خلاف الإجماع، وما علم من دينه ضرورة، وكل من قال بذلك كَفَرَ، واختلفوا فيما يثبت به الرؤية ففي الصوم بشهادة رجل واحد، وفي الفطر

(١) فبين: وبين، د، ف.

(٢) الإكمال: الكمال، د، ز، و.

(٣) الإهمال: الإكمال، د، و.

(٤) على: ـ، ز، و.

(٥) على: إلى، د، ز.

(٦) لا يلزم: لا يلزمه، ز، ف.

(٧) ثلاثين: ثلاثون؛ د، ز، ف، و.

بشهادة رجلين قال الشافعي: تثبت بشهادة(١) رجلين أو رجل(٢) وامرأتين في جميع ذلك.

ومن شرائط الصوم: النية(٣)، ثم اختلفوا إذا أطلق النية أو نوى التطوع عند أبي حنيفة يكون صائمًا عن الفرض، وقال الشافعي: لا يكون صائمًا، اختلفوا، فقيل: وقتها من غروب الشمس إلى أن تزول الشمس من اليوم عند أبي حنيفة. وقال الشافعي: حتى يطلع الفجر، وإن أفطر ناسيًا لا يلزمه القضاء، وعن مالك بن أنس يلزمه، وإن تعمد فعليه القضاء والكفارة، والكفارة عتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين، أو إطعام ستين مسكينًا على الترتيب، وعن بعضهم على التخيير.

وتدل على الرخصة للمريض والمسافر.

وتدل على أنهما إذا لم يطيقا وخافا الضرر يجب الفطر.

وتدل على أن التكليف نعمة لذلك أَمَرَ بالشكر عليه.

واتفقوا في الجماع أن فيه الكفارة، فأما في الطعام فذلك(٤) عند أبي حنيفة، وعند الشافعي لا.

والمطاوِعةُ عندنا يلزمها الكفارة، وعند الشافعي لا.

قوله تعالى:
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾

القراءة

«الداعي إذا دعاني» بإثبات الياء فيهما في الوصل أبو عمرو وقالون عن نافع، وقرأ الباقون بحذفها، فالأول على الأصل، والثاني للتخفيف، ودلالة الكسرة عليه(٥).

---

(١) تثبت بشهادة: الصوم النية، ز، ف، و.
(٢) أو رجل: أو رجل واحد، ف، و.
(٣) الصوم النية: ـ ، ف، و.
(٤) فذلك: فكذلك، ز، و.
(٥) حجة القراءات ١٢٦.

۞ اللغة

أجاب واستجاب بمعنى، وأصله من الجَوْبِ، وهو القطع، ومنه: ﴿جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ [الفجر: ٩] فكأن السائل متوقف فإذا أجيب قطع بما أجيب.

والرشد نقيض الغي، والرشد إصابة الخير، ومنه: ﴿رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨].

۞ الإعراب

اللام في قوله: «فَلْيَسْتَجِيبُوا» لام الأمر، ولا بد منها في الغائب، فأما في الحاضر فيجوز حذفها وإثباتها نحو: «قم، ولتقم»، وأصلها الكسر، ويجوز فيها السكون إذا اتصلت بحرف واحد.

۞ النزول

روي أن سائلاً سأل النبي ﷺ: أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه[1] ؟ فنزلت الآية، عن الضحاك.

وقيل: سأل بعضهم: أين ربنا؟ فنزلت الآية، عن الحسن.

وقيل: نزلت جوابًا لقوم سألوا: كيف ندعوه؟، عن قتادة.

وقيل: إن اليهود قالوا: يا محمد، كيف يسمع ربك دعاءنا؟ فنزلت الآية، عن ابن عباس.

۞ المعنى

ثم عقب ذكر الصوم بما يلزم من الدعاء، فقال تعالى: «**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي**» يحتمل عن المكان، ويحتمل كيف ندعوه، ويحتمل عن كيف التوصل إلى رحمته على حسب ما روي في سبب النزول، وعلى حسب اختلافهم في السؤال اختلفوا في الجواب، فمنهم من قال: الجواب في قوله: «**فَإِنِّي قَرِيبٌ**» ومنهم من قال: الجواب في قوله: «**أجيب**» والأقرب أن يكون السؤال عن صفته لا عن فعله لقوله: «**عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ**» فيه إضمار، أي فقل[2] : إني قريب يدل بذلك أنه لا مكان له؛ إذ لو كان له

---

(١) العجاب في بيان الأسباب ١/ ٤٣٤.

(٢) فقل: فقال، ز، ف.

مكان لم يكن قريبًا من كل من يناجيه. وقيل: قريب الإجابة، أي سريعها. وقيل: قريب السماع يسمع دعاءهم كسماع القريب. وقيل: قريب بالعلم والقدرة «**أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**» يعني: أجيب دعاء من دعاني، وهذا[1] وإن كان دعوة الداعي[2] ظاهره على القطع.

وللدعاء شروط حتى يجاب:

فمنها: معرفة الداعي بربه ليصح أن يوجه الدعاء إليه.

ومنها: أن يعرف حسن ما يدعو[3] ، وما لا يحسن.

وثالثها: أن يعرف الوجه الذي يحسن عليه الطلب، والدعاء إليه[4]، فإذا دعا بشرائط الدعاء، وعلم تعالى أن إجابته مصلحة أجاب، وإن كانت المصلحة في التأخير أخر الإجابة، ولا يجوز أن تقف مصالح العباد على اختيارهم وسؤالهم.

ومتى قيل: فما معنى الدعاء؟

فجوابنا أنه يكون تعبدًا، ولأنه يجوز أن تكون المصلحة في فعله عند مسألتهم، ولولا سؤالهم لم يكن فعله مصلحة.

ثم بَيَّنَ تعالى كيف ينبغي أن تكون صفة الداعي حتى يستجاب له، فقال: «**فَلْيَسْتَجِيبُوا**» يعني فلينقادوا لي فيما أمرتهم به ونهيتهم عنه؛ لأن استجبته واستجبت له بمعنى أجبته «**وَلْيُؤْمِنُوا بِي**» أي ليصدقوا بجميع ما أنزلته «**لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**» أي لكي يرشدوا، وليس هو على الشك، وقيل: افعلوا ذلك متعرضين للرشد.

۞ الأحكام

الآية تدل على نفي المكان؛ إذ لو كان في جهة لم يكن قريبًا من كل داع فيبطل قول المشبهة.

---

(١) وهذا: هذا، د، ز، ف.
(٢) دعوة الداعي: ـ ، د، ز.
(٣) ما يدعو: ما يدعوه، ف، و.
(٤) إليه: ـ ، ز، و.

وتدل على أن الدعاء إذا وقع بشرائطه فإنه يجيبه.

وتدل على أنه يجيب دعاء المؤمنين دون الفاسقين؛ لأنه كالمدح لهم، ولأن قولهم: فلان مستجاب الدعوة كالمدح له، عن أبي علي، وجوز أبو بكر الإخشيد إجابة دعاء الكافر لطفًا له.

وتدل على وجوب الانقطاع إليه في منافع الدين والدنيا؛ لأنه لم يفصل.

وتدل على وجوب التصديق والثقة بوعده، فلذلك قال: «**وَلْيُؤْمِنُوا بِي**» عقيب[1] إجابة الدعاء.

وتدل على أنه تعالى[2] لا يُعرف ضرورةً[3] ؛ إذ لو كانوا مضطرين لم يكن للسؤال معنى.

وتدل على أن الرسول ﷺ[4] كما يُبَيِّنُ[5] الشرائع يُبَيِّنُ[6] التوحيد، وكما أنه يُسأل عن أحدهما يسأل عن الآخر.

وتدل على أنه أراد من جميع المكلفين الرُّشْدَ بقوله: «**لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**» فيبطل قول المجبرة في الإرادة.

وتدل على أن الدعاء عبادة إذا وقع بشرائطه.

وقد روي عن إبراهيم بن أدهم أنه قيل له: ما بالنا ندعو الله فلا يجاب لنا؟ فقال: لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه، وعرفتم الرسول ﷺ[7] فلم تتبعوا سنته، وعرفتم القرآن فلم تعملوا به، وأكلتم نعم الله فلم تشكروه، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها، وعرفتم النار فلم تهربوا منها، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه، ولم تخالفوه، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له، ودفنتم الأموات ولم تعتبروا بهم[8] ، وتركتم عيوبكم، واشتغلتم بعيوب الناس.

---

(١) عقيب: عقب، د، ز، و.
(٢) تعالى: ـ ، ف.
(٣) ضرورة: ـ، د، ز.
(٤) صلى الله عليه وآله وسلم: ـ ، ز، و.
(٥) يبين: بين، د، ز، و.
(٦) يبين: بين، د، ز، و.
(٧) صلى الله عليه وآله وسلم: ـ ، د، ز.
(٨) بهم: بها؛ د، ز، ف، و.

قوله تعالى:
﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ﴾

القراءة

ظاهر[١] القراءة [«**الرفث**»] وعن الأعمش «**الرفوث**»[٢] ، ومعناهما واحد.

«**وابتغوا**» بالغين معجمة، وعن معاذ «**واتبعوا**» من الاتباع[٣] .

اللغة

الرفث: الجماع، والرفث والترفث: القول الفحش، قال ابن عباس: إن الله تعالى كريم يكني.

والسواد والبياض لونان كل واحد منهما أصل بنفسه.

واللباس معروف، وهو كل ما يلبس، وشبه المرأة به؛ لأنها بمنزلة اللباس.

والمباشرة: المجامعة، وسمي بذلك لتلاصق[٤] بشرة كل واحد منهما بصاحبه.

والخيانة: ضد الأمانة، وأصله من النقص، وهو الخون أيضًا، والتخون التنقص، يقال: خان واختان، وتسمى[٥] المائدة خوانًا؛ لأنه يتخون ما عليه، أي يتنقص، ورجل خائنة إذا بولغ في صفته بالخيانة، وحد الخيانة انتقاص الحق على جهة المساترة، ومنه قيل للأسد: خَوَّان.

---

(١) ظاهر: ـ، ف.
(٢) الطبري ٣/ ٤٨٧.
(٣) الطبري ٣/ ٥٠٨.
(٤) لتلاصق: لتلاقي، د، ز.
(٥) وتسمى: وسمي، ز، ف.

۞ الإعراب

(من) في قوله تعالى: «مِنَ الْفَجْرِ» قيل: للتبعيض؛ لأن المعتبر بعض الفجر لا كله، وقيل: للتبيين، كأنه قيل: الخيط الأبيض الذي هو الفجر.

۞ النزول

كان في الصوم الأول يحل الطعام والشراب ما لم يرقدوا، أو يصلوا العشاء، فإذا فعل أحدهما حرم عليه إلى الليلة الثانية، فجاء رجل من الأنصار إلى رسول الله ﷺ واختلفوا في اسمه، فقيل: أبو صِرْمَة، عن معاذ. وقيل: قيس بن صرمة، عن البراء. وقيل: أبو قيس ابن صرمة، عن السدي وعكرمة. وقيل: صرمة بن شاس، عن مقاتل. وقيل: أبو قيس صرمة[1] ، عن الكلبي. وقيل: صرمة بن أنس. فقال: عملت في النخل نهاري أجمع حتى أمسيت، فأتيت أهلى لتطعمني فأبطأت فنمت فأيقظتني، وقد حرمت عليّ[2] الأكل، وقد أمسيت، وقد جهدني[3] الصوم، فقال عمر: يا رسول الله، أعتذر إليك من مثله، رجعت إلى أهلي بعدما صليت العشاء، فأتيت امرأتي، وقام رجال فاعترفوا بالذي سمعوا، فنزلت الآية، عن ابن عباس والسدي[4] .

۞ المعنى

لما بَيَّنَ تعالى الصوم بين وقته، فقال تعالى: «أُحِلَّ لَكُمْ» وهذا يقتضي تحريمًا متقدمًا أزاله عنهم، ويحتمل أن ذلك التحريم كان في شريعة من قبلنا، إلا أن المفسرين اتفقوا أن التحريم كان في ابتداء الإسلام ثم نسخ، غير أبي مسلم فحمله[5] على تحريم ذلك في النصارى، وأنه تعالى أحل ذلك للمسلمين، وإنما أوتي في ذلك

---

(١) أبو قيس صرمة: أبو قيس بن صرمة، د، و.
(٢) عليّ: ـ، ز.
(٣) جهدني: هجرني، ف، و.
(٤) العجاب في بيان الأسباب ١/ ٤٤١.
(٥) فحمله: فإنه حمله، د، ز، و.

من إنكاره النسخ[1] في القرآن حتى أداه ذلك في مواضع إلى تعسف شديد في التأويل «**لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ**» قيل: الجماع، عن ابن عباس وأكثر المفسرين. وقيل: إنها كلمة جامعة لحاجات الرجال إلى نسائهم، عن الأصم «**هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ**» شبهت[2] باللباس قيل: من حيث يخصها بنفسه كما يخص لباسه فيراها أهلاً لملاقاة بشرته. وقيل: لأنه يسكن إليها، ويستتر بها عن الأمور التي تنفر النفس عنه، كما يستتر بلباسه عن كشف ما ينفر الطبع عن كشفه. وقيل: لأن كل واحد منهما كان يلبس صاحبه على المحظور، ويستتر بصاحبه عن الناس، عن الأصم، وهذا تعسف شديد. واختلفوا في معناه، وقيل[3] : سكن لكم، عن ابن عباس. وقيل: كاللباس لكم يحل له أن تلابسه، عن أبي علي. وقيل: حلال لكم، عن الحسن. «**عَلِمَ اللَّهُ**» يعني علمه موجودا، فالوجود حادث لا علم الله؛ لأنه تعالى عالم لم يزل ولا يزال «**أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ**» قيل: تظلمون أنفسكم، عن ابن عباس، وقيل: تخونون يعني في الجماع؛ لأنه الذي سبق ذكره، ويتأخر[4] ذكره، فلا[5] بد أن يكون وقع[6] من بعضهم، والمعنى جامعتم على وجه محظور، فكأنه خان نفسه من حيث أقدم على محظور، وقيل: تفعلون ما يضركم على وجه المساترة عن غيركم، وقيل: خنتم أنفسكم حيث فوّتم ثوابه «**فَتَابَ عَلَيْكُمْ**» قيل: تبتم فقبل توبتكم، وقيل: رحمكم بأن رخص لكم فرجع بكم إلى الإباحة، وقيل: لطف لكم حتى تبتم.

ويقال: إذا كان الخيانة الستر فكيف يساتر نفسه؟

قلنا: قيل: يستر بعضهم بعضًا، وقيل: يعمل على[7] المساترة له، وقيل: لأن الجماع يقع على وجه المساترة.

(١) النسخ: للنسخ، د، ف.
(٢) شبهت: شبههم، ز، و.
(٣) وقيل: فقيل، د، ز.
(٤) ويتأخر: ويتأخره، ز، ف.
(٥) فلا: ولا، د، ف، و.
(٦) وقع: ـ ، ف.
(٧) على: عمل، ز، ف.

«وَعَفَا عَنْكُمْ» قيل: رخص ووسع عليكم، وقيل: غفر ذنوبكم[١] ، وصفح عنه، **«فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ»** قيل: جامعوهن، عن جماعة المفسرين، وقيل: الجماع فما دونه، عن الأصم **«وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ»** قيل: ليلة القدر، عن ابن عباس ومعاذ، وتقديره: كما أباح المباشرة بالليل ألزم العبادة ابتغاء هذه الليلة كيلا تفوته، وقيل: ابتغوا هذا المباح، وهو الجماع، وقيل: كتب إباحة، عن قتادة وابن زيد، كأنه قيل: كتب إباحته لكم، وقيل: أراد به الولد، عن ابن عباس والحسن وأنس ومجاهد والضحاك وأبي علي، كأنه قيل: وابتغوا بالمباشرة الأولاد الذي هو سببه، كما كتبه في اللوح المحفوظ، وهذا أوجه؛ لأن الابتغاء هو الطلب، فإذا[٢] كان ما تقدم يمكن الطلب به وجب أن يكون المطلوب غيره **«وَكُلُوا وَاشْرَبُوا»** أباحهما، كما أباح الجماع؛ لأن الحظر كان شملهما جميعًا **«حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ»** يظهر، وذلك بأن يعلم بأن الفجر بدأ أو ظهر أمارته بخبر أو امتداد وقت، فإن لم يظهر لحائل، فيحتاج إلى الاجتهاد، فإن غاب عن موضع مشاهدة تَحَرَّى **«الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ»** هي كناية عن بياض أول النهار، وسواد آخر الليل، وهذا هو الذي يجب أن يراعيه الصائم؛ لأن في آخر الليل سوادًا يبيح الإفطار، وفي أول النهار بياضًا يحرم ذلك، فيجب أن يتبينه[٣] ليقع الإفطار في موضعه، وإنما شبه ذلك بالخيط؛ لأن القدر الذي يحرم الإفطار من البياض يشبه الخيط، ولا اعتبار[٤] بالانتشار، فيزول به مثله من السواد، فابتداء[٥] الصوم من هذا الوقت، ثم بَيَّنَ تعالى الانتهاء فقال تعالى: **«ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ»**، ولا خلاف في ذلك، وإن كان اختلفوا في أول الليل، فالذي[٦]

---

(١) ذنوبكم: ذنبكم، د، ز، ف.

(٢) فإذا: وإذا، د، و.

(٣) يتبينه: يتيقنه، د، ز، و.

(٤) ولا اعتبار: والاعتبار، ز، ف.

(٥) فابتدأ: ـ ، د.

(٦) فالذي: والذي، د، ز.

عليه الفقهاء والمفسرون أن الاعتبار بغروب الشمس، وهو قول ابن عباس. وقيل: زوال آثار الشمس وظهور الظلام، وظهور كوكب من كواكب الليل.

۞ الأحكام

الآية تدل على إباحة الأكل والشرب والجماع كل الليل.

وتدل على أن الجنابة[1] لا تمنع صحة الصوم؛ لأنه أباح الجماع كل الليل، ولو منعه لما كان مباحًا، ولأنه إذا وقع الجماع آخر الليل وقع الغسل بالنهار.

وتدل على أن له أن يجامع ويأكل ما لم يعلم تقضِّي الليلِ، فيبطل قول من يقول: إذا شك في طلوع الفجر فأكل أو جامع بطل صومه.

وتدل على أن ابتداء الصوم من حين الفجر، فإن أكل وقد طلع الفجر وهو يظن أنه لم يطلع وجب القضاء، ولا كفارة للشبهة، وكذلك إذا أفطر على ظن أنها غربت، ثم بَانَ خِلَافُه قَضَى ولا كفارة. ومن أكل ناسيًا لا قضاء عليه، هذا قول أبي حنيفة وأصحابه وأكثر أهل العلم، وعن الحسن: لا قضاء في الوجوه الثلاثة، وقال مالك بن أنس: عليه القضاء في الناسي أيضًا، وقال واصل: لا قضاء في أول النهار، وعليه القضاء في آخره، كأنه يراعي الأصل.

وتدل على جواز النية بعد الفجر؛ لأن «ثم» للتعقيب، كأنه[2] إذا نوى بعد الفجر وَتَبَيَّنَهُ صح، خلاف ما يقوله الشافعي: إن النية من الليل شرط، ولا خلاف في[3] أن الآية وردت في صوم رمضان.

قوله تعالى:

﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ١٨٧﴾

---

(١) الجنابة: الخيانة، د، و.
(٢) كأنه: فكأنه، د، ز، و.
(٣) في: ـ، و.

۞ القراءة

القراءة الظاهرة «**المساجد**» على الجمع، وعن مجاهد «**المسجد**» على الواحد.

۞ اللغة

الاعتكاف: العكوف، أصله اللزوم يقال: عكفت بالمكان إذا أقمت به ملازمًا له[1]، ومنه: ﴿يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ [الأعراف: ١٣٨] والاعتكاف: هو حبس النفس في المسجد على عبادة الله تعالى بشرط العزم، وترك ما يبطله، فالاسم شرعي فيه معنى اللغة.

والحد: أصله المنع، ومنه سمي البواب حدادًا، ومنه الإحداد، وحدّ الدار[2] والحدود سمي بذلك؛ لأنه يمنع من ارتكاب ما يستحق به الحدّ.

۞ النزول

قيل: إنها نزلت في ناس من الصحابة كانوا يعتكفون في المسجد، فإذا عرضت لأحدهم حاجة إلى أهله خرج وجامعها، ثم اغتسل وعاد إلى المسجد، فنهوا عن ذلك، فنزلت الآية، عن ابن عباس وقتادة ومقاتل وغيرهم.

۞ المعنى

لما بَيَّنَ تعالى وقت تحريم المباشرة في الصوم أتبعه ببيان تحريمها في الاعتكاف كيلا يظن أن التحريم فيهما سواء، فقال تعالى: «**وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ**» أطلق النهي ليعلم تحريمه ليلاً ونهارًا، وقيل: المراد به الجماع، عن ابن عباس والضحاك والحسن وقتادة وغيرهم. وقيل: الجماع وكل ما[3] دونه من قُبلة ونحوها، عن ابن زيد ومالك بن أنس «**وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ**» أي ملازمون للمسجد معتكفًا، والاعتكاف عبادة

---

(١) له: ـ، د، ف

(٢) وحدّ الدار: وحدود النار، ز، ف.

(٣) وكل ما: فكل ما، د، ز.

كانت معروفة عندهم، فلذلك أطلق، وبَيَّنَ اختصاصه بالمساجد، واختلفوا فقيل: تحريم الجماع لأجل الاعتكاف، وقيل: لأجل المسجد، والأول الوجه؛ لأنه لا يحل خارج المسجد إذا خرج لحاجة «**تِلْكَ**» يعني الأحكام التي تقدمت في الصوم والاعتكاف وغيرها «**حُدُودُ اللَّهِ**» قيل: شروطه، عن السدي. وقيل: فرائضه، عن شهر بن حوشب. وقيل: معاصي الله، عن الضحاك. وقيل: ما منع الله منه، عن الزجاج. وقيل: حرمات الله، عن الحسن. وقيل: حدوده الفاصلة بين الحرام والحلال «**فَلَا تَقْرَبُوهَا**» قيل: فلا تأتوها[1]. وقيل: لا تقربوها بالمخالفة «**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ**» حججه «**لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**» أي: لكي يتقوا المعاصي، ويتمسكوا بالطاعات؛ لأن بها يتم[2] التقوى، وقيل: لتتقوا الجماع في الاعتكاف.

۞ الأحكام

الآية تدل على تحريم الجماع في الاعتكاف ليلاً ونهارًا، ولا خلاف فيه، وإنما اختلفوا فيما دون الجماع من مباشرة وقُبلة، والفقهاء على أنه مباح إلا أن يُنزِل، فيبطل الاعتكاف، وحرمه مالك بن أنس.

وتدل على أن الاعتكاف عبادة ليصح بيان حكمه والمنع عن المباشرة لأجله، ولا خلاف فيه، وإنما اختلفوا في شرائطه.

وتدل على أن هذا الاسم شرعي؛ لأن أهل اللغة لم يعرفوا هذه الشرائط.

وتدل على أنه يختص بالمساجد[3]، ثم اختلفوا، فالذي عليه الفقهاء جوازه في سائر المساجد، وعن مالك أنه يختص بالجامع، وعن حذيفة أنه يختص بثلاثة مساجد، وقد يسقط خلافه، فأما النساء فتعتكف في مسجد بيتها عند أبي حنيفة، وقال الشافعي: لا يجوز.

واختلفوا، فقيل: الصوم شرط، وهو قول أبي حنيفة ومالك بن أنس، وقال

---

(١) فلا تأتوها: فلا تقربوها، ز، و.

(٢) بها يتم: بهما تم، د، ز، ف.

(٣) بالمساجد: المساجد، د، و.

الحسن والشافعي: ليس بشرط، واختلفوا في أقله، فعند أهل العراق يوم واحد، لا يجوز أقل منه، وعن مالك بن أنس أقله عشرة أيام، وعن الشافعي ما شاء ساعة، قل أو كثر، ولا خلاف أن النية شرط في الاعتكاف.

قوله تعالى:

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾

اللغة

أدلى فلان بالمال إلى الحاكم إذا رفعه إليه، وأدلى بحجته: احتج بها، والدلو معروف، ومنه: أَدْلَى دَلْوَهُ، وأصله: إرسال الدلو في البئر، يقال: أدليت الدلو: ألقيتها في البئر، ودلوته: استخرجته. واختلفوا مم أخذ (وتُدْلُوا)؟، قيل: إن التعلق بسبب الحكم كتعلق الدلو بالسبب الذي هو الحبل، وقيل: إنه يمضي فيه من غير تثبيت كمضيِّ الدلو في الإرسال.

والحاكم والقاضي والفتّاح[1] واحد، وجمعه حكام.

وأصل الباطل: الذاهب الزائل، يقال: بطل: إذا ذهب.

الإعراب

«وَتُدْلُوا» قيل: محله جزم بالنهي، كأنه قيل: ولا تدلوا، وكذلك في حرف أُبَيٍّ بإثبات (لا)، وقيل: موضعه نصب، ثم اختلفوا فقيل: على الظرف، وقيل بإضمار (أنْ) الخفيفة، وقيل: نصب على الجواب بالواو، عن الأخفش.

(١) «يقال: فتح الحاكم بين الخصمين، إذا فصل بينهما» لسان العرب (فتح).

۞ النزول

قيل: نزلت الآية في امرئ القيس بن عامر الكندي وعيدان الحضرمي اختصما إلى رسول الله ﷺ في أرض فأراد أن يحلف امرؤ القيس، وهو المطلوب، فنزل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٧] فلم يحلف، وحَكَّمَ عيدان، فنزل قوله: «**وَلاَ تَأْكُلُوا. . .**» الآية[١].

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى شرعة من شرائع الإسلام نسقًا على ما تقدم من إباحة الأكل مبينًا ما يحل منه، وما لا يحل، فقال تعالى: «**وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ**» قيل: لا يأكل بعضكم مال بعض بالظلم والغصب كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ﴾ [النساء: ٢٩] أي بعضكم بعضًا، وقيل: لا تأكلوا أموالكم باللهو واللعب كما يؤخذ في القمار والملاهي، وقيل: لا تكسبوا المال بالباطل أي بالأسباب المحرمة، وقيل: لا تأكلوها بالمعاصي والرشا «**وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ**» أي لا[٢] تلقوا بها إلى القضاة، قيل: الودائع وما لا يقوم عليه بينة، عن ابن عباس والحسن وقتادة. وقيل: هو مال اليتيم في يد الأوصياء يرفعه إلى الحاكم إذا طولب[٣] به ليقطع بعضه ويقوم له في الظاهر حجة، عن أبي علي. وقيل: يقيم شهادة الزور، عن الكلبي. وقيل: هو أن يحلف لِيُذْهِبَ حَقَّهُ، عن الحسن. وقيل: هو أن يدفع إلى الحاكم رشوة ليحكم به، ويذهب بالمال حرامًا، والصحيح أن يحمل على الجميع؛ لأنها أكل بالباطل «**لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا**» قطعة «**مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ**» بالحرام الذي يستحق عليه العقاب، فأكله إثم «**وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**» قيل: تعلمون أن ذلك لا يحل لكم، وأنتم مبطلون، وهذا أشد في الزجر، وقيل: تعلمون ما عليكم في أخذه من العقوبة.

---

(١) العجاب في بيان الأسباب ١/ ٤٥١.

(٢) لا: ـ، ز، ف.

(٣) طولب: طولت، د، ز.

۞ الأحكام

الآية تدل على تحريم أكل مال الغير من غير رضاه نحو الغصب والسرقة ونحوها؛ لأن كله أكل بالباطل.

وتدل على تحريمه وإن كان برضاه إذا كان بجهة محرمة كالربا والقمار ومهر البغي وكسب النائحة والمغنية وحُلْوَانِ الكاهن؛ لأن جميعها يدخل في أنها أكل بالباطل.

وتدل على أن سائر التصرفات فيها محظور كما يحرم الأكل؛ لأنه لو حل سائر التصرفات لحل الأكل أيضًا، وإنما خص الأكل بالذكر؛ لأنه معظم الانتفاع، يدل عليه أن من الأموال ما لا يصح أكله فلا[1] بد من حمله على ما ذكرنا.

وتدل على تحريم أكل مال نفسه في وجه يحرم كشرب الخمر والإنفاق في الفسوق؛ فلذلك أكده بقوله: «**بالباطل**».

وأما قوله: «**وتدلوا**» يحتمل الرفع، ويحتمل الدفع، وكل ممنوع عنه إذا كان بالباطل.

وتدل على أن حكم الحاكم في الأموال[2] لا يحل ولا يحرم، وقد وردت السنة والإجماع عليه.

واختلفوا هل تدل الآية على مثل ذلك في العقود والفسوخ كالنكاح والطلاق والبيع والإقالة، فمنهم من قال: تدل ـ والحكم في الجميع واحد ـ في أن حكم الحاكم لا يؤثر، وهو قول أهل المدينة والشافعي، ومنهم من قال: لا تدل، والعقود خلاف الأموال، فينفذ حكمه ظاهرًا وباطنًا، وهو قول أبي حنيفة وجماعة قالوا: للحاكم ولاية في العقود دون الأموال ويؤيدون[3] بذلك خبر[4] عَلِيٍّ حين قال: «**شاهداك زوجاك**» لَمَّا قالت الخصم: إنهما شهدا بالزور فزوجني منه[5].

(١) فلا: ولا، ز، و.
(٢) في الأموال: ـ، ف، و.
(٣) ويؤيدون: ويريدون، د، ز.
(٤) خبر: بخبر؛ د، ز.
(٥) منه: ـ، و.

وتدل على إثبات حُكَّام، وأن لحكمهم تأثيرًا لولاه لم يكن للرفع إليهم ولا حكمهم توصلاً إلى أكل مال الغير معنى.

ويدل على وجوب إقامة الأئمة؛ لأنهم الحكام، أو الحكام من قبلهم.

ويدل قوله: «وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» على أن الإقدام على المعصية مع العلم أعظم، وكذلك مع التمكن[1] من العلم، وإن كان للعلم الضروري خصوصية في ذلك.

قوله تعالى:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾

۞ القراءة

قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم وقالون عن نافع: «البيوت» بكسر الباء واستثقلوا الخروج من ضمة إلى ياء، والباقون بالضم على الأصل، وللقراء فيها ونظائرها نحو: بيوت وعيون وجيوبُ[2] مذاهبَ واختلافُ روايةٍ[3] يطول تقصيها[4].

۞ اللغة

الأهلة جمع هلال كرداء وأردية، وهو مأخوذ من رفع الصوت، ومنه استهل الصبي، وأهل بالحج إذا رفع[5] صوته بالتلبية، وسمي الهلال هلالاً لرفع الصوت بذكره عند رؤيته، واختلف أهل اللغة، فمنهم من قال: يسمى لليلتين من الشهر هلالاً فقط، عن الزجاج. ومنهم من قال: لثلاث[6] ليال يسمى هلالاً، ثم يسمى قمرًا،

---

(١) التمكن: التمكين، ز، ف.

(٢) جيوب: حبوب، ز، ف، و. ويقصد قوله تعالى: «على جيوبهن».

(٣) رواية: روايته، د، ز.

(٤) السبعة في القراءات ١٧٨.

(٥) رفع: ارتفع، د، ف، و.

(٦) لثلاث: ثلاث، ف.

وقال الأصمعي: يسمى هلالاً حين يحجر، وتحجيره أن يستدير بخطة دقيقة[1]، ومنهم من قال: يسمى هلالاً حين يبهر[2] ضوؤه سواد الليل، وذلك في ليلة السابع.

والمواقيت: جمع ميقات، وهو مِفْعَالٌ من الوقت، وسواء قولك: وقت وميقات، كوعد وميعاد، والوقت[3]: مقدار من الزمان.

والظَّهر خلاف البطن.

وأصل الحج: القصد ثم في الشرع جعل اسمًا لأفعال مخصوصة في أزمنة وأمكنة مخصوصة.

والبر: النفع الحسن، ومنه البار.

۞ الإعراب

يقال: كم وجهًا في الخبر عن البر؟

قلنا: وجهان: قيل: لكنَّ البرَّ برُّ مَنِ اتقى، فحذف لدلالة الكلام عليه، وقيل: وقع المصدر موقع الصفة كأنه قيل: ولكن البارَّ مَنِ اتقى.

۞ النزول

سئل عن الحكمة في زيادة القمر ونقصانه[4]، واختلاف أحواله خلاف الشمس فَبَيَّنَ أن ذلك لما فيه من بيان الأوقات التي بها تتم مصالح الدين والدنيا، فأما الدين فالحج، والعمرة، والعدة[5]، والصوم ونحوها، وأما الدنيا فلما فيه من معرفة الآجال ونحوها.

---

(١) دقيقة: دقته، د، و.

(٢) يبهر: يظهر، ز، ف.

(٣) والوقت: ـ ، د، ف.

(٤) العجاب في بيان الأسباب١/ ٤٥٤.

(٥) والعدة: والعدد، د، ز.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى شريعة أخرى تتضمن ذكر نعمة عظيمة فقال: «**يَسْأَلُونَكَ**» يا محمد «**عَنِ الأَهِلَّةِ**» تزيد وتنقص «**قُلْ هِيَ**» يعني الأهلة «**مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ**» أي وقت لهم في أمور دينهم ودنياهم «**وَالْحَجِّ**» وقت الحج، وأفعاله «**وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا**» فيه قولان: قيل: كان المحرمون لا يدخلون بيوتهم من أبوابها، ولكن من ظهورها، ونقبوا من ظهورها يدخلون ويخرجون فَنُهُوا عن ذلك،عن ابن عباس والبراء وقتادة وعطاء وجماعة من أهل التفسير. وقيل: إلا الحُمْس هم قريش وكنانة وخزاعة وثقيف وجشم وبنو عامر بنُ صعصعة وبنو نصر بن معاوية سُمُّوا حمسًا؛ لتشددهم في دينهم، والحماسة: الشدة، فكانوا لا يفعلون ذلك. وقيل: بل كانت الحمس تفعل ذلك، عن الأصم وغيره. وقال الزهري: كان ناس[1] من الأنصار إذا أحرموا بالعمرة لم يَحُلْ بينهم وبين السماء شيء، ولا يدخلون من الباب، فنهوا عن ذلك.

الثاني: أنه مثل ضربه الله تعالى يعني ائتوا البر من وجهه، وعلى ما أمر الله تعالى به، عن أبي علي. وقيل: أراد ما كان يفعله العرب من النسيء فنهوا عن ذلك، عن أبي مسلم «**وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى**» المعاصي «**وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا**» وقد بَيَّنَّا معنى ذلك «**وَاتَّقُوا اللَّهَ**» يعني اتقوا معاصيه «**لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**» أي لتفلحوا بأن تنالوا النعمة برضاه.

۞ النظم

ويقال: كيف يتصل قوله: «**ليس البر**» بما قبله؟

قلنا: فيه قولان:

الأول: ليس البر السؤال عن الأهلة، ولا أن تفعلوا هذه الأفاعيل، ولكن البر اتباع أمر الله، واتقاء معاصيه.

الثاني: المراد به النسيء، عن أبي مسلم.

(١) كان ناس: كانت أناس، ز، و.

۞ الأحكام

الآية تدل على صانع مدبر حكيم حيث يزيد في القمر وينقص.

وتدل على نعمة فيها دينًا ودنيا على ما بينا من أمر الحج والعمرة والصيام، وآجال الديون والإجارات.

ويدل قوله: «**الحج**» على إثبات عبادة الحج.

وتدل على أن الاسم شرعي لتناوله أفعالاً مخصوصة لم يعرفها أهل اللغة.

ويدل قوله: «**وَلَكِن البرّ من اتقى**» على بطلان قول المرجئة حيث لا ينتفع بالبر إلا من اتقى الكبائر.

ويدل قوله: «**لعلكم تفلحون**» على بطلان قول الجبر؛ لأنه يدل أنه أراد من الجميع الفلاح.

قوله تعالى:

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾

۞ اللغة

الاعتداء: مجاوزة الحد، ومنه عَدَا طَوْرَهُ[١] أي جاوز حده.

والسبيل: الطريق، وسبيل الله: دينه وطريقه الذي بينه لعباده ليسلكوه.

والمحبة: الإرادة، ويستعمل بمعنى الشهوة.

۞ النزول

قيل: إنها[٢] أول آية نزلت في القتال، ثم نزل بعدها[٣] ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ٣٦]، عن ابن زيد والربيع، وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس

---

(١) مختار الصحاح (طور).

(٢) إنها: إنه؛ د، ز.

(٣) بعدها: بعده؛ د، ز، و.

أنها نزلت في صلح الحديبية، وأن[1] صالح قريشًا على أن يرجع عامه، ويعاود عامًا قابلاً[2]، ويُخْلُوا له مكة، فيطوف بالبيت، ويفعل ما يشاء، ويرجع[3] من فوره إلى المدينة، فلما كان عامًا قابلاً[4] خرج هو وأصحابه لعمرة القضاء، وخافوا ألا تفي لهم قريش ويقاتلوهم، فكره أصحابه القتال في الحرم، وفي الشهر الحرام، فأنزل الله تعالى: «وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» محرمين، وفي الحرم من يقاتلكم، يعني قريشًا[5].

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى أمر الجهاد وما فيه من التعبد، فقال تعالى: «وَقَاتِلُوا» يعني الكفار «فِي سَبِيلِ اللَّهِ» أي في دينه «الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ» قيل: المقاتلين دون النساء والصبيان، وقيل: أهل مكة. وقيل: من يقاتلكم «وَلاَ تَعْتَدُوا» قيل: لا تجاوزوا إلى قتل من لم تؤمروا بقتاله. وقيل: لا تعتدوا إلى قتل[6] النساء والصبيان، وقيل: لا تعتدوا بالقتال على غير الدين. وقيل: لا تعتدوا إلى قتال من يجنح إلى السلم، عن أبي مسلم «إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ» أي لا يريد مدحهم وإثابتهم كما يريد ذلك للمؤمنين.

۞ الأحكام

الآية تدل على وجوب القتال والجهاد، وأنها عبادة ولا خلاف فيه، ثم اختلفوا، فقيل[7]: الآية منسوخة بقوله: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ٣٦]، عن الحسن وابن زيد وأبي علي. وقيل: محكمة، عن ابن عباس ومجاهد، وحملوه على أحد وجهين: إما أنه أراد ألاّ يُقَاتَلَ النساء والصبيان، أو أراد قتال أهل مكة.

وتدل على أن القتال يجب في الدين، فيدخل فيه الكفار والبغاة.

---

(١) وأن: فإن، د، ز.
(٢) قابلا: قابل، ز، ف.
(٣) ويرجع: ورجع، ز، ف، و.
(٤) قابلا: قابل، د، ز، ف.
(٥) العجاب في بيان الأسباب ١/ ٤٦٦.
(٦) قتل: قتال، ف، و.
(٧) فقيل: وقيل، ف، و.

وتدل على أن مجاوزة الأمر لا يجوز في الطاعات.

وتدل على أن المصالح تختلف فقبل الهجرة كانت المصلحة في الدعاء، وبعدها في القتال، وتدل على أن القتال مصلحة في الدين لنا ولهم.

ومتى قيل: قتالهم مصلحة أم إعلامهم بأنا نقاتلهم؟

قلنا: كلاهما، ويدل قوله: «**لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**» على بطلان الجبر؛ لأنه لو أراد منهم الاعتداء لما جاز ألا يحبهم.

قوله تعالى:

﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١)﴾

القراءة

قرأ حمزة والكسائي: «**ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقتلوكم فيه فإن قتلوكم**» كله بغير ألف[(١)] ، والباقون جميع ذلك بألف[(٢)] . فالقتل نقض[(٣)] البنية الحيوانية على وجه تعقبه إزهاق الروح، والقتال: محاولة القتل فيما يحاول المقاتلة به، وهو في المصحف بغير ألف، كتب كذلك للإيجاز كما كتب الرحمن بغير ألف، وكذلك صالح[(٤)] وما أشبهه من حروف المد واللين لقوتها[(٥)] على التعبير.

اللغة

يقال: ثَقِفْتُهُ: ظفرت به، وقيل: وجدته، ومنه: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم﴾ [الأنفال: ٥٧].

---

(١) حجة القراءات ١٢٧، والسبعة في القراءات١٧٩.

(٢) بألف: بالألف، د، ز.

(٣) نقض: نقيض، ز، و.

(٤) صالح: صلح، ز، ف.

(٥) لقوتها: لقوتهما، د، و.

والفتنة: أصلها الاختبار، ثم تنصرف على معانٍ[١]، منها الابتلاء، ومنها العذاب، ومنها الصرف عن الدين، ومنها التخليص، والمراد ههنا قيل: الكفر، وقيل: العذاب، عن الكسائي.

۞ الإعراب

«**حيث**»: مبني على الضم، وبني عليه بسبب الغاية كـ (قبلُ) و(بعدُ)، ويجوز فيه الفتح لأجل الياء كـ(أين) و(كيف)، ويجوز الكسر لالتقاء الساكنين، كـ(أمسِ).

۞ النزول

روي أن بعض الصحابة كان قتل[٢] رجلاً من الكفار في الشهر الحرام فعابوا المسلمين[٣] بذلك، فأنزل الله تعالى الآية مبينًا أن الفتنة في الدين أعظم من قتل بعض المشركين في الشهر الحرام وإن كان محظورًا، عن أبي علي.

۞ المعنى

ثم بين تعالى كيفية القتال فقال: «**وَاقْتُلُوهُمْ**» خطاب للمؤمنين، و(هم) كناية عن الكفار «**حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ**» أي وجدتموهم «**وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ**» يعني من مكة «**وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ**» قيل: شركهم، عن الحسن وقتادة وغيرهم. وقيل: عذابهم، عن الكسائي، يعني: كفرهم أعظم من القتال في الشهر الحرام «**وَلاَ تَقْتُلُوهُمْ**» أي بعضهم، وبالألف «**وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ**» أي في الحرم حتى يبدؤوكم بالقتال «**فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ**» بدؤوكم به «**فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ**» يعني القتل.

۞ الأحكام

الآية تدل على المنع من الابتداء بالقتال في الحرم، وأنهم إذا بدؤوا به جاز بعد

(١) معان: معاني، د، ز، و.
(٢) قتل: قتلا، د، ز.
(٣) المسلمين: المؤمنين، ف، و.

ذلك، ثم اختلفوا فقيل: الآية منسوخة بقوله: «**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ**» عن قتادة والربيع، وقيل: قوله: «**وَاقْتُلُوهُمْ**» منسوخ بقوله: «**وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ**»، ثم هو منسوخ بقوله: «**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ**»، وقيل: غير منسوخ، ولا يجوز ابتداء القتال في الحرم، عن مجاهد وأكثر أهل التفسير، وعلى ما ترتب الكلام لا نسخ فيه؛ لأنه يدل على وجوب القتال مع الكفار حيث كانوا، وقد بَدَؤُوا بالقتال، وكان يجوز أن يظن أنه[(١)] لحرمة الحرم لا يجوز أن يقاتلهم وإن بَدَؤُوا، فأزال الشبهة في ذلك، ثم بَيَّنَ غاية وجوب القتال، وهو ألا يكون كُفرٌ، فتدل على أن مشركي العرب لا تؤخذ منهم الجزية. واختلفوا في مشركي العجم فتؤخذ منهم الجزية عند أبي حنيفة، ولا تؤخذ عند الشافعي.

وتدل الآية على حسن القتال؛ لأن قوله: «**وَاقْتُلُوهُمْ**» أمر بالقتال، وما قتله بالقتال، وقد[(٢)] يجب القتال، ويحرم القتل، فبين تعالى جواز كلا الأمرين.

وتدل على وجوب إخراج الكفار من مكة بقوله: «**حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ**»، ووردت السنة بذلك في قوله: «**لا يجتمع في جزيرة العرب دينان**»[(٣)].

قوله تعالى:

﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٩٢﴾

۞ اللغة

الانتهاء: الامتناع مما وقع النهي عنه، وأصله من النهي، نهى نهيًا وانتهى انتهاء، والنهي: الزجر عن الفعل بصيغة لا تفعل مع كراهيته لذلك[(٤)] الفعل.

---

(١) أنه: أن، ز، و.

(٢) وقد: فقد، د، ز، ف.

(٣) الموطأ رقم ١٥٨٤، ومسند أحمد رقم ٢٦٣٩٥، والمعجم الأوسط رقم ١٠٦٦، ومصنف ابن أبي شيبة رقم ٣٢٩٩٢، ومسند البيهقي الكبرى ١١٤٠٩.

(٤) كراهيته لذلك: كراهية ذلك، د، ز.

والغفران: تغطية الذنب حتى يصيره كأنه لم يقع.

۞ المعنى

لما أوجب قتال الكفار بين حالهم بعد التوبة فقال تعالى: «فَإِنِ انتَهَوْا» امتنعوا عن كفرهم بالتوبة «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» يعني غفور يستر سيئاتهم، رحيم بهم يثيبهم في الجنة، وقيل: فيه حذف، وتقديره: فإن انتهوا بالتوبة، فإن الله يغفر لهم؛ لأنه غفور رحيم.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن قتالهم يجب بشرط إقامتهم على الكفر، وأنه محظور إذا انتهوا.

وتدل على أن التوبة مقبولة من كل ذنب؛ لأن الكفر أعظم الذنوب، فيبطل قول من يقول: القاتل لا توبة له.

وتدل على بطلان القول بأن التائب لا يحتاج إلى مغفرة، وإنما يحتاج إليها[(١)] المصِرُّ؛ لأنه تعالى بَيَّنَ أنه[(٢)] مع الانتهاء يغفر لهم.

قوله تعالى:

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣﴾

۞ اللغة

العدوان: أصله مجاوزة الحد، وهو هاهنا توسع ومجاز، وتقديره: فلا نحب جزاء العدوان.

---

(١) إليها: إليه، د، ز، و.

(٢) أنه: أن، د، ز، ف.

وسمي الجزاء على الشيء باسمه، كقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ﴾ [الشورى: ٤٠].

والفتنة: الكفر ههنا سمي بذلك؛ لأنه يؤدي إلى الهلاك، كما تؤدي إليه الفتنة، عن أبي علي. وقيل: لأنه أظهر[(١)] الفساد عند الاختبار.

والدين: العادة[(٢)]، والدين: الطاعة، والدين: ما يتدين به.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى غاية وجوب القتال، فقال تعالى: «**وَقَاتِلُوهُمْ**» أمر المؤمنين بقتال المشركين «**حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ**» يعني شرك، وقيل: لا تكون حرب فتركوا القتال، عن أبي مسلم. «**وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ**» الطاعة والانقياد لأمره. وقيل: يكون الدين دين الإسلام فيظهر على جميع الأديان «**فَإِنِ انتَهَوْا**» امتنعوا عن الكفر والشرك «**فَلاَ عُدْوَانَ**» أي: لا سبيل ولا جزاء «**إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ**» قيل: على المشركين، عن قتادة والربيع وعكرمة. وقيل: لا ابتداء[(٣)] بالقتال، عن مجاهد والسدي.

۞ الأحكام

تدل الآية على وجوب القتال، وقيل: إنها ناسخة لما قبلها؛ لأنه أمر بالقتال، وإن لم يَبْدَؤُوا لكيلا يكون كفر، عن أبي علي. وقيل: ليس بمنسوخ، ولكن إذا ابتدؤوا بالقتال في الحرم يجب مقاتلتهم حتى يزول الكفر. وقيل: هو تأكيد لما تقدم، عن أبي مسلم.

وتدل على أن كل من تاب زال وجوب قتله، ومن ثبت على كفره يجب قتاله، وكان يجوز أن يُظَنَّ أن بعضهم إذا تاب زالت المقاتَلَة، فَبَيَّنَ لكل واحد حكمًا بنفسه.

وتدل على أن العقوبة لا يستحقها إلا الظالم لنفسه، فيبطل قول من يقول: إنه غير مستحق، وإنه لا يحسن عقاب كل أحد.

---

(١) أظهر: إظهار، ف، و.

(٢) والدين: العادة ـ، ف.

(٣) لا ابتداء: أي الابتداء، ز، و.

ويدل ظاهر الآية على وجوب القتال ما دام الكفر يبقى فتدل على[1] أنه لا يؤخذ من مشركي العرب جزية، وقد بَيَّنَّا ذلك، ولا خلاف أن المجوس تقبل منهم الجزية، واحتج بهم على أن مشركي العجم يجوز أخذ الجزية منهم، والشافعي جعلهم من أهل الكتاب.

قوله تعالى:

﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾

اللغة

سمي الشهر حرامًا؛ لأنه يحرم فيه ما يحل في غيره من القتال ونحوه.

والحرمات: جمع حرمة كظلمات وظلمة، وحجرات وحجرة، والحرمة: ما يجب حفظه، ويحرم هتكه.

والقصاص: المساواة، وهو أن يُفْعل به مثل ما فعل.

والمعتدي: الظالم المجاوز للحد، وعدا واعتدى قيل: بمعنى، كقرب واقترب، وقيل: في «**افتعل**» مبالغة.

الإعراب

(مع): حرف المقارنة، ومعناه ههنا مصاحبة النصرة للمتقين.

ويقال: أين خبر قوله: «**الشَّهْرُ الْحَرَامُ**» وكيف تقدير الكلام؟

قلنا: فيه قولان:

الأول: قتال الشهر الحرام بقتال الشهر الحرام.

والثاني: الشهر الحرام بالشهر الحرام على جهة العوض لما فات من الحج في السنة الأولى.

---

(١) على: ـ، د.

۞ النزول

قيل: نزلت الآية في عمرة القضاء[١] ، وذلك أن رسول الله ﷺ خرج عام الحديبية للعمرة، فصده أهل مكة، ثم صالحوا على أن ينصرف، ويعود في العام القابل، فاعتمر فأنزل الله تعالى: «**الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ**» يعني ذا القعدة ـ سمي به لقعودهم عن الحرب ـ الذي دخلتم مكة فيه، واعتمرتم في سنة سبع بالشهر الحرام: ذي القعدة في[٢] السنة التي[٣] صده المشركون [فيها] عن البيت وهو سنة ست، فقال الحسن وأبو علي والزجاج: إن مشركي قريش قالوا: يا محمد، نُهيت[٤] عن قتالنا في الشهر الحرام؟ قال: «**نعم**»، وأرادوا أن يقاتلوه[٥] فأنزل الله تعالى الآية. يعني استحلوا منكم الشهر الحرام، فاستحلوا منهم.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى القتال في الشهر الحرام، فقال تعالى: «**الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ**»، وقيل: هذا الشهر الحرام[٦] الذي اعتمرتم فيه بالشهر الذي صُددتم، وقيل: القتال في الشهر الحرام بالقتال في الشهر[٧] الحرام «**وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ**» في جمعه[٨] قولان، قيل: حرمة الشهر، وحرمة البلد، وحرمة الإحرام، وقيل: كل حرمة تستحل قصاصًا[٩] ، قيل: دخوله المسجد محرمًا في سنة القضاء «**قِصَاصٌ**» لرده محرمًا في السنة الأولى، وقيل: قتالهم في الشهر الحرام قصاص لما تركوا من المحرمات «**فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ**» أي ظلمكم «**فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ**» أي جازوه، والثاني ليس باعتداء، وإنما أتى به على مزاوجة الكلام، قال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ﴾ [الشورى: ٤٠] قال الشاعر:

---

(١) العجاب في بيان الأسباب ١/٤٦٨.
(٢) في: باقي، ز، ف.
(٣) التي: الذي، د، ف، و.
(٤) نهيت: أنهيت، د، ز.
(٥) يقاتلوه: يقاتلوهم، ز، ف.
(٦) الحرام: ـ ، ز، و.
(٧) القتال في الشهر الحرام بالقتال في الشهر: القتال بالشهر الحرام بالقتال الشهر الحرام، د، ز.
(٨) جمعه: جميعه، ز، ف.
(٩) قصاصًا: قصاص، د، ز، و.

أَلاَ لاَ يَـجْـهَـلَـنْ أَحَـدٌ عَـلَـيْـنَـا فَـنَـجْـهَـلَ فَـوْقَ جَـهْـلِ الْـجَـاهِـلِـيـنَـا[١]

«**بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ**» يعني مثله في مقدار الاستحقاق والجنس، وإن كان الأول جورا، والثاني عدلاً، كمن قَتَلَ قُتِلَ، والثاني عدل، والأول ظلم، إلا أنه مثله في الصفة والجنس والمقدار «**وَاتَّقُوا اللَّهَ**» في جميع ما أمركم به ونهاكم عنه «**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**» بالنصرة لهم، أو نصرته معهم.

۞ الأحكام

تدل الآية على جواز القتال في الشهر الحرام والبلد الحرام إذا بَدَؤُوا به، وقيل: إنها منسوخة بقوله: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ٣٦] والصحيح أن لا نسخ فيه؛ لأنه يجوز اجتماعه مع تلك الفريضة، ولا يقال: كيف أمر بالاعتداء وهو قبيح؛ لأنا بينا أن المراد به[٢] الجزاء.

وتدل على أن من قطع يد إنسان، أو عضوا[٣] من أعضائه ففيه القصاص.

وتدل على أن من غصب شيئًا وأتلفه يلزمه رد مثله، ثم المثل على وجهين: من طريق الصورة كذوات الأمثال، ومن طريق المعنى كالقِيَم فيما لا مثل له.

وتدل على جريان القصاص بين المسلم والذمي والحر والعبد خلاف ما يقوله الشافعي. قال القاضي: ويمكن أن يستدل به على جريان القصاص في الأطراف[٤] بين الحر والعبد على ما يقوله الشافعي، وهذا يبعد؛ لأنه تعالى أمر[٥] بذلك، واعتبر المماثلة، ولا مماثلة هناك بين طرف الذكر وطرف[٦] الأنثى، وكذلك الحر والعبد.

واستدل بعضهم على أن من غصب ساحة وأدخلها في بنائه أنه يؤخذ، وذلك

---

(١) قائله عمرو بن كلثوم، والجهل الاول حقيقة، والثاني مجاز، عبر به عن مكافأة الجهل. انظر البيت في اللسان (خدع)، (رشد).

(٢) به: ـ، ز.

(٣) عضوا: عضو، د، و.

(٤) الأطراف: الطرف، د، ف.

(٥) أمر: أمرنا، ف، و.

(٦) طرف: ـ، د.

يبعد؛ لأنه أمر بمثله، وهو لم ينقض[1] بِنَاهُ فلا[2] ينقض[3] بِنَاهُ أيضًا.

قوله تعالى:

﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾

اللغة

التهلكة: كل شيء يصير عاقبته إلى الهلاك، وأصل الهلاك الضياع، وهو أن يصير بحيث لا يدري أين هو، وقيل: التهلكة مصدر بمعنى الإهلاك، وقيل: ليس في كلام العرب مصدر على تفعلة بضم العين إلا هذا.

والإحسان: النفع الحسن، ونقيضه الإساءة.

والإنفاق: إخراج الشيء من ملكه إلى غيره.

والإلقاء[4]: تصيير[5] الشيء إلى سُفْلٍ[6]، ثم يستعمل في غيره، فيقال: ألقى عليه مسألة.

الإعراب

الباء في قوله: «**بأيديكم**» قيل: زائدة، كقولهم: جذبت الثوب وبالثوب، وتعلقت زيدًا وبزيد، وقيل: ليست بزائدة، ولكنها على أصل الكلام من وجهين: أحدهما أن كل فعل متعد[7] إذا كني عنه أو قدر على المصدر دخلته[8] الباء كقوله:

(١) ينقض: ينقص: د، ز، و.
(٢) فلا: ولا، د، ز، و.
(٣) ينقض: ينقص: د، ز، و.
(٤) والإلقاء: ـ، ز، ف.
(٥) تصيير: يصير، د، و.
(٦) سفل: أسفل، د، ز، و.
(٧) متعد: متعدى، د، ف، و.
(٨) دخلته: دخله، ف، و.

ضربته[١] ثم يكنى عنه، فتقول: فعلت به، والآخر أن تقول: وقعت الضربة منه[٢] فجاء على الأفعال المتعدية. والوجه الثاني: أنه لما كان معناه لا تهلكوا أنفسكم بأيديكم دخلت الباء؛ لتدل على هذا المعنى، وهو خلاف أهلك نفسه بيد[٣] غيره.

۞ النزول

قيل: نزلت في البخل وترك الإنفاق في سبيل الله[٤]، عن ابن عباس والحسن وقتادة وعكرمة والأصم. وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: لما أمر الناس بالجهاد والحج كان النبي ﷺ[٥] «إذا أراد سفرًا نادى به ليأخذ الناس أهبة السفر فلما كان عام الحديبية». وقيل: لما أمرهم بالحج أمرهم بذلك فقام ناس من الأعراب، وقالوا: كيف نجهز وما لنا زاد؟فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقيل: لما أمروا بالإنفاق قال أناس: أمرنا بالنفقة، فإن أنفقنا بقينا فقراء، فنزلت الآية، وقال: لا تخشوا العيلة[٦] بالإنفاق فإني رازقكم، عن سعيد بن المسيب ومقاتل، وقيل عن أبي أيوب: فينا معشر[٧] الأنصار نزلت لما أعز الله دينه، ونصر رسوله، قلنا: لو رجعنا إلى أهلنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فالتهلكة الإقامة في الأهل والمال[٨] .

۞ المعنى

لما أوجب القتال أمر بالإنفاق فيه، فقال تعالى: «**وَأَنفِقُوا**» يعني من أموالكم «**فِي سَبِيلِ اللَّهِ**» قيل: في الجهاد وطريق الدين الذي شرعه لعباده، وقيل: في جميع أبواب

(١) ضربته: ضربت به، د، ز، ف.
(٢) الضرب منه: الضرب، ز، ف.
(٣) بيد: بيده، ز، ف.
(٤) العجاب في بيان الأسباب ١/ ٤٧٦، وانظر صحيح البخاري حديث رقم ٤٢٤٤.
(٥) صلى الله عليه وآله وسلم: عليه السلام، ف، و.
(٦) العيلة: الغلبة، د، ف.
(٧) معشر: معاشر، د، ز، و.
(٨) العجاب في بيان الأسباب ١/ ٤٧٣.

البر، وقيل: في الحج، والأول: الوجه؛ لاتساق الكلام «وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ» أي لا تهلكوا[١] أنفسكم بأيديكم، وفيه أقوال: قيل: بترك الإنفاق في سبيل الله فيغلب عليكم العدو، عن ابن عباس وحذيفة والحسن وقتادة ومجاهد والضحاك. وقيل: بارتكاب المعاصي، واليأس من المغفرة، عن البراء بن عازب وعبيدة السلماني. وقيل: بالإسراف في الإنفاق الذي يأتي على النفس، عن أبي علي. وقيل: بتقحم الحرب من غير نكاية في العدو، عن أبي هريرة والسفيان وأبي القاسم. وقيل: بترك القتال، عن أبي أيوب وأبي مسلم. وقيل: لا تنفقوا جميع أموالكم فتحتاجوا إلى السؤال، وقيل: في إساءة الظن بالله عز وجل[٢]، وأحسنوا الظن به فإنه يحب من أحسن الظن به، عن الفضيل[٣] بن عياض «وَأَحْسِنُوا» قيل: في فرائض الله، عن الأصم، وقيل: في الإنفاق على من يلزمكم مؤنته ونفقته، وقيل: أحسنوا إلى أنفسكم، فلا[٤] تلقوها في النار بارتكاب الكبائر، وقيل: بالأعمال الحسنة والعبادات، عن أبي علي وأبي مسلم، وقيل: أحسنوا في الإنفاق ولا تسرفوا، ولا تقتروا، عن القاضي، وهو الوجه؛ لاتصاله بما قبله «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» يريد إثابتهم.

۞ الأحكام

الآية تدل على وجوب الإنفاق في الدين، وهو ما شرع في دينه كالزكاة[٥] والجهاد، ونفقة الأقارب والمحتاجين، ومعونة من يجب معونته، والإنفاق في الحج؛ لأن جميع ذلك إنفاق في سبيل الله.

وتدل على أن فرض الجهاد قد يكون بالمال، وقد يكون بالنفس، وتدل على تحريم الإقدام على ما يخاف منه على النفس.

---

(١) لا تهلكوا: تهلكوا، ز، ف، و.

(٢) عز وجل: ـ، ف.

(٣) الفضيل: الفضل، ز.

(٤) فلا: ولا، ز، و.

(٥) كالزكاة: كالزكوات، د، ز، و.

فيدخل فيه[1] جميع ما ذكرنا من الوجوه في الآية.

تدل من هذا الوجه على أن أمن الطريق شرط في أداء الحج وفي وجوبه.

وتدل على أن من خاف على نفسه من الصوم يجب الفطر.

وتدل على أن وجوب الصلاة قاعدًا إذا خاف على نفسه قائمًا، وعلى وجوب التيمم إذا خاف البرد، واتفقوا في السفر على ذلك، واختلفوا في الحضر.

وتدل على جواز الهزيمة في الجهاد إذا خاف على النفس.

وتدل على جواز ترك الأمر بالمعروف إذا خاف؛ لأن كل ذلك إلقاء النفس إلى[2] التهلكة.

وتدل على جواز المصالحة مع الكفار والبغاة إذا خاف الإمام على نفسه أو على المسلمين كما فعل رسول الله ﷺ عام الحديبية، وكما فعله أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بصفين، وكما فعل الحسن من مصالحة معاوية.

ويقال: أليس الحسين قاتل وحده؟

قلنا: فعله يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه ظن أنهم لا يقتلونه لمكانه من رسول الله ﷺ.

والثاني: غلب على ظنه أنه إن ترك قتالهم يقتلونه صبرًا، فكان القتال مع الجهاد أهون عليه.

ومتى قيل: فلِمَ صالح الحسن معاوية مع كونه إمامًا ومع إنكار جماعة من أصحابه؟

قلنا: لأنه لما خرج وخالفه أصحابه واستأمن صاحب جيشه عبيد الله بن العباس إلى معاوية، وتشتت الأمر خاف على نفسه وعلى بقية المؤمنين من شيعته، وفي مثل هذه الحالة تجوز[3] المصالحة.

---

(١) فيه: ـ، ف.

(٢) إلى: في، د، و.

(٣) تجوز: تكون، د، ز.

قوله تعالى:

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾

القراءة

[قرأ] «الحَجَّ» بفتح الحاء كل القرآن نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم، وهي لغة أهل[١] الحجاز، وبالكسر في الجميع ابن أبي إسحاق[٢]، وهي لغة تميم بالكسر في آل عمران خاصة: حمزة[٣] والكسائي وحفص عن عاصم، قال الكسائي: هما لغتان بمعنى واحد كرَطْل ورِطْل، وكَسْرِه البيت وكِسْرِهِ، وقيل: بالفتح المصدر، وبالكسر الاسم.

وعن علقمة «وأقيموا الحج» وهذا محمول على أنه فسر الآية به[٤].

اللغة

الإتمام: أن تأتي بالشيء على الكمال، ومنه التمام.

والحج أصله: القصد، وقد بيناه.

والعمرة: أخذ من العمارة، وهو عمارة البيت بالزيارة على وجه السنة.

المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى الحج والعمرة، فقال: «وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ» قيل: أقيموا الحج والعمرة؛ لأنهما واجبان، عن سعيد بن جبير وعطاء وطاووس والسدي، وقيل: إتمامهما أن تحرم بهما من دُوَيْرَةِ أهلك عن علي (عليه السلام). وقيل: إتمامهما بلوغ آخر أعمالهما بعد الدخول فيهما، عن مجاهد وأبي علي. وقيل: إتمامهما الإتيان

(١) أهل: ـ د، ز.
(٢) السبعة في القرءات ٢١٤.
(٣) حمزة: ـ ، ف.
(٤) به: ـ د ، ز، ف.

بمناسكهما: فرائضهما وسننهما. وقيل: أن يأتي بكل واحد مفردًا، عن طاووس وسعيد بن جبير. وقيل: أن يأتي بهما ولا يلزمه دم، عن قتادة. وقيل: تمامهما أن تكون النفقة حلالاً، عن الضحاك. وقيل: أن يخرج لهما لا يريد غيرهما عن سفيان «لِلَّهِ[(١)]» يعني:[(٢)] اقصدوا بهما التقرب إلى الله.

الأحكام

الآية تدل على إتمام الحج والعمرة، ولا خلاف أن الحج فريضة، ويكفر جاحده، ويفسق تاركه، ثم اختلفوا فقيل: وجوبه على الفور عن أبي حنيفة وأبي يوسف، وقيل: وجوبه على التراخي عن محمد والشافعي.

والحج أفعال له أركان وواجب وسنة، فالأركان[(٣)] ثلاثة بالاتفاق: الإحرام، وطواف الزيارة، والوقوف بعرفة، واختلفوا في السعي، وقد بَيَّنَّا من قبل.

وأفعال الحج أن يحرم من الميقات إذا كان آفاقيًا، ومن الحرم إذا كان داره داخل الحرم، ثم يطوف طواف القدوم، ثم يخرج إلى منى يوم التروية، ثم يقف بعرفة يوم عرفة إلى غروب الشمس من يوم عرفة[(٤)]، ووقته من حين تزول الشمس يوم عرفة إلى طلوع الفجر من يوم النحر[(٥)]، ثم يفيض من عرفة إذا غربت الشمس، فيبيت بالمزدلفة، ويغلس بالفجر ويقف بالمشعر الحرام، ثم يأتي مِنًى فيرمي جمرة العقبة بسبع[(٦)] حصيات، ثم يذبح الهَدْيَ ويحلق[(٧)]، وقد حل له كل شيء إلا النساء، ثم يطوف طواف الزيارة، وقد حل له كل شيء، ثم يأتي منى، فيكون بها يومين إن شاء أو ثلاثة أيام، فيرمي في كل يوم عند ثلاث جمرات كل جمرة بسبع حصيات.

---

(١) لله: لله تعالى، و.
(٢) يعني: ـ، ز، ف.
(٣) فالأركان: والأركان، د، ز.
(٤) إلى غروب المشس من يوم عرفة: ـ، ز، و.
(٥) ووقته من حين تزول... من يوم النحر: ـ، و.
(٦) بسبع: سبع، د، ز.
(٧) ثم يذبح الهدي ويحلق: ثم يحلق ويذبح الهدي، د، ز، ف.

ويتقي محظورات الإحرام من الصيد والحلق ولبس المخيط والجماع، ولا يفسده شيء إلا الجماع.

وإن فاته الحج تحلل بعمل عمرة، وعليه الحج من قابل.

أما العمرة فهي سنة عند أبي حنيفة ومالك بن أنس، وهو قول إبراهيم والشعبي، وواجب عند الشافعي، وهو قول ابن عمر وعطاء وأبي حذيفة.

وأفعال العمرة ثلاث: الإحرام، والطواف، والسعي.

والحج ثلاثة: إفراد، وقران، وتمتع، فالإفراد: أن يأتي بكل واحد منهما مفردًا[١]. والتمتع[٢]: أن يأتي بالعمرة في أشهر الحج، ولا يلم بأهله، ويحج تلك السنة. والقران: أن يجمع بينهما في الإحرام. وفي القران والتمتع دم، والأفضل القران عند أبي حنيفة، وقال الشافعي: الإفراد.

ولا تدل[٣] الآية على وجوب العمرة؛ لأنه إذا دخل فيها[٤] وجب إتمامها[٥] كما في حج التطوع، وإنما علمنا وجوب الحج في الآية في آل عمران[٦].

وتدل على أن العمرة يجب إتمامها بالدخول فيها.

قوله تعالى:

﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾

اللغة

الإحصار: المنع، أحصره منعه، وحصره: حبسه، وأصل الباب الحبس،

(١) مفرداً: منفرداً، ز، و.
(٢) والتمتع: والمتمتع، د، ف.
(٣) ولا تدل: تدل، ف، و.
(٤) فيها: فيه؛ د، ز، ف، و.
(٥) إتمامها: إتمامه؛ د، ز، ف، و.
(٦) آل عمران الآية (٩٧).

والفرق بين الإحصار والحصر أن الإحصار المنع بالمرض أو ذهاب النفقة، عن أبي عبيدة والكسائي وأكثر أهل العلم. وأجاز الفراء كل واحد منهما مكان الآخر، وأبى ذلك أبو العباس والزجاج.

والحلق: حلق الرأس.

والهدي: جمع هَدْيَةٍ كتمرة وتمر، وأصله من الهدية يقال: أهديت إهداء، وأهديت إلى البيت الهَدْيَ، والهَدْيُ: ما يُهْدَى إلى البيت من النسك.

الإعراب

«**فما استيسر**» محل (ما) رفع، أي فعليه ما استيسر، وقيل: محله نصب، وتقديره: فاهدوا ما استيسر.

المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى حكم الإحصار في الحج، فقال: «**فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ**» قيل: مُنِعْتُم بخوف[1] عدو أو مرض، عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وعطاء. وقيل: منعكم حابس قاهر عن مالك بن أنس. والأول: الوجه، يعني: منعتم من المضي في أعمال[2] الحج «**فَعليه مَا اسْتَيسَر مِنَ الهَدي**»، أي ما سهل، قيل: شاة، عن علي وابن عباس والحسن وقتادة رضي الله عنهم[3]، وهو الوجه؛ لأنه أقرب إلى اليسر، وقيل: من الإبل والبقر، عن ابن عمر وعائشة، ولا بد في الكلام من حذف، وتقديره: فعليكم ما استيسر ليخرج به من الإحرام «**وَلاَ تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ**» ولا بد من حذف؛ لأنه لا يتحلل ببلوغه محله حتى ينحر، فكأنه قال: حتى يبلغ الهدي محله وينحر، فإذا نحر أو ذبح فاحلقوا، والمعني به المحصر لا يحلق شعره حتى يذبح الهدي. وقيل: بل هو كلام مستأنف، لا تعلق له بالإحصار. والأول أصح.

---

(١) بخوف: لخوف، د، ز.

(٢) أعمال: أفعال، ز، و.

(٣) رضي الله عنهم: ـ ، ف.

واختلفوا في المحل قيل: الحرم، فإذا ذبح به حل،عن ابن عباس والحسن وعطاء وأبي حنيفة وأصحابه. وقيل: محله حيث يحل، وهو الموضع الذي أحصر فيه، عن مالك بن أنس والشافعي.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن الإحصار يبيح التحلل قبل تمام الحج؛ لأن تمامه لا يقف على بلوغ الهدي محله.

وتدل على أن الإحلال يجوز بشرط بلوغ الهدي محله، وهذا القدر لا خلاف فيه، ثم اختلفوا في مواضع:

أولها: الإحصار، بماذا يحصل؟ قيل(١) : بالمرض والعدو، عن أبي حنيفة وأصحابه. وقيل: بالعدو فقط، عن مالك بن أنس والشافعي.

ثم اختلفوا في الآية(٢) فقيل: يفهم منها الإحصار بالمرض فقط، ثم يلحق به غيره بدليل، والإحصار على وجوه: بالعدو، والمرض، وعدم النفقة، ومنع الزوج امرأته، والسيد عبده، والمرأة أحرمت ولا تجد محرمًا، عن أبي حنيفة وأصحابه. وقيل: يفهم منها العدو، والمرض لا يكون إحصارًا، عن مالك بن أنس والشافعي. وقيل: يفهم منها المرض والعدو، عن الفراء وأبي علي. وقد أنكر أهل اللغة على الشافعي حيث قال: إنه بالعدو(٣) خاصة.

واختلفوا في العمرة، فالذي عليه الفقهاء أنه كالحج في الإحصار(٤) ، وحكى ابن سيرين أنه لا إحصار(٥) فيه؛ لأنه غير مؤقت، وقد سقط خلافه.

واختلفوا في المحصر في الحرم، فقيل: ليس بإحصار، حكاه أبو الحسن عن

---

(١) قيل: فقيل، د، ز.
(٢) في المفهوم بالآية: في الآية، ز، ف.
(٣) بالعدو: في العدو، د، ف، و.
(٤) الإحصار: الاحتصار، ف، و.
(٥) لا إحصار: لا احتصار، ف، و.

أبي حنيفة، وقيل: إن أمكنه الوصول إلى البيت أو الوقوف فليس بمحصر، وإن لم يمكنه فهو محصر، حكاه الطحاوي عن أبي حنيفة.

والثاني: الكلام في الهدي، وقد[١] بَيَّنَّا الخلاف فيه، وعن الحسن أن النبي ﷺ وأصحابه «**نحروا يوم الحديبية سبعين بدنة عن كل سبعة بدنة**»[٢]، وهذا لا يدل على الوجوب، فإن أقله شاة.

والثالث: بلوغه محله، قيل: الحرم، عن أهل العراق، والآية تدل عليه؛ لأنه يقتضي مَكَانًا يبلغه الهدي، ويؤيده قوله: ﴿وَٱلۡهَدۡيَ مَعۡكُوفًا أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ [الفتح: ٢٥] وعند الشافعي حيث صُدَّ، وتعلق بنحرهم بالحديبية، لكن القوم قالوا: الحديبية جامعة للحل والحرم، وروي أنه ﷺ نزل في الحل، وكان يصلي في الحرم.

واختلفوا فقيل: يذبح[٣] أي وقت شاء؛ لأنه خصه بمكان دون زمان، عن أبي حنيفة. وقيل: بل[٤] يوم النحر، عن أبي يوسف ومحمد والأصم، فإن كان معتمرًا ففي أي وقت شاء.

والرابع: الحلق؛ تدل الآية على نفي الحلق، واختلفوا فقيل: ليس على المحصر حلق، وليس ذلك بنسك، عن أبي حنيفة ومحمد. وقيل: هو نسك، وعليه ذلك، عن أبي يوسف. واختلف قول الشافعي قال أبو بكر الرازي: إذا أحصر في الحرم فعليه الحلق باتفاق؛ لأنه يختص الحرم.

ويدل الظاهر على بلوغ الهدي محله، ثم ما يفعل به ليس في الظاهر، واختلفوا فيه فقيل: أراد إراقة الدم في الحرم، وقيل: تفرقة اللحم في المساكين، فإن لم يجد الهدي بقي محرمًا حتى يجد الهدي أو يطوف سبعًا[٥] كفائت الحج عند أبي حنيفة

---

(١) وقد: فقد، د، ف، و.

(٢) مسلم رقم ٣٥٣، والموطأ رقم ٦٣٨، ومسند أحمد رقم ١٤٤٣٨، والدارمي رقم ١٩٥٥، وابن خزيمة رقم ٢٩٠٠، وصحيح ابن حبان رقم ٤٠٠٤، والمستدرك رقم ٧٥٥٨، والدارقطني رقم ٣٢، والطيالسي رقم ١٧٩٥، وسنن البيهقي الكبرى رقم ١١٢٠٣.

(٣) يذبح: يذبحه، ز، و.

(٤) بل: ـ، د، ف.

(٥) يسعى: ـ، ز.

ومحمد، وعن عطاء يتحلل بالإطعام بقيمة الهدي، فإن لم يجد صام لكل نصف صاع يومًا، وقال أبو يوسف: وهذا أعجب إلي.

واختلفوا إذا وقف بعرفة، فقال أهل العراق: لا يكون محصرًا؛ لأنه أمن الفوات، وقال الشافعي يكون محصرًا، وادعى القاضي الإجماع أنه يكون محصرًا، وليس كذلك.

قوله تعالى:

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍۚ﴾

القراءة

القراءة الظاهرة «نُسُك» بضم السين، وعن الحسن بسكون السين، وهي لغة تميم[1].

اللغة

الأذى: كل ما تأذيت به، وهو الضرر بالشيء.

والفدية: البدل.

والنسك: العبادة، ومنه رجل ناسك أي عابد هذا هو الأصل، ثم يجوزون[2] استعماله في مناسك الحج، وفي إراقة الدم. والنسك: الذبيحة ههنا، ويقال: نَسِيكة ونُسُك ومناسك، كصحيفة وصحف وصحائف.

الإعراب

(فدية) رفع؛ لأنه خبر ابتداء محذوف، أي فعليه فدية، قيل[3]: هو ابتداء،

---

(١) فتح القدير ٢/ ٢٦٩.

(٢) يجوزون: يتجوزون، د، ز.

(٣) قيل: وقيل، ز، ف.

وخبره محذوف، أي فدية[1] واجبة، ولا بد من حذف فيه؛ لأن لمجرد الأذى لا تجب الفدية كأنه قيل: فحلق فعليه الفدية.

❁ النزول

نزلت الآية في كعب بن عُجْرَةَ[2] قال: مر بي رسول الله ﷺ في الحديبية[3]، ولي وفرة من شعر فيها القمل، وأنا أطبخ قِدرًا لي، وهي سائرة على وجهي فقال: **«أيؤذيك[4] هوام رأسك»**؟ فقلت[5]: نعم، فقال: **«احلق رأسك واذبح شاة أو صم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين كل مسكين نصف صاع من بر»**[6]، واختلفوا فقيل: إنه في المحصر[7] خاصة، وقيل: بل في كل محرم، وهو الصحيح، وإنما المعتبر بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ولأنه تقدم ذكر الحج والعمرة، كما تقدم ذكر الإحصار فحمله على الجميع أولى.

❁ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى حكم الأذى والمرض **«فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا»** مرضًا يحتاج إلى الحلق، أو لبس مخيط، أو نحو ذلك من محظورات الإحرام **«أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ»** صداع أو هوام **«فَفِدْيَةٌ»**، فحلق لذلك العذر، فعليه فدية، أي بدل وجزاء يقوم مقام الأول في ذلك **«مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ»** هدي يذبح.

❁ الأحكام

الآية تدل على وجوب الفدية على من حلق أو لبس المخيط لعذر، وقد بَيَّنَا أن

---

(١) فدية: ففدية، ز، ف، و.
(٢) عجرة: عجزة، د، ز.
(٣) العجاب في بيان الأسباب ١/ ٤٨٨.
(٤) أيؤذيك: أتؤذيك، د، ز.
(٥) فقلت: قلت، د، ف.
(٦) البخاري رقم ١٧١٩، ومسلم رقم ١٢٠١، والترمذي رقم ٩٥٣، والنسائي رقم ٢٨٥٢، ومسند أحمد رقم ١٨١٢٧، وابن حبان رقم ٣٩٨٠، والسنن الكبرى رقم ١٠٠٢٥.
(٧) في المحصر: ـ، و.

فيه حذفًا، فقيل: فحلق، وقيل: فعل ما يَحْظُرُهُ إحرامه، وهو الأولى؛ لأن جميع ما يحتاج إليه في ذلك سواء.

وتدل على أن[١] الفدية من هذه الأجناس الثلاثة.

تدل على التخيير لدخول (أو)، ولا خلاف فيه.

والآية مجملة في المقدار وبيانه في خبر كعب على ما رويناه؛ لأنه بَيِّنَ مقدار الصوم ثلاثة أيام، والإطعام ستة مساكين[٢] لكل مسكين نصف صاع من بر. وبين النسك، ولم يبين صفة النسك، فلا[٣] بد من بيان فقيل[٤] : إنه الثني من الإبل والبقر والغنم، وأدناها شاة، وأعلاها بدنة، وقد روي عن الحسن صيام عشرة أيام أو إطعام عشرة مساكين كل مسكين مدًّا أو شاة[٥] ، والأول: أوجه؛ لإجماع الفقهاء.

واختلفوا أين يذبح؟ فقيل: في الحرم، عن أبي حنيفة، وقيل: أي موضع شاء.

وتدل الآية على بطلان الجبر؛ لأنه تعالى لم يؤاخذ المحصر والمعذور في محظورات الإحرام لأجل مشقة تلحق العبد، فمن لا يقدر على الإيمان وصد عنه أولى ألا يأخذه[٦] .

قوله تعالى:

﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌۗ﴾

اللغة

الأمن ضد الخوف.

---

(١) أن: ـ ، ف.
(٢) مساكين: أيام، ف، و.
(٣) فلا: ولا، ز، و.
(٤) فقيل: وقيل، د، ز، و.
(٥) مدا أو شاة: مداً وشاة، ف، و.
(٦) ألا يؤاخذه: ألا يأخذه، أ؛ لا يؤاخذه، ز، ف.

والتمتع أصله: الاستمتاع، ومتعة الحج: أن يعتمر في أشهر الحج ثم يحل، ويتمتع بالإحلال يفعل ما يفعله الحلال غير أنه لا يعود إلى وطنه، ثم يحج في تلك السنة من غير رجوع إلى الميقات، وأصل التمتع التلذذ، ومنه المتاع لأنه يتلذذ به[1].

۞ الإعراب

«**فما استيسر**» رفع لأنه خبر ابتداء محذوف، أي فعليه ما استيسر، ويحتمل النصب، أي فليفعل أو فليهد ما استيسر.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى حكم المتمتع فقال: «**فَإِذَا أَمِنتُمْ**» من الخوف «**فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ**» فعليه «**فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ**» وهو ما يهدى: بدنة أو شاة أو بقرة «**فَمَنْ لَمْ يَجِدْ**» الهدي «**فعليه صيام ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ**» أي في أوقات الحج «**وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ**» إلى الأهل «**تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ**» قيل: كاملة من الهدي إذا وقعت بدلاً منه استكمل ثوابه، عن الحسن وأبي علي. وقيل: ذكر كاملة لزوال الإيهام أنه بمعنى التخيير: ثلاثة بالحج وسبعة إذا رجع؛ لأن الواو قد ترد بمعنى أو، حكاه أبو القاسم والزجاج. وقيل: ذكر ذلك للتأكيد والتمكين في النفس فقيل: لفظه خبر، والمراد به الأمر، أي: أكملوها ولا تنقصوها، عن الأصم. وقيل: الخطاب للعرب، ولم يكونوا أهل حساب فبين بيانًا لا يخفى معه شيء، هذا كما روي أنه قال في الشهور: «**هكذا وهكذا وهكذا**»[2]، وأشار بيده ثلاثًا، ثم أومأ بها ثلاثًا، وأمسك إبهامه في الثالثة منبهًا على الثلاثين، وفي الثاني على تسعة وعشرين.

۞ الأحكام

الآية تدل على التمتع في الإحرام، وعلى أن من فعل ذلك فعليه هدي، وإن لم

---

(١) به: ـ د، و.

(٢) البخاري رقم ١٨٠٩، ومسلم رقم ١٠٨٠، والنسائي رقم ٢١٣٥، وابن ماجه رقم ١٦٥٧، ومسند أحمد رقم ١٥٩٤، وابن حبان رقم ٣٤٥٠، والدار قطني رقم ٣٠، والمعجم الكبير رقم ١١٧٥، والبزار رقم ١١٨٢، والسنن الكبرى رقم ٧٧١٩.

يجد الهدي فعليه الصوم، ولا خلاف فيه، والخلاف فيما ينبني عليه من التفاصيل، فأما التمتع فقيل: إنه على أربعة أوجه:

الأول: هو القران، وهو أن يحرم بحجة وعمرة معًا، ثم يأتي بأفعال العمرة، ثم يأتي بأفعال الحج، وروى أنس أن النبي ﷺ قرن، وقال عمر لجبير بن معبد حين سأله عن ذلك: «**هديت لسنة نبيك**»[1] ، ولأنه جمع بين عبادتين يجوز الجمع بينهما، والدم فيه دم نسك لا دم جبران؛ ولذلك يجوز أكله ثم يطوف طوافين ويسعى سعيين، ويلزمه بارتكاب المحظورات جزاءان عند أبي حنيفة، وعند الشافعي طواف واحد، وسعي واحد، وجزاء واحد، وسمي القارن متمتعًا؛ لأنه جمع بين إحرامين في أشهر الحج، واستغنى عن سعي ينشئها لكل واحد منهما.

الثاني: أن يأتي بالعمرة في أشهر الحج، ثم يحل ويحج في سنته من غير إلمام بأهله. ومن شرائطه أن تكون أفعال العمرة في أشهر الحج، وأن يقدمها على الحج، وأن يحج بعده، وألا يلم بأهله، وأن يحرم بالحج من مكانه لا من الميقات، وألا يكون أهله من حاضري المسجد الحرام، فهذه[2] شروط[3] التمتع المشهور عند الفقهاء، وروي ذلك عن ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب، وعليه الهدي أيضًا، وهو دم نسك؛ لأنه يجوز الأكل منه كالأضحية، ولأنه وجب بسبب مباح، وهو فعل الحج والعمرة في سنته.

الثالث: أن يفسخ الحج بالعمرة رواه جابر وأبو سعيد الخدري أن النبي ﷺ أمرهم عام الفتح، وقد أهلوا بالحج لا ينوون غيره أن يعتمروا، ثم يحلوا إلى وقت الحج، قال أبو ذر: وإنما كان ذلك لأصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم[4]، وهذا الذي أنكره عمر في قوله: متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ أنا أنهى عنهما، وأعاقب عليهما: متعة النكاح ومتعة الحج[5]، وهو فسخ الحج بالعمرة، والنكاح المؤقت، وكلاهما منسوخ.

---

(١) رواه أبو داود رقم ١٧٩٨، والنسائي رقم ٢٧٢١، ومسند أحمد رقم ٨٣، وصحيح ابن خزيمه رقم ٣٠٦٩، وابن حبان رقم ٣٩١٠، والمعجم الأوسط رقم ١٧٢٥، والسنن الكبرى رقم ٨٥٤٢.

(٢) فهذه: هذا، ز، و.

(٣) شروط: ـ ، ف.

(٤) ورضي الله عنهم: ـ ، د، و.

(٥) سنن البيهقي الكبرى رقم ٨٥٢، وشرح معاني الآثار رقم ٣٤٠٠.

الرابع: المحصر إذا دخل مكة بعد فوت الحج خرج منها بعمل عمرة، عن ابن الزبير، وهو متمتع بالعمرة، ولأنه[1] يحل بها، والمشهور ما ذكرناه ثانيًا.

وأما الكلام في الهدي فتدل الآية على التخيير بين الإبل والبقر والغنم، وهوقول الفقهاء، والمروي عن علي وابن مسعود، وعن ابن عمر أنه قال: بدنة أو بقرة.

واختلفوا متى يجب، وما سبب وجوبه، ومتى يصح[2] نحره، وأين يصح، وأين يفرق لحمه، وهل يجوز تفريق لحمه أم لا؟

فالظاهر أن سبب[3] وجوبه التمتع بالعمرة إلى الحج، فإذا تمتع بأن دخل في الحج لزمه الهدي، ولا يلزمه قبل ذلك، ولا يصح[4] نحره قبل ذلك خلاف ما يقوله الشافعي: إنه يجوز تقديمه على إحرام الحج. ويجب أن ينحر في الحرم.

ثم اختلفوا فعند أبي حنيفة يجوز أكله، ويستحب أن يفرق الثلث من لحمه، وعند الشافعي لا يجوز أكله، وعند[5] أبي حنيفة هو كدم الأضحية دم نسك، وعند الشافعي دم جبران كجزاء الصيد.

وأين يفرق؟ قيل: في مساكين الحرم، وقيل: الكل سواء.

فأما الصوم إذا تعذر الهدي فثلاثة أيام في الحج، يعني في أيام الحج، وهو يوم قبل يوم التروية، ويوم التروية، ويوم عرفة، عن ابن عباس وجماعة، وهوقول أبي حنيفة؛ لأنه إذا حصل محرمًا بالحج وصام صار صائمًا في أيام الحج.

ومتى قيل: كيف يصوم ثلاثة أيام في الحج، وقد يحرم يوم عرفة؟

قلنا: الواجب على المتمتع أن يقدم إحرامه بالحج على وجه يتمكن من صوم ثلاثة أيام قبل يوم النحر، ومن لم يفعل فقد أساء، فأما إذا لم يصم سقط الصوم،

(١) ولأنه: لأنه، د، ز.
(٢) يصح: يصلح، ز، ف.
(٣) سبب: ثبت، د، ز، و.
(٤) ولا يصح: ولا يصلح، د، ز.
(٥) وعند: فعند، ز، و.

وعاد الهدي، وعليه دمان: دم التمتع، ودم التحلل قبل الهدي. وعند الشافعي لا يفوت الصوم ثم له قولان: أحدهما: يصوم أيام التشريق، وهو قول ابن عمر وعائشة، وفي القول الثاني: بعده، وقد أنكر الأول جماعة منهم أبو علي؛ لظاهر نهيه عن صيام أيام التشريق، والآية تدل على فساد قوله؛ لأنه تعالى أمر بالصوم في أيام الحج، فلا[1] يجوز بعده إلا بدليل.

فأما السبعة فقيل: إذا فرغ من حجه جاز صوم السبعة عن أبي حنيفة وأصحابه، وقيل: لا يجوز إلا أن يعود إلى بلده، أو ينوي الإقامة بمكة، عن الشافعي.

ويدل ظاهر قوله: «إذا رجعتم» أن لا صوم على أهل مكة.

واختلفوا في الثلاث والسبع، فقيل: يجب متتابعًا، وقيل: يجوز تفريقه، وهو الظاهر.

قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾

۞ اللغة

التأهل: التزوج، وأهله: أخص الناس له، وأهل البيت: سكانه، وأهل الإسلام: من يدين به، وأهل القرآن: من التزم قراءته والعمل به، ومرحبًا وأهلا به: أي اختصاصًا بالتحية والتكرمة، وأصله الاختصاص.

والعقاب: مأخوذ من العاقبة، كأن الفتح يعقب الشدة فسمي عقابًا.

۞ الإعراب

«حاضري المسجد» أصله حاضرين، فحذف النون للإضافة.

---

(١) فلا: ولا، د، ز، ف.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى من لا يصلح[١] منه التمتع، فقال تعالى: «**ذَٰلِكَ**» يعني ما تقدم ذكره من التمتع والقران، عن أبي حنيفة ليس لأهل[٢] مكة، ومن يجري مجراهم ممن داره وراء الحرم متعة ولا قران، وهو قول أكثر العلماء. وقيل: لهم ذلك، وليس عليهم الهدي، وذلك إشارة إلى الهدي، عن الشافعي «**لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**» وهو أن تكون داره وراء الحرم «**وَاتَّقُوا اللَّهَ**» يعني معاصيه وعقابه «**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**» يعني عقوبته[٣] شديدة.

۞ الأحكام

الآية تدل على منع أهل مكة مما أبيح لغيرهم، وقد بَيَّنَّا الخلاف فيه، والآية تدل على قول أبي حنيفة، وروي عن ابن عمر مثل ذلك، وذلك لا يعرف اجتهادًا فحمل على التوقيف[٤]، ثم اختلفوا من هم؟ فقال أبو حنيفة: من كان في المواقيت وما بعدها إلى مكة، وقال مالك بن أنس: أهل مكة، وقال الشافعي: من كان بينه وبين مكة مسافة لا يقصر فيها الصلاة، وروي عن ابن عباس أنهم أهل الحرم. واعتبر أبو حنيفة جواز دخول مكة بغير إحرام فهو كالمكي خلاف[٥] الآفاقي.

ويدل قوله: «**واتقوا الله**» على أن ما تقدم واجب؛ فلذلك أمر بإقامتها.

وتدل على بطلان قول المرجئة؛ لأن عندهم من أتى بالشهادتين، فلا خوف عليه.

قوله تعالى:

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾

---

(١) لا يصلح: لا يصح، د، ز.
(٢) لأهل: بأهل، ف، و.
(٣) عقوبته: عقوبة، ز، ف، و.
(٤) التوقيف: التوقف، ز، و.
(٥) خلاف: بخلاف، د، ز.

۞ القراءة

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب: «فَلَا رَفَثٌ وَلاَ فُسُوقٌ» بالرفع والتنوين[١]، «وَلاَ جِدَالَ» بالنصب. وقرأ أبو جعفر جميع ذلك بالرفع والتنوين، وقرأ الباقون الجميع بالنصب، ووجه الأول بيّن، باختلاف[٢] الإعراب بينهما اختلاف المعنى، فالأول على النهي، والثاني على النفي والإخبار بأن الحج قد استدار في ذي الحجة، وكان أحق بالنصب لعموم النفي، والأول قد يقع من الخاطئ فلا يصلح فيه عموم النفي، ووجه القراءة الثانية عموم النهي، ووجه القراءة الثالثة عموم النفي للمبالغة في النهي.

وأثبت أبو عمرو الياء في[٣] «فاتقون» على الأصل، وحذف الآخرون للتخفيف، ودلالة الكسر عليه.

۞ اللغة

الفرض: التقدير، والفرض: الإيجاب، والصلاة المفروضة تحتمل الوجهين.

والرفث: الجماع، وقيل: كل ما يستدعي الرجل من المرأة من الجماع فما دونه .

والفسق: الخروج من الطاعة.

والمجادلة: المنازعة والمشاجرة.

والزاد: الطعام الذي يتخذ للسفر، والمِزْوَدُ: وعاء يجعل فيه الزاد، وكل من عمل خيرًا أو شرًّا فقد تزود منه.

واللب: العقل سمي بذلك؛ لأنه أفضل ما في الإنسان؛ لأن أفضل ما في كل شيء لبه.

۞ الإعراب

(الحج) رفع لأنه ابتداء، وخبره «أشهر»، تقديره: وقت الحج أشهر، عن الفراء،

---

(١) حجة القراءات ١٢٨.

(٢) باختلاف: اختلاف، ف، و.

(٣) أبو عمرو الياء في: أبو عمرو الباقي، د، ز، ف.

وأشهر الحج أشهر، عن الزجاج. وقيل: الحج في أشهر، عن القاضي. وقيل: الحج حج أشهر، عن أبي علي. ويجوز في العربية نصب أشهر على معنى الحج شهر ذي الحجة.

«**وما تفعلوا من خير**» شرط وجوابه محذوف، تقديره: يجازيكم الله به، و«**يعلمه الله**» دليل عليه مؤكدًا له.

۞ النزول

عن القرظي: كانت قريش إذا اجتمعت بمنى قال هؤلاء: حجنا أفضل وأتم من حجكم، فنزلت الآية، ونهوا عن ذلك[١] .

وعن القاسم[٢] بن محمد: كانوا يقفون مواقف مختلفة كل يدعي أن موقفه موقف إبراهيم، فأعلمهم تعالى بمناسكهم. وعن مقاتل لما قال النبي في حجة الوداع: «**من لم يكن معه هدي فليحل من إحرامه وليجعلها عمرة**»[٣]، قالوا: إنا أحرمنا الحج، فذلك جدالهم، فنهوا عن ذلك. وقيل: كان ناس يرمون بأزوادهم، ويقولون: نحن المتوكلون، فقيل: تزودوا، عن الحسن وقتادة ومجاهد. وقيل: كانوا كَلّاً على الناس، وكانوا من اليمن،فنزلت الآية فيهم، فنهوا عن السؤال، وأمروا بالتزود، حكاه الأصم[٤] .

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى وقت الحج فقال: «**الحَجُّ أَشْهُرٌ**» قيل: فيه محذوف، أي وقت الحج، ووقت أفعاله، وقيل: الحج في أشهر، فحذف (في)، وقيل: الحج حج

---

(١) العجاب في بيان الأسباب ١/ ٤٩٥.

(٢) القاسم: مقاتل، ف، و.

(٣) مسلم رقم ١٤٧، وأبو داود رقم ١٩٠٥، والنسائي رقم ٢٧١٢، ومسند أحمد رقم ١٤٤٨٠، والدارمي رقم ١٨٥٠، وابن حبان رقم ٣٩٤٤، والسنن الكبرى رقم ٨٦٠٩.

(٤) العجاب في بيان الأسبا ب ١/٤٩٦.

الأشهر، يعني[1] أن الإحرام فيها أفضل، والأشهر: شوال، وذو القعدة بالاتفاق، ثم اختلفوا، فقيل: عشر من ذي الحجة، عن ابن عباس وابن عمر وإبراهيم والشعبي ومجاهد والحسن وأبي علي وأكثر المفسرين، وعدوا يوم النحر من الأشهر، وهو قول أبي حنيفة، وما[2] روي في التفسير الحج الأكبر أنه يوم النحر، ولأنه وقت لركن منه، وهو طواف الزيارة، وعن أبي يوسف سبعة أيام، وهو مروي عن جماعة، واختاره القاضي؛ لأن الحج يفوت بطلوع الفجر يوم النحر، والعبادة لا تكون فائتة مع بقاء وقتها. وروي عن مالك إلى آخر ذي الحجة من الأشهر، وروي ذلك عن عطاء والربيع وابن شهاب؛ لأنه وقت لتوابعه، وهذا فاسد؛ لأن الحج لا يجوز فيه، فيستحيل أن يكون وقتًا له.

ومتى يقال: ولم قيل للشهرين[3] وبعض الثالث: أشهر، على الجمع؟

قلنا: لأن الفعل[4] مضاف إلى الوقت، وإنما العمل في بعضه كما يقال: أتيتك يوم الجمعة، وصليت يوم الخميس، ويقال: يوم القدوم، ويوم الخروج.

ويقال: ما معنى التوقيت بالأشهر، وأفعال الحج لا تجوز إلا في أيام مخصوصة، والإحرام عندكم يجوز في جميع السنة، وإنما يصح التوقيت عند الشافعي لأجل الإحرام؟

قلنا: في التوقيت فوائد: منها: أنه لا يجوز تقديم الأفعال عليه، وإنما يجوز فيها، وإن تقدم الإحرام.

ومنها: أنه يكره الإحرام قبلها ويستحب فيها.

«**فمن فرض فيهن الحج**» أي أوجب، ثم اختلفوا فقيل: بالإحرام، عن ابن عباس والحسن وقتادة. وقيل: بالتلبية، عن ابن عمر ومجاهد وأبي مسلم. وقيل: بالعزم

---

(١) يعني: بمعنى، ف، و.
(٢) وما: ولما، ز، ف.
(٣) للشهرين: لشهرين، د، ز، و.
(٤) الفعل: الفضل، ف، و.

على أعمال الحج. «**فلا رفث**» قيل: أراد مواعدة الجماع والتعريض للنساء به، عن ابن عباس وابن عمر وعطاء. وقيل: الجماع، عن ابن مسعود وقتادة. وقيل: الجماع والتعريض له بمواعدة أو مداعبة، عن الحسن. وقيل: حاجات الرجال إلى النساء، عن الأصم. وقيل: الرفث: الفحش وقول القبيح. «**ولا فسوق**» قيل: ما نهي المُحْرم[1] عنه كقتل الصيد وغيره، عن ابن عمر. ذكر بعضهم أنه خص النهي بالإحرام فوجب أن يرجع إلى ما نهي لأجله عنه، وهذا لا يصح؛ لأنه قد خص بالذكر لعظم الحرمة في تلك الحال كما يقال: لا تعص الله في رمضان وفي الحرم، وكقوله تعالى: ﴿فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْۚ﴾ [التوبة: ٣٦] وقيل: معاصي الله كلها، عن ابن عباس والحسن وقتادة وجماعة. وقيل: التنابز بالألقاب لقوله[2]: ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ﴾ [الحجرات: ١١]، عن الضحاك، وقيل: الذبح للأصنام عن ابن زيد، وقيل: السباب، عن إبراهيم ومجاهد، ولقوله: «**سباب المسلم فسق وقتاله كفر**»[3].

«**وَلاَ جِدَالَ**» قيل: لا مراء ولا سباب على جهة اللجاج، عن ابن مسعود وابن عباس والحسن وإبراهيم وأبي علي وأبي مسلم. وقيل: لا شك في أن الحج قد استدار في ذي الحجة، عن مجاهد والسدي. قال القاضي: ولا يمنع[4] أن تحمل الثلاثة على ما بَيَّنَّا في صفة الحج، فيكون مؤقتًا للظاهر حقه، فالرفث: الجماع الذي يحرمه الإحرام، والفسوق: الجماع المحرم في كل حال، والجدال: الشك في الحج، وهو كقولهم: يجب أم لا يجب؟ «وما تفعلوا من خير» طاعة «يعلمه الله» يجازيكم به «وتزودوا» من الطاعات[5] «**فإن خير الزاد التقوى**» وقيل: تزودوا من الطعام، عن الحسن وقتادة ومجاهد. وقيل: من الأعمال الصالحة، عن أبي علي وأبي مسلم والأصم. «واتقون يا أولي الألباب» يا ذوي العقول.

---

(١) المحرم: المسلم، د، ز.

(٢) لقوله: كقوله، د، ز، و.

(٣) رواه البخاري رقم ٤٨، ومسلم رقم ٦٤، والترمذي رقم ١٩٨٣، والنسائي رقم ٤١٠٥، وابن ماجه رقم ٦٩، ومسند أحمد رقم ٣٦٤٧، وابن حبان رقم ٥٩٣٩، والمعجم الكبير رقم ٣٢٥، والبزار رقم ١١٧٢، وشعب الإيمان رقم ٦٦٦٢، والسنن الكبرى رقم ١٥٦٣٠.

(٤) ولا يمنع: ولا يمتنع، و.

(٥) الطاعات: الطاعة، ز، ف.

۞ الأحكام

الآية تدل على توقيت الحج، وقد بينا الفائدة في توقيته بالأشهر، فأما إذا أحرم بالحج قبل أشهر الحج انعقد الحج عند[1] أبي حنيفة ومالك بن أنس والثوري قالوا[2]: الإحرام إذا انعقد لا ينعقد على خلاف ما نوى وسمى، وقال الشافعي: تنعقد عمرة.

ويدل قوله: «فمن فرض» على أنه يدخل في الحج بفعله، والصحيح أن المراد به التلبية؛ لأن الحج لا ينعقد بمجرد النية عند أكثر العلماء اعتبارًا بسائر العبادات التي لها تحريم وتحليل، وقال الشافعي: ينعقد.

فأما مواقيت الإحرام فروي أنه ﷺ وَقَّتَ لأهل المدينة ذا الْحُلَيْفَةِ، ولأهل الشام الجُحْفَةَ، ولأهل نجد قَرْنًا، ولأهل اليمن يَلَمْلَمَ، ولأهل العراق ذاتَ عِرْقٍ.

ويدل قوله: «فَلَا رَفَثَ» الآية على المنع من هذه الأشياء؛ لأنه وإن كان خبرًا فالمراد به النهي، فالأولى حمله على ما يختص الإحرام.

ويدل قوله: «وَمَا تَفعَلُوا مِن خَيرٍ يعلمه الله» على وجوب الإخلاص؛ لأنه تعالى عالم بظاهره وباطنه.

ويدل قوله: «وتزودوا» على البعث على التقوى، وشبه التقوى بالزاد؛ لأنه عدة الآخرة، كما أن الزاد عدة المسافر[3].

ويدل على أن الثواب يُنال بالتقوى؛ لأن تقدير الكلام تزودوا لسفر الآخرة؛ فإنها لا تقطع إلا بالتقوى، لولا ذلك لم يكن للأمر بالتزود معنى.

قوله تعالى:

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾﴾

---

(١) عند: عن، د، ز.

(٢) قالوا: قال، د، ز، و.

(٣) المسافر: للمسافر، ف، و.

۞ اللغة

الجُناح: الحرج في الدين، وهو: الميل عن الطريق المستقيم، وأصله الميل.

والابتغاء: الطلب.

والإفاضة: من الفيض، يقال: فاض الماء إذا انصب عن امتلاء. والإفاضة: الدفع من عرفات إلى منى بالتلبية فسمي بذلك؛ لأنهم يجتمعون، ثم يدفعون كفيض الماء عن الامتلاء، واستفاض الخبر: شاع وظهر.

وعرفات: اسم موضع معروف يجب الوقوف بها في الحج، ويوم عرفة: يوم الوقوف، واختلفوا لم سمي بذلك؟ قيل: لأن إبراهيم (عليه السلام) أتاه فعرفه عند الرؤية بما تقدم له من الوصف، فسمي عرفات، واليوم عرفة، عن علي (عليه السلام). وقيل: لأن جبريل كان يري إبراهيم الميقات، ويقول: عرفت عرفت؟ فسمي عرفات، واليوم عرفة، عن عطاء. وقيل: لأن آدم وحواء اجتمعا فيه وتعارفا به بعد أن أهبطا من السماء فسمي[1] عرفات واليوم عرفة، عن الضحاك، وقيل: إن جبريل أرىإبراهيم بقاع مكة، ويقول له[2] : عرفت عرفت؟ فسمي عرفات، عن ابن عباس. وروي عنه رواية أخرى أن إبراهيم رأى في المنام أن يذبح ابنه فأصبح رَوّى يومه أجمع أي فكر أهو أمر الله أم لا؟ فسمي اليوم تروية، ثم رأى في الليلة الثانية، فلما أصبح عرفه أنه من الله فسمي يوم عرفة، وقيل: لأن آدم وقف بها واعترف بذنبه، وقال: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾، والناس يعترفون بذنوبهم ويستغفرون ربهم، وقيل: هو من العَرْف الذي هو الطيب، ومنه: ﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٦] أي طيبها لهم، فكان ذلك المكان طيبا نقيا[3] من الأقذار، وقيل: لأن الناس يتعارفون به.

والمشعر: من الشعار، وهو العلامة، وهو معلم للمتعبد، والمشعر الحرام هو: مزدلفة[4]، وهو جمع.

---

(١) فسمي: فسميت، د، ز، و.

(٢) له: ـ، د، و.

(٣) نقيا: نقية، د، ز، ف.

(٤) مزدلفة: المزدلفة، د، ز، ف.

۞ الإعراب

يقال: لم صرفت عرفات، وهو مؤنث معرفة؟

قلنا: لأنها على حكاية الجمع كما يجب أن يحكى المذكر إذا سمي به، وهو الاختيار بالإجماع، ويجوز فيه ترك الصرف تشبيهًا بالواحد فيسقط التنوين ويترك الإعراب، وجوز بعضهم فتح التاء[1] بغير تنوين نحو: طلحة، وأنكر ذلك الزجاج.

والكاف في قوله: «كَمَا» كاف التشبيه، ووجه التشبيه أنه ينبغي أن يكون الشكر والذكر بمنزلة النعمة في العظم.

وإن معناه معنى المخففة من الثقيلة للتوكيد.

«وَكُنْتُم» لا موضع له من الإعراب؛ لأنه بعد حرف غير عامل.

۞ النزول

قيل: كانوا يتأثمون بالتجارة في الإحرام في صدر الإسلام، ويمتنعون منها، فأنزل الله تعالى الآية إذنًا فيها، عن ابن عباس وابن عمر ومجاهد وعطاء والحسن وقتادة. وروي عن ابن عمر أنه سأله رجل فقال: إنا قوم نكري الإبل فيزعمون أنه ليس لنا حج، فقال: أتحرمون وتطوفون؟ فقال: نعم، فقال: أتى حاجٌّ رسول الله ﷺ فسأله عن الذي سألتني عنه، فلم يدر ما يقول حتى نزل جبريل بهذه الآية.

وذكر الأصم أن قومًا قالوا: ليس للتاجر ولا للأجير ولا للحمال حج، فأنزل الله تعالى هذه الآية، ودل على أن لهم الحج.

۞ المعنى

لما بَيَّنَ تعالى مناسك الحج، وبين أن الإحرام يمنع من كثير من المباحات، كان يجوز أن يظن أنه كما يمنع من الطيب والنساء والصيد[2] يمنع من التجارة، فَبَيَّنَ تعالى

(١) التاء: الفاء، ز، ف.

(٢) والنساء والصيد: والصيد والنساء، ز، ف.

أنه غير ممنوع منها، فقال تعالى: «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ» أي حرج «أَنْ تَبْتَغُوا» تطلبوا بالتجارة فضلا من ربكم[1] «فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ» دفعتم عنها «فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ» قيل: بالتلبية والدعاء، عن أبي علي، وقيل: الجمع بين صلاة المغرب والعشاء؛ لأنه لا ذكر يجب ثَمَّ إلا هذه، أو لأنه عطف عليه بالذكر الثاني، فوجب حمله على فائدتين «وَاذْكُرُوهُ» أي فاذكروا نعمه[2] عليكم «كَمَا هَدَاكُمْ» عند المشعر الحرام، وهو جانبا جبل مزدلفة «كَمَا هَدَاكُمْ» يعني ينبغي أن يكون ذكركم له مقابلاً لنعمته عليكم، وهداكم لدينه، ومناسك حجه «وَإِنْ كُنتُمْ مِنْ قَبْلِهِ» قيل: من قبل الهدى، وقيل: من قبل محمد ﷺ كناية مذكور من غير مذكور «لَمِنَ الضَّالِّينَ» عن النبوة والشريعة، فهداكم إليه، كقوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧].

۞ الأحكام

الآية تدل على إباحة التجارة في الإحرام، وأنه لا يؤثر في الحج، وهذا ظاهر؛ لأن أحد الفعلين غير الآخر، فقصده في أحدهما ابتغاء فضل الله لا يقدح في صحة قَصْدِهِ في الآخر ابتغاء ثوابه، وقضاء المناسك، ولما أمر تعالى قبل ذلك بالتزود للآخرة أباح التزود في الدنيا؛ لئلا يظن أن ذلك محظور.

وتدل على إباحة النسك، وطلب الحلال.

ويدل قوله: «فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ» على كَوْنٍ بعرفة يلزم الإفاضة منه إلى المشعر الحرام الذي هو الجمع والمزدلفة، فيدل على كون بعرفة، وكون بالمزدلفة، وليس فيه بيان وجوبه ووقته وكيفيته، وقد ثبت بالسنة أن الوقوف بعرفة ركن قال ﷺ: «الحج عرفة فمن أدرك عرفة فقد أدرك الحج»[3] ووقته من حين تزول الشمس يوم عرفة إلى طلوع الفجر من يوم النحر، والاختيار أن يقف بعد الزوال إلى غروب

(١) فضلاً من ربكم: فضل ربكم، ف، و.

(٢) فاذكروا نعمة: اذكروا نعمته، د، ز، ف.

(٣) المستدرك رقم ٣١٠٠، والدار قطني رقم ١٩، ومسند الطيالسي رقم ١٣٠٩، وسنن البيهقي رقم ٩٥٩٣.

الشمس يوم عرفة إلى طلوع الفجر من يوم النحر، والاختيار أن يقف بعد الزوال إلى غروب الشمس، ثم يدفع، فابتداء الوقوف بالنهار، وآخره بالليل، هذا قول أكثر الفقهاء. وحكي عن مالك بن أنس أن وقت الوقوف بالليل، وإن لم يقف ليلاً لم يجز ولو وقف بالنهار، والأول هو الصحيح، وتدل عليه السنة، ويجمع في عرفات[1] بين الظهر والعصر، ثم يقف حتى تغرب الشمس، ثم يدفع فيأتي مزدلفة، فيجمع[2] بين المغرب والعشاء، والإمام شرط في الجميع عند أبي حنيفة، وكذلك المكان، وقال أبو يوسف ومحمد: ليس بشرط، ثم يبيت بالمزدلفة، ويغلس بصلاة الفجر، ثم يدفع قبل طلوع الشمس، وكان أهل الجاهلية يدفعون عن عرفة قبل غروب الشمس، ويدفعون من مزدلفة بعد طلوعها، ويقولون: أَشِرْقْ ثَبِيرُ كَيْمَا نُغِير، فأمر النبي ﷺ بمخالفتهم.

وتدل على أن المعارف ليست ضرورة؛ لذلك قال: «**وَإِنْ كُنتُم مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ**».

واختلفوا في الوقوف في المشعر بعد الصلاة، فقال أبي حنيفة: واجب إن تركه فعليه دم، وليس بركن، وتدل الآية عليه. وعن الليث أنه ركن. وقال الشافعي: إن دفع في النصف الأخير من الليل فلا شيء عليه، وفي النصف الأول قولان.

قوله تعالى:

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٩)﴾

اللغة

الاستغفار: سؤال المغفرة، وأصل المغفرة: التغطية والستر، والله تعالى يستر

(١) في عرفات: بعرفات، ف، و.

(٢) فيجمع: ويجمع، ز، و.

على عباده ذنوبهم في الدنيا، فإن تاب غفر له في الآخرة أيضًا، ومنه المِغْفَرُ؛ لأنه يستر، ويستحب للإنسان أن يستر على نفسه ولا يجهر بالمعصية، ويستحب للشهود أن يستروا. وغفور وغافر فاعل المغفرة، إلا أن في[١] غفور مبالغة، وذلك من صفة الفعل لأنه[٢] يوصف به لم يزل.

۞ الإعراب

(ثم): للترتيب، وإنما رتب الإفاضة[٣] على المعنى الذي دل[٤] عليه الكلام، كأنه قال: أحرموا بالحج كما بين لكم ثم أفيضوا، وقيل: ثم أفيضوا من مزدلفة.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى الإفاضة فقال: «ثُمَّ أَفِيضُوا» فيه قولان:

الأول: قال بعضهم: المراد به الإفاضة من عرفات، ثم اختلفوا، فقيل[٥]: هو أمر لقريش وحلفائها، وهم الحُمَيْس، وكانوا يقفون بالمزدلفة ويفيضون عنها، ولا يقفون بعرفة، وسائر الناس يقفون بعرفة، وكانوا يقولون: نحن أهل الله، فلا نخرج من حرم الله، فأمرهم الله[٦] تعالى بالوقوف بعرفة، وأن يفيضوا كما يفيض الناس، عن ابن عباس وعائشة ومجاهد والحسن وقتادة. وقيل: أمر لجميع الناس بالإفاضة، والناس هو إبراهيم (عليه السلام)، عن الضحاك.

الثاني: أن المراد به الإفاضة من المزدلفة إلى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس للرمي والنحر، عن أبي علي. والآية تدل عليه؛ لأنه قال: «فَإِذَا أَفَضْتُم مِنْ عَرَفَاتٍ» ثم

---

(١) في: ـ، ز، و.
(٢) لأنه: لا، د، ف، و.
(٣) الإفاضة: للإضافة، د، ز، و.
(٤) دل: حمل، ف، و.
(٥) فقيل: قيل، د، ز.
(٦) الله: ـ، د.

قال: «ثُمَّ أَفِيضُوا» فوجب أن تكون إفاضة[1] ثانية، فتدل أن الإفاضتين واجبتان، وهما وإن وجبتا فليستا[2] بركن «مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ» أي دفع الناس، وقيل: الناس سائر العرب، والأمر لقريش أن يفعلوا كما يفعله سائر العرب، عن ابن عباس وجماعة. وقيل: الناس إبراهيم، عن أبي علي والضحاك؛ كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] يعني: نعيم بن مسعود. وقيل: هم أهل اليمن وربيعة، عن الكلبي. وقيل: آدم، عن سعيد بن جبير والزهري. وقيل: أراد بالناس العلماء الذين يعلمون الدين، ويعلمونه الناس «وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ» أي اطلبوا المغفرة منه بالتوبة لما سلف من المعاصي، والتقرب إليه بالطاعات، وقيل: استغفروه لما سلف من مخالفتكم في الوقوف والإقامة، فإنه غفور كثير المغفرة، رحيم واسع الرحمة.

۞ الأحكام

الآية تدل على وجوب الإفاضة من عرفة، ومن المزدلفة، فأما الدفع من عرفة فوقته بعد غروب الشمس يوم عرفة، فإن دفع قبل غروب الشمس فقال أبي حنيفة: عليه دم، فإن عاد ودفع مع الإمام سقط عنه الدم، وقال زفر: لا يسقط عنه الدم، وقال الشافعي: لا شيء عليه، وقال مالك بن أنس: لا يجوز وقوفه، فإن عاد وإلا فات حجه، وهذا مبني على أن الوقوف في جزء من الليل واجب عندنا وليس بركن، وأما الدفع من مزدلفة فقبل طلوع الشمس، وإن دفع قبل طلوع الفجر، ولم يكن له كون بها بعد طلوع الفجر وقبل طلوع الشمس من غير عذر فعليه دم، لأنه واجب، وقد بَيَّنَّا الخلاف فيه؛ لأن[3] عند الشافعي ليس ذلك بواجب فلا[4] شيء عليه، فإن لم يبت في مزدلفة[5] وأدرك الوقوف قبل[6] طلوع الفجر فلا شيء عليه؛ لأن البيتوتة

(١) إفاضة: إضافة، ز، و.
(٢) فليستا: فليسا، د، ز، ف.
(٣) لأن: وإن، د، ز، و.
(٤) فلا: ولا، ز، و.
(٥) في مزدلفة: بالمزدلفة، د، ز، ف.
(٦) قبل: بعد، ز، ف.

بها لأجل الوقوف، وإذا دفع فيها، وأتى منى رمى جمرة العقبة، وقطع التلبية عند أول حصاة، وقال مالك بن أنس: إذا وقف بعرفة فأما المقيم فيقطع التلبية إذا استلم الحجر، وقال مالك بن أنس: إذا رأى البيت.

قوله تعالى:

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾﴾

اللغة

الخَلَاق: النصيب من الخير على تقدير الاستحقاق.

والقضاء: فصل الأمر على إحكام، ومنه: ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ﴾ [طه: ٧٢]، ومنه سمي القاضي.

الإعراب

يقال: ما عامل الإعراب في قوله: «**أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا**»؟

قلنا: فيه وجهان: أحدهما: الكاف فيكون موضعه جرًّا، والآخر الفعل في «**اذكروا**» فيكون موضعه نصبًا.

المعنى

لما بَيَّنَ تعالى المناسك أمر بالدعاء عند الفراغ منها، فقال تعالى: «**فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ**» قيل: حجكم، وما أمرتم به في التعبدات، عن الحسن وجماعة، وقيل: الذبائح، عن مجاهد «**فَاذْكُرُوا اللَّهَ**» قيل: هذا يجب بعد قضاء المناسك، وقيل: مع قضاء المناسك، وتقديره: فإذا أخذتم في قضاء المناسك، فأما الذكر فاختلفوا فيه على قولين: قيل: التكبير أيام منى؛ لأنه الذكر المختص في هذه[1] الأيام، وقيل:

---

(١) في هذه: بهذه، د، و.

سائر الأدعية، وخص تلك المواطن؛ لأن الدعاء فيها أفضل منه في غيرها، وقيل: بالتوحيد والتمجيد، عن أبي مسلم «**كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ**» وقيل: كانوا يذكرون آباءهم ومفاخرهم بأبلغ الذكر، فقيل: اذكروا الله كالذكر الذي تذكرون به آباءكم في المبالغة «**أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا**» لما له عليكم من النعمة، عن أنس والحسن وقتادة. وقيل: اذكروه بالاستغاثة، كذكر الصبي لأبيه، إذ قال: يا أبت[١] في قول عطاء والربيع والضحاك. وقيل: لا تنسوا المنعم[٢] في الأحوال كما لا تنسوا الآباء، عن أبي مسلم، وقيل: كانوا يلهجون بذكر الآباء فأمر بذكره على هذا الحد، عن أبي علي «**أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا**» يعني وأشد ذكرًا[٣] ، (أو) بمعنى الواو، وقيل: أكثر ذكرًا، وقيل: أحسن ذكرًا «**فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا**» أعطنا من أموال الدنيا إبلاً وغنمًا وعبيدًا ونحو ذلك «**وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ**» يعني في الدار الآخرة «**مِنْ خَلاَقٍ**» أي من حظ ونصيب.

۞ القصة

قال أكثر المفسرين: كانت العرب إذا فرغوا من حجهم وقفوا عند البيت فذكروا مآثر آبائهم ومفاخرهم، ويقول: إن أبي كان يفعل كذا، فأمرهم الله تعالى بذكره، وأنه المنعم فيجب له الذكر والشكر.

۞ الأحكام

الآية تدل على وجوب هذا الذكر، وتدل على وجوب الانقطاع إليه تعالى.

وتدل على أنه من يفعل العبادة لأجل الدنيا لا خلاق له في الآخرة[٤] .

ويقال: لم يذم هذا السؤال؟

قلنا: لأن من كان قصده الدنيا دون الدين فهو مذموم، لا[٥] يجيب الله دعاءه،

(١) يا أبت: يا بت، د، ز، و.

(٢) المنعم: له النعم، ف، و.

(٣) يعني وأشد ذكرًا: ـ ، ز، و.

(٤) في الآخرة: ـ ، ف.

(٥) لا: ولا، د، و.

فينبغي له أن يجعل عمدته أمور الدين، ثم يسأل من أمور الدنيا تبعًا، وينقطع في جميع ذلك إليه تعالى.

قوله تعالى:

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾

۞ اللغة

قِ: أصله من الوقاية يقال: وقى يقي وقاية، والأمر (قِ) والنهي: لا تَق، وأصل (قِ): (أوق) ذهبت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة[1]، وقنا أصله اوقينا، مثل احملنا[2]، سقطت الواو لما ذكرنا، وسقطت[3] ألف الوصل للاستغناء عنها لتحرك ما بعدها، وحذف الياء للوقف الذي هو نظير الجزم.

والإيتاء: الإعطاء، وأصله الإتيان، بمعنى المجيء.

والنصيب والحظ من النظائر.

۞ الإعراب[4]

يقال: لم حذف حرف النداء من «ربنا»؟

قلنا: لأن أصله للتنبيه، والله تعالى لا يغيب عنه شيء، فيسقط حرف التنبيه للاستغناء، فأما يا ألله، فيذكر للتأكيد ليقبل عليه برحمته.

۞ المعنى

لما تقدم ذكر ما سأله الكفار من أمور الدنيا بين ما سأله المؤمنون في تلك

---

(١) (يَوْقِي)هذا هو الأصل، لكنها تصير(يقي) لوقوع الواو بين عدوّتيها: الياء والكسرة، ثم حمل الفعلان المبدوءان بالهمزة (أَوْقِ) والتاء (توقى) على المبدوء بالياء في حذف الواو.

(٢) احملنا: احلمناه، ز، ف.

(٣) وسقطت: وسقط، ز، ف.

(٤) الإعراب: ـ ، د.

المشاهد الشريفة، فقال تعالى: «**وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا**» أعطنا «**فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً**» قيل: نعم الدنيا ونعم الآخرة، عن أنس وقتادة وأبي علي. وقيل: رزقًا حلالاً في الدنيا، ومغفرة في الآخرة، عن السدي. وقيل: العلم والعبادة في الدنيا، والجنة في الآخرة، عن الحسن وعطية. «**وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**» أي احفظنا من عذاب النار «**أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ**» حظ[1] «**مِمَّا كَسَبُوا**» من طاعاتهم التي لم يحبطوها بمعاصيهم[2]. وقيل: لهم نصيب من جزاء كسبهم «**وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ**» قيل: يسرع حساب أهل الموقف، لا يشغله حساب واحد عن حساب آخر، وقيل: أراد بالحساب الثواب والجزاء، أي يسرع[3] ثوابهم، وقيل: الحساب بيان ما للمكلف وما عليه بكلام يقرر عليهم، وروي عن ابن عباس أنها فيمن يحج عن غيره، أن للميت الثواب، وللحاج الأجر.

۞ الأحكام

الآية تدل على إثبات الحساب، وتدل على سرعة محاسبته، وفي الخبر أنه يحاسب الكل بقدر لمح البصر، وروي بقدر حلب شاة.

وتدل على بطلان التشبيه؛ إذ لو كان جسمًا ذا آلة لاحتاج في[4] المحاسبة إلى أوقات ممتدة.

وتدل على بطلان مذهب الكلابية في قولهم: إن كلامه قديم من وجوه:

منها: أنه وصف نفسه بأنه يحاسب، وذلك لا يكون إلا بكلام محدث.

ومنها: أن ذلك لا يكون إلا بأقسام من الكلام، فيبطل قولهم: إنه متكلم بمعنى واحد.

---

(١) حظ: ـ، ز، و.

(٢) بمعاصيهم: بمعاصيها، د، ز.

(٣) يسرع: يشرع، د، ز، ف.

(٤) في: إلى، ز، ف، و.

ومنها: أنه لا يصح أن يحاسب أهل اللغات إلا بما عرفوه، فيوجب محاسبتهم بلغات مختلفة، فكيف يكون كلامه واحدًا.

وتدل على بطلان مذهب الجبر؛ لأنه كيف يحاسبهم ولا فعل لهم، وجميع أفعالهم خلق له، وذلك ظاهر.

قوله تعالى:

﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۖ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ٢٠٣﴾

اللغة

المعدودات: جمع معدود[1]، قال الزجاج: ويستعمل ذلك في القليل، كقوله تعالى: ﴿دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ [يوسف: ٢٠] أي قليلة، وإنما كان كذلك؛ لأنه كقبض ما لا يحصى[2] كثرة.

والحشر: جمع القوم من كل ناحية، والمحشر مجمعهم، وهو المكان الذي يحشرون فيه.

الإعراب

يقال: ما عامل الإعراب في «لِمَنِ اتَّقَى»؟

قلنا: فيه قولان:

الأول: ذلك لمن اتقى فحذف (ذلك)؛ لأن الكلام الأول دل على هذا العامل.

الثاني: أن يكون العامل معنى (لا إثم عليه)؛ لأنه يتضمن جعلناه لمن اتقى.

---

(١) معدودة: معدود، د، ز، ف.

(٢) يحصى: يخفى، د، و.

۞ المعنى

عاد الكلام إلى بيان الحج، فقال تعالى: «وَاذْكُرُوا اللَّهَ» قيل: هو التكبير في أيام التشريق أيام منى، عن أبي علي، وقيل: هو ما تقدم من الثناء والشكر والدعاء «فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ» قيل: أيام منى، وهي أيام التشريق، والمعلومات الأيام العشر، عن ابن عباس والحسن وأكثر أهل العلم. «فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ» قيل: في النفر والسير في اليوم الثاني من أيام التشريق، وقيل: في الرمي بأن يرمي في اليوم الثاني ويرجع «فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ» قيل: لتكفير سيئاته بما كان من حجه المبرور، عن ابن مسعود. وقيل: «فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ» في تعجيله، عن الحسن «وَمَنْ تَأَخَّرَ» أي السير إلى النفر الثالث، وهو آخر أيام التشريق فرمى وسار، «فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ» أي في تأخره «لِمَنِ اتَّقَى» قيل: اتقى الصيد ومحظورات الإحرام، وقيل: اتقى ما نهاه الله عنه في الحج، عن ابن مسعود. وقيل: اتقى الصيد وعبادة الوثن، عن ابن عباس. وقيل: اتقى المعاصي، وهو الأوجه لعمومه .«وَاتَّقُوا اللَّهَ» يعني اتقوا معاصيه باجتنابها، وقيل: اتقوا عذابه بامتثال أمره. «وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ» تجمعون إلى الموضع الذي يحكم فيه بينكم، لا حكم لأحد هناك غيره.

۞ الأحكام

في الآية أحكام:

أولها: دلالة قوله: «وَاذْكُرُوا اللَّهَ» والأَوْلى أن يحمل على تكبير أيام التشريق؛ لأنه المختص بهذه الأيام، واختلفوا في وقته، وفي كيفيته، ومن يجب عليه.

فأما وقته: فقد اختلف الصحابة فيه، قال الشيخ الإمام أبو محمد رحمه الله: ثلاثة اتفقوا في الابتداء، واختلفوا في الانتهاء: عمر وعلي وابن مسعود، واتفقوا أنه من صلاة الفجر يوم عرفة، ثم اختلفوا فقال علي (عليه السلام): إلى العصر من آخر أيام التشريق، وهو قول أبي يوسف ومحمد، وعليه فعل المسلمين في الأمصار، وهو اختيار أبي علي. وقال ابن مسعود: إلى صلاة العصر من يوم النحر، وهو قول أبي حنيفة. وعن عمر إلى صلاة الظهر من آخر أيام التشريق. وروي عنه مثل قول علي

(عليه السلام). وثلاثة أخر اتفقوا في الابتداء: ابن عباس وابن عمر وزيد، اتفقوا أنها من صلاة الظهر يوم النحر، ثم اختلفوا في الانتهاء فقال زيد: إلى العصر من آخر أيام التشريق، وهوقول عطاء، وروي عن أبي يوسف مثله[١]. وقال ابن عمر: إلى صلاة الفجر من آخر أيام التشريق، وهو قول الشافعي. وقال ابن عباس: إلى صلاة الظهر من آخر أيام التشريق.

وأما[٢] كيفيته: فيقول: الله أكبر مرتين، عن ابن مسعود وأبي حنيفة وأصحابه، وقال سعيد بن جبير: ثلاث مرات، وهو قول الشافعي، وكان مالك بن أنس يقول: الله أكبر، ثم يقطع، ثم يقول: الله أكبر، لا إله إلا الله، وعن قتادة: الله أكبر كبيرًا، الله أكبر على ما هدانا، الله أكبر ولله الحمد.

فأما من يجب عليه: فعند أبي حنيفة يجب بخمس شرائط على الرجال المكلفين الأحرار المقيمين إذ صلوا المكتوبة[٣] بجماعة مستحبة في مِصْرٍ جامع، وقال أبو يوسف ومحمد: كل من صلى فرضًا كَبَّرَ.

وثانيها: دلالة قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ الآية على بقاء شيء عليه ليصح فيه التعجيل والتأخير، وما ذلك إلا رمي الجمار؛ لأنها تختص بهذه الأيام، وتدل على جواز التعجيل والتأخير، وأنه لا حرج في واحد منهما، والرمي في أربعة أيام: يوم النحر يرمي جمرة العقبة بسبع حصيات يقطع التلبية عند أول حصاة، ويكبر[٤] مع كل حصاة، ولا يرمي غيرها، وفي اليوم الثاني وهو أول أيام التشريق يرمي الجمار الثلاث بعد الزوال، فيبتدئ بالرمي[٥] عند المسجد، ثم التي تليها، ثم بجمرة العقبة، ويقف عند الجمرتين، ولا يقف عند جمرة العقبة، وكذلك في اليوم

(١) مثله: نحوه، ز، و.
(٢) وأمّا: فأما، د، ز.
(٣) المكتوبة: مكتوبة، ز، ف.
(٤) ويكبر: يكبر، د، ف، و.
(٥) بالرمي: بالذي، ز، و.

الثاني والثالث، ويستحب رفع اليدين عند الجمرتين الأوليين للدعاء، فإذا رمى في اليوم الثاني فله أن ينفر من مِنىً إن أحب، وإن لم ينفر رمى في اليوم الثالث، قال أبو يوسف: كل رمي بعده رمي فالأفضل أن يرميه ماشيًا، وكل رمي ليس بعده رمي، فالأفضل أن يرميه راكبًا، وقد قال أصحابنا: إذا طلع الفجر في اليوم الثالث من أيام التشريق لم يجز له النفر حتى يرمي، وقال الشافعي: إذا غربت الشمس لم يجز له النفر.

فأما وقت الرمي ففي يوم النحر يدخل وقته بطلوع الفجر، وقال الشافعي: إذا انتصف الليل دخل وقته، قال الثوري: لا يجوز ما لم تطلع الشمس، ثم آخر وقته إذا غربت الشمس، وقال أبو يوسف: إلى وقت الزوال، قال أصحابنا: إذا أخر الرمي إلى الليل رماه، ولا شيء عليه، وإن أخره إلى الغد رماه، وعليه دم، وقال الشافعي في أحد قوليه: إذا غربت الشمس فات الوقت ووجبت عليه الفدية، وفي قول آخر: لا يفوت إلا في آخر أيام التشريق، فأما اليوم الثاني والثالث فيدخل وقت الرمي بعد الزوال، وروى في (المنتقى): إن رمى قبله جاز، فأما اليوم الرابع آخر أيام التشريق، فعند أبي حنيفة يجوز الرمي قبل الزوال، وقال أبو يوسف ومحمد: لا يجوز إلا بعده.

ويدل قوله: «**وَاعْلَمُوا**» أن المعارف ليست بضرورة وإنما هي مكتسبة.

ويدل قوله: «**تُحْشَرُونَ**» على الحشر والبعث، وفي ذلك تحذير عن المعاصي؛ لأن من تصور الحشر دعاه إلى التشدد في التقوى، وكرر ذكر التقوى؛ لأن المراد «**لِمَنِ اتَّقَى**» في ماضي أيامه، واتقوا في المستقبل.

قوله تعالى:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾

۞ القراءة

القراءة الظاهرة[1] المجمع عليها «ويُشْهِدُ» بضم الياء من أشهد[2] «ويَشهد» بفتح الياء والهاء، «الله» رفع، وفي مصحف أبي «ويستشهد الله»[3]، وهو تفسير لقراءة العامة.

وقرأ أبو جعفر والحسن: «وَيُهْلِكُ» برفع الكاف على الابتداء[4]، وقراءة العامة بنصبها على العطف.

۞ اللغة

أعجبه كذا إعجابًا، والعجب ما يتعجب منه، ويكون خلاف العادة.

والألَدُّ: الشديد الخصومة، لددت لدًّا، وهو أشد الخصومة، ومنه: ﴿قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم: ٩٧].

والخصام: جمع خصم، عند[5] الزجاج، وهو من الخصومة، وكأنه قيل: هو أشد المخاصمين خصومة، وقيل: هو مصدر، عن[6] الخليل، ويقول: خاصمه خصامًا.

تولى: أعرض.

وأشهد يشهد إشهادًا إذا أقر عند غيره ليشهد به.

والنسل: الولد، وأصله النسول، وهو الخروج، وسمي الأولاد نسلاً لتناسل بعضهم بعد بعض.

۞ النزول

قيل: نزلت في الأخنس الثقفي حليف بني زهرة، واسمه أُمَيٌّ، عن السدي

---

(١) الظاهرة: ـ، ز، و.
(٢) معاني القرآن للنحاس ١/ ١٤٩، ت: محمد علي الصابوني جامعة أم القرى ـ ط١ ـ سنة ١٤٠٩هـ.
(٣) زاد المسير ١/ ٢٢١، لابن الجوزي، المكتب الإسلامي-بيروت- ط٣-١٤٠٤هـ.
(٤) الجامع لأحكام القرآن القرطبي، ٣/ ١٧.
(٥) عند: عن، د، ز.
(٦) عن: عند، ل.

والكلبي. وسمي أخنس؛ لأنه خنس بجماعة بني زهرة من[1] قتال النبي ﷺ يوم بدر قال لهم: إن محمدًا[2] ابن أختكم، فإن يك[3] صادقًا لم تغلبوه، وكنتم أسعد الناس بصدقه، وإن يك[4] كاذبًا فأنتم أحق من كف عنه، ويكفيكموه[5] أوباش العرب، قالوا: الرأي ما رأيت، فانصرفوا، وكان حلو الكلام، فيجلس[6] إلى رسول الله ﷺ ويظهر الإسلام، ورسول الله يقبل عليه، ولا يعلم باطنه، ثم بَيَّتَ بني ثقيف، وأهلك مواشيهم، وأحرق زروعهم، وكان حسن العلانية سيئ السر.

وعن ابن عباس والضحاك: نزلت في سرية الرجيع، وذلك أن كفار قريش بعثوا إلى النبي ﷺ أنا قد أسلمنا فابعث إلينا نفرًا من علماء أصحابك مكرًا منهم، فبعث جماعة فيهم خبيب بن عدي، فنزلوا ببطن الرجيع، وأتاهم الخبر، فركب سبعون راكبًا، وأحاطوا بهم، وقتلوهم، وحمى الدبر[7] رأس عاصم بن ثابت[8]، وأسروا خبيبًا، ثم قتلوه وصلبوه، وفيهم نزلت الآية، ولهم قصة طويلة.

وقيل: نزلت الآية في المنافقين، عن الحسن. وقيل: في المرائين يخدعون بلسانهم، فإذا تولوا ظلموا وأفسدوا.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى حال[9] المنافقين بعد ذكر أحوال المؤمنين والكافرين، فقال تعالى: «**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ**» أي تستحسن كلامه يا محمد، ويعظم في قلبك، والعجب كل شيء يعظم في قلبك «**فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**» يعني يقول: آمنت بك وأنا لك

(١) من: عن، د، ز.
(٢) محمدًا: محمد، د، و.
(٣) يك: يكن، د، ز، و.
(٤) يك: يكن، د، ز، و.
(٥) ويكفيكموه: ويكفيكم، د، ف.
(٦) فيجلس: فجلس، د، ز، ف.
(٧) الدبر: الزنبور، د، ز.
(٨) عاصم بن ثابت: عاصم وأتاهم بن ثابت، ف، و.
(٩) أحوال: حال، ز، ف.

صاحب، ويقول: اللهم اشهد، فهو معنى[١] قوله: «**وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ**» يعني يضمر خلاف ما يظهر من القول فبإضماره يشهد الله على ذلك «**وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ**» قيل: شديد الخصومة، وقيل: أعوج في الخصومة لا يستقيم على خصومة عن مجاهد. وقيل: كاذب، عن الحسن. وقيل: شديد القسوة في معصية الله جَدِلٌ بالباطل، عن قتادة. «**وَإِذَا تَوَلَّى**» أعرض، عن الحسن. وقيل: ولَّى عن قوله الذي أعطاه، عن ابن جريج. وقيل: ملك الأمر فصار واليًا، عن الضحاك «**سَعَى فِي الأَرْضِ**» أي عمل فيها، وقيل: سار من عندك عن الأصم «**لِيُفْسِدَ فِيهَا**» قيل: ليقطع الرحم، ويسفك الدماء، عن ابن جريج. وقيل: ليظهر الكفر ويعمل بالمعاصي، عن الأصم وغيره. «**وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ**» النبات «**وَالنَّسْلَ**» الأولاد المراد نسل كل حي، وقيل: الحرث[٢] : الرجال، والنسل، الأولاد، ذكره الأصم «**وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ**» لا يريد «**الْفَسَادَ**» الكفر والمعاصي.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن النفاق يقبح[٣] في الدين.

تدل[٤] على أن الإيمان ليس بمجرد قول.

وتدل على جواز أن يحكم له بالإسلام[٥] في الظاهر، وإن كان يستسر خلافه.

وتدل على أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب، فيكون الإمام أولى بذلك، فيبطل قول الإمامية.

وتدل على أنه لا يعتبر القسم؛ لأنهم كانوا يحلفون كاذبين[٦].

وتدل على أنه لا يريد المعاصي؛ لأن المحبة متى علقت بالفعل، فالمراد الإرادة، فيبطل قول المجبرة في الإرادة.

---

(١) معنى: بمعنى، د، و.
(٢) الحرث: حرث، ف، و.
(٣) يقبح: يصح، د، ف.
(٤) وتدل: فتدل، د، ز، ف.
(٥) بالإسلام: في الإسلام، د، ز، و.
(٦) كاذبين: كذبًا، ز، و.

وتدل على بطلان قولهم في المخلوق؛ لأنه لو خلق الفساد لأحبه؛ لاستحالة أن يخلق شيئًا لا يحبه.

قوله تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾

۞ اللغة

المهاد: الوِطء من كل شيء.

والأخذ[١] : خلاف الإعطاء.

والعزة: القوة التي يمتنع بها من الذلة.

۞ النزول

قيل: نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي، عن السدي[٢] .

وقيل: نزلت في كل منافق، عن ابن عباس.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى صفة من تقدم من المنافقين، فقال تعالى: «**وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ**» قيل: خَفْهُ ولا تَعْصِهِ، وقيل: اتق عذابه، وقيل: اتق الله واجعل باطنك كظاهرك، عن الأصم «**أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ**» أي حملته العزة وحمية الجاهلية على الفعل في الإثم[٣] ، ودعته إليه، وقيل: أخذته العزة من أجل الإثم الذي في قلبه من الكفر، عن الحسن. وقيل: منعته الأنفة عن قبول الحق فيرجع عن قبوله استخفافًا بمواعظه، «**فَحَسْبُهُ**

---

(١) والأخذ: والأوخذ، ز، ف.

(٢) العجاب في بيان الأسباب ١/ ٥٢٣.

(٣) في الأثم: بالإثم، ز، و.

جَهَنَّمُ[1]» أي كفاه عذاب جهنم جزاء «وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ» أي القرار، عن الحسن. وقيل: لأنه بدل من المهاد، فسمي باسمه.

الأحكام

الآية تدل على أن أفعال العباد فعلهم؛ إذ لو كان خلقًا له لما صح ردعه بقوله: «اتَّقِ اللهَ»، ولا صح أن تأخذه العزة بالإثم، ولا صح أن يُذَم ويُتَوعَّد بالعقاب.

وتدل على أن من[2] دعي إلى حق فتكبر عن قبوله كان[3] ذلك كبيرة منه.

وتدل على أن هذا النوع من الصنيع يجري مجرى التَّجَرُّؤ على الله، فيقرب من الكفر.

وتدل على أنه لا عذاب وراء عذاب جهنم، لذلك قال: «فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ».

قوله تعالى:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾

القراءة

قرأ الكسائي[4] بميل «مرضات» كل القرآن؛ ليدل على الأصل لمكان الياء من رضي يرضى، والباقون بالتفخيم؛ لمكان الفتح الذي قبله.

اللغة

يشري: يبيع؛ قال الشاعر:

---

(١) جهنم: ـ، د، و.
(٢) من: ـ، ف.
(٣) كان: إن؛ د، ز، و.
(٤) حجة القراءات ١٢٩.

وَشَـرَيْـتُ بُـرْدًا لَـيْـتَـنِـي مِـنْ بَـعْــ ـدِ بُـــرْدٍ كُـــنْـــتُ هَـــامَـــهْ[1]

أي بعت. وقد جاء «شرى» بمعنى «اشترى»، والأول أكثر، والأصل فيه الاستبدال[2]. والبيع: استبدال الثمن بالعوض. والشراء: استبدال العوض بالثمن، ومنه: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ [يوسف: ٢٠].

والرأفة: الرحمة، والرؤوف الرحيم: كثير[3] الرحمة.

۞ الإعراب

«ابتغاء»: نصب لأنه مفعول له، كأنه قيل: لابتغاء مرضات الله، ثم نزع اللام منه، فوصل الفعل إليه فنصبه.

ويقال: لم جاز: فَعَلَهُ خوفًا، أي للخوف، ولم يجز: فَعَلَهُ زيدًا أي لزيد؟

قلنا: لأن في ذكر المصدر دليلاً على الغرض الداعي إلى الفعل، ولا كذلك ذِكْر زيد، ولأنه في قوله: فعله لزيد يحتاج إلى حذفين؛ لأن معناه لسبب زيد، أو لأجل زيد، ولا يحتمل الكلام حذفين كما احتمل واحدًا.

۞ النزول

قيل: نزلت في صهيب مولى عبد الله بن جدعان فتنه المشركون ليرجع عن دينه[4]، وقيل: خرج مهاجرًا فأخذوه فقال: أنا شيخ لا[5] أنفعكم بأن أكون معكم، ولا أضركم بأن أكون عليكم، فخذوا مالي واتركوني، فأخذوه وخلوه، فأنزل الله تعالى فيه هذه الآية، عن عكرمة.

---

(١) البيت ليزيد بن مفرغ الحميري، وبرد هذا غلامه كان بمنزلة ابنه فلما باعه حزن عليه، والهامة أنثى البوم طائر الليل. والبيت في اللسان (شري)، والأغاني ١٨/ ٢٦٧.

(٢) الاستبدال: الاستدلال، ز، ف.

(٣) كثير: الكثير، د، ز، و.

(٤) العجاب في بيان الأسباب ١/ ٥٢٤.

(٥) لا: ولا، د، و.

وقيل: نزلت في قصة وقعة الرجيع[١] لما قتل خبيب بن عدي شرى الزبير والمقداد[٢] أنفسهما لإنزاله من خشبته، وقد تقدم ذكر القصة، فنزلت الآية، عن ابن عباس والضحاك.

وقيل: نزلت في رجل أمر بمعروف ونهى عن منكر، عن عمر وعلي وابن عباس.

وقيل: نزلت في المهاجرين والأنصار، عن قتادة، قال: ما هم أهل حروراء، ولكنهم المهاجرون والأنصار.

وقيل: نزلت في المجاهدين، عن الحسن وأبي علي.

وقيل: نزلت في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال ابن عباس: أرى ههنا من إذا أُمِرَ بالمعروف أخذته العزة بالإثم، وأرى من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله يقوم هذا فيأمر هذا بتقوى الله، فإذا لم يقبل وأخذته العزة بالإثم فيقول هذا: وأنا أشري نفسي، فقاتله، فكان إذا قرأ هذه الآية يقول: اقتتلا قرب الكعبة.

وقيل: نزلت في علي بن أبي طالب (عليه السلام) بات على فراش رسول الله ﷺ ليلة خروجه إلى الغار، عن ابن عباس. وروي أنه لما نام على فراشه قام جبريل عند[٣] رأسه، وميكائيل عند رجليه، وجبريل ينادي: بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله تعالى بك الملائكة؟فنزلت الآية بين مكة والمدينة، عن السدي.

۞ المعنى

عاد إلى وصف المؤمن الآمر بالمعروف في قوله: «**وَإِذَا قِيلَ**»؛ لأن القائل هو المؤمن، فقال تعالى: «**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ**» أي يبيع نفسه «**ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ**» أي طلب رضا الله، ويشري ههنا اتساع؛ لأنه ليس ههنا بيع و[٤] مبيع على الحقيقة،

(١) العجاب في بيان الأسباب ١/ ٥٢١.

(٢) الزبير والمقداد: المقداد والزبير، د، ز.

(٣) عند: عن، ز، ف.

(٤) بيع و: ـ ، ز، ف.

وإنما أطلق[١] عليه الاسم؛ لأنه فعل ما فعل لطلب مرضاته كالبائع يطلب الثمن بالمبيع «**وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ**» رحيم بهم محسن[٢] إليهم بضروب النعم.

الأحكام

الآية تدل على تفخيم أمر الجهاد، ومدح من يبيع نفسه في الجهاد والأمر بالمعروف.

وتدل على عظيم الأمر بالمعروف، وقد قال النبي : «**أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر**»[٣].

وتدل على أنه كاف[٤] للعباد رأفة ورحمة.

وتدل على بطلان مذهب الجبر؛ لأنه وصف نفسه بالرأفة والرحمة، ومن خلق عباده للنار وعذبهم من غير فعل يحدث من جهتهم، بل خلق فيهم الكفر، وكلف ما لا يطاق، ثم يعذب عليها، فهذا[٥] بعيد من الرأفة؛ نعوذ بالله من قول يؤدي إلى سوء الثناء على رب العالمين.

قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير والكسائي «**السَّلم**» بفتح السين ههنا[٦] وفي الأنفال

(١) أطلق: أطلع، د، ز.
(٢) محسن: يحسن،د ، ز، ف.
(٣) المستدرك رقم ٨٥٤٣، والمعجم الكبير رقم ٨٠٨١، وشعب الإيمان رقم ٧٥٨١، ومسند الشهاب رقم ١٢٨٦.
(٤) كاف: كلف، ز، و.
(٥) فهذا: ـ ، و.
(٦) حجة القراءات ١٣٠، والحجة في القراءات السبع٩٥.

وسورة محمد، وقرأ أبو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم ويعقوب ههنا بكسر السين، والباقي[1] بالفتح، وقرأ[2] حمزة في الأنفال بفتح السين، والباقي بالكسر، وقيل: «السلم» بالفتح من المسالمة، ومنه: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ﴾ [الأنفال: ٦١] والسِّلم بالكسر الإسلام، وقيل: هما بمعنًى، ويستعمل كل واحد في موضع الآخر، إلا أن الكسر أغلب في موضع الإسلام.

اللغة

كافة: جماعة، أخذ من كففت الشيء جمعته، وكف: انقبض، وأصله الجمع، وقال الزجاج: وأصله من المنع، تقول: كففته عن[3] كذا أي منعته.

خطوات الشيطان: آثاره، وفيه ثلاثة أوجه: سكون الطاء على الأصل، والضم على الإتباع، والفتح على وزن صفحات.

النزول

قيل: نزلت في أهل الكتاب، عن ابن عباس[4]. وقيل: في قوم من اليهود أسلموا وسألوا النبي ﷺ أن يبقي عليهم تحريم السبت والقيام بالتوراة، عن عكرمة. وقيل: في عبد الله بن سلام وأصحابه. وقيل: نزلت[5] في جميع المؤمنين[6].

المعنى

لما تقدم ذكر الفِرَقَ الثلاث دعا الجميع إلى الانقياد والطاعة في المستقبل، فقال تعالى: «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**» صدقوا الله ورسوله «**ادْخُلُوا**» قيل: معناه دوموا فيما دخلتم فيه، كقوله: «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا**» على أنه خطاب للمؤمنين. ويقال لمن

---

(١) والباقي: والثاني، ف.
(٢) وقرأ: قرأ، د، ز.
(٣) عن: من، ز، و.
(٤) العجاب في بيان الأسباب ١/ ٥٢٩.
(٥) نزلت: ـ ، د، و.
(٦) العجاب في بيان الأسباب ١/ ٥٢٩، ٥٣٠.

يأكل: كل، وقيل: خطاب لأهل الكتاب أي ادخلوا في جميع أحكام الإسلام، ولا تتبعوا شيئًا من اليهودية، وقيل: «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**» بالنبي ﷺ «**ادْخُلُوا**» في جميع شرائعه، عن القاضي «**فِي السِّلْمِ**» قيل: في الإسلام، عن الحسن والضحاك والسدي، وقال بعض شعراء كندة لما ارتد قومه مع الأشعث:

دَعَوْتُ عَشِيرَتِي لِلسِّلْمِ لَمَّا رَأَيْتُهُمْ تَوَلَّوْا مُدْبِرِينَا[١]

وقيل: في المسالمة حتى لا يكون بعضكم حربًا[٢] لبعض، وقيل: في الدين، عن طاووس، وقيل: في الطاعة، عن قتادة والربيع، وقيل: في[٣] أهل الإسلام وأحكامهم، عن مجاهد، وقيل: في أنواع البر، عن سفيان الثوري والجميع متقارب يرجع إلى شيء واحد وهو الاستسلام الذي هو الانقياد كأنه[٤] قيل: كونوا منقادين، ولا تفارقوا الجماعة «**كَافَّةً**» جميعًا، قيل: ادخلوا جميعا عن عكرمة، وقيل: جميع المؤمنين فيكون حالاً من ضمير المؤمنين عن الحسن وجماعة «**وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ**» آثاره ونزغاته فيما يزين[٥] لكم من اتباع التوراة، ومن تحليل الخمر ونحوه «**إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**» مظهر لعداوته، يعني واضح العداوة، فكأنه بما ظهر منه مخبر بها، وقيل: إنه إثارة العداوة لآدم حتى امتنع من السجود، عن أبي علي.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن الواجب التمسك بجميع شرائع الإسلام، وأنه لا ينفع الانقياد لبعضه مع ترك بعض[٦]، ولهذا قال أصحابنا: إنه لا يصير مسلمًا ما لم يتبرأ من سائر الأديان.

---

(١) مدبرينا: مدبرين، د، ز. البيت لابن عابس الكندي. انظره في اللسان (سلم).
(٢) بعضكم حربا: بعضهم حرب، د، ف.
(٣) في: هو، و.
(٤) كأنه: فكأنه، ز، ف.
(٥) يزين: يرى، د، ز.
(٦) بعض: البعض، د، ز.

وتدل على التحذير من الشيطان لعداوته.

ومتى قيل: مع ضعفه كيف يضر المؤمنين؟

قلنا: هو قوي في الإضرار بالوسوسة والإضلال عن الدين، ولأنه لشدة عداوته يكبر ضرره بالوسوسة، وبإلقاء الشبه إلى علماء السوء.

ومتى قيل: لم لا يمنعه الله عن ذلك؟

قيل: اختلفوا، قال أبوهاشم: لأنه زيادة تكليف يستحق به زيادة [ثواب]، فهو كزيادة الشهوة. ولإضلاله تأثير، وقال أبو علي: لا يَفْسُدُ به شيء، والأول الوجه.

ومتى قيل: ما الطريق إلى دفع شره؟

قلنا: النظر في الأدلة، ودفع الشبه، واجتناب البدع والضلالات؛ ليحصل على سواء الطريق، ثم يقهر النفس بالمنع عن الشهوات، وإقامة الطاعات واجتناب الكبائر.

ومتى قيل: كيف اجتمعت الجن على عداوة الإنس من غير ذنب من جهتهم؟

قلنا: عداوة[١] من كفار الجن دون مؤمنيهم، والكفار أعداء المؤمنين من الإنس كانوا أم من الجن، وقيل: العداوة متوارثة[٢] من غير سبب، وأي سبب كان لامتناع إبليس عن سجوده لآدم؟!.

وتدل الآية على فساد القول بالجبر؛ لأنه تعالى حذر من اتباع الشيطان، ولو كان الضلال من خلقه والوسوسة من فعله لكان التحذير منه أولى، ولأنه إذا خلق الإيمان لا تضر وسوسة الشيطان، وإذا خلق الكفر لا ينفع شيء، فأي تأثير لوسوسته حتى يحذر منه، ولأن عندهم ليس إلى إبليس شيء، ولا إلى الجن، ولا إلى الإنس بل جميع ما يحدث خلقه، فكيف حذر من الشيطان؟ تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

---

(١) عداوة : العداوة، ز، و.

(٢) متوارثة: متواترة، د، ف، و.

قوله تعالى:

﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾

القراءة

القراءة المجمع عليها «زَلَلْتُمْ» بنصب اللام، وعن بعضهم بكسرها، وهما لغتان[١] .

اللغة

الزلل: الخطأ، زَلَّ يَزِلُّ زَلَلاً وزلاً وَمَزَلَّة، وأصله الزل، وهو العدول عن السنن[٢] .

والعزيز: المنيع.

والبينة: الحجة.

وأصل الحكمة[٣] المنع، ومنه: حَكَمْتُ الدابة، وسمي العِلْم حكمة؛ لأنه يمنع من وجوه الفساد، والحكيم: العليم بتدبير الأمور، وقيل: الْمُحْكِمُ لأفعاله.

المعنى

ولما تقدم الأمر بالدخول في الطاعة عقبه بالوعيد على تركها، فقال تعالى: «فَإِنْ زَلَلْتُمْ» عن الاستقامة، وهي طاعة الله تعالى وشرائع الإسلام إلى العصيان، وهو توسع، شبه بمن زل عن قصد الطريق، ومعناه عصيتم الله فيما أمرتم به «مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ» أي الحجج والمعجزات «فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» قادر لا يمتنع

---

(١) القرطبي٣/ ٢٧.

(٢) السنن: السير، د، ف.

(٣) وأصل الحكمة: وأصل الحجة الحكمة، د، و.

عليه، يعاقبكم فلا يمنعه[١] مانع، حكيم أي مع أنه قادر على عقوباتكم، عليم باستحقاق العقاب ومقاديره[٢]، حكيم في فعل ذلك.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن العقوبة على الزلل إنما تكون بعد إقامة الحجة، وذلك يكون بوجهين، أما الشرائع فإنما تُعْلَمُ من جهة الوحي والنبي، وأما التوحيد فبأدلة العقل.

وتدل على أن من لم تأته الحجج لا يكفر بترك الشرائع؛ لأنه إنما يلزمه بالسماع.

وتدل على بطلان قول أصحاب المعارف؛ لأنه توعد بعد مجيء البينات، وعندهم لا تأثير للبينات والنظر.

وتدل على أن الزلل فِعْلُهم، لذلك أضافه إليهم، وأوعدهم[٣] عليها، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

وتدل على ذلك من وجه آخر؛ لأنه وصف نفسه بأنه حكيم، فلو كان كل كفر وسفه وزلل وقبح في العالم من خلقه وإرادته لما صَحَّ وَصْفُهُ بذلك.

قوله تعالى:
﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾

۞ القراءة

قرأ أبو جعفر: «**الملائكة**» بالخفض عطفًا على الغمام أي مع الغمام، والقراء السبعة بالضم[٤]، يعني تأتي الملائكة.

---

(١) فلا يمنعه: ولا يمنع، ز، و.

(٢) ومقاديره: مقاديرها، د، ز، و.

(٣) وأوعدهم: وأوعد، ف.

(٤) الطبري ٤/ ٢٦١.

قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب «تَرْجِعُ» بفتح التاء وكسر الجيم كل القرآن، على إظهار الفاعل[١] ، والفاعل «الأمور»، والباقون بضم التاء وفتح الجيم، على ما لم يسم فاعله، و«الأمور» اسم ما لم يسم فاعله[٢] .

۞ اللغة

نظر وانتظر وتوقع نظائر، وأصل النظر الطلب لإدراك الشيء، فإذا أضيف إلى الغير فهو تقليب الحدقة، نحو المرئي التماسًا لرؤيته مع سلامة الحاسة، وإذا أضيف إلى القلب فهو التفكر الذي يطلب به المعرفة، وإذا استعمل بمعنى الانتظار فلأنه يطلب إدراك ما يتوقع. وأتى وجاء بمعنى.

والظلة: السترة، وجمعها ظُلَل، مثل حلة وحُلل.

والغمام: السحاب الأبيض الرقيق سُمِّيَ بذلك؛ لأنه يَغُمُّ أي يستر.

وقضى وحكم من النظائر.

والرجع والرد والعود[٣] نظائر.

۞ الإعراب

الملائكة: رفع عطفا[٤] على اسم الله تعالى[٥] ، وتقديره: يأتيهم الله والملائكة، وبالجر عطفًا على الغمام على ما تقدم، ويحتمل مع الغمام وفي الغمام.

۞ المعنى

ثم عقب ما تقدم من الوعيد بوعيد آخر، فقال تعالى: «هَلْ يَنظُرُونَ» أي ما ينتظرون «إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ» فيه أقوال:

(١) الفاعل: الفعل، د، ف.
(٢) السبعة في القراءات ١٨١.
(٣) والرد والعود: والعود والرد، د، ف.
(٤) عطفا: ــ ، ف.
(٥) تعالى: ــ ، د، و.

الأول: تأتيهم دلائل[1] آياته، فجعل مجيء الآيات مجيئًا له على التفخيم لشأن الآيات، كما يقال: جاء الملك، إذا جاء جيش عظيم من جهته.

الثاني: إلا أن يأتيهم أمر الله، كقوله في موضع آخر: ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [النحل: ٣٣]، وهما في المعنى واحد؛ لأن أمره دلائل[2] آياته، ويقال: ضرب الأمير فلانًا وقتله[3] وأعطاه، وإنما أمر بذلك، ولم يَتَوَلَّهُ بنفسه، فأضيف إليه لأمره به.

الثالث: قيل: (في) بمعنى الباء وحروف الصفات يبدل بعضها بعضًا، وذلك ظاهر، وتقديره: هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بظلل من الغمام والملائكة، والمراد العذاب الذي يأتيهم في الغمام مع الملائكة.

«**فِي ظُلَلٍ**» قيل: سترة من الغمام،عن الحسن، وقيل: قطع من السحاب، عن الضحاك.

ومتى قيل: ما فائدة «**ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ**» مع العذاب؟

قلنا: جلائل آياته تأتي في غمام فيكون أهول، وقيل: يأتي بأهوال، فشبه ذلك بظلل من الغمام كقوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ﴾ [لقمان: ٣٢].

«**وَقُضِيَ الْأَمْرُ**» قيل: وجب العذاب، وقيل: فرغ من الحساب وأمور القيامة، وقيل: جرى أموره على سننه «**وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ**» يعني كانت الأمور كلها له مَلَّكَ عبادهَ أشياء زالت جميعها في الحشر، كأنه رجع الجميع، وقيل: يرجع إليه بأن يكون هو الحاكم والمدبر لا حكم لأحد كما تقول لغيرك[4] : رددت هذا الأمر إليك لتدبره، وإن لم يكن ابتداء منه، وقيل: يرجع الأمر إلى مراده، فلا يكون كفر ولا معصية، «**الْأُمُورُ**»: يعني أمور الدنيا والآخرة، فيحاسب عباده على أعمالهم، ثم يجازيهم عليها.

---

(١) دلائل: جلائل، ز، ف.

(٢) دلائل: جلائل، ز، ف.

(٣) وقتله: أو قتله، د، ز.

(٤) تقول لغيرك: يقول لغيره، د، ز، ف.

۞ الأحكام

استدلت المشبهة بالآية على جواز المجيء على الله، وهذا لا يجوز؛ لأنه من صفات الأجسام، وقد قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ولو كان جسمًا يأتي لكان مثلاً للأجسام، ولكان لا يخلو من دلالة الحدث من الحركات والسكنات، تعالى عن ذلك، وقد بَيَّنَّا ما قيل في معناه.

ومتى قيل: كيف يوصف الأمر بالإتيان، وهو عَرَضٌ؟

فجوابنا أن المراد محل الأمر، ومحتمل الأمر، ولا يقال: إنه توسع ومجاز من وجهين؛ لأن التوسع في الألفاظ أولى من إضافة التشبيه إلى الله تعالى، وقد علمنا بأدلة العقل والسمع؛ إذ[١] لا يجوز حمله على إتيانه حقيقة، والتوسع أكثر في الكلام من الحقائق.

ومتى قيل: متى يكون هذا، في الدنيا أو في الآخرة؟

فجوابنا: الأقرب أن المراد به في الآخرة؛ ولذلك قال: «**وَقُضِيَ الأَمْرُ**» وهذا لا يليق إلا بالآخرة.

وتدل على أنه تعالى يأتيهم بما وعد وأوعد، عن الأصم، فيبطل قول من يُجَوِّز الخلف في الوعيد.

قوله تعالى:
﴿سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾﴾

۞ القراءة

قرأ أبو عمرو في «**سل**» بين الاتصال بواو أو فاء، وبين الاستئناف، وقرأ[٢]

---

(١) إذ: لأنه، د، و.
(٢) وقرأ: فقرأ، ف.

«**سلهم**» و«**سل بني إسرائيل**» بغير همز، «**واسأل القرية**» «**فاسأل الذين يقرأون الكتاب**» «**واسألوا الله من فضله**» بالهمز، وسوى الكسائي بين ذلك، وقرأ الكل بغير ألف[1] .

ووجه الفرق: أن التخفيف في الاستئناف وصلة إلى إسقاط الهمزة المبتدأة، وهي مستقلة، وليس كذلك في الاتصال والكسائي اتبع المصحف؛ لأن الألف ساقطة فيها أجمع، وكلٌّ حسنٌ.

ومتى قيل: لم تسقط[2] الهمزة منه؟ وكم وجهًا يجوز فيه؟

قلنا: أما الهمزة التي هي عين الفعل بالتخفيف، وهو قياس مطرد في كل همزة قبلها ساكن أن[3] تسقط، وتلقى[4] حركتها على الساكن الذي قبلها كقوله: الخب، والدف[5] . وأما إسقاط ألف الوصل فلتحرك ما بعدها، نحو: قل، وبع، وأصله: أُقْوُلْ، وَاِبْيِعْ، ويجوز فيه ثلاثة أوجه: «**سَلْ**» على التخفيف، و«**اسأل**» على التحقيق[6]، و«**اِسَل**[7]» على إثبات ألف الوصل مع التخفيف؛ لأنه عارض.

اللغة

التبديل: تغيير الشيء وتصييره على خلاف ما كان، ولو صرفه على ما كان لم يكن تبديلاً.

والإنعام والإفضال والإحسان نظائر، والإنعام: إعطاء النعمة، وهو النفع الحسن إذا قصد المنعم وجهًا حسنًا.

النظم

ذكر تعالى[8] في أول السورة الكتاب وما يلزم الإيمان به من البعث والتوحيد،

---

(١) حجة القراءات ٢٠٠، ٢٠١.
(٢) تسقط: سقط، أ.
(٣) أن: ـ، ز.
(٤) وتلقى: يأتي، د، ف.
(٥) الخب والدف: الحب والذر، د، ز.
(٦) التحقيق: التخفيف، و.
(٧) واسل: واسال، د، ف.
(٨) تعالى: ـ، و.

وغيره في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١] ثم بَيَّنَ النبوءات بقوله: ﴿إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ﴾ [الحج: ٥] ثم خاطب بني إسرائيل، وقص عليهم نبأهم، وما كان في كتابهم من البشارة بهذا الدين والنبي ﷺ، ثم ابتدأ في ذكر شرائع الإسلام شريعة شريعة، وبدأ بذكر نسخ القِبْلَةِ، ثم بَيَّنَ أن الناس في ذلك على ثلاث فرق: مؤمن، وكافر، ومنافق، ووعد وأوعد، وأمر ونهى، فلما استبطأ إيمانهم قال: «**هَلْ يَنظُرُونَ**. . .» الآية، يعني ما ينتظرون بعد الحجج إلا العذاب، ثم بَيَّنَ أن ترك إيمانهم ليس بتقصير في الحجج، أو من جهة المُكَلِّف أو النقص في المعجزة لكن لخبث طباعهم، وسوء خلتهم، فقد سألوا قبلك يا محمد هذا الصنيع، فقال: «**سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ**».

المعنى

«**سَلْ**» يا محمد «**بَنِي إِسْرَائِيلَ**»، وقيل: سل أيها السامع بني إسرائيل، أولاد يعقوب، وهم اليهود الذين كانوا حول المدينة، والمراد به علماؤهم، وذلك سؤال تقريع وتبكيت، لا سؤال تعريف؛ لأن النبي ﷺكان عارفًا به، وهذا كما يقال: سله كم أعذرتُ إليه وحذرته[1]. وقيل: هو سؤال تقرير لتأكيد الحجة عليهم «**كَمْ آتَيْنَاهُمْ**» أعطيناهم «**مِنْ آيَةٍ**»**حجة** «**بَيِّنَةٍ**» واضحة ظاهرة، وقيل: هي فَلْقُ البحر وتظليل الغمام وغيرها من آيات موسى (عليه السلام)، عن الحسن ومجاهد والربيع. وقيل: كم من حجة واضحة لمحمد تدل على صدقه ﷺ، عن الأصم وأبي علي. «**وَمَنْ يُبَدِّلْ**» في الكلام حذف، تقديره: فبدلوا وكفروا، يعني آتيناهم الآيات ليؤمنوا، فكفروا وبدلوا فلا تفعلوا أنتم كما فعلوا، وقيل: إن هؤلاء فعلوا كما فعل آباؤهم بدلوا بالإيمان كفرًا، وقيل: تبديلهم كتمانهم، وقيل: عُدُولُهم إلى المتشابه عن المحكم، فضلوا وأضلوا. والمراد به علماء السوء «**وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ**» قيل: كتاب الله، وقيل: ما أودعه من العمل [بما جاءت به] رسله عن الأصم وأبي علي؛ وقيل: ما أمروا به «**مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ**» أي لزمته الحجة بذلك «**فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**» قيل[2]: لمن بدل، وقيل: لكل من استحقه.

(١) وحذرته: وخيرته، د، و.

(٢) قيل: وقيل، ف، و.

۞ الأحكام

الآية تدل على بطلان مذهب الجبر من وجوه:

منها: قولهم: ليس لله على الكفار نعمة، وقد بَيَّنَ تعالى أنهم غيروا نعم الله تعالى كما نطق بها آياتٌ أخر، كقوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل:٨٣]، ونحو ذلك.

ومنها: أنه أضاف التبديل إليهم، ولو كان خلقًا له لكان إضافته إليه أولى، فيبطل قولهم في المخلوق.

ومنها: أنه أوعدهم عليها بالعقوبة، ولو خلقه فيهم لما استحقوا العقوبة، كما لا يستحقونه على طولهم وألوانهم وهيئاتهم.

وتدل على بطلان قول أصحاب المعارف؛ لأنه آتاهم الآيات، ووصفها بأنها بينة ثم وصفهم بالتبديل، ولو كانت المعارف ضرورية[1] لما صح شيء من ذلك.

وتدل على أن تبديل الآيات مع وضوحها ممكن؛ فلذلك ذمهم، وأوعدهم على ذلك، ووجه التبديل أن يحرفه أو يكتمه أو يتأوله على خلاف جهته، كما فعلوه في التوراة والإنجيل، وكما يفعله مبتدعة الأمة، وأهل الأهواء في القرآن.

قوله تعالى:

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾

۞ القراءة

القراءة الظاهرة: «زُيِّنَ» بضم الزاي على ما لم يسم فاعله، وعن مجاهد «زَيَّنَ» بفتح الزاي، ولا يجوز القراءة به؛ لأنه خلاف المنقول الظاهر.

(١) ضرورية: ضرورة، ز، ف.

۞ اللغة

التزيين: التحسين للصورة، وهو من الزَّيْنِ خلاف الشَّيْنِ[1].

والسخرية والاستهزاء من النظائر.

والرزق: هو العطاء الجاري، وحده: ما لَهُ أن ينتفع به، وليس لغيره منعه.

والحساب: العدد المحصور بالعقد كعشرة ومائة ونحوها.

۞ الإعراب

يقال: لم قال: «زين»، ولم يقل زينت؟ والحياة مؤنثة؟

قلت: لأن تأنيث الحياة غير حقيقي من حيث لم يكن حيوانًا بإزائه ذَكَرٌ، نحو: رجل وامرأة، وجمل وناقة، وقيل: لأن الحياة والإحياء واحد، فإذا أنث فعلى اللفظ، وإذا ذكرِّ فعلى المعنى، نحو: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [هود: ٦٧] - وأخذت[2]. جاء التنزيل بهما.

۞ النزول

قال ابن عباس: نزلت في مشركي قريش أبي جهل وأصحابه، كانوا يتنعمون فيما أوتوا من نعم الدنيا، ويكذبون بالمعاد، ويسخرون من الذين آمنوا كابن مسعود وعمار وبلال وخباب، ويقولون: لو كان محمد نبيًّا لاتبعه أشرافنا، وما يتبعه إلا الفقراء[3].

وقال مقاتل: نزلت في المنافقين عبد الله بن أبيّ وأصحابه، يسخرون من ضعفاء المؤمنين، وفقراء المهاجرين.

وقال عطاء: نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم من بني قريظة والنضير وبني قينقاع سخروا من فقراء المهاجرين، ولا مانع من نزولها في جميعهم.

---

(١) الشين: السين، ز، ف.

(٢) كما فى قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [هود ٩٤].

(٣) الطبري ٤/ ٢٧٣.

المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى أن مَنْ سبق ذكرهم إنما عدلوا عن الإيمان إيثارًا للحياة الدنيا، ووصفهم بأوصافهم، فقال تعالى: «زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا» قيل: زين الشياطين ذلك لهم[1]، عن الحسن. قال: ولا نعلم أحدًا أذم لها ممن خلقها، ووصفها بأنها متاع الغرور وغيرها من الصفات. وقيل: زَيَّنَ ذلك شياطين الجن والإنس، عن أبي علي. وقيل: الله تعالى زينها لهم بالشهوات كي يجتنبوها، عن أبي بكر أحمد بن علي. وقيل: زينوها لأنفسهم، دليله أنه عطف عليها «وَيَسْخَرُونَ» كأنه قال: يزينون الدنيا، ويسخرون من المؤمنين، وذلك أنهم أنكروا الآخرة، وقالوا: لا دار إلا الدنيا.

ومتى قيل: كيف زين المزين؟

قلنا: إن حملنا على أن الـمُزَيِّنَ غير الله فبالدعاء إليها، والمشاحة فيها، والتحريض على جمعها، والتحذير من الفقر، وإن حملنا على أن المُزَيِّنَ هو الله تعالى قيل: بالشهوة؛ لأن الشهوة لا يقدر عليها غيره، وقيل: بما عرفهم من نعيم الدنيا، وكيفية التمتع بها «وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا» قيل: لفقرهم، وقيل: لإيمانهم بالبعث وجَدِّهم في ذلك، وقيل: لزهدهم في الدنيا، والوجه حمله على الجميع؛ إذ لا تنافي بينها[2] «وَالَّذِينَ اتَّقَوْا» اجتنبوا الكفر والمعاصي «فَوْقَهُمْ» يعني فوق الكفار في الدرجات، وقيل: تمتعهم بنعيم الآخرة أكثر من اتباع هؤلاء زينة الدنيا، والحرص عليها، وقيل: حالهم في الآخرة فوق حال هؤلاء الكفار في الدنيا؛ لأنه لا حال لهم في الآخرة، وقيل: مكانهم في الآخرة فوق مكان الكفار؛ لأن مكانهم الجنة، ومكان الكفار النار، عن الأصم، وقيل: حالهم في الآخرة خير من حال الكفار، وإن كان لا حال لهم كقوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ [الفرقان: ٢٤] «وَاللَّهُ يَرْزُقُ» يعطي «مَنْ يَشَاءُ» من يريد «بِغَيْرِ حِسَابٍ».

وقال في موضع آخر: ﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾ [النبأ: ٣٦] فيه أقوال:

---

(١) زين الشياطين ذلك لهم: زين الشيطان لهم ذلك، ف، و.

(٢) بينها: فيها، د، ز.

الأول: أن رزقه تعالى على ضربين؛ مُستَحَقّ على عمل، فذلك بقدر الاستحقاق، وحسابه لا يجوز غير ذلك، وتفضل منه، وذلك «بِغَيْرِ حِسَابٍ» يريد ما يشاء، عن أبي علي.

الثاني: «بِغَيْرِ حِسَابٍ» من جملة الملك، كالجزء من كذا؛ لأنه لا نهاية لمقدروه، فلا يجوز أن ينقص بما يؤخذ منه، نبه بذلك على سعة المقدور، عن الحسن.

الثالث: «بِغَيْرِ حِسَابٍ» الكفاية بل يزيد على الكفاية، كأنه قيل: من غير تضييق.

الرابع: «بِغَيْرِ حِسَابٍ»: بغير حد؛ لأنه دائم لا نهاية له، عن القاضي وغيره.

الخامس: من غير خوف حساب عليه، يعني فيما يعطيهم، ولا اعتراض لم أعطيت هذا؟.

السادس: بغير حساب يعني كثيرًا؛ لأن ما دخله الحساب فهو قليل، وقيل: بغير حساب الأعمال بل أضعاف مضاعفة. و﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾ [النبأ: ٣٦] فقيل: بقدر الاستحقاق، وقيل: يتشابه في كل وقت.

۞ الأحكام

تدل الآية[١] على أن الله تعالى أنعم على الكافر بنعم الدنيا، وفيه تنبيه على ترك الاغترار[٢] بالدنيا وزهرتها، وتنبيه على أن حال المتقي في الآخرة هي المغبوط؛ لما له من النعيم الدائم، وإن منعوا الدنيا مصلحة لهم؛ لأن الآخرة هي دار القرار، والدنيا زائلة[٣] .

(١) تدل الآية: الآية تدل، ز، و.
(٢) الاغترار: الاعتداد، د، ز.
(٣) زائلة: زائل، ز، ف.

قوله تعالى:

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ٢١٣﴾

القراءة

القراءة الظاهرة: «لِيَحْكُمَ» بفتح الياء وضم الكاف، وقرأ أبو جعفر بضم الياء وفتح الكاف[1]، فوجه قراءة العامة أن الكتاب يحكم، وهو توسع كقوله: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ﴾ [الجاثية: ٢٩]، وقيل: ليحكم كل نبي بكتابه، وقيل: ليحكم الله في عباده بذلك، ووجه قراءة أبي جعفر على تقدير: وأنزل الله الكتاب، وغرضه أن يُحْكَمَ بما فيه بين الناس على ما لم يسم فاعله، وعلى هذا الخلاف في آل عمران وسورة النور.

اللغة

الأمة: الجماعة، وأصلها القصد، يقال: أَمَّ يؤم أمًّا إذا قصد، ثم يستعمل على أربعة أوجه: الأمة: الملة؛ لأنها تؤم بها جهة واحدة، والأمة: الجماعة؛ لاجتماعها على ما تؤم. والأمة: المنفرد بالمقالة؛ لانفراده بما يؤمه. والأمة: القامة؛ لظهورها فيما تؤم.

والنبيئين[2] بالهمز وغير الهمز لغتان، وورد القرآن بهما فقرأ نافع بالهمز، والباقون بترك الهمز، فأما الهمز فأصله النبأ، وهو الخبر، والإنباء الإخبار، ومنه: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [النبأ: ١، ٢] ﴿قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ﴾ [ص: ٦٧] وسمي النبيء

(١) تفسير البغوي ١/ ٢٤٤ ت: محمد عبد الله النمر، دار طيبة للنشر والتوزيع ـ ط٤ ـ ١٩٩٧م.

(٢) والنبيئين: النبيء، ف، و.

نبيًا؛ لأنه يخبر عن الله تعالى. فأما ترك الهمز فهو الاختيار؛ لأنه لغة قريش وأهل الحجاز، وروي أن رجلا قال: يا نبيء الله بالهمز، فقال: «**لست بنبيء الله، إنما أنا نبي الله**[١]» بترك الهمز، وأنكر الهمز، ثم اختلفوا فقيل: أخذ من النباوة، وهي ما ارتفع من الأرض، فالنبي ﷺ هو الرفيع الشأن، العالي القدر، وأصله نَبِيْوٌ، فلما اجتمعت الياء والواو، والسابق ساكن أبدلت[٢] الواو ياء، وأدغمت الياء الأولى فيها، وقيل: سُمِّي نبيًّا لبيان أمره، ووضوح خبره، أخذ من النبي، وهو عندهم الطريق، قال الشاعر:

فأَصْبَحَ رتْمًا دُقَاقُ الحَصَى ... مَكَانَ النَّبِيِّ من الكاثِبِ[٣]

والبشارة: الخبر السار الذي يظهر في البشرة.

والإنذار: التخويف.

۞ الإعراب

«**بغيًا بينهم**» نصب لأنه مفعول، والعامل فيه الاختلاف، كأنه قيل: وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه بغيًا، وتقديره: للبغي بينهم، واختلفوا[٤]، عن الأخفش والزجاج، وقيل: الاستثناء متعلق بثلاثة أشياء، وتقديره: وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه، وما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم، وما اختلفوا إلا بغيًا بينهم، إلا أنه حذف الثاني لدلالة الأول عليه.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى أحوال من تقدم من الكفار تسلية للنبي ﷺ فقال تعالى: «**كَانَ**

---

(١) كنز العمال رقم ٣٢١٤٨، وانظره في لسان الميزان ٤/ ٥ لابن حجر، وضعفاء العقيلي ٣/ ٨١، ت: عبد المعطي أمين دار المكتبة العلمية ـ بيروت ـ ط١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

(٢) أبدلت: أبدل، ف.

(٣) قائله أوس بن حجر، يقصد بالنبي الطريق، والكاتب: موضع، انظر البيت في اللسان (رتم) و(كثب) و(نبا)، وتاج العروس (كتب).

(٤) واختلفوا: اختلفوا، ز، د، و.

النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً» قيل: أهل ملة واحدة، أي على دين واحد وهو الكفر، عن ابن عباس والحسن وأبي علي، وهو الوجه؛ لأن قوله: «**فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ**» لا يليق إلا بذلك، وقيل: كانوا على الحق، عن قتادة والضحاك وعكرمة والواقدي. وقيل: في الآية أنهم كانوا أمة واحدة، وليس فيها أنهم كانوا على الإيمان أو الكفر، فهو موقوف على الدليل، وقيل: كانوا متعبدين بما في عقولهم، ثم بعث إليهم النبيين بالشرائع؛ لما علم أن مصالحهم فيها.

واختلفوا متى كانت هذه الأمة؟ فقيل: بعد وفاة آدم إلى زمن نوح كانوا كفارًا، عن الحسن وعطاء. وقيل: من وقت آدم إلى زمن نوح، وكانوا مؤمنين واختلفوا في وقته، عن قتادة والضحاك. وقيل: هم أهل سفينة نوح (عليه السلام)، وكانوا مؤمنين، واختلفوا بعد وفاة نوح، عن الواقدي والكلبي. وقيل: الناس آدم سمي وحده ناسًا؛ لأنه أصل الناس ونسل آدم وأولاده كانوا مؤمنين حتى قتل قابيل هابيل، فاختلفوا[١] حينئذ، عن مجاهد وأبي إسحاق. «**فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ**» أرسل النبيين أولهم آدم، وآخرهم محمد ـ صلى الله عليهم أجمعين ـ، وكل واحد منهم صاحب معجزة وشريعة يوحى إليه، ويكون معصومًا، وما ترويه الحشوية أن بعضهم أولو العزم، وبعضهم لم يوح إليه باطل، والصحيح ما ذكرناه «**مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ**» تبشر[٢] المؤمن بالجنة، وتخوف الكافر بالنار «**وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ**» يعني أنزل مع كل واحد منهم الكتاب «**بِالْحَقِّ**» أي بالصدق والعدل، وقيل: أنزل الكتاب بما فيه من بيان الحق، وقيل: الكتاب حق الاستصلاح به على ما توجبه[٣] الحكمة «**لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ**» بيان الضمير إلى من يرجع على ثلاثة أقوال: الكتاب أو الرسول أو المُنزل «**فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ**» قيل: من الحق، وقيل: من الدين «**وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ**» قيل: الضمير يرجع إلى الحق، وقيل: على الكتاب، والأول أصح، وتقديره: وما اختلف في الحق إلا الذين أوتوا الحق، وإنما اختلفوا قبل إنزال الكتاب، ويحتمل اختلفوا في الكتاب

---

(١) فاختلفوا: واختلفوا، ز، و.
(٢) تبشر: تبشير، د، ز.
(٣) توجبه: توجب، ز، ف، و.

بعد أن أوتوا، فأما الذين اختلفوا فيه يعني محمدًا ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ودينه، والذين أوتوه اليهود والنصارى، وقيل[1] في البشارة التي في كتبهم، وقيل: في المعجزات، عن الأصم، والذين أوتوه قيل[2]: أعطوه قيل: سائر الكفار، وقيل: علماء أهل الكتاب.

ومتى قيل: إذا اختلفوا في الحق فأصاب بعضهم كيف عمهم بالكفر؟

فجوابنا: كَفَرَ بعضهم بالتقصير، وبعضهم بالغلو، كما كفرت اليهود بالتقصير في أمر عيسى (عليه السلام)، وكفرت النصارى بالغلو، وقيل: كفر بعضهم بكتاب بعض، عن الفراء. وقيل: حرفوا وبدلوا، وإن اختلفوا «**مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ**» الحجج الواضحة، وقيل: التوراة والإنجيل، وقيل: معجزات محمد ﷺ «**بَغْيًا بَيْنَهُمْ**» أي ظلمًا وحسدًا وطلبًا للباطل «**فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ**» قيل: هداهم إلى الدين بالبينات والأدلة، وخص المؤمنين؛ لأنهم اختصوا بالاهتداء، وقيل: إلى الثواب وطريق الجنة، وذلك يختص بالمؤمنين، وقيل: هداهم إلى الحق بالألطاف لما علم أن لهم لطفًا يصلحون عنده، ومن عداهم فليس له ذلك، وهذا أقرب الأقاويل، وقيل: هداهم فاهتدوا أي[3] استحقوا اسم الهدى والإيمان، وتقديره: لما اختلفوا صار الهدى مع المؤمنين الذين اهتدوا بهدى الله، عن أبي مسلم.

ومتى قيل: لم قال هداهم لما اختلفوا، ولم يقل: هداهم للحق فيما اختلفوا؟ فقدم الاختلاف؟

قلنا: لأنه لما كانت العناية بذكر الاختلاف أهم بدأ به، ثم فسره بمن هداه، وقيل: هو من المقلوب أي فهداهم للحق فيما اختلفوا فيه، وقيل: فهداهم إلى الحق فيما اختلفوا كقوله: ﴿هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣] أي إلى هذا، وقال ابن زيد: هذا

(١) وقيل: ـ، ف.
(٢) قيل: ـ، ف.
(٣) أي: ـ، د.

كاختلافهم في القبلة، فهدانا إلى[1] الكعبة، واختلافهم في الصوم فهدانا لشهر رمضان، واختلافهم في الشرائع فهدانا إلى الحق[2] والإسلام، واختلافهم في الأنبياء فهدانا بمحمد[3] ، أي دلهم عليه «بِإِذْنِهِ» قيل: بعلمه وهو مشهور في اللغة، عن الزجاج وغيره، وقيل: بلطفه فلا بد فيه من حذف كأنه قال: هداهم[4] فاهتدوا، عن أبي علي «وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ» فيه ثلاثة أقوال: قيل: المراد به البيان والدلالة، خص به المكلفين دون غيرهم، عن أبي علي، وقيل: يهدي إلى طريق الجنة، خص[5] به المؤمنين، وقيل: هداهم باللطف فيكون خاصًا لمن يعلم أنه يصلح به، عن أبي بكر أحمد بن علي «إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» إلى طريق واضح، قيل: الإسلام، وقيل: طريق الجنة.

۞ الأحكام

الآية تدل على بطلان قول أصحاب المعارف؛ لأنها لو كانت ضرورية لكان الناس أمة واحدة، ولما صح الاختلاف.

وتدل على بطلان القول بالجبر؛ لأن بعثه الأنبياء إليهم توجب صحة انتقالهم من الكفر إلى الإيمان، قال أبو علي: المراد به الخصوص، ولأن كل زمان لا بد فيه من شهداء يقومون بالحق وإن قلوا، ولكن لما قل عددهم وغلب الكفر جاز هذا الإطلاق، وقال القاضي: إن ثبت أن في كل زمان من قائل بالحق على ما يذهب إليه أبو علي فما ذكره واجب، ولم يثبت ذلك.

وتدل الآية على أنه يجوز أن يكون الناس كلهم كفارًا ليس فيهم قائل بالحق، فأما في شريعتنا فلا يجوز؛ لأنه يثبت بالسمع أنه لا تخلو الأرض من قائلين بالحق لما ثبت أن إجماعهم حجة.

(١) إلى: ـ ، ز.
(٢) إلى الحق: للحق، ف، و.
(٣) بمحمد: لمحمد، د، ف.
(٤) هداهم: فهداهم، د، ز.
(٥) خص: فخص، ز، ف، و.

وتدل الآية على أن مع كل نبي كتابًا، ولا نكلف معرفة الكتاب إذا لم نكلف العمل به، ولا تكون معرفته لطفًا لنا، وإن كان الإيمان بها في الجملة من تكليفنا ولطفًا لنا.

ومتى قيل: هل يجوز نبي بلا كتاب؟

قلنا: نعم، وتدل على أن كتب الأنبياء حجة لولا ذلك لم يقل: «**لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ**» دل أنه يرجع إليه في معرفة الحق والحكم به.

وتدل على أنهم لما كفروا بعد البيان وإزاحة العلة استحقوا الوعيد فيوجب أنهم أُتُوا من قِبَلِ أنفسهم.

وتدل على بطلان الجبر؛ لأنه تعالى إذا لم يؤاخذ متى لم يبين، فكيف يؤاخذ إذا لم يقدر، ولم يجعل له سبيلاً إليه.

ومتى قيل: كيف يحكم بينهم، وكلهم مبطلون؟

فجوابنا: بينا أن بعضهم كفر بالتقصير، وبعضهم بالغلو، فبين الكتاب الحق في ذلك، كما أن اليهود والنصارى اختلفوا في عيسى (عليه السلام) فجاء القرآن بالحق.

ويدل قوله: «**فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا**» على أن كلا الاختلافين باطل، وأن الهدى في خلافهما.

وتدل على أنه يبعث الأنبياء للوعد والوعيد، وإنما قدم ذلك قبل الشرع؛ لأنه تقدم البشارة والإنذار في العقليات والتوحيد، ثم بَيَّنَ الشرائع، فيستقيم الأمر.

قوله تعالى:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾

❁ القراءة

قرأ نافع: «**حتى يقول**» برفع اللام[1]، والباقون بالنصب، والنصب على الغاية،

---

(١) السبعة في القراءات ١٨١.

تقديره: إلى أن يقول الرسول، فيقول على الاستقبال، فأما الرفع فعلى الحال للفعل المذكور، أو الحال لكلام المتكلم، وذلك أن القول قد يكون في حال الزلزلة، فأما الغاية فلا تكون إلا بعد تقضيها وإن كان متصلاً بها، والرفع يوجب التأدية يعني الزلزلة إلى قول الرسول، فأما النصب فيوجب الغاية، والفرق بينهما من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الرفع على الحال والنصب على الاستقبال.

والثاني: أن أحدهما قد انقضى، والآخر لم ينقض.

والثالث: أن أحدهما على الغاية، والآخر على التأدية.

اللغة

الزلزلة: شدة الحركة، وأصله زل، ضوعف لفظه لمضاعفة معناه نحو: صر، وصرصر.

وحَسِبْتُ وخِلْتُ وظننت[1] نظائر.

والمثل والشبه من النظائر.

وخلا: مضى، وأصله من الخلاء، كأنه إذا مضى فرغ مكانه.

والبأساء: البؤس، وهو نقيض النعماء.

والضراء من الضرر، وهو نقيض السراء.

والنصر: الإعانة، ونقيضه الخذلان. والقريب: ضد البعيد، والقرب والبعد يرجعان إلى الأكوان كالحركة والسكون والاجتماع والافتراق.

النزول

قيل: نزلت الآية في يوم الخندق لما اشتدت المخافة وحوصر المسلمون في المدينة فدعاهم الله تعالى إلى الصبر، ووعدهم بالنصر، فأنزل الله تعالى هذه الآية، عن قتادة والسدي[2] .

---

(١) وخلت وظننت: ظننت وخلت، و.

(٢) العجاب في بيان الأسباب ١/ ٥٣٢.

وقيل: نزلت في حرب أُحُد لما قال عبد الله بن أبي لأصحاب النبي ﷺ: إلى متى تقتلون أنفسكم وتمنون الباطل؟، لو كان محمد نبيًا لما سلط عليه الأسر والقتل. فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقيل: لما هاجر النبي ﷺ وأصحابه وتركوا أموالهم وديارهم، ومسهم الضر، وأظهر اليهود العداوة لرسول الله ﷺ والمؤمنين أنزل الله تعالى هذه الآية، عن عطاء.

۞ المعنى

ثم ذكر تعالى ما فيه تسلية للنبي ﷺ وأصحابه فيما نالهم من الكفار بما جرى من قتل على المؤمنين؛ لأن سماع أخبار الصالحين تُرَغِّبُ في مثل حالهم فقال تعالى: «**أَمْ حَسِبْتُمْ**» قيل: معناه أحسبتم، عن الفراء، وقيل: بل حسبتم، عن الزجاج. ومعنى «**حَسِبْتُمْ**»: ظننتم أيها المؤمنون «**أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ**» قيل: تمنون الجنة بأن تصدقوا الرسول دون أن تكونوا دعاة لله[1] عابدين له، عن الأصم. وقيل: يعني بغير استحقاق وتحمل المشاق، كلا بل يحصل بتحمل المشاق في الله تعالى كما فعل من تقدمكم من المؤمنين «**وَلَمَّا يَأْتِكُمْ**» قيل: ولم يأتكم، و(ما): صلة كقوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْۚ﴾ [الجمعة: ٣] «**مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ**» أي صفة مَنْ مضى مِنْ قبلكم، وقيل: شبههم، وقيل: لما يأتكم من البلايا ما أتاهم، وقيل: قال لهم: لم تُمتحنوا بمثل ما امتحنوا به فاصبروا كماصبر أولئك، دعاء لهم إلى الصبر حتى يأتيهم النصر «**خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ**» مضوا من قبلكم من النبيين والمؤمنين، ثم ذكر تعالى ما أصاب أولئك فقال تعالى: «**مَسَّتْهُمُ**» أصابتهم «**الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ**» وقيل: البأساء الفقر والشدة، والضراء: المرض والزمانة. وقيل: هو ما تعلق بمضار الدين من حرب وخروج من الأهل والمال وإخراج، فمدحوا بما عملوا من ذلك متوقعين الفرج من غير جزع ولا اعتقاد أن تلك التخلية ليست بصلاح لهم «**وَزُلْزِلُوا**» حُرِّكُوا بأنواع البلايا، وقيل: أزعجوا[2] بالخوف من العدو، وذلك لفرط الحيرة «**حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ**

(١) لله: إليه، و.

(٢) أزعجوا: أبعدوا، د.

آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ» قيل: هو استعجال للموعود كما يفعله الممتحَن، وهذا فيمن[1] يعلم الله تعالى أن إنزال النصرة لطف له «**أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**» قيل: كلاهما من كلام النبي ﷺ والمؤمنين ثقة بالنصرة، وتسكينًا لقلوبهم قالوا: متى نصر الله؟، ثم قالوا: نصره قريب، عن أبي مسلم. وقيل: ذكر كلام الرسول والمؤمنين جملة، وتفصيله: وقالوا ـ يعني المؤمنين ـ: متى نصر الله؟ فقال الرسول: قريب، كقوله: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [القصص: ٧٣] يعني لتسكنوا في الليل، وتبتغوا من فضله بالنهار، وقيل: الأول كلام النبي ﷺ والمؤمنين، والثاني كلام الله تعالى تقديره: قال الرسول والمؤمنون: متى نصر الله؟ فقال الله تعالى: نصره قريب، فهو وعده تعالى بقرب النصر، عن الأصم وأبي علي.

الأحكام

الآية تدل على قولنا في اللطف؛ لأنه تعالى نَبَّهَ أن دخول الجنة لن يقع إلا مع العلم بنبأ مَنْ قبلنا، ومع البأساء والضراء فينا.

وتدل على وجوب الصبر في أمور الدين والدنيا.

ومتى قيل: إذا كان فعل الأعداء قبيحًا فكيف يجب الصبر عليه؟

قلنا: يجب الصبر عنده لوجوه:

منها: أن يكون لطفًا للمسلم[2] أن يتذكر شدائد الآخرة، وأحوال الزبانية، فيدعوه ذلك إلى اجتناب المعصية، والتمسك بالطاعة.

ومنها: أن التخلية قد تكون لطفًا، والمنع مفسدة، فإذا لم يمنع علم أنه تعالى يراعي مصلحته، فيصبر على التخلية.

ومنها: إذا صبر وتحمل الشدائد في مقابلة ما يأتيه العدو، استحق[3] الثواب، فتدل الآية على وجوب الانقطاع إلى الله تعالى في جميع الأحوال، وتوقع النصر.

(١) فيمن: ممن، ز، و.

(٢) للمسلم: للمسلمين، ل.

(٣) استحق: واستحق، ل.

وتدل على أن المؤمن لا تلحقه[1] محنة فيتمنى نصر الله إلا ويكون النصر قريبًا منه.

ومتى قيل: أليس قد يتأخر النصر؟

قلنا: أيام الدنيا قريبة، على أن المؤمن إما أن يأتيه النصر بالغلبة، أو بتعريف المنزلة.

ويقال: كيف يكون النصر؟

قلنا: قد يكون بالغلبة، وقد يكون بالحجة، وقد يكون بما له عند الله من المنزلة[2]، وقد يكون منصورًا بألطاف يخص بها المؤمنين، وقد يكون منصورًا بخواطر وتنبيهات، وكل ذلك من نعمه تعالى على المؤمنين.

قوله تعالى:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ (٢١٥)﴾

اللغة

السؤال: طلب الجواب بصيغة الكلام.

والنفقة: إخراج الشيء من ملكه إلى ملك[3] غيره.

والخير: النفع الحسن.

والمسكين: الفقير، إلا أنه أسوأ حالاً من الفقير عند أكثر أهل اللغة، وهو قول أبي حنيفة، وعند الشافعي: الفقير أسوأ حالاً، فعلى الأول المسكين الذي لا شيء له، والفقير الذي له بلغة من العيش، وإن كان لا يكفيه.

---

(١) لا تلحقه: لا تلجيه، ل.

(٢) من المنزلة: ـ، م.

(٣) ملك: ـ، د.

۞ الإعراب

(ماذا) موضعه يحتمل الرفع والنصب، فالرفع على تقدير: ما الذي ينفقون، و(ذا) بمعنى[1] الذي، والنصب على: أي شيء ينفقون؟ وتكون (ذا) و(ما) بمنزلة شيء واحد.

۞ النزول

نزلت الآية في عمرو بن الجموح، وكان شيخًا كبيرًا ذا مال كثير فقال: يا رسول الله، بماذا أتصدق، وعلى من أنفق؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية[2].

۞ النظم

قيل: لما تقدم الأمر بالجهاد والصبر فيه عقبه بذكر الإنفاق فيه، وفي سائر أعمال البر، وقيل: عاد الكلام إلى بيان الشرائع.

۞ المعنى

«**يَسْأَلُونَكَ**» يا محمد «**مَاذَا يُنفِقُونَ**» فالسؤال[3] عن الإنفاق يتضمن السؤال على مَنْ ينفق، فجاء الجواب ببيان كيفية النفقة، وعلى من ينفق «**قُلْ**» يا محمد «**مَا أَنفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ**» مال فتدل على أن له مقدارًا؛ لأن القليل لا يسمى بذلك، ويجب أن يكون منتفعًا به؛ لأنه ما لا ينتفع به لا خير فيه، ثم بَيَّنَ مَنْ يُنْفَقُ عليه، فقال: «**فَلِلْوَالِدَيْنِ**» قيل: في الوالدين، فأقام «**اللام**» مقام «**في**»، وقيل: فللوالدين نصيب في ذلك، والمراد الأب والأم والجد والجدة؛ لأن كل ذلك يدخل في اسم الوالدين «**فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ**» من المُعْطِي «**وَالْيَتَامَى**» من لا أب له مع فقره «**وَالْمَسَاكِينِ**» الفقراء «**وَابْنِ السَّبِيلِ**» المنقطع عن ماله «**وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ**» أي من عمل يد يقربكم إلى الله «**فَإِنَّ اللَّهَ**» بذلك «**عَلِيمٌ**» يجازيكم به.

---

(١) بمعنى: والمعنى الذي، ز، و.

(٢) العجاب في بيان الأسباب ١/ ٥٣٤.

(٣) فالسؤال: والسؤال، ف، و.

۞ القصة

اختلفوا أن هذه الآية وردت فيماذا؟، قال الأكثر: على أنه في التطوع، وأنه قصد بيان ترتيب الإنفاق، عن القاضي، وقيل: الآية واردة في الزكاة، ثم نسخت ببيان مصارف الزكاة، عن السدي، وقيل: عامة في الزكاة والتطوع، فهو في الوالدين تطوع، وفي الزكاة فيمن عداهم، عن الحسن، واتفق العلماء أن دفع الزكاة إلى الأب والجد، وإلى الأولاد لا يجوز، فأما النفقة فلا خلاف أن نفقة الوالدين تجب إذا كانا فقيرين لا يقدران على التكسب سواء كانا متفقين في الدين أو مختلفين، وهل تجب نفقة ذوي الرحم؟ عند أبي حنيفة: تجب، وعند الشافعي: لا تجب، واتفقوا أنهما إذا اختلفا في الدين لا تجب.

۞ الأحكام(١)

الآية تدل(٢) على(٣) أن من أراد التقرب بماله فالأولى أن يبدأ بالأقرب فالأقرب، ولا خلاف أن دفع الزكاة إلى الأقارب يجوز، وأنهم أولى بها(٤) عند الحاجة.

وتدل على أن الخير وإن قل فإنه تعالى يجازي به.

قوله تعالى:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾

۞ القراءة

القراءة الظاهرة «كره» بضم الكاف، وعن أبي عبد الرحمن السلمي بفتح الكاف،

---

(١) الأحكام: ـ، ز.
(٢) الآية تدل: تدل الآية، ز، ف.
(٣) على: ـ، د.
(٤) بها: به، د، و.

وكلاهما بمعنى، كضُعْف وضَعْف، وقيل: الكُرْهُ بالضم المشقة، وبالفتح الإجبار، وكره كرهه، وأكْرَهَهُ: أَجْبَرَهُ، وقيل: بفتح الكاف المشقة تحمل عليه، وبضمها المشقة من غير أن تحمل عليه.

۞ اللغة

الشر: نقيض الخير. والخير: النفع الحسن، والشر: الضرر القبيح هذا أصله، ثم يستعمل في غيره توسعًا.

۞ الإعراب

«**وَهُوَ كُرْهٌ**» أي ذو كره، وقيل: مكروه، ونظيره: رجل رِضًا يحتمل ذو رِضًا، ويجوز مرضي.

و«**الْقِتَالُ**» رفع؛ لأنه اسم ما لم يسم فاعله، وإنما رفع لإسناد الفعل إليه، فصار كالفاعل.

۞ المعنى

لما تقدم الأمر بالجهاد بين أن ذلك مصلحة لهم، وإن كرهوا ولم يعلموا فقال تعالى: «**كُتِبَ عَلَيْكُمُ**» أي فرض «**الْقِتَالُ**» أي الجهاد في سبيل الله «**وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ**» أي يشق عليكم وتكرهونه كراهة طباع، وقيل: مكروه لكم قبل أن يكتب عليكم[1] لا بعده، فهو على الأول مجاز، وفي الثاني حقيقة، وقيل: كره يعني شديد، «**وَعَسى**» بمعنى (قد)، يعني قد تكرهون شيئًا وهو خير لكم، تكرهون الجهاد لحب الحياة، ومشقة الجهاد، «**وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ**»؛ لأنكم بين حسنيين: إما الغلبة والظفر والغنيمة، أو الشهادة والجنة «**وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ**» أي قد تحبون ما هو شر لكم، وهو القعود عن الجهاد لمحبة الحياة، وهو شر؛ لما فيه من غلبة العدو، وحرمان

---

(١) عليكم: ـ، ف.

الغنيمة في الدنيا، والثواب في الآخرة «**وَاللَّهُ يَعْلَمُ**» يعني من مصالحكم وتدابيركم، وما فيه منافعكم «**وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**» فبادروا إلى أمر من يعلم المصالح وإن شق عليكم.

۞ الأحكام

الآية من أقوى الدلالات في وجوب الجهاد، ثم اختلفوا فمنهم من قال: هي ناسخة لقتالهم إذا قاتلونا، وفي الشهر الحرام والحرم، ومنهم من قال: ليس بناسخ؛ إذ لا تنافي بين الحكمين.

وتدل على أن الإنسان قد يكره ما فيه صلاحه، ويحب ما فيه فساده، وأنه تعالى يدبر عباده على حسب علمه، لا على حسب مرادهم، وقد بينا معنى الكراهة.

وتدل على أن التعبد بالجهاد وغيره لطف، وأنه يجب علينا وإن كان فيه مشقة.

قوله تعالى:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾

۞ اللغة

الشهر الحرام: سمي حرامًا؛ لأنه يحرم فيه ما يحل في غيره من القتال ونحوه، وقيل: لعظم حرمته، وأصل الحرمة المنع، ومنه الحَرَمُ.

والاستطاعة والقدرة نظائر، وهو عرض يصير به الإنسان مستطيعًا للفعل.

ولا يزال وما زال الشيء: دام، وأصله من الزوال.

والحبوط: بطلان العمل، يقال: حبط عمل الرجل، وأصله الحَبَطُ، وهو فساد

يلحق الماشية في بطونها لأكل الكلأ حتى تنتفخ أجوافها، وهو الحباط، فشبه فساد العمل بذلك من حيث[1] لا ينتفع به.

و«يَرْتَدِدْ» يجوز فيه ثلاثة أوجه:

يرتدد على إظهار التضعيف لسكون الثاني.

والثاني: يرتد بالفتح والإدغام على التحرك لالتقاء الساكنين بأخف الحركات لاطراده في تضعيف الأفعال.

والثالث: يجوز يرتد بالكسر على أصل الحركة لالتقاء الساكنين، والفتح أجود.

الإعراب

(قتال): خفض على البدل من الشهر، وقيل: على تكرير(عن) عن ابن[2] عباس، وعن «**قتال فيه**»، وكذلك في قراءة ابن مسعود.

و(المسجد الحرام): بالجر، وفيه قولان: الأول: عطف[3] على (سبيل الله) تقديره: وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام، عن ابن عباس[4] . الثاني: عطف[5] على (الشهر الحرام) تقديره: يسألونك عن الشهر الحرام والمسجد الحرام، عن الحسن والفراء.

(وصد): رفع بالابتداء، وما بعده معطوف عليه، وخبره «**أكبر عند الله**»، عن الزجاج، وأجاز الفراء رفع الصد من وجهين: إن شئت جعلته مردودًا على الكبير تقديره: قل القتال فيه كبير وصد وكفر، وإن شئت جعلت الصد كبيرًا[6] تقديره: قل القتال فيه كبير، وكبير الصد عن سبيل الله والكفر به.

---

(١) حيث: جنس، د.
(٢) عن ابن: عن أبي، و.
(٣) عطف: عطفاً، د، ز.
(٤) عباس: العباس، ز، و.
(٥) عطف: عطفاً، د، ز.
(٦) كبيرًا: كبير، ف، و.

۞ النزول

قيل: نزلت في قتل عمرو بن الحضرمي مشرك قتله واقد بن عبد الله الليثي رجل من المسلمين في قصة عبد الله بن جحش، وذلك أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن جحش وجماعة من المهاجرين معه بعد بدر في جمادى الآخرة إلى بطن نخلة بين مكة والطائف، وأخذوا عيرًا، وقتلوا ابن الحضرمي، وجاءوا بالعير والأسارى إلى رسول الله ﷺفي أول رجب، فعيرهم المشركون بأنهم استحلوا الشهر الحرام، فأنزل الله تعالى هذه الآية[١] .

۞ المعنى

عاد الكلام إلى الجهاد فقال تعالى: «**يَسْأَلُونَكَ**» يا محمد، قيل: السائل أهل الشرك على جهة العيب للمسلمين باستحلالهم القتال في الشهر الحرام، عن الحسن وأبي علي وجماعة أهل التفسير. وقيل: أهل الإسلام ليعلموا كيف الحكم في ذلك، عن أبي القاسم. «**عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ**» قيل: رجب. «**قِتَالٍ فِيهِ**» يعني يسألونك عن القتال في رجب «**قُلْ**» يا محمد «**قِتَالٌ فِيهِ**» يعني في الشهر الحرام «**كَبِيرٌ**» يعني ذنب عظيمٌ «**وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**» يعني منع عن سبيله ودينه، وذلك لما منعوا النبي ﷺ عن البيت، واختلفوا في قوله: «**وَصَدٌّ**»، فقيل: تم الكلام عند قوله: «**كَبِيرٌ**»، ثم استأنف وقال: الصد عن سبيل الله والكفر به أكبر من القتال في الشهر الحرام، عن الأصم وجماعة. وقيل: هو متصل بما قبله، يعني قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله «**وَكُفْرٌ بِهِ [والمسجد الحرام]**» يعني بالله، ثم ابتدأ: «**وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**» عن أبي علي والقاضي. «**وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**»، قيل: يسألونك عن الشهر الحرام والمسجد الحرام، وقيل: عن القتال في الشهر الحرام وعند[٢] المسجد الحرام، وقيل: «**وَكُفْرٌ بِهِ [والمسجد الحرام]**» يعني بالله وبالمسجد الحرام[٣]، يعني إنكارهم كونه قبلة، عن أبي علي «**وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ**»

---

(١) العجاب في بيان الأسباب ١/ ٥٤٢.

(٢) عند: عن، د، ف، و.

(٣) الحرام: ـ، و.

يعني أهل المسجد، وهم المسلمون؛ لأن الكفار ليسوا بأهل المسجد «مِنْهُ» يعني من المسجد «أَكْبَرُ» يعني أعظم وزرًا «عِنْدَ اللَّهِ»، وذلك إخراجهم للمسلمين[1] عن مكة حتى هاجروا إلى المدينة «وَالْفِتْنَةُ» أي الكفر «أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ» يعني: في الشهر الحرام «وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ» يعني: أن أهل مكة يقاتلونكم يا معشر المسلمين «حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ» أي يصرفوكم عن دين الإسلام، ومعناه: يدعونكم إلى الردة حتى ترتدوا؛ لأن الردة ليست من فعل الكفار «إِنِ اسْتَطَاعُوا» أي إن قدروا على ذلك، فبين ـ تعالى ـ أنهم لا يستطيعون ذلك؛ لأنه تعالى ينصر رسوله والمؤمنين عليهم، «وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ» ينصرف عن دين الإسلام بالعود إلى الكفر «فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ» يعني مات على كفره «فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ» يعني: هلكت حسناتهم حيث لا[2] يستحقون عليها ثوابًا لما أحبطوها بالكفر فصارت كأن لم تكن، وقيل: جزاء أعمالهم «فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ» «وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» دائمون.

۞ النظم

ونظم الآية وتقدير الكلام: يسألونك عن القتال في الشهر الحرام وعند المسجد الحرام فقل: ذلك كبير، ولكن الكفر بالله وصد المسلمين عن بيت الله ودينه وإخراجهم عن أوطانهم، وهتك حرمتهم أعظم عند الله وأكبر وزرًا، وهؤلاء الكفار مع هذه الأفعال وكفرهم يقاتلونكم ليردوكم عن الدين، فكل واحد من هذا أعظم مما سألوه عنه.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن القتال في الشهر الحرام وعند المسجد الحرام كبير، واختلفوا فقيل: إنه منسوخ ويجوز القتال مع الكفار في ذلك، عن قتادة وأبي علي، وهو اختيار القاضي. وقيل: التحريم ثابت لم ينسخ، عن عطاء وجماعة. والأول: الوجه.

(١) للمسلمين: المسلمين، و.
(٢) لا: ما، د، ز.

وتدل على أن الكفر بعضه يكون أكبر من بعض.

وتدل على أن للوقت والبقاع تأثيرًا في كبر المعصية؛ ولذلك قلنا: الزنا في المسجد أعظم، وربما يبلغ درجة الكفر إذا قارن الاستخفاف بالدين.

وتدل على أن في [عمل] الجوارح ما يكون كفرًا، حيث بين أَن القتال فيه كفر، ومن حيث بَيَّنَ أَنَّ إخراجهم أكبر فهو أيضًا كفر، وكل ذلك من أفعال الجوارح فيبطل قول جماعة من المرجئة أن الكفر يدخل في أفعال القلوب فقط.

ويدل قوله: «وَمَنْ يَرْتَدِدْ» على إثبات الردة، وأن لها أحكامًا:

منها: أنه تحبط الأعمال.

ومنها: أنه يبطل ذلك في الدنيا والآخرة فيوجب ذلك قتله وإباحة دمه؛ لأن الذي عظم دمه الإيمان، فإذا بطل عادت الإباحة.

ومتى قيل: إذا كان دار الجزاء هو الآخرة فما معنى ذكر الدنيا؟

قلنا: من الجزاء المدح والتعظيم والتناصر في الدنيا وعصمة المال والدم والثواب في الآخرة، فبين تعالى أن جميعها تبطل بالردة.

ويقال: هل تدل الآية على قول أصحاب الموافاة؛ لأن شرط استحقاق العقاب الموت على الردة؟

قلنا: لا، وإنما شرط الموت لأن عنده يستقر[(١)] الإحباط لجواز أن يتوب ما دام حيًّا، ولأن عقوبة الآخرة إنما تستحق إذا مات مرتدًّا.

وتدل على بطلان قول من يزعم أنه لا يجوز أن يموت المؤمن على كفر[(٢)] على ما زعمه بعض المتأخرين، وعندنا يجوز تبقية من يعلم أنه يكفر، ويجوز تبقية من يعلم أنه يؤمن، ويجوز اخترامه[(٣)] عند أبي هاشم، وقال أبو علي: لا يجوز اخترامه، وهو قول أبي القاسم من أصلين مختلفين.

---

(١) لأن عنده يستقر: لأنه يستقر، ف، و.

(٢) كفر: كفره، ز.

(٣) الاخترام: الهلاك والاستئصال، اللسان(خرم).

وتدل على التحذير من إبطال الطاعات بارتكاب[1] الكفر والمعاصي.

تدل على الخلود في النار، وعلم ذلك من دين الرسول ضرورة، فبطل قول من يزعم أن الجنة والنار يفنيان.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢١٨﴾

اللغة

الهجر: ضد الوصل، هجر هجرًا، وسمي المهاجر؛ لهجرته قومه وأرضه، وأصله: قطع المواصلة، والمهاجرة مفاعلة من الهجرة، وأطلق اللفظ الذي يقع[2] على الاثنين على هؤلاء؛ لأن كل واحد من هؤلاء المهاجرين فعل مثل فعل صاحبه، وترك ما ترك اختيارًا لصحبة الرسول ومساعدته.

والجهاد: من الجهد، وهو الحمل على المشقة في الحقيقة، وفي التعارف: هو بذل الجهد في القتال في سبيل الله، وجاء على المفاعلة؛ لأن كل واحد يفعل مثل فعل صاحبه، وقيل: لأنه بينه وبين غيره.

والرجاء: الأمل، ونقيضه اليأس.

«ورحمة» كتبت في المصحف بالتاء على الوصل، والأقيس بالهاء على الوقف، كما يكتب يقضي بالحق ونحوه.

الإعراب

يقال: ما خبر (إن)؟

---

(١) بارتكاب: وارتكاب، د، ز.

(٢) اللفظ الذي يقع: اللفظة التي تقع، ف.

قلنا: الجملة في قوله: «**أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ**»، فأولئك ابتداء، ويرجون خبره، والجملة خبر (إن).

ويقال: ما موضع الكاف من (أولئك)؟

قلنا: لا موضع لها من الإعراب؛ لأنها حرف الخطاب، وهو ككاف ذاك[1] .

۞ النزول

قيل: نزلت في عبد الله بن جحش وأصحابه على ما تقدم، قاتلوا في رجب، وقتل واقدُ الليثي ابنَ الحضرمي، فظن قوم أنهم إن سلموا من الإثم فلا أجر لهم، فنزلت الآية بالوعد، عن عروة بن الزبير[2] .

۞ المعنى

لما تقدم الوعيد للكفار عقبه بالوعد للمؤمنين؛ ليكون المكلف بين الرجاء والخوف، فقال تعالى: «**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا**» صدقوا لله ورسوله، (وهاجروا): قطعوا عشائرهم وفارقوا منازلهم وتركوا أموالهم، «**وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**» أي قاتلوا الكفار في نصرة الدين، وطاعة الله تعالى التي هي سبيله المشروع لعباده «**أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ**» يأملون «**رَحْمَةَ الله**» سبحانه: نعمه في[3] الدنيا والدين، وهو النصرة في الدنيا والمثوبة في الآخرة «**وَاللَّهُ غَفُورٌ**» يغفر ذنوبهم «**رَحِيمٌ**» يثيبهم برحمته.

۞ الأحكام

الآية تدل على وعد من جمع بين هذه الخصال، وإنما خص هذه دون غيرها مقابلة بحال[4] المشركين من قتالهم وإخراجهم وكفرهم، وهذا الوعد مشروط باجتناب الكبائر، وكذلك كل[5] وعد في كتابه.

---

(١) ذاك: ذلك، ف، و.
(٢) العجاب في بيان الأسباب ١/ ٥٤٢.
(٣) سبحانه نعمه في: ـ ، ز.
(٤) بحال: لحال، د، و.
(٥) كل: ـ ، د.

وتدل على بطلان قول المرجئة؛ لأنهم يرجون الرحمة لمن مات مصرًّا على فسقه، وهو خلاف الآية، عن أبي القاسم.

وتدل على بطلان من يقول: أنا مؤمن مطلقًا؛ لأنه لو علم ذلك قطعًا لما كان الوعد معلقًا بالرجاء؛ لأن مع العلم لا حكم للرجاء والظن.

ومتى قيل: لم ذكر المؤمنين[1] برجاء الرحمة، وهي لهم لا محالة؟

فجوابنا: أن فيه وجوهًا:

منها: أنه لا يعلم أحواله في مستقبل عمره، أيقيم على توبته ودينه أم لا؟

ومنها: أنهم لا يعلمون أنهم أدوا كلما يجب عليهم، عن أبي علي.

ومنها: أن العبد متى ينظر في نفسه، ويرى تقصيره يخاف، ومتى يفكر في رحمته يرجوه، فيتردد بين الخوف والرجاء.

ومنها: أن الرجاء ههنا على الإيجاب، عن الحسن.

وتدل على أن الهجرة عبادة عظيمة، والهجرة بعد الفتح فيمن فتن في دينه يستحق بها الثواب العظيم، وإن لم يبلغ درجة المهاجرين، وما روي: «**لا هجرة بعد الفتح**»[2]؛ لأن مكة صارت دار الإسلام.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢١٨﴾ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ﴾

---

(١) المؤمنين: المؤمن، د، ف.

(٢) البخاري رقم ٢٦٣١، وصحيح مسلم رقم ١٣٥٣، والترمذي رقم ١٥٩٠، ومسند أحمد رقم ١٩٩١، وابن حبان رقم ٩٤٩٢، والمستدرك رقم ٣٠٧١.

۞ القراءة

قرأ حمزة والكسائي «**كثير**» بالثاء، والباقون بالباء[1]، وهو الاختيار لقوله: «**أكبر**»، ولقوله: ﴿حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٢] ولأن أكثر القراء عليه، وقرأ أبوعمرو «**قل العفو**» بضم الواو، والباقون بالنصب، ووجه الرفع على معنى الذي ينفقون هو العفو، ووجه النصب على معنى: قل أنفقوا العفو[2].

۞ اللغة

الخمر: أصله الستر، خمرت الإناء: غطيته، ومنه يسمى الخمار؛ لأنه يغطي الرأس.

والميسر: القمار، وقيل: أخذ من اليسر[3]، وهو وجوب الشيء لصاحبه، من قولهم: تيسر لي هذا الشيء، والياسر الواجب بقداح. وقيل: يسمى ميسرًا؛ لأنه يجزأ أجزاء فكأنه موضع التجزئة لكل[4]، وكل ما جزأته فقد يسرته، والياسر الجازر، كأنه يجزئ لحم الجزور، وقيل: أخذ من اليسر بضم الياء، وهو تسهيل[5] الشيء، ومنه سمي الميسر الجزور؛ لأنهم كانوا يشتركون في الجزور لتسهيل[6] أمرها إلا أنه على جهة القمار، وذلك أنهم كانوا يجعلونها أقسامًا يتقامرون عليها بالقداح على عادة لهم في ذلك، وذكر أبو مسلم أنهم كانوا يبتاعون جزورًا ثم يجيلون القداح عشرة، لسبعة منها أنصباء معروفة، وعليها علامات مختلفة، وثلاثة يكثر بها القداح، فمن خرج له قدح منها فله من اللحم مثل نصيب ذلك القدح، وعليه[7] من ثمنه مثله، ومن خاب فلم[8] يخرج له قدح، أو كان قدح من التي[9] لا نصيب لها لم يكن له في اللحم

(١) حجة القراءات ١٣٢.
(٢) حجة القراءات ١٣٣.
(٣) اليسر: الستر، د، ز.
(٤) لكل: ـ، د.
(٥) تسهيل: تسهل، ز، ف.
(٦) لتسهيل: ليتسهل، ز، ف.
(٧) وعليه: فعليه، د، و.
(٨) فلم: فلا، د، ف، و.
(٩) التي: الذين، ز، ف.

شيء، ولا عليه من الثمن قسط، ثم يطعمون من ذلك اللحم من لا يدخل في الميسر، ولا يتسع حاله لذلك، ويسمون هؤلاء القوم أيسارًا، واحدهم يَسَرٌ[1] ، ومن لا يدخل معهم بَرَمًا. وقال غيره: كانوا يجزئونها[2] عشرة أجزاء، عن أبي عمرو، وقيل: ثمانية وعشرين[3] جزءًا، ويسهمون عليها بعشرة قداح، ويسمون تلك[4] القداح الأزلام.

فأما السبعة فأولها: الفَذُّ، وله نصيب واحد، والتوأم، وله نصيبان، والرقيب وله ثلاثة، والحلس بفتح الحاء وكسر اللام، وقيل: بكسر الحاء وسكون اللام، وله أربعة، والنافس، وله خمسة، والمُسْبِلُ، وله ستة، والمُعَلَّى، وله سبعة.

وأما الثلاثة التي لا أنصباء لها فهي: المَنِيحُ، والسَّفِحُ[5] والوَغْدُ.

واختلفوا فيمن يخرج له سهم من الثلاثة فقيل: كان لا يأخذ شيئًا، ويغرم ثمن الجزور كله، وقيل: لا يأخذ ولا يغرم. فأما في الشرع فالميسر أنواع القمار كلها.

والعفو قيل: أُخِذ من الزيادة، حتى عفوا: زاد عددهم، وقيل: من الترك، والتفكر: تصرف في القلب، تفكر تفكرًا.

۞ الإعراب

في توحيد كاف (كذلك) وجهان: أحدهما: على تقدير كذلك أيها القبيل، الثاني: أن يكون خطابًا[6] للنبي ﷺ كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١].

و(ماذا) يحتمل وجهين: الرفع والنصب، فالرفع على تقدير: ما الذي ينفقون؟ والنصب على تقدير: أي شيء ينفقون؟ على ما تقدم من بيانه.

ويقال: ما عامل الإعراب في الظرف في قوله: «**فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**»؟

---

(١) يسر: بسير، ز، و.

(٢) يجزئونها: يجزئونه، د، ف.

(٣) وعشرين: وعشرون، د، ف.

(٤) تلك: ذلك، ز، ف.

(٥) والسفح: السفيح، ف.

(٦) خطابًا: الخطاب، ز، و.

قلنا: (يبين) في قول الحسن، و(يتفكرون) في قول غيره، وأجاز الزجاج كلا الوجهين[1] .

۞ النزول

قيل: نزلت الآية في عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل ونفر من الأنصار أتوا رسول الله ﷺ، وقالوا: أفتنا في الخمر والميسر، فإنها مذهبة للعقل، مسلبة للمال[2]؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية[3] .

وقيل: إن رسول الله ﷺ حثهم على الصدقة، ولم يكن حتمًا فسألوه: كيف نتصدق؟ وعلى من نتصدق؟ فنزلت الآية.

وقيل: لما أوجب الزكاة سألوه أينفقون جزءًا منها أو كلها؟ فنزلت الآية، وبَيَّنَ قدرها في السنة[4]، عن أبي مسلم.

۞ المعنى

عاد الكلام إلى بيان الشرائع فقال تعالى: «**يَسْأَلُونَكَ**» يا محمد «**عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ**» القمار «**قُلْ فِيهِمَا**» في الخمر والميسر «**إِثْمٌ**» وزر «**كَبِيرٌ**» عظيم، وكثير من الكثرة «**وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ**» أما في الخمر فما يحصل من اللذة بشربها، والأثمان بمبايعتها، وفي القمار ما يصيبهم من الأموال من غير كد ولا نصب، وعلق الإثم بنفس الخمر والميسر، ولا شبهة أن الإثم غيرهما[5] ، فلا بد من إضمار، وقيل: في شربها، وقيل: فيما تؤدي إليه من ترك الصلاة وقول[6] الفحش والعداوة والبغضاء الذي[7] يحدث عند شربه، والأول أصح؛ لأنه علق الإثم به لا بما يحدث

(١) ويقال ما عامل الإعراب. . . كلا الوجهين: ـ ، و.
(٢) للمال: المال، د، ز.
(٣) العجاب في بيان الأسباب ١/ ٥٤٥.
(٤) في السنة: بالسنة، د، ف.
(٥) أن الإثم غيرهما: أن لا إثم في عيبهما، ز، ف.
(٦) قول: ـ ، د.
(٧) الذي: التي، ف.

عنده، ولأنه قد[1] ينفك من تلك الأمور، والإثم ثابت على الإطلاق فصار تقديره: في شرب الخمر وفعل القمار إثم كبير، وقيل: المنافع قبل التحريم، والإثم بعد التحريم، عن الربيع والضحاك. وقيل: في حالة واحدة، وتحريمه ثانية، وإن كان لو شرب انتفع كالماء للصائم «**وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا**» بما[2] يلزم عليه من العقوبة، وكذلك حال[3] كل قبيح إثمه أكبر من نفعه «**وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَقُلِ الْعَفْوَ**»، قيل: الفضل عن النفس والعيال؛ ليكون عن ظهر غنى، عن ابن عباس وقتادة وعطاء والسدي. وقيل: الوسط من غير سرف ولا تقتير، عن الحسن وعطاء. وقيل: الصدقة المفروضة، عن مجاهد. وقيل: الطيب، عن الربيع «**كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ**» الحجج، قيل: في أمر النفقة والخمر والميسر، وقيل: في سائر شرائع الإسلام «**لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**» قيل: تنظرون في أمر الدنيا والآخرة فتحبسون ما[4] يصلحكم من معاشكم[5]، وتنفقون الباقي لآخرتكم، وقيل: لعلكم تتفكرون في الدنيا وزوالها وفنائها، وما يشوبها من الهموم والمضار، وفي إقبال الآخرة وبقائها وخلوصها من الشوائب، فترغبون فيها بالتمسك بطاعته، والانتهاء عن معاصيه، وقيل: في نعيم الدنيا وثواب الآخرة، عن أبي مسلم.

۞ الأحكام

في الآية[6] أحكام وأدلة من وجوه:

أولها: تحريم الخمر وما يشبهها[7] .

والثاني: الكلام في الميسر.

(١) قد: ـ، د.
(٢) بما: لما، د، ز.
(٣) حال: لحال، د، ف.
(٤) ما: بما، د، ز، و.
(٥) معاشكم: معائشكم، و.
(٦) الآية: ـ، و.
(٧) يشبهها: بينها؛ د، ز، ف، و.

والثالث: في ذكر النفقة.

الرابع: في دلالات الآية.

أما الأول: فالكلام في الخمر يشتمل على فصول:

أولها: تحريمها، ولا شبهة في تحريمها؛ لأنها[١] كانت حلالاً ثم حرمت، وعلم ذلك من دينه ضرورة حتى يكفر جاحده، ويفسق شاربه. واختلفوا، فقال الحسن وجماعة: حرمت بهذه الآية، وهو اختيار القاضي؛ لأنه بين أن فيه إثمًا كبيرًا، لا لأنه[٢] يحمل على ما يحصل منه؛ لأنه[٣] خلاف الظاهر، والإثم الكبير لا يحصل إلا من[٤] شيء محرم، وقال قتادة وأبو علي: إنما حرمت بآية المائدة، ورووا عن بعض المتقدمين ذلك، وأن السكر حرم بقوله: ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣] ورووا في ذلك حديثًا طويلاً، وتوقفًا عن بعض الصحابة، قال القاضي: وهذا لا يصح؛ لأن ما فيه إثم كبير لا يكون إلا محرمًا، ولأنه أبلغ في التحريم من النهي، ولو ثبت لتوقع[٥] توقف الصحابة، وإن[٦] ثبت فيحتمل النهي[٧] [على] أنه لتوقع[٨] نزول ما هو آكد.

وثانيها: **الكلام في ماهية الخمر**: فقيل: هو عصير العنب إذا اشتد وغلا وقذف بالزبد عن أبي حنيفة وجماعة من العلماء، وهو خمر بالإجماع. وقيل: ما أسكر كثيره فقليله خمر، وهو مذهب الشافعي. والأول أصح لحديث النبي ﷺ: «حرمت الخمر لعينها[٩]، والسكر من كل شراب»[١٠] ولأن ما قلناه إجماع، وما عداه لم يثبت

---

(١) لأنها: وأنها، ف.

(٢) لا لأنه: ولا لأنه، ز، و.

(٣) لأنه: ولأنه، د، و.

(٤) من: في، د، و.

(٥) لتوقع: ـ، ف.

(٦) وإن: ولو، د، ز.

(٧) النهي: ـ، ف.

(٨) لتوقع: توقع؛ د، ز، ف، و.

(٩) لعينها: بعينها، ف، و.

(١٠) هو قول صحابي مروي عن ابن عباس، انظره في النسائي رقم ٥٦٨٥، والمعجم الكبير رقم ١٠٨٣٧، ومصنف ابن أبي شيبة رقم ٢٤٠٦٧، وسنن البيهقي الكبرى رقم ١٧١٨١.

بدليل، فأما عصير العنب إذا طبخ فقيل: إذا طبخ أدنى طبخة حَلَّ، عن ابن عُلَيَّة وبشر المِرِّيسِيّ، وقيل: إذا ذهب نصفه حَلَّ، عن جماعة، وقيل: إذا ذهب ثلثاه وبقي ثلثه، وهو مذهب أبي حنيفة وأبي يوسف وسفيان الثوري وجماعة، وهو المروي عن عمر وعلي وابن مسعود وأبي الدرداء والحسن وسعيد بن المسيب وعلقمة. وقيل: ما أسكر كثيره فقليله حرام، ويستوي فيه النيّء والمطبوخ، عن محمد ومالك والشافعي.

وثالثها: الكلام في الأشربة: فقد قال أصحابنا: الأشربة على ثلاثة أنواع: الأول العنبي، والثاني: التمري والزبيبي، والثالث: سائر الأشربة. فأما العنبي: فعلى أربعة أوجه: الخمر، وقد بينا حدها، ولا يجوز بيعها وشراؤها، ولا شربها، والمروي عن النبي ﷺ أنه لعن في الخمر عشرة. وثانيها: ما طبخ أدنى طبخة لا يحل شربه ولا[1] بيعه، والمنصف يجوز بيعه، ولا يجوز شربه، وإذا[2] ذهب ثلثاه يحل بيعه وشربه. لا للهو والطرب إلا القدح المسكر فإنه حرام، وقال الشافعي: ما أسكر كثيره فقليله خمر حرام.

فأما التمري والزبيبي إذا طبخ أدنى طبخة حل شربه، وفي جواز بيعه روايتان، وهذا قول أبي حنيفة وأبي يوسف، وقال محمد والشافعي: لا يحل.

فأما سائر الأشربة فيما يتخذ من العسل والسكر والذرة فحلال وإن لم يطبخ، وقال ابن علية وبشر المريسى: ما عدا الخمر المتفق عليه حلال، وقال محمد: ما أسكر كثيره فقليله حرام، وهو قول مالك والشافعي، وقد ثبت عن الصحابة شرب المطبوخ، وثبت أن كل شراب اختص باسم فلا يدخل في اسم الخمر. قال أئمة اللغة حكاية عن العرب: إنهم سموا عصير العنب النيِّء المشتد خمرًا، وما اتخذ من غير العنب فليس بخمر، وسموا بعضه الطِّلا، وبعضه الخَلِيطَيْن، وبعضه النبيذ، وبعضه الفَضِيخَ، وبعضه البتع، وباختلاف الأسماء يعلم التفرق[3] بين المسميات، وقد بين ذلك أبو حاتم وابن دريد وأبو عبيدة ويعقوب وغيرهم، والذي يؤكد ما قلنا إجماع الأمة على تحريم الخمر، وتكفير من استحله بخلاف سائر الأنبذة، وأحد لا يستحل

(١) لا: ـ، و.

(٢) وإذا: فإذا، ف، و.

(٣) يعلم التفرق: يصرف التفريق، د، ز.

الخمر في الأمة فلما استحلوا النبيذ علم أنه غيره، والفَضِيخُ ما يتخذ من البسر، والبِتَعُ يتخذ من العسل، وقد جاء في هذا آثار كثيرة، وليس[١] هذا موضعه.

فأما الفصل الثاني: الكلام في الميسر، وهو القمار، فتدل الآية على تحريمه، ويدخل فيه كل لعب يدخل[٢] فيه الرهان، لما فيه من أخذ المال بالباطل، وكل شيء فيه قمار فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز، عن عطاء ومجاهد. وقيل: النرد والشطرنج من الميسر، عن علي (عليه السلام). وأما[٣] السبق في الخف والحافر والرمي على ما ورد به الشرع فليس بقمار؛ لأنه تقوية على أمر الجهاد، والذي يحل منه المسابقة على الأقدام، وفي الخف وفي الحافر[٤] بعوض وبغير عوض، وللشافعي قولان:

أحدهما: يجوز بغير عوض، والآخر مثل قولنا، وهذا في الأقدام، وفي الخف والحافر اتفاق، وإذا شرط العوض من الجانبين لم يجز بالاتفاق، فأما بدل العوض في الصراع فعندنا جائز، وعند الشافعي لا يجوز، وفيه وجه آخر أنه يجوز، وهل يلزم العوض بالعقد أو بوجود السبق؟ عندنا بوجود السبق، وللشافعي قولان: أحدهما مثل قولنا.

والثاني: أنه عقد لازم كالإجارة إذا[٥] شرط في عقد المسابقة شرطًا فاسدًا عندنا يصح العقد، ويبطل الشرط، وعند الشافعي يفسد العقد.

فأما الفصل الثالث: الكلام في النفقة، فقيل: إنها في التطوع، وهو ثابت، وقيل: هو فرض ثابت وهو الزكاة، عن مجاهد والأصم وأبي مسلم. وقيل: هو فرض منسوخ بآية الزكاة، عن السدي. ولا مانع من حمله على الزكاة، فلا[٦] يصح القول بنسخه.

---

(١) وليس: ليس، د، ف.
(٢) يدخل: يحصل، ز، ف.
(٣) وأما: فأما، و.
(٤) وفي الحافر: والحافر، د، ف، و.
(٥) إذا: فإذا، ز.
(٦) فلا: ولا، د، ز.

وأما الفصل الرابع: فتدل الآية على تحريم الخمر والميسر، وقد بيناه[1].

وتدل على بطلان التمييز بالقرعة؛ لأنها كالقمار فيبطل قول الشافعي فيمن أعتق عبيدًا في مرضه، ولا مال له غيرهم أنه يستعمل فيه القرعة، وعندنا يعتق من كل واحد ثلثه، ويسعى في ثلثيه.

وتدل على الترغيب في الصدقة.

وتدل على وجوب التفكر في الدلالات.

وتدل على إثبات تكليف المعرفة لولاه لم يكن للأمر بالتفكر معنى فيبطل قول أصحاب المعارف.

وتدل على أنه ينبغي للمكلف أن يتفكر في أمور آخرته التي هي العبادات فيؤديها على وجوهها، ويتفكر في أحوال الآخرة وثوابها وعقابها؛ ليرغب فيها، ويعمل لها ويتفكر في الدنيا وزوالها؛ ليزهد[2] فيها، ويتفكر في أمور دنياه فينفق ويتصدق على وفق الشرع، وعلى ما يعود عليه نفعه في الدارين.

وتدل على أن للعبد فعلاً لولاه لما منعه عنه.

وتدل على أن هذا السؤال قبل نزول الفرائض واستقرار الشرع، فكانوا يسألون حرصًا على الصدقة، وبيان الأمور الشرعية، وعلم الله تعالى أن بيانها عقيب سؤالهم أصلح لهم وأقرب إلى القبول، فأخره إلى ذلك الوقت.

قوله تعالى:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾

---

(١) بيناه: بينا، ف.

(٢) ليزهد: وليزهد، د، و.

۞ القراءة

قراءة العامة: «قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ»، وعن طاووس «إصلاح إليهم».

وقراءة العامة «فَإِخْوَانُكُمْ» برفع النون، وعن أبي مخلد بالنصب على معنى تخالطوا إخوانكم.

۞ اللغة

اليتيم: من لا أب له، وإنما يطلق هذا الاسم على الأطفال، يقال: يَتِمَ يُتْمًا، كنَكِرَ نُكْرًا، ويَتَمَ يَتْمًا، كَشَعَلَ شَعْلاً[1].

والمخالطة مفاعلة من الخلط، وهو الجمع بين الشيئين بحيث يعسر تمييزه.

وأصل العنت المشقة والشدة، وأعنته: حمله على مشقة لا تطاق، والعنت: المأثم؛ لما يؤدي إليه من المشقة.

۞ الإعراب

ويقال: ما عامل الإعراب في الظرف في قوله: «الدنيا والآخرة»؟

قلنا: (يُبَيِّنُ) في قول الحسن، و(يتفكرون) في غيره.

ويقال: لم رفع «إخوانكم» ونصب «فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا»؟

قلنا: رفع على معنى فهم إخوانكم خالطتموهم أو لم تخالطوهم، وأما (رجالاً) فتقديره: فصلوا رجالاً أو ركبانًا؛ لأنه حال الصلاة لا على معنى: وأنتم رجال.

۞ النزول

قال الضحاك والسدي: كانت العرب في الجاهلية يعظمون شأن اليتيم، ويشددون في أمره فلما جاء الإسلام سألوا عن ذلك؟ فنزلت الآية[2].

(١) كشعل شعلا: كشغل شغلاً، ف، و.

(٢) العجاب في بيان الأسباب ١/ ٥٤٩.

وقيل: لما نزلت: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ﴾ [الأنعام: ١٥٢] وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ [النساء: ١٠] فاجتنبوا مخالطتهم في كل شيء، وكانوا[١] لا يؤاكلونهم، واشتد عليهم ذلك، فسألوا عنه فنزلت الآية، عن قتادة والربيع.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى شريعة أخرى فقال تعالى: «**وَيَسْأَلُونَكَ**» يا محمد، الضمير في «**يسألونك**» قيل: يرجع إلى القوم[٢] عن الأيتام، عن أبي مسلم «**عَنِ الْيَتَامَى**» لا بد في الكلام من إضمار؛ لأن السؤال لم يقع عن أشخاصهم، ولا ورد الجواب عنها، ثم اختلفوا فقيل: يسألونك عن القيام عليهم، عن أبي مسلم. وقيل: عن التصرف في مالهم ومخالطتهم. وقيل: عن تدبير أمره في نفسه وماله، عن القاضي «**قُلْ**» يا محمد «**إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ**» المخاطب به ولي اليتيم، يعني إصلاح لأموالهم بغير عوض، وقيل: إصلاحهم بتأديبهم وتقويمهم مثل ما يفعله بولده، عن أبي مسلم. وقيل: إصلاح لهم فيما يرجع إلى صلاح[٣] نفسه وماله «**خَيْرٌ**» يعني أعظم في الأجر «**وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ**» قيل: تشاركوهم في مؤاكلتهم[٤] ونفقاتهم ومساكنتهم «**فَإِخْوَانُكُمْ**» أي فهم إخوانكم، وهذا إذن من الله تعالى في مخالطتهم، عن الحسن. وقيل: تخالطوهم بأن تنكحوا منهن وتُزَوِّجوا[٥] منهم، عن أبي مسلم «**وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ**» قيل: المفسد لأموالهم من المصلح لها، وقيل: يعلم ضمائر من أراد الإفساد والطمع في مالهم بالنكاح من المصلح «**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ**» يعني كما وسع عليكم بهذه الرخصة، ولو شاء شدد[٦] عليكم وضيق في مخالطتهم، وقيل: ولو شاء لأوبقكم فيما أتيتم في أموالهم «**إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ**» قادر لا يجوز عليه المنع «**حَكِيمٌ**» في أفعاله مع قدرته، وقيل: عليم، عن أبي علي.

---

(١) وكانوا: فكانوا، د، ف.
(٢) القوم: القوام، ز، ف.
(٣) صلاح: إصلاح، د، ف.
(٤) مؤاكلتهم: أموالهم، ز.
(٥) وتزوجوا: فتزوجوا، ز، ف.
(٦) شدد: لشدد، و.

۞ الأحكام

الآية تدل على جواز قَيِّمٍ يقوم بأمر اليتيم، وذلك إذا لم يكن لهم ولي ولا وصي، فينصب القاضي من يقوم بأمره؛ لأنها تدل على وجوب الإصلاح، وذلك لا يتم إلا بِقَيِّمٍ، وما لا يتم الواجب إلا به وجب كوجوبه.

وتدل على أن ما يرجع إلى صلاح مال اليتيم ونفسه فالقيم مندوب إليه، وتنفذ عقوده؛ لأن بها يتم الصلاح، فتدل على أن بيع القيم وشراءه وإجارته جائز إذا كان فيه[1] غبطة للطفل.

وتدل على جواز المشاركة ومخالطة ماله بماله؛ لأن الإصلاح قد يكون به.

وتدل على جواز التجارة في مال اليتيم، ودفعها بضاعة ومضاربة وشركة؛ لأن كل ذلك من الإصلاح.

وتدل على أن له أن ينفق عليه حتى يعلمه ويؤدبه[2]، ويتعلم العلوم الدينية؛ لأنه من الإصلاح، وإنما[3] ينفق عليه حتى يتعلم الحرف فكذلك، فأما إن[4] أنفق ليتعلم البدع أو نحوها كالفلسفة فيضمن؛ لأنه ليس من الإصلاح.

وتدل على جواز التزويج والتزوج من اليتامى؛ لأنه من الإصلاح.

وتدل على جواز اسم الأخوة فيمن له حكم الإسلام، وإن لم يكن مسلمًا؛ لأنه إنما يكون يتيمًا قبل البلوغ، وله حكم الإسلام.

ويدل قوله: «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ» على أنه خفف في أمر اليتيم وغيره ولم يشدد.

وتدل على بطلان مذهب الجبر؛ لأنه إذا لم يشأ إعناتهم فكيف يصح أن يشأ تكليف ما لا يطاق، وكيف يكلف ما لا سبيل له إليه، ويأمر بما لا يتصور من جهته؟!

---

(١) فيه: ـ، و.

(٢) يعلمه ويؤدبه: يعلم ويؤديه، ز، و.

(٣) وإنما: إنما، د.

(٤) فأما إن: وأما إذا، ز، ف، و.

وأي عبث أعظم من هذا؟ وتدل من وجه آخر، وهو أنه إذا لم يرد العنت، وهو دون ما لا يطاق فكيف يريده؟

وتدل على أن العبد فاعل؛ لأنه لو خلق أفعاله فقليله وكثيره لا يدخله الإعنات.

وتدل على بطلان قولهم في البدل؛ لأن النهي عن شيء وقع، والأمر بما لم يقع، ووقع ضده من أعظم العنت؛ لأنه مستحيل.

قال أبو القاسم: وتدل على فساد من يحيل القدرة على الظلم؛ لأن الإعنات تكليف ما لا يجوز في الحكمة مقدور له، ولو شاء لفعله، وقال أبو علي: لو أعنتهم لكان جائزًا حسنًا؛ لأنه تشديد، ولكنه وسع على عباده رحمة منه وفضلاً.

قوله تعالى:

﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾

اللغة

النكاح: اسم يقع على العقد والوطء، واختلفوا في أصله، فقيل: أصله العقد، وقيل: أصله الوطء، ثم كثر حتى قيل للعقد: نكاح، كما تسمى الحرب غدرة، وهي اسم للمعنى[1].

والذبيحة: عقيقة، وهي اسم للشعر عن المفضل.

والأمة[2]: المملوكة، ووزنه فعلة نحو أكمة.

(١) كما يسمى الجمل راوية، وهي اسم للقربة.

(٢) والأمة: وللأمة، و.

۞ النزول

قيل: نزلت في مرثد بن أبي مرثد الغنوي، بعثه رسول الله ﷺ إلى مكة ليخرج منها ناسًا من المسلمين، وكان رجلاً قويًا شجاعًا فدعته امرأة يقال لها: عناق إلى نفسها فأبى، وكانت خليلة في الجاهلية، فقالت: هل لك أن تتزوج بي، فقال: حتى أستأذن رسول الله ﷺ، فلما رجع استأذن في تزويجها، فنزلت الآية[١] .

وقيل: إن قوله: «وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ» نزلت في أمة سوداء تسمى خنساء لحذيفة، فقال حذيفة: يا خنساء ذكرك الله في كتابه مع دمامتك، وأعتقها وتزوج بها[٢] .

وقيل: نزلت في أمة لعبد الله بن رواحة سوداء[٣] ضربها، ثم سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: وما هي؟ فقال: هي تشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وتصوم رمضان، وتحسن الوضوء وتصلي، فقال: هذه مؤمنة، فقال عبد الله: أعتقها وأتزوج بها، ففعل فلاموه، وعرضوا عليه نكاح مشركة، فنزلت الآية[٤] .

۞ المعنى

لما تقدم ذكر المخالطة بين من يجوز مخالطته بالنكاح فقال تعالى: «وَلاَ تَنكِحُوا» قيل: لا تتزوجوا، وقيل: حرم الوطء والعقد «الْمُشْرِكَاتِ» يعني النساء المشركات «حَتَّى يُؤْمِنَّ» يصدقن الله ورسوله «وَلأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ» مملوكة مصدقة مسلمة[٥] «خَيْرٌ مِنْ» حرة «مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ» مالها وجمالها وحسنها «وَلاَ تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ» يعني لا تُزوِّجوا[٦] المسلمة من المشرك حتى يؤمن ويسلم «وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ»

(١) العجاب في بيان الأسباب ١/ ٥٥١.
(٢) العجاب في بيان الأسباب ١/ ٥٥١.
(٣) سوداء: ـ، د.
(٤) العجاب في بيان الأسباب ١/ ٥٥١.
(٥) مسلمة: ـ ، و.
(٦) تزوجوا: تزاوجوا، ز، ف.

مطيع لله مؤمن به[١] «خَيْرٌ مِنْ» حر[٢] «مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ» ماله وحاله وجماله[٣] «أُوْلَئِكَ» يعني المشركين «يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ» يعني إلى الكفر والمعاصي التي هي سبب دخول النار «وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ» إلى الإيمان والطاعة التي هي موجبة للجنة «وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ» أي بما يأمر ويأذن فيه من الشرائع والأحكام، عن الحسن وأبي علي، وقيل: بإعلامه «وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ» قيل: حججه، وقيل: أوامره ونواهيه، وما يحظره ويبيحه، عن أبي مسلم «لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» أي لكي يتذكروا ويتعظوا.

۞ الأحكام

تدل الآية على تحريم نكاح المشركة، واختلفوا فيه، فمنهم من قال: المراد به الثنوية والمجوسية دون أهل الكتاب، ولأن الشرك متى أطلق لم يقع على أهل الكتاب؛ ولذلك قال: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة:١٠٥] وقال: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البينة: ١] ففصل بينهما، وعطف أحدهما على الآخر، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [المائدة: ٥] ابتدأ ببيان لتحليل نكاحهن، ولا نسخ ولا تخصيص في الآية. ومنهم من قال: إن الآية تتناول كل الكفار؛ لأن الشرك من حيث الشرع ينطلق على الكل، ثم اختلف هؤلاء على ثلاثة أقوال: فزعم بعضهم أن الآية منسوخة في الكتابيات بالآية في المائدة، عن ابن عباس والحسن ومجاهد والربيع. وزعم بعضهم أنها مخصوصة بها، عن سعيد بن جبير وقتادة. وزعم بعضهم أنها على ظاهرها في تحريم نكاح كافرة كتابية كانت أو مشركة، روي ذلك عن ابن عمر ومحمد بن علي، وهو مذهب يحيى الهادي والقاسم ـ عليهما السلام ـ، وتأول الهادي في (الأحكام) آية المائدة إذا أسلمت بعد أن كانت كتابية، إلا أنه يبطل فائدة تخصيص الكتابيات بالذكر، وأكثر الصحابة والفقهاء على جواز نكاح[٤] الكتابيات، قال القاضي:

---

(١) به: بها ـ ، د، ز.
(٢) حر: ـ ، ف.
(٣) وحاله وجماله: ـ ، ف.
(٤) نكاح: ـ ، د، ز.

والصحيح أن تحريم الكتابيات منسوخ؛ لأن هذه الآية متقدمة، وآية المائدة متأخرة، ولا يحمل على التخصيص؛ لأن تأخير البيان لا يجوز عن وقت الخطاب.

واختلفوا في نكاح الأمة الكتابية، فعندنا يجوز أن يتزوج بها، وقال الشافعي: لا يجوز، وإذا جاز وطْؤُها بملك اليمين جاز بعقد[1] النكاح كالمسلمة، وعكسه الوثنية.

وتدل الآية على جواز نكاح الأمة مع القدرة على طَوْلِ الحرة؛ لأن من قدر على طَوْلِ حرة كتابية قدر على طَوْلِ مسلمة؛ لأن حكم المهر لا يختلف، عن أبي علي.

وتدل على تحريم تزويج الكافر بالمسلمة، وهي عامة بالإجماع «**أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ**» تعليل لهذا؛ لأن الغالب أن الزوج يدعو زوجته إلى دينه.

ويدل قوله: «**لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**» أنه أراد من عباده التذكر، فيبطل قول المجبرة في الإرادة.

وتدل على أن العبد المؤمن خير من الحر المشرك، والظاهر أن المراد بالإيمان التصديق لجواز نكاح الفاسق والفاسقة، ولأن حقيقة المؤمن المستحق الثواب لا تعلم، فلا يجوز أن يقف عقد النكاح عليه.

فإن قيل: فكيف علل بأن المشرك يدعو إلى النار، والكتابية كذلك؟

قلنا: فيه وجوه:

أحدها: أنه تعليل لمنع نكاح المسلمة من الكافر، والغالب أنه يدعوها[2] إلى دينه، وأن الرجل لا يتبعها في دينها.

وثانيها: أنها تدعو بما هي عليه من الكفر إلى التقصير في الجهاد، وأهل الكتاب متى كانوا ذمة يسقط فيهم فرض القتال.

وثالثها: أن ذلك على العموم وكان في ابتداء الإسلام حيث أمر بمناصبة الحرب والعداوة للكفار فمنع من النكاح لئلا يؤثر ألفة النكاح فيما يجب من العداوة، فلما قوي الإسلام، وصار أهل الكتاب ذمة لنا أبيح التزويج بهن؛ لأن الفساد مأمون.

---

(١) بعقد: يعقد، ف.

(٢) يدعوها: يدعو، ز، ف.

قوله تعالى:
﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾

القراءة

قرأ: «يَطَّهَّرْنَ» بفتح الطاء والهاء والتشديد: حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم، وقرأ الباقون بالتخفيف(١) فمعنى التشديد يغتسلن، ومعنى التخفيف ينقطع حيضهن، عن الحسن والفراء.

اللغة

حاضت المرأة تحيض حيضًا ومحيضًا، فهي حائض، والمرأة حائضة، وجمعها: حُيَّض، ونساء حيض، والمحيض والحيض اجتماع الدم إلى ذلك المكان، ومنه يسمى الحوض لاجتماع الماء فيه، ويقال: حاضت وتحيضت، وعَرَكَتْ وطَمِثَتْ، تحيض حيضًا ومحاضًا ومحيضًا إذا سال الدم منها في أوقات معلومة، فإذا سال في غير أيام معلومة قيل: استحيضت فهي مستحاضة.

والاعتزال: التنحي عن الشيء، وكل شيء نحيته فقد عزلته، وسميت المعتزلة من ذلك، فقيل: لأن عمرو بن عبيد تنحى عن حلقة الحسن، فقال قتادة: لما فعلت المعتزلة سموا(٢) بذلك. وقيل: لأن واصل بن عطاء اعتزل أقوال المختلفين في المنزلة بين المنزلتين، فسموا بذلك، وقيل: لأنهم اعتزلوا كل بدعة، وتجنبوا كل شبهة، وقاموا على سواء السبيل، واجتهدوا في نصرة الدين، فسموا بذلك، كما قيل: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ [الكهف: ١٦] في أصحاب الكهف، ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ﴾ [مريم: ٤٨] في قصة إبراهيم، وروي عن النبي ﷺ: «من اعتزل من الشر سقط في الخير»(٣)، وروي: «ستفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة أبرها وأتقاها الفئة المعتزلة»(٤).

(١) حجة القراءات ١٣٤.
(٢) سموا: فسموا، و.
(٣) لم أقف عليه.
(٤) لم أقف على حديث فيه زيادة (أبرها وأتقاها الفئة المعتزلة)، وبقية الحديث مروي في سنن البيهقي الكبرى رقم ٢٠٦٩٠، والمستدرك بإضافة أخرى رقم ٨٣٢٥، وكذا المعجم الكبير رقم ٩٠.

والطهر: خلاف الدنس، والتطهر: التنزه عن الإثم، والطهور: الماء، وقيل: هو الطاهر على طريق المبالغة، وقيل: هو المطهر، قال ثعلب: هو الطاهر المطهر، وتطهرت المرأة اغتسلت، وطَهُرَت تَطْهُرُ إذا انقطع دمها فهي طاهر بلاهاء، وقيل: طَهَر وطَهُر بفتح الهاء وضمها بمعنى، وقيل: فعل بالضم لا يتعدى.

۞ الإعراب

(أذى) موضعه رفع لأنه خبر ابتداء[١] .

۞ النزول

قيل: كانت الجاهلية يتجنبون الْحُيَّض في مآكلهن ومشاربهن[٢] ومجالستهن [٣] كفعل المجوس واليهود، فسألوا عن ذلك، فنزلت الآية[٤] ، عن الحسن وقتادة والربيع والأصم. وقيل: كانوا يستجيزون إتيان النساء في أدبارهن أيام الحيض، فلما سألوا عنه بين تحريمه، عن مجاهد. وقيل: كانت اليهود في غاية التجنب من الحيض، وكانت النصارى لا تجتنب، فسألوا حكم الحيض في شريعتهم[٥]، فنزلت الآية.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى شريعة أخرى لما بين حال من يحل بَيَّنَ الحال التي لا[٦] تحل، فقال تعالى: «**وَيَسْأَلُونَكَ**» يا محمد، قيل: السائل أبو الدحداح سأل النبي ﷺ عن ذلك «**عَنِ الْمَحِيضِ**» أي عن الحيض وأحواله، وهو مجيء الدم من الأنثى على عادة معلومة «**قُلْ**» يا محمد «**هُوَ أَذًى**» أي قذر ونجس[٧] ، عن قتادة والسدي. وقيل: دم، عن مجاهد. وقيل: أذى أي عليهن لما فيه من المشقة، عن القاضي «**فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ**» أي تنحوا عن قربهن، قيل[٨] : عن الجماع في الفرج[٩]، وله ما سوى ذلك، عن ابن

(١) في (ل): قدم النزول على الإعراب، و.
(٢) في مآكلهن ومشاربهن: عن مؤاكلتهن ومشاربتهن، ف، و.
(٣) ومجالستهن: ـ ، ز.
(٤) العجاب في بيان الأسباب ١/٥٥٣.
(٥) شريعتهم: شريعته، د.
(٦) لا: ـ ، ز، ف.
(٧) قذر ونجس: نجس وقذر، د.
(٨) قيل: وقيل، و.
(٩) الفرج: الفروج، ز، و.

عباس وعائشة والحسن وقتادة ومجاهد، وهو قول محمد. وقيل: يحرم ما دون الإزار ويحل ما فوقه، عن ابن شريح وسعيد بن المسيب، وهو قول أبي حنيفة. «**وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ**» بالجماع، أو ما دون الإزار على اختلاف القولين «**حَتَّى يَطْهُرْنَ**» بالتخفيف حتى ينقطع دمهن، وبالتشديد حتى يغتسلن، عن الحسن. وقيل: يتوضأن، عن مجاهد. «**فَإِذَا تَطَهَّرْنَ**» اغتسلن «**فَأْتُوهُنَّ**» جامعوهن، وهو إباحة، وليس بأمر «**مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ**» أي حيث أمركم بتنحيه في حال الحيض، وهو الفرج، عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والربيع وأبي علي. وقيل: من قِبَلِ طهرهن دون حيضهن، عن السدي والضحاك. وقيل: من قِبَلِ النكاح دون الفروج، عن أبي حنيفة. وقيل: لا تأتوهن صائمات ولا معتكفات ولا محرمات، وإتيانهن وغشيانهن لكم حلال، عن الأصم. وقيل: معناه «**مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ**» يعني في الفرج، عن الواقدي. ونظيره: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة: ٩] أي في يوم الجمعة. وقيل: في الوجه المشروع فيدخل فيه جميع ما تقدم «**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ**» يريد إثابتهم، والتواب التائب من الذنب «**وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**» قيل: المتطهرين بالماء للصلاة، عن عطاء ومقاتل، وهو اختيار القاضي، وقيل: المتطهرين من أدبار النساء أن يأتوها، عن مجاهد، وقيل: المتطهرين عن الذنوب، عن أبي العالية وسعيد بن جبير، وقيل: من الشرك، وقيل: التوابين من الكبائر، والمتطهرين من الصغائر.

۞ الأحكام

ظاهر الآية يدل على كون الحيض أذى، وأنه يجب اعتزال المرأة في حال الحيض، وذكر غاية التحريم، ومتى يحل، والإتيان من حيث أمركم الله به، وهذه الجملة تشتمل على فصول:

أولها: ذكر الحيض وأحكامه: فمنها: أقل الحيض وأكثره، فعندنا أقل الحيض(١) ثلاثة أيام، وأكثره عشرة أيام، وهو قول أكثر العلماء، واختيار أبي علي. وقيل: يوم وليلة، وهوقول مالك بن أنس، والشافعي، وعن أبي يوسف يومان وأكثر الثالث، وأما الأكثر فعندنا عشرة، وعند الشافعي خمسة عشر يومًا.

---

(١) أقل الحيض: أقله الحيض، ف.

ومنها: أن لون الدم لا يعتبر، وإذا استحيضت ردت إلى عادتها، أو إلى أكثر الحيض، فعند الشافعي يعتبر اللون.

ومنها: أن الحامل لا تحيض عندنا خلافاً للشافعي، وقد قال أصحابنا: ما تراه المرأة من الدم قبل البلوغ لا حكم له، وما تراه بعد الإياس كالمستحاضة، وما تراه بعد البلوغ يكون حيضًا واستحاضة، وقدروا مدة البلوغ إذا رأت الدم فيها يحكم بكونه حيضًا بتسع[١] سنين، وقيل: عشر سنين، والإياس قيل: خمسين سنة، وقيل: ستين سنة.

ومنها: ما يُمنع منه الحُيَّضُ كالصلاة والصوم ثم تقضي الصوم، ولا تقضي الصلاة، ولا تقرأ القرآن، ولا تمس مصحفا، ولا تدخل المسجد، ولا تعتكف، ولا تطوف بالبيت، ولا يأتيها الزوج.

ومنها: أحكام تتعلق به كالعدة تنقضي بالحيض عندنا، وعند الشافعي بالطهر الذي يتخلل الحيض، والغسل عند انقطاعه، والاستبراء في الإماء بحيضة.

ومنها: أحكام المستحاضة حكمها حكم الطاهر إلا أنها توضأ لوقت كل صلاة عند أبي حنيفة، ولكل فرض عند الشافعي.

وثانيها: دلالة قوله: ﴿**حَتَّى يَطْهُرْنَ**﴾ على غاية، وقد قال مشايخنا: الآية تدل على منع وشرط وغاية وإباحة بعده؛ لأن قوله: ﴿**وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ**﴾ منع ونهي و﴿**حَتَّى يَطْهُرْنَ**﴾ شرط وغاية، واختلفوا في الغاية على أقوال أربعة: منهم من جوز وطأها بانقطاع الدم، وحمل الآية عليه. ومنهم من قال: يوثق بانقطاع الحيض، وهو أن ينقطع على العشر، أو ينقطع دون العشر وتغتسل، أو يمضى عليه وقت الصلاة، أو تيمم وتصلي عن أبي حنيفة. وقال أبو يوسف ومحمد: إذا تيممت حل للزوج. ومنهم من قال: إذا توضأت وغسلت فرجها حل، عن عطاء وطاووس. ومنهم من قال: لا تحل إلا بشرطين: بانقطاع الدم والغسل، وهو قول الشافعي. فأما الإباحة فقوله: ﴿**فَأْتُوهُنَّ**﴾ شرط[٢] فيه الإتيان على ما أمر الله تعالى.

(١) بتسع: بسبع، ز، د.
(٢) شرط: فشرط، و.

ومتى قيل: إذا وجب اجتناب الحُيَّضِ[1] لأجل الأذى وجب أن يلزم اجتناب المستحاضة أيضًا للأذى؟

قلنا: ليس ذلك بتعليل، وإنما هو بيان وجه المصلحة، ويجوز أن تختلف المصلحة في ذلك، وإن كان الأذى موجودًا في الحالين كما اختلفت سائر الأحكام، وعلى ما حمله القاضي لا يتوجه السؤال، وقيل: وقع عن الحيض فخرج الجواب على وفقه، وبين أنه أذى، ثم بين أحكامه لأجل أنه أذى.

قوله تعالى:
﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾

۞ اللغة

الحرث: الزرع، ومنه: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣] أي تزرعون.

والبشارة: الخبر السار الذي يظهر أثره في بَشَرَةِ الوجه.

۞ النزول

قيل: نزلت الآية[2] في اليهود لما قالوا: إذا أتى الرجل امرأته[3] من خلفها في قُبُلها خرج الولد أحول، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فأكذبهم الله تعالى، ونزلت الآية، عن ابن عباس وجابر[4] .

وقيل: أنكرت اليهود إتيان المرأة قائمة وباركة، فأنزل الله تعالى إباحته، عن الحسن.

وقيل: كانت الأنصار تنكر أن يأتي الرجل المرأة من دبرها في قبلها[5] ، وكانت أخذت ذلك من اليهود، وكانت قريش تفعل ذلك فأنكرت الأنصار، فنزلت الآية، عن ابن عباس[6] .

---

(١) الحيض: المحيض، ز، ف.
(٢) الآية: ـ، ف.
(٣) امرأته: المرأة، د، ز.
(٤) العجاب ١/٥٥٦.
(٥) من دبرها في قبلها: في قبلها من دبرها، ز، و.
(٦) العجاب ١/٥٦٢.

۞ المعنى

لما بَيَّنَ تعالى[١] أحوال النساء في الطهر والحيض، وبين المباح والمحظور بين الموضع فقال تعالى: «نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ» قيل: مُحْتَرَثٌ لكم، عن ابن عباس والسدي. وقيل: مَزْرَع، وقيل: ذو حرث لكم، فحذف كاف التشبيه، قال الشاعر:

النَّشْرُ مِسْكٌ والوُجُوه دَنَا نِيرٌ وأَطْرَافُ الأَكُفِّ عَنَمْ[٢]

«فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ» أي جامعوهن[٣] كيف شئتم، عن مجاهد، وقيل: من أين شئتم، عن قتادة والربيع، وقيل: متى شئتم، عن الضحاك، وهو غلط على ما يزعم المفسرون، والمراد فأتوهن كيف شئتم، بعد أن يكون في موضع الحرث، وهو الفرج، وقيل: إن شئتم فاعزلوا، وإن شئتم فلا[٤]، عن سعيد بن المسيب، وهذا من لطيف كنايات القرآن، حيث عبر بالحرث عن الفرج، فشبه الفرج بالحرث، والنطفة بالبذر، والولد بالزرع «وَقَدِّمُوا لأَنفُسِكُمْ» قيل: الطاعة فيما أمرتم به «وَاتَّقُوا اللَّهَ» في مجاوزة ما حل لكم، عن السدي والأصم وأبي مسلم، وقيل: هو طلب الولد، وقيل: التزوج بالعفائف «وَاتَّقُوا اللَّهَ» أي اتقوا عقابه بالتمسك بما[٥] حد لكم «وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ» يعني اتقوه عالمين أنكم[٦] صائرون إلى حكمه وسلطانه فيجازيكم، وقيل: ملاقوه يعني ملاقو جزائه المعد على أعمالكم التي قدمتم، فهو يرجع إلى قوله: «وَقَدِّمُوا»؛ لأنه يدل على ما تقدم «وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ» خطاب للرسول قبلها، يعني أعلمهم بما لهم عند الله من الثواب الجزيل جزاء على أعمالهم.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن للزوج أن يأتي المرأة في قُبُلِهَا كيف شاء على ما نُقِلَ في الخبر بعد أن يكون الوطء في موضع الحرث.

---

(١) تعالى: ـ، و.

(٢) قائله المرقش الأكبر، ومعنى النشر: الرائحة الطيبة، والعنم: شجر ليِّن الأغصان. انظر البيت في اللسان (نشر) وتاج العروس (نشر)، والأغاني ٦/ ١٣٤، وجمهرة الأمثال ١/ ٢٨٣، ودلائل الإعجاز ٣٨٨، لعبد القاهر الجرجاني، ت: محمد التنجي دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٩٩٥م.

(٣) جامعوهن: جامعوا، د، ز.

(٤) فلا: لا؛ ز، ف.

(٥) بما: مما، د، ز، و.

(٦) أنكم: بأنكم، ف، و.

وتدل على بطلان قول من أباح إتيان النساء في أدبارهن على ما يحكى عن مالك بن أنس وابن عمر؛ لأنه ليس بموضع حرث، ولأنه لا يفارقه الأذى، وقد وردت السنة بتحريمه وتعظيم الأمر فيه.

ولا يستدل بذكر اللقاء على جواز الرؤية؛ لأن اللقاء ليس من الرؤية في شيء، بل هو لفظ يقع على معانٍ مختلفة يقال: لقي الحرب، ولقي جهدًا، وقد يلقى الضرير غيره، وإن لم يره، ولاقى فلان جماعة، وقال تعالى: ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨]، ولأن الآية وردت وعيدًا فَحَمْلُهُ على ما قلنا أقرب، ويلزمهم أن الكفار يرونه؛ لأنه بين أن جميع العباد يلقونه، وهذا خلاف الإجماع.

قوله تعالى:

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٤)﴾

اللغة

اليمين: القسم، واختلفوا مِمَّ أُخِذَ؟ فقيل: من القوة؛ لأنه يتقوى به على ما يحلف عليه، ومنه:

إِذَا مَا رايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ ... تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِالْيَمِينِ[1]

وقيل: أخذ من الجارحة التي هي ضد الشمال؛ لأنهم كانوا عند الأيمان يضربون أيديهم على أيديهم فسمي بذلك، وقيل: من اليُمْنِ الذي هو[2] البركة؛ لأنه عقد خير يتبرك بذكره للتأكيد.

والعُرضَةُ: أصلها القوة والشدة، ومنه سمي الدابة المعدة للسفر عُرْضَةً، ثم قيل: لكل ما صلح لشيء: هو عرضة له، يقال: هذا عرضة لك أي عدة تبتذله، قال الشاعر:

---

(١) البيت للشماخ الذبياني يمدح رجلاً يسمى عرابة، انظره في صبح الأعشى ١١/ ١٣٤، للقلقشندي، ت: يوسف الطويل، دار الفكر ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٩٨٧م، واللسان (يمن)، والأغاني ٩/ ١٩٦.

(٢) الذي هو: التي هي، ف.

فَــهَــذِي لِأَيَّـــامِ الــحُـــرُوبِ وَهَــذِهِ لِلْـهَـوَى وَهَـذِي عُـرْضَـةٌ لارْتَـحِـالِـيَـا[1]

أي عدة[2] وقال أبو العباس: العرضة: الاعتراض[3] في الخير والشر، وقيل: الاعتراض[4]: المنع، وكل شيء منعك فقد اعترض عليك، والعرضة: المانعة من البر، عن الأزهري.

وَبَّر وحَنِثَ في اليمين على التعاقب.

۞ الإعراب

يقال: ما موضع (أن) من الإعراب؟

قلنا: فيه ثلاثة أقوال: الخفض، عن الخليل، والكسائي على حذف اللام.

الثاني: النصب، عن سيبويه وأكثر النحاة؛ لأنه لما حذف الخافض وصل الفعل إليه فنصبه.

الثالث: على أن تبروا وتتقوا، أو كي[5]، فحذف كي[6]؛ لأنه معلوم المعنى، عن الزجاج.

۞ النزول

قيل: نزلت في عبد الله بن رواحة حلف لا يدخل على أخيه بشير بن النعمان لشيء بينهما[7]، ولا يصلح بينه وبين خصم له، وكان يقول: حلفت بالله فلا أفعل، فنزلت الآية، عن الكلبي.

وقيل: نزلت في أبي بكر حين حلف ألا يصل ابنه عبد الرحمن حتى يسلم، عن مقاتل.

وقيل: نزلت في أبي بكر حين حلف ألا ينفق على مِسْطَحٍ حين خاض في الإفك[8] عن ابن جريج.

---

(١) البيت لابن الزبير الأسدي. انظره في تاج العروس (عرض).
(٢) أي عدة: ـ ، و.
(٣) الاعتراض: الإعراض، د، و.
(٤) الاعتراض: الإعراض، د، و.
(٥) أو كي: أولي، ف.
(٦) كي: أولي، ف.
(٧) العجاب ١/ ٥٧٦.
(٨) حين خاض في الأفك: ـ ، ز.

المعنى

قيل: لما بَيَّنَ تعالى أحوال النساء، وما يحل منهن عقبه بذكر الإيلاء، وهو اليمين التي تحرم الزوجة، فابتدأ بذكر الأيمان، وفيه مع ذلك بيان شريعة من شرائع الإسلام فقال تعالى: «**وَلاَ تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ**» فيه ثلاثة أقوال: أي عذرًا[1] وعلة، كأنه قيل: لا تتخذوا[2] اليمين علة مانعة من البر من حيث تحلفون لتعتلوا بها، وتقولوا: حلفنا بالله، ولم تحلفوا، عن الحسن وطاووس وقتادة، وأصله في هذا الوجه الاعتراض[3]، الذي هو المانع بينكم وبين البر والتقوى.

الثاني: عرضة أي حجة، أي لا تجعلوا اليمين بالله حجة في المنع من البر والتقوى بأن يكون قد سلف منكم يمين، ثم يظهر أن غيرها خير منها، فافعلوا الذي هو خير، ولا تحتجوا بما سلف من اليمين، عن ابن عباس ومجاهد والربيع، وأصله في هذا والأول واحد، بأنه منع من جهة الاعتراض[4] بحجة.

الثالث: عرضة أي عدة مبتذلة يعني لا تجعلوا اليمين بالله مبتذلة وعِدَةً في كل حق وباطل، أن تبروا بالحلف بها، وتتقوا المأثم فيها، عن عائشة وأبي علي والأصم وأبي مسلم. قال أبو مسلم[5]: ومن أكثر ذكر شيء في معنى فقد جعله عرضة له، تقول: جعلتني عرضة لِلَوْمِك. قال الشاعر:

ولا تجعلوني[6] عرضةِ للَّوائِمِ[7]

وأصله على هذا معترض بالتبذل، أي: لا تبتذل يمينك في كل شيء، وتقديره على الوجه الأول والثاني: لا تجعلوا الله مانعًا من البر والتقوى باعتراضكم[8] به حالفًا، وعلى الثالث: لا تجعلوا الله مما يحلف به دائمًا.

---

(١) عذرًا: نذراً، د، ف.
(٢) لا تتخذوا: لا تجعلوا، د، ف.
(٣) الاعتراض: الإعراض، ف، و.
(٤) الاعتراض: الإعراض، ف، و.
(٥) قال أبو مسلم: ـ، ز، و.
(٦) ولا تجعلوني: ولا تجعلني، د، ف.
(٧) البيت لأبي تمام:
دعوني أنح وجداً كنوح الحمائم ... ولا تجعلوني عرضة للوائم
(٨) باعتراضكم: باعراضكم، ف.

«أَنْ تَبَرُّوا» فيه أقوال:

الأول: أن تبروا بمعنى ألا تبروا فحذف (لا) عن أبي عبيدة، قال امرؤ القيس:

فَقُلْتُ يَمِينُ اللهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا ... لَوْ قَطَّعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي[1]

أي لا أبرح.

الثاني: لِتَرْكِ أن تبروا في قول ابن[2] عباس فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه، وتقديره لترك البر، أي لا تحلفوا على ترك البر والتقوى والطاعات.

والثالث[3] : لأن[4] تبروا على معنى الإثبات، ومعنى تبروا قيل: في اليمين، وقيل: إنه من البر يعني ينهاكم عن كثرة اليمين: لِمَا في تَوَقِّي ذلك من البر والتقوى والإصلاح، فكونوا[5] يا معشر المسلمين من بين سائر الناس بررة أتقياء مصلحين في الأرض، غير مفسدين، عن أبي مسلم.

«وَتَتَّقُوا» أي تتقوا الإثم والمعاصي في الأيمان «وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ» يعني إذا عرفتم بقلة الأيمان وتصلحوا بقولكم «وَاللَّهُ سَمِيعٌ» لأقوالكم «عَلِيمٌ» بما في ضمائركم لا تخفى عليه من ذلك خافية.

۞ الأحكام

الآية تدل على المنع من كثرة اليمين[6].

وتدل على إباحة اليمين بالله إذا قصد بها البر.

وتدل على أن اليمين في غير البر لا تغير البر.

وتدل على أن المتعبد به هو اليمين بالله تعالى.

---

(١) البيت في المثل السائر ٢/ ١٠٤، لابن الأثير، محمد محيي الدين، المكتبة العصرية ـ بيروت ـ ١٩٩٥م، واللسان (يمن)، وأوضح المسالك ١/ ٢٣٢، لابن هشام، دار الجيل ـ بيروت ـ ط ٥ ـ ١٩٧٩م، والخصائص ٢/ ٢٨٤، لابن جني، عالم الكتب ـ بيروت ـ ت: محمد علي النجار، واللمع في العربية ١٨٦، لابن جني، دار الكتب الثقافية ـ الكويت ـ ت: فائز فارس، ط ١٩٧٢.

(٢) ابن: أبي، د، و.

(٣) والثالث: الثالث، ز، ف، و.

(٤) لأن: على أن، د، ز.

(٥) فكونوا: فتكونوا، د، ف.

(٦) اليمين: الأيمان، ز، و.

وتدل على أن من حلف على شيء فرأى غيره خيرًا منه جاز أن يحنث ويُكفِّرَ [عن] يمينه على ما وردت به السنة؛ لذلك قال: لا تجعلوه[1] مانعًا من البر.

قوله تعالى:
﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾

اللغة

المؤاخذة: مُفَاعَلَةٌ من الأخذ.
واللغو: كلام لا فائدة فيه، لغا يَلْغُو لغوًا، وأَلْغَى إلغاءً.
وأصل الحلم الأناة، وهو في صفته تعالى: الإمهال بتأخير[2] العذاب.

المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى أقسام الأَيْمَانِ فقال: «**لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ**» لا يعاقبكم «**بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ**» قيل: اللغو أن يحلف وهو يرى أنه صادق، ثم تبين أنه كاذب، عن ابن عباس والحسن ومجاهد وإبراهيم والزهري وسليمان بن يسار وقتادة والربيع والسدي ومكحول، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه. وقيل: ما يصله بكلامه[3] من غير قصد كقوله: لا والله، وبلى والله، عن عائشة والشعبي وعكرمة والشافعي وأبي مسلم. وقيل: هو يمين الغضبان، عن ابن عباس وطاووس، وروي نحوه عن علي (عليه السلام)وسعيد بن جبير. غير أنه قال: يحنث ويكفر، وطاووس قال: لا يؤاخذكم بالحنث، وقيل: هو اليمين في المعصية، عن الشعبي والأصم. قال مسروق: كل يمين ليس له الوفاء بها فهي لغو، لا يجب فيها كفارة، وقيل: اليمين المكفَّرةُ[4] تسمى لغوًا؛ لأن الكفارة أسقطت الإثم، كأنه قيل: لا يؤاخذكم الله باليمين إذا كَفَّرْتُمْ، عن الضحاك. وقيل: هو أن يحلف ثم يحنث ناسيًا لا يؤاخذ به، عن

(١) لا تجعلوه: ولا تجعلوا، د.
(٢) بتأخير: بتأخيره، د، ز.
(٣) بكلامه: بكلامك، و.
(٤) اليمين المكفرة: هو اليمين المكفر، ف.

إبراهيم. «وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ» أي عزمتم وقصدتم، وفيه حذف أي من أيمانكم «وَاللَّهُ غَفُورٌ» يغفر الذنوب «حَلِيمٌ» يمهل ولا يعجل بالعقوبة.

الأحكام

تدل الآية على[1] أن الأيمان تنقسم إلى لغو لا يؤاخذ به، وإلى غير لغو يؤاخذ به، ثم يحتمل أنه لا يؤاخذ بكفارته، ويحتمل بعقوبته، ويحتمل بهما، وكذلك فيما يؤخذ، وهذا مما لا بد له من بيان، فَعُدَّ في المجمل والمبين، والسنة، وقد قال أصحابنا: الأيمان ثلاث: اللغو، وقد بيناه ولا إثم فيه ولا كفارة، والثاني: الغموس، وهو أن يتعمد بالحلف كاذبًا، وفيه التوبة ولا كفارة، وقال الشافعي: الكفارة أيضًا، وهذان يقعان في الماضي، والثالث: المنعقدة[2] على المستقبل أن يفعل أو لا يفعل، فإذا حنث ففيه الكفارة، وهذا قول الحسن وجماعة من الفقهاء، ثم اليمين المنعقدة[3] ثلاث: على طاعة فيجب الوفاء بها، فإن حنث فعليه الكفارة، وعلى معصية فيجب ألا يأتي، فإن أتى عصى الله، وكفَّر [عن] يمينه، وعند الشافعي لا كفارة، ويمين على مباح، فيخير بين الحنث والبر، فإن حنث فعليه الكفارة.

والأيمان على ضربين: يمين بالله، أو صفة من صفات ذاته، وفيه الكفارة، كقولك: والله[4]، وقدرة الله، والثاني: بغير الله فهو على ضربين: إن لم يكن شرطًا وجزاءً فليس بيمين، كقولهم: والقرآن والقبلة، فإن كان شرطًا وجزاء يعد[5] يمينًا في عرف الشرع، كما لو قال لعبده: إن دخلت الدار فأنت حر ونحوها، فإن كانت[6] اليمين بالله فحروف القسم ثلاثة: الباء، وهي[7] الأصل، ثم الواو فرع عليه، ثم التاء فرع على الواو، فالباء تدخل على جميع الأسماء وعلى المضمرات، والواو تدخل [على] اسم الله دون المضمرات، والتاء تدخل على اسم الله تعالى فقط، وجواب اليمين على أربعة أوجه: اللام، وما، وإن، ولا، نحو: لأشكرن، وما قلت، وإنه لكاذب، ولا كلمته.

---

(١) على: ـ، ز، و.
(٢) المنعقدة: المنعقد، د، و.
(٣) المنعقدة: المنعقد، د، ز، ف.
(٤) والله: ـ، و.
(٥) يعد: فيعد، د، ز.
(٦) فإن كانت: وإذا كان، ف.
(٧) وهو: وهي، أ.

قوله تعالى:

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾

القراءة

القراءة المشهورة: «**للذين يؤلون**» على المستقبل، وعن ابن مسعود «**للذين آلوا**» على الماضي، وعن ابن عباس يُقْسِمُون، وهذا محمول على أنهما فسرا الإيلاء؛ لأنه يخالف قراءة العامة.

اللغة

الإيلاء: اليمين، وهو[1] الأَلِيَّةُ والأُلْوَةُ، آلى يُؤْلي إيلاء، وفي عرف الشرع اسم لِقَسَمٍ مخصوص، وهو يمتنع به عن جماع زوجته أربعة أشهر فصاعدًا.

والتربص: الانتظار.

وأصل الفيء: الرجوع، ومنه الفيء الذي هو الظل، قال أبو العباس: الفيء ما نسخ الشمس؛ لأنه هو الرافع[2]، والظل ما لا شمس فيه.

والعزم: العقد على الشيء، يقال: عزم يعزم عزمًا إذا عقد على أن يفعل.

والطلاق: أصله الانطلاق، وفي عرف الشرع: انطلاق المرأة بحل عقد النكاح بسبب[3] من جهة الرجل يوجب نقصان عدد الطلاق.

والسميع: هو على حال يصح أن يسمع المسموعات إذا وجدت.

الإعراب

«**أربعة أشهر**» بالجر على الإضافة، وعليه القراءة، ويجوز في العربية النصب والرفع، ويجوز «**تَربُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ**» كقوله: ﴿أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍ﴾ [النور: ٦] والنصب كقوله: ﴿كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ [المرسلات: ٢٥، ٢٦].

---

(١) وهي: وهو، ل.

(٢) الرافع: الواقع، د، و.

(٣) بسبب: لسبب، ف.

۞ النزول

قال قتادة: كان الإيلاء طلاق الجاهلية، وفي ابتداء الإسلام كانوا لا[١] يريدون المرأة، ويكرهون أن يتزوجها غيره، فيحلف ألا يقربها، فيتركها لا أَيِّمًا ولا ذات بعل، فجعل الله تعالى الأجل أربعة أشهر، وأنزل الآية[٢].

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ حكم الإيلاء؛ لأنه من جملة الأيمان، وشريعة من شرائع الإسلام، فقال تعالى: «**لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ**» يحلفون، وفيه حذف (أن يعتزلوا عن وَطْء نسائهم)، فحذف لدلالة الباقي عليه «**تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ**» التوقف والتلبث في أربعة أشهر، فكل يمين يمتنع به من جماع أربعة أشهر فما فوقها فهي إيلاء، وما كان دون أربعة أشهر فليس بإيلاء، واختلفوا، فقيل: الإيلاء الحلف على الامتناع من الجماع على جهة الغضب والضرر، عن علي وابن عباس والحسن، وقيل: في الغضب والرضاء، عن إبراهيم والشعبي وجماعة الفقهاء، وهو الظاهر، وقيل: هو الجماع وغيره من الضرار، نحو أن يحلف ألا يكلمها، عن سعيد بن المسيب، وقد سقط خلافه «**فَإِنْ فَاؤُوا**» رجعوا إلى أمر الله بالفيء، وهو الجماع في الأربعة الأشهر، عن ابن عباس ومسروق وسعيد بن المسيب وأبي حنيفة وأصحابه، فإن لم يقدر عليه فبالقول، وقيل: المراجعة بالعزم في حال العذر، عن الحسن وإبراهيم وعلقمة. ويُشهِد على فيئه. وقيل: الفيء باللسان في جميع الأحوال، عن إبراهيم. وإذا فاء فعليه الكفارة، عن ابن عباس وقتادة وجماعة الفقهاء. ومعنى «**غَفُورٌ**» أنه لا يتبعه عقوبة، وقيل: لا يتبعه[٣] كفارة، عن الحسن وإبراهيم. ومعنى «**غَفُورٌ رَحِيمٌ**» أي لا يتبعه كفارة ولا عقوبة «**وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ**» عزيمة الطلاق ألا يفيء حتى تمضي أربعة أشهر، فيقع عليها تطليقة، عن ابن مسعود وابن عباس وعلي عليهم السلام[٤]. وهو قول إبراهيم وحماد والحسن وأبي علي وأبي حنيفة وأصحابه. وقال مالك والشافعي: إذا مضت أربعة أشهر وطلبت يوقف، ويقال:

---

(١) لا: ـ، ف.

(٢) العجاب في بيان الأسباب ١/ ٥٧٩.

(٣) يتبعه: ـ، ف.

(٤) عليهم السلام: ـ، ز، و.

إما أن تفيء أو تطلق، فإن لم يفعل طلقها القاضي، ثم تلك التطليقة بائنة، عن جماعة الفقهاء وأكثر الصحابة، وعن ابن عمر وسعيد بن المسيب رجعية «**فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**» قيل: يسمع قوله، ويعلم ضميره، وقيل: يسمع إيلاءه، ويعلم عزيمته.

الأحكام

الآية تدل على أن الإيلاء حكم شرعي، وعليه بنى الفقهاء كتبهم في الإيلاء.

ويدل قوله: «**لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ**» أن فيه يمينًا، ولم يبين صفته لذلك اختلفوا، فقيل: لا يكون موليًا إلا أن يحلف بالله، وقيل: يكون موليًا بكل يمين، وعليه يدل الظاهر، وعليه الفقهاء.

ويدل قوله: «**أَرْبَعَةِ**» على تقديرٍ، ولا خلاف أن ما فوقه حكمه حكم الأربعة، وفائدة[1] التقدير منع ما دونه، وقد قال بعضهم: إذا حلف على أقل من أربعة أشهر يكون موليًا، ومنهم من قال: إذا حلف على أربعة يكون موليًا فقط، والصحيح ما قدمناه.

ويدل قوله: «**فَإِنْ فَاؤُوا**» على حق لها عليه يجب رفع الإيلاء لأجله.

ويدل قوله: «**غَفُورٌ رَحِيمٌ**» أنه عاص[2] بالإيلاء؛ إذ لا يليق الكلام إلا بذلك.

ويدل «**وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ**» على تحريمه؛ فإن للطلاق مدخلاً فيه، وتفصيل ذلك مبين في كتب الفقه، وجملة الكلام في الإيلاء من ثلاثة أوجه: ما يكون به موليًا، والكلام في الفيء، والكلام في العزيمة، وقد بينا جملته.

قوله تعالى:

﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾

اللغة

الطلاق: من الإطلاق، وهو التخلية من حِبالَةَ[3] الزوج، يقال: أطلقت البعير،

(١) وفائدة: ففائدة، د، ز.
(٢) عاص: عاصي، د، ز، ف.
(٣) حبالة: حبال، د، ز، ف.

وطلقت المرأة، وقد صار التطليق في عرف الشرع يختص بالزوجات حتى يقع من غير نية، والإطلاق والانطلاق يستعمل فيه وفي غيره.

والتربص: الانتظار.

والقرء: الطهر والحيض، وهو من الأضداد، وقيل: في أصله وجهان:

أحدهما: من الاجتماع، ومنه أَقرأَتِ النجوم إذا اجتمعت للغروب، و(ما قرأت الناقة سَلًى قَط): أي لم يجتمع رحمها على ولد، ومنه المِقْرَاةُ للحوض لاجتماع الماء فيه، ومنه القرآن. فسمي الحيض قُرْءًا لاجتماع الدم في الرحم، عن الأصمعي والأخفش والفراء والكسائي وأنشدوا:

له قروء كقروء الحائض[1]

الثاني: أن يكون من الوقت، وأصله وقت الفعل الذي يجري على عادة، عن أبي عمرو بن العلاء وهو يصلح للحيض والطهر، يقال: هذا قاري الرياح، أي: وقت هبوبها، وجمعه في التكثير قروء، وفي التقليل: أقراء، وقيل: [إن] أريد به الطهر، تجمع على قروء، وقال الشاعر:

لِمَا ضَاعَ فيه مَنْ قُروء نِسَائِكَا[2]

وقيل: بل يجمع على قروء، ويراد به الحيض، كقوله: له[3]قروء كقروء الحائض.

وروي عن أبي عبيدة أنها[4] عبارة عن الانتقال، وليس بالجيد، وسئل أبو عمرو غلام ثعلب: ما القرء؟ قال[5]: الوقت، قيل: فهي اسم للمحيض أو الطهر[6]؟ فقال: لهما، فقال: أيهما أقيس؟ فقال: الحيض.

---

(١) قبله: يا رب مولى حاسدٍ مباغض
علـى ذي ضغن وضب فارض   له قروء كقروء الحائض
والمعنى: حقده يخبو تارة ثم يستعر ثم يخبو ثم يستعر. انظره في اللسان (فرض)، وأساس البلاغة (فرض).

(٢) عجز البيت للأعشى، وصدره: مورثة مالا وفي الحي رفعة. انظره في اللسان (قرأ)، وتاج العروس (قرأ).

(٣) له: ـ، و.

(٤) أنها: أنه، د، ف.

(٥) قال: فقال، ز، ف.

(٦) أو الطهر: ـ، د.

والحلال ضد الحرام، وهو ما له أن ينتفع به، وليس لأحد منعه لإحلال[1] غيره له، وأصله من الحل.

والرحم رحم المرأة.

والبعل الزوج، والجمع: بعول كالفحول والذكور.

والدرجة: المنزلة.

۞ الإعراب

يقال: لم قيل: ثلاثة قروء على جمع التكثير؟ ولم يقل: أقراء على جمع التقليل؟

قلنا: فيه وجوه: منها لما كانت مطلقة يلزمها هذا دخله معنى الكثرة، فذكر بناء على التكثير[2]. وقيل: إن بناء التكثير فيه أغلب على قياس الباب في جمع فُعْلٍ، فأما القليل فقياسه أَفْعُل دون أفعال. وقيل: إنه ذهب به مذاهب الجنس، كقولهم: ثلاثة كلاب، أي: ثلاثة من الكلاب.

ويقال: لِمَ لَمْ يقل ثلاث قروء كما يقال: ثلاث حيض؟

قلنا: لأنه اتبع التذكير اللفظ، ولفظ القرء مذكر.

۞ النزول

عن مقاتل والكلبي قالا: كان الرجل في ابتداء الإسلام إذا طلق امرأة وهي حبلى فهو أحق برجعته ما لم تضع ولدها، فنسخ ذلك بآية الطلاق، وجعل التطليقات ثلاثًا، فطلق إسماعيل بن عبد الله امرأته وهي حبلى[3] [4]. وقال مقاتل: هو رجل من الأنصار يسمى مالكًا، وقيل: اسم المرأة قتيلة، ولم يعلم بِحَبَلِها، ولم تخبره هي، فلما علم حبلها راجعها، فولدت، وماتت، ومات الولد، فأنزل الله تعالى الآية[5].

وذكر القاضي أن الآية نزلت، وكانوا يطلقون، فإذا تشارف انقضاء العدة راجعوا ضرارًا بذلك[6] في طلاق بعد طلاق، فنزلت الآية، وبين ثلاثة أحكام: أحدها: حد[7]

---

(١) لإحلال: بإحلال، ز، و.
(٢) التكثير: الكثير، د.
(٣) فهو أحق برجعته... امرأته وهي حبلى: ـ، و.
(٤) العجاب في بيان الأسباب ١/ ٥٨٣.
(٥) لباب النقول ١٣٧.
(٦) ضرارا بذلك: إضراراً لذلك، ز، ف.
(٧) حد: ـ، د، ز.

الطلاق بثلاثة. والثاني: في حرمة المراجعة على وجه الإضرار. والثالث: وقت المراجعة.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى المطلقات وأحكام الطلاق، فقال: «وَالْمُطَلَّقَاتُ» وقال: يعني المخليات عن حبالة الأزواج بالطلاق و«يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ» ينتظرن فلا يتزوجن «ثَلاثَةَ قُرُوءٍ»، قيل[1] : ثلاث حيض، عن عمرو وعلي وابن مسعود وابن عباس وأبي موسى والحسن ومجاهد ومقاتل وأبي حنيفة وأصحابه، وقيل: ثلاثة أطهار، عن زيد وعائشة وابن عمر ومالك والشافعي. «وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ» للمطلقات التي وجبت عليهن العدة «أَنْ يَكْتُمْنَ» يسترن فلا يظهرن «مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ» قيل: الحيض، عن عكرمة وإبراهيم، وقيل: الحَبَل، عن ابن عباس وقتادة ومقاتل وأبي علي. وقيل الحيض والحبل[2]، عن ابن عمر والحسن، وإنما نهى عن ذلك لئلا يظلم الزوج بمنع المراجعة، عن ابن عباس. وقيل: بنسبة الولد إلى غيره كفعل الجاهلية، عن قتادة. وقيل: لأنها أمينة في انقضاء العدة، فلا[3] ينبغي أن تقدم أو تؤخر «إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ» يعني من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فهذه صفته وحكمه، فلا ينبغي أن تخالفه «وَبُعُولَتُهُنَّ» يعني أزواجهن «أَحَقُّ» أولى «بِرَدِّهِنَّ» بمراجعتهن ما دُمْنَ في العدة، وتقديره: أحق بردهن إليهم «فِي ذَلِكَ» أي في وقت الحيض والعدة «إِنْ أَرَادُوا إِصْلاَحًا» قيل: أرادوا أداء ما[4] أوجب الله عليهم من ترك الإضرار، بتطويل العدة وغيرها «وَلَهُنَّ» أي للنساء على أزواجهن «مِثْلُ الَّذِي» لهم «عَلَيْهِنَّ» من الحق في حسن العشرة، وترك المضارة «بِالْمَعْرُوفِ» أي أن الطاعة التي تجب عليهن هو المعروف، وهو ما عرف من حق الزوج على المرأة، وقيل: بالمعروف بالحسن الجميل الموافق للشرع «وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ» قيل: في الفضل، عن ابن عباس، بما يساق إليها من المهر، وأنفق عليها من المال. وقيل: بالعقل. وقيل: بالميراث. وقيل: بالجهاد، عن قتادة، وقيل: بالأخذ عليها بالفضل في المعاملة، عن ابن عباس. وقيل: بالقيام

---

(١) قيل: وقيل، د، و.
(٢) عن ابن عباس وقتادة... الحيض والحبل: ـ ، ز.
(٣) فلا: ولا، د، ز.
(٤) ما: لما، ف.

عليهن، وقيل: في التزوج[1] عليهن، وقيل: بالطلاق والرجعة، وقيل: بالشهادة. وقيل: فضيلة في الحق، عن القتيبي وأبي مسلم. قال القاضي: ولا مانع من حمله على الجميع «وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» أي قادر على ما يشاء لا يُمتنع، حكيم فيما يفعل، فلا[2] يفعل إلا الحسن، وقيل: حكيم عليم بجميع الأشياء.

۞ الأحكام

الكلام في الآية يشتمل على أربعة فصول:

أولها[3] : ما يدل عليه ظاهر الآية.

وثانيها: أحكام المطلقات والطلاق.

وثالثها: ذكر العدة.

ورابعها: الرجعة.

فأما الفصل الأول: فالآية وإن كان لفظها الخبر فمعناها[4] الأمر؛ إذ الخبر بأنها متعبدة[5] بذلك فتؤول معناه إلى الأمر، فتدل على تعبد يلزمها عند الطلاق، وهو تربص وهو العدة.

وتدل على أن كل مطلقة يلزمها ذلك إلا ما قام الدليل. فأما غير المدخول بها[6] فلا عدة عليها لقوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ﴾ [الأحزاب: ٤٩] وقيل: إن هذه الآية مخصوصة بآية سورة الأحزاب، وقيل: منسوخة، وهو الأولى؛ لأن تأخير البيان عن وقت الخطاب لا يجوز.

وتدل على أن ذلك يلزم صاحبة الأقراء، فالآيسة والصغيرة غير داخلة في الآية، فدخلت في قوله: ثلاثة أشهر، وكذلك الأمة غير داخلة في الآية؛ لأنها لا تعتد بثلاثة أقراء.

وتدل على أنه لا يحل كتمان الحيض والحبل. وتدل أن في ذلك القول قولها لولا ذلك لما كان للنهي عن الكتمان معنى .

---

(١) في التزوج: التزوج، ف، و.
(٢) فلا: ولا، د، ز.
(٣) أولها: الأول، ز، و.
(٤) فمعناها: معناه، ز، ف، و.
(٥) متعبدة: معتدة، د، ف.
(٦) بها: ـ ، و.

وتدل على تحريم المضارة بالزوج بكتمانه.

وتدل على أن من علم شيئًا في الشرع يحرم عليه كتمانه؛ لأنه إذا حرم عليها كتمان الحيض لما يتعلق به من الحكم فتحريم كتمان الشرائع أولى.

ويدل قوله: «**وَبُعُولَتُهُنَّ**» على بقاء الزوجية؛ لأن الطلاق لا يمنع منه.

وتدل أن للطلاق تأثيرًا يزال بالرد لو لم يكن كذلك لم يكن للرجعة معنى، واختلفوا في ذلك، فقيل: إنها صارت بغرض أَنْ تَبِين، وقيل: تحريم الوطء.

وتدل على أن حق[1] الرد ثابت في العدة.

وتدل أن الردة تزيل الأثر الثابت بالطلاق.

وتدل أن تلك الردة في طلاق دون طلاق؛ لأنه قال: «**فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ**».

وتدل على أن الزوج ينفرد بالمراجعة، ولا يحتاج إلى رضاها، وَعَقْدٍ وإشهاد.

وتدل أن الرجعة إنما تحسن إذا أراد به الإصلاح، وإنما شرط ذلك في إباحة الرجعة لا في ثبوت أحكامه؛ لإجماع الأمة أنه مع إرادة الأضرار[2] أن يثبت أحكام الرجعة فهي كالطلاق في حال الحيض.

ويدل قوله: «**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ**» على حق لكل واحد من الزوجين، وهذا من العجيب الجامع من الفوائد[3] مع قلة الحروف، وإنما أراد بذلك ما يرجع إلى العشرة وحقوق النكاح.

فصل:

لا خلاف أن الطلاق محصور بثلاث: في الحر إذا كان تحته حرة، وثنتين في الأمة إذا كانت تحت عبد، واختلفوا فيمن[4] يعتبر، فعند أبي حنيفة بالمرأة، فإذا كانت أمة فطلاقها تطليقتان، وعند الشافعي بالزوج.

ولا خلاف أن لها وقتًا مسنونًا، وهو طُهرٌ لم يجامعها فيه، وأنها تكره في حال الحيض.

واختلفوا في الجمع بين الثلاث، فهو بدعة، ويقع عند أبي حنيفة، وعند الشافعي مباح، وعند قوم يقع واحدة، وعند قوم لا يقع شيء.

---

(١) حق: الحق، ز، ف.

(٢) الإضرار: الأمر، ز، و.

(٣) الفوائد: القواعد، د، ف.

(٤) فيمن: ممن، د، ز، ف.

واتفقوا أنها لا تحل بعد وقوع الثلاث حتى تنكح زوجًا غيره نكاحًا صحيحًا، ويدخل بها، وتنقضي عدتها.

واتفقوا أن الطلاق على ضربين: بائن، ورجعي. فالبائن لا يصح أن يراجعها إلا بعقد جديد، ويصح في الرجعي.

واتفقوا أن الطلاق يؤثر على ما تقدم، واختلفوا هل يحرم الوطء؟ فالظاهر من مذهب أصحابنا. أنه لا يحرم، وروي عن أبي يوسف يحرم[١]، وهو قول الشافعي.

ثم اختلفوا فقيل: الرجعي أن يقع بلفظ الطلاق، أو يقول: اعْتَدِّي واستبرئي رحمك، أو أنت واحدة، ولا يدخل[٢] فيه البذل. والبائن ما يقع بالكنايات، أو يدخله بذل، وهذا قول أبي حنيفة وأصحابه، وقال الشافعي: البائن ما يدخله بذل كالطلاق على مال، ولا اعتبار باللفظ.

وما يقع بالكنايات رجعة، فأما النية ففي الصريح لا يحتاج إلى نية، وفي الكنايات تعتبر نيته، أو دلالة الحال من غضب أو مذاكرة طلاق عن أبي حنيفة، فأما الشافعي فيعتبر النية فقط.

والصريح لفظ الطلاق فقط، فأما إذا طلق، ثم طلق فهذا على وجوه، فالرجعي يدخل على الرجعي، والبائن، يدخل على الرجعي، والبائن لا يدخل على البائن؛ فهذا قول أبي حنيفة والشافعي. قال الهادي (عليه السلام) والزيدية: الطلاق لا يلحق المطلقة إلا بعد أن يراجعها في جميع الأحوال، ثم اختلفوا في الرجعي على البائن فقال أبو حنيفة: يدخل، وقال الشافعي: لا يدخل.

فصـل: فأما العدة فتجب في المدخول بها إذا طلقها زوجها، أو مات عنها، وعلى غير المدخول بها إذا مات الزوج، وعلى الموطوءة بشبهة أو نكاح فاسد، وعلى أم الولد إذا أعتقها سيدها أو مات عنها عندنا ثلاث حيض، وعند الشافعي حيضة.

وأما[٣] أنواع العدة: فيقع بثلاثة أشياء: بالقروء، وهو الحيض عند أبي حنيفة، والطهر المتخلل بين الدمين عند مالك والشافعي، والأول الوجه؛ لأنه يستغرق ثلاثة

---

(١) يحرم: يجوز، ف، و.

(٢) ولا يدخل: ولا يدل، و.

(٣) واما: فأما، ف، و.

قروء، ولأنه نقل عند عدم الحيض إلى الشهور، فدل أن الحيض الأصل، وهو في المطلقة الحائل المدخول بها إذا كانت تحيض، وبالأشهر، وهي عدة الآيسة والصغيرة إذا طلقها زوجها بعد الدخول ثلاثة أشهر، وعدة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشر، دخل بها الزوج أو لم يدخل، وعدة الأمة على النصف في الأشهر، وفي القرء حيضتان، وإذا طلقها في مرضه ومات فورثت بالإقرار[1] على قول أبي حنيفة تعتد بأبعد الأجلين، وقال أبو يوسف ومحمد[2] : تعتد بالحيض.

والثالث: وضع الحمل ففي الجميع على السواء المطلقة المتوفى عنها زوجها، وذوات الأقراء، والحرة والأمة سواء، ولا خلاف أن غير المدخول بها إذا طلقها لا عدة عليها.

والعدة حق الله تعالى مشوب بحق الآدمي، وتَعَبُّدٌ للمرأة من وجه، ولا تعبد فيه من وجه، والتعبد الامتناع من الأزواج والسكنى والإحداد، فأما ما مضى من الزمان فلا تعبد فيه؛ لأنه من فعل الله تعالى، ولذلك إذا أخبرت بطلاق الزوج بعد مضي[3] مدة، فالفقهاء على أنه يعتبر من حين الطلاق، وعن بعضهم من حين الخبر، والأول إجماع الفقهاء.

فصل:

فأما الرجعة[4] : فتثبت في المطلقة الرجعية في الواحدة والثنتين، وتبين في الثلاث، وفي الكنايات لا تثبت الرجعة، وإذا أخذ بذلاً لا تثبت، وعند الشافعي تثبت في الكنايات أيضًا.

ثم بماذا تقع الرجعة؟، إما بقول الزوج فيصح بالاتفاق، واختلفوا في الوطء واللمس بالشهوة، فعند أبي حنيفة يصير به مراجعًا، وعند الشافعي لا تصح الرجعة، واختلفوا فقال أبو حنيفة: الإشهاد ليس بشرط، وقال الشافعي: شرط.

ولا خلاف أنه إذا انقضت العدة تنقطع الرجعة، فأما في الحيض إذا قال: راجعتك فقالت مجيبة: انقضت عدتي تصح الرجعة عند أبي يوسف ومحمد، ولا تصح عند أبي حنيفة إذا كان حيضها عشرًا، فبنفس الانقطاع تنقطع الرجعة، وإذا كان

(١) بالإقرار: الإقرار، د، ز.
(٢) أبو يوسف ومحمد: أبو يوسف، ز، ف.
(٣) مضي: ـ، و.
(٤) الرجعة: حكم الرجعة، د، ف.

دون العشر فبأن تغتسل أو يمضي وقت الصلاة، واختلفوا إذا تيممت، فعند أبي حنيفة لا تنقطع حتى تصلي، وعند أبي يوسف ومحمد تنقطع بنفس التيمم.

ولا خلاف أن القول قولها في انقضاء العدة، ثم اختلفوا فقال أبو حنيفة: أقل ما تصدق فيه شهران، وله في ذلك طريقان ليس هذا موضعه، قال أبو يوسف ومحمد: تسعة وثلاثون يومًا، قال الشافعي: ثلاثة وثلاثون يومًا.

وما دامت في العدة هل يحل له أن يتزوج بأختها، وأربع سواها قالوا: لا في الرجعة بالاتفاق، وفي البائن كذلك عند أبي حنيفة وأصحابه. وقال الشافعي: يجوز. فأما عدة أم الولد إذا أعتقها سيدها فقال أبو حنيفة: تمنع نكاح الأخت، ولا تمنع نكاح الأربع، وعند أبي يوسف ومحمد لا تمنع النكاحين، وعند زفر تمنع النكاحين، وتفصيل هذه المسائل كتب الفقه.

قوله تعالى:

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩﴾

۞ القراءة

قرأ أبو جعفر وحمزة ويعقوب: «**يُخافا**» بضم الياء، والباقون بفتحها[(١)] ، فوجه الأول أي يعلم ذلك منهما اعتبارًا بقراءة ابن مسعود «**وإن لا تخافوا**»، وبقوله: «**فإن خفتم**»، ولم يقل: خافا، فجعل[(٢)] الخوف لغيرهما، ووجه القراءة الثانية: أنه أضاف الخوف إليهما فالمرأة تخاف الفتنة على نفسها من عصيان الله في أمر زوجها، وتخاف الزوج أنها إن[(٣)] لم تطعه يعتدي عليها.

۞ اللغة

المرة والمرتان: كالكرة والكرتين، وأصل المرة: المرور كالنفور خلاف الوقوف.

---

(١) حجة القراءات ١٣٥.

(٢) فجعل: فيجعل، د.

(٣) إن: ـ ، ف، و.

والإمساك: الحفظ وهو خلاف الإطلاق.

والتسريح: الإطلاق، وهو من السَّرْح الذي هو الانطلاق.

والحد أصله: المنع، ومنه يسمى البواب حدادًا. وحدود الله: أوامره ونواهيه التي يمنع بها[1] من يجاوزها، ومنه الحد؛ لأنه يمنع المعاصي.

والفدية: جعل الشيء بدلاً عنه، يقال: فديت هذا بهذا أي أعطيته بدلاً عنه.

والاعتداء: تجاوز الحد، وأصله من العدو، ويقال: عدوت عدوًا، واعتديت اعتداءً.

۞ الإعراب

«**إمساك**» رفع لأنه خبر ابتداء محذوف، تقديره فعليه إمساك، ويجوز في العربية النصب على تقدير فليمسك إمساكًا.

۞ النزول

روى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن امرأة أتتها، فشكت زوجها أنه يطلقها، ويسترجعها ويضارها، وكان الرجل في الجاهلية يطلق امرأته ثم يراجع قبل انقضاء العدة، وإن طلقها ألف مرة، ولم يكن للطلاق حد، فذكرت عائشة ذلك لرسول الله ﷺفنزلت: «**الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ**» فجعل حد الطلاق ثلاثًا[2] ، فأما الثالث فقيل: هو في قوله: «**فَإِنْ طَلَّقَهَا**»، وقيل: في قوله: «**فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ**»، وقوله: «**إِلاَّ أَنْ يَخَافَا**» فنزلت في ثابت بن قيس بن شماس وزوجته جميلة ابنة سهل، وكان[3] يحبها وتبغضه، فقال ﷺ: «**أتردين عليه حديقته**»[4]؟ فقالت: نعم وأزيده، فقال: «**لا، حديقته فقط**»، فردت عليه حديقته، وطلقها بإذن النبي ﷺ، وكان أول خلع في الإسلام.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى عدد الطلاق، فقال: «**الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ**»، وقيل: معناه البيان عن عدد

---

(١) بها: ـ، د.

(٢) العجاب في بيان الأسباب ١/ ٥٨١.

(٣) وكان: فكان، ف، و.

(٤) الحديث وارد بألفاظ متعددة في: البخاري حديث رقم ٤٩٧١، والنسائي برقم ٣٤٦٣، والدار قطني برقم ٣٨ في باب المهر، والمعجم الكبير رقم ١١٩٦٩، والأوسط ٨٤٣٧، وسنن البيهقي الكبرى رقم ١٤٦١٥، وسنن النسائي الكبرى برقم ٥٦٥٧.

الطلاق الذي يوجب البينونة مما لا يوجب، عن قتادة، قال الزجاج: وفيه محذوف، كأنه قال: الطلاق الذي يملك فيه الرجعة مرتان، وقيل: معناه عن تفصيل طلاق السنة، عن ابن عباس ومجاهد، ولفظه الخبر[١]، ومعناه الأمر أي طلقوا مرتين يعني دفعتين «**فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ**» أي فعليه إمساك بمعروف إذا راجعها بعد الثانية «**أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ**» قيل: بالتطليقة الثالثة، وروي أن النبي ﷺ سئل لما نزل قوله: «**الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ**» فأين الثالثة؟ فقال: «**تسريح بإحسان**»[٢]، وقيل: هو ترك المراجعة حتى تبين بانقضاء العدة، عن الضحاك والسدي «**وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ**» خطاب للأزواج أن يأخذوا في حال الطلاق[٣] والاستبدال «**أَنْ تَأْخُذُوا**[٤] **مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا**» أي مما أعطيتموهن من المهر وغيره «**إِلاَّ أَنْ يَخَافَا**» أي يظنان، وعلى قراءة حمزة يعلم من حالها «**أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ**» أوامره ونواهيه، وهي نشوز المرأة بغضًا للزوج، عن ابن عباس وعروة والضحاك. وقيل: نشوزها ونشوزه، عن الشعبي. وقيل: الحدود التي بالخوف من تضييعها تحل الفدية التي تجب لكل واحد من الزوجين على صاحبه من جميل الصحبة وحسن العشرة، وقيل: ما أمر به كل واحد من طاعة المرأة لزوجها، وقيام الزوج عليها، «**فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا**» أي لا حرج ولا إثم، وهذا يفيد الإباحة، وفي الإضافة إليهما قولان: قيل: أراد به الزوج أنه يحل أخذ الفدية، فذكر المرأة أيضًا لاقترانهما، كقوله تعالى: ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ [الكهف: ٦١]، وكقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ﴾ [الرحمن: ٢٢]، عن الفراء، وقيل: لو خص الزوج لأوهم أنها عاصية وإن كان له الفدية جائزة، ففي الإذن لهما في ذلك لزوال الإيهام، عن علي بن عيسى. «**فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ**» أي بذلت من المال قيل: المهر فقط، عن علي (عليه السلام) والحسن وعطاء والربيع والزهري وأبي حذيفة والشعبي. وقيل: المهر وما زاد، عن ابن عباس وابن عمر وإبراهيم ومجاهد. «**تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ**» أوامره ونواهيه، وما نصب من الآيات في النكاح والطلاق والرجعة والعدة، وقيل: في الخلع والطلاق والعدة «**فَلَا تَعْتَدُوهَا**» فلا

---

(١) الخبر: ـ ، ز، و.

(٢) الدارقطني حديث رقم ٢ كتاب الطلاق، وسنن البيهقي الكبرى حديث رقم ١٤٧٦٨، ومصنف عبد الرزاق حديث رقم ١١٠٩١، ومصنف ابن أبي شيبة حديث رقم ١٩٢١٦.

(٣) الطلاق: الحيض، د، و.

(٤) أن تأخذوا: ـ ، ف.

تجاوزوها بالمخالفة «وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ» أي يتجاوز بأن يخالف ما حد له «**فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**» وهو اسم يشتمل على الوعيد فذكر ذلك ليعلم أن التعبد دخل في[1] هذه الأشياء.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن تفريق الطلاق سنة، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه خلاف ما يقوله الشافعي: لا سنة ولا بدعة في الجمع والتفريق؛ لأنه إما أن يكون أمرًا أو خبرًا، وأيهما كان ففيه بيان أن الطلاق ينبغي أن يكون في دفعتين.

وتدل على أن الرجعة مقصورة على العدة من التطليقتين دون الثلاث.

وتدل على إباحة الخلع عند الخوف[2] ، ولأن الفدية لا تكون إلا في الخوف، فصارت الآية أصلاً في الخلع، وصفته وجوازه وشرطه، واختلفوا فقيل: يحل الخلع عند نشوز المرأة، وقيل: عند نشوزهما، وهو أليق بالظاهر.

وتدل على كراهية[3] الخلع مع سلامة الحال.

وقيل: الخلع ثلاثة:

الأول: أن يضارها كارها لدمامتها، أو لسنها لتفتدي، فهذا لا يحل له، لقوله[4] ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ﴾ الآية [النساء: ٢٠] .

والثاني: أن يراها على فاحشة فيضارها لتفتدي، فهذا يحل؛ لقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾ [النساء:١٩].

والثالث: أن يخافا ألا يقيما حدود الله لسوء خلق، أو قلة نفقة، فيجوز الفدية لهما جميعا لهذه الآية.

وأجمع الفقهاء ألا نسخ في هذه الآية، عن ابن عباس والحسن وغيرهما. وعن بكر بن عبد الله أنها منسوخة بقوله: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ﴾ [النساء: ٢٠]، وليس بصحيح.

---

(١) دخل في: فعل، أ.

(٢) الخوف: الخلع، ف، ز.

(٣) كراهية: كراهة، د، ز، و.

(٤) لقوله: كقوله، د.

ومتى قيل: الخوف شرط في ماذا؟

فجوابنا في إباحة الخلع لا في إثبات أحكامه على ما تقدم.

واختلفوا فقيل: الخلع لا يجوز من غير قاضٍ، والفقهاء على جوازه بمنزلة سائر المعاوضات.

واختلفوا فقيل: الخلع طلاق، وقال الشافعي في القديم: إنه فسخ، وقال في الجديد: طلاق، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه وأكثر الفقهاء، ورواه إسماعيل بن إسحاق عن عمر وعثمان وابن مسعود وابن عمر وجماعة.

ولا خلاف أن لا رجعة في الخلع. وهل يلحقها الطلاق الصريح؟ قال أبو حنيفة: نعم، وقال الشافعي: لا.

وإذا خالعها على عوض بشرط أن له الرجعة صح الخلع وبطل الشرط عند أبي حنيفة، وقال الشافعي: تثبت الرجعة ويبطل المال.

قوله تعالى:

﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٢٣٠﴾

القراءة

قرأ عاصم في رواية أبان والمفضل «نبينها» بالنون[1] على الإضافة بنون التعظيم، والباقون بالياء على أنه يرجع إلى اسم الله تعالى.

اللغة

النكاح: عبارة عن الوطء، ومنه: «ملعون من نكح بهيمة»[2]، وعن العقد، كقوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ﴾ [النور: ٣٢]، وأصله الوطء، ثم سمي العقد، لأنه سبب الوطء.

---

(١) السبعة في القراءات ١٨٣.

(٢) الترمذي في حديث رقم ١٤٥٦، وأحمد حديث رقم ١٨٧٥، ومصنف عبد الرزاق حديث رقم ١٣٤٩٤، وسنن البيهقي الكبرى رقم ١٦٨١٣.

والزوج: الواحد الذي يكون معه آخر، والاثنان[1] زوجان يقال: زوجا خف، والرجل زوج امرأته، والمرأة زوجة. والزوج: صنف أيضًا، ومنه: ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [ق: ٧] والأزواج: الأشباه، ومنه: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾ [يس: ٣٦].

والبيان: الفصل بين الشيئين، وأصله من بان يبين إذا فارق، والبين: الفراق، فأما حد البيان فقيل: هو الأدلة، عن أبي علي وأبي هاشم والقاضي. وقيل: العلم الحادث، عن أبي عبدالله البصري. وقيل: ما يخرج الشيء عن حد الإشكال إلى حد التجلي عن الصيرفي. وموضع المسألة أصول الفقه.

۞ الإعراب

موضع (أن) في قوله: «أَنْ يَتَرَاجَعَا» خفض بإضمار الخافضة تقديره: في أن يتراجعا، عن الخليل والزجاج والكسائي، وقيل: موضعها نصب بنزع الخافضة، عن الفراء، وقيل: لما حذف حرف الخافضة، وصل الفعل إليه فنصبه.

۞ النزول

قيل: نزلت الآية في عائشة، وقيل: تميمة بنت[2] عبد الرحمن القرظي[3]، وكانت تحت رفاعة بن وهب بن عتيك القرظي ابن عمها، فطلقها ثلاثًا، فتزوجت بعبد الرحمن بن الزبير البصري، فأتت النبي ﷺ، وقالت: كنت عند رفاعة بطلقتين[4] فبت طلاقي، فتزوجت بعده بعبد الرحمن بن الزبير، وإنما معه مثل هدبة ثوب، وإنه طلقني قبل أن يمسني، أفأرجع إلى ابن عمي؟ فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «أتريدين أن ترجعي[5] إلى رفاعة؟ لا، حتى تذوقي من عسيلته، ويذوق من عسيلتك»[6] وأبو بكر جالس يسمع، والمراد بالعسل[7] الجماع شبه اللذة فيه بالعسل، وهذا من فصيح

---

(١) والاثنان: فالاثنان، د، ز.
(٢) بنت: ابنة، د، ز، ف، و.
(٣) العجاب في بيان الأسباب ١/ ٥٨٦.
(٤) بطلقتين: تطلقتين، و.
(٥) ترجعي: ترجعين، و.
(٦) البخاري رقم ٢٤٩٦، ومسلم رقم ١٤٣٣، والترمذي رقم ١١١٨، والنسائي رقم ٣٢٨٣، وابن ماجه رقم ١٩٣٢، ومسند أحمد رقم ٢٥٩٣٤، والدارمي رقم ٢٢٦٧، والمعجم الكبير ٨٦٩.
(٧) بالعسل: العمل، د.

الكنايات، فلبثت[1] ما شاء الله، ثم عادت إلى رسول الله ﷺ، وقالت: إن زوجي مسني، فقال: «كذبت قولك الأول، فلا نصدقك في الآخر»، فلبثت حتى قبض رسول الله ﷺ فأتت أبا بكر فاستأذنت، فقال: لا ترجعي إليه، فلبثت حتى مضى لسبيله، فأتت عمر فاستأذنت فقال: لئن رجعت إليه لأرجمنك، وفي قصة رفاعة وامرأته نزلت: «**فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ**».

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى حكم التطليقة الثالثة، فقال تعالى: «**فَإِنْ طَلَّقَهَا**» يعني الزوج يطلقها التطليقة الثالثة، وقيل: إن قوله: «**فَإِنْ طَلَّقَهَا**» تفسير لقوله: «**أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ**»، عن مجاهد، وهذا على مذهب من يجعل التسريح طلاقًا. وقيل: بل هي التطليقة الثالثة، عن السدي «**فَلَا تَحِلُّ لَهُ**» يعني هذه المرأة لا يحل نكاحها لهذا الذي طلق ثلاثًا «**مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ**» يعني حتى تتزوج زوجًا، ويجامعها، واختلفوا فقيل: العقد يُعْلَمُ بالكتاب، والوطء بالسنة، عن أبي علي. وقيل: بل كلاهما يُعْلَمُ بالكتاب؛ لأن النكاح يعبر به عنهما، كأنه قيل: حتى تتزوج ويجامعها، وقيل: تقديره: حتى يجامعها زوج[2]، فيفهم الوطء بقوله: «**تَنكِحَ**» والعقد بقوله: «**زَوْجًا**» قال أبو مسلم: وهو من الكنايات الفصيحة، والإيجاز العجيب .«**غَيْرَهُ**» أي غير المطلق «**فَإِنْ طَلَّقَهَا**» يعني الزوج الثاني «**فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا**» أي لا مأثم على المرأة والزوج الأول «**أَنْ يَتَرَاجَعَا**» يعني بنكاح جديد باتفاق أهل العلم، فذكر النكاح بلفظ التراجع «**إِنْ ظَنَّا**» قيل: عَلِمَا، وقيل: أَيْقَنَا، وقيل: اعتَقَدا، عن أبي مسلم «**أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ**» قيل: علما أن نكاحهماعلى غير دُلْسَةٍ، وقيل: يعملان بما أمر الله به كل واحد منهما في حق الآخر «**وَتِلْكَ**» يعني ما نبينه «**حُدُودُ اللَّهِ**» أوامره ونواهيه «**يُبَيِّنُهَا**» يفصلها «**لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**» قيل: هم العقلاء؛ لأنهم المخاطبون، عن أبي مسلم، وقيل: أراد به من يَعْلَمُ، وخصهم بالذكر؛ لأنهم ينتفعون بالآيات، فغيرهم بمنزلة من لا يعتد به، وقيل: خصهم بالذكر؛ لنباهتهم، كقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨] وقيل: يبينها ليعلم أنه بعث الرسول وأنزل الكتاب، عن الأصم، وقيل: أراد العرب؛ لأن القرآن نزل بلسانهم مصلحة لهم في الدارين.

---

(١) فلبثت: فلبث؛ د، ز، ف.

(٢) يجامعها زوج: يجامع زوجاً، ز، و.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن المملوك يعقد النكاح بثلاث[1] تطليقات؛ إذ لو ملك أكثر لكان في الثالثة في جواز الرجعة كالبائنة.

وتدل أنه إذا طلقها لا تحل إلا بعد شرائط الزوج الثاني وَوَطْأَهُ وفرقته وانقضاء عدته.

وتدل على أن الزوج الأول يكون خاطبًا من الخطاب.

وتدل على تأديب من الله تعالى[2] ليتحرز[3] من الطلاق؛ لأنها قد تكون ذات أولاد، وقد يحبها، وقد تكون صالحة، ويشق عليه مراجعتها بعد زوج، وأمر بأن تطلق للعدة، وأثبت المراجعة مصلحة لهم، وتدل على أن الزوج الثاني يرفع التحريم، ولا بد من نكاح صحيح، ولا[4] يحلها الفاسد والوطء بالشبهة، ووطء المولى.

واختلفوا فيما دون الثلاث: هل يرفع[5] الزوج الثاني ذلك؟ فقال أبو حنيفة وأبو يوسف: نعم[6]، وقال محمد، والشافعي: لا.

وتدل على أن الحكم الشرعي قد يتعلق بإثبات علل؛ لأن إباحتها للأول تعلقت بهذه الأشياء.

وتدل على أن التحريم يرتفع، وإن لم يطلق الثاني ثلاثًا؛ لأنه أطلق ذلك.

وتدل على أنه أباح[7] التراجع بشرط أن يقيما حدود الله، وهذا شرط في إباحته، لا في صحته، بإجماع الفقهاء.

وتدل على أن الأحكام تتعلق بالظن، فتدل على صحة الاجتهاد في المسائل.

واختلفوا في الظن فقيل: جنس برأسه سوى الاعتقاد، عن أبي علي، وقيل: هو من جنس الاعتقاد، عن أبي هاشم.

---

(١) بثلاث: ثلاث، ف، و.
(٢) تعالى: ـ، ز.
(٣) ليتحرز: ليتحرزوا، د، ز.
(٤) ولا: فلا، د، ز، ف.
(٥) يرفع: ترفع، ز، و.
(٦) نعم: بلى، د.
(٧) أنه أباح: أن إباحة، د، ف.

وتدل على أن للتعبّد[1] مدخلاً في النكاح والطلاق والرجعة لذلك قال: «**وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ**» ولما كان النكاح الثاني شرطًا في الحل للزوج الأول اختلفوا في التحليل على ثلاثة أقاويل:

منهم من قال: إذا نوى التحليل يفسد النكاح، ولا تحل للأول، عن سفيان ومالك والأوزاعي، وروي عن أبي يوسف نحوه، وتعلقوا بنهيه عنه بقوله: «لعن الله المحلل والمحلل له»[2].

ومنهم من قال: إذا لم يشترط في العقد حل، وإذا شرطه يفسد، ولا تحل، وهو قول الشافعي.

ومنهم من قال: يصح العقد ويبطل الشرط وتحل للأول، ولكن يكره، وهو الظاهر من مذهب أبي حنيفة وأهل العراق، وإن اختلفت الروايات عنهم، وعن محمد: أنه يصح النكاح، ولا تحل للأول.

قوله تعالى:

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾

اللغة

الأجل: المدة، والأجل: الوقت، والآجل خلاف العاجل، قال الزجاج: الأجل آخر المدة وعاقبة الأمور.

---

(١) للتعبد: للعقد، د، و.

(٢) سنن أبي داود ٢٠٧٦، والنسائي ٣٤١٦، وابن ماجه رقم ١٩٣٤، ومسند أحمد ٦٦٠، والدارمي رقم ٢٢٥٨، والمعجم الكبير رقم ٩٨٧٨، والمعجم الأوسط رقم ٧٠٦٣، ومصنف عبد الرزاق رقم ١٠٧٩٣، ومصنف ابن أبي شيبة رقم ٣٦١٩٠، وسنن البيهقي الكبرى رقم ١٣٩٦١.

والتسريح: الإطلاق، وأصله إرسال الماشية في المرعى، ومنه: ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل: ٦]، ومنه السرح.

والضرار: المضارة، وهو من الضر ضد النفع، والظلم أصله النقص، وحده: الضرر القبيح، وقيل: الضرر الذي لا نفع فيه ولا دفع[١] ولا استحقاق.

والهزؤ: السخرية، يقال: هزأ به واستهزأه.

والوعظ: التخويف، والعظة الاسم، قال الخليل: هو التذكير بالخير فيما يرق له قلبه.

۞ النزول

قيل: نزل قوله: «**وَإِذَا طَلَّقْتُمُ**» في ثابت بن يسار الأنصارى طلق امرأته [حتى] إذا شارفت انقضاء العدة راجعها، ثم طلقها، يفعل ذلك حتى مضت تسعة أشهر مضارة لها، ولم يكن الطلاق محصورًا يومئذ، فأنزل الله تعالى هذه الآية[٢]، وقوله: «**وَلاَ تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا**» قيل: كان الرجل يطلق أو يعتق، ثم يقول: إني كنت لاعبًا، فنزلت الآية، عن أبي الدرداء والحسن فقال ﷺ: «**من طلق لاعبًا أو أعتق لاعبًا فقد جاز عليه**»[٣].

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى ما يجب على الزوج إذا طلق، وإذا بلغ الأجل، فقال تعالى: «**وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ**» خطاب للأزواج «**فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ**» أي بلغن انقضاء العدة ومعناه: قاربن وشارفن أجلهن، عن الحسن وغيره من أهل العلم؛ لأنه بعد انقضاء العدة ليس له الإمساك، يقال: بلغت البلد إذا قاربت منها، والأجل الذي تنقضي به العدة: الأقراء في ذوات[٤] الحيض، والأشهر فيمن لا تحيض، والوضع[٥] فيمن بها حمل «**فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ**» يعني راجعوهن قبل انقضاء العدة، عن ابن عباس وقتادة ومجاهد «**بِمَعْرُوفٍ**» أي بالقيام بما أمر الله تعالى به في حقها دون إرادة المَضارة، عن

(١) ولا دفع: ولا ضرر، ز، ف.
(٢) العجاب في بيان الأسباب ١/٥٨٨.
(٣) مصنف عبد الرزاق رقم ١٠٢٤٤.
(٤) ذوات: ذات، د، و.
(٥) والوضع: أو وضح، ف.

أبي علي والأصم، والمعروف الذي يدعو إليه العقل أو الشرع للمعرفة بصحته، وخلافه المنكر. وقيل: بمعروف بإشهاد على الرجعة دون الرجعة بالوطء، عن ابن جرير «**أَوْ سَرِّحُوهُنَّ**» أي طلقوهن بأن تتركوهن حتى تنقضي عدتهن، وكن أملك بأنفسهن «**وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا**» قيل: أمسكوهن بالمعروف لا للمضارة، وسوء العشرة، وقيل: التضييق في النفقة في العدة، وقيل: بتطويل العدة «**لِتَعْتَدُوا**» أي تجاوزوا حد الله «**وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ**» يعني الاعتداء، وقيل: الإمساك للمضارة[(١)] بخلاف ما أمر الله به تعالى «**فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**» يعني بخس حقها حيث خالف أمر الله تعالى حتى استحق وعيد الله «**وَلاَ تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا**» يعني لا تستخفوا بآياته وأوامره وفروضه، ولا تتخذوه عبثًا، عن الأصم وأبي مسلم. وقيل: آيات الله قوله: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، عن الكلبي، وقيل: لا تستخفوا بنهي الله إياكم فيما تقدم، عن أبي علي «**وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ**» قيل: فيما أباح من الأزواج والأموال، وما بين من الحلال والحرام، عن أبي علي، وقيل: بما[(٢)] علمكم وكنتم جهالاً، عن الأصم. وقيل: بالإيمان «**وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ**» اذكروا ما أنعم عليكم به، وما أنزل الله «**مِنَ الْكِتَابِ**» وهو الكتاب «**وَالْحِكْمَةِ**» يعني العلوم التي دل عليها، والشرائع التي بينها «**يَعِظُكُمْ بِهِ**» لتتعظوا وتنتهوا عن معاصيه «**وَاتَّقُوا اللَّهَ**» أي اتقوا معاصيه المؤدية إلى عقابه، وقيل: اتقوا عذابه باتقاء معاصيه «**أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**» من أفعالكم وغيرها.

۞ الأحكام

تدل الآية على جواز الرجعة كما تقدم إلا أن ههنا زيادة فائدة، وهو أن له الرجعة ما دامت في العدة.

وتدل على تحريم الإمساك للمضارة. وتدل على أن من فعل ذلك فقد ظلم نفسه.

وتدل على المنع من الهزؤ بآيات الله، وفيه زيادة على ترك العمل؛ لأن الهازئ هو التارك مع قلة الاكتراث استخفافًا، وهذا كفر.

---

(١) للمضارة: بالمضارة، د، ف.

(٢) بما: مما، ز، ف، و.

ويدل قوله: «وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ» أن العصيان مع كثرة النعم أعظم، ونبه على عظيم نعمه، ونبه على وعظ يجمع بين الأمر والنهي والوعد والوعيد، ونبه بآخر الآية بكونه عالمًا لضمائرهم[1] ليكونوا خائفين وجلين.

وقد استدل بعضهم بالآية على أن الخلع ليس بطلاق؛ لأنه تعالى ذكر تطليقتين[2]، ثم الخلع، ثم قال: «فَإِنْ طَلَّقَهَا» فلو كان الخلع طلاقًا لكانت التطليقات[3] أربعًا.

قلنا: الله تعالى بَيَّنَ الطلاق بغير بذل وأحكامه من ثبوت الرجعة وغيره، ثم بَيَّنَ حكم الطلاقين ببذل؛ ليعلم حكمه من امتناع الرجعة، ثم بَيَّنَ حكم الثالث ببذل وغير بذل، وأنه يحرم في الحالين العقد إلا بعد زوج.

واستدل بعضهم بقوله: «أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ» على أن لفظ السراح صريح في الطلاق؛ لأن المراد به الطلاق ههنا، وهذا لا يصح؛ لأن القرآن يَرِدُ بالصريح والكناية كقوله: «أَنْ يَتَرَاجَعَا» و﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد: ١٣] ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المائدة: ٨٩] وعلى أن المراد بالتسريح تركها حتى تنقضي عدتها، فما ذكره ممنوع.

قوله تعالى:

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾

اللغة

العَضْلُ: أصله المنع ظلمًا، وقيل: أصله التضييق والشدة، ومنه يقال للأمر المشكل الذي يضيق منه المخرج: أمر معضل، وداء عضال الذي أعيا الأطباء لشدته.

وأزكى: أنمى وأعظم بركة، يقال: زكا المال إذا كثر، وللزكاة معنيان: أحدهما النماء والزيادة، ومنه زكا الزرع، والثاني: الطهارة، ومنه: «يُزَكِّيكُمْ».

(١) لضمائرهم: بضمائرهم.، ف، و.
(٢) تطليقتين: طلقتين، د، ف.
(٣) التطليقات: الطلقات، د، ف.

۞ الإعراب

موضع (أن) من الإعراب في قوله: «أَنْ يَنكِحْنَ» جر عند الخليل والكسائي، على تقدير: من أن ينكحن، ونصب عند غيرهما بالفعل.

ويقال: لم جاز توحيد الكاف في قوله: «ذلك»، والخطاب للجميع؟

قلنا: فيه ثلاثة أقوال:

الأول: أن (ذا) لما كان مبهما[١] يستعمل كثيرًا معه، صار[٢] بمنزلة شيء واحد، ولا يجوز على ذلك، أيها القوم، هذا غلامك.

والثاني: على معنى أيها القبيل.

والثالث: أنه خطاب للرسول والمراد به الجميع.

۞ النزول

عن الحسن وقتادة وجماعة من المفسرين أن الآية نزلت في معقل بن يسار عضل أخته جميلة بنت يسار أن ترجع إلى الزوج الأول وهو عاصم بن عدي، وكانت تحب ذلك، وكان طلقها ثم خطبها، فحلف ألا يزوجها، وقرأها رسول الله ﷺ على معقل، فزوجها منه، وكفر يمينه[٣] .

وقال السدي: نزلت في جابر بن عبد الله الأنصاري عضل بنت عم له، ومنع من المراجعة، وكانت تحب ذلك، فنزلت الآية.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى المراجعة إلى الزوج الأول، فقال تعالى: «وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ» أي انقضت عدتهن «فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ» أي لا تمنعوهن ظلمًا عن التزويج، قيل: المراد به التخلية، وقيل: هو خطاب للأولياء ومنع لهم عن عضلهن عن التزويج، وقيل: خطاب للأزواج يعني إذا طلقها في السر، ولا يظهر طلاقها كيلا تتزوج غيره

(١) مبهما: فيهمًا، د، ف.

(٢) صار: فصار، د، ز، و.

(٣) العجاب في بيان الأسباب ١/ ٥٩٠.

عليه فيبقين[١] لا ممسكات إمساك[٢] الأزواج، ولا مخليات تخلية المطلقات، أو تطول العدة عليها. وقيل: الخطاب لهما، فنهى الولي عن العضل والزوج عن ذلك، عن أبي مسلم «**أَنْ يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ**» يعني أن يعقد عقدًا جديدًا بينهن وبين أزواجهن الأولين[٣]، وسمي أزواجًا يعني كانوا أزواجًا، وقيل: من رُضِيَ بهم[٤] أزواجًا «**إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ**» وقيل: فيه تقديم وتأخير يعني أن ينكحن أزواجهن بالمعروف«**إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالمَعْرُوفِ**» ما وافق الشرع من عقد حلال، ومهر جائز، وشهود عدول إذا تراضوا على ذلك، وقيل: «**إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُم بِالمَعْروفِ**» يعني إذا تراضوا بشيء هو معروف موافق للشرع «**ذَلِكَ**» يعني ما ذكر من الأمر والنهي «**يُوعَظُ بِهِ**» يُزْجَرُ[٥] ويخوف ويؤمر وينهى «**مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**» إنما خصهم بالذكر قيل: لأنهم أهل الانتفاع به، وقيل: لأنهم أولى بالاتعاظ به، وقيل: لأن[٦] الكافر يلزمه ذلك بعد الإيمان، فأما مع الكفر فغير[٧] مخاطب به «**ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ**» يعني أعظم بركة وأنفع وأحرى أن يجعلكم أزكياء «**وَأَطْهَرُ**» يعني أطهر لقلوبكم من الريبة؛ لأنه لعل في قلبهما[٨] حبًّا، فإذا منعا[٩] من التراجع لم يؤمن أن يتجاوزا[١٠] إلى ما حرم الله تعالى. وقيل: أطهر لكم من الذنوب، عن أبي علي وأبي مسلم. وقيل: أقرب إلى الحلال وأبعد من الحرام «**وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**» قيل: من مصالحكم فيما كلفكم ما لا تعلمون أنتم عن الأصم وأبي علي، «**وَاللَّهُ يَعْلَمُ**» بالمطيع والعاصي في[١١] العاقبة، «**وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**» ذلك، عن أبي مسلم، وقيل:

(١) فيبقين: فبقتين، ز.
(٢) إمساك: بإمساك، د، ف.
(٣) الأولين: الأولى، ز، ف، و. وفي هامش ز: الألى نسخة.
(٤) بهم: بهن، ف.
(٥) يزجر: ويزجر، د، ز.
(٦) لأن: ـ، و.
(٧) فغير: فغيره، ف.
(٨) قلبهما: قلبها، د، ز.
(٩) منعا: امتنع، د، و.
(١٠) يتجاوزا: يتجاوز، ف.
(١١) في: ـ، ز، و.

والله يعلم من حب كل واحد منهما لصاحبه ما لا تعلمون أنتم، وقيل: والله يعلم من يقبل ويجيب.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن للمرأة أن تعقد عقد النكاح؛ لأنه أضاف عقد النكاح إليها بقوله: «أَنْ يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ» وأراد به العقد، وأضاف التراضي إليها دون الولي، فيصح ما قاله أبو حنيفة: إن النكاح ينعقد بلفظ النساء، خلاف ما يقوله الشافعي، ولا يقال: هو مشترك الدلالة؛ لأنه لولا أن النكاح إلى الولي لما صح العضل.

قلنا: المراد به المنع من التزويج.

وتدل الآية على أن للولي حقا في العقد فعند أبي حنيفة أنه يتولى عقدها برضاها، وله الاعتراض عليها إذا وضعت نفسها في غير كفؤ، وإذا قصر في المهر، وعند أبي يوسف ومحمد: العقد إلى الأولياء، ويعتبر[1] رضاها، ولا يقال: إن الآية تدل على أن العقد للأولياء؛ لأنا بينا أنه أراد به المنع. وإذا حملنا على أنه خطاب للزوج سقط الاعتراض، وهو أولى؛ لأنه لم يجر للأولياء ذكر كما جرى ذكر المطلق.

واستدل بعض الحنفية بالآية على أن الكافر غير مخاطب بالشرائع، وذلك غير صحيح لما بينا من الوجوه في قوله: ﴿مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ [الطلاق: ٢].

(١) ويعتبر: يعتبر، ف.